UNIVERSAL LIBRARY
OU_232620
UNIVERSAL LIBRARY

هذا كتاب التفسير
المسمى بغرائب
القرآن من تاليفات
الحسن بن محمد القمي
النيسابوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الكريم رغب في ابداع غرائب القرآن وبفضله العميم ما أهب لابداع رغائب الفرقان فاليه منتهى الامل والنوال وهذا حين افتتح فاقول الحمد لله الذي
جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلني في نفس ابية وهمة علية لا تكاد تستأنس الا بذكر حبيبها عاف سفساف الامور
واتحاف الموبقات الموجبات للثبور امبل عن زخرف الدنيا وزبرجها واكبح النفس نحوم حول مخرجها وموبجها اي النفس طمحتها تحمل ان ارسلت
استرسلت وان قدعت تقدعت في الاولى لله السلف الذين العيون الى الاماني الفادحة الفانية والاضاليل الملهية عن السعادات الباقية تأنت
قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات وتاهت ضمائرهم في بيداء عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم في
دأماء ديمومية العزة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت فنوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بقضاء معبوده فتجلت
لهم الذات وتحدث عندهم المختلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات ولم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت السنتهم
الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى نسألك اللهم الاقتداء باولئك والتوفيق لشكر ما اسبغت علي من عطائك بمنن من نعمائك واعوذ بك ان ازل او اضل
فيما اتي واذر وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الاكبر ثبت قدام اقدامي على الصدق ولا تفيض بفضلك ينطق في بكلام سوى الحق واجعلني
ممن لا ينظر الا اليك لا رغبة فيما لديك بل تكفي من غيرها بقد علم مني وبلغني من غير حق يوجب لك عدلك فان افتخرت فبما انعمت علي تذمرت
واما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما اسرفت على نفسي وقد قلت وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا
فيا من لا يوجد في جوده شوب غرض ولا علة شرفني في الاخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني
بالنسيان الانساني حتى يكون لك الفضل في الاخرة والاولى والثناء في المبداء والمحمدة في العقبى دعوت دعاء البائس الفقير المستعين تضرع البائس
المبتلى تضرع الذليل المهين المستكين المائل بين يدي مولاه الآيس بالكلية عمن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة
والسلام على عبيدك المخصوصين بتاييدك المنزهين عن الادناس الجسمية المطهرين عن الانجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين
الى اعلى مدارج الانس الصائرين في ارتقى معارج القدس ولا سيما محمد الذي اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين
وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وادم بين الماء والطين المعترف بحياه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت
الافلاك ثم مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري
نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول من العلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد
التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولا سيما اذا وقع في معرض التحدي الذي يظهر النبي هنالك من المتنبي وهذا شان القرآن العظيم
والفرقان الكريم الذي اخرس شقاشق المناطيق تفهم بقضيتهم واوقر مسامع المصاقع فما بين اوجههم وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف
على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة باللهاذم على المبارزة بالاقران على الاتيان باقصر سورة من
القرآن قال الله تعالى قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وقال أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ
مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وقال وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ درج لهم الامر فاوقع التحدي على القرآن جملة ثم على سورة
فاضطرهم التحيير الى الاتيان بالاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل الدلائل على حقية المنزل والصدق

انزل عليه كيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الاخرين وحكم ما بين الخلايق اجمعين قال عليه السلام في صفته هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا يلتبس به الالسنة
ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا ينقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا
به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين الراسخين
والفضلاء والمحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين للخوض في تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على غائبه
نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتباينت مطامح هماتهم وتفاوتت سوابغ نياتهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتشتت مقاطر اقلامهم فمن بين
وجيز واوجز ومطنب مطول ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك لحظ المعاني والبيان فنعم اللحاظ شكر الله تعالى مساعيهم وصان
عن ازراء القادح معاليهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عند كون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الا باطيل الا من عصمه الله
وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان ياخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط
السبخ والرجاج اذ وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من
العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من ابان الصبي وعنفوان الشباب حفظ لفظ القران وفهم معنى
الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخوان الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم
عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سولهم وانجاح مطلوبهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل
الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله تعالى سعيهم
مشكورا وعلمهم مبرورا استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن هو ذابه وشعره مفتون
كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب
الى الامام الافضل والهمام الاكمل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول العالم بالفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق و
الدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطايف والبحوث ما لا
يحصى ومن الزوايد والفنون ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كنهه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين وحاذ
سياق مرامه واورد حاصل كلامه وترتيب مسالك قدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال الشيء من الفوائد واهمال لما يعد من اللطائف
والعوائد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات او رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراءات
المعتبرة والوقوف المعللات التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب صلاحه واتمام ما ينبغي تمامه من المسائل الواردة
في التفسير الكبير والاعتراضات مع كل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يورثها من طول تصحيح
الفاظ وغرائب القران انما يكون بالامثال والمستشهدات كلا فان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرائب القران
على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات على ايراد بعض المجانسات التي يعرف منها اصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات المقنعات والتاويلات
الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القران الكريم ولا مع ترجمة على
وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان
هذا النوع من الترجمة مما تنكشف به العبرات وتزول المرجون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشي لو وقف على متن اللغة العربية فضلا عن
الدخيل الرجيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف التمام ليكون الكتاب كالبدر في
التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام وخير الكلام ما قل ودل
وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسئول ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان
وهذا اوان الشروع في تفسير القران ولنقدم امام ذلك مقدمات المقدمة الاولى في فضل القراءة والقاري واداب القراءة وجواز اختلاف
القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المومنين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران فاستظهره واحل حلاله
وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه رضي الله عنه ان النبي قال خيركم من تعلم القران وعلمه وعن ابن عباس
قال قال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر في القران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة و
حفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا القران وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه
احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران

مثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقران وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله قال يقول لصاحب القران اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقرأها وفي الصحاح كلها عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن الحكم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حيوة رسول الله فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ثم قال اقرأنيها رسول الله صلعم فقلت كذبت فان رسول الله صلعم اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله فقلت يا رسول الله صلعم اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ارسله اقرأها يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلعم هكذا انزلت ثم قال النبي صلعم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله هكذا انزلت ان القران انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى ان نفصل ههنا اساميهم واسامي رواتهم لتعين ما نسب في اثناء التفسير اليهم رحمهم الله وبالله التوفيق ذكر القراء السبعة ونتبعه نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات ابو عمرو زبان بن العلاء البصري روى عن مجاهد بن جبير وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلعم وتوفي سنة اربع وخمسين ومائة ورواته ثلثة ابو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمرو حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح المعروف باوقية وطريق ابي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وابي شعيب صالح بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن حماد طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي ثم ابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي الحسين بن الصواف ثم عباس بن فضل الانصاري روى عنه ابو عمرو محمد بن عمر روى طريق ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شبان بن خلف بن مولى الاصمعي واوقية طريق ابي اسحق ابن صهيب عن اوقية ثم ابن كثير هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله وتوفي سنة عشرين ومائة وراوياه بعده ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن القسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجالان لانه روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابي كثير وروى عن البزي ابو ربيعة محمد بن اسحق بن ابي عون الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطرابيقي وطريق ابي القاسم الزيدي وطريق ابي الحسن علي بن محمد بن اليزيدي القرشي وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي ثم عبد الله بن فليح عن رجاله عن ابن كثير ورجاله محمد بن سعيدون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبد الله عن ابن كثير وعن ابن فليح ابو علي الحداد طريق النقاش وطريق الهاشمي وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ ثم ابو الحسن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح بن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير وعن القواس قنبل طريق الزينبي طريق ابي ربيعة طريق ابي نجاح طريق ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق ابي القسم الزيدي نافع بن نعيم المدني قرأ على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي صلعم وتوفي سنة تسع وستين ومائة وراويانه ثم قالون عن ابن صالح عن ابن كثير طريق عبد الله بن سعود وطريق شعيب بن حمزة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء وابو بكر بن الحسين علي بن بشار النحوي وابو جعفر احمد بن فرج النضر ورش اسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن عبد الرحيم الاصفهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي قالون واسمه عيسى بن ميناء النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن العباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقري ابو ابراهيم مصعب بن ابراهيم الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هرون المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجزري وطريق ابي القسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي الاسد احمد بن ابراهيم الفقيه وطريق ابي بكر محمد بن احمد بن مرثد التميمي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق حسن بن العباس الرازي وطريق ابي عون القاضي عبد الله عامر اليحصبي الشامي قرأ على المغيرة بن شهاب المخزومي على عثمان بن عفان على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان وعشرة ومائة وله راويان روى عنه عن رجاله ثم ابو محمد عبد الله بن احمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله المقري وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن بن عبد الله ايضا وابو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن الاخفش عن ابي ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه الفارس بن الحلواني عن هشام عن طريق احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفا طريق ابي الحسن علي بن حماد الازرق وابو اسحق بن ابراهيم بن يونس الرازي عاصم بن بهدلة بن ابي النجود الاسدي قرأ عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله وقرأ ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة وراوياه بعده ابو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان شريك ابي حنيفة روى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق احمد بن علي الخزاز وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب الشكري

السمرقندي وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد كهلال الاعشى وله روايتان روى عنه محمد بن غالب محمد بن حبيب الشموني حماد بن ابي زياد طريق يحيى بن محمد العليمي الانصاري وروى عن الفضل بن محمد النبي روى عنه حيلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمر بن شبة وابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى القطعي وحمزة بن حبيب الزيات العجلي قرأ على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود على النبي وتوفي سنة ست وخمسين ومائة وروايتان بعثر ابو اسحق ابراهيم زاني طريق ابي المستنير جابر بن عيسى بن سماء الجوهري عبد الرحمن قلوفاء طريق ابي المستنير ابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق ابي اسحق حمد ان الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحق ابراهيم بن نصر بن عبد العزيز المقري نصر روى نصير بن عبد الله المقري وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن هشام بن البزاز طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان طريق ابي واصل احمد بن واصل وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء على بن حمزة الكسائي قرأ على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي بن مسعود على النبي توفي سنة تسع وثمانين ومائة وله ستة رواة ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازاذاني روى عنه ابو الفرج محمد بن ابراهيم احمد بن المقري طريق ابي الفضل العباس بن الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق احمد حكى ابو المنذر نصر بن يوسف النحوي روى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بابن بدالي طريق ابي علي الحسين بن علي بن حماد المعروف بالازرق وابو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهاني طريق ابي علي الحسن بن العباس الرازي وابو جعفر احمد بن مهدي بن رستم الطبري طريق بكار بن احمد المقري ابو جعفر على بن ابي نصر النحوي طريق الازرق المذكور وابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي وحمدويه ابن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب التائب ابو محمد بن الطيب بن اسمعيل طريق ابي على الحسن الحسين الصواف ابو عمر حفص بن ابي عمر بن عبد العزيز الدوري روى عنه ابو بكر الحسن على بن ابشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم وابو الزعراء طريق ابي بكر بن مجاهد وابو الحسن على سليم طريق ابي القسم هبة الله بن جعفر وطريق ابو ابرهيم بن احمد الخرقي وابو جعفر احمد بن فرج الضرير طريق ابي بكر النقاش الموصلي ذكر الائمة المختارين ورواتهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني وفار موضع من المدينة وروايته اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن ميناء النحوي ابو مسلم سليمان بن مسلم الجمار الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن مهران ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرأ على ابي المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم ابي بكر وعمرو ورواته ثلثة روح بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب برويس طريق ابي بكر محمد بن هرون وطريق ابي الحسن احمد محمد بن يعقوب بن مقسم ابو احمد زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل ايضا وطريق محمد بن هرون ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزاز طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرأ خلف على سليم على حمزة ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق ابي على الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسيح بن حاتم وقرأ سهل على يعقوب وعلى ايوب بن المتوكل فهذا هو المعول عليه من علم القرآن واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير لا في خلال القرآت والله اعلم بالصواب المقدمة الثانية الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قرأها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قرأها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة استعيذ بالله ونستعيذ بالله مخيرا وقرأ سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ومنشأ هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ الآية وفي حم السجدة فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وروى جبير بن مطعم ان النبي حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات والحمد لله كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله صلعم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبرئيل على محمد صلعم قال قل يا محمد استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فَإِذَا قَرَأْتَ اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة والاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن النخعي وقد يروى عن حمزة وابن سيرين ايضا ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ لانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب فناسب ان يستعيذ من ذلك الثانية الاكثرون على ان الاستعاذة مندوب لان النبي لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة ونوقض بان الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطا ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها لان النبي واظب عليها وقال تعالى فَاتَّبِعُوهُ ولان الامر في فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت فاستعذ ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين انه يكفي بها في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان ج المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من دعاء الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم د انها تستحب في كل ركعة لما مر من ان الحكم يتكرر بتكرر العلة ولكنها اكد في الاولى ه اعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ

السميع العليم

ع

بهو المستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا ابحاث البحث الاول معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق قال الجوهري اطيب اللحم عوذه وهو ما التصق
بالعظم اي التجئ الى رحمة الله والتصق بفضله والباء في بالله للالصاق كما ان من في من الشيطان للابتداء لانه ابتداء بالتبري من الشيطان والتصق
برحمة الله تعالى واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تعالى
قادر على ايصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه فتولى يتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب
ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الآفات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة
هو ان يعلم العبد ان الله تعالى عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعانة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا
عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلق والا جاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مراده والا لم يكن صادق الرغبة في
الاستعاذة والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس
ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجيء بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب فلولا اعانة الله تعالى وارشاده
لم يتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات فانه كل احد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر ولكن من ضل منهم في الدنيا فلا
خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخزائن وايضا البدن
يشتبه بجحيم عليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب بحال تدور في كل منها غموم
بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها اثر في القلب بجرم من امواج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور
الله تعالى وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخيالات وكما انه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها فكذلك
لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل
من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي
وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية
والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد حاكم لما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه
وعلى افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فاذا امرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع
الوساوس والهواجس كما انه جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فان ما تأكل وتشرب لا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع
والارواء من الله تعالى وان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية والمعتزلة لانها تقوم على ما اشرنا اليه ولا
ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة ولهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم فاعطي
السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله تعالى عدوه واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأة عمران اني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقدم نبينا وقال تعالى قل اعوذ برب الناس فوقى شر النفاثات
في العقد وكفى شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به وهو الله وكلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم
الله فيجيء في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين
بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله تعالى
واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله من الله كما قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك اذ افنى عن نفسه وفني ايضا عن فنائه نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك
البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول ما اشتقاقه فمن شطن ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان بعيد
عن السداد والرشاد وقد سمي كل متمرد من انس ودابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمر برذونا فطفق
يتبختر فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ما حملتموني الا على شيطان هذا احد قولي سيبويه على هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وعند
سيبويه في موضع اخر النون زائدة ووزنه فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا
والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تعالى امر الملائكة برمي الشيطان بالشهب الثواقب ثم
وصف نفسه بكل شره متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كانه يقول
يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك ثم للتكلم في الجن
والشياطين فنقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس كالاجرام وان كان
لطيفا لتمزق وتفرق عند هبوب الرياح العاصفة ولزم ايضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون ...

مجرد هو بتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وحصل بينهم
منهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون الى الجن والجواب ان المنع في هذا الوجه لا يخفى لشيوع
الاختلاط لعدة وعدمه بالنسبة الى كثيرين قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن
يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير
ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى الى
ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيء يدل على صدقهم في اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين
فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون
الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وكالهم مرتبة الارواح المعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم
ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على
الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد تكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد
يكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة
للانسان وطوائف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس
وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم
متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الادمي كيف وقد ورد في القران لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه وسلم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القران افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
واما كيفية الوسوسة فيروى ان عيسى عليه السلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني ادم فاراه ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه
فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه على حبة قلبه قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات وقال
ايضا صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد
ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والاية فمن الخواطر ما هو
الاصل للسعادة ومنها ما هو اصل للشقاوة وسبب اشتباه خواطر الخير بخواطر الشر احد اربعة اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها
او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا وجاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا و
اتفق المحققون على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح
فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة واجتراء
ان الانسان بينما هو ذاهل عن الشيء اذ ذكر الشيطان ذلك فيحدث شهوة وميل يترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج
ليس الا ذلك التذكير واليه الاشارة في القران حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكير
وانما يقدم الشيطان على ذلك لعداوة جبلية وقع في فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تعالى ثم المقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان
ذلك معظم المفاسد ولهذا اختص بالذكر في القران ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير في ذلك الاستعاذة الاولى اعوذ بالله
عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الافات فمن عرف نفسه بالقصور
عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب الثانية سر الاستعاذة
الالتجاء الى القادر ليدفع عنك الافات في قراءة القران من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القران عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
فلهذا اختصت الاستعاذة بالقراءة الثالثة عند الفرار من العدو الى الله يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك
الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم الرابعة الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية فمن ثم
يقول بسم الله الخامسة العبد مامور بمجاهدة الاعداء الظاهرة قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وبمجاهدة العدو الباطن ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حارب العدو الظاهر كان مدده الملك يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين واذا حارب العدو الباطن كان مدده
الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر غلبه يوجب الدين واليقين كنا ماجورين وان غلب العدو الباطن
كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا والاخلاص من قسم الاياب يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

السادسة قال الله تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل علي ببستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني وانزلتك فيها
قسمتها الخليقة وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انت الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة
وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من لوث الوسوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم السابعة اقسم في حق ابويك انه لمن الناصحين فدلهما بغرور
واقسم فيك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بعاقبة معاملته معك فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الثامنة انما اختص اسم الله للاستعاذة من بين
سائر الاسماء لان العبد كلما كان اشد احتياجا الى عدد اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم
الذي لا يخفى عليه شيء من المكونات من الشيطان الرجيم التاسعة للشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يتكل على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبت الشيطان لحظة واحدة لخلدك
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العاشرة يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك
بمن يرى الشيطان والشيطان لا يراه وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادية عشر الالف واللام في الشيطان للجنس ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس
مطلقا من مرئيا او غير مرئي ولو جعل للعهد جاز ويدخل ذريته فيه تبعا الثانية عشر الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما
ان الشيطان لا يجعل الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاعرف انه لا يجعلك الله تعالى بعيدا حيث جعلك قريبا الثالثة عشر ان
الشيطان رجيم وان الله رحمن رحيم فابعد من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم الرابعة عشر الشيطان عدو وغائب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصد العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب المقدمة الثالثة في مسائل مهمة المسئلة الاولى القراءات
السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان سواء التواتر بالنسبة الى المتفق على قراءته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف
في قراءته ولا مدخل للقارئ في ذلك الامر حيث ان مباشرته لقراءته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك
لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه
متواتر دون الآخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف
الهمزة ونحوها الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن
لبلغت في الشهرة الى حد المتواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع
الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء
انها سبع لغات من لغات قريش لا يختلف ولا يتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا جاوروا البيت فكان احياء العرب يأتيهم للحج ويسمعون لغاتهم ويختارون من كل
لغة احسنها وصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن
مسعود قال اقرؤا القرآن على سبعة احرف هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل واسد
وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله انه قد وسع ان يقرأ
كل قوم بلغتهم وقيل معناه ان يقول في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه قال اقرؤا
القرآن على سبعة احرف ما لم تختموا رحمة بعذاب او عذابا بمغفرة او جنة بنار او نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لانه لو جاء
في كلمة اكثر من سبع قراءات جاز ان يقرأ بها وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمة ربك وكلمات
وكالتذكير والتأنيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد ليكن ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشرها بالراء
والزاي وكالتخفيف والتفخيم والامالة والمد والقصر والهمزة وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن
دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في
مناظرة الصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي يختلف فيها لغات العرب فوجدتها
على سبعة انحاء لا تزيد ولا تنقص بجميع ما نزل القرآن به الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها
ابن مسعود كالصوف المنفوش الثاني ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه الثالث تقديم وتاخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما
في الحرف نحو اولم ييأس الذين وافلم يايس الرابع زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه فلا تك في مرية الخامس اختلاف حركات البناء نحو تحسبن
بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين
لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب قد انزل الله باختلافها القرآن
متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعمد عليه ترك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه كل

في القرآن

هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعنى فان قيل فما تقولكم في القراءات التي يختلف فيها المعنى قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه
السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ الذي يختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا
تضاد فيه ثم انها تجئ على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحد القراءتين تقتضي فرض
المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذي لا يجوز القراءة
الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس بعد ذم من انكر مثله عما هو المنزل حتى يرجع الصواب ثم يرجع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم
فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن مشددة الطاء من التطهر فان القراءتين ههنا تقتضيان حكمين
مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في مثل هذا
الا بالنقل الظاهر ومن نسب في مثله الى ما يقتضي امرا وقد علم ثبوته ولم يقرا به لم يلزمه فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا لو صحف احد فقرا الربا بالراء
والباء من الربو في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتناقض فغير
موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التناقض وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ ويتبين انه في علم الله حكم المنسوخ
كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله اعلم وقوله لكل آية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فيقولون في ذلك آمنا
ونكل علمه الى الله تعالى وقيل ان الظهر ما يؤمن به باطنا كما يؤمن به ظاهرا وقوله ولكل حد مطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف عندها لك ولا يتعدى عنه من امر
او نهي مصعد ومطلع يوقف منه ويفهم كما هو ومقدار من الثواب والعقاب يعاينه في الآخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء
لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل
اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب
قرآن كثير واني ارى ان تأمر بجمع القرآن قال قلت كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري
للذي رايت فيه الذي راى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت
القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة بنته الى ان
ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الي بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن
زبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه
انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف
وامر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق ويخرق قال زيد بن ثابت فرايت اصحاب محمد يقولون احسن رضي الله عنه عثمان وقال علي لو وليت لفعلت
في المصاحف التي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله ويتولاها
رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن في المصحف ابو بكر مخافة ان يضيع منه شئ غير انه لم يجمع الناس
عليه وكان الناس يقرؤن بقراءات مختلفة على سبيل ما اقرأهم رسول الله واصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف
واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله فانه ما انزلت آية الا وقد امر رسول
الله من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا ولا نزلت سورة الا وقد امر رسول الله الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن
عباس قال كان رسول الله اذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال
جمع القرآن على عهد رسول الله اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غير انهم لم يكونوا
قد جمعوا القرآن فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراءة توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله او كتبها ثم خرج
في سرية ثم نزلت في وقت مغيبه سورة فانه كان اذا رجع ياخذ في حفظ ما نزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما
يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها من غير
كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون
باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله لسبيله وجند المهاجرون والانصار اجنادا وتفرقوا في اقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما مر
خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف المقدمة الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف مفعل
من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر الصديق استشار الناس
بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال الله
تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشئ باسم الفاعل
نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما ان التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل للمنزل

العسيب جريدة من النخل وهي سعفة كشط عنها الخوص

على عيسى والزبور المنزل على داود عم والقران بهمز ولا بهمز فمن همزه وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قربان والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء
الطهر والحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قريت الماء في الحوض فالقران نزل شيئا بعد شيء فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرانا وقيل سمي
قرانا لانه جمع السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرانه اي تاليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرات معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض
ومن لم يهمز القران وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر واما ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن
السور والآيات بعضها الى بعض وقيل ان القران اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القران فرقانا لانه يفرق بين الحق
والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القران فانها تهمز ولا تهمز وهذا اكثر عليه القراءة والسورة اسم الآي جمعت وقرنت
بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت في الطول المقدار الذي اراد الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا تكون
السورة الا معروفة المبتداء معلوم المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهى
الى الارتفاع الذي يراد فالقران ايضا وضع آية الى جنب آية حتى بلغت السورة في عدد الآي المبلغ الذي اراده تعالى وقيل سميت سورة لانها
وضعت بالعلو والرفعة كما ان سور المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب اي
شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الآيات كما ان سور المدينة يحيط بمساكنها وابنيتها وجمع سورة القران سور بفتح الواو
مثل جلدة وجلد وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسارت في الاناء سورا اي فضلت ومنه بقية منه
سور الدواب كانها قطعة من القران على حدة واما الآية فقد قال جمع من العلماء انها في القران عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع
معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الآية على التوقيف وقال غيرهم معناها العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتاخرة
عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لبيانها كلام
المخلوقين من قولهم فلان آية من الآيات واختلف في وزنها فقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين واصلها آية فاستثقلوا التشديد فاتبعو
الفتحة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل ايية قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي اصلها آيية على فاعلة
وكان يلزمه الياءين الادغام على نحو دابة وخاصة فيكون مستثقلا فحذفوا احدى الياءين واما الكلمة فان تراكيبها لم تفيد القوة والشدة وتقاليب
هذه الحروف الثلاثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحدها مهمل والبواقي معتبرة منها الكلم فمنه الكلام لانه يقرع السمع ويؤثر فيه وايضا يؤثر في الذهن
بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها الكمل لان الكامل اقوى من الناقص ومنها الكمء ومعنى الشدة في الكمء واضح ومنها المكل
منه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وايضا تدل على شدة منابعها ومنها
ملك ملكت العجين اذا انعمت عجنه ومنه ملاك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط
بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز
اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وقال الله تعالى كلمته اما لانه حدث بقوله كن
او لانه حدث في زمان قليل كما تحدث الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر في ذلك العلم والكلام ما تضمن
كلمتين بالاسناد ومنكر الكلام النفسي اتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسي يقولون ان الكلام
لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وقد يسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبها قال تعالى فليأتوا بحديث
مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كاللبنة واللبن والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذكر والكلم مؤنث وتصغير الرطب رطيب
وتصغير الكلم كليمات الى كلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفونه
فسره ابن عباس بتكليم الله موسى وقت المناجاة واما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمي حرفا لقلته ونقصه ولذلك قيل حرف الشيء لطرفه لانه آخره
والقليل منه وحرف ايضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك ان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادي
الى ضميمة تخصص فهو حرف والا فان دلت في اصل الوضع بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو
نصر ينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق
لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل ومنه فان معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه
يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان
قولنا احد الازمنة تحديد لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض الانشاء
ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة تحديد لادنى درجات الاقتران ولو سلم باحد الازمنة
فقط فذلك في اصل الوضع ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر مجازا المقدمة السادسة في ذكر السبع الطول والمثاني والمائين والطواسيم والحواميم
والمفصل والتسبيحات وغيرها السبع الطول مضمومة الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى والفضل هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام

والاعراف

والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم
السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سور تتلو السبع الطول اولها سورة يونس واخرها سورة النحل لانها تثنى
الطول اي تتلوها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد اتيناك
سبعا من المثاني وقيل المثاني في هذه الاية ايات الفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المئون فهي سبع اولها سورة بني
اسرائيل واخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة اية وقيل المئون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع
الطول من المئون الى الحواميم ثم بعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز وبالطواسين
التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت
قلت آل حم قال ابن عباس ان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن آل حم وقال الحواميم فكان من قال آل حم نسب السور كلها الى حم وهو من اسماء الله تعالى
بدليل قوله عليه السلام انكم تلقون العدو الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرات على علي بن ابي طالب
القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت عرائس القرآن فلما بلغت راس العشرين من حم عسق والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال يا زر امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسئلك
اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك
والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر واذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان ادعو بهن عند ختم القرآن واما
المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى اخر القرآن لكثرة التفصيل فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن
والاعلى لانه في فواتحهن ما يدل على التسبيح في الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها اية كالف اية وافضل المسبحات
سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يقرؤن هذه السورة في التهجد والجمعة يعرفون بركتها واما المقشقشتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبرئان
من النفاق والشرك يقال قشقشه وتقشقش المريض من علته اذا افاق منها وبرأ واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال
المعوذات المقدمة السابعة في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف هي في الاصل واحد فهو ان يكتب بالالف وانما حذفت من
بسم الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ كثيرا قد كثر استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل امر يبدأ به فامنوا
ان يجهل القارئ معناها وكتب فيما موصولا في كل القرآن الا في البقرة فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها فيما فعلن في انفسهن من معروف
وفي الانعام فيما اوحي الي محرما وفيها ليبلوكم في ما اتيكم وفي الانفال في ما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم وفي
النور في ما افضتم وفي الشعراء في ما ههنا امنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر فيما هم فيه يختلفون وفيها فيما كانوا فيه يختلفون وفي
الواقعة فيما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك فموصول وكتب مما موصولا كل القرآن الا ثلثة مواضع في النساء فمن ما ملكت
ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الحج وان ما تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمان وان ما تدعون من دونه
الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الانعام ان ما توعدون لات وكتب لكيلا مقطوعة كل القرآن الا ثلثة
مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب بئسما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة
بئسما يامركم به ايمانكم وفيها ولبئسما شروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب اينما مقطوعا في جميع القرآن الا اربعة مواضع في البقرة
فاينما تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القرآن الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا اقول
على الله الا الحق وفيها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجأ من الله الا اليه وفي هود وان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج
ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي القلم ان لا يدخلنها
اليوم واختلفت في يوسف الا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا باسقاط النون كل القرآن من غير استثناء مثل الا تفعلوه
والا تغفر لي وكتب لم موصولا في كل القرآن الا في الانعام ان لم يكن ربك وفي البلد ان لم يره احد وكتب في هود فالم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي
القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا كل القرآن الا اربعة مواضع في سورة الانعام ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة
امن اسس بنيانه وفي الصافات ام من خلقنا وفي السجدة ام من ياتي امنا وكتب اما واما موصولا الا في الرعد وان ما نرينك وكتب عما موصولا
الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب الن لن مقطوعا الا ثلثة مواضع في الكهف الن نجعل لكم موعدا وفي المزمل الن تحصوه وفي القيمة الن نجمع عظامه
وكتب كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت امة وفي المؤمنين كل ما جاء وفي الملك كل ما القي
فيها وفي نوح كل ما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القرآن
بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك
وفي الروم الى اثار رحمت الله تعالى وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها رحمت ربك فانها بالتاء وكتبت النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة

الحواميم قال زر بن حبيش ...

وفي الروم من ما ملكت ايمانكم

على الله

واذكروا

الاختلاف في القراءة

واذكروا نعمت الله عليكم وفي آل عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابرهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها
وان تعدوا نعمت الله وفي النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمن في البحر بنعمت الله وفي
الملائكة اذكروا نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء الا سبعة مواضع في آل عمران اذ قالت امرأت عمران وفي يوسف
امرأت العزيز تراود فتها وفيها امرأت العزيز الان وفي القصص وقالت امرأت فرعون وفي التحريم امرأت نوح وامرأت لوط وامرأت فرعون
وكتب سنة بالهاء كل القرآن الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنت الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين ولن تجد لسنت الله تحويلا
وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصية بالهاء حيث كانت الا موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء
كل القرآن الا في آل عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان
ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم السجدة
من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب
غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القرآن من ذكر الاية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه ايت فانها بالتاء وكتب
فطرت وعمريت وابنتيم اللات والعزى ولات حين مناص وذات بهجة وهيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملاء بالالف الا
اربعة مواضع في المؤمنون فقال الملؤا الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملؤا انى وفي يا ايها الملؤا افتوني يا ايها الملؤا ايكم ياتيني فانها كتب بالواو
وكتب في البقرة ويبصط بالصاد وما سواه بالسين كتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب في آل عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته
بالالف وكتب في اول يوسف والزخرف قرانا عربيا بغير الف وسائر القرآن قرانا بال[الف] وكتب في الاعراف ويونس بكل سحر عليم بغير الف وفي الشعراء
سحار عليم بعد الحاء بالالف وكتب في الذاريات ساحر ومجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف في قوله
انا لننصر رسلنا في المؤمن وكتب في يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفي آخر يوسف فنجي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء وكذلك
نجي المؤمنين بالياء ونون واحدة وكتب جميع ما في القرآن من ذكر الايد بياء واحدة الا في الذاريات والسماء بنيناها بايد فانها كتبت بياءين في
الاصل كتبتهم بياء واحدة وكتب لن بغير الف كل القرآن الا في الجن فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب في حم السجدة سموات بالالف وما سوى
كتبت سموات بغير الف وكتب في اول سبا علم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفي الاعراف خطيكم بحرفين بياءين
وكتب بغير ياء كل القرآن الا في النجم لقد راى من ايت ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما راى وكتب في يونس وما تغني الايت بالياء على الاصل وفي
القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب في البقرة يؤتي الحكمة بالياء وفي النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا
ما يشاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كان الا قوله اجيبوا داعي الله وكتب ثمودا بالالف في حال النصب في اربعة مواضع في هود والفرقان
والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما انت بهادي العمي بالياء وفي الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب في الحج ولؤلؤا
بالالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفي طه يا ابنؤم بالواو موصولا وكتب في الحجر وق اصحب الايكة بالالف
وفي الشعراء وص ليكة بغير الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المؤمن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفي الجمعة ذو الفضل
العظيم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا وبعدها الف كل القرآن الا قوله وما اتيتم من
ربا فانه بغير واو وكتب اولي الالباب لدى الحناجر بالياء وكتب لا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف في مصاحف الشام ولا امة مومنة بزيادة
الف ايضا وكتب ايه المومنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها يا ايها بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا
بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب وهو يهدي السبيل وما اسلته وكتب في الانسان قواريرا بالالف قواريرا من فضة بغير
الف وكتب في الانعام ائنكم لتشهدون وفي الاعراف ائنكم لتاتون الرجال وفي العنكبوت ائنكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة ائنكم لتكفرون بالياء
وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف ان لنا لاجرا بالياء وكتب في النمل ائنا لمخرجون بالياء وكذلك في الصافات ائنا لتاركوا وما سواها
فهو انا بغير ياء وكتب في الواقعة ائذا بالياء وفي سائر القرآن اذا بغير ياء وكتب في هود في اموالنا ما نشاء بالالف بعد الواو ومثله في الانعام
ياتيهم انبؤا وفيها لهم فيكم شركؤا وفي حم عسق ام لهم شركؤا وفي الروم من شركائهم شفعؤا وفي ابرهيم فقال الضعفؤا وفي الشعراء فسياتيهم انبؤا
وفيها ايضا ان يعلمه علمؤا وفي فاطر من عباده العلمؤا وفي الصافات لهو البلؤا وفي حم الاولى وما دعؤا الكافرين وفي الدخان ما فيه بلؤا وفي
الممتحنة انا برءؤا وكتب جزاؤا بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤا هلك يتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم ولتوكؤا عليها وتفتؤا تذكر
ويدرؤا عنها ونبؤا الذين ونبؤا الخصم ينشؤا في الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بالواو والالف ليشعروا انها الهمزة المضمومة وعلى
لغة من لا يهمز فلو كتب كلها بالواو وحدها وبالالف وحدها لجاز وكتب في الانعام من نباي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس من
تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي القربى وفي طه ومن اناي الليل وفي عسق او من وراي حجاب وكتب كل ما في القرآن من بنات الواو بالالف مثل
دعا وعفا وتلا الا دحيها وتليها وطحيها وسجى وما ذكى وذوات الياء يكتب بالياء مثل هدى وقضى الا لحوا هي ومضى مثل الاولين وجنا الجنتين

ولن تجد لسنت الله تبديلا ع

بغير ياء وفي الشعراء ائن لنا لاجرا بالياء

دان

دان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس وفي كل يائين اجتمعتا في كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا في قوله
تعالى يحيي وامانة واحيي في بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة والغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على
صلاتهم يحافظون وصلاتي ونسكي وفي الانفال وما كان صلاتهم وفي وللمؤمنين في صلاتهم خاشعون وفي الواقع على صلاتهم ومنها على
صلاتهم يحافظون وفي ارايت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف الوقف
عليها بالالف وكتب في البقرة واخشوني ولاتم بالياء وفي المائدة واخشون اليوم واخشون لا بغير ياء وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله
بالياء وفي ال عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب في سبحان الذي لئن اخرتن بغير ياء وفي المنافقون لولا اخرتني بالياء وكتب في يوسف ما نبغي
بالياء وفي الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفي هود يوم يأت لا تكلم بغير ياء وفي النحل يوم تأتي كل نفس بالياء وفي الدخان يوم تأتي السماء بالياء وفي الا
وقد هدان بغير ياء وفي انني هداني بالياء وفي الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفي هود فكيدوني جميعا بالياء وفي هود فلا تسئلن بغير ياء وفي الكهف
فلا تسألني بالياء وفي الكهف ان يهدين ربي بغير ياء وفي القصص ان يهديني سواء السبيل بالياء وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري بالياء وفي الزخرف
واتبعون هذا بغير ياء وكذلك في المؤمن وفي الاعراف فهو المهتدي بالياء وفي سبحان الذي سورة الكهف فهو المهتد بغير ياء وفي ابرهيم
قل لعبادي الذين امنوا بالياء وفي الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء
بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبء وملء الارض ودفء باسقاط الهمزة ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب
في الفرقان وعتوا عتوا كبيرا بغير الف وفي سبا والذين سعوا بغير الف وفي الحشر والذين تبوؤ الدار بواو بغير الف وفي المعصرات كنت ترابا بغير
الف وفي القلم بايكم المفتون بيائين وفي ال عمران افائن مات بالياء وفي الانبياء افائن مت بغير ياء وكتب انلزمكموها ونحوه بالالف كتب فادارءتم
ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء الف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه
باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه وفبهديهم اقتده ان الهاء فيها لبيان الحركة ام لا ثم كتب في سورة النساء فمال هؤلاء القوم وفي الكهف
مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي الواقع فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثيرة ونذكرها
منها ما هو انفع للقاري واكثر فائدة واما الحركات فكلها وفقنا اعتناها الا ما شاء الله في كتابة متن القران من هذا الباب لكتاب كل ما بلغنا عمن تقدمنا
من السلف الصالحين والعلماء المتقنين ورد وانهم وجدوها في الامام كذلك فسرناها في مواضعها ان شاء الله وانما كتبت هذه الحروف
بعضها على خلاف بعض في الاصل واحد لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه اخر جمعا بين المذهبين
على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على اصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القران يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع
المصحف في هجائه واجب من طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لان الهجاء سبيل والفائدة للقاري في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقرء
هو القران الذي انزله الله على نبيه محمد بلا خلل فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتابة ان يتبعوا هذا
الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلعم وكاتب وحيه علم من هذا العلم بدعوة النبي صلعم ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك
الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها رائنا الا ترى انه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو وبالالف من غير واو لما دل ذلك الا على
وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك في سيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب في سيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القرائتين والله تعالى اعلم المقدمة
الثامنة في اقسام الوقف الوقف هو قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند اكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص
ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين اذ لو وصل بقوله يخادعون الله صار بجملة صفة
للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله جل ذكره نفي الايمان واثبات الخداع وفي
نظائر ذلك كثرة يوصلك التدبر بها الى العثور عليها والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدأ نحو الله يجتبي اليه من يشاء وكالفعل المستانف
مع السين نحو سيقول السفهاء سيجعل الله بعد عسر يسرا ونحو يعبدونني لا يشركون بي شيئا الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يجاز فيه طرفا الوصل — وبغير السين تم
والوقف مثل وما انزل من قبلك لان واو الوصل يقتضي العطف وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه
مثله الوجه اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لان الفاء في قوله فلا يخفف للتعقيب تتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم
الفعل على الاستيناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغني ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام
ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور
قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف عليه ففي مواجبه مواقعه كثيرة وسيتلى عليك مواقع
الفصل والوصل في جميع القران مع علامات ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلث التام والكافي والحسن لا مشاحة في الاصطلاحات
بعد غاية المعنى فهكذا علامة اللازم م والمطلق ط والجائز ج والمجوز ز وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الاية دائرة صغيرة هكذا ٥ وانما اوردنا — والمرخص ص
ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها في الغوض الى حيث تقصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك بحسب الصناعة وكل منها تابع رقا

الالفاظ

المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل وبالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق المقدمة التاسعة في تقسيمات يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ
اما ان يعتبر دلالته على تمام مسماه او على جزء مسماه او على لازمه الذهني الاولى الدلالة المطابقة كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة
تضمن كدلالة البيت على السقف او الحائط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان بمشاركة
من الوضع والعقل تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء
له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما للشخص
الانساني وما له جزء دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم آخر اللفظ المفرد باعتبار وحدة مدلوله وتعددهما اربعة
اقسام الاول اللفظ واحد المدلول واحد الثاني مقابل ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد اللفظ
كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن سبب من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجودا ومعدوم والموجود
اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود
في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى واول واشد كالوجود للخالق
والمخلوق فان وقوعه على الخالق اول واولى واشد او كالابيض فانه على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك بالنسبة الى
السامع في انه متواطئ نظرا الى اشتراك الكل في اصل المعنى او مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة
الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الحاضر السامع
اليه من ضم قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج الى احد القرائن الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيين
والعلم اما اسم كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام او ان يكون لقبا اشهر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية ويختص بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن
نحو ابي لهب وام القرى وابنة عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما لجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة
الخارجية واذا اطلق على فرد من افراد الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل المطابقة كلي طبعي لجزئياته فهذه تمام الاقسام القسم الاول
وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة في المتعدد من مدلولاته بان كان
موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع الاول الى معنى آخر لعلاقة واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان
العرف الخاص شرعي او لا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان لم ينتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان
كان العكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد لا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع كلها نصوص في
معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ
غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد المعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر وماول لان اللفظ بالنسبة
الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل بازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول فالاول كقوله تعالى
ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو اقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب كذا يحتمل الندب والاركان تحتمل
الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل
القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمؤول ويشملهما
المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والماول مرجوح والتاويل
من المآل اي المرجع وفي الاصطلاح كما يقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح فقد
في الرسم بدليل يصيره راجحا اي بحسب ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت
الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى
الاشتقاق ان تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد احدهما الى الآخر وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان ثم
المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعلم والكاتب وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا تنبيه العلاقة المعتبرة في المجاز مما يقع بحكم الاستقراء
على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق
اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر
للعصير وكائنا عليه كالعبد على من عتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب الجاري في الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل
مثل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله لا يفضض الله فاك اي اسنانك
اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالندا وة
استعاروه البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثم لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم اي انا ملهم

الكلام الشرعي

مجمل الشدة والصلوة

ومنها

ومنها العكس نحو كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان
اي قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت في نصف الخلق على غضبان يريد المحكوم عليهم ظاناً انهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام
كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء له تعالى ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كذلك
ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسئل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا ومنها اطلاق
اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اي الدية
فياكلن كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما احضرت اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين
على الآخر مثل ومثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعا له ومنها اطلاق
المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها وسيجيء ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا
او كراهة ان تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد فكانك
قلت زيد كالاسد في الجرءة فسمي زيد مشبها والمشبه به وجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خده كالورد وعقليين كالعلم
اذا شبه بالحيوة واحدهما محسوسا والآخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم وكالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام
ياقوت منشرة ملزوزة في قرن الحيا والوهميات في قولك نطقت الحال بالشيء فهو شبيه باللسان فانه صورة وهمية محضة وكذا الوجدانيات
كاللذة والالم والشبع الجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او لا وحينئذ اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا
بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط النار اذا شبه بعين الديك في
الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروي والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة كقول الشاعر كان مثار النقع
فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب ثم المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من
النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب منه ويسمى هذا
تشبيه المركب بالمركب ومتى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا الآية وسيجيء تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا استعمل على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلا كقولك لمن يتردد في امر يقدم
رجلا ويؤخر اخرى وذلك ان الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك
باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه اعني
الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه
فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعار له وهو زيد مثلا في قولك زيد اسد برز في معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا
شان العارية وانما اجراء هم على الدعوى مادام بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد ان لم تعقب بصفات ولا
كلام لا يكون تجريدة ولا مرشحة لفقده ونسوي التجريد بالشيء ما يلائمها التجريد والترشيح سميت مرشحة نحو شاورت اسدا في البراثن محصورا وقد
يجيء من الاصطلاحات قولهم هذا عام وخاص ومطلق ومقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل
ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب كان المعنى الكلي كالانسان يشمل جزئيات
التي تحته وقولنا على مسميات يخرج المثنى دلالته لا بخلافه ولعل المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء لخرجا بناء على انهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار امر
اشتركت تلك المسميات فيه يخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد النكرات فانها وان دلت على مسميات هي احادها الكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيه بل
باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية وعقلية وقولنا مطلقا يخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد ضربة احتراز
من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا قلت فيه لحد
العام والخاص بخلافه فهو ما دل لا على مسميات الى آخره ومن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذي والتي والجموع المعرفة
تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدكم واسم الجنس المضاف ومعرف تعريف الجنس مثل غلامي والعلام والنكرة في سياق النفي نحو ما في
نحو ما في الدار احد والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما
كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين وكضمائر الجمع ولا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده
بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما الا النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء والمخصص احد اربعة اشياء الاول
الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه قضاؤه الرجم لا وجود الزنى
الثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو ثم اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يخص بالمنفصل وذلك ما لعقل
كقوله تعالى الله خالق كل شيء واما الحس نحو واوتيت من كل شيء واما الدليل السمعي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء حفص

الاية الاخرى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ويوصيكم الله في اولادكم خصصه قوله لا القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على
الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المامور من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد يتصور الاطلاق
في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رايت رجلا ضرورة تعينه باسناد الروية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع في جنسه
فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على الشايع لا في جنسه بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا
ويطلق المقيد على ما اخرج من شياع بوجه بان يذكر الدال على الماهية بوصف زائد عليها كرقبة مومنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها
من حيث هي رقبة مومنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل
استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة وينقسم المركب المفيد على الكلام قسمان احدهما
الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت وكذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذلك التركيب يقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال
العقل تواطوهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر واحد الثاني ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب الاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية
والشرطية والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي مطلوبا بامكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي مطلوبا بذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان
كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء فهي امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء
والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك تقسيم اخر الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما
التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك وهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع
الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب الصلوة
او سببا كالزنى لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان والحكم بهما فامر عقلي لا حكم شرعي لان صحة العبادات ما كون
الفعل مسقطا للقضاء كما الفقهاء او ما وافقه امر شرعي كالمتكلمين ولا يشك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل
التفسيرين سواء حكم الشارع بها او لا والصحة في المعاملات اي حكم عقلي لانها كون الشيء بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب
والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم وقس البطلان والفساد على ما قلنا والحكم ثابت على خلاف
الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك
المقصود من ايرادها لان معاني كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه منها مجمل ومبين ويندرج فيها المنسوخ والناسخ باعتبار ان النسخ بيان انتهاء امد
الحكم الشرعي ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر ومأول ومنها حقيقة ومجاز ومنها التشبيه والتمثيل منها كناية وتصريح ومنها الكلي
والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامها ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات مما تذكرها في علم التفسير مهم والله اعلم
المقدمة العاشرة في ان كلام الله تعالى قديم ولا ذكر قوم من ائمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما
كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا من هذه الحروف واما
انها قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم ايضا كل حادث متغير والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام
المولف من الحروف والاصوات ممتنع ان يكون قديما بالبديهة وكيف لا وانها اصوات تحدث عند ذهابها شيئا بعد شيء فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزمنا القول
بان الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا للشيء وجود في الاعيان
ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فللقران وجود عيني هو القائم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شيء من سمات النقص
ووجود ذهني كما لحفاظ القران ووجود في العبارة وهو على لسان القاري ووجود كتابي وهو المثبت في المصاحف ولا ريب ان القران من حيثيات
هذه الوجوه حادثة بل القران انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب مجازا من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على
ان كل صوت فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف فانما يفتقر على لسان وجارحة بل العلم بذلك في الشاهد فقط فالكلام للقديم كمال قديم نطق وسمع وبصر
اله ولا جارحة كما انه دراك وعلم من غير ما توى وعضو من لم يدرك ادراكه كما ينبغي فلا يلومن الا نفسه كلامه كتابه كتابه صوابه قوله فصل
وحكمه عدله نوره ظهوره وجوده شهوده عيانه بيانه والكفر بما سواه ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام المقدمة الحادية
عشرة في كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا
مباحث لفظية ومباحث معنوية واما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها
ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعاني ومنها ما يتعلق
بالبيان ومنها ما يتعلق بالاسناد الحكمي ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراءة فكامر
واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد منها
مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق الكبير قلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هي مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب

المقالة الثانية

الى شرطه او شرطه ومن تركيب مع واذا كانت مستعملة فاصل المعنى فى كل من المشتقات الكيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبر الاشتقاق الصغير فهل اللغوى معنى آخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك بينهما اى شئ هو فيحصل مسائل واما الصرف فكان نقول اعوذ فعل مضارع متكلم واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله لاه كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وادغمت فى الثانية وقالوا يا الله فى النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من المحذوفة فكانك قلت يا اله لا اله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشد الخليفة من ابى رباح يسمعها لاهه الكبار ولو عد هذه المسئلة من اللغة جاز لانها غير قياسية والشيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول كلاهما للمبالغة فهذه مسائل واما النحو فاعوذ فعل فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل واما البديع فان نقول انما اختير الرجيم دون اللعين والمرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى وهو الرحيم اذا ابتدأ القارى بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القرآن ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى ولم يكن تجنيسا خطيا وترصيعا واما المعانى فان نقول انما اختير المضارع على الماضى ليدل على الاستمرار والدوام اى شانى انى اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل انا اعوذ وانا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد انى على تجدده وهذا القول منى لحظة فلحظة ثابت مستمر لا ان عوذى مستمر وانما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما في قوله بسم الله ابتدأ لان الاستعاذة ههنا اهم امتثالا للامر ولانه لا يعود الا بالانقطاع عن الغير والتبرى عن سوى الله جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص لانه موافق لما ورد فى القرآن فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره فى ذهن السامع بعينه ليكون ادل على الانقطاع عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسى ليدل على هذه الحقيقة التى هى مادة كل شر ويشمل كل فرد منها ضرورة وجود الحقيقة فى اى فرد يفرض ولو اريد العهد ايضا جاز كما مر ولو نكر بان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لا طلت والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد ذم ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل خير واما البيان فان قوله اعوذ معناه التصون لا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام والمراد التصون برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوى وفى نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعيد على ما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا ويثبت كون اللفظ موضوعا للشيطان الجن فقط كان استعارة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة التصور واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة فى التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم وان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة واما الثانى فان قولنا اعوذ لفظه خبر ومعناه اما دعاء اى اللهم اعذنى واما انشاء نحو بعت واشتريت واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر فى معنى الطلب من مسائل علم المعانى ايضا واما ما يتعلق باصول الدين فان يسلم ذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التى بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه كيفية وسوسته بنحو ما سبق فى المقدمة الثانية واما ما يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة فى الكتاب والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا وانها يقتضى الفور او يحتمل التراخى واما ما يتعلق بالفقه فانها يستحب فى الصلوة ام لا وان استحب فيجوز فى المكتوبة ام لا وان جازت ففى كل ركعة ام فى الاولى وحدها ويسرها ام يجهر واما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التى يليها المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب ان يستنبط المسائل من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى فى شئ من ذلك الى ما ليس من العلم كان نقول فى كل قراءة الاستعاذة والقراءات المشهورة سبع كذا وكذا وروى كل قراءة من فهم مثلا كل قراءة وفى اللغة ان واضعها من هو وكيف نشاءت اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفى الصرف انه معرفة احوال الكلم التى ليست باعراب من جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما حد الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفى النحو ان التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف وغير منصرف ومبنى وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هى وكل منها يختص باى شئ من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف ما يختص واصناف الفعل كم هى واصناف الحروف كم هى ولا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة من كل علم يوجد نكت بخصوصية هذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد القوانين لزم ايراد كل العلوم واكثرها فى تفسير كلام واحد لانه محال شنيع اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة فى الملة الاسلامية وغيرها او فسر بما هو مباين عنه كانواع الآفات واصناف المخافات حتى لزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف ولا عما ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سوء السبيل نعم لو اورد طرف من الاصطلاحات والمسائل على سبيل التصديق من غير اشارة الى ماخذها الاصلية ودلائلها الكلية الا نادرا لما زما او مجازا وبحد الضرورة ومقدار الواجب كالشرائط لها فى

المقدمات وقد تبين مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد نوينا الاتيان بها ايرادها في مواضعها اذا افضت النوبة اليها فلنشرع الان في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

سورة الفاتحة وهي سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن الرحيم ۝ مالك يوم الدين ۝ إياك نعبد وإياك نستعين ۝ اهدنا الصراط المستقيم ۝ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ۝

القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل فالهم او مخرج واحد مثل ولتات طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى بالادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو احلكم ومس سقر او منقوصا مثل ما كنت ترابا ونعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتأكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كاد تزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها او يكون الاظهار اخف من الادغام نحو فانت تهدي فانت تسمع وعن يعقوب ادغام الجنسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاي عيسى هنا وفي جميع القرآن حمزة ويعقوب بالسين في كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن والباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاءات كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب ضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير ونافع غير ورش مخير ورش تضم الميم عند الالف القطع فقط نحو انذرتهم ام الوقوف العالمين لا لاتصال الصفة بالموصوف الرحيم لا لذلك الدين ط نعبد لا للعدول عن الغائب الى الخطاب نستعين ط لابتداء الدعاء المستقيم لا لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم لا لاتصال البدل او الصفة الضالين ۝ التفسير روي عن جندب عن رسول الله ﷺ من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امر اخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي ﷺ لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الاية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وما يدري بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم ام انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم ان من مقتضى الديانة ان لا يأول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل له الاعيان التي فسرها النبي ﷺ والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكنه يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق اخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وهو الاخرة الا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب ما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك سائر تقاليبه من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والفسر لانه يكشف عن وجوه الحوائج ومنه السرف لانه انكشاف عن الحق والرفس لانه يكشف عن عضو وانكشاف حال المقيد في سفانه واضح ومن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف والنحو والمعاني والبيان الى غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في اخر المقدمة العاشرة ومنه اسباب النزول ذكر القصص والاخبار وغير ذلك فنحن على ان نورد نعد القرآن مع الترجمة القراءة ثم الوقوف ثم اسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل ان كان ولم نذكره في التفسير نذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان فنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما فيه رائحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا نحو ابدأ باسم الله وابتدائي بسم الله وبسم الله ابتدائي او بسم الله ابتدئ والابتداء وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له فيكون المراد ان انشاء ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرأ واتلو وابدأ لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدأ به كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله

مرجوع كننده

والبركات كان المعنى بسم الله احل وارتحل وكذلك الذابح ونظيره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء للعرس بالرفاء والبنين اى بالرفاء اعرست
وتقدير المحذوف متاخرا اولى على قوله تعالى بسم الله مجريها ومرسيها الا ان تقديم ذكر الله ادخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود يستحق
السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رايت شيئا الا ورايت الله تعالى قبله ولانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل في اقرأ هناك اوقع لانها اول سورة نزلت وكان
الامر بالقراءة اهم قال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثاني وذكر في معنى تعلق اسم الله
القراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كان فعله لا يجيء معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكره قال عم كل امر ذي بال لم يبدأ
فيه ببسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات في قوله تعالى تنبت بالدهن اى متبركا باسم الله اقرأ كما في قوله بالرفاء والبنين اى اعرست متلبسا
بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل في العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه
احسن فلان جعل اسم الله كالالة خروج عن الادب لان الالة من حيث هي الة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اهم شيء واقدم
وانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى اخره ثم استحسنوا تفخيم الكلام
تغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة
تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه ادخل في الثواب وهذا كما جاء في التورية احبب ربك بكل قلبك واما الثاني فلان النقل من
الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وبما يعده اللام الغليظة حرفا اخر كما عد الدال حرفا والطاء حرفا اخر مع ان نسبة
الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يعق عائق الكسرة وعدم اطراد
الطاء مكان كل دال التالثة طولوا الباء من بسم الله ما الله لانه على همزة الوصل المحذوفة واما لانهم ارادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم
وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة
فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شانه الرابعة بقاء لام التعريف في
الخط على اصله في لفظ الله كما في سائر اسماء المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة في الكتابة ولانه
يشبه اللات في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في قولنا الله الاله وهي ستة احرف بقي بعد التصرف اربعة في اللفظ الف كالامان وهاء فانه
من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذه حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا في مقامات العبودية
حتى اذا وصل الى اخر مراتب وسع الطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الفنا في بحر التوحيد كما قيل
النهاية رجوع الى البداية واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز في الخط ولو كتب كان احسن الخامسة الاسم من الاسماء العشرة التي
بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين في الاصل سمو بدليل تكسيره على اسماء وتصغيره على سمي وتصريفه على سميت ونحوه واشتقاقه
من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في العلو مبنى
فهو عال عليه حذف عجزه كما في يد ودم فبقي حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن فلما حركت الساكن للاعراب سكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة
الوصل اذ كان دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم كما قال
باسم الذي في كل سورة سمه وقد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم كالعلامة
المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما السادسة قال بعض المتكلمين منهم الاشعري ان الاسم عين المسمى وغير التسمية
وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقايق التي لم توضع لها اسماء ولان
الاسماء قد يكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين وبالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم
اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان متغايران لا محالة ولا يشكل التسمية بالعلم بنفسه
لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات وحروف وهي اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته ويلزم من التلفظ بالعسل
وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك
والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقايص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي وايضا قد يراد لفظ الاسم مجازا كقوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد بالذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا
وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه
قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فانتفى السابعة وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحروف
رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من
الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفردا والفعل مركبا والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى

الحميد سنو
يعني بسم الله اي باستعانة باسمه او متبركا به وقيل وايضا ان الارادة الاختصاص مرادة
...

والرقيقة حرف اخر

الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وايضا الاسم مستقل في الافادة عن الفعل دون العكس فلا جرم ان الاسماء الماهيات سابقة بالرتبة على اسماء
المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة وايضا يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات القائمة بانفسها لانا لا نعرف
الذوات الا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فتناسب السبق في الذكر الثامنة اقسام الاسماء الواقعة على المسميات
تسعة اولها الاسم الواقع عليه بحسب صفات على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع
عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشيء انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك
خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية لها اضافة كالعالم والقادر عند القائل بان العلم
صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات كذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شيء
وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية اضافية وصفة سلبية
فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى او للمخلوقات التاسعة هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان
حقيقته تعالى لما كانت غير معلومة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة في ذلك اقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة
والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا وانه تعالى بكل شيء محيط فلا يدركه شيء مما دونه كما ينبغي لكن وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما
ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشيء الذي يصدر منه هذه الآثار واللوازم مسمى بهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك
ذاته على ما هو عليه فله ان يضع لذاته اسما مخصوصا لا يدركه غيره حقيقة اذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة كما ينبغي ان يكون ذلك
الاسم اعظم الاسماء وذلك لان الذكر شرف لانه لا شرف العلم والذكر يشرف المعلوم والمذكور فلا يتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك
الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لو سعدان ينقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه
على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام لهذا قال صلعم الظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية
ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من قال انه الحي القيوم لقوله صلعم لابي بن كعب حين قال له ما اعظم اية في كتاب الله فقال
الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال صلعم ليهنك العلم يا ابا المنذر وزيف بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة واما القيوم
فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي هو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها
عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا
سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيده ما روت اسماء بنت يزيد ان
رسول الله صلعم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وعن بريدة ان رسول الله صلعم سمع رجلا يقول اللهم اني اسئلك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سئل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في الآية والحديث
اصل والصفات مرتبة عليه وهذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبرء عن شائبة التركيب بوجه من
الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود
واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود فهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشيء ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند
الاكثرين لقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء غيره
ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالقا لنفسه
ومثله وهو على كل شيء قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خير من لا شيء وان كان سائر الاشياء مشتركة
معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشيء بالحقيقة هو وباقي الاشياء مشبهة به
مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله
ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه عليه لصدقه على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ان ابراهيم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات الله اي في طلب مرضاته ومنها النفس قال تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك وقال صلعم كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص لا شخص اغير من الله تعالى ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص
الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال من قائل الله نور السموات والارض وليس المراد الا انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره واذ لا ظهور
واظهار فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف يأتيك تمام
التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور وهو اعلم بحقائق الامور ~~ومنها ما ظهر منها وما بطن~~ ومنها الصورة وقد ورد في الصحيح ان الله خلق آدم على

ولكن بتاء الوجود صح

المراد ما ليست له الكيفية المتغيرة والنابع والظهور وظهور صح

صودم

كونه خالق

صورته فقيل معناه خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة
وقيل في حديث آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه
على صفته في ارضه متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة
التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس كما ذكرنا في رسالتنا ومنها الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى
موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به لاستغنائه عن المحل لان ذلك يبنى على كون وجوده زائدا على ماهيته
وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شيء في شيء اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك فيجب الامتناع عنه
ومنها الجسم ولا يطلق عليه الا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه
موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية اي الحقيقة التي يسئل عنها بما هي وثبوته
الدال عليه لفظ انا ولا باس باطلاقهما عليه اذ يراد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق فانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم
اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل واما بحسب
ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر احق صدقا واما بحسب يقال هذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبه اصوب الاعتقادات
المطابقة القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يرادف الازلي ويراد بهما ما لا اول
له في الطرف الماضي كالابدي في الطرف المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد اي التوالي والتعاقب بزيادة الميم للمبالغة ونعني بالنسبة في هذه الالفاظ
انه منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها المدة المستمر ونعني بهما ما لا يلحق الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا يخفى
ان مثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال
تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته اي ذاته اقتضى وجوده
وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو يمتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل خداي معناه خود اي انه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان
الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي صلعم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظ كان
يفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شيء بشيء والاول يسمى
باسناد الى الشيء وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفيته بالعلم
وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود وكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل
هذه الصفات بذات الله تعالى اشد انكار لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود
لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب الذاتي وبين كونه صفة للغير محال والصفة مفتقرة الى الموصوف وان كانت ممكنة الوجود فلها علة
موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته بدون تلك الصفة
كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم يكن كافيا لزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم
انا نعقل التفرقة بين قولنا ذات الله تعالى وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات
الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونه متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صفة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية
العارية عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها
يصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب
واجب الوجود تعالى احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة عنه على النحو
الافضل ولهذا مدح الله تعالى به نفسه فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية
فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعري نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل
الصحة وهي القدرة لا غيرها او على سبيل الوجوب يلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الآثار وان كانت
حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية
موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه تعالى
معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال انها المسبح بكل لسان وبانها الممدوح عند كل انسان وبانها المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا
النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا
مثل الموجد ومعناه المؤثر في الوجود والمحدث وهو اخص لانه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينشئ على
التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منها الايجاد دفعة وكذا الفاطر مثل الصانع ويفهم منه تكلف ما والخالق فهو التقدير وانه في حق الله تعالى يرجع

الى العلم واما البارى فهو الذى يحدثه على الوجه الموافق المصلحة يقال برا العلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض معين منها الفاظ تدل على ايجاد شئ
بعينه وانها تكاد تكون غيرهيئنا هيئة ومنها الفاظ تدل على ايجاد لنوع الفلانى لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمى نافعا واذا خلق الالم
سمى ضارا واذا خلق الحيوة سمى محييا واذا خلق الموت سمى مميتا واذا خصهم بالاكرام سمى برا لطيفا واذا خصهم بالقهر سمى قهارا جبارا واذا اقل العطا
سمى قابضا واذا اكثر سمى باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمى منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمى عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا جعل المنع والاعطاء فى
المال سمى قابضا باسطا واذا حصلا فى الجاه والحشمة سمى خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها ما تعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا
جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شئ غيره تعالى فى ذاته وفى صفاته وانه لم يلد فلم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما يعود
الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفى النوم لا تاخذه سنة ولا نوم
وكنفى النسيان وما كان ربك نسيا وكنفى الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم ببعض
لا يشغله شان عن شان واما راجع الى اضداد القدرة لكونه منزها فى افعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب انه لا يحتاج فى فعله الى الالة
وتقديم المادة والمدة انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت فى قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وانه لا ينتهى بل ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفى الانداد و
الاضداد ليس كمثله شئ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها
ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذى من غير سبب لا ينتفع بتعذيبهم ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين لا يتضرر بمعاصى المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فليس لاحد ان يعترض
عليه فى افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الله الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم من نقائص
الامكان ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له نظير ولا يغلبه شئ والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذى لا يعاقب
المسئ مع القدرة عليه واما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك ومالك الملك ومالك الملك و
المليك والقوى وذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشئ من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شئ
عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم ادم الاسماء ولم يرد
علامة وان كان يفيد المبالغة لانه يوهم التاويل بتاء الجماعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذ فسر بكونه مشاهدا لها اما اذا اخذ من الشهادة
كان من صفة الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انه ادراك حقايق الاشياء كما هى وتباينه بانه ايضا صدور الاشياء عنه كما ينبغى واللطيف
قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والحقيق انه الذى ينفذ تصرفه فى جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا واذ قال ربك ما يبدل القول لدى ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يامركم وعد الله حقا
فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه اثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار
هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضى الله عنهم اى ما يريد الا فعالهم يحبهم ويحبونه والله
يحب المطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة
صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر انى معكما اسمع وارى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثانى انه لا يسبق عليه غيره وكالاخر فانه الذى يبقى
بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذى يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اى انه ظاهر بحسب الدلائل خفى بالنظر
بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ فى الاسلام على
غير الله واما الله فسيانى انه اسم علم وقد بقى منها اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه لكونه متحيزا او حالا فى المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون
موجود خال عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى
المكان ومنها العظيم والكبير وهما متقاربان لقوله تعالى فى موضع وهو العلى العظيم وفى اخر وهو العلى الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء
ردائى والعظمة ازارى والرداء ارفع من الازار وايضا خص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولا ريب ان اطلاق العظيم والكبير على الله تعالى
بحسب الحجمية والمقدار كما للاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ومنها العلى والمتعالى فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما
ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعى ونكل معانيها الى مراد
الله تعالى واما ان دنية تدرك دراكها بضرب من الكشف والعيان فى الاسماء المضمرة قال عز من قائل اننى انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره
لغيره هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء

ارادته في ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الامر العبد الا بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو
وانما يصح هذا من الغائبين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى ما فوق تلك
الدرجة ورب غائب حاضر كما قيل يا غائبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر وفي لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو
فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء الغائبين
ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعالى نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيئان لكان قوله هو صالحا لهما
جميعا فلا يتعين النداء ومنها اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته ويطلب جنته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو
فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول اجل حضرتك ان امدحك واثني عليك بسلب نقائص
المخلوقات عنك وهي صفات الجلال كلا جسم لا جوهر لا عرض لا في المحل وباسناد كمالات الممكنات اليك وهي صفات الاكرام لكونه مرتبا
على الوجود على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا بهويتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر يفيد ان المذكور بسيط محض لا طريق الى تصوره
الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به ما لكه الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار
ذكر الغزالي لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه كل شيء هالك وقوله الا هو الا وجهه ومن جملة
الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو الا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من لا هو الا هو يا
من لا هو الا هو بلا هو فالاول فناء عما سوى الله والثاني فناء في الله والثالث فناء عن سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا في بقيته
مباحث الاسماء اختلفوا في ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا فمال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا
وفقيها ومستيقنا ولو لا ان اسمائه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز لغا ناول بعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى
وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القرآن ولا في الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان
التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دل على صفات الكمال و
نعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف فلم قلتم انه ليس كذلك والغزالي فرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفات
فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه قد ورد في القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ
بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها التعجب
بل عجبت ويسخرون فيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب يعرض عند الجهل بسبب الشيء ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شيء قبيح القانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحدة من هذه الاحوال
امور توجد معها في البداية وآثار توجد منها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم سخونة مزاجه والاثر الحاصل منها
الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر الكائن في البداية وقس عليه هذا قيل ان لله تعالى اربعة آلاف اسم
منها الف في القرآن والاخبار والالف في التوراة والالف في الزبور والالف في الانجيل والالف الآخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا
غير مستبعد فان اقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي
والعالم السفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر وان قلنا ان له بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات
والاحجار خرجت الاسماء عن حد العد والاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت نرى في كتب العزائم اذكارا غير
معلومة ورقى غير مفهومة وقد يكون كتابتها ايضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا شك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء اصلا لم تفد
وان دلت فاحسن احوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار المعلومة ادخل في التاثير من قراءة تلك المجهولات الا ان
اكثر الناس اذا قرؤا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذبهم الى عالم القدس يلوح عليهم آثار الالهيات لم يكد يظهر عليهم شيء فلربما
ولهذا قد يرد رب تالي القرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرؤا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصلت عندهم
اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتاثر نفوسهم
ويؤثر وهذا وجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة الضم فكل
اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع والله الموفق حكي ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يامر المريد
بالاربعين مرة بعد ما يرى مصلحته فيه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رأى عدم التاثر عند قراءتها عليه قال
له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رأى التاثر عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال
ان ابواب المكاشفات تنفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعفها بحيث
لا تستولي على الانسان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث

عس

يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك ودعا الله من هذه فاوحى الله تعالى الى النبي عليه
كان هذا العبد عاصيا وكان امرأة حبلى فولدت وربته له حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدك ان اعذبه
بناري في بطن الارض وولده يذكر اسمي على ظهر الارض الثانية عشرة كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال
اقول يوم القيمة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا
والزبانية تسعة عشر فالله تعالى يدفع بأسهم بهذه الحروف التسعة عشر الرابعة عشرة اليوم بليلة اربع وعشرون ساعة فرض خمس صلوات
في خمس ساعات فبقي التسعة عشر ساعة لا يستغرق بذكر الله تعالى وهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات الذنوب الواقعة في تلك التسع عشرة
الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر
ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقنا الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوة المفروضة دل ذلك على انه ما خلقنا للقتل
والعذاب بل انما خلقنا للرحمة والثواب السادسة عشرة قال عم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله
من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين وعن علي رض قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلعم اول ما انزلت
هذه الاية على آدم قال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابرهيم عم فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار
بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان وعندها قالت الملائكة الان تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى علي ثم يأتي امتي يوم
القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة انه صلعم قال يا ابا هريرة اذا توضأت
فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك
يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك المواقعة ولد كتبت له من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابه
ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة
فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس انه رسول الله صلعم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني آدم اذا نزعوا ثيابهم
ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم الاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك من الجن في الدنيا فلا يصير حجابا بينك وبين
الزبانية في العقبى شعر كانت لنفسي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك النفس اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى
مذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ❊ هذا تمام الكلام في تفسير البسملة واما تفسير الفاتحة ففيه ابحاث
مسائل الاولى في اسماء هذه السورة وهي كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى الاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف
وفي التعليم وفي القراءة في الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لان
اولها الحمد الثالث ام الكتاب ام القرآن لانها اصل القرآن واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر
والنبوات ولان فيها حاصل جميع كتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات
او لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية او لانها افضل سور القرآن كما ان مكة وهي ام القرى اشرف البلدان او
اصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان المخ سميت ام ملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع والدم الضرب الرابع السبع المثاني لانها سبع
آيات ولانها تثنى في كل صلوة او لان نصفها ثناء العبد للرب ونصفها عطاء الرب للعبد ولانها استثناها لهذه الامة قال عم والذي نفسي
بيده ما انزلت في التورية والانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقرآن العظيم ولانها اثنية ومدايح لله تعالى الخامس
الوافية لانها يجب قراءتها كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادس الكافية قال عم ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء
والشافية لقوله عم فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم الثامن الاساس لانها اول سور القرآن فهو كالاساس ولانها تشتمل على اساس العبادات
والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القرآن واساس القرآن فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم
فاذا اعتللت واشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبي عم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشئ بمعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة في الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة
لان الله تعالى علم عباده فيها ادب السؤال كانه قال فابدأ بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادي عشر سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب
انه قال انزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال اكثر العلماء انها مكية وخطأوا مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي
في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل بالقرآن وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني
ولا يسعنا القول بان رسول الله صلعم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب وقد جمع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة
مرة وبالمدينة اخرى وعلى هذا فانها لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد
فيها الثاء وهو الثبور ولا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهو الخزي يوم

الرحمن الرحيم

لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو الظى كلا انها لظى والفاء
وهو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب فهى بعدد ابواب جهنم لقوله
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرا الفاتحة نجى من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركات
النار وعذابها الثانى فى المباحث اللفظية الحمد مبتدا ولله خبره اى الحمد ثابت لله واصله النصب الذى هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم
شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله نعدل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولهذا كانت تحية
ابرهيم عليه السلام احسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان اصله النصب قوله اياك نعبد واياك نستعين بيان لحمدهم
وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام فى الحمد للتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من
ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق فالحمد بوجه مثلا لا يدخل فيه والتحقيق ان معنى الحمد لله لا يفهم منه الا حقيقة
الحمد من حيث هى فكذا ما نابه مناب هو الحمد لله وقرا بعضهم بكسر الدال للاتباع وبعضهم بضم اللام للاتباع الرب المالك من ربه يربه فهو رب مصدر وصف
للمبالغة كالعدل وهو مطلق مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير نحمد
والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر
والاعراض كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب
وعلى الثانى من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمى به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين اليوم هو المدة
من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثانى الى غروبها وهذا فى عرف الشرع
ويراد فى الاية الوقت لعدم الشمس ثمة والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى المفعول
به مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه ما بمعنى الماضى نحو ونادى اصحاب الاعراف وسيق
الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من يملك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطى ويمنع وحينئذ لا يعمل فيكون الاضافة
حقيقة وقرئ بنصب الكاف ورفعها مدحا وبسكون اللام مخفف ملك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك تعالى نصبا
وجرا اياضمير منصوب منفصل ولا محل للكاف للخطاب نحو ذلك وهو مذهب الاخفش والمحققين وحكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه
وايا الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة
والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل فهياك والامر الذى ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة
الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات فى علم البيان وذلك على عادة افتنانهم فى الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد
يختص مواقعه بفوائد وسننظم لك فى سلك التقرير فائدته فى هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة فى غاية
الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام او بالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار فى
قوله واختار موسى قومه والاصل فيه الى ما له ومنه انا هدنا اليك اى ملنا والهداية لانها تمال من مدلك الى ملك والهدى للذى يساق الى الحرم
اى امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشئ ابتلعه لانه يسرط السابلة اذا سلكوه كما سمى لقما لانه يلتقمهم وسيله مسيطر
ومصيطر والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل صراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته التوكيد كقولك هل
ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت ذكره
مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة
لان تعريف الذين كلا تعريف كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى او لان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة
غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من معرفة ولا نعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على
المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اى بالغت
فى دقه وكل ما فى القرآن من ذكر النعمة بكسر النون فهى المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش فى نعمة كانوا فيها فاكهين والغضب
اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على الخلق وعلى الخالق واصل الضلال الغيبوبة ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر
غاب عن الحق قال ائذا ضللنا فى الارض وغير ههنا بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الآخر تقول انا زيد غير ضارب كما تقول انا زيد لا
ضارب يعضده ما قرئ وغير الضالين وقرا ايوب السختيانى ولا الضالين بالهمزة كما قرا عمرو بن عبيد ولا جان وامين مدا وقصرا معناه استجب
ان رويه معناه اهلى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه افعل الثالث فى المباحث الفقهية البحث الاول جمع الاكثرون ومنهم الشافعى على
ان قراءة الفاتحة واجبة فى الصلوة وان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم يصح صلوته وعند ابى حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه عم واظب
طول عمره على قراءتها فى الصلوة فيجب علينا لقوله فاتبعوه وايضا قوله اقيموا الصلوة معناه الصلوة التى اتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه كان يقرا الفاتحة

ان تقرأ فاتحة الكتاب في كل ركعة فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة اصلا وقيل يجب في كل صلوة
ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة فرضت
الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره
في الاخريين وعند مالك يجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان
القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب
فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا بأس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة
لعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة البحث التاسع يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب البحث العاشر اذا لم
يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم ذكر من الاذكار ثم على مثل قدرها ثم وقف بقدرها فان لم يتعلم قرأ ما لم يفرغ منه البحث الحادي
عشر نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان يكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن والظن بان هذا النقل عنه كاذب لا نجحد المتواتر كيف
يليق بحاله الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من فوائد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤ والياقوت
الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال ع
احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مأمور به مطلقا قال ص من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع
من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد
ان يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب
والجوارح قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احد شعب الشكر ومنه قوله ص الحمد راس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح
لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشعير
يؤكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لان
ان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم
تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم ولا ريب ان هذا اولى قيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على
ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف لاعلاهما ويمكن ان يقال المنع غير
متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال
احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد والثناء
لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي واللام الجارة وذلك بسبب كثرة الائه وانواع الائه على عبيده
وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمده شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن
حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان كاملا الثالثة قيل المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاذ يستحق الحمد من التلميذ
والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال ص من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك
المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره
فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد
في الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا مستحق
للحمد الا الله تعالى الرابعة انما لم يقل احمد الله لان الانسان عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يتكلف فوق ما يستطيعه وذلك ان
نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه
القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله
فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعمة الله فقد
اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدروا
ونقل ان داود ع قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكري
فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك الخامسة عن النبي ص اذا انعم الله على عبده فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له
فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه ان ما انعم الله على العبد شيء واحد واذا قال الحمد فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والآخرون من الملائكة والثقلين
لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

والى الابد الابدين

والى ابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي يبقى للعبد المؤبد طاعات
غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي الخامسة لا شك ان الوجود خير من العدم وان
وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق
على كل محدث حدث من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا
اشهد انها باسرها لله لا شريك لاحد فيها معك السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقول سبحان الله والحمد لله فما السبب وتوقع البداية بالتحميد
والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرءا في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون
محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليها والا اذا كان
غنيا في ذاته والا اشغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والافات السابعة الحمد لله تعلق
بالماضي وهو وقوعه شكرا على النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ثم بالاول يغلق عنك
ابواب النيران وبالثاني يفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان يذكر في موضعها
ليحصل المقصود قال السري منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحترقت الدكاكين
الناس فاخبرني واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروءة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنة
فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم اولى من الحمد عليها من حيث
هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة ادم عطس فقال الحمد لله رب
العالمين واخر دعوى اهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك
واخرها مقرونا بكلمة الحمد العاشرة لا يحسن عندنا ان يقال قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده
اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني يجب ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه وان كان عاقا كان اثمه
اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل بخلاف ما لو قال قولوا الحمد لله الحادية عشر شنعت الجبرية
على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان
بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك و
شنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبيح في فعله ولا جور في قضيته وحكمه
لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو امكن تصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم
مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر
المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة دلائلهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله
رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت لكونه
ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار و
العبادات انها انما يؤتى بها لا لان الله تعالى مستكمل بها ولا لانه تعالى مجازى بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان لله حسبي الكافي
في فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم
وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي او سفلي والعلوي
كالسموات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض
وما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي
والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث
الارواح جسمانية وهي اما سفلية خيرة او شريرة كالجن والشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كالملائكة السموات قال ما في السموات موضع
شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد او غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى
الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا فهو اله العالمين من حيث انه يبقيها حال استقرارها فالكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات وتفاصيلها
كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم والثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين الذين
غرضهم من التربية ما ثواب او ثناء او تعصب الغير ذلك والثاني داب الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا
يربحون عليه انه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في ذاته بسبب التربية والارادة والافاضة اختلال يجيب الملحين في الدعاء ويريد
في الخلق كيف يشاء يكفي علمه عن المقال يغني كونه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما ويرى كل حي كرما وعلما ولقد خلقنا الانسان من

سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا الثالثة لما كان الله احسن الاسماء عقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين اذ معناه ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه تربيته كانه يقول يا عبدي سواك وهو الله الواحد الاحد الصمد انت تخدم من كان لك ربا باعبره فما انصفك ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الادمي بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب الخامسة في فوائد قوله الرحمن الرحيم الاولى الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الى نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم لانك تسلم الى طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب للمهم اليسير من الرجل اليسير فكان الله تع يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤالي الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني شراك نعلك وملح قدرك الثالثة الوالدة اهملت حال ولده ولم يؤدبه ظنا ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب ومن لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان وعكسه حال من يقطع يده تنبيها الاكلة فيها او يضرب لتعلم حرفة او الادب بخصلة شريفة فكلما في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة رحمة ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما يجيء في موضعها يؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة اعطى مريم عليها رحمة ولنجعله اية للناس ورحمة منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو بسببه من عذاب النار الخامسة وصف النبي ع بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر سنانه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيمة يقول امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا رحيما ايضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدي فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فيستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابرهيم بن ادهم انه قال كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرايت عقربا قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه واخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف الآخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرايت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى تقصده فلما قربت الافعى من ذلك الشاب وصل العقرب الى الافعى فلدغها والافعى ايضا لدغتها وماتتا معا وفي ادعية العرب يا رزاق النعاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض يكون كانه قطعة لحم فيهجره امه تنفرا حتى اذا خرج الى ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى في تلك المدة ذبابا يتغذى به وروي ان فتى قرب وفاته اعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي واخبروه فقام ودخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال ع اما كان يصلي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال هل عق والدته قالوا نعم فقال هاتوا بامه فاتي بعجوزة عوراء فقال النبي هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو لانه لطمني ففقأ عيني فقال ع هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال ع احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت عفوت اللنار حملته تسعة اشهر اللنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال ع ان الله تع مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية السابعة في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى عرفت قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روي انه يجاء برجل يوم القيمة وينظر في احوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فياتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله الست لما كنت نائما تقلبت من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت ما انا فلا تاخذني سنة ولا نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل يوزن حسناته فيأتيه بطاقة فيثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره واعلم ان حقوق الله تع على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلعم اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل

مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم يطرح فى النار الثانية من قرأ مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه اكثر الثانى انه فى القيمة يكون ولا مالك
الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد ادون حالا من الرعية فيكون القهر فى المالكية اكثر منه فى الملكية
الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة المالك وان لا يشتغل فى الامر الا باذنه حتى انه لا
يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرأ ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون
مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا ايضا قل اعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرأ فيه غير ملك فتعين وايضا الملك اقصر ومالك يلزم منه تطويل الامل — ملك الناس
فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الاتمام كالو نوى بعد غروب الشمس صوم يوم يجب
صومه بخلاف ما لو نوى فى النهار صوم الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرعة على الاولى فقراءة مالك ارجى من قراءة الملك لان اقصى
ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا برأس والمالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادى
كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم والملك يطمع فيك والمالك انت تطمع فيه والملك لا يختار
من العسكر الا كل قوى سوى ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه والملك له هيبة وسياسة والمالك له رأفة ورحمة
واحتياجنا الى الرأفة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه فى الدنيا ملك لمملوك قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك — الرأفة د
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفى الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم
ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فانا اعطاك عشرة اعبد ومن لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا اقترن بقوله ملك يوم الدين — عشرة آلاف زاد فى ملكه
قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه
ظل الله فى الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة سبب لصلاح
المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم
وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفى
الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلاظهار للملك اعم نفعا واتم وقعا من ان يكون
عادلا ومن هنا يظهر البركة فى العالم وترتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا يحكى ان انوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى
عليه العطش فراى بستانا فيه رمان فلما دخله قال الصبى فيه اعطنى رمانة فعصرها واخرج منها ماء كثيرا فشربه واعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ ذلك
البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبى اعطنى رمانة اخرى فاعطاه فوجدها تخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبى لم صار الرمان
هكذا فقال الصبى فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشؤم ظلمه صار هكذا فتاب انوشروان فى قلبه عن ذلك الذنب فقال الصبى اعطنى رمانة اخرى فعصرها فوجدها — الطيب من الاول تعصيرها
اطيب من الاولى فقال للصبى لم بدلت هذه الحالة فقال الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة الصبى مطابقة لاحواله فى قلبه تاب بالكلية — لعل
فكان من ميامن عدله ان ورد فى حقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم ولدت فى زمن الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات
على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين
ايضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان الناس لا يختص به احد غيره فاذا كان الحشر والنشر لا يتاتى
الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ فى كل الممكنات فلا مالك ليوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن
القيمة غير موجودة فينبغى ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا قاتل زيد كان اقرارا ولو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا
لما كان قيام القيمة امرا حقا لا يجوز الاخلال به فى الحكمة جعل وجوده كالشىء القائم فى الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيامته زال السؤال
الرابعة قال القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا
خلق الجنة وخلق اهلا لها وخلق النار وخلق اهلا لها وذلك ان له صفة لطف وصفة قهر ولا بد لكل صفة مظهر ولا يسئل عما يفعل لان كل — ملك يخلق الكل
سؤال ينقلب فهو باطل الخامسة فى هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك
باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر
الرحمن الرحيم مرة فى التسمية ومرة فى السورة اخرى يدل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين
كيلا يغتروا بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب السادسة الحمد فى المدح والتعظيم فيما بين الناس انما يكون لكونه كاملا فى ذاته
وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا فى المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال
الذاتى فاحمدوا لى فانى انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان

كنتم تعظمون هيبة عن العقاب فانا مالك يوم الدين التاسع في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المعمول مفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا او كان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فوجب له بهذه المعاني اما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة ولا معدودة الى الخيرة مع انفتاح ابواب المعصية وانخلاع ربقة الطاعة فهو رب حسن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فاموره المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكمالية واما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك ففيه شكوك وان لم نجزم بانه لا تاثير لها فوجب طرح المشكوك والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف كانت العبودية اهنا واتم ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من الصارعين الاستادين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاد فانصرع في الحال فما ذاك الا لاحتشامه بعد عرفانه وايضا ذكره تعالى اولا يورث للعبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كما ان من اراد حمل ثقيل يقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك كما ان العاشق يسهل عليه جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع لها جلال الله من مشرق اياك نعبد فصارت مبصرة مستعدة لاداء العبودية وايضا ان بدء بالعبادة تصور ابليس قلبه ان المعبود من هو فيلقي في نفسه وساوس اما اذا غير هذا الترتيب فقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فيناسب ان يكون مقدما في الذكر وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما اظهرت عبوديتي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى قال صلى الله عليه وسلم التكبيرة الاولى في صلوة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل الثوم والبصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو اكثر من ذلك كايذاء المسلمين من الغيبة والتهمة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم ومنها ان يكون المراد عبدك والملائكة معي والحاضرون بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير فالي اخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان يقبل البعض دون البعض في تلك الصفقة الرابعة من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا قد ورد من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة على الارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانات من احد الجانبين سبب لاداءها من الجانب الاخر قال بعض الصحابة رأيت اعرابيا اتى باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم الناقة اليه وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وركون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة انه حية سقطت من السقف وتفرق الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين يشرع في الصلوة كان يسمع من صدره ازيز كازيز المرجل ومن استبعد فليتفكر في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التاثير فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب العابد الموحد وقد شاهدت الحيرة والدهشة عند رؤية بعض السلاطين فكيف كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلث درجات

لانها

لانه اما ان يعبد الله رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه ويختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعاً فيما هو اشرف منها
وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تشرفاً بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة
وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الهاً ولكونه عبداً له والالهية توجب الهيبة والعزة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه
اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هرباً من عقابه فسدت صلوته يحكى
ان عابداً في بني اسرائيل اعتزل يعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكاً فقال عبادتك غير مقبولة فلا تتعب على نفسك وكد
بالمجاهدة فاجاب العابد بان الذي على هو العبودية واني لا ازال افعل ما على فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال
اللهم اجاب العابد فقال انت اعلم يا ربنا قال كذا وكذا فقال الله تعالى اليه قل له قبلنا طاعتك بسبب ثباتك فيها والتحقيق ان اثبات اوجع
نسبة الامكان هو قصارى جهد العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المؤمنين وانها غاية حال المتفرد
قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولان
العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً وافتخر عيسى بذلك ول ما نطق فقال اني عبد الله
وكان علي عليه السلام يقول كفى لي فخراً ان اكون لك عبداً وكفى لي شرفاً ان تكون لي رباً اللهم اني وجدتك الهاً كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف
من الرسالة فبالعبودية اشرف من الرسالة فبالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن
التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال اشرفها التقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً
عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون التاسع في فوائد قوله واياك نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة
بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلابد ان ينتهي الى الله تعالى وايضاً كل الخلائق يطلبون ذلك
طريق الحق مع استوائهم في القدرة والفعل والجد في الطلب لا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضاً قد يطلب الانسان حاجة من
غيره ويلازمه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا
قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه انما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل بالياء
الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم الثانية لقائل ان يقول شرعت في العبادة فتستعين ان الاستعانة على العمل انما يحتاج
قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب والجواب كانه يقول شرعت في العبادة
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضاً قبل الاستعانة مطلقة ليتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة
على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل عليه السلام حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه
جبرئيل فقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسئل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلوة مقيد جلاه
عن المشي ويداه عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر فكما ان الله قال يا نار كوني برداً وسلاماً على ابرهيم فكذلك يقول لنار جهنم جز يا مؤمن
فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فاذا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك الخامسة اياك
نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند
اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكلها مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الهاً وحصول الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه
رباً رحماناً ورحيماً واحوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فمبدأها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب اذا
تم الوفاء بالعهدين ترتب عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى آخره وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في التفات الوارد في السورة وجوه منها ان
المصلي كان اجنبياً عند الشروع في الصلوة فلا جرم اثنى على الله بالالفاظ الغائبة الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت
بأني اله رب العالمين رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها
انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه رباً لا يخرج شيء من ملكوته منعماً على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها
مالكاً للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب دل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها
ان الدعاء بالحضور اولى كان الثناء في الغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء عليهم السلام ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكماً رب ارني علماً رب اني
رب لا تذرني فرداً وانت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى على الله بما هو اهله فاستجاب الله دعاءه وتحصيل
تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب
والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه الاجسام البسيطة

اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس والعلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قد ثبت ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب اثبات جميع انواع الحمد له واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العاشر في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو مهتد تحصيل للحاصل واجيب بان المراد منه صراط الاولين في تحمل المشاق العظيم لاجل مرضاة الله تعالى يحكى ان نوحا عليه السلام كان يضرب في كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط هما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لا بد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والوسط وهو الشجاعة محمود وفي القوة العقلانية الجربزة والبله مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسيط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر والانقياد لاوامرهم ونواهيهم والتقوى تكمل هذه المعاني وتتممها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق بالبدن فكمال التوسط في النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال التوسط في الآخريين ان يستعملهما بحيث لا يمكن اقل من ذلك ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين وايضا العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى توصل او فاتر وقلة التغيرات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وربما صح دين الاسلام بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الدلائل فكانه يقول عرفنا الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وايضا فقد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل ولو امر ان يذ انقاد كاسمعيل ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه على منصب النبوة كموسى مع الخضر وعن خباب قال شكونا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والآراء والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسير فاهدني هذا الطريق السوي الذي لا ازيغ به حكي عن ابراهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابراهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا نزلت الي نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل بي القضاء ركبت مركب الرضاء واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القرآن او الاسلام وليس بذلك لان المعنى اهدنا الصراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقوانينها كما قال فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم يزل ومهتد يضل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير للصراط الذي هو الجسر الممدود على متن جهنم سهل الله تعالى علينا عبوره وورود الثانية انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فان كان ذلك تتناني في قولك وعن جماعة المسلمين فان ذلك اوضع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه لا بد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن ثم ورد في السنة ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة لانه في حق النبي صلى الله عليه وسلم فيستجاب الوسط بتبعية ذلك لا محالة وايضا قال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك

الالسنة

في معنى الصراط

تنبيه

البقرة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيته بلسانه وهو ما عصى بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة الجميع اياك نستعين لاستعانة الكل فلاجرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الآخرة وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيقًا الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وايضا المستقيم واحد وما سواه معوج بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سأل الصراط المستقيم الحادي عشر في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم يقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله تعالى ايضا لانه الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ولداعية ذلك الانعام فيه والنعم المواصلة اليناطاعاتنا فهي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبيده نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال تعالى كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ثم عقب ذلك بقوله هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم فانه لو كان لله على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه وهو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب ان قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدفع ذلك ومنها قوله وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِاَنْفُسِهِمْ اِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا اِثْمًا والجواب انه لا يلزم من ان لا يكون الاملاء خيرا ونعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فاما قبل هذه الحالة لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا تمتع حالي قال وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ وليس هذا كمن جعل السم في الحلواء على ما ظن وانما هو كمن ناول شخصا حلواء لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه ولاستعمال الحلواء لا كما ينبغي فسد مزاج الحلواء ايضا وصيره كالسم القاتل والنسبة الى هذا قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يَا اَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وقال وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ وَلَا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ والشكر لا يكون الا بعد النعمة الثالثة ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعمة دينية ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط ويبقى الذين انعم الله عليهم في الدنيا والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكما ان اصل النعم الدنيوية هو الحيوة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده آية اِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتٰى وَمَا اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ وكما ان حيوة البدن من الله فكذا الايمان منه بتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وبذلك القبول يستاهل الثواب والمؤمن لا يبقى مخلدا في النار فان من شرفه الله تعالى بما عظم الانعام لم يعاقبه باشد الالام فما الانعام الا بالاتمام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما الا اداء الواجب لا يسمى انعاما قلنا النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر عنه لانه يليق بحكمته وكماله خلافه ذلك ثم ما شئت تسمه الثاني عشر في فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم من الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب لازمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مقبل بطائل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب عن المقصود ومنى بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذوه وبعد ان نجاهم الله من عدوهم يَا مُوسٰى اجْعَلْ لَنَا اِلٰهًا كَمَا لَهُمْ اٰلِهَةٌ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً ولهذا قال عز من قائل يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ اٰذَوْا مُوسٰى فَبَرَّاَهُ اللّٰهُ مِمَّا قَالُوا والنصارى فرطوا وقالوا المسيح ابن الله اِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ روي عن عدي بن حاتم ان رسول الله قال غير المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى ويصدق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وفي النصارى قَدْ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ هذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط من المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وخير الامور اوسطها الثانية الآية تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او اعتقاد يخالف الحق الا لكان ضالا لقوله تعالى فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلَالُ ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان يقول اهدنا الصراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال عليه السلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الآية يدل على الخوف فيكمل

الايمان بطرفيه وركنيه الثالث عشر في تفسير السورة مجموعة وفيه مناهج المنهج الاول لنسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة كنسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل فكل شاهد فله في الغائب اصل والاكان كسراب يل وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال والاكان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عزمن قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ولكل مطاع في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات فالمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولابد من ان يكون بينهما مقالات ومجانسة وبهما يتم سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة يشتمل عليها خواتيم سورة البقرة اربعة منها يتعلق بالمبدأ وهي معرفة الربوبية اعني معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط احدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب اليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فضد النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر الثقل يوجب الحمد الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا واغفر لنا انك انت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجأنا بكليتنا اليك توكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاضت اثار المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلوته صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد الرسول من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال الصلوة معراج المؤمن المنهج الثاني المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية ولهذا قال تعالى الشهوة افة لكن الغضب اعظم منها والغضب افة لكن الهوى اعظم منه فقال تعالى وينهى عن الفحشاء اي الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال الظلم ثلثة ظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الست في بني ادم خصلة سابعة هي الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وروي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا قال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل فقال فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت في هذه المحنة ثم نقول الاسماء الثلثة في التسمية دافعة للاخلاق الثلثة الاصلية والايات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى افرأيت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشأ الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجده ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال كفره واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القران كالنتايج والشعب عن الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتايج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القران كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة يتعلق بالرب والملك والاله ولسببها ختم القران عليها كانه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة قل اعوذ برب الناس وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحليم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد ان كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم الا سواه ولهذا جاء في القران الاستدلال بالخلق كثيرا قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب ابائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كانها في نفسها

الفاتحة سورة الثالث عشر المنهج الاول

المنهج الثاني في ... القوم

وبيان ان الفاتحة تدفع الاخلاق السبعة

المنهج الثالث

دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن
الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب موافق للغرض كما يشهد به تشريح الابدان علم
فلا احق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين
يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما اخر يظهر فيه تميز المحسن من المسيئ والمظلوم من الظالم وههنا تمت
معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والاثار المتفرعة على
الاعمال اما الاعمال فلها ركنان احدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك
نستعين واما الاثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا
الصراط المستقيم الى اخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية بين
القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى التجنب
عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجتناب عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي فالجمر يوضع في الرماد فيخمد المنهج
الرابع قال تعالى حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي اذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني
عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سئل فقوله
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفاء
بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تعالى فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فان
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى في القران كثيرا يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به
وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب
العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك واخر كلام في الجنة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله تعالى غير ممكن تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله وكل
من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فيحمد الله اكثر فيحمد الله تعالى اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تعالى
على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين انه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم
يقول الله عظمني عبدي يدلك على ان الاله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا
شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين
يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي
والضعيف فيحشر الظالم في ظلمه لهله القادر امهاله بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال
الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا
قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سئل نقرره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية
او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تعالى وارشاده
كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابرهيم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري المنهج الخامس ايات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه و
السجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح
بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى ان الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية
الامور وكل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوجه نظرا
الى الحق والى الخلق والمنعم والنعمة لانه الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما
الركوع متوسط بين القيام والسجود وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله
بالركوع فاللائق بجوده ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال تعالى اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب

المنهج الرابع

المنهج الخامس

السجدة الاولى لانه لما تنبه على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب
للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله
اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مناسب
للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرأ التحيات كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم قرأها في معراجه فالصلوة
معراج المؤمن المنهج السادس ان آيات الفاتحة سبع واعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور آيات الفاتحة يسري الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسري
الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع انه كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الخلق واما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى
غيب الغيب فهذا بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه في نفسه والمراد بعالم
الشهادة كل ما يتعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بالسماء ثم سماء الى الملائكة الحافين
من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه لانهم في خدمته لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون هكذا يتصاعد الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها
الا الله او من ارتضاه والمقصود ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه فان تحفة امتك الصلوة
الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالواد المقدس طوى وايضا
عنده وملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق
المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما يختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه في الدنيا وفي
القبر ويكون معه في القيامة وفي الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا والاخرة قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والاخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اي من كل الموجودات
بل هو اكبر من ان يقابل به غيره او انه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفي هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك
اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل
وتعالى جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى
ان صفات الجلال وسمات الكمال له تعالى لا لغيره فهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان ويدهش
الالباب ثم عد ايها المصلي الى نفسك وحالك وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة
المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد صلى الله عليه وسلم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت
وجهي معراج الخليل وقولك ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي معراج الحبيب محمد فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء
الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع العجب عن نفسك وفي هذا المقام يفتح لك احد ابواب
الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب
الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية
وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقولك صراط الذين انعمت الى اخره يفتح باب الاقتداء بالارواح
الطيبة والاهتداء بانوارهم فبمفاتيح المعارف الربانية انفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوة
واما الجسماني فاولى المراتب ان يقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يوم يقوم
الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن واجتهد في ان تنظر من الله
الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين
واعلم ان نفسك الان جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلان تجعلها منحنية بالركوع حتى ثم اتركها لتستقيم مرة اخرى فان هذا
الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض
بنهاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلاثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الهوى
الداعي الى كل الضلالات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات
الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات

بالجنان

بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحه و ينزل نور روح محمد فيتلاقى الروحان ويحصل هنالك الروح والريحان فقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولي اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذي هداك اي شئ هديتك له فقل اللهم صل على محمد وال محمد فقيل لك ان ابراهيم هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين فيقال لك هذه الخيرات من محمد وابراهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدائح ذكره الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى ان الملائكة اشتاقوا اليك وقد جاؤك زائرين فابدا بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلاجرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار المنهج الثامن في عظم المخلوقين جلالته ومهابته المكان والزمان فالمكان فضاء لانهاية له وخلاء لاغاية له والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل فامتد ودخل في قعر جبل الابد فلا يعرف لانفجاره مبدء ولا لاستقراره منزل فالاول والاخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري الزمان شبيه جري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه والعظمة صفة العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه يستحق الالهية ولهذا قال الوا بيا ذا الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الاثام والارجاس واولى المراتب التطهر من الذنوب توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا والاخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى الغير وهو مقام الاخلاص ثم الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم الالتفات الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما ووجهت للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل الله اكبر من الكل كاملا ومن ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق واوهامهم كما قال علي بن ابي طالب التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته فاذا قلت الله اكبر فاجل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف واجعل سورة الفاتحة مراة لكي تتصرف بها عجائب الدنيا والاخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فاسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة فبالحمد قامت الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النعم واذا قلت مالك يوم الدين ابصرت به عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فاعلم انك قد بلغت الغايات بل علا الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب قائما وادع لمن يقف موقفك حمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سئلتها الغير وجدتها لنفسك فالله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحدر به الى غاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين سنة فلم يبلغ من حد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى طرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان ربي الاعلى ما فوائد السجدتين فالاولى الازل والثانية الابد والقعدة بينهما هي الدنيا فتعرف بالاولى انه لا اول له فتسجد له وبالثانية انه لا اخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الاخرة والثانية فناء الاخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناء الكل في انفسها والثانية بقائها ببقائه وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق والامر وايضا الاولى سجدة الشكر بمقابلة ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته وسجدة الخوف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فنوا السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا ليناسب الوجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة

ومن الفردية الى الزوجية وايضا الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة
وفي السجود بمرتبتين ولعل ما فاتنا من الفوائد اكثر مما ادركنا المنهج التاسع في لطائف عن النبي ان ابراهيم ع سئل ربه فقال ما جزاء من حمدك
فقال تع الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال اهل التحقيق من ههنا جعلها الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام اهل جنانه واخر دعويهم ان الحمد لله رب
العالمين وعن علي ع ان اول ما خلق الله العقل من نور المكنون ثم قال له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب عزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك
ونقل عن ادم ع لما عطس قال الحمد لله فاول كلام له فاتحة الحمد ثانيا للحمد اول كلام له خاتمة المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله تع فاتحة كتابه اول
كلام الله الحمد لله واخر انبيائه محمد رسول الله ص وبين الاول والاخر مناسبة تجعل الحمد لله اول اية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع
للحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد احمد عند هذا قال ص انا في السماء احمد وفي محمد فاهل السماء في تحميد الله ورسوله احمدهم والله تع
في تحميد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمدا اخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بمحمدهم بالرحمة والنعمة فلما كان
الحمد اول الكلمات وجب ان يكون الرحمة اول الافعال فلهذا سبقت رحمتي غضبي ه اخرى ان رسول الله ص اسمه احمد اى اكثر الحامدين
حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين ه اخرى ان من اسماء رسول الله سوى اسمه محمد واحمد الحامد
والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تع نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فقوله نبي اشارة
الى محمد هو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور والرحيم صفة الله فالعبد يمشي يوم القيمة
وقدامه الرسول ص مع خمسة اسماء تدل على الرحمة وخلفه خمسة الفاظ من اسماء الله تع تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ورحمة الله تع غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة ه اخرى
في الفاتحة عشرة اشياء خمسة من صفات الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك خمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية
طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله انعمت عليهم كانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا
الاستقامة يا رحيم افض علينا سجال فضلك يا مالك ه اخرى الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية
ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمان الا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان
وانقاد لطاعة الديان وربما هو ذلك من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ
الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلى للابدان القهر بالمالكية
لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فاذن فلما كان هذه التجليات انغلقت له ابواب النيران
وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع التنزهي كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال اياك نستعين على ترك
اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة
فقال اهدنا الصراط المستقيم وللجوهر العقلي الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة المدلسة فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ه اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت
فشهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة تجلى نور اسم الله ومن تجلى نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربي ما في قبله الصلوة
وايتاء الزكوة من تجلى اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلى اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع
الفقراء فيعطيهم كما حكى ان يوسف حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع
حصل له نظام عن الالتذاذ بالمحسوسات عند الموت ليسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلى اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة
الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه احوال القيمة ه اخرى الحواس خمس
ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فاستعن بانوار الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس ه اخرى الشطر الاول من الفاتحة
مشتمل على الاسماء الخمسة لله فيفيض نورها الى الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات الخمسة للعبد فيصعد منها اسرار الى
تلك الانوار ويحصل للعبد معراج ذرائه وتقرب الاسرار ان حاجة العبد اما لدفع ضر او جلب خير وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة
فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف ذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله
لم تطلب منها شيئا سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت
نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن افات الدنيا الموقعة في عذاب الاخرة
اعاذنا الله منهما ه اخرى للتجلي ثلث مراتب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا لعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذه

فهذا

نهاية الاحوال و يدل عليها اسم الله وتجلى الصفات وهو فى واسط الاحوال يكون للاولياء واولى الالباب الذين يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا و يدل عليه اسم الرحمن وتجلى الافعال والايات وهو فى بداية الاحوال يكون لعامة العباد الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى و يدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما ٥ اخرى فى الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتيم الامور بسم الله ذكر والحمد لله شكر بسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله استحق رحمة اخرى رحيم الاخرة وكلمتان اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء المنهج العاشر للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية فى مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب ثالثها التربية فى معرفة المبدأ ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها فى معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كى يقدم على ما ينبغى ويحجم عما لا ينبغى وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرزاق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك اياك نستعين لانك المالك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الى دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذى نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد باعانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فالطريق الا ان يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نارية وهى الدنيا بما فيها ونورية وهى ما سواهما اللهم ارفع عنا كل ما يحجب بيننا وبينك انك رب العالمين ومالك يوم الدين

سورة البقرة مدنية مائتان وست وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۝ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ۝ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ۝ والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ۝ اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ۝

القراءة لا ريب بالمد خلف والعجلى عن حمزة وخلف لنفسه كذلك وكذا لا جرم ولا جرم هاء كناية فى جميع القران هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلى وخلف ويزيد وورش من طريق النجارى والهاشمى عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين فى الياء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة واسقاطها وهى صوت من الخيشوم يومنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة فى الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال الا فى احرف يسيرة تذكر فى مواضعها الباقون بالهمزة باب فى المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع والباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف فى اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة ربع الفات واوسطهم مدا على وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قدر فتحة فيك فتحا فاما وبالاخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذى قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة فى الوقف فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة عن وروى عن حمزة وحماد انهم يسكتون على حرف ساكن بعد همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا امنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة فى تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتدا بها والاختيار فى الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف حذرا عن قطع الكلمة الوقوف الم للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم تستانف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقف على التقديرين على فيه وهدى خبر مبتدا محذوف اى هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب بالعامل معنى الاشارة فى ذلك على تقدير اشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون للعطف لئلا يدخل عبد الله بن سلام واصحابه فى المتقين فان القران لهم هدى كما للصحابة المؤمنون بالغيب فى ثناء الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدا والذين

كان اولئك على هدى خبرهم مختصا بهم واختص هدى القران واسم التقوى بالذين يؤمنون بالغيب ثم تلك لاختلاف النظم بتقديم المفعول
يوقنون ط لان اولئك مبتدأ وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل اية ووقف بها الا ما استثنيته بعلامة لا المفلحون التفسير وفيه ابحاث البحث
الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم الف با تا ثا اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ
مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد
اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو با تا وبالتفخيم نحو با تا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة
وقولهم با تا ثا متهجاة ومقصورة نحو لا وقولهم كتبت باء بالمد نحو كتبت لاء لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك في التهجي
لكثرة الاستعمال واستدعائها التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي ﷺ قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فايضا ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي فليؤولوا بان يصرف الى التسامح والتجوز
لانه اسم للحرف وهما متلازمان او لان الحروف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سأل اصحابه كيف تنطقون
بالباء التي في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا بالحرف وقال اقول ب ك ثم انهم راعوا في هذه التسمية
لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ابداع
اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تليها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا
عليها لفقد مقتضى الاعراب نحو واحد اثنان ثلاثة دار ثوب جارية فاذا وليها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا ونظرت
الى الف والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها
بين الساكنين وللناس في الم وما يجري مجراه في فواتح السور قولان احدهما ان هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به والتخاطب بالحروف
المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
عن ابي بكر في كل كتاب سر وسره في القران اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
قال بعض العارفين العلم كبحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر
والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحر العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية
ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم
بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو
اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة
على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش
وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه وزيف
هذا القول بنحو قوله تعالى افلا يتدبرون القران تبيانا لكل شيء هدى للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما
وبقوله اني تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف
بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لان
الراسخين لو كانوا عالمين بتاويله كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قولهم كل من عند
ربنا فائدة على ما لا يخفى وبقوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا
بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما لا
يظهر فيه الحكمة لكثير من افعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بل كمال الانقياد في النوع الثاني اظهر واكثر
فلم لا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة اخرى هي اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد
من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء وهو قول اكثر المتكلمين اختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة
لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيجيء تمام الكلام في هذا القول الثاني انها اسماء الله تعالى
روي عن علي انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى فان الر وحم ون مجموعها
اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في البقية الثالث انها اسماء القران وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف
دال على اسم من اسماء الله تعالى وصفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول اخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه
مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق وايضا الكاف محمول على الكبير و
الكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الر انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل

وفي الرانا الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام
من جبرئيل والميم من محمد اى انزل الله الكتاب بواسطة جبرئيل على محمد السابع الالف انا واللام لى والميم منى قاله بعض الصوفية
الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد لتكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران اى ان هذا المتلو عليهم وقد
عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم
غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك هذا على طريقة تعليم الصبيان
قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف غيبة في اصغائهم ليتم عليهم
القران من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادى عشر قول ابى العالية انه حساب على ما روى ابن عباس انه مر ابو ياسر بن
اخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حى بن اخطب وكعب بن الاشرف فسئلوا عن الم وقالوا ننشدك
الله الذى لا اله الا هو حق انها اتتك من السماء فقال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حى ان كنت صادقا انى لاعلم اجل هذه الامة من السنين
ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى ملته احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
حى فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حى مائة واحدى وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال حى نشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك
الا مائتين واحدى وثلثين سنة فهل غير هذا فقال نعم المر فقال حى لا ندرى باى اقوالك ناخذ فقال ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا
قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها كم تكون فان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فيما يقوله انى لاراه يستجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه
علينا امرك فانزل الله تعالى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ الثانى عشر انها على
انقطاع كلام واستيناف كلام اخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول للغات
بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرات الحمد تريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا
الكتاب هو المثبت فى اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف نفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون واهل الخط والكتاب
بخلاف النطق باسامى الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا فلما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاده
من قبل الوحى الخامس عشر قال القاضى الماوردى معناه الم يكن ذلك الكتاب حيث نعته هذا الاتيان فى كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة
الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة فى اول الامر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو
رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم اشارة الى صيرورة العبد فى مقام المحبة كالدائرة التى يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء فى الله
بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم السابع عشر الالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو اخر
المخارج اى اول ذكر العبد ووسطه واخره لا ينبغى الا لله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذف منها المكررات
يبقى ما يمكن ان تركب منه على صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا اوردته واعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر
اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر قد اورد الله الفواتح فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على
انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين الحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء
والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها المرصعين من المطبقة نصفها ص ط ومن
المنفتحة نصفها الرك هو س ح ق ى ن ع من المستعلية نصفها ق ص ط ومن المنخفضة نصفها المرك هى ع س ح ن ومن حروف القلقلة
نصفها ق ط واكثر الفاظ القران من هذه الحروف وفى هذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التى منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم
واظهارا لعجزهم كما مر فى الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا فى معظم هذه الفواتح مكررتين والله اعلم التاسع
عشر قيل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم من اخره اى اخذت منكم كتاب العهد فى يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند
الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت فى التسمية بالم وحم والمقصود من العلم دفع
الاشتباه الثانى لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم يتجاوزوا فيما سموا به مجموع اسمين نحو معدى كرب وبعلبك ولم يسم
احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها
اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وال عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة فى السور وجزؤه وجزء الشيء مقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء
متاخر عن الشيء فلزم ان يكون متقدما متاخرا معا وهو محال السادس هذا كتسميتهم صادا للحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمؤلف
فلا يلزم الا تاخر المركب من المفرد بوجهين وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام
المشتركة من انها ليست بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الاخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثانى بان تسمية
السورة بلفظة معينة ليست من الامور التى يتوفر الدواعى على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلثة اسماء خروج عن كلام العرب

في تفسير الم

في حروف المهموسة

في حروف المجهورة

في حروف المستعلية

في حروف المنخفضة

ولكن اذا جعلت اسماً واحداً تاماً منثورة نثر اسماء فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمي ببيت شعر
وبما نقل من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم عن الخامس ان تأخرها هو مقتضاه مع ان متقدمها داخل
غير مستعمل وفي لسان التصوف ان هيئات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود
اي من قرء فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفه الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة
الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر وثانيهما ما يتأتى فيه الاعراب لكونه اسما
فرداً كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكقولك طسم اذا فتحت نونها صارت
كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا والثاني فيه امران الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتأنيث قال شريح يذكرني حاميم والرمح
شاجر : فهلا تلا حاميم قبل التقدم والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدأت بالحمد لله قال ذو الرمة شعر
سمعت الناس ينتجعون غيثاً : فقلت لصيدح انتجعي بلالا : واما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فبفعل مضمر نحو اذكر وحركت لالتقاء
الساكنين واستكره جعلها مقسماً بها على طريق قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها
محلوف بهما واستكره الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
واو العطف لا القسم نحو تحبوني ثم حبوتك لاضلت ولو كان لاقتضى قسماً بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاماً آخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن
ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان يقدر مجروره باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد
جاء عنهم الله لافعلن مجروراً واعرابها فتحت في موضع الجر لكونها غير منصرفة واما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه
الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف نفسها لا على صور اساميها لان المألوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلاً فانه يكتب صورتها
ويقوى اشتهارها وامرها بان المراد بها الاسامي المسميات امن وقوع اللبس فيها وايضاً خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لان المعتبر هناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء السور فلا محل لها عنده كالاحرف المبتدأة والمفردات المعدودة ومن جعلها
اسماء للسور فسنخبرك عن تأليفها مع ما بعدها ان شاء الله حسبي. البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك
الى الم وهي قريبة لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يجيب الحاسب ثم يقول فذلك كذا او
لانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئاً احفظ بذلك او لانه وان كان حاضراً
نظراً الى الفاظه لكنه غائب نظراً الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزل بمكة قبل سورة البقرة
وقد يسمى بعض القرآن قرآناً او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء
ان الله سينزل على النبي المبعوث من ولد اسمعيل او المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظراً الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان
قال الذبياني نبئت نعماً على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري وان جعلت الكتاب خبراً فنظراً الى ان ذلك في معناه ومسماه
مجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كالجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم
ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقاً في نيف وعشرين سنة ولانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى
والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او
شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى خاطب به
المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكماً عربياً حكمة بالغة
تلك آيات الكتاب الحكيم كتاب احكمت آياته ومنها الشفاء وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنها الهدى
والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما ومنها الحبل واعتصموا
بحبل الله جميعاً ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص
الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبياناً لكل شيء تلك آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم
ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجماً نجماً ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم لانه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان
من ربكم ومنها البشير والنذير قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً ومنها القيم قيماً لينذر بأساً شديداً ومنها المهيمن مصدقاً لما
بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي انزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز
ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه

جملة الاسماء وسيجئ تفاسيرها في مواضعها الرابعة في تاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم
مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول اي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل
اي الكامل في الرجولية وكقوله شعر هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان
يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وذلك الكتاب جملة
اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو
الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة
عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب البحث الثالث في قوله لا ريب فيه مصدر رابني حقيقة قلق النفس وروي الحسن بن علي عن النبي
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما
تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي مر بظبي حاقف اي معوج مضطجع بسهم فقال لا يريبه احد
بشيء اي لا يزعجه والحاصل ان الريب شك وزيادة ظن سوء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه
قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب
ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم في الواقع دلالة
على ان الشك فيما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير لو فرض فوجد ازالته ان يجربوا انفسهم ويبرزوا قواهم في البلاغة
هل تتم للمعارضة ام تتضائل دونها فان قلت هلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود منها
ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد وهو انه صادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من
الكتب كان في قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة
توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب
قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه
مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه
في مقابلة الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد لم يكن
مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه اجيب بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان
الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد
قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطرد فخطا لوقوعه صفة للقرآن
وان زعم حينا فصحيح لوقوعه في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجاها
اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء وهو في الشرع المؤتمر المامور المجتنب عن المحظور
واختلف في الصغائر انه اذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم وروي عنه انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس
حقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله
وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير
الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس ان النبي قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس
فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن ادهم
ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا الواقدي ان تزين سرك للحق كما زينت
ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى :. كن مثل ماش
في طريق الشوك يحذر ما يرى :. لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى :. وفي قوله هدى للمتقين ثم في موضع اخر شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس محصورون في المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم اختص كون القرآن هدى
للمتقين وايضا المتقي مهتد فكيف يهدى ثانيا والجواب المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا كقوله انما انت منذر من يخشاها
انما تنذر من اتبع الذكر مع انه منذر كل الناس وبالاية قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة
واستدامة ما هو ثابت فيه ونحوه اهدنا الصراط المستقيم ولا كتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز من باب
تسمية الشيء بما هو آئل اليه للطف فيه انه لو قال هدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال لكان اطنابا في غير موضعه فان تقدير السورة

الرابعة

البحث الثالث

البحث الرابع وفيه مسائل الاولى

الثانية

الثالثة

من اهل الزهراوين وسنام القران واول المثابة ذكر اولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختص الكلام باجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فان قلت كيف وصف القران بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى
في ذلك للعقل لا للقران ومما يؤكده ما قلنا ما نقل عن علي انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقران فانه خصم
ذو وجهين ولهذا كان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد منه على التعيين عقلا كان
او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القران هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقران ليس
هدى فيه فكيف جعل نفسه هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى في تاكيد ما في
العقول ايضا فيعم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا
عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها متآخية
اخذ بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى
عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله فلا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا
لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي
الثانية ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب الذي ليس اهلا ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الاية
وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم
الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة بيانا وكشفا
وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية
قال عم الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال عم الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر
الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لبواقي الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله
عز من قائل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن
المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب باداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب
لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة مدحا على سبيل
المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات
الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته
امنه التكذيب والمخالفة والتعدية بالباء لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان
على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا
الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار او الوثوق كما مر من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى اخر وهو
ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن
عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال والافعال او
الاعتقادات وبعضهم كابي علي وهاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل
ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد فيه من الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب
كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب و
السنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فالمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك كل خصلة
من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة
وهذه الطاعات لا يكون منها شيء ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية
بعده كفر على حدة ولم يجعلوا شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار
الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من قال
الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان
اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم

من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف وقال اهل الانصاف ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته مريئا او غير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب ابي الحسن الاشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط ايضا بل المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله تعالى عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك ان الايمان اكثر الالفاظ دورانا على السنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقله ولتواتر وليس كذلك وايضا الايمان المعدى بالباء على اصله اتفاقا فغير المعدى ايضا يكون كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك نداه في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة سماهم مؤمنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق بجميع صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مؤمنة بعد قولها ان الله في السماء ويعلم مما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل وكما تم العرفان مات ووجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن النطق جاريا مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان وهذا حكم الغزالي رحمه الله قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فكلما ارتفع حجاب ازداد نوره فيتقوى الايمان ويتكامل الى ان يتبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شيء في موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين في جميع ما اخبروا عنه اجمالا او تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور والاجتناب عن كل محظور فينضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فيما لاحظه المؤمن لهذا النور ومطالعته له وموافقته واما الوجود اللفظي فلاصحته ما اصطلح عليه الشارع من شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان مجرد التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير النور المذكور لا يفيد للعطشان الناطق بالماء الزلال الا ان التعبير عما في الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بايمان المرء وكفره فصح جعل ذلك مما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض امر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان اي يعترفون او يثقون به وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب تسمية بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخففا فيعل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان بالغيب

حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان باطنهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم تباين حضورهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله في القران وورد في الخبر وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ولو لم يبق من الدنيا الا يوما واحدا لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من امتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلثة اشياء اما تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع في فرائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها في الاستعمال شعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا * غزالة اسم امراة شبيب الخارجي قتله الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا اي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام في الامر خلاف تقاعد عنه نعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع هذه المعاني تستحق المدح والثناء السادسة الصلوة في عرف الشرع عبارة عن الهيئات والاقوال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم فرضا كانت او نفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها في الاية الفرض لان الفلاح قد نيط بها في قوله صلعم للاعرابي افلح والله ان صدق بعد قول الاعرابي والله لا ازيد على هذا ولا انقص اي على الصلوات المفروضة واشتقاقها اللغوي اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم

اي وضع عليها الوسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها قال الشاعر

فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم

والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النار واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اي ملازما للسابق لان راسه عند صلوه والصلوان ما عن يمين الذنب وشماله والمصلي ملازم لفعله من حين شروعه الى ان فرغ والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال في الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام المأكول وغيره والمملوك وغيره والمعتزلة ومن يجري مجراهم زادوا قيدا اخر وهو ان لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال في الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان التمكين والانتفاع بالمرزوق مسند الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدره تعالى الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب لا سيما في هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه الثامنة انفق الشيء وانفده اخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وما قرب منه ويدخل في هذا الانفاق الواجب من الزكوة التي هي اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته ومن الانفاق في الجهاد ويمكن ان يتناول كل منفق في سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق واكن من الصالحين البحث السادس في قوله تعالى والذين يؤمنون الاية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحي نزل من عند الله سالف ومترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا اتيه بماضيه وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون المعطوف غير المعطوف عليه مغايرة المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن ابتداء بمحمد صلعم من غير ايمان قبل ذلك بموسى وعيسى ع واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن بمحمد صلعم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى ع او لم يكن ويكون السبب في ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرفهم وترغيبا لامثالهم في الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله شعر

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

بالهمزة تاء للجماعة الصحيح فاذا ثم فالالف الثانية قال في التفسير الكبير المراد من انزال الوحي ان جبرئيل سمع في السماء كلام الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يسمع الرسالة في علو فينزل فيؤدي في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل فيؤدي بلفظ نفسه فان قيل كيف سمع جبرئيل كلام الله وكلامه ليس حروفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا لكلامه ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز

ان يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقرأه جبرئيل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص
في جسم مخصوص فيتلقفه جبرئيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المودية لذلك الكلام واقول لك اذا تاملت ما اشرت اليه في
المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب ينكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب السماوية على التصديق بها
واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل ليقوم بواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله
تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية واما المنزل على الانبياء المتقدمين
فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكنا اذا عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب
علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الاخرة صفة الدار تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة تانيث الاخر نقيض الاول وكذلك
الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب اليقين هو العلم بالشيء ضرورة او استدلالا لا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله
تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقي واني موجود وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا
عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته فهو من غير ايقان وان اليقين بما عليه من امن بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبياء
وهذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الاخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة
والكافرين النار عن النبي يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا من يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاة الاخرة
وعجبا من ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعني النوم واليقظة وعجبا من يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار
الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة البحث السابع في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم
الاية وفيه مسائل الاولى في كيفية تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه احدها ان ينوي الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستئناف
واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين فخص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسئل فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستئناف
يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد
صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة كما في الاية احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها
ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستئناف على اولئك كانه قيل ما للمتحلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك
الموصوفون غير مستبعد ان يفوز وا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين و
يرفع الثاني على الابتداء واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في انهم سيفلحون عند الله تعالى والفصل من هذه الوجوه اولها لان الكلام المبني على السؤال والجواب
اكثر فائدة ولان الاستئناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت و
ايضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول كما من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد يصرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل واما
الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اي هدى لا يبلغ كنهه
قال الهذلي شعر فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم اي لحم واي لحم وارب بالمكان اذا قام به والاب تحم
للاستعظام اذ الكثير مما يكون للاشراف كان الاقسام بالطير يفيد لا استعظامهن لو توقعهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير
ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدي بها الا العلماء الثالثة في تكرير اولئك تنبيه على
انهم كما ثبتت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شيء واحد الرابعة هم فصل وفائدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدا والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته في الفاء والعين
يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمي الزارع فلاحا ومعنى التعريف في المفلحون اما العهد اي المتقون هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون في الاخرة او الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على
طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة فان في ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت

لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم بنا بلباس المتقين واحشرنا في زمرة من صدّرت بذكرهم البقرة وروى قد في الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم طال ما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم فسيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون فليأخذ العاقل بحكمة الله تعالى وهو نوط الثواب تعليقه بالعمل الصالح والسبي الا بما هو غير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب لم يعهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالسنة الى قدرته من اشباع شخص واروائه من غير تناول الطعام والشراب او بالعكس هذه نكتة شريفة ينتفع بها

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى

بدرستيكه آنان كه كافر شدند يكسانست بر ايشان چه بترسانى ايشان را كه نگروند مهر نهاده است خدا بر دلهاى ايشان و بر گوشهاى ايشان و بر

أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

ديدهاى ايشان پرده است و مر ايشان راست عذابى بزرگ

القراءة أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروى حلواني عن هشام آانذرتهم بينهما مدة الباقون يحققون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم ممالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان والي عمر وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن انصار واشعارها واشباه ذلك حيث كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقرا حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو اسحق ابرهيم بن احمد عن الحرث عن علي وورش من طريق البخاري مدغمة النون والتنوين في الواو في جميع القرآن عظيم بالاشمام في الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو الاختيار عندنا الوقوف لا يؤمنون على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم التفسير فيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم ايضا نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس شعر عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم في الذي وجد انه لا يوجد كقولك انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء وكانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون الثانية لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحهم ذكر بذلك اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلافا في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الحكمين ههنا في الغرض والاسلوب الاولى مسوقة بذكر الكتاب انه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذا اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستيناف مبني على تقدير سؤال وذلك ادراج له في حكم المتقين وتصيير تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول كذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدأ واولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين كالانساط بينهما حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق بجحده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطى ولبسه فوقه قال في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وامثاله ان كلامه الازلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مترتبين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول فيقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متأخر عن زمان الوصول فيقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هنا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين انما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الآية فافهم الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم

واخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه
مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما
يمنع من عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى
الاستفهام راسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام
كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في المدخل عليهما الهمزة وام استواؤهما في علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين
كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معنيان احدهما استواء طرفي الحكم في ذهن المستفهم
والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب فائدة العدول عن العبارة الاصلية وهي سواء عليهم
الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول اليأس عليهم مما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله
تعالى بل في علمنا فنزلت الآية بحيث يليق بحال الناس باب التفهيم والتصوير او يقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح
ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن
ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف الواخبر عن الامرين بطريق الهمزة وام فالهمزة فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن
المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتاثير الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع
وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتي قبلها او اعتراض لا ساد ستر الختم والكتم اخوان لان في معناهما الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كما
لم يتطلع ... لا يتوصل اليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد به
تارة اللحم الصنوبري المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء
بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهي
والقيام بموجب التكاليف ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده
انما امرنا الشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فكان القلب بل اللحم الصنوبري من عالم الخلق الذي هو بقيض ذلك الا له الخلق والامر
وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحه
السمع قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له
انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج
تلك الحركة تلك العصبة فتسمع قال ابن سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة المجوفة
تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية في الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام
الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء فيلاقي المبصر وياخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصار وفي الاكثر يسمون
ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين كنسبة البصيرة الى القلب لكل من العين والقلب نور اما نور العين فينطبع
فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئي مدرك جزئي واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلي مدرك كلي والادراك لكل منهما عبارة
عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه ويتدرج في الضعف بحسب تباعد
المرئي حتى لا يدركه او يدركه اصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا
على انوار الكواكب والسرج فان ذلك لانه من خواص الانوار المحسوسة والملزومات المختلفة لا يستدعي الاشتراك في اللوازم وهذا
القدر من التحقيق في تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان
الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار
ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان (تصفوا)
زمانكم زمن خميص اذ لا يلتبس لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن نحو فرسهم وثوبهم والمراد الجمع ثنوه ومنها ان السمع في الاصل مصدر
والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على حواس سمعهم ومنها الاستدلال
بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور السابقة من الناس من قال السمع افضل من البصر
لتقدمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف من
العقول الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى البصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق
بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق الاسماع الريح والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجائب الله تعالى
في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع وقد اسمع الله كلام موسى من غير سبق سؤال وتوقف في الرؤية وفي المثل ليس وراء العيان بيان

العين جمال الوجه وان الاصم من الحيوان من فقد حساً فقد فقد علماً وهو المتوقف على ذلك الحس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر
والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل فسبحان
من دبّر في كل مصنوع حكمته واحسن كل شيء خلقه لنا ان منها الاولى منها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سيان
والآية الثانية منها بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالآيتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق
وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسئل عما يفعل
واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف يختم فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل
ونحو ذلك من الآيات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وقدرته قالوا ولو الآية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه
يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى تخلو في زمرة
الانعام لا تعي شيئاً ولا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه
ولا في طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في
الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم
لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن
ترك القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كانوا يقولونه تهكماً بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبيح لا يليق
بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتأثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى
القول بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر
لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود
والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين
حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله
تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة والسطوع اذا روعيت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن
قادراً على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن علمه وقدرته وتأثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فالهداية
والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتأثيره وعلمه وارادته
والآيات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله
كثيرة وكذا الاحاديث علوا فكل ميسر لما خلق له كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج آدم وموسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل
والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه
الذي يذكره المخالف فانه يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل في مبدئيته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى
صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام
الآخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين
ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال
المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل منها بوجود الآخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف
ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يتبين الشبع والري ولله در القائل وبضدها تتبين
الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقاً يعملون بعمل اهل الجنة وللنار خلقاً يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل
من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الآية
وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكاً
باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد الحديث اذا تؤمل فيما قلت ظهر انه لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح
اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح
العقليين ليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزراء قربا وبعضهم كناسا بعيدا كلا
منهما من ضروريات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع ان كلا منهم ضروري في مقامه فهذا القائل
يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فافسد حين اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانها لما

بينا انه تع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تع الشئ الفلانى كذا انه ليس له ان يقول مثلا لم جعل الشمس
سببا لانارة الارض غاية ما فى الباب انه يقول اذا علم الله تع ان الكافر لا يؤمن فلم يأمره بالايمان ويبعث اليه النبى فاقول فائدة
بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة يرجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما انت منذر
من يخشيها كما ان فائدة نور الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس
بالنسبة الى الاكمه واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة
عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
وهو بالحقيقة النعى عليهم بانهم فى اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم لغاية نقصانهم كما ان الاكمه ربما لا
البصراء ولا يعرف ان النقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرائى وظهور النير موجودة وانما يعرف نقصانهم ارباب
الابصار واما حديث التفرقة الضرورية من الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لا ريب ان للانسان
ارادات وقوى بها يتم له حصول الملائم واجتناب المنافى الا ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تع فكانه لا اختيار والتفرقة التى
سببها ان الرعشة نقصت واسطة هى الداعية وفى الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات وا
بها فى سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نذكرها فى كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لم يستفد
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل الناسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول عذب عن الشئ اذا امسك عنه كما تقول نكل
عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمى كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اى عقابا يردع
الجانى عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فيستعملان فى المعانى والاعيان جميعا تقول حل
عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم
لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه العاشر يقول المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله تع تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله
ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد فى القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب العفو وذكروا فيه دلائل عقلية مبنية على الحسن
والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله تع منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه
من غير توسط ذلك العذاب والضرر الخالى عن المنافع قبيح بالبديهة كقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى لم يفعل
ترتب عليه العذاب وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف ووجد لكنه لا يستعقب العقاب
وكقولهم انه سبحانه هو الخالق لداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفى الله
عنه ترى هذا الكرم العظيم ما بقى فى الاخرة او سلبت فقول واثلت المعذبين لا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم
ولم كان فى الدنيا بحيث قال ادعونى استجب لكم وفى الاخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون والجواب ان تعذيبهم نقل الينا
بالتواتر عن النبى فلا مصير الى انكاره والشبه التى تمسكتم بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح واقول قد ثبت بالبرهان اليقينى فى المسئلة
الثامنة ان وقوع فريق فى طريق القهر ضرورى فى حكمته تع وكل ما يقتضيه حكمته وكماله كان حسنا والعقليون من ظن انه قبيح كان لخلل فى عقله
وقصور فى فهمه فلا قبيح فى النظر الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا
وبعضها للحشو شرجدرانا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعالا بطانها الافراس حيث يرى كلا منها فى مصالح الوجود
ضروريا ثم العذاب هو بالحقيقة البعد من الله تع لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك عن اللازم واما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصى
بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك ان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهى انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال
الى الاخرة الا ترى انه لو قال الطبيب الحاذق لمريض اشرب الدواء الفلانى فى اليوم الفلانى فقصر واخر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك قال انى امتثلت
الان لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك لواحد افعل الامر الفلانى فى هذا الوقت ففعله فى وقت اخر او بعد مثلا لم
ينفعه الايمان الا ان عرض الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
سنت الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون صدق الله العظيم ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم

واز مردمان كسى است كه ميگويد كه گرويديم بخدا و بروز واپسين و نيستند

بمؤمنين يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله

گروندگان مخادعه كنند خدا را وانانكه گرويدند و فريب نه دهند بجز نفسهاى خود را و درك نكنند در دلهاى ايشان ناخوشى است

مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم

ناخوشى او مر ايشان را عذابى دردناك بجهت تكذيب ايشان وچون گفته شود ايشان را فساد مكنيد در زمين گويند كه جز اين نيست كه ما اصلاح كنندگانيم بدانكه ايشان

المفسدون ولكن لا يشعرون ۝ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن
فساد كنندگان ليكن نمى دانند وچون گفته شود ايشانرا بگرويد چنانكه گرويدند مردم گفتند آيا بگرويم چنانكه گرويدند بيخردان آگاه باشيد بدرستيكه ايشان بيخردانند وليكن

لا يعلمون ۝ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ۝ الله يستهزئ
نميدانند وچون رسيدند بآنانكه گرويدند گفتند گرويديم وچون تنها شدند بدوستان خود گفتند كه با شمائيم جز اين نيست كه ما استهزا كنندگانيم خدا استهزا ميكند

بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ۝ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
بايشان ومهلت ميدهد ايشانرا در گمراهى ايشان سرگردان اند آن گروه آنانند كه خريدند گمراهى را براستى پس سود نبخشيد سوداگرى ايشان ونبودند راه يافتگان

القراءة ومن الناس بما لذكر اقتيد ونصير كل القرآن ما كان مكسورا من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف وورش من طريق النجاري مؤمنين غير مهموز ابو عمرو وعن شجاع ويزيد الاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير ابن ذكوان من طريق ابن مجاهد النقاش وابن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء الا بقلب الاولى واوا وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبهها مما اختلفت الهمزتان فيها الا ان يكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء اذ حضر والشباه ذلك مستهزؤن بترك الهمزة في الحالين يزيد وافق حمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها ومن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو طغيانهم حيث كان قتيبة ونصير وابو عمرو بالهدى وما اشبهها من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقراء اهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة يجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم الوقوف بمؤمنين لما مر في المقدمة الثامنة آمنوا لعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي لا يشعرون لا لاية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لان الفاء للجزاء وكان تاكيدا لما في قلوبهم مرض عطف الجملتين المختلفتين يكذبون في الارض لان قالوا جواب وعامله مصلحون لا يشعرون كما آمن السفهاء للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فليعجل رد السفه عليهم لا يعلمون آمنا لتبدل الجملة الكلام معنى مع ان الوصل اولى لبيان حاليهم المتناقضتين وهو المقصود شياطينهم لان قالوا لجواب معكم تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بانا مستهزؤن يعمهون بالهدى لانقطاع النفس ولا يلزم العود لان ما بعده يدن ما قبله مفهوم مهتدين التفسير فيه مباحث المبحث الاول في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية وفيه مسائل الاولى عن مجاهد قال اربع آيات من اول هذه السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلث عشرة بعدها نزلت في المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل هو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل هو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من التراكيب بعد عشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان واختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا لانه خاف كما عرف مات فجاءة فيكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الائمة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المشهور من ان المقلد مؤمن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد واختيارا فكافر معاند النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختيارا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز لانه اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر اما اذا كان اضطرارا فلا يكفر صاحبه لانه توقف اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار ولم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب ان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره وباطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء احدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اي خرج الثانية زعم قوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الآخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وانهم قصدوا التلبيس والكافر

ولذا اما الفعل المبني للمفعول من الاجوف بالاشمام

الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وايضا الكافر ما رضي لنفسه بالكذب بل يستنكف منه
والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلي ولعلظ كفر المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف
حال الكفار في ايتين وحال المنافقين في ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزء بهم وتهكم بفعلهم
وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة الثالثة قصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف
الجملة على الجملة واصل ناس اناس بدليل انسان وانس واناسي حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله شعر ان المنايا يطلعن
على الاناس الامنينا قليل ونويس من المصغر الاتى على خلاف مكبره كانيسيان سموا بذلك لظهورهم وانهم يونسون اى يبصرون كما
سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول كما يقال وزن قِ افعل وهو اسم الجمع كرجال اللاتى من اولاد الضان واما الذى
مفرده رخل بكسر الخاء بكسر الراء ومنع من يقول موصوفة ان جعلت اللام في الناس للجنس لقوله من المؤمنين رجال ليكون معنى الكلام
ان في جنس الانس طائفة كيت وكيت فيعود فائدة الكلام الى الوصف فان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة تكون لا محالة
من الناس ولا يجوز ان يكون من موصولة ح لان الصلة تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فيبطل فائدة الوصف فيه فيبقى الكلام
غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن يكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا لما
ذكرهم ولا يجوز ان يكون موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يجاوبه نظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المختوم
على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم
فيقع ذكره ضائعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ومجموعا
اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الاية في يقول وامنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله و
الايمان باليوم الاخر لانهما قطر الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين
على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الاخر وان كانوا من اليهود فكيف يصح
ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم هذا
لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان
الحقيقي كان خبثا وكفرا الى كفر والمراد باليوم الاخر ما طرف الابد الذي لا ينقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى
ان يدخل اهل الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم
امنا والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت لما اتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها احدثنا الدخول في الايمان لترويج
دعواهم الكاذبة جيئ بالجملة الاسمية ليفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم استيهال ان يكونوا طائفة
من طوائف المؤمنين وكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا ونظير الاية قوله تع يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا وترك لدلالة التقييد في امنا ويحتمل الاطلاق اى انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا
من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما البحث الثاني في قوله يخادعون الله الى بما يكذبون اعلم ان الله ذكر من قبائح افعال
المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سميت الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا
اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السلامة والسداد وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير والتخلص منه فهي
بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم
الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال والدهر شعر تلك القناة التي علقتها عرضا ان الحليم وذا الاسلام يختلب
لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث
امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا
امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله
نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده
ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل
ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من
الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض
ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد لكن ذكره توطئة وتمهيد ووجه الاختصار يخادعون على
ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله

وحده من غير مغالبة لا مبالغة لزيادة قوة الداعي اليه يخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين
وقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم واعطائهم الحظوظ من المغانم
واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا من انه تع لم ابقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من
اغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر اعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته وتحل العقدة في الجميع بما سلف لنا
من الحقائق ولاسيما في تفسير قوله تع ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرء وما يخادعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة ايضا
لمعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرها يحيق بهم ووبالها تعود عليهم لان الله تع يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وانفسهم ايضا
يمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وان يراد وما يخدعون نجيئ به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تع
تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس من مشاعر الانسان حواسه المعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكن لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له
والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه
مرض ومجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على الرسول تع غلا وحنقا
واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن ابي وقوله لسعد بن عبادة لرسول الله تع اعف عنه يا رسول
الله تع واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج
اي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك ويراد ما يداخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان
ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم
من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل
الى المسبب كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم ابن المعز المغني كلما غدت ترددت شرا وكلما زاد رسوله
نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يقال الغل والحسد قد يفني مزاج القلب ويؤدي الى تلف
صاحبه كقوله شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله فافضا صاحبه الى الهلاك هو المعنى
بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله
وباليوم الاخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسمجته وما روي عن ابرهيم ع انه كذب ثلث كذبات احدها قوله اني سقيم
وثانيها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها ظالم انها اختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب
ولكن لما كانت صورتها صورة الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون المخبر عنه خلاف الخبر
والصدق نقيضه وقراءة من قرء يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو للمبالغة في كذب كما بولغ
في صدق فقيل صدق ونحو بان الشيء وبين ومنه قوله قد بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك قال ع مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان مقحمة ليفيد الثبوت والدوام اي بسبب ان
هذا شانهم وتحيرهم البحث الثالث في قوله تع واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال
المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي لهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا كذا
اما على يقول اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وامنوا ليس من اسناد الفعل
الى الفعل فانه لا يصح لكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبي اذا بلغه عنهم النفاق
ولم يقطع بذلك فنصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم ويعظهم
واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح و
هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي ان المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تع فان الشرائع
سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج
وكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد على ما هواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد
وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مؤمنون اوهم ذلك ضعف امر النبي ع
واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه يلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين
ولما نهوا عن الافساد في الارض وكان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب

سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا قيل لا تفسدوا لا تمالئوا الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة
هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار اذاعة اسرار المسلمين
ونسبتهم انفسهم الى الاستقامة وجيء باداة القصر لدلالة على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اي حالنا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه
الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولافادتها التحقيق لا يكاد
تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما والذي ابكى واضحك والذي
امات واحيا والذي امره الامر ردالله ما ادعوه من الانضمام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعاءهم ذلك مع
توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكمهم فرد الله عليهم وكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان من
التاكيد ومن قبيل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع في قوله واذا قيل لهم امنوا الاية هذا هو النوع الثالث
من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوهم
الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال حال الانسان
في هاتين وكان من جوابهم فيما بينهم او للقائلين ان سفهوهم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل شعر واذا اتتك مذمتي من
ناقص فهي الشهادة لي باني كامل وما في كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك
يكتب زيد كما يكتب عمرو وربما يصدقني كما عرواخي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن الرسول
ومن معه وهم ناس معهودون اي ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت ولتحصيل ايمانكم لحصول ايمان هؤلاء او امنوا كما امن عبد الله
بن سلام واتباعه لانهم من اجلائهم اي كما امن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشئ
عن الاعتقاد القلبي وجعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى
الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه واللعين او يتطوى تحته
الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجرة اذا امالتها قال
ذو الرمة جرين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم
واضلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا او ارادوا عبد الله بن سلام واتباعه لما غاظهم من
اسلامهم وفت في اعضادهم عن انس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ارض يخترف فاتى النبي فقال اني سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبرئيل انفا اما اول اشراط
الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد
واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان
تسالهم بهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام
قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي
كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى اوقع عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي تقدمت في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض
عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع اخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ومن اعظم السفه معاداة المحمديين يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم كالطود يحقر نطحة الاوعال ثم انه ختم هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان
الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري اما النفاق وما يؤل اليه من الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات
خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان فيما بينهم من التحالب والتجارب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر
العلم معه احسن طباقا له البحث الخامس في قوله واذا لقوا الاية هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم ثم الفرق بين هذه الاية وبين قوله
ومن الناس من يقول امنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء
بهم عن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله
في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم
اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا
رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت الاية لقيته اذا استقبلته قريبا منه وخلوت

بفلان وإذا انفردت معه يجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك أي أنهي إليك حمد فلان وذمه وعن ابن عباس أحمد إليكم غسل الإحليل أي أعلمكم أنه أمر محمود وشياطينهم رؤساؤهم وأكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم إما أكابر المنافقين فالقائلون إنا معكم أي مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم أصاغرهم وإما أكابر الكافرين فالقائلون يحتمل أن يكون جميع المنافقين وإنما فسرنا بالرؤساء لأنهم هم القادرون على الإفساد في الأرض وإنما خاطبوا المؤمنين بأضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم بأقواهما أعني الاسمية المحققة بإن لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان الناشئ عن صميم القلب منهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان كاملون إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق رغبة وباعث أصلي وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار القائلين ربنا إننا آمنا وإما مخاطبة إخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفي حيز القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد إنما فقد العاطف بين قولهم إنا معكم وبين قوله إنما نحن مستهزؤن لأن الأول معناه الثبات على الكفر والثاني رد للإسلام لأن المستهزئ بالشيء منكر له دافع ودفع نقيض الشيء إثبات وتأكيد للشيء أو لأن الثاني بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو لأنه قيل لهم ما لكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم إن الله تعالى أجابهم بأشياء أحدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف في غاية الجزالة والفخامة كأنه سئل ما مصيرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفي الالتفات من الحكاية إلى الخطاب أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي استهزاؤهم بالنسبة إليه كالعدم وفي تخصيص الله بالذكر مع قرينة أن المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قيل الاستهزاء جهالة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه إنزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الأقصى للمستهزئ وسمي جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أو عاملهم الله معاملة المستهزئ في الدنيا لأنه كان يطلع الرسول على أسرارهم مع كونهم مبالغين في إخفائها وفي الآخرة على ما روي عن ابن عباس إذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين فإذا رأى المنافقون الباب مفتوحا أخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون إلى الجنة وأهل الجنة ينظرون إليهم فإذا وصلوا إلى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وإنما لم يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقولهم إنما نحن مستهزؤن لأن المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات في شأنهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم في طغيانهم هو من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها وإنما قلنا إنه من المدد لا من المد في العمر والإمهال لقراءة نافع في موضع آخر وإخوانهم يمدونهم في الغي على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له قاله في الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهري مده في غيه أي أمهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ومعنى مد الله تعالى إياهم في الطغيان يعرف في تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بأنه لما منعهم الألطاف التي يمنحها المؤمنين بسبب كفرهم تزايد الرين والظلمة في قلوبهم تزايد الانشراح والنور في صدور المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا أو بأنه لم ينورهم أو بأنه أسند فعل الشيطان إلى الله تعالى لأنه بتمكينه وإقداره ولا يخفى ما في هذا الوجه من التكلف لأن انتهاء الكل إلى مسبب الأسباب من بديهة العقل كما قيل إن النكتة في إضافة الطغيان إليهم هي أن يعلم أن التمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم وأن الله بريء منه فإن الانتهاء إلى الله تعالى لما كان ضروريا نكتة ومن ذلك يعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى إلا أن العمى في البصر وفي الرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه وثالثها قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أي اختاروها واستبدلوها به وهذه استعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر قال أبو النجم شعر أخذت بالجمة رأسا أزعرا ❊ وبالثنايا الواضحات الدردرا ❊ وبالطويل العمر عمرا جيدرا ❊ كما اشترى المسلم إذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني إسرائيل يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الآخرة جعل تمكنهم من الهدى بحسب الفطرة الإنسانية الشخصية كأنه في أيديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفي المثل ضل دريص نفقه أي جحره والدريص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن لا يهتدي لأمره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال والتجارة مصدر وإنما أسند الخسران إليها وهو لصاحبها إسنادا مجازيا بملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك وخسرت جاريتك مجازا إذا دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شري الضلالة بالهدى مجازا أتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة ليكون الاستعارة مرشحة كقوله فلما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب

ابتغوا ذكر التعثيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وال ضلالة لزامر عدمي فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا ادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسئل ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ

مثل ایشان چون مثل کسی است که برافروزد آتشی پس چونکه روشن کردانید آتش کرداگرد او را ببرد خدا روشنی ایشان را و واگذارد ایشان را

فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ

در تاریکیها که نتوانند دید کران و گنگان و کوران پس ایشان باز نگردند یا چون ابری از آسمان که در آن تاریکیهاست و

رَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ

رعد و برق میگردانند انگشتهای شان را در گوشهای شان از صاعقها از ترس مردن و خدا احاطه کننده است بکافران

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ

نزدیکست که برق ببرد چشمهای ایشان را هرچند که روشنی دهد ایشان را بروند در آن و چون تاریک شود بر ایشان بایستند و اگر خدا خواهد هر آینه ببرد

بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ القراءة اذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو بالكافرين وما اشبههما كان في

گوش ایشان را و چشم ایشان را هر آینه خدا بر همه چیز تواناست المخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير وابو عمرو ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة

حمزة وخلف وابن ذكوان والوقوف نارا لان جواب لما فيهما من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيهما لا يبصرون ٥ لا يرجعون ٥ للعطف باو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقف لعطف الجملتين مع انها راسية وقد اعترضت بينهما اية على تقديره ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر المحذوف اي هم يجعلون او حالا عاملة معنى التشبيه في الكاف وذو الحال محذوف اي كاصحاب صيب الموت بالكافرين ٥ ابصارهم ط لان كلما استيناف قيه لان تمام المقصود بان الحال المضاد للحال الاول فاموا وابصارهم ط قدير التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامر ما اكثر الله تع في كتبه امثاله وتلك الامثال نضربها للناس وفشت في كلام رسول الله صلعم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره ... مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغير واما ههنا فاستعير المثل للحال والصفة او القصة التي فيها غرابة ولها شان شبهت حالهم العجيبة الشان من جنايتهم وتواضعهم من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يتوصلوا بذلك الى النعيم الابدي باستبطانهم الكفر فيؤل حالهم الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى شيء مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد بالذي استوقد ما جمع كقوله وخضتم كالذي خاضوا وحذفت النون لاستطالته بصلته او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة على انه يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص على حد نحو مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها واوقدتها انا واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندا الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء او يستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة والعام حول لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا الى المعنى كان الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال الجواب محذوف مثل فلما انهبوا به لما فيه من الوجازة مع الاعراض عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان ما كان من حصولهم خابطين في ظلام متحيرين خابثين بعد الكدح في احياء النار ثم ان سائلا كانه يسئل ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم اي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اي مثلهم كمثل الذي استوقد ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله انه اذا طفئت النار بسبب سماوي كريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة

مدة اشتغالها واضاءتها امنا فعها الدنيوية قليلة البقاء وللباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة
كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا
بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوءهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ في الغرض وهو
ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين
اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه ذهب السلطان بماله اخذه وامسكه وما
يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال
القلوب كقول عنترة شعر فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير
وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وتمنع في جمع الظلمة وتنكيرها
واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون وكذا
في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير
متعد ليسوا من اهل الابصار عن سعيد اصلا ومحل لا يبصرون اما جر صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا
ثانيا او حالا منهم مثل ونذرهم في طغيانهم يعمهون اي حال كونهم ليسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم
لخروج النبي واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك
النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن ايفت مشاعرهم وقيل لهم صم بكم عمي حيث
سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويستبصروا باعيونهم وانما قلنا ان ما في الاية تشبيه لا
استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به اذ لا يبقى الخبر بلا مبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون
الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد ان اشتروها لتسجيل عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون شعر وقف الهوى بي حيث انت فليس لي : متاخر عنه ولا متقدم : ومثله حال مريد
طريقة الذي له بداية ولازم خلوته وصحبته حتى شرقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق
فطرقته الهواجس فازعجته الوساوس فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه فضل يومه وامسه ثم ان الله تع
ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقيب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين
كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في
التشبيه بايهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد
شيء يقدر شبهه به بل يراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في مقام المطمع في حصول المطالب نجح المآرب لا يحظون الا بضد المطموع
فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك
اخر وتدرج من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا وكمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف
التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة كماء لم يعتبر الماء الكاف اذ التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لا بد له من
راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا
يكون تقدير المضاف ضروريا ويصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا
ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب لانه لالة
على انه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وذكر السماء هذه المظلة والفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء
انه جاء من السماء مغرقة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق لكنه غمام مطبق اخذ بافاق السماء وكما جاء بصيب
وفيه مبالغات من جهة التركيب من حيث البناء على فيعل والتنكير هذه لك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية على
العناصر باذن الله تع بحركتها وخلطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا اهيج الفلك بامتحانه الحارة بخارا من الاجسام المائية و
دخانا من الاجسام الارضية واثارهما بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعوده
حيز الهواء الى النار فيشتعل وربما سمي هذا الاشتعال فبرا اي كان كوكبا يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه
الاحتراق فرايت العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف فيرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدده في اقصى الهواء عند
منقطع الشعاع فيبرد فيتكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا فينزل

كما لو فيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني السحاب فنزل ان كان ثلجا وربما جمد البخار الغير
المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فنزل وكان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات
ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب في الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله
فتكاثف داخله واستحال ماء وجمد بشدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الجواهر البخارية
والدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح اذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار
سحابا بالبرد فتغلغل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فيحصل من تغلغله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما زاد
امتداد ذلك التغلغل لكثرة وصول المواد ويكون اعالي السحاب اكثف لان البرد هناك اشد ويكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع
الى السفل وتشتعل بالمحاكة والحركة نارا فيبرق فينشق السحاب شعلة لحجم يطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد ان كان قويا شديدا غليظ
المادة كان صاعقة وربما وجد منفذا فيه سهل الانشقاق فيخرج بلا رعد والاشتغال بهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا ضير في
معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول رتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من يستوي
والاخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته تراكمه وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه
وانسجامه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فلكونهما
متلبسين به في الجملة سوغ ذلك انما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري: يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده
وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل وارعاد وابراق ونكرت هذه الاشياء
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم
المذكور قال حسان: يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل لم يصفق لان المعنى ماء بردى وهي واد بدمشق
والبريص نهر من انهارها ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد
فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل انا ملهم مع انها هي
التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد الى
الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا لجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق اي من
اجل الصواعق نحو سقيته من الغيمة وقد تحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصيفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه هي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف
ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت واما بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد وللرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض يعاقب الحيوة لا يصح معه حس والله محيط بالكافرين مجاز اي قدرته لا
يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة و
لمقاربة الشيء فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو ههنا
يخطف والبرق اسمه والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفوده واضاء
اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم في مطرح نوره والمشي جنس
الحركة المخصوصة وفوقها السعي وفوقه العدو واظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر
عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما
همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء
الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لذهب بها وهذا الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما
لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر اوسع * قال عز من قائل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد
يجيء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه المراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقديره عدم الخوف ثابت فعلى تقدير
الخوف اولى والشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل
العقل من الاشياء ما لا يتعلق به قدرة القادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده
لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغني انا من الانات ولحظة من اللحظات عن تاثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته

ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي ع٣
ای مردمان بپرستید پروردگار خود را آنکه آفرید شما را و آنها را که پیش از شما بودند شاید که شما پرهیزگار شوید آنکه
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
گردانید از جهت شما زمین را مانند بساط گسترده و آسمان را چون خانه و فرود آورد از آسمان آب پس بیرون آورد بآن از میوها روزی شما پس قرار مدهید از برای خدا همتایان و حال آنکه شما میدانید

القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصدقكم وبورتكم وميثاقكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر وذلك كل صواب الوقوف تتقون لان الذي صفة الرب تعالى بناء لعطف الجملتين المتفقتين لكم لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون التفسير لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجاري امورهم عاجلا واجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام رونقا وبهاء ومزيدا للسامع هزة ونشاطا وهو من لطائف المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك اولا والان اريد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية تزداد قربا وحضورا وايضا الايات المتقدمة حكايات احوالهم وهذه امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهي ان يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف بالتكليف ويستلذ بهذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام ادعو او انادي لانشاء لا اخبار وههنا نكتة وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني استجب لكم واذا سألك عبادي عني فاني قريب فاذكروني اذكركم ويا وضع في اصل النداء لما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نائما او لتبعيد المنادي عن ساحة عزة المنادى هضما واستقصارا كقول الداعي في جواره يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد ليتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادي القريب المفاطن في غير هذه الصورة بيا ويكون المراد بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا نحو يا ايها الذين آمنوا يا عبادي يا ايها النبي كان ما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود بالنداء مع ضرب من التأكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تأكيده بكل واجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء فلا ارتياب انه لا يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان حكم الموجودين في عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا صحيح نسبة العبادة وذلك بان يعرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمأمورية والذلة ليعرف ربه بالآمرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا بوجه من الوجوه ولا قدرة بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا مائلا بين يدي مولاه طائعا له بكل ما يأمره وينهاه لانه اذا تصور كونه عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته في شيء اصلا اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والامر يصح نسبة عبوديته عن الاصمعي انه اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني قال اي شيء تأكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال ما تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل الكافر والمؤمن وكل من هو من اهلية الخطاب ويندرج فيه المبادي والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم القصور البشري وضعف قواهم الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس والتنبه لملابسة العبودية اما الامكان او الحدوث ومجموعهما كل منهما في الجواهر او في الاعراض اما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء وان الى ربك المنتهى واما الاستدلال بامكان الصفات خلق الله السموات والارض جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم عليه السلام لا احب الآفلين وبحدوث الاعراض دلائل الانفس ودلائل الآفاق فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك فالموجد بعد العدم له موجد

لهو

ليس هو نفسه ولا الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا الطبائع الفصول والافلاك لان الافلاك في افق الامكان فهو شيء غير مسلم بسمة الحدوث والنقصان وهذا الطريق هو اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى في فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعم السابغة ومننه وعطيته السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال واما قوله لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي والاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله محال والجواب ان الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم عالم بما يؤول اليه امره وايضا فمن ديدن الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لانجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحو ذلك لا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب فجاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وهذا الجواب مبني على ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي وجه بابها الاطماع والكريم الرحيم اذا اطمع فعل فيجري اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي وقال القفال في لعل معنى التكرير والتأكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد وكقولهم علك ان تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ جار مجرى قوله اعْبُدُوا رَبَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْبُدُونَ والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا صححوا النسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بتمامه بالاوامر واما ان يكون رفعا على المدح ايضا اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا قضية معلومة فادخل عليها الذي ليتنبهوا للجاعل وبعترفوا به فالحاصل انه تعالى عدد في هذا المقام على بعضهم خمسة دلائل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق اصولهم وثلثة من الافاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعهما وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشاه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون وينقلبون كما ينقلب احدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان من الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم وايضا خلق المكلفين احياء قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فذلك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم ويتر تب ههنا مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش كالمهاد للتمهيد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذلك او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت ما يلي المركز فكما انه لا يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود ايضا الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ومما امتن به على عباده في خلق الارض انه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها وتيسر الحفر والبناء وحفر الآبار واجراء الانهار ومنها ان لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف ليستقر الانوار عليها ويتسخن منها فيمكن جوارها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه ليصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو قريب من ربعها انها لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شيء منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الاختلافين ان يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاغراض الخاصة بالاستدارة ويستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر ونتوء الجبال وان شمخت لا يخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة في استدارتها ومنها الاشياء المتولدة

فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتحجر الرطب فيحصل التماسك في
ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض
قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض
ذات الصدع ومنها جذبها الماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار العظام
التي فيها والارض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تاخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة ومنها حيوتها وموتها وآية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النبات
المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر
ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان
وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاشجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار
مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن
الشريفة كالذهب والفضة ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنايع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير
من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة و
القدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن هنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا
افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشد الحاجة اليه في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا
من المنافع اكثر مما عددنا فاذا تامل العاقل في هذه الغرايب والعجائب اعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر
الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا و
جعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح وفي لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم
وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا
باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء و
محل الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير نجومها رجوما للشياطين و
علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وخص الشمس بطلوعها فسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف مع ما يصلح معه الهدو
والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة
والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة
سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم ترفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح
قطان الارض وههنا نكتة كان الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناء على كوة الفقير الجار فلا يصل النور
الى الفقير لكني ادير الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه ثم ان ارتفاع الشمس وانحطاطها قد جعله الله سببا لاقامة الفصول
الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويستكثف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوان
بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع يتحرك الطباع ويظهر المواد المولدة في الشتاء ويتور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي
الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار ويتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس
فيدرك الثمار ويستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواقيت
الشرعية ومنه تحصيل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده
فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر وقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا
اسئله لك ولئن اهديت الي سرورا لقد اهدى الله اليك نورا ثم انشا يقول شعر ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر وقد كفيتني التفصيل
والجملا ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا او قلت زانك ربي فهو قد فعلا وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يهتك
الهارب ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين كيفية ارتباط القمر وسائر
الكواكب بالشمس وكيفية حركاتها وبيان اختلافات اوضاعها وعلل كل منها فن براسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تاملت
في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة في
مصالحه كالمصابيح والانسان كالمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيآت لمنافعه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه

فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثالثة في ان السماء افضل ام الارض
قال بعضهم السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها ولما اتى ادم عم بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى
لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وورد في الاكثر
ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسموات مؤثرة والارضيات متاثرة والمؤثر اشرف من المتاثر وقال اخرون بل الارض افضل لانه
تعم وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا
حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام فان قيل واي بركة في المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق
لا يعلمهم الا الله تعم فلهذه البركات قال تعم وفي الارض ايات للموقنين تشريفا لهم لانهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء
من الارض منها خلقناكم واودعهم فيها وفيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض
وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم عم واولاده ثم علم الله اصناف حاجاتهم قال يا ادم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي
هي لك كالام فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي
ان اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منهما هل كان يحصل منهما هذه المنافع ثم جعلت هذه الاشياء في الدنيا
مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض ملك بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك
الوانا من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم معناه نردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه ذلك لان مقامك
من الام التي ولدتك ضيق ومقامك من الارض ثم انك كنت في بطن الام تشعر بها ما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام
الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا
لله بحيث كما مرة ما الخروج الى الدنيا خرجت اليها بالراس طاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك
الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيته بانه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد
وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما يتبصر بها من يستبصر
ويتفطن بها من يتعبر ومن في من الثمرات للتبعيض كانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى التبعيض لانه مفرد في سياق الاثبات فكانه قيل و
انزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع
الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمر بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم
الفا ثم ان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به
العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه
قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة او لان القلة
وضعت موضع الكثرة نحو ثلثة قروء او تنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الاخرة الخامسة قوله فلا تجعلوا اما ان يتعلق بالامر اي
اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ندا ولا شريكا او بلعل فينصب تجعلوا بعده
مثل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي
نصب لكم هذه الادلة القاطعة والايات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له تعم شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المنادي
من ناددت الرجل خالفته ونافرته وند ندودا اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه قوله وانتم تعلمون
يترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش
وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله
اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انها لا تماثل وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون
انها لا تفعلون مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في
الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر اما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين
اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعم خلق هذه الكواكب وهي المدبرات في هذا العالم فيجب علينا ان
نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعم والفريق الثاني عبدة المسيح عم والفريق الثالث عبدة الاوثان فيقول لا دين اقدم من دين عبدة
الاوثان لان اقدم الانبياء الذي نقل الينا تاريخهم هو نوح عم وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا
سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الان والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بان هذه

مفعول له

الجم المخوف في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض اخر سوى ذلك
والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته
ويعتقدون انه جسم وصورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا
تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله تعالى و
ملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه وثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما رأوا تغيرات احوال هذا العالم
مربوطة بتغيرات احوال الكواكب اعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد
انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله
والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها
قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا لعبادة تلك التماثيل
فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يتقنون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون
ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك
الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الامر بتطاول المدة واشتغلوا بعبادتها
في ذلك التعظيم ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته
وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيامة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم
اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها
وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهبهم عليها
حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما
تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة امثاله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل
التهكم وكما هكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يفيد في طريق عبادته
الا الحنفية والاخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء
القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح
وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا
وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب
التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم
عنها فقالوا هذه ارباب نستنصر بها فننتصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار
به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي
بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه منوچهر الملك على اسم القمر ثم كان
لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمراد ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات
بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلعم ينهاهم عن
عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر أربا واحدا أم
الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا
عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ﴾ واگر هستید در شک از آنچه فرستادیم
بر بنده خود پس بیارید یک سوره مانند آن و بخوانید گواهان خود را اگر هستید راستگویان پس اگر که
﴿تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ نکردید و هرگز نخواهید کرد پس بترسید
از آتشی که هیزم آن مردمانند و سنگهای کبریت که آماده شده است برای کافران القراءة ما يعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس نعرف بمثل الوقوف من
مثله صادقين والحجارة على تقدير هي اعدت للكافرين والوصل اجود لان قوله اعدت بدل الجملة الاولى او لها صلة للتي للكافرين ٥
التفسير لما بين بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبه بما يدل على صحة نبوة محمد صلعم وحقية ما نزل
عليه وقد ذكر في كون القرآن معجزا طريقان الاول انه اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء او زائدا عليه بما لا ينقض العادة
او بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا متهالكين

فى ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا فى الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فتعين القسم الثانى الطريق الثانى ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك انه لن يعارض فى مستأنف الزمان وان لم يعارض الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما فى وقت التحدى والا لزم تقرير المبطل المشبه للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجئ واعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة تدرك الاعجاز هو الذوق ومن الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب مما ينخرط فى سلك هذه الآراء فقد كذب بن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب تاثيرا لا يمكن انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد معجزتى ان اضع الساعة يدى على راسى ويتعذر ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل واية تسمية كل اسلوب غريب معجزا باطل وكذا تسمية كل كلام مبرأ عن التناقض ومشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزائد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثانى الا ان التحدى لم يقع الا بالقدر الاول وبه يثبت صحة النبوة لكن النبى صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلام صفته يجب ان يكون فى غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذن فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وهى فيما كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعانى والبيان والفصاحة اما معنوية وهى خلوص الكلام عن التعقيد والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك فى متصرفه ويشك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدرى من اين تتوصل وباى طريق معناه يتحصل واما لفظية وهى ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر عذبة على العذبة سلسة على الاسلات والحاكم فى ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما ينجع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع فى القرآن وجوه كثيرة تقتضى نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ فى الفصاحة النهاية التى لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها فى وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ضربة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس فى القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير منها انه تعالى راعى طريق الصدق وتنزه عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه لهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخييل ركّ شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق فى بيت وبيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح بكل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلاما لم يكن الثانى فى الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر فى القرآن فهو فى نهاية الفصاحة وغاية الملاحة
شعر

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد فى الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة فى هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن فى النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقرآن جاء فصيحا فى كل فن من فنون الكلام فانظروا فى الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وفى الترهيب وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفى الزجر فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من اغرقنا وفى الوعظ افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفى الالهيات الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعانى والبيان وعلم الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كما ان الانسان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق طاقة البشر
شعر

فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح

وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت فى تفسير لا ريب فيه وانما الخبر نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى فى ذلك انهم كانوا يقولون لو انزله الله لانزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اى على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا فشيئا حينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اصغر سورة وهى الكوثر ومعنى السورة مذكور فى المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون ان يقال على محمد كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد تشريفا له واعلاما بانه ممن صح لنسبة العبودية الماموله

في قوله يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير تنبيه وتوكيد لذلك كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقيل ان السعادة كل السعادة
في نسبة العبدية فهي التي توصل الى العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولذا عند المنكرة فلو لم يكن لاجل وكمال العندية في كمال الحرية
عما سوى الله واما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على اصناف كان افراد
كل صنف منها احسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان
انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا ومن ثم جزئ القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد
انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة
في الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بمحذوف اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا
والضمير للعبد معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب والنظم الانيق او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم
يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد ولم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه عليه المحققون لانه
ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك يطابق الآيات الاخر فأتوا بسورة من مثله فأتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع
في المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول فقضي الترتيب
ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فأتوا بسورة ممن يماثله ولانه لو كان عائدا الى القرآن اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله
مجتمعين ومنفردين اميين او قارئين ولو عاد الى النبي اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على
الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقرير نقص للنبي وايهام ان الاتيان بالقرآن ممن يكون قارئا ممكن وانه الاول لانه
هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فليأت واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهي جمع
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما الهتهم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد وقعتم
في منازعة محمد الى فاقة شديدة فتجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها الهة
مما انكروه من اعجاز القرآن واما اكابرهم ورؤساؤهم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة وليحكموا لكم وعليكم ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه الشيء الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها بتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذلك اذا كان انحط منه قليلا ودونك هذا اي
خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال
لعدوه وقد كان يتيمم عليه بانا انا دون هذا وفوق ما في نفسك ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم
او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلاثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق وادعوا
الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهي دونه : اي تريك القذى قدام الزجاجة
والحال ان الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم
بهم وادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تأبى عليهم الطباع وتمجهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد و
على الثاني يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداء يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد انما ندعيه حق كما يقوله
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم و
بيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشي
والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس فكانه قيل ادعوا غير الله
من الجن والانس من ابتدئتم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد وعلم
ان التحقيق في التحدي هو ان النبي يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوا هداكم
سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذي قد عليه باظهار الله تعالى اياه على يدي وانتم لا تقدرون عليه لعدم
اقداره لتعرفوا اني خصصت بمزيد فضل عنده واني صادق فيما اقول فان انصفوا من انفسهم بتسمية الله تعالى ونور هدايته تبعوا
واهتدوا والا بقوا في الضلالة خاسرين كل هذا من عالم الاسباب التي يظهر الله تعالى بها المواقع والحوادث حسب ما اراد فلا يلزم من هذا ان يكون للعبد
قدرة مستقلة يقع الفعل عليها بل الله يهدي من يشاء وكل بقدره وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فأتوا ولقوله وادعوا لان قوله فأتوا مقيد
بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم في ريب فأتوا وان كنتم صادقين في ان امكنكم

هذا الوجه

يعينكم او في ان القرآن غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام ولهذا لم يلزم الفاء في قولك انت مكرم ان جئتني وانما تقدم ما يدل عليه ومثله في القرآن كثير فاعتبره في كل موضع واما قوله فان لم تفعلوا ولن الآية فاقول ادلة انها تدل على اعجاز القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادونه صلى الله عليه وسلم اشد المعاداة ويتهالكون في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه صلى الله عليه وسلم ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف صلى الله عليه وسلم عاقبة امره لتهمة فيه صلى الله عليه وسلم حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه الغاية وثالثها انه صلى الله عليه وسلم لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا ولن في تاكيد بليغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قال صلى الله عليه وسلم لان احدا لو عارضه صلى الله عليه وسلم لم يمتنع ان يتواضعه الناس ويتناقلوه عادة لا سيما والطاعنون فيه صلى الله عليه وسلم اكثف عددا من الذابين عنه صلى الله عليه وسلم واذا لم يقع المعارضة الى الآن غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا يقع ابدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جيء بان الذي للشك دون اذا الذي للوجوب في القطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه الغالب قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول اي فهو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكنى عنه كما لو قلت اتيت فلانا واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجيء بالواو وبدون الواو وقد اجتمعتا في قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاتبعوني وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا اشنع بتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب سمعوه من رسول الله او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك في سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة وكلا والمعنى اتقوا نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها تتقد بنفس ما يراد احراقه واحماؤه او بانها لافراط حرها اذا اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب والحجارة قيل هي حجارة الكبريت وقيل هي ما نحتوها اصناما انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم عند الله وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتورية النقيض مطلوبهم ونحوه ما يفعل بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء في الحجارة لتاكيد التانيث في الجماعة نحو صقورة وقد يستدل في الخلد من هذه الآية ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة ومن قوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هي الافئدة اي وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا في درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

ومژده ده آنهارا كه گرويدند و كردند شايسته ها بآنكه مر ايشانراست بهشتها كه روانست از زير ايشان جويها هرچند كه روزي داده شوند از ميوه اي آن روزي را گويند كه اين آنست كه روزي داده شديم از پيش و آورده شوند بان مانند يكديگر و مر ايشانراست در بهشت زنهاي پاكيزه و ايشان در آن هميشه

الوقوف الانهار ط رزقا لا لان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ه

التفسير انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سنته المعهودة من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل هما الان مخلوقتان ام لا ظاهر الآية من نحو قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكن ادم وحواء الجنة وقد جمع الله في الآية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم

هو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرة ازال الله عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون تماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال العبيد ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو
الذي اظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوءه فاما
قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي
اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر ونهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول
زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان
بني اسد باحساني اليهم قال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة غير عزيز
كقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المامور في قوله وبشر اما الرسول واما كل من له استيهال
ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر كيف الهجاء وما تنفك صالحة ⁝ من آل لام بظهر الغيب تاتيني ⁝ والالف
واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في موجب التكليف واستدل بهذه الآية من قال
ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من
الاغراض كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ثم ههنا مذاهب منهم من قال العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا
استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطهما المكلف
بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما اوجده من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما طوي ذكر هذا
الشرط في الآية للعلم به فانه قد ذكر في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا
قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من امن وعمل صالحا استحق الثواب الدائم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق
العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة و
يعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على
معنى الستر كانها فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك
الجنان فلهذا نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب
على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا
ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا روح فيها وصور لا حيوة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس
كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من
تعريف الاضافة مثل واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن الآية وكلما رزقوا اما صفة
ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف اي هم كلما رزقوا او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات
اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية
لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فتقول من الرمان
فالرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير
وانما المراد النوع من انواع الثمار وجاز وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد على هذا يصح ان يراد
بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف
ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك انما يكون بنوع التفاح اولا وبالذات وبشخصه ثانيا وبالعرض لان التشخص امر زائد على حقيقة الشيء
فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي اي مثل هذا الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذي رزقوه
في الجنة لا يكون هو ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله واتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الآخرة ان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل ولانه
اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وفرط ابتهاج طال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصروا الرمانة والنبقة
في الدنيا وحجمها حجمها ثم ابصروا رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما يروى والشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابهر
للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة
يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل وان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال
القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق

كان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه مما التسايكى ثوابهم فى كل الاوقات فى القدر والدرجة
لا يزيد ولا ينقص واما الان الانسان اذا التذ بشئ واعجب به لا يتعلق بنفسه الا بمثله فاذا جاءه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية
اللذة وعن الحسن الاشتباه فى اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى اوتينا به من
قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبى صلعم والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فاهى
بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة الانسانية فى معرفة
ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان
كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل فى الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق فبعد الموت
وشاهد تلك المعارف قال هذه هى التى كانت حاصلة لى فى الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال اهل التحقيق جنة الوصول واشجارها
هى الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشراقات والالهامات وغيرها من
المواهب فانهم يشاهدون احوالا شتى فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذى شاهدته
قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى عم شاهد نور الهداية فى صورة نار فيكون تارة تلك النار
صفة غضبية كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة يقع فى محبوبات النفس فيحرقها وتارة تكون
نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شئ له صورة فى الدنيا فله فى الاخرة معنى اخر غير كقوله
فى دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم قوله واتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن
الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والانجاس لا سيما التى تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات
السوء وهما الغيان فيصحان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى ولهم جماعة ازواج مطهرة وفى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فى الو قيل
طاهرة وهى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهى ان المرأة اذا حاضت
فالله تعالى يمنع من مباشرتها قال فاعتزلوا النساء فى المحيض مع انها معذورة فى تنجسها فاذا كانت اللوتى فى الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن
اذا كنت نجسا بالمعاصى مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول فى المسجد الذى يدخل فيه كل
بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التى لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج ادم منها بسبب الزلة الصادرة
عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته ويستكره فكيف بمن صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصى والخلد
عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع بدليل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنهم
من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التأبيد داخلا فى مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا
تكرارا ويقال فى العرف جلسه جلسا مخلدا او وقفه وقفا مخلدا والخوف خوف الانقطاع ينقص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين

إِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ
بدرستیکه خدا شرم نمیدارد که بزند مثلی را پشه و پس آنچه بر تر است ازان پس اما آنانکه گرویده اند پس میدانند که آن حق است از پروردگار ایشان و اما آنانکه
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ
کافر شدند پس میگویند که چه خواسته است خدا باین مثل که گمراه میکند باین بسیاری و راه مینماید باین بسیاری و گمراه نمیکند بآن مگر فاسقان را
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
آنانکه میشکنند پیمان خداوندی را پس از محکم کردن و میبرند آنچه را که فرمان داده است خدا که پیوند کنند و فساد میکنند در زمین آن گروه ایشانند زیانکاران

الوقوف فما فوقها من ربهم لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة اما للتفصيل بين الجمل مثلا لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما
هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدى به كثيرا ط الفاسقين لا لان الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف المتفقتين فى الارض ط الخاسرون
التفسير لما بين كون القران معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا فى ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين
يعنى قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الاية وعن الحسن وقتادة
لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا
ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واخناس الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة فى حواضرهم وبواديهم
قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من الذباب واضعف من بعوضة وكلفتنى مخ البعوض ولقد ضربت الامثال فى الانجيل بالاشياء
المحقرة كالزوان حبة تخالط البر وكحبة خردل والنخل والحصاة والارضة والدود والزنابير فقال مثل ملكوت السماء كمثل زرع فى قريته حنطة
جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا

ليس حنطة جيدة نقية زرعت في قريتك فقال بلى قالوا فمن اين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوه
يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وافسر لكم
ذلك الرجل الذي زرع الحنطة الجيدة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة النقية هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله و
العدو الذي يزرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي التي يزرعها ابليس واصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنو آجالهم
فيحصدون اهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون
من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم في اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك
في ملكوت ربهم من كانت له اذن تسمع فليستمع وضرب لكم مثلا آخر يشبه ملكوت السماء رجلا اخذ حبة الخردل وهي اصغر الحبوب فزرعها
في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاءت طير السماء تعشش في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله اجره وعظم
ورفع ذكره ونجا به من اهتدى وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل في
صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ولا يلينها الماء ولا ينسفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة فتفسدها
عليها لباسها وهنالك رزقها وهن لا يغزلن ولا يحصدن منهن ما هو في جوف الحجر الاصم وفي جوف العود من يأتيهن بلباسهن و
رزقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تنثروا الزبرجد تحت ارجل الخنازير فكذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموني هذا ونحن نرى ان الانسان يذكر معنى
فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك ان من طبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال
واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثاني يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره
في الكتاب الذي انزل تبيانا لكل شيء ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبرء عامة بالغة وليس الصغير اخف عليه
من الكبير ولا الكبير اصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها الذباب والعنكبوت يحسن ضرب المثل وهذا فكيف
يضرب بالفيل والشيء المستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يخفى على من له ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم
وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال
حيي الرجل كما قال نسي وخشي اذا اشتكى النسا والحشا وكان الحيي صار منتقص القوة منكسر الحيوة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان امثال هذه
الصفات انما يجوز ان يطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادي كحديث سلمان قال رسول الله صلعم ان الله حيي
كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد بترك من يترك رد المحتاج
حياء منه ومعنى قوله ان الله لا يستحيي ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام
الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام شعر من
مبلغ افناء يعرب كلها :: اني بنيت الجار قبل المنزل :: فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحى
الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد فيصف كثرة مياه الامطار في طريقه وانه انما ذهب رائي الماء وكانه يعرض نفسه على النوق
تستحيي فتكرع فيه مشافرها السبت هو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد وفيه لغتان استحييت
منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث ضرب رسول الله صلعم خاتما من ذهب وما
هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان وصلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم اي
مثلا حقا والامر البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك انما يضرب به المثل هو مثلا كما يقال الخاتم مثل في الجود ومفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين لجري ضرب مجرى جعل والبعوض في اصله صفة على فعول من البعض القطع فغلبت
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه في معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقته انه مع صغره اعطي كل ما اعطي الفيل مع كبره ففيه اشارة الى ان
خلق احدهما ليس اصعب من خلق الآخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلعم ان الله خلق آدم على صورته اي على صفته فاعطاه
على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد كمال صفاته في مرآة نفسه جمال صفاته ومن العجائب ان خرطومه في غاية الصغر ومع ذلك
مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله تعالى في رأس خرطومه من
السم فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا تمثيل الله بكل هذه الاشياء او اراد
فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه صلعم مثلا للدنيا وهذا اولى لان الآية نزلت في بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء
الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول والفاء ههنا يفيد الترتيب في الذكر لانه يذكر في هذا المقام الاخس فالاخس كقوله بالاد رحمه الله العلماء
فالسبق لانه يذكر في تعريف الامكنة الاخص فالاعم فكان العليا موضع يسع يشتمل على مواضع منها السند واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد ان الذهاب منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب لذلك قال سيبويه في تفسيره مهما

بكر من

يكن من شئ فزيد ذاهب ليس مراده من هذا التفسير ان اما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت اى يكن فى الدنيا شئ لم يوجد فيها فزيد ذاهب فهذا جزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اى شئ فى الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شئ فيها فعن ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فاما الذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعى على الكافرين بجهلهم بالكلمة الحمقاء الحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره يقال حق الامر ثبت ووجب والضمير فى انه الحق للمثل ولان يضرب وما ذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون منصوب المحل فى حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله جوابه على الاول مرفوع وعلى الثانى منصوب وقد يجيء على العكس كما تقول فى جواب من قال ما رايت خيرا اى المرئى خير وفى جواب ما الذى رايت خيرا اى رايت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازى الارادة ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته والمه ولذته فالمتكلمون انها صفة تقتضى رجحان احد طرفى الجائز على الاخر لا فى الوقوع بل فى الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا فى كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق هذا اللفظ على الله تعالى فزعم النجار انه معنى سلبى ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتى ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبى وابو الحسن البصرى معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعى والصارف والاشاعرة وابو على وابو هاشم واتباعهما انه صفة زائدة على العلم ثم القسمة فى تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الاخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون قديما وهو قول الاشعرى او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية او قائما بجسم اخر ولم يقل به احد او موجودا لا فى محل وهو قول ابى على وابى هاشم واتباعهما وفى قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة فى عبد الله عمرو بن العاص حين افتى بنقض ذوائب النساء فى الاغتسال يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ما اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير فى انفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادى الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم فتسبب لهديهم وازداد الكفرة رجسا الى رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا يهوين فى نجد وغورا غائرا والفاسق فى الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن فى انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين وهو كالكافر فى الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان فى كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعنى اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العالم بانه بحر ليسكت عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شئ من روادفه والعهد الموثق عهد اليه فى كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين ما كل من ضل وكفر لانهم نقضوا عهد الله ما ركزه الله بآرائه فى الآفاق وفى انفسهم وبما ركز فى عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى حقيته شرائعه بعد ان احتج العلامات وازالة الشبهات واما قوم من اهل الكتاب فقد اخذ عليهم العهد والميثاق فى الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم امره وامر امته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الذى اخذه على جميع ذرية آدم واذ اخذ ربك الاية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير فى ميثاقه للعهد والميثاق اسم بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اى من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق الله تعالى به عهده من آياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم وقطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين وقطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق فى ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور لان الداعى الذى يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به وللامر حرف واحد هو اللام الجازم نحو ليفعل وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل فى الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وفى غيره من الندب والاباحة يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذى ينبغى ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اى بوصله والا

بما في الارض اما الظاهر المعاصي واما الشرائع واثار الفتن اولئك هم الخاسرون في قوله لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في

چگونه كافر ميشويد بخدا و بوديد مردگان پس زنده كرد شما را پس ميرانيد شما را پس زنده ميكرداند پس بسوى او باز گردانيده ميشويد اوست آنكه آفريد براى شما آنچه

الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم القراءة فاحياكم وبابه بالامالة على ترجعون

زمين همه را پس قصد كرد بجانب آسمان پس راست كرد آنها را هفت آسمان و او بهر چيزى داناست بفتح التاء وكسر الجيم كل القران يعقوب

وهو وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى وابو عمرو الوقوف فاحياكم للعدول اى ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ط سموات ط عليم التفسير هذه الاية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيتولد بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرنا ووجهه هو ان الكفار حين صدر الكفر منهم لابد من ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالث فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله من المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين سائر الاحوال الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله وجاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم بالصانع او الجهل به في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام اي في حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال العلم بهذه القصة وهي انكم كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا والحال كذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فيجب ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجب للصرف عن الكفر فصدور الفعل عنهم بصورة اختيار في الترك مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا ايشك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ في الصور وحين تسئلون في القبور ثم اليه اي الى حكمه ترجعون اي بعد الحشر للثواب والعقاب فتجزون وهذه القضايا ايضا مما لا ايشك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ابو عيينة السعدي واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ❊ ولكن بعض الذكر انبه من بعض ❊ ولا يخفى ان الاية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماته ثم ثلث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم واتيناه اهله ومثلهم معهم واعلم ان هذه الاية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لله فيبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اي يعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لابد من حيوة ثانية للسؤال وللحشر ثم من الرجوع اليه للثواب والعقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه احياه وصوره واحسن صورته وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بان يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا عين ويبقى مدة مديدة في اللحد ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون شعر افادني بجلاء قبري كان اقاربي لم يعرفوني الهي اتينا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيمة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الاية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكر للاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف فظاهر الاية لا تدل الا على خلق ما في الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد به الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اي مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشيء الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنائع والحرف وبعضهم استدل

بعضها

بهذا على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان ينتفع بها ويمكن ان يقال بل هذه الاية دالة على ان تصرفا في ملك الغير
من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بالغرض فانه وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان
عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان تكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا فيما اذا كانت فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية
اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرع دقيق يتنبه له من يسر عليه قيل انه
تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا قابل الكل بالكل فيقتضي مقابلة الفرد بالفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل
والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء
العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا اولا ولم يكن متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل
ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها
بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق
وهذا كقولك لاخر اعمل هذا الثوب وبعد ما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين
قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات عن
خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر وكقوله ثم كان من الذين امنوا وتفسير هذه الاية في قوله قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك
هذا القدر ثم استوى الى السماء في يومين ومجموع ذلك ستة ايام فان قيل اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلنا لا جاء في الكتاب
الا ان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وزيف بان الارض
جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل ان خلق الارض وخلق
ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض
بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف ايضا بان قوله ءانتم اشد
خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها
مقدما على تدحية الارض بل على خلقها لانها ستة ازمان وحينئذ يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما
هو على جهة تعديد النعم مثاله ان تقول لغيرك الست قد اعطيتك النعم العظيمة ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته في الذكر مقدم في الوقوع
قلت وهذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة في انه تعالى خلق الارض
اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسويهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها
اعظم مما كانت عليه كهيئتها الان والله تعالى اعلم والضمير في سويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا
ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان المحصول بعد الطلب اعز من المساق بلا تعب قيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة
والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص
قط وبه يهدم بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه تعالى لو لم يعرف تفاصيلها لم يكن مخلوقاته على الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير يعلم الدر
في الاجواف والدرة في الاصداف والقطرة في البحر والخطرة في الصدر وهذا على بديع نظام العالم وبه يحصل قوام مناهج نوع ادم ثم ان العقل قد يدل على
وجود سبع سموات وتخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رأيهم ولها من الجانب الاعلى
الحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها محيطا بالكل وثانيها للثوابت جميعها لتحدد الادنى الدرجات لاتحاد
الحركات وان كان كونها على فلك شيء جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب كسف
بعضها بعضا اولها مما يلينا للقمر وفوقه للعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل وما زعم بعض الناس في زيادة الفلكين
الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان يتصل نفس بمجموع السبعة فيحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة تحركه حركة الخاصة ويكون الثوابت
على محدب ممثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك
الا هو وما هي الا ذكرى للبشر **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ**
صدق الله العلي العظيم وچون گفت پروردگار تو مر فرشتگانرا که من قرار دهنده ام در زمین جانشینی گفتند که آیا قرار دهی در زمین کسی

وتقدير الاقوات في يومين

مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ القراءة خليفة وشبا
کسی را کہ فساد کند در ان و بریزد خونها را و حال آنکہ ما تسبیح میگوییم ستایش تو و تقدیس کنیم از برای تو گفت کہ من میدانم آنچہ را کہ شما نمیدانید بالامالة عند الوقف
ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف
نحو خاصة وفرضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشفقة واما العين والحاء والراء ففيه الاختلاف عن اهل المدينة فاشدهم امالة
حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب انى اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو
والوقوف خليفة ط بناء على ان عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل اذ لو عامل اذ وصل الدماء ج لان انتهاء الاستفهام على قوله يسفك الدماء
يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح بحمدك يقتضي الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون ○ التفسير هذا ابتداء الاخبار من
كيفية خلق ادم ع وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط في سلك ما تقدم من النعم فان النعم على الاباء نعم على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرف
اي اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب
للنبي ع او لكل واحد من بني ادم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك واصله مالك بتقديم الهمزة من الالوكة
وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها
على اللام والحاق التاء لتانيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف العلية وان كان بعده في عقولنا واذهاننا
وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة وقدم الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف العالم السفلي بوجود الانبياء
فيه وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب منهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول
اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات
ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب منهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران
قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا
يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة الا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضيء
وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم
طوائف من النصارى انها هي الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين
وقال اخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية كنسبة الشمس
الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت نوعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي
خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة
المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة الاثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة والتركيب المعجونات و
استخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان لجالينوس وجع في الكبد فرأى في المنام كان امرا امره ان يفصد الشريان الذي على ظهر كف اليمنى
بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء ع في اثبات الملائكة وذلك كالامر
المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال ع اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني
ادم عشر الجن والجن وبنو ادم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض
الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في
ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه
وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها يكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد
او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم
الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل ع والملائكة الذين هم جنود جبرئيل ع وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون
عن عبادته ولا يسامون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبرئيل صاحب
الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة وملائكة يدخلون
عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني ادم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا
العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي ع منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون و
مسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه

وامره ومنهم الحفظة لعباده وفي السدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من
الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة
واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى
الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا
فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل
في الارض خليفة وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص
خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان ومعناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار
الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت
الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم
وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به ادم عليه السلام اما لانه صار خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه ويروى
ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو
المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن ان المراد بالخليفة ابناء ادم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض
وانما وحد بناء على من يخلف او خلفا يخلف او بالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات السماويات والارضيات
ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه ليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح
الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكاة الجسد في زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها من صفاء العقل يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور في مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل
والاحسان والرأفة والرحمة واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما
تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا اعلم ان الجمهور
من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء
من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهي مامور بتركه الا وداخل فيه بدليل صحة الاستثناء وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الايات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل والاعتراض
على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني ادم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك
وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا قوله تعالى ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما
قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بان الانسان
يسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد والا لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم
وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك
السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا
بحكمة غيره ثم راه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من
يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فيه ابلغ حكمتك ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانه قيل الهنا انت الحكيم
الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا الجواب للمعتزلة واستدلوا على ان
الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء
الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس لك التقديس تنزيه فعاله عن صفة الذم
ونعت السفه ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم
الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشر القليل وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان
على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها ان قولهم اتجعل مسألة منهم ان يجعل
الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تهلك فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم
وصلاح هؤلاء فبين ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج
الايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك
لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي

ايجادهم وفيه ان استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية المذنبين الخوف
عن الغيبة ان من اراد ابراز السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع
منه مطلقا واما بنعمة ربك فحدث فكانهم قالوا اما سألناك للقدح في حكمتك يا رب فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة
وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان اولى وروي عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم همس الملائكة
فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعلم منه واكرم عليه فلما خلق آدم عم وفضله عليهم علمه الاسماء
كلها قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوهم على حال الجن
الذين كانوا قبل آدم في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط
المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود
وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او انه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه
اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء او لانه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا
ذلك ولان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود
الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال
لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية
منهم تظهر وفي ما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشرور ام لا فالفلاسفة
وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل ما معصية وترك الاولى
وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مزجورين وقال لا
يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى
فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب الواو في ونحن نسبح للحال كقولك تحسن الى فلان وانا احق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله
من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد والتبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم
لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات
واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون
انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة
والولد سبحانه ان يكون له ولد انا الذي خلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية
للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي علم لا بتعلم المعلمين ولا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح ومن آناء الليل فسبح و
اطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على التسبيح وسبحوه بكرة واصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لي الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار
والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده
ايها العبد انا الغني عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا اضيع ثواب
هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكي يصل ثواب هذه الاشياء اليك ان من اجتهد
في خدمتي جعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية
لتنتفع به لا انا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات الذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما فرضتموني ان كنت انا الغني خذ الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر ولو شاء الله
لانتصر منهم ولكن اذا نصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم اخدمني يا ايها الناس اعبدوا ربكم لا لاني احتاج الى خدمتك فاني انا الملك
ولله ملك السموات والارض لكن اصرف خدمتي عن نفسك لتنال ملكا كبيرا واجرا كثيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم قوله بحمدك في موضع الحال اي

نسبحك متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله للملائكة
سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم
القيمة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحى الذى لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس
وابن مسعود نسبح اى نصلى والتسبيح الصلوات وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا
عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة فى انوار معرفتك انى اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تعتمدوا ان فيهم من يفسد ويسفك فانى
اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم ابليس وفى قلبه من الحسد والكبر والنفاق شئ كثير وانكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم
تسبحون انفسكم لا انى لتسبيحى اصيرنا حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدونى ثم يخشوننى يؤدون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذينهم من خشية ربهم مشفقون والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وادخلنى
برحمتك فى عبادك الصالحين واعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفى عليكم ولكم فى هذه الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالى كلها حكمة
ومصلحة وان خفى عليكم وجه كل واحد واحد على ان قد بين لهم بعض ذلك فى قوله **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ**
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ (وآموخت بآدم نامها را همه پس عرضه كرد آنها را)
(بر فرشتگان پس گفت كه خبر دهيد مرا بنامهاى اينان اگر هستيد) **صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا**
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ (گفتند كه اى خداى منزهى تو نيست دانشى مر ما را مگر آنچه آموختى ما را)
(بتحقيق توئى داناى) **بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي** (استوار گفت اى آدم خبر ده ايشان را)
أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ (بنامهاى ايشان پس چون خبر داد ايشان را بنامهاى انها گفت آيا نگفتم شما را كه من)
(پنهاى ميدانم پنهانى آسمانها وزمين را وميدانم آنچه آشكار ميكنيد) **وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** القراءة انبئونى وكذلك خاطئون وخاسئين
ومالئون ونحن المستهزءون وليطفؤا وليواطؤا ومتكئين وقل استهزؤا ومتكاء وليستنبؤنك بابهمز يابا ويريئون وبابه كهيئة واشباه
ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو هؤلاء بغير المد ولا بالمد يزيد ويعقوب وقتيبة ويصعب عن قالون قال ابو اسحق ها كلمتان لا بمد
وبعد هؤلاء ان همزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وقرأ ابو عمرو والنبرى من طريق الهاشمى بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية
وكذلك فى المضمومتين واما فى المفتوحتين فكابى عمرو وانبئهم عن ابن عامر وابيان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة
الهاء والباقون مهموزة مضمومة الوقوف صادقين علمتنا الحكيم انبئهم باسمائهم ج لمكان فاء التعقيب باسمائهم لا لان قال جواب
فلما تكتمون التفسير فيه ابحاث الاول الاشعرى والجبائى والكعبى على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك
الالفاظ وتلك المعانى وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعانى بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا
يدل على ان الملائكة وآدم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب ابى هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر
واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد الهم بعث داعية على الوضع مثل وعلمناه صنعة
لبوس لكم اى الهمنا او المراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل آدم واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل
على ان المراد بالاسماء اسماء المسميات فان قلنا المسميات غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض اللام عن المضاف
اليه كما فى قوله واشتعل الرأس اى علمه اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها ولده اليوم من
العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده فى نواحى العالم تكلم كل واحد بلغة
واحدة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون تناسوا سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغى ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك
صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فالاسم هو
العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشئ كالمرتفع على ذلك الشئ فان العلم
بالدليل وانما قلنا ينبغى ذلك لان الفضيلة فى معرفة حقائق الاشياء اكثر من الفضيلة فى معرفة اسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها
على آلة تدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لآدم تلك الآلات وقد عرفها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربى
لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتى لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل ان حصل التعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقائق الاشياء
فالعقل يتمكن من تحصيله فيصح وقوع التحدى به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ المذكور لان فى جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب
الكامل على الناقص والتذكير على التأنيث ومن الناس من تمسك بقوله انبئونى باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف
لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين اى فى انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اى فى قولكم انه لا شئ
مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له تقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلمونى باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين

الفصل الثانى فى

في تلك الاعلام وقيل اخبروني ولا تقولون الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوبيخ لما هم عليه من القصور لانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يجيزوا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطأهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا ذلك فكيف نعلمه وانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الا ان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم يفسدون في الارض فقلنا اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك تسبيحا اي نزهتك تنزيها وهو مصدر غير متصرف اي لا يستعمل الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية فاذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجري في الاعيان تجري في المعاني قالت المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالاية على انه لا سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله تعالى وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلي اذا فسرت التعليم بوضع الدليل فعندي حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله تعالى انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك تعليم ادم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل ادم خليفة في الارض وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض مستحضرا لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الا انه تعالى جاء به على وجه ابسط واشرح فيندرج فيه علمه باحوال ادم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون ما اسر ابليس في نفسه من الكفر والكبر ان لا يسجد قيل لما خلق ادم رات الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسروه بينهم فابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثاني قالت المعتزلة ما ظهر من ادم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء والى من توجه التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابرهيم الى لوط واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات والا فان علموا فقد قدروا على المعارضة والا فكيف عرفوا ان ادم اصاب فيما ذكره اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا وان ادم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا او يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من ادم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق ادم والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات او من باب الارهاص وهما عندنا جائزان القاطعون بانه ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب الزجر والتحقير فوجب ان يكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هي الاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون رسولا الى الاشرف فان المرء الى قبول القول عمن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء وانها عرفت التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان في السماء احد من الجن البحث الثالث في فضل العلم لو كان في الامكان شيء اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل ادم بذلك الشيء ومما يدل على فضيلته الكتاب والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك ما يروى عن مقاتل ان الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم واتيناه الحكم صبيا واتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ولقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة ورابعها القران يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي العلماء في اصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم جعلهم في الايتين في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون امنا به و بشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم وبالبكاء والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى

عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبآية
انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبي صلعم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين
فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة له بني بكل قدم مدينة في الجنة له ويمشي على الارض
والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ايضا عن النبي صلعم قال من طلب العلم لغير
الله لم يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه
الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا له فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان
بينه وبين الانبياء درجة في الجنة وعنه صلعم رحمة الله على خلفائي فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها
عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا
لعلمي بكم ولا اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلعم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحر
عن ابي هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم من العلماء فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد سبعين
درجة بين كل درجة حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته
لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال صلعم لعلي حين بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت وعن مسعود
مرفوعا من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن عامر الجهني مرفوعا يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء
يوم القيمة لا يفضل احدهما على الاخر وفي رواية فيترجح مداد العلماء وعن ابي واقد الليثي ان النبي صلعم بينما هو جالس في الناس معه اذ اقبل ثلثة نفر
فاما احدهم فراى فرجة في الحلقة فجلس اليها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع وفر فلما فرغ صلعم من كلامه قال الا اخبركم عن النفر
الثلثة فاما الاول اوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض الله عنه وعنه صلعم يشفع يوم
القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فاعظم مرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات الانسان
انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبي صلعم اذا سالتم الحوائج فاسئلوها الناس قيل يا رسول الله
ومن الناس قال صلعم اهل القران قيل ثم من قال صلعم صباح الوجوه قال الراوي والمراد باهل القران من يحفظ معانيه وقال صلعم كن عالما او متعلما
او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس
همج لا خير فيه ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده كن سبعا خالسا او ذئبا او كلبا حارسا واياك ان تكون
انسانا ناقصا وعن النبي صلعم انه كان يحدث انسانا فاوحى الله تعالى اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر
فاخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلني على اوثق عمل في هذه الساعة قال صلعم اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم وقبض قبل
المغرب قال الراوي فلو كان شيء افضل من العلم لامره النبي صلعم به في ذلك الوقت واما الاثار فقد قال مصعب الزبير لابنه تعلم العلم فان يك لك مال كان
لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال علي بن ابي طالب رضه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله
وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص هو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له
وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا
سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى هو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم
علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء
غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي على ثلثة اصناف وذلك اني افسر القران فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر
محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يكون كان مؤمنا مخلصا وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها الله
وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقبل صلوة العتمة والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك
في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم ارأف بالتلميذ من الاب والام لان الاباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا وافاتها
من نار الاخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول وقال بعضهم سل مسئلة الحمقى واحفظ
حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة الاشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء
ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة
وجاء بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علي بن ابي طالب رضه العلم افضل من المال بسبعة وجوه العلم ميراث الانبياء
والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره
المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن جميع الناس يحتاجون الى العالم في امر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال العلم يقوي الرجل

عند المرور على الصراط والمال ينقص منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم فنزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب ما دام يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه لانكساره فيكون في زمرة انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق ينفر عن الفسوق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منهن وان كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم ادم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عم علم التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية وعلم محمدا صم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم ادم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى ويوشع له وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس الغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن امه وعلم محمد صم لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد ادم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد صم فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين ويوسف بتاويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتاويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وايضا فان يوسف عم ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسر الكلام وسميا النفس ووارثا النبيه داعيا الخلق وواعظ العباد وسراجا لاهل البلاد وقائد الخلق الى جنة وثوابه زاجرا لهم عن ناره وعقابه كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء وروي عن نافع بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر قال لولده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروة وانس في الوحشة وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك لا يقدر احد على سلبه عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد لا تامر احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا ترفع شكايتك الا الى من ترى نفعه عنده حتى تكون حكيما فاضلا ولبعضهم فالرغما ضعف السياسة وافة العلماء حب الرياسة واما النكت فالعصيان عند الجهل لا يرجى زوالها انظر الى ادم فانه لعلمه استغفر والشيطان عصى وبقي في العناد الا ان ذلك كان لسبب الجهل وان يوسف عم لما صار ملكا احتاج الى وزير فسال جبرئيل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا تراه في اسوء الاحوال فقال لجبرئيل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال له جبرئيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب عن يوسف يستحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خدمة ملك فقال الملك اذهب تعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه فقال اترك التعلم فقد صرت اهلا للخدمة فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك لجهلي والان علمت ان الباب باب الرب قال حكيم القلب ميت وحيوته بالعلم والعلم ميت وحيوته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا اخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البريء من غير جرم فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت باوزار المعصية كيف لا تطهر ببركة العلم بالله بصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته خلا وكذا الزاني يقول تزوجتها فانه لا يحد واما الحكايات ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء منهم ابو يوسف فاتي برجل فادعى عليه انه اخذ من بيتي مالا بالليل ثم اقر الاخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لابد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للاخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان

الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتاتيني ببينة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال اتيك ببينة واضحة
من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جرأته بقوله يا حجاج قال ولا تاتني بهذه الاية ندع ابناءنا وابناءكم فقال اتيك بها واضحة من كتاب
الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن ابو عيسى فقد الحق تعالى عيسى بذرية
نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرأ هذه الاية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل
المدينة جاؤا الى ابي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة
الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا
نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد الزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما
اخترنا الامام في الصلوة فقرأته قرائة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يا ابا حنيفة يوما فقال الربيع و
هو يعاديه يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك
بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال يا
يا ربيع لا تتعرض ابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي ويحكى انه دخل اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق
ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال
احضر لي امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا فقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت
فلما سكت قبض على اللص ورد الله تعالى عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما اني اريد
التزوج من ال فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى يسهل الامر عليك بعد ذلك
فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل
ذلك فاشتد على اهل المرأة وجاؤا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك فالطريق ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا
اليه فقال الزوج اني اريد شيئا اخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقررت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليها
فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك فحصل ببركة علم ابي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين وسئل ابو حنيفة ارضي بهذا والا اقررت
عن رجل حلف ليقربن امرأته في نهار رمضان فلم يعرف احد الجواب فقال يسافر بامرأته فيطأها نهارا في رمضان وقال بشر المريسي للشافعي
كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب على شيء واحد كان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على
خلافة هذا الجالس فاقر به خوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سأل الحسين عليه السلام حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها
من اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القران او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم
واما القران ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله يقول اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين
ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة
فاسألك عن ثلث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلثة
فكل ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال عليه السلام اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله قال
فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال عليه السلام فان اخطاء ذلك قال فمال معه كرم قال عليه السلام فان اخطاء
ذلك قال فقر معه صبر قال عليه السلام فان اخطأ ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين عليه السلام ورمى بالصرة اليه واما الوجوه العقلية
فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل وهو
العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة
حاضرة وكما يعيش يموت ويبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب كلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم وبدرك العقل هو الله
وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد بجميع حكامه واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال
العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في اخر حالك في
غاية الشرف وفيه ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما يستحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم
موهبة ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر لاجل الام الاختصاص
في قوله لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد

مكالمة

مكالمة

مكالمة

وجوه فضيلة العلم العقلية كما بوضحه

معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه
ثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند
السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد
من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم
العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى ع
بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف
ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ
القول على السلاطين وما ذلك الا ببركة العلم ومنها انه ص قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك ان التفكر يوصلك الى الله والعبادة
يوصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عظم الحكمة
فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال
سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا
العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان
التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا
قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد ان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر واما
الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابعة عشر منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه
فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم ولا نعمل ولكن
قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل والعلم شفيع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تع يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون
ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى
جنتي برحمتي وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للعالم
العالم يا جاهل تأذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك العلم انما يحب
لكان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان
ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله
ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له ولو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك
عن خبره وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق
الاشياء والاشتغال بعبادة الله تع والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح
في بحار المعقولات فيطالع الموجودات والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط و
المركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره
ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه وجزئيه فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها
وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولاجل ما لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من
القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل تع صفة
العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة آدم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابراهيم اشتغل في اول امره
بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو ملة
الحنيفية وان الله تع سمى العلم تارة بالحيوة او من كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور
يهدي الله لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغي طلب
كيفية الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهواء وكذلك
علم الزاهد صاف ويتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق وما الاخبار والآثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه
او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه ص قال لا تجالسوا العلماء الا اذا دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن
العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقالوا الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا

نعلم

الى قصدها

الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا
لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فنودوا اذا اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بي بارزتموني بالعظائم واذا القيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوا جلالتي
الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي ولم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب اربعة
من الموضع السلامة ومن المصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من
المصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة والكراهة فالكلب خير منه واذا لم تجد من المال الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم
المنفعة فالموت خير منه وقيل لا يتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروة الا بالتواضع
ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال
علي بن ابي طالب لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع اخرته
بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير اخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة
وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزء من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا
البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال ما يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات
المعلوم على ما هو به الكل اكثر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج
علم الله تعالى عنها فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر بطولها ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب
تمييزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك
النور فهو مدركه فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور وهكذا ادركات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نوريته وشروقا ازداد انبساطه فيقع فيه المعلومات اكثر
وهكذا يكون الحال في كل مستكمل ما اذا كان العالم بحيث يكون كالات الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نوريته ولا يتجاوز من تلقه
في العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكامل في النور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره
نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها ازلا وابدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها
لغيرها يتفطن لبعضها من وفق لها من اهلها البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل
الى حقيقة المعقول الثاني الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى
الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة
في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى
عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الله تعالى حكاية عن الشاعر لي لست اذكره وكيف
اذكره اذ لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حصول المعنى في النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا
في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق فجعل العرفان اشرف من
العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية
وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان ادركه
اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معرفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت
من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب لا افهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع
التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يقفون على المقصود الاصلي من التكاليف
العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك
اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية
وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثاني عشر الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح
وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك
ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان متحققا بالانفصال
عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والاراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال

بيان الآفية

الفهم
العقل

النفس من التصديقات الحاصلة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجري مجرى التضرع الى الله تعالى في استنزال العلم من عنده السادس عشر
الحدس وهو قوة للنفس بها يهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى
من تمكنه كالنار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس
نحو تحصيل حق وحفظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة
بصداقة الام وعداوة الذئب الحادي والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال
العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثاني والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته
وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل
اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهي تمكن
النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال عم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة
وحدث الناس اخبر تقله السابع والعشرون الرأي وهو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من
الرأي والرأي للفكرة كالالة للصانع ولهذا قيل ماله رأي الرأي الفطين الثامن والعشرون الفراسة وهي اختلاس المعارف من فرس السبع الشاة
فضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب لاصفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبي عم بقوله ان في امتي لمحدثين
وان عمر منهم وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان على بينة من
ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني والله اعلم التأويل عن النبي عم ان الله خلق آدم فتجلى فيه فالتجلي علمه والتخلق باخلاقه
والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المرآة تكون خليفة المتجلي فيه انبئوني باسماء هؤلاء المخلوقات دون اسماء الله
صفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات حامدي ايمانا الافضليتهم
بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم
وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله تعم وعلم آدم لان الملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوز
ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انبائهم بها لان الجسمانيات نسبتهم
كالحيوانيات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم آدم الاسماء كلها
لا يكلفون تكليفا بما لا يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه في انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان
خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على
اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الوجود وكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من
ذلك اسم يلائمه حتى ان اسماء الله تعم جاءت على وفقه فضلا عن غير اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا
كان الله رازقا ولما كان عبدا كان معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان
منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام ظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا
و چون گفتیم مر فرشتگان را که سجده کنید آدم را پس سجده کردند مگر ابلیس که سر پیچید و تکبر کرد و گردید از کافران و گفتیم
يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
که ای آدم جای گیر تو و جفت تو بهشت را و بخورید از آن فراوان هر جا که خواسته و نزدیک مشوید این درخت را پس گردید
مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
از ستمکاران پس لغزانید ایشان را شیطان از آن پس بیرون کرد ایشان را از آنچه بودند در آن و گفتیم که فرود آیید بعضی از شما بعضی را
عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ
دشمن است و از برای شماست در زمین آرامگاه و بهره تا وقتی معین پس فرا گرفت آدم از پروردگار خود کلمه چند پس توبه کرد بر او بدرستی که او
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ
توبه پذیر مهربان است گفتیم که فرود آیید از آن همه پس اگر بیاید شما را از من راستی پس هر که پیروی کند راستی مرا پس نیست
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ع
بر ایشان و نه ایشان اندوهناک شوند و آنان که کافر شدند و تکذیب کردند بآیات ما آن گروه یاران آتشند که ایشان در آن جاویدانند

القراءة الملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة روى ابن مهران عنهما اشمام الكاف الكسرة برفعان الهاء وروى

الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين السائل والبائس فانهما
بالهمز شئتما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وعن طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فازلهما حمزة آدم بنصب كلمات
رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي محياي ومثواي بالامالة كل القران على غير ليث النار بالامالة كل
القران وكذلك كل كلمة في آخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قراها على غير ليث وابي حمدون وحمدويه و
النجاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات فروى ابرهيم بن حماد عن اليزيدي
الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا في وقف ابي عمرو
في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد عن الحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة
عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف بليس لانه معرفة والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذي ولا عامل فيجعل الجملة حالا
الكافرين شئتما لاتفاق الجملتين الظالمين ه كازافيه ص الجملتين المتفقتين عدة لاختلاف الجملتين حين فتاب عليه ط الرحيم جميعا
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون النار ج لان ما بعدها مبتدأ وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لا ولذلك لان تمام المقصود
هو الخلود مثل ما ان حلو حامض خالدون التفسير لما خصص الله تعالى آدم بالخلافة ثم علمه من العلوم ما ظهر به ذلك مزيته على
جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى السجود ههنا ظاهرا لان قوله تعالى في موضع آخر فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل تسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم ولتعليم الاسماء و
مناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر
والعبادة لغيره كفر فزعم بعضهم ان السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة لقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت
شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف : عن هاشم ثم منها عن ابي حسن : اليس اول من صلى لقبلتكم : واعرف الناس بالقران والسنن
وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم من الساجد وزعم آخرون ان المراد
بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على
الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية
كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود
بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال
اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان
من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل ان يكون بمعنى صار
والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في هذه الاية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الاية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل
اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر
والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن
كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار وانهم من نور لقوله خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن
عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا
ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل اولى لان تخصيص العمومات في كتاب الله
اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين ظهراني الوف من الملائكة فغلبوا عليه هذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان
التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار اما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة
لم يتناوله الخطاب باسجدوا ولم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم فصار منهم فتناوله الامر لما تبين في اصول الفقه ان
خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ
آخر ما حكاه في القران بدليل قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة
بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الاية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول
وقالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون
وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بما حكي عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند
العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من

النار

اعظم

فيه معنى السجود وفي ان ابليس من الجن

الهم

تتمة الاولى

في بيان الاخص اعمال الملائكة

الهرم والمرض والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك اجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية
بمعنى كثرة الثواب الثانية عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله عليه السلام اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اى اشقها
واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومتنزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم
خائفين وجلين كانه لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة لان الانسان ليطغى ان راه استغنى ويؤكده
قصة آدم فانه اطلق له في الجنة جميع الاشجار الا شجرة واحدة ومع ذلك فلم يملك نفسه الثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام
الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث السآمة وهذا شان الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا
وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم يطيب
قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص الثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال عليه السلام افضل
الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما الثالثة عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى
الاية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب ارايت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا واولئك عليهم لعنة الله
والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان التنفس
فيما غير آلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آلة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها
ويلعنون اعداءه ببعض آخر وبان ثناء الله يستلزم تبعيد من يعتقد في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة
به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد يقع على وجه يستحق بها
ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم الرابعة انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها الخامسة الملائكة رسل الله الى الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد
ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم متوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسل فلم قلتم انه كذلك كما
لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره والى ملك آخر السادسة انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة النزع
والرياسة فيهم لهذا قالوا اتجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم ورد بان تقوى الانسان
اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا السابعة لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني
مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف عن خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية
الملائكة المقربين في نفي المسيح للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعهما مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا
يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من
القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من المسيح فقط دون غيره الحجة الثامنة ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان آدم وحواء لو لم يعتقدا فضيلة الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان آدم لعله اخطا في ذلك الاعتقاد
اما لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت سلمنا انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته وتسليم مفضوليته
نبوته وان سلم مفضوليته ونبوته وقتئذ فلم لا يجوز ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من
الانوار وآدم خلق من التراب فاغتر ورغبه فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تقلبا ملكين فيصح استدلالكم وان يكون
المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول لغيرك ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان
دونك فكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غاية ما في الباب ان الاية تدل على مفضوليته وجميع الانبياء الحجة التاسعة ولا اقول
لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك اى لا ادعى القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعى قدرة
مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفي ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجميلة
والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشرة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا في الصورة ورد بان قولها فذلكن الذي لمتنني
فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق
المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة الحادية عشرة وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلفين والانسان افضل منهم واما المكلفون وهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب
ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم
على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا ان جنس الملائكة

افضل من جنس

فى بيان خلق الملائكة من الانوار ... الافضلية

افضل من جملة بني ادم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الاخر ان يكون كل احد من افراد المجموع الاول افضل من افراد
المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر
في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب الثانية عشر
الانبياء ما استغفروا الا بدءا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابراهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم لكن طلبوا المغفرة للمؤمنين واغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب تفضيلهم في العز
والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها الثالثة عشر وان عليكم لحافظين وبد
فيه الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل ورد بان الحافظ
والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود الرابعة عشر يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله
ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان للمجلس تقف حول سريره ملوك الاطراف لا يدل على انهم اكرم عند السلطان
من ولده الخامسة عشر والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا قال الشاعر
شعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله والمشركين وقع النزاع
في تقديم الاسم كذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو لا يفيد الترتيب عوض تقديم ثبت على الاخلاص السادسة عشر ان الله
وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه ولا تشريف بل
الامر بذلك السابعة عشر ان جبرئيل افضل من محمد لان الله تعالى وصفه بست صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بانه وان وصفه ههنا بهذا القدر لاقتضاء
المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا الثامنة عشر ان جبرئيل كان معلما للنبي ولغيره من الانبياء لا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم
بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم
الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة ادم
ولان تعليم جبرئيل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبرئيل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم التاسعة عشر ومن يقل منهم
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوه الا في دعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب
مزيد ثوابهم العشرون قال حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملاء وهذا يدل على ان الملاء الاعلى اشرف ورد بعد قبول
خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملاء الاعلى خير من ملاء عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان
الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة والبشر مركب
من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني
ينبغي ان يكون افضل مما له طرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجود الملائكة ورد بان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها النوعية
والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني الجواهر الروحانية مبرأة عن الشهوة
والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق ادل على الاخلاص وايضا من البين ان درجتهم خير
قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر
ولهذا قال حاكيا عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين الثالث انها بريئة من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها حاصل
في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك فلهذا قال وانى لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل
التام اشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج المتعلقات من القوة الى الفعل كالتحريكات
العارضة لارواحنا الحاملة لقوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري
في النفوس الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود
الا الله ولئن سلم انها وان كانت ممكنة الوجود لذاتها فهي واجبة الوجود بمبادئها عورض بما عليه كثير ان النفوس البشرية ازلية بمباديها وكانت
كالاظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبدا الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد والتشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها
واستحكم الفها بها فبعث من تلك الاظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكور
في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الاخر ورد بان الشرف

خالفوا امر الله لمام
ملاء خير من م
من المحققين

عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السموية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على
احاطة الارواح السموية بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل
كلذة البشر لعروض الفترات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد
من قوله انا عرضنا الامانة الاية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت
بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها
قوة على نقل الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الخامة اللطيفة تشق الصخرة الصما
وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر بنفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين
على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلي لا فيما هو شر لهم واعترض
بانه لا مانع من ان يتفوق نفس ناطقة بشرية كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة
من انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد
في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع الافلاك كالابدان
والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي
لحصول الاختلافات في هذا العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل يكون عللا ومبادي لها فهذه هي الاباء وهناك
المنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى العاشر الروحانيات الفلكية مبادي
الروحانيات هذا العالم ومعادها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر
الشيء ومصعده اشرف منه المبدء واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد دون ذلك خرط القتاد الحادي عشر ليس ان
الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي الذي بلسان الملائكة يعينونهم في المضائق ويهدونهم الى المصالح كما في نصر لوط وكيوم بدر وحنين وكما في قصة
نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر اخر العمل ولا يلزم من كون
الشيء واسطة افضليته الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه
اخر وهم البشر يحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت هو الانسان والناطق غير المائت هو الملك والمائت غير الناطق وهي
البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب للقسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود وانما
لما مر غير مرة من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القائلين بفضل الانبياء على الملائكة الاول ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم وثبت ان
ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية
كما مر وخلق الدنيا متبعة لبقائه والاخرة مملكة ولجزائه ولعن ابليس للتكبر عليه وجعل الملائكة حفظة لاولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين
لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول لدينا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف الكمال الثالث انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم
والاعلم افضل الرابع ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل
هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الاية دخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين على محمد وههنا
لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والتقريب ظاهر السادس عبادة البشر اشق لان الادمي
له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مامور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من خطر
المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية
فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت مامونون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا
كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر السابع خلق الملائكة عقولا بلا شهوة وللبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب
هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين
بالاخر الثامن الملائكة حفظة بني ادم والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روي ان جبريل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج
ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل عليه السلام قال لو دنوت انملة لاحترقت العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين
في الارض اما اللذان في السماء فجبريل وميكائيل واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكائيل وزيراه
فهذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز
ان يظن انه معذور بين انه غير ذي عذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا فقد العاطف نحو قولك البشر تباسر عيني

وآل ابراهيم

والملائكة من العالمين

تختلج لا تقول فيعني لانها بيان ثم انه جاز ان لا يكون الاباء مع الكبر فعطف استكبر عليه ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان
من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله
بالعبودية كان منافقا كافرا اما عندمن يمنع الاحباط فلا خفاء لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستانى
في اول الملل وعن شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله انى سلمت ان البارى تعالى
الهى واله الخلق عالم قادر حكيم الا ان لى على مساق حكمته اسولة الاول انه قد علم قبل خلقى اى شئ يصدر عنى فلم خلقنى وما الحكمة فى خلقه
اياى الثانى اذ خلقنى على مقتضى ارادته ومشيته فلم كلفنى بمعرفته وطاعته وما الحكمة فى التكليف مع انه لا ينتفع بطاعته ولا يتضرر بمعصيته
وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقنى وكلفنى فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة
فاطعت وعرفت فلم كلفنى بطاعة ادم والسجود له وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك فى معرفتى وطاعتى والرابع
اذ خلقنى وكلفنى بهذا التكليف على الخصوص فاذ لم اسجد فلم لعننى واخرجنى من الجنة واوجب عقابى مع انه لا فائدة له فى ذلك ولى فيه اعظم الضرر
والخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكننى من الدخول فى الجنة ومن وسوسة ادم بعد ان لو منعنى من دخول الجنة استراح منى ادم وبقى خالدا
فى الجنة والسادس اذ خلقنى وكلفنى عموما وخصوصا ولعننى ثم طرقنى الى الجنة وكانت الخصومة بينى وبين ادم فلم سلطنى على اولاده
حتى اراهم من حيث لا يرونني ويؤثر فيهم وسوستى ولا يؤثر فى حولهم وقوتهم وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك
فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة والسابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته امهلنى وما الحكمة فى ذلك بعد ان
لو اهلكنى فى الحال استراح الخلق منى وما بقى شر فى العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له
انك فى تسليمك الاول انى الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت انى اله العالمين ما احتكمت على بلم وانا الله الذى لا اله الا انا لا اسأل
عما افعل والخلق مسئولون هذا مذكور فى التورية ومسطور فى الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور ولنعم ما قال بعض
عقائد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في
مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذى ذكره الله تعالى فاللعين لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجرى حكم الخالق فى الخلق
او حكم الخلق فى الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثانى تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم
الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك فى الاول
مصدرها وهذه فى الاخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبى كل فرقة ضالة من هذه
الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعنى الغلاة نصاراها وقال
جملة لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثانى ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد
ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين فى علم الله اى كان الله عالما فى الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم
ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل انه الكفر فى وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره
على هذا القول الثانى لاستكباره واعتقاده كونه محقا فى ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا
وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل فى الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله
من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر
البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يؤكد ذلك ما روى عن ابن بريدة انه قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال
لهم انى خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك الكفر فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال اخرون معنى الاية انه صار من
الذين وافقوه فى الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الاية او لان الافراد الذهنية يكفى فى صحة الجمع فان الحيوان المخلوق اولا
يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان اى من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة
المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد
يدل على ان ما عداه داخل فى ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم ملائكة الارض استعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك
واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود
القوى الجسمانية المطيعة للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن الاية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان ماذونا فى الانتفاع
بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهى عنه كان حاضرا روى عن قتادة انه قال ان الله ابتلى ادم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود
وذلك لانه كلفه ان يكون فى الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهى عنه فاسكانه موضعا
يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناوله من اشد التكاليف وانما لم يقل وهبت منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكانه

الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال لجل لغيره اسكنتك دارى لا يصير الدار ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها فى
هذه السورة ففى سائر القرآن ما يدل على ذلك انها مخلوقة خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلعم ان المرأة خلقت من ضلع لن
تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدى عن ابن عباس وابن مسعود
وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة جعل فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم
ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعدة فسألها من انت قالت
امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حى فقيل لها ادم
ادم مد يده اليها فمنعه الملائكة وقالوا ادمهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلى على محمد قال ومن محمد صلعم قالوا من اولادك خاتم النبيين
ولولاه لما خلقت عن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على
كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل على
ان حواء خلقت قبل دخول الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت فى الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت فى الارض او فى السماء
وعلى تقدير كونها فى السماء هى دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخى وابو مسلم الاصفهانى هى فى الارض وحملا الهبوط على الانتقال
من بقعة الى بقعة كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب للخلد ولو كان فى جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد ان غضب الله عليه
كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لآدم وقتئذ ولانه تعالى خلقه فى الارض ولم يذكر
نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائى هى فى السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجمهور هى دار الثواب والدليل عليه ان اللام فى الجنة ليست للعموم لان السكنى فى جميع الجنان محال فهى للعهد ولا معهود بين
المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت
تأكيد للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه رغدا وصف للمصدر اى اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة او اى
زمان شئتما فان حيث قد يعبر به عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفى الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شئ وكان بينهما
رابطة السببية يعطف الثانى على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى فى البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول
سبب الوصول الى الاكل وكانه قال وان دخلتموها اكلتم وفى الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهى
طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد يأكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما فى الاعراف
فالمراد اسكن بمعنى ادخل ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهى فى لا تقربا للتنزيه او للتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت فى كليهما
والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة فى القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل والجواز
ثابت بحكم الاصل فان الاصل فى الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى لانه
حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل هى تحريم قياسا على قوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من
الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم فى لا تقربوهن بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج
لم يكن بهذا السبب بل لما سيأتى ان شاء الله تعالى ثم النهى عن القرب يفيد النهى عن الاكل بطريق الكناية فان القرب منها من اسباب الاكل منها ومما
يدل على النهى عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروى عن ابن عباس ان الشجرة هى السنبلة وفى رواية عنه وعن ابن مسعود
انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغى ان يكون فى الجنة حدث قال المبرد واحسب ان
كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يختص بما له ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما شجر اى اخذ يمنة
ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس فى الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره
لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احدنا ان يقيم عذره فى التخلف فقال اشتغلت بضرب غلمانى لاسائتهم الادب كان هذا القدر احسن من ان
يذكر عين الغلام واسمه وصفاته فلا يظنن احد ان ههنا تقصيرا فى البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهى من الظالمين من الذين
ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الاية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن فى هذه الاية كهى فى قوله وما فعلته عن
امرى فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلت قدمه فالضمير للجنة ومن قرأ ازالهما فهو من الزوال عن المكارم مما
كانا فيه اى من النعيم والكرامة او من المكان الذى هو الجنة ان كان الضمير فى عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا فى عصمة الانبياء عم والنزاع اما
فى باب الاعتقاد او فى باب التبليغ او فى باب الاحكام والفتيا او فى افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة وقالت
الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية

ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله

واما

ما يتعلق بالتبليغ فاجتمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لا لانه
غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطأ فيه عمدا واما السهو فيجوزه بعضهم واباه اخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا
الكبائر عليهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عليهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل
وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطاء ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى فهم على التحفظ ادل والشيعة
لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطأ وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من
مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم وهو اكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انه لم
يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقا لقوله عز من
قائل يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وشعر صغائر الرجل الكبير كبائر ولا يجوز ان يكون
النبي اقل حالا من الامة بالاجماع وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا لكنه شاهد عند
الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث بتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الرابع انه لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب
والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه قبيح لا شيء اقبح من نبي رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا
لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون حينئذ منزلا في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
السابع انهم كانوا يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي الثامن وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار والله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب التاسع انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين دل على انهم
من المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي الحادي عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان
حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا الثاني عشر النبي
افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى الثالث عشر اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به فالمذنب لا يجوز
الاقتداء به في ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى به روي ان خزيمة
بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه فقال صلى الله عليه وسلم كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك على الوحي النازل عليك من فوق سبع
سموات فلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك
الشهادة احتج المخالف بمسائل في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب
ما سيجيء في الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما اتاهما
ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي قالوا ان ابراهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم
الاخر لقوله هذا ربي وانه لم يكن عالما بالبعث لقوله ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام منبه على الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين
بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد مثل
يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا
النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبط قالوا وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء
قصة كل في موضعها على انما نقول شعر يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاهي قد غاب عن كل شيء سره
فسها عما سوى الله فالتعظيم لله قالوا في الافعال وعصى ادم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا
لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض
انه صدر ذلك الفعل عن ادم بعد النبوة فاقدامه عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول هم طائفة
من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فياكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انهما تذكرا وروي عن ابن عباس انهما لما

اكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى أفرارا مني فقال بل حياء منك فقال له أما كان فيما
منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب لكن وبعزتك ما كنت أرى أحدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لأهبطنك منها
ثم لا تنال العيش إلا نكدا وأيضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لأنه كان عالما بتمرد إبليس عن سجوده وكونه عدوا له ولو وجد ولأنهما الوصية فأه لكان
المعصية في نفسه يقع أعظم من أكل الشجرة لأنه ألقى إليهما سوء الظن بالله وأنه ناصح والرغاش وما روي عن ابن عباس فهو من باب الآحاد ولا
يلزم من رفع النسيان عن هذه الأمة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن النبي أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل
إني أدعك كما يدع الرجال منكم وقيل إن حواء سقته الخمر فسكر ثم أقدم على ذلك الفعل وهذا إنما يصح إذا حملت الشجرة على غير الكرمة حتى يكون
مأذونا في تناول غيرها إلا أنه يرد عليه أن خمر الجنة لا تسكر لا فيها غول الذاهبون إلى أنه فعله عامدا أربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه
لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من آدم وكان كبيرة مع أن آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله
عمدا لكن كان معه من أعمال القلب من الإخلاص والوجل والإشفاق ما صيره صغيرة وزيف بأن المقدم على ترك الواجب وفعل المنهي عمدا
لا يعتد بدعوى الخوف فلا يصح وصف الأنبياء بذلك منهم وهو اختيار أكثر المعتزلة من قال إنه أقدم على الأكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه ذلك
لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد أنه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها إلى الشخص وقد يشار إلى النوع كما روي
أنه أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور أمتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به أراد نوع الحرير
والذهب ونوع الوضوء فأراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن أن النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من
شجرة أخرى من ذلك النوع واعترض بأن هذا في أصل اللغة للإشارة الشخصية وإذا حمل آدم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا وأيضا
هب أن لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فإن كان مع قرينة الإشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وإن عرفها ومع
ذلك قدم على التناول فكذلك وإن لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وأيضا الأنبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لأنهم قادرون على تحصيل اليقين
بالوحي فالإقدام على الاجتهاد عين المعصية وأيضا هذه المسألة إن كانت قطعية فالخطاء فيها كبيرة وإن كانت من الظنيات فإن قلنا
كل مجتهد مصيب فلا خطاء وإن قلنا المصيب واحد فالمخطئ فيها معذور بالاتفاق وأجيب بأن لفظ هذا يستعمل في الإشارة النوعية
كما مر وبأن آدم لعله قصر في معرفة القرينة أو عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبأن المسألة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى
لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية التشديد بناء على الخطاء فيها لأن النبي قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به غيره وقيل قد يحمل الخطأ في الاجتهاد
من جهة أن آدم ظن أن المنهي في قوله لا تقربا تناولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد أكله فإن قيل كيف تمكن إبليس من وسوسة آدم
مع أن إبليس كان خارج الجنة وآدم فيها قلنا أما إنه دخل في فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما روي
وإن كان بعيدا عن أبي هريرة أنه قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات وأما إنه دخل الجنة
في صورة دابة وأما لأنهما كانا يخرجان إلى باب الجنة وإبليس كان يقرب من الباب ويوسوس وأما لأنه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس
لهما على لسان بعض أتباعه لأنهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل أن يقبلا قوله عادة وإسناد الإزلال والإخراج إلى
الشيطان لأنه حصل بسببه وعن بعض العرفاء أن زلة آدم هب أنها كانت بوسوسة إبليس فمعصية إبليس بوسوسة من ولا بد من الانتهاء
إلى الذي لا يسأل عما يفعل فإن قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين
فلما لم يقبلا عدل إلى اليمين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الإنس تراهم يوسوسون إليك على هذا الترتيب عاذنا
الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل أن لم يصدقاه فعدل إلى شغلهما باللذات المباحة حتى يستغرقا فيها ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله أعلم
بحقائق الأمور اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وإبليس إما في وقت واحد بناء على أن إبليس قد عاد إلى الجنة لأجل الوسوسة وإما لآدم
وحواء في وقت وله في آخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح الخطاب لهما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس جعلا
كأنهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء في طه اهبطا منها وقوله فإما يأتينكم وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا أمر وإباحة والأشبه
الأول لأن مفارقة ما كانا فيه من النعيم إلى دار الهوان أشق التكاليف وإنما قيل إنه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن أن
يقال نفس الإهباط عقوبة ولا ثواب عليه وإنما الثواب على حسب العمل بعد ذلك معنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل
بعضهم لبعض وليست هذه هي العداوة المأمور بها في قوله إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الأمر بل المراد اهبطوا
وسيكون حالكم كذا لأنه عالم الفساد والثاني ليس كعالم الأنوار الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرار أو موضع استقرار حالتي
الحياة والموت ومتاع تمتع بالعيش إلى حين هو يوم القيامة وحين انقضاء آجالكم والحين المدة طويلة أو قصيرة ولهذا لو قال أنت طالق
الحين نصيب لحظة تطلق في قصة آدم وما جرى عليه معتبر عجيب وموعظة بليغة لمن كان فيه اجتناب الخطايا وانتفاء المآثم ولله در
القائل شعر يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهدا للأمر غير مشاهد تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان ودرك فوز العابد

الجنة

آنبيت ان الله اخرج آدم منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي كنا قوما من الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن
حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها شعر تطلب الراحة في دار الفناء خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله فتلقى الاية اصل التلقي التعرض للقاء ثم
موضع الاستقبال للشيء الجائي ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ثم بعض الافعال قد
يشترك فاعله ومفعوله في صلاحية وصف كل منهما بالفعل فيتعاوضان عمله فيهما تقول بلغني ذلك وبلغته واصابني خير واصبته ونالني و
اصبته ونلته وتلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وقرئ تلقى آدم كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يجوز
ان يكون معنى التلقي من الرب ان الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله من تدارك الذنوب
فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه نبهه على المعصية على وجه آل امره الى التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكره نعمه العظيمة
عليه حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة او علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كمل حالها ومن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي
رواية ابن عباس ان آدم قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك
قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات
التي تلقى آدم من ربه قال علم الله آدم وحواء امر الحج فحجا فهي الكلمات التي يقال في الحج فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن
مسعود احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عائشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى
الركعتين استقبل البيت قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم
اني اسئلك ايمانا تباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى آدم يا آدم قد غفرت
لك ذنبك ولن يأتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته
الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي ان التوبة يتحقق من ثلاثة امور مترتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب
من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات محبوبه وتأسف على الفعل الذي كان
سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التأسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر
ويتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له ويتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى
الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله صلعم الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه
هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فليشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يفارق
الوجاهة من سيده فينقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه احسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله غفران
ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد
الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع الى رقة
طبع او جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود فان فيضه لا ينقطع ولا تقصير الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل
القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول
التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله صلعم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل
الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء
آدم اكثر واذا آل حال ابينا الى هذه الخطيئة واحدة فمن خالطت به خطاياه احق بالبكاء وقال نبينا صلعم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله
اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الينا رينا وذلك ان الغين شيء يغين يغشي ويغطيه التغطية
كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوءها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة
الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الخلاف والشقاوة
وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة
عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك الصحو وهذا تاويل ارباب الحقيقة
وقال اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني
بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال
رب زدني فقال لا يولد لآدم ولد الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكى آدم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا

لا الميقة لا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة اولها الندم على ما مضى ثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل وثالثها اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله والرابع اداء المظالم الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن مرارة الطاعات كما ذاق حلاوة المعاصي وكان احمد بن الحرث يقول يا صاحب الذنوب الم يأن لك ان تتوب يا صاحب الذنوب ان الذنب في الديوان مكتوب يا صاحب الذنوب انت بها في القبر مكروب يا صاحب الذنوب انت غدا بالذنوب مطلوب وانما اكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القران والسنة لذلك على انه قد ذكرت في موضع اخر قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية قوله قلنا اهبطوا الاية قيل فائدة تكرير الامر بالهبوط انهما هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض وضعف بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب الهبوط الثاني اولى وثانيها قوله منها يدل على ان الهبوط الثاني من الجنة والاوجه ان ادم وحواء لما اتيا بالزلة امرا بالهبوط فتابا بعد الامر بالهبوط ووقع في قلبهما ان الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة ثانية ليعلما ان حكمه باق تحقيقا للوعد المقدم في قوله اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث وهو ان يكون التكرير للتأكيد لما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم روي في الاخبار ان ادم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحواء بجدة من ارض الحجاز وابليس بالابلة من نواحي البصرة والحية باصفهان فلم يلتقيا مائة سنة ثم ازدلفا اي تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة وتمنيا على الله تعالى بالمغفرة والتوبة بمنى فحصلت اسماء هذه المواضع من هذه المعاني وما في اما مزيدة لتأكيد الشرط ويؤيده دخول النون المؤكدة والشرط الثاني وجزاؤه مجموعين جواب الشرط الاول تبع واتبع بمعنى وانما جاء في طه فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعي وفي الهدى وجهان احدهما المراد منه كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبي وفيه تنبيه على نعمة اخرى عظيمة فكانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بما يؤديكم مرة اخرى الى الجنة مع الدوام الذي لا ينقطع عن الحسن لما اهبط ادم الى الارض اوحى الله تعالى اليه يا ادم اربع خصال فيها كل الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لولدك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس اما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاذا عملت اجزتك واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلى الاجابة واما التي بينك وبين الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به قيل هو رسول او كتاب بدليل والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة فمن تبع هداي في الاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه سيصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئا كثيرا من المعاني لان قوله فاما يأتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجمع قوله فمن تبع هداي تأمل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها وجمع قوله ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف الم يحصل للنفس من توقع مكروه او انتظار محذور وزواله يتضمن السلامة من جميع الافات والحزن الم يعرض للنفس لفقد محبوب او فوات مطلوب ونفيه يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغي وهذا يدل على ان المكلف الذي اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال قوم من المتكلمين ان اهوال يوم القيمة تعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنسئلن المرسلين وفي الحديث تدنو الشمس يوم القيمة من الخلق حتى يكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون على كعبيه ومنهم من يكون على ركبتيه ومنهم من يكون على حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلعم بيده الى فيه وحديث الشفاعة وقول كل نبي نفسي نفسي الا نبينا صلعم فانه يقول امتي امتي مشهور قلت لا ريب ان وعد الله حق فمن وعده من يكون امنا لا محالة الا ان الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الامن الكلي ما لم يصل الى الجنة لانه لا يطمئن قلبه ما لم ينضم له الى علم اليقين عين اليقين وايضا ان جلال الله وعظمته يدهش الانسان برا كان او فاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة فلا عمل الا بالاخلاص ولا حكم بالاخلاص الا لله سبحانه تعالى لانه من عمل القلب قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ولهذا جاء المخلصون على خطر عظيم كان دأب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل لا خوف عليهم امامهم فليس شيء اعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فامنهم الله تعالى ثم سلاهم فقال ولا هم يحزنون على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا ثم ان الائمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالاخرة لان مجاري الامور في الدنيا لا يخلو من موجب الخوف والحزن وقال خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل قلنا المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره لا يرى شيئا من المكاره مكروها وانما

مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فبترك
الارادة يصح نسبة العبودية وبالرضوان يحصل مفاتيح الجنان وينكشف الصدور والاحزان ويتساوى الفقر والوجدان ويثبت حقيقة
الايمان والذين كفروا وجحدوهم مولاهم وكذبوا باياتنا الا شاتهم حكالهم بحسب مشتهاهم وهواهم اولئك اصحاب النار ملازموها دائما مدة
سواء كانوا من الانس او من الجن اعاذنا الله منها بعميم فضله وجسيم طوله النا وبل انكم لتسجدون لله بالطبيعة كما الملائكة الروحانية اسجدوا
لادم بخلاف الطبيعة تعبدا ورقا وانقيادا للامر وامتثالا للحكم اسجدوا له تعظيما لشان خلافته وتكريما للفضيلة المخصوصة به فمن سجد له
فقد سجد لله تعالى كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا لادم لا لاجل ادم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابا لكم ولا تزيد في
درجاتكم ولكن فائدتها تعود الى الانسان لقوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ولان الانسان يقتدي بهم في الطاعة ويتأدب
بادابهم في امتثال الاوامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا من نور و
النور من شانه الانقياد والافاضة وانه خلق من نار والنار من شانها الاستعلاء طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق على ادم كما سمي ابليس لانه
ابلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اي يحل لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لانك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فاعطي هذه الشجرة
الواحدة منها وهي كلها لي انا خلقتها فان طمعت فيها ايضا فاعلم ان الانسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال تقول جهنم بحرصه هل من مزيد
ولا يملي حتى يضع الجبار فيها قدمه اي سابقة رحمته وعناية سبقت حمى غضبه ثم انه ابيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وقيل لهما لا تشتغلا بها ولا توقدا نار الفتنة على انفسكم ولا تصبا من قربة المحبة ماء المحنة على راسكما ولا تقربا شجرة المحبة وقد عز
لاجله في الحقيقة يحبهم ويحبونه ولكن سبب النهي هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال وايضا لو لم ينه عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة انواع المرادات
النفسانية وكانت المحبة غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فان الانسان حريص على ما منع وايضا انه تعالى وسع اسباب الابتلاء اولا
ثم ضيق عليه لاظهار اشعر وادنيتني حتى اذا ما فتنتني بقول تحل العصم سهل الاباطح : تجافيت عني حين لا لي حيلة : وغادرت ما اذرت بين الجوانح
خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واسكنه الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهها بذر شجرة المحبة بين
يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض به كما مر ثم عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما اسكر موسى بلذائذ الكلام واذاقه لذة
شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق الى جماله وطمع في وصاله وقال رب ارني فعاتبه بسطوة لن تراني وذلك لان البلاء والولاء توامان والمحبة
لبان والمطلوب كلما كان ارفع كان اعز وامنع والجمال لا بد له من الدلال ليتميز العاشق الصادق من المدعي المحتال فلما ذاقا شجرة الغرام
خرجا من دار السلام فما لاهل الغرام ودار السلام وابن الفارض السالم المحب لغالي شعر فبتنا على رغم الحسود وبيننا حديث كطيب المسك
شبيه الحمى : فلما اضاء الصبح فرق بيننا : واي نعيم لا يكدره الدهر : وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يمس بعد ان كان مسجود الملك
مسجودا للملائكة الى السماك مشمول الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدل بالبأساء لا يستحابس يدفعونه الملائكة
بعنف اخرج من غير مكث ولا بحث فاذ لهما بدل الفقد بحسن الذنب كان الشيطان المسكين كذئب يوسف لطخ خرطومه بدم نصيح فلما
وقعا من القربة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لما ذاقا من شجرة المحبة المورثة للمحنة استوحشا من كل شيء واتخذا عدوا بعضكم لبعض عدو
وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما ان ذاته لا يقبل الشركة في التعبد كذلك لا يقبل الشركة في المحبة فلما استقر حبه المحبة في ارض
قلبه ثم جعل الارض مستقر شخصه ليتمتع بتربية بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقال داود قال يا رب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابتلى بالهبوط
بشره بان وحيه لا ينقطع وهدايته لا ترتفع وان من ربى بذر المحبة بماء الطاعة والاتباع فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى
من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية الى حظائر القدس وبالله التوفيق يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما
نعمت مرا آن كه انعام كردم بر شما و وفا كنيد بعهد من تا وفا كنم بعهد شما و از من ترسان باشيد و بگرويد بآنچه فرستادم كه تصديق كننده آنست
معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل
كه با شماست و نباشيد نخست كافران بآن و نخريد بآيات من بهاء اندك را و از من پرهيز كنيد و نپوشانيد حق را بباطل
وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس
و مخفي نكنيد حق را و حال آنكه ميدانيد و بر پاى داريد نماز را و بدهيد زكوة را و ركوع كنيد با راكعان آيا فرمان ميدهيد مردم را
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
بخوبى و فراموش كنيد خودتان و شما ميخوانيد كتاب را آيا پس درك نكنيد و يارى بگوييد بروزه و نماز و بدرستيكه نماز
لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون القراءة اسرائيل بغير همز
هر آينه دشوار است مگر بر فروتنان آنان كه اعتقاد دارند بآنكه ايشان ملاقات كننده پروردگار خود و بسوى او بازگردند

حيث كان يريد وحمزة في الوقف يعني وكذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد عن المفضل فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين يعقوب
وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند راس الآية وروى صبيح بن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس بالياء في الوصل وكل كافر به الآية
قتيبة واحمد بن فرج الوقوف فارهبون ربع الجزء كافر به لاتفاق الجملتين وعلى قليلا ا جوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون تعلمون
الراكعين الكتاب تعقلون الصلوة خاشعين لان الذين صفتهم راجعون التفسير انه تعالى لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات
العامة للبشر ومن جملتها خلق آدم الى تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود لانه تعالى لتسكينهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونه اخبارا بالغيب طمعا في عطاوى ذلك ما يرشد الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمة المعتبرة لقب له ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله
يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد صلى الله عليه وسلم وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة
والعائد من الصلة محذوف اي نعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما
آل الامر الى امة محمد صلى الله عليه وسلم ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل
عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاؤا واعطاهم عمودا من النور اضاء لهم بالليل
وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو التورية والانجيل والزبور
ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ومنها ان تذكر النعم الكثيرة
يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها
عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الآتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعمة على الآباء
نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا
ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه
اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد جميعا يقال وفيت بعهدك اي بما عاهدت عليه واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَ
الْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيبعثه واليه الاشارة
في قوله ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ الى قوله ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفي الاعراف ﴿فَسَأَكْتُبُهَا
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية وفي آل عمران ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم﴾ وفي الصف ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وعن ابن عباس ان الله كان عهد
الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالتورية الذي يأتي به اي بالقرآن غفرت له ذنبه وادخلته الجنة
وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم النبي الامي الذي من ولد اسمعيل
وتصديقه هذا القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا ثلثة يؤتون
اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بعيسى ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها و
تزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده قلنا اما لان هذا
العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان و
المكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت
عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخفضي لها سيدتك فقال لها
فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا تسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق
الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول
في اوائل العراق واوائل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجهم
الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اي زيدا رهبت
رهبته بتقديم المفعول للاختصاص فتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة
بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبيل التكرير لاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما
من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد
كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا

خوفه يوم القيمة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة قوله وامنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة من الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتورية والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد صلعم وبالقرآن في التورية والانجيل فكان الايمان بمحمد والقرآن تصديقا للتورية والانجيل والتكذيب بمحمد والقرآن تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد صلعم من جهة ان شهادة كتب الانبياء لا يكون الا حقا ومن جهة انه صلعم اخبر عن كتبهم ولم يكن له صلعم معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤالان الاول كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب في الجواب وجوه الاول انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد صلعم والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا في التورية مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث ولا اول كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقرآن من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد صلعم يوجب تكذيبكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك انه لما سبق الى الكفر كفره غليظ من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح اطلاق احدهما على الآخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي قدم المدينة وبها قريظة والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول كافر به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال الثاني كانه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اولا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وامنوا دلالة على ان كفرهم اولا واخرا محظور وايضا قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد لا ترونها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد صلعم فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو الرشى التي ياخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه لتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكان امرهم بالرهبة على ان جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى على ان يقين العقاب قائم قوله ولا تلبسوا امرهم بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله وامنوا بترك الكفر والضلال والاضلال الغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا مجزوم بلا المقدرة للنهي عطفا على المنهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء التي في بالباطل اما للوصل في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا تميز بينهما واما للاستعانة كما في كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر محمد صلعم كانت نصوصا خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتاملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تاكل السمك وتشرب اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الآخر جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ لا يجوز ان يريد اطاعة احدهما لقرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من اصول الشرائع فقال اقيموا الصلوة اي التي عرفتموها بوصف النبي بناء على انه لا يجوز تاخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التاخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المامور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني امرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على اداء ما يامر به في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزيادة والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها وطهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال صلعم عليك بالصدقة فان فيها

ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فزيدة في الرزق وتكثر المال وتعمر الدار واما التي في الاخرة فتستر العورة وتصير
ظلا فوق الراس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع الراكعين
وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار
لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامر بالتذلل للمؤمنين
ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرايع بناء على ما خصهم من النعم رغبهم في ذلك بناء على ما خذ اخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس
عليها مستقبح في العقول والهمزة في اتامرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم البر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما
وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا فقال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها وقال
ابن جريج يامرون الناس بالصلوة والزكوة ويتركونها ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو
الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه واعرضوا عن سنته الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يامرون
من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل يامرون غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل
على صدق محمد ثم ما امنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك و
النسيان ههنا هو الترك لان النسيان هو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فاذن المراد وتغفلون عن حق انفسكم
وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد ومن الوعيد على
ترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به التقدير افتعلمون
ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القران فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير
الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيره منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل
الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا
لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض
الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يامر
بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الاية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامراة يقبح منه ان ينكر عليها واجيب بان
المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالاخر والذم في الاية مرتب على
الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحق انه مكابرة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت
ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبرئيل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس
بالبر وينسون انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار رجلا يتاذى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم مثل
الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون
لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله
نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل يروى ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرئي
في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سألني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله
كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج ؛ ولما امرهم
تعالى بما امر الله تعالى به بالايمان وترك الاضلال والتزام الشرايع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسة
والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة فكانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا
والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول دين محمد بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخف
عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره
انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس من المفطرات ومنه يقال لشهر رمضان شهر الصبر ومن حبس نفسه عن قضاء شهوة البطن والفرج
زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله تعالى وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة
ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر
والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله تعالى في دفعه الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على
العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفهما مراعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب مستحضرا
العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات والاسرار ومنه قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع

البلايا وانكشاف الغموم والرزايا كان رسول الله صلعم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اى الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات
فى هذه الايات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه الى
حكمه راجعون فيصدر عنهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا واما الملحد فلم يعتقد فى فعلها منفعة لا ثوابية طبعه فى الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فثقل عليه والموحد حيث
اعتقد فى فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم هون عليه تزجية الاوقات بوظائف العبادات وكان رسول الله صلعم
يصلى حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عينى فى الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن والتواضع
ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفى الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم تجوزا لان الظن
هو الاعتقاد الذى يقارنه تجويز النقيض ومجوز نقيض لقاء الرب اى البعث شاك كافر فكيف يمدح به بسبب هذا التجويز انهما اشتركا
فى رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الاخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم
وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقى والمراد بملاقاة الرب اما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذى هو سبب اللقاء ووقته
غير معلوم الا انه متوقع كل لحظة وقوعا راجحا عند المؤمن لانه قطع امله ولانه يحب لقاء ربه ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيئ ظنه بنفسه
باعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقى ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة
بالاية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق
لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمؤمن وقال صلعم من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقى الله
وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء فى اللغة وصول احد الجسمين الى الاخر باتصال التماس وهذا اللقاء سبب الادراك بحيث يمتنع
حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك مانع اضمر بعد ذلك فان الاضمار
خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففى قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفى الاية لا ضرورة فحمله على الادراك او
البحث الثانى المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك فى اول الخلق
ايام حيوتهم فى الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ
الرجوع الى الشئ مسبوق بالكون عنده فدلت الاية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله اعلم يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين ۝ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل ولا هم ينصرون ۝ القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف
العالمين ينصرون ط التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلعم
كانه قال ان لم تطيعونى لاجل سوالف نعمتى عليكم فاطيعونى للخوف من عقابى فى المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله
باركنا فيها للعالمين ويقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة بقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمى زمانكم
لان الشخص الذى سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق
فى الفضل والمطلق يكفى فى صدقه صورة واحدة فالاية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين فى امر ما وهذا لا يقتضى ان يكونوا افضل من كل
العالمين فى كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم فى اكثرها وقيل الخطاب لمؤمنى بنى اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفى جميع
ما خاطب الله تعالى بنى اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبى قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لقد كان فى قصصهم
عبرة لاولى الالباب روى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعنى بما تسمعون غيركم و
اتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل فى ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزى الى اخر الاية الجمل منصوبات
المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول فحذف
الجار وهو فى ثم لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف فى قوله ام مال اصابوا قال شعر فما ادرى اغيرهم تناء : وطول العهد ام مال اصابوا
اى اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يمشى فى باقى الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزى لا تقضى عنها شيئا من
الحقوق ومنه الحديث فى الجذعة التى ضحاها ابن نيار قبل الوقت تجزى عنك ولا تجزى عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون فى
تقدير مصدر اى قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيئا ومعنى تنكير النفس ان نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو
الاقناط الكلى القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى فدية لانها معادلة للمفدى فى الحديث لا يقبل

ع

صرف ولا عدل اي توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا فداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى نفس الثانية العاصية غير
المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس
الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا منها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما
دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي مثل ثلثة انفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه
على ان الخطب شديد لانه اذا وقع احد في كريهة وحاولت عزيزة دفاع ذلك عنه بدأت بما في نفوسها الابية من مقتضى الحمية فتحمل عنه ما يلزمه كما يذب
الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بمانعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال في المخالق
بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن هذه الامور تعلل بما لو حصل امكنه من نصر الاخوان ومدد الاخلاء فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يغني
يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير من المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا
فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي البوادر فالاية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الاية قبول
الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع اخر من هذه السورة عكس القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو
النفس فيتمسك اولا بالتشفيع ثم يترجح الى بذل المال ومنهم من على العكس فقدم الفدية على الشفاعة فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم
واعلم ان الشفاعة هي ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة
اجمعت على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم رتبة الشفاعة في الاخرة وعليه يحمل قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه
لا شفاعة للكفار بقي الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب يبقى خالدا في النار
ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والايات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة
كثيرة فعرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا تخرج عنه صاحب الكبيرة وبقيت الاية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يدعون ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فايسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء سائر حجج الفريقين في الايات المناسبة
ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل فجائز ان لا يكون الشيء مستعدا لقبول الفيض
من واجب الوجود الا انه يكون مستعدا لقبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وبين ذلك الشيء
مثاله في المحسوس الشمس فانها لا تضيء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مستعدا لقبول النور منها لكنه لو وضع طست مملوء من الماء الصافي
انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل
على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث انه لا شفاعة الا له وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ
و چون رهانیدیم شما را از آل فرعون که میچشانیدند شما را بدترین
عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا
عذابها که میکشتند فرزندان شما را و زنده میداشتند زنان شما را و در این آزمایش بود از
آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ
بزرگ و چون شکافتیم بجهت شما دریا را پس رهانیدیم شما را و غرق کردیم
الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ
آل فرعون را و شما مینگریستید و چون وعده کردیم موسی را چهل شب پس گرفتید
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
گوساله را پس از وی و شما ستمکارانید پس درگذشتیم از شما
پس از این شاید که شما سپاس گزارید و چون دادیم موسی را توریت و فرقان شاید که راه یابید القراءة سو العذاب وسو الحساب بغير همز حيث وقعا مفتوحا
الاصفهاني عن ورش وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القران حمزة وعلي وخلف عن ابي عمرو وجهان
ان جعلته فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر وان جعلته على مفعل فالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى
والبرجمي والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها مثلهم وتكون
لكما والياء المكسورة ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل ما كان لمؤمن وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم ط عظيم
تنظرون ظالمون تشكرون تهتدون التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعم على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة ليكون
ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا وفي جميع هذه القصص بمعنى مجرد الوقت مفعول
به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا اي تخلص من ان يعلوه سيل ولان الموضع مما تخلص
الحط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل واهال في تحقيره وتكسيره على الاعرف فابدلت الهاء الفا على خلاف القياس ثم الى الهمزة وجوبا فالالف فيه بدل عن
همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك انما يقال اهله وهكذا لا يقال آل البلد
آل العلم وانما يقال اهلها وعند الكسائي اصله اول بدليل تصغيره على اويل كانهم يؤلون على اصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم

يقال آل خطر فلان في نسخة

لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن واختلف في اسمه فابن
جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل
الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين
دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف فان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل
فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وَيَسُومُونَكُمْ
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا ÷ ابينا ان نقر الخسف فينا ÷ واصله من سام
السلعة اذا طلبها كانها بمعنى يبغونكم سوء العذاب يريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد
قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره او المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب
بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعماله فبان وحارث وزارع ومن لم يكن
ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها والسدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لا
سيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان ياخذه بهم رافة واشفاق من اشد العذاب حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل عن حكيم
اي شيء اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال يُذَبِّحُونَ اَبْنَاءَكُمْ
ومعناه هم يقتلون الذكور من الاولاد دون الاناث والذي دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي فناء الرجال وفيه انقطاع النسل بالاخرة و
منها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل فيه الكد والرجاء القوي في
الانتفاع بالمولود من عظم العذاب ومنها ان الابناء احب الى الاب من البنات ولهذا قيل شعر يريدان مالها تالله حيوة البنين في موت البنات لقول
النبي صلعم دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان
قال بعضهم المراد بالابناء الرجال البطال والنساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا انما كان يامر بقتل الرجال الذين يخاف
منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالابناء الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم
كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقتل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما
لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل اني اراني اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله
وعد ابرهيم ان يجعل في ذريته انبياء ملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا
ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما ويدعون
عاما وعن السدي ان فرعون راى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى استولت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون
الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة
فلهذا كان يقتل ابناءهم في تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والا لاندرج ذلك في كون الاخبار
عن الغيب معجزا بل يكون امرا مجملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى
البديهيات وهو انه ممكن الوجود فعده من العقلاء لا يكون من العقل ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه
كان كافرا كفر الجحود والعناد ويقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابرهيم ع واقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت اذا اخبر الله
تعالى عنه بانه قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر
جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابرهيم بواو
فالوجه فيه انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى
الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي
في ابرهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مامورا بذلك في قوله وذكرهم بايام الله وقال بعضهم معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة اي فرجها
هل بها حمل ام لا وفيه تعسف والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء والحمل على النعمة اولى لانها هي التي يحسن
اضافتها الى الرب ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث عاينوا اهلاك من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ في اذلالهم
ههنا نكتة وهي انهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا و
المبطل مغلوبا فكانه قيل لا تغتروا بفقر محمد وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب العز الى جانبه ص والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه على ان
الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا ويلهى من الاخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة وهي صفاتها الذميمة
اخلاقها الرديئة تسوم الروح الشريف بذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال الشاقة

الحيوانية ولا نجية من ذلك الا الله تعالى قوله وَاِذْ فَرَقْنَا نعمة اخرى في نعمة اي فصلنا بعضه من بعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط
وكانوا اثنى عشر ومعنى بكم انكم كنتم تسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما او يراد فرقناه بسبب انجائكم او يكون حالا
اي ملتبسا بكم روي انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال في معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بني اسرائيل ان يستعيروا
حلي القبط ليخرجوا خلفهم لاجل المال او لما يبقى اموالهم في ايديهم ثم نزل جبرئيل فقال اخرج ليلا كما قال تعالى وَاَوْحَيْنَآ اِلٰى مُوْسٰٓى اَنْ اَسْرِ بِعِبَادِيْ لَيْلًا
وكانوا ستمائة الف في كل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوي فوالله ما صاح الليلة
ديك فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد الشاة حتى يجتمع الي ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه
الف الف ومائتا الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فَاَتْبَعُوْهُمْ مُّشْرِقِيْنَ اي بعد طلوع الشمس فلما صار بهم موسى
الى البحر قال له يوشع بن نون اين امرك ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى البحر فاقتحم يوشع فرسه في البحر وكان يمشي في الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس
وهو عليه ثم رجع وقال له يا موسى اين امرك ربك فقال البحر والله ما كذبت وما كذبت ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى اليه اَنِ اضْرِبْ
بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فانشق البحر اثنا عشر طريقا فقال له ادخل فكان فيه وحل فهب الصبا على البحر حتى صار طريقها يبسا فاخذ كل سبط منهم طريقا و
دخلوا فيه فقالوا لنبيهم اين اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على
اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان المياه فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون
فلما انتهى الى البحر راى البلبق وقفا فنهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبرئيل على مهرة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون
ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم الحقوا اخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى وَاَغْرَقْنَآ اٰلَ فِرْعَوْنَ
قيل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون
وقومه وقيل ان قوم موسى سالوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسال موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد
وانتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربك واهلك ينظرون اليك فما اغاثوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا
لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون
النفس الامارة وقومه صفاتها والعصا عصى الذكر فينفلق بحر الدنيا بتفليق لا اله ويلتمس ماء شهواته يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى
ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبروا منه وينجيهم عناية الله الى
ساحل وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون
اليه وعد الله موسى ونسبه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ان ينزل عليه التوراة وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة انما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي قال اهل التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر
لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لن ينكرها اهل الذوق ولهذا جاء في الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه والجنين ينقلب في الاطوار في الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد
من تقدير مضاف اي انقضاء اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اي تمام الاربعين ومن قرأ واعدنا من المواعدة فمعناه
ان الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله في الاعراف كقوله ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
اِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ فصل اولا ثم اجمل ومعنى ثم في قوله ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم
مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهارا
لدرجة موسى وسائر بني اسرائيل واتوا عقيب ذلك ما اشنع انواع الجهل والكفر كان ذلك في محل التبعيد والتعجب كما تقول اني احسنت اليك وفعلت
كذا وكذا ثم انك تقصدني بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ
الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجرى تخذ مجرى الافعال القلبية في الدخول على المبتدأ والخبر
نحو جعل وصير والتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثاني للعلم به لذكره في مواضع اخر منها في طه فقالوا هٰذَآ اِلٰهُكُمْ وَاِلٰهُ مُوْسٰى وقوله من بعده
من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني اسرائيل الثياب والحلي التي استعاروها من القبط قال لهم
هرون ان هذه الثياب والحلي لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامري في مسيره مع موسى في البحر نظر الى حافر دابة جبرئيل حين
تقدم في البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامري اخذ ما كان معه من الذهب وصور منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه
صوت كانه الخوار فقال هٰذَآ اِلٰهُكُمْ وَاِلٰهُ مُوْسٰى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله وَاَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ كما قال
اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ وذلك ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه والمشرك وضع اخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو في وانتم اما
للحال واما للاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال عليه السلام تعس عبد الدرهم تعس عبد الدنيا وتعس

التطمت الامواج ضرب بعضها بعضا ق

النفس

عجل

عبد الخميصة وقال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلعم وعادوه كانه قال هؤلاء انما يفتخرون باسلا
ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد وتسلية للنبي صلعم مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد ما افظع شان الجهلة والمقلدين ما افظع شان الجهل المقلد
رضوا بان يكون العجل الهًا وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تمحل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا
تلك المعجزات الباهرة تكاد تكون قريبة من حد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي صلعم ان السامري القى الى القوم ان موسى انما قدر
على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت
عجيب فاطمعهم في ان يصيروا مثل موسى في اتيان الخوارق او لعل القوم كانوا مجسمة وحلولية فجوزوا حلول الاله في الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة
الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد صلعم فانهم بعد مشاهدة الآيات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام
وامة محمد صلعم مع ان معجزتهم القرآن الذي لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم في التورية ومثلهم
في الانجيل قوله ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم اي حين تبتم بان قتلتم انفسكم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمة
العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى قد مر في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق و
الباطل يعني التورية نحو رايت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هناك ان ذلك لاجل
موسى وفي هذه الآية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر
وقيل اتينا موسى التورية ومحمد الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ وچون گفت موسی مر قوم خود را که ای قوم شما ستم کردید بر ذات
خود بگرفتن شما گوساله را پس باز گردید بسوی آفریننده خود پس بکشید نفسهای خود را این بهتر است از برای شما نزد خدا فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَإِذْ
قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ پس قبول کرد توبه شما را بدرستیکه او توبه پذیر مهربانست و چون
گفتید ای موسی نگرویم از برای تو تا که ببینیم خدا را آشکارا پس دریافت شما را صاعقه و شما نظر میکردید ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ پس زنده کردیم شما را از پس مردن شما شاید که سپاس گزارید
و سایبان کردیم بر شما ابر را و فرستادیم بر شما من و سلوی را که بخورید از پاکیزهای آنچه روزی کردیم وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
القراءة بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وطريق ابن الزعراء وعبد الرحمن بن عبدوس و ستم نکردند و لیکن بودند که خود را ستم میکردند
قراءة ابو عمرو بالاختلاس انه هو مدغما وغير عباس وكذلك كل ما كان بينهما ياء او واو ملفوظة مثل من دونه هو انه هو واشباه ذلك حتى
حيث كان بالامالة نصير والعجلى نرى الله مكسورة الراء روى عن ابن عباس وابو عمرو وشعيب عن اليزيدي وكذلك كل راء بعدها ياء
استقبلها الف لام مثل ولو يرى الذين النصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلى وخلف وقرأ
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط
الرحيم تنظرون تشكرون السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك
من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ودفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة في حق اولئك الباقين وفي اعقابهم
الى زمن محمد صلعم وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد صلعم لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشيء من ذلك متى رجعوا
عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلعم في التوبة فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احدنا في مجرد
الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لابد فيه من تعدى ضرر فيبين ههنا ان الضرر انما يعود الى انفسهم
فبذلك استحقوا العذاب الابدي والفرق بين الفاءات الثلاث في الآيات ان الاولى للتسبب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب ما لان
المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس في شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد في شرعهم
والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان القائل عمدا الآن توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول ويقتلونه
ومعنى الى بارئكم النهي عن الرياء في التوبة كانه قيل لو ظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اي القتل
خير لكم عند بارئكم جملة معترضة يفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الآخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والموت لابد
واقع فليس في تحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة هي الفاء الفصيحة اي المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم فعلى هذا يكون
الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب

عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع بما كان منهم في ترك العبادة العليم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة برآء من التناقض للحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة والعباوة فلاجرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقتهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا يقدر على شئ منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه فان القتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح في الحال او في المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله ولا تقتلوا انفسكم اي فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى عم بالقتل اجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين بالسيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد او رجل وهم يقولون آمين وروى ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان اهلكت بنو اسرائيل البقية البقية فانكشفت الضبابة والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت من قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد لكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى عم من الطور الى قومه فراى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال واحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسال موسى ربه فاجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى عم من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون نصبها على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرا جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر جهر واما لانه جمع جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على نحو ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم فقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي منهم احد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها طلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان ياتيه موسى في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قال المفسرون وليس في الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لان الخطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا يستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عم عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها تشبيه جحودهم معجزات النبي عم بجحود اسلافهم نبوة موسى عم مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات ليتنبهوا انه انما لا يظهر على النبي عم مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي عم وتثبيت لفؤاده كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد عم لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا اخبره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يرتدون في كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب

من مخالفيهم محمداً وان وجدوا في كتبهم اخبار نبوته صلعم ومنها لما اخبر محمد صلعم عن هذه القصة مع كونه امياً تبين ان ذلك من الوحي
بقي ههنا بحث وهو ان المعتزلة استدلوا بالاية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت ممكنة جائز الوقوع لم ينزل بهم العقوبة كما لم تنزل
بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت في قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته
في الاخرة الذي هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضي زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وايضاً اقتراح دليل زائد على صدق
المدعي بعد ثبوته تعنت وايضاً لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً
من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاز الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات
غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اي جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه كما سيجيء
في المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس واظل ضوء ثان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى اذ اولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وانزلنا عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الشمس
الى طلوعها لكل انسان صاع لا اربد ويبعث الله الجنوب فيحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا اربد قال مجاهد المن صمغ حلو وقيل
هو الخبز السميذ الرقاق والزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم هذا كما يروى مرفوعاً الكماة من المن وفيها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طائر
احمر كلوا على ارادة القول اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم
بجعلوا موضع الشكر كفراً وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى
غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله في ال
عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب
سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم و سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين
ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون

القراءة يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وحيلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح
الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغماً كل القران ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة علي وقالاً عنه
بالاخفاء يزيد ابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او وليها الوقوف خطاياكم ط
المحسنين يفسقون التفسير القرية مجتمع الناس من قرأت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيراً ما يطلق القرية على البلدة والجمع
القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال كغزوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس
حيث قال ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال
ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبيي على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحاء
من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة
موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعاً وشكراً لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات
وخشوع وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا رؤسهم ودخلوا متزحفين على اوراكهم من الزحف هو المشي على الاوراك وحطة فعلة من الحط
كالجلسة خبر مبتدء محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك واصل النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت
كقوله شعر شكا الي جملي طول السرى : يا جملي ليس الي المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى : الاصل صبراً اي صبر صبراً كان الامر القوم امروا
ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح
والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته
لمن شاهد منه الذنب لا لان التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب
الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطاء ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطاء عدوله عنه
ليزول التهمة عنه في الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويحسنوا الظن به وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا
حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراءات في نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله
فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتانيث والخطاء الذنب
قال تعالى ان قتلهم كان خطأً كبيراً تقول منه خطئ يخطأ خطأً وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائي
بياء ثم همزة ابدلت الهمزة الفاً فتحت الياء لاجلها و سنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به لمكان الفاصلة اي سنزيدهم احساناً

اوتوا باو سعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف
وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية
واما منفعة دينية اي المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب بغفران ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم
حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك بطاعات اخرى زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان من مخطئ يصير الكلمة
سببا للغفران ومن محسن يصير سببا للزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي
قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والاخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز
ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول فالمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه
معنى ما امروا به لم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين هو لفظ حطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر مستقل بمعنى
ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك واللهم اعف عنا ونحو ذلك قيل انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا
بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطة سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى
طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا
فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم
وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو ان وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة
منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشي عشرون الفا وقيل
سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كبرد ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر انما نازل من عند الله تفظيعا
لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار
التاكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلون قبل ذلك
التبديل مستمرا اليه وان هذا الظلم وهذا اظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا مبني عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة
لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة
بلفظ التمجيد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم
انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك
ورد بان ظاهر الاية يدل على ان كل من بدل قولا بقول اخر سواء اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا استوجب الذم سؤال لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف
واذ قيل لانه صرح بالقائل في اول القران ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم
قال ههنا ادخلوا وهنالك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال في البقرة فكلوا وفي
وكلوا بالواو ولما بينا في قوله كلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف قرئ خطيئاتكم لان الخطايا
جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهنالك لم يذكر
الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا الدال على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف ولم قال ههنا
وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن
تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك لانه ذكر في هذه السورة ادخلوا
هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة
وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران احدهما الغفران والاخر الزيادة
فترك الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب
وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا لاتصال اللفظ حال في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف
لان اللائق به في التفسير ان تحذف الواو ليكون استينافا للكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني
على التخصيص من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم
فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهنالك ذكر امة عادلة وههنا ذكر امة جائرة فصار اخر الكلام مطابقا لاوله واما
في البقرة فلم يذكر في اوائل الايات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في اخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا
لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالاخرة وقيل لان
لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعي التناسب لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم

فسقا اكتفى بذلك البيان في الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين في موضعين والله اعلم
وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا ع٧
وچون خواهش آب کرد موسی از برای قوم خود پس گفتیم که بزن بعصای خود سنگ را پس روان گردید ازان دوازده چشمه که دانست هر کسی جای آب خوردن خود را بخورید
مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا
از روزی خدا و منکنید تباهی در زمین فساد کنندگان و چون گفتید که ای موسی شکیبائی نخواهیم کرد بر یک خوردنی پس بخوان از جهت ما پروردگار خود را تا بیرون آرد برای ما از آنچه
تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا
میرویاند زمین از سبزی آن و خیار آن و سیر آن و عدس آن و پیاز آن گفت که آیا بدل میکنید آنچه آن پست تر است بانچه آن بهتر است فرود آیید در شهری
فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ع٨
پس هر آینه از برای شماست آنچه خواستید و زده شد برایشان خواری و بینوائی و برگشتند با غضبی از خدا این بجهت آنست که بودند کافران بآیات خدا و میکشتند
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ القراءة عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم
پیغمبران را بدون حق این بجهت نافرمانیهاست که بودند که در میگذشتند الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء
ياء ساكنة ووافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة نفط وقرا ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم والنبيين وبابه بالهمزة نافع
الا موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي وبيوت النبي الا ان الادرجي لسماع قالون عنه بغير همزة الوقوف الحجر ط على الحذف اي
فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين ط وبصلها ط هو خير ط سالتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤول اليه حالهم من الله بغير
الحق ط يعتدون ه التفسير جمهور المفسرين سوى ابي مسلم على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب
بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان
تتقدان في الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع
من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا وقيل
اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل
بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال
له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها
حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصفة في الشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل
له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا لم يعتبر الهوفاني ومقابله واما الضرب فقيل كان يضربه بعصا فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى
عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في فتاب
عليكم وفي هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس
واحد ومعناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخروجه وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا
ووجه بان الفجر في الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض المطلق والمقيد والعام والخاص ولعله انبجس اولا
ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه ولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
اي كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من
التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم ثم انما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل للاجمال في قوله اثنتا
عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اي قلنا او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي
رزقنا كم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم الماكول والمشروب
والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مقررة لمضمون جملة اسمية وقيل حال منتقلة
ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بان وقع التنازع بسبب تلك الماء فلا تبالغوا في التنازع ورد على هذا القول
ان الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان يقال ان المنصوبات في نحو قوله
عز من قائل وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ وفي نحو قولهم تعالجنا ثباتا وتم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو قاعدا
وقد سار الركب ويبقى في الاية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فان
له ان يحدث اي فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عنده
وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الكائن في الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه انس انه اتى النبي باناء وهو بالزوراء

نوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القالب بمثابة موسى وقومه انه يستسقي ربه لاروائهم من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فينفجر منه اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيستوي في حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الاية زعم بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان الاولى بحال المكلف الصبر على ما ساقه الله تعالى اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا وصفوا ولا سيما اذا كان المسؤل ادون واحقر ولهذا انكره موسى عليهم قال اتستبدلون وقال الاخرون انه غير معصية لان قوله كلوا واشربوا عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فرغبوا الى ما الفوه ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاده وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فيصح ان يكون التبديل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يدوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا بهما ضربا واحدا لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترفه ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث وغير ذلك من اطائب البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو العدس والبصل اوفق وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اختبزوا قال الفراء هي لغة قديمة الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون مقدارا كقولهم هو داني المحل وقريب المنزلة كما يقال في ضده هو بعيد المحل بعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية وصرف مصرا اما مصر فرعون والتنوين فيه في القراءات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتأنيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمية واما مصر من الامصار كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان يبين مآل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزي والهوان فقال وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك قوله وباؤ بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه وهو ارادة انتقامه ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله اي القرآن بل والتوراة لان الكفر به مستلزم للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل فان الاتي بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وادخل في الفضيحة او كرر للتأكيد نحو ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعي الاله الثاني برهان والنبيء بالهمزة فعيل بمعنى فاعل من نبأ عن الله تعالى قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم تركوا الهمزة في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك وقيل اصله من نبأ من ارض الى ارض اي خرجت منها الى اخرى فهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبيء الله اي يا مخرج من مكة الى المدينة فانكر عليه صلى الله عليه وسلم الهمزة وقيل النبي بالادغام من النبوة وهي ما ارتفع من الارض اي انه صلى الله عليه وسلم شرف على سائر الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول نبآء جمع على انبياء لان الهمزة لما ابدلت لزم الابدال جمع جمع ما اصل لامه حرف العلة ذلك بما عصوا تأكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد حملته ذنوبا سلفت منه فعاقبه عندها هذا بما عصيتني وخالفتني هذا بما تجرأت علي واغتررت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر والقتل على معنى انهما وانا العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا سائر انواع المعاصي اعتدوا حدود الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم بين سبب ذلك وهو ما فعلوه في حق الله وهو جهلهم بترجيحهم لنعمه ثم ثناه بما يتلوه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب قيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله

فقال

فكانه تعالى يقول بسبب ما نزل بالفريقين من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ما في قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم اي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ

بدرستيكه آنان كه گرويدند وآنانكه هدايت يافتند وترسايان وازدين برآمدگان كسي كه گرويد بخدا وروز واپسين وكرد

صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا

شايسته پس مر ايشانراست مزدشان در نزد پروردگارشان ونيست ترسي بر ايشان ونه اندوهي ۝ وچون گرفتيم پيمان شمارا وبلند كرديم در بالاي شما كوه را بگيريد

مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ

آنچه كه داديم شمارا بتوانائي وياد آوريد آنچه كه درنست شايد كه بپرهيزيد ۝ پس برگشتيد از پس اين پس اگر نبودي فضل خدا برشما ومهرباني او هر آينه بوديد

مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ

از زيانكاران ۝ وبتحقيق دانستيد خبر آنهارا كه در گذشتند از شما در روز شنبه پس گفتيم بآنها كه باشيد بوزينه راندگان ۝ پس گردانيديم اينرا عبرت مر آنان

يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝ القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش من طريق النجاري والخراز عن هبيرة

وآنان كه بعد آيند گان وپند از براي پرهيزگاران

وكذلك كل راء بعدها الف تأنيث وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى واسارى ويتوارى واوارى كلها بامالة ما قبل الالف الصابئين بغير همزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة او توقف عندها ثم الوقوف ولا هم يحزنون ه الطور ط لان التقدير وقلنا لكم خذوا تتقون ه من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين ه خاسئين ج للآية والعطف بالفاء للمتقين ه التفسير قد مر الكلام في الآي المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب من يقفوا آثارهم وقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الرغبة مع الرهبة فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون فيها لان قوله في آخر الآية من آمن يدل على ان المراد من قوله آمنوا شيئا آخر كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين آمنوا قبل بعث محمد بعيسى مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل لليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى كل من آمن بعد مبعث محمد بالله واليوم الآخر وبمحمد فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين آمنوا باللسان دون القلب هم المنافقون والذين هودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد في الحقيقة وهو عائد الى الماضي وكانه قيل ان الذين آمنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم ويثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا وعن ابن عباس نسبوا الى يهوذا اكبر ولد يعقوب وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى قال للحواريين من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران ونصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمز اشتقاقه من صبأ الرجل صبوأ اذا خرج من دينه الى دين آخر وكانت العرب يسمون النبي صابئا لانه اظهر دينا على خلاف اديانهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا يؤكل ذبائحهم ولا ينكح نساؤهم وعن قتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل هو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه ويقرب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابرهيم فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه تمام الايمان بكل ما اوجب الايمان برسله وآمنوا باليوم الآخر وبما وعد فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على انه مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من والذين معنى الشرط قال البرهان قدم النصارى على الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ واخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النعم وللمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود صانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبدل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم ثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى لما رجع من عند ربه بالالواح فراوا ما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها امر جبرئيل بقلع

وجه تسمية اليهود

وجه تسمية الصابئين

الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم فقبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم والثاني انه تعالى الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد ثم انه قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد منكم او اخرهم والواو في ورفعنا اما واو عطف ان جعل الميثاق مقدما على رفع الجبل كما في قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا عن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذي وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل في الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر الذي هو ضد النسيان لانه من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اي فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير امر بعيد من بعد ذلك اي من بعد القبول والالتزام قال القفال قد يعلم في الجملة انهم بعد قبول التوراة ورفع الطور تولوا عن التوراة بامور كثيرة فحرفوا التوراة وتركوا العمل بها وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم ولم يزالوا في التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصي في عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم التوراة التي يقرون بها ثم فعل متأخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد من الكتاب وجحودهم لحقه وحالهم في كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم بان امهلكم وتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اي من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثاني لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر ان قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اي لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم للكتاب لكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضي بدون قد لانها لتاكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او لتاكيد المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضي من الحال فيصير الماضي كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام في التحقيق وعند الكوفيين بعدها القسم قيل عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا في زمن داود بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استسن الابناء سنة الآباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد في السبت فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن في هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما ينزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلاثة ايام ثم ماتوا قال بعضهم وفي الكلام حذف اي ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه انما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول كقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردة والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد الذي لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو جوزنا ذلك لم نأمن في كل ما نراه قردا وكلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك في المشاهدات واجيب بان الانسان ليس هو هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسماني سار في جميع البدن او جزء في جانب من البدن كقلب او دماغ او مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التأويل يجوز في الملك الذي يكون جثته في غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشؤم المعصية من تغير الخلقة وتقبيح الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتالمون بذلك ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة التي في زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلاثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اي المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت وهذه الامة نكالا عقوبة شديدة

رادعة عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك يقصد الناس من التشفي واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلناها
عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكر في كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الآخرين فيعتبرون او اريد
بما بين يديها ما بحضرتها من القرون والامم او جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم والاولى عندي ان يقال
جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخ ولاجل ذنوب تأخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها
ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لانه امر اعتباري فالعقوبة في نفسها واحدة ثابتة على حالها لم تزد لاجل الذنب
المتأخر شيء فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتأخر المترقب مائة اخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل
الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم
بعضا وقيل المتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖٓ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوْا بَقَرَةً

وچون گفت موسی از برای قوم خود که خدا میفرماید شما را که بکشید گاوی را

قَالُوْٓا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ اَعُوْذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ

گفتند که آیا گرفته ما را استهزا گفت پناه میبرم بخدا که بوده باشم از جاهلان گفتند که بخوان از برای ما خدای ترا که ظاهر سازد که چیست آن گفت

اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا

خدا میفرماید که آن گاویست نه سالخورده و نه جوان متوسط در میان این و آن پس بکنید آنچه فرمان داده شده گفتند که بخوان از برای ما پروردگار ترا که ظاهر سازد

مَا لَوْنُهَا قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النّٰظِرِيْنَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ

چیست رنگ آن گفت که او میگوید که آن گاویست زرد درخشنده که رنگش فرح دهد نگرندگان را گفتند که بخوان خدای خود را که بیان کند که چیست آن

اِنَّ الْبَقَرَ تَشٰبَهَ عَلَيْنَا وَاِنَّآ اِنْ شَآءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُوْنَ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُوْلٌ تُثِيْرُ الْاَرْضَ وَلَا

که گاو مشتبه شد بر ما و ما اگر خدا خواهد هر آینه از راه یافتگانیم گفت که او میگوید که آن گاویست نه رام است که شخم کند زمین را و نه

ع٩ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيْهَا قَالُوا الْـٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوْهَا وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُوْنَ وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

آب دهد کشت را رهاشده که نباشد رنگی در آن گفتند که حال آوردی حق مطلب پس سر بریدند او را و نزدیک نبود که بکنند و چون کشتید نفسی را

فَادّٰرَءْتُمْ فِيْهَا وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ فَقُلْنَا اضْرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتٰى وَيُرِيْكُمْ اٰيٰتِهٖ

پس میکردید یکدیگر او را و خدا بیرون آرنده است آنچه را که پنهان میداشتید پس گفتیم که بزنید آن کشته را بپاره آن اینچنین زنده گرداند خدا مردگان را و بنماید شما نشانهای خود

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُمْ مِّنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهٰرُ

شاید که شما دریابید پس سخت شد دلهای شما پس از این پس آن مانند سنگ است بلکه سختتر و بدرستیکه بعضی از سنگها هر آینه روان شود از آن نهرها

وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ القراءة يأمركم بالاختلاس

و بعضی از آن هر آینه شکافد پس بیرون آید از آن آب و بعضی از آن فرود آید از ترس خدا و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید ابو عمرو وكذلك كل
فعل مستقبل مهموز من ذوات الراء هزوا ساكنة الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرا حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف
لمكان الخط وقرا حفص غير الخراز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت بالآن بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارأتم
بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين
نصف الجزء ما هي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان بين ذلك ط على تقدير قد تبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ما لونها ط صفراء تمام الى الحمرا لآية لان
الجملة صفة بعد صفة الناظرين ما هي لان التقدير فان البقر وكان البقر ابلاء لعذر تكرار السؤال علينا ط لمهتدون الحرث ج لان قوله مسلمة صفة
بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون فادارأتم فيها ط يكتمون ج للآية
والفاء بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية الله ط لتفصيل ذلك
القدرة تعملون التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى فاجتهد موسى
في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فاوحى اليه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم بالاستفهام
حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى
بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها
وامر موسى ان يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا واعلم ان
تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوزي تكليف ما لا يطاق واما تأخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا

في حكاية ذبح البقرة من بني اسرائيل

بالآية قالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بالسؤال عن لونها وبدليل انه لم يؤمر بتجديد بل المأمور به في الثانية هو المأمور به في الاولى لا تفاق وتدليل
المطابقة لما ذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة وبدليل ابن عباس لو ذبحوا
بقرة ما لاجزأ هم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم بدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على
السؤال واجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس من خبر الواحد والتعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول
البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارض ولا بكر بل عوانا
فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب فمنهم من قال في التكليف الواقع
اخيرا يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول
انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات وبطريقة التشديد
عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت ان البيان لا يتاخر وانه تكليف بعد تكليف دل على ان الاسهل قد ينسخ بالاشق فان المرء لولده قد يامره بالسهل
اختيارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة في ان يامره بالصعب ويدل ايضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه
الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ له اتتخذنا هزوا استفهام الانكار معناه لا تجعلنا مكان
هزو او اهل هزو او مهزوا بنا والهزو نفس الهزء لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى امرهم بذبح البقرة وما
اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية
الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيي بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فمن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم
ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى
في الوحي وذلك ايضا كفر وعن آخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة والمراد ما على هذا
الجواب كانك تستهزئ بنا لانهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين اطلاقا لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب
الجهل ومنصب النبوة يجل من ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان
المامور به ذبح بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما
على قول القائل بالعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا
ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن صفتها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصا
بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الاية العجيبة لا يكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على موسى ولعل القوم
ارادوا قتل اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين قال المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة
رجعوا الى موسى والخطاب في افادة العموم الا ان القوم ارادوا الاحتياط فسالوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر
بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجية فالجواب بالاوصاف
الخارجية لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم
وانما وقع السؤال عن المخصصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي السؤال عن الصفات الذاتية او الخواص وسبب العدول الى ما افادة
الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة ايضا قد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها
مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورها واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بمن اذا كانت طالبا
للعوارض وههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالت كانها فرضت سنها اي
قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون فان انوك
قالوا انها نصف فان الحب نصفها الذي ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم
انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه لا يدخل الا على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون
مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به وامركم بمعنى مامور كم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والمبين لهم كان حالها في السن شرعوا
في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قاني وارتفع اللون على انه فاعل صيغ
لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد
الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند

اعتقاد او علم او ظن بخصوص شيء لذيذ نافع وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة
السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين و
الصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء
مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته الازلية وارادته السرمدية ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عما عداها او انا على هدى
في استقصاء السؤال اي نرجوا انا السا على هدى فيما نفعله من هذا البحث وانا بمشيئة الله ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان
لها او انا ان شاء الله لمهتدي للقاتل قال انه يقول انها بقرة لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح
التي يسنى عليها لسقي الحرث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل
لا ذلول مثيرة وساقية وذل بالكسر اللين ضد الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول
رجل صبور وامرأة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او معفاة من العمل او خلية مرسلة عن الحبل او مخلصة اللون لم يشب صفرتها
شيء من الالوان وعليه ذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها
فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا آخر اصلها وشية حذف فاؤها كما في عدة وزنة الآن اسم
للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة ولم يدخل الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو يلي جئت بالحق اي بحقيقة وصف
وما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو قطع على العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع
اللبة اسفل العنق وهو مستحب في الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمري لكن عنق الابل طويل فاذا قطع علاه تباطأ الزهوق ولا يكره الذبح
في الابل والنحر في الغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كادوا ينقطع خيط اسهابهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا
الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدفع
بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه وينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله
تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير في فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما
كنتم من امر القتل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه
الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب العصيان
وانه سيجعل الى تراوله سبيلا وانما يسهل العبد من خير او شر دوام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله عم ان عبدا لو اطاع الله من
وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص او الانسان
ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين من اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة
والمعنى فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان
وهما ابنا عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا ليس للقاتل من الميراث شيء والسر فيه انه استعجل الميراث
فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي ولم يفرق بين ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير مستحق عمدا كان او خطاء
وعند ابي حنيفة لا يرث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر امواله ومحل كذلك
نصب على المصدر يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم
لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد تقدير فضربوه ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شيء فدلالة هذه القصة على وجود الصانع
القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام آية ودلالتها على صدق موسى آية ودلالتها على براءة ساحة من
شك القاتل آية ودلالتها على حشر الاموات آية فهي وان كانت واحدة الا انها في الحقيقة آيات عدة ويمكن ان يراد بالآيات غيره وهذه اي مثل هذه
الاراءة يريكم سائر الآيات كما ان مثل هذه الاحياء يحيي سائر الاموات في قوله كذلك دون ان يقال كهذه تعظيم للمشار اليه وتبعيد كما
قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا اثر للتخصيص
في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة آكد وعن الحيلة ابعد فقد
كان الملحد ان يتوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر وليعلم بما امر من مس الميت بالميت حصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب

ولما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل التشدد
من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله تعالى على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين
والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الله ان يكون من احسن ما يتقرب به فتي
السن حسن اللون بريا من العيوب ثمينا نفيسا يسمن ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم فان قيل هلا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة
كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال ولا وتقتيل النفس
المحرمة وما تبعه من الآية تأتيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في بعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى قوله ثم قست قلوبكم
الآية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى او للذين هم فيهم من بعده من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك الذي عددنا من جميع
الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل
لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة
ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة من عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد مثلا وانما قيل
اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط القسوة او لانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة
بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو اكرم وكلمة او
هٰهنا ليست للشك فان علام الغيوب لا شك في شيء وانما هي للتخيير بايهما شئت شبهت فكنت صادقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ في بيان
فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها اللذي فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير
وان منها للذي يشقق اي يتشقق شقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجمع في باطن الارض ثم ان كان
ظاهر الارض رخوا نفشت وانفصلت وان كان صلبا حجرا اجتمعت وصارت مياها ولا يزال يتواتر مددها الى ان يشق الارض
من مزاحمتها وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا ينشرح للحق ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الايات
لتشقوا اصله تتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكر في يتذكر لما يهبط للذي يتردى من اعلى الجبل وذلك من خشية الله اما لانه تعالى
خلق فيه الحياة والعقل والادراك كما روي من تسبيح الحصى في كف النبي عم واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع بوجه ما
من الاهباط والانقصاص عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تأثر قيل اي تنزل من اجل ان يحصل خشية في قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع
والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء والفاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم في الدنيا
والآخرة ولا يعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت
صحتها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم التأويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حياة القلب الروحاني وهو الجهاد الاكبر موتوا
قبل ان تموتوا شعر اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حياتي وحياتي في مماتي ومماتي في حياتي مثلا الارادة تحيي بالطبيعة وقال بعضهم مثال الطبيعة
يحيي بالحقيقة ما هي بقرة نفس يصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض في سن الشيخوخة فيعجز عن وضايف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية
كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب بهوية سكر معوانين ذلك لقوله حتى اذا بلغ اشده بلغ اربعين سنة
بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فانه تعالى يبدلها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيماء الصالحين لا ذلول تثير
الارض لا يحمل ذلة الطمع ولا تثير بالة الحرص ارض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق فيما
يجاهد عند الخالق فيذهب ماء عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طابع غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى
الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا او من النفس
الامارة فقلنا اضربوه ببعضها ضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر يحيى باذن الله تعالى وفيه
ان النفس الامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار رمز الى القلوب في القسوة متفاوتة فالتي يتفجر منها الانهار تغلو ويظهر عليها الغليان
انوار الروح بترك اللذات والشهوات فبعض الاشياء المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهبانيين والهنود والتي تشقق فيخرج منها الماء التي
يظهر عليها في بعض الاوقات عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريهم بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي تهبط
من خشية الله ما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة
بين المسلمين وغيرهم والفرق انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم
وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي انوار الحق ورؤية برهانه فان رائة الآيات للخواص
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون ولكن اراءة البرهان لاخص الخواص كما قال في حق يوسف لولا ان رأى برهان ربه سئل الجنيد

نصف الحزب

البقرة

والله اعلم أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

آيا پس اميد داريد كه بگروند شما را حال آنكه بودند گروهى از ايشان كه مى‌شنيدند كلام خدا را پس تغيير ميدادند آنرا پس از آنكه يافته بودند آنرا و

يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ

ميدانستند و چون ملاقات كردند آنهارا كه گرويدند گفتند كه گرويديم و چون خلوت كردند پاره از آنها با بعضى گفتند كه آيا حكايت ميكنيد ايشانرا بآنچه كشوده خدا

عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ

بر شما تا محاجه كنند با شما بآن در نزد پروردگار شما آيا در نمى‌يابيد آيا نميدانند كه خدا ميداند آنچه را كه پنهان و آنچه را آشكار ميكنند و از ايشان

أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا

بيسوادانند كه نميدانند كتاب مگر آنچه خيال كرده اند و نباشند مگر آنكه گمان ميكنند پس واى براى آنان كه مينويسند كتاب را بدست خود پس ميگويند كه اين

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

از نزد خداست تا بخرند بآن بهاء اندكى را پس واى براى ايشان از آنچه نوشت دستهاشان و واى براى ايشان از آنچه كسب ميكنند و گفتند كه نرسد ما را آتش

إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

مگر چند روز معدود بگو كه آيا گرفتيد در نزد خدا عهدى را كه خلف نكند خدا عهد خود را يا ميگوئيد بر خدا آنچه را نميدانيد

ع بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

آرى هر كس كسب كرد گناهى را و احاطه كرد باو گناهانش پس آن گروه ياران آتشند كه ايشان در آن جاويدانند و آنان كه گرويدند و كردند

الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ القراءة الاماني حيث كان خفيفا يزيد لا تولها ملك ما يتهم وليس بالكم

شايستها آن گروه ياران بهشتند كه ايشان در آن جاويدانند ولا اماني وعن تكم الاماني فان ربعهن بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء

يعقوب وكذلك كل هاء كان قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع الوقوف يعلمون امنا ج والوصل جوز لبيان حال النهما المنافقين

وهو المقصود عند ربكم ط افلا تعقلون يعلنون يظنون قليلا ط يكسبون معدودة ط ما لا تعلمون النار ج لان الجملة مبتدأ وخبر بعد خبر

خالدون الجنة ج خالدون التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفها بقبائح اخلاف المعاصرين لرسول الله

فكأنه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اى يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله

فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية

الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم

ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون

انهم مفترون كاذبون والمعنى ان كفر هؤلاء موحى فولهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان يأخذ عنه

لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلميهم واحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا ولضرب من الاغراض الدنيوية وإذا لقوا

اى اليهود قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق وتجده بنعته وصفته في كتابنا وإذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا

الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعته وصفته ماخوذ من قولهم قد فتح على

فلان في علم كذا اى رزق ذلك وسهل له طلبه وقال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا

في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في

كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد عن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما

الزمتم من اتباع الرسل محاجة فيما اى دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيامة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون

ان ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه

ارحت علينا عند الله وانت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر هي الخائب وقيل المصير

محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اى في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا

تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما

يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون لا

يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة

لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني واحدها امنية على افعولة من منى اذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لان المتمني

يقدر في نفسه ويحوز ما يتمناه واماني اليهود في ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما

يمينهم الاحبار من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الاماني الاكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد
يقال هذا شيء رويته او تمنيته اي اختلقته. ذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل
الا ما يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال الشاعر في عثمان شعر تمنى كتاب الله اول ليله : وآخرها لاقى حمام المقادر ولفظ
مقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه ويقدر ما يذكر
لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتأمل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ اماني بالتخفيف حذف المدة كما يقال مفاتح و
ان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدمه من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة
المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم في الضلال سواء لان للعالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن ان
كان متمكنا من العلم ولا سيما في اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب عن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد اهل الجحيم
وعن رسول الله واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال
لماعت من حره ولا شبهة في دلالتها على نهاية الوعيد والتهديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تأكيد كما تقول للمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى
عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثاني ابلغ ولهذا جيء بثم وقوله اشتروا به ثمنا
قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الآجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اي مما اسلفت من
كتبه ما لم يكن يجل لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشى على التحريف في اعادة الويل في الكسب دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب
الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا
النار نوع آخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما معدودة قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا
دليل له سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا اربعون يوما هي ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة واياما معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت
ومضين العهد ههنا يجري مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة منا بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار
وانه يدل على عدم الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقص النقائص فان قيل هب ان الخلف
في الوعد لوم ونقيصة لكنه في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل ولعل للكرم طريقا آخر سوى هذا
فتأمل ام اما معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وانا او
اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل اتقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول واستأنف سؤالا
ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير الاثبات وفي الآية تنبيه على ان القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز
وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات والى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لانهما دل الدليل على وجوب
العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بلى اثبات لما بعد حرف
النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد اهل الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة
اربعين سنة قالوا لن يعذب في النار الا ما وجدنا في التورية واذا كان يوم القيمة اقتحموا في النار فساروا في العذاب حتى انتهوا الى سقر
وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من ايام المعدودة قال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا في النار الا اياما معدودة
فقد انقضى العدد وبقي الابد قلت وفي مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح اعمال الاشباح
الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها تصير الى حظائر القدس لا يزاحمها شيء من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر
الارواح عن لبان التعلقات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل
الدنيوية ويسهل خروج الروح الى عالمه العلوي كل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد انه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه انها كيف تتدنس
وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية السبعية كيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية تعهد بصدأ مرآة القلب بحيث
لا يبقى فيه شيء من الصفاء الفطري كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الا مرور الدهور وكرور الاعصار وقد تنضم
الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا في النار في ويل طويل وزفير وعويل نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا والسيئة
اصلها سيوئة من ساء يسوء مساءة فقلبت الواو ياء وادغمت وهي من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول الجميع صغيرها وكبيرها
تضم اليها شرط آخر وهو كون السيئة محيطة به تختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة في الجسمانيات كاحاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف
نقل الى الخطيئة وهي عرض لمعنيين من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات و
تستولي عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والآية وان وردت في اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

الجزو الاول

تفسير مفردات

في ذكر الفرق الضالة المحرفة

في بيان ضلال الفلاسفة

في ان الكبيرة تحبط الطاعات

السبب بمثلها يتمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فبه يتحقق الاحاطة
التامة واعلم ان في المسئلة خلافا فالاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا و
هو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة
والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض
المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ومن الحديث
من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الاخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه
نار جهنم وعن ابي سعيد الخدري قال قال والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا ادخله النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلان
يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع من ان هذه صيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا وبعض من
دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال التخصيص القاطعون بنفي العقاب عن اهل الكبائر احتجوا
بنحو قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
الاية حكم بالفلاح على كل من امن وعورض بعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في البعض فقد تمسكوا بنحو
قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح
لجانب الوعد بصرف التاويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد ثم القران مملوء من قوله عفوا غفورا رحيما كريما
وكذا الاخبار في هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يات بما هو اقبح القبائح و
هو الكفر فلا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين
سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي
واذا دلت الايات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه
العقاب ثم ينقل الى دار الثواب ويبقى هناك ابد الاباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب اقرب من حيث انهم يصفونه بصفات
الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث
انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث
ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب لان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن امنك حتى تبلغ الخوف وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ
لَا تَعْبُدُوْنَ اِلَّا اللّٰهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَّذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنِ وَ — و چون گرفتیم پیمان از بنی اسرائیل
که نپرستید مگر خدا را و نیکو کنید با پدر و مادر نیکویی کردن و صاحب خویشی و یتیمان و بیچارگان
قُوْلُوْا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَّاَقِيْمُوا
الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اِلَّا قَلِيْلًا مِّنْكُمْ وَاَنْتُمْ مُّعْرِضُوْنَ وَاِذْ اَخَذْنَا — گوئید از برای مردمان خوب را و بر پای کنید
نماز را و بدهید زکوة را پس برگشتید مگر اندکی از شما و شما روی گردانندگانید و چون گرفتیم
مِيْثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُوْنَ دِمَآءَكُمْ
وَلَا تُخْرِجُوْنَ اَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ ثُمَّ اَنْتُمْ هٰٓؤُلَآءِ — پیمان شما که مریزید خونهای خود را
و بیرون مکنید خود را از خانهاتان پس اقرار کردید و حال آنکه شما گواهید پس شما ای گروه
تَقْتُلُوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُوْنَ فَرِيْقًا
مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظٰهَرُوْنَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاِنْ يَّاْتُوْكُمْ اُسٰرٰى تُفٰدُوْهُمْ — میکشید خود را و بیرون کنید گروهی
از خانهاشان پشت میشوید برایشان بگناه و ستیزگی و اگر آیند شما را اسیران فدیه دهید ایشان را
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ اِخْرَاجُهُمْ اَفَتُؤْمِنُوْنَ
بِبَعْضِ الْكِتٰبِ وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ اِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ — و حال آنکه حرام است بر شما بیرون کردن ایشان آیا می‌گروید
بپاره از کتاب و کافر شوید بپاره پس نیست پاداش آنکه بکند این را از شما مگر رسوائی در زندگانی
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّوْنَ اِلٰٓى اَشَدِّ
الْعَذَابِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ — دنیا و در روز قیامت برگردند بسوی سخت
عذابی و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید آن گروه آنانند که خریدند زندگانی دنیا را بآخرت
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ
القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة و — پس سبک کرده نشود ازیشان عذاب و نه ایشان یاری کرده شوند
علي وخلف وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا
عاصم وحمزة وعلي وخلف حذف احدى التائين للتخفيف الباقون بالتشديد بوجه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف
اسارى مفخما تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي النجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة والباقون

اسارى مفتحا تفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بتاء الاخر
الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب لو قوفنا الزكوة ط لان ثم لترتيب الاخبار اى ثم بعد ذلك توليتم ط معرضون تشهدون
من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه استئنافا وكونه حالا اوجه العدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفى مع فاء التعقيب
الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ط بالاخرة ز لان الفعل مستانف وفيه فاء التعقيب للجزاء ينصرون التفسير انه سبحانه
كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرأ بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه اقوال احدها
انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول
عطف قولوا واقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان تكون ان مفسرة
وان تكون مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء
له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي
عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها
الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا اى واحسنوا او تحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا تعبدون او احسنوا ليناسب قولوا
ويمكن ان يقدر ووصيناهم ليوافق لفاعل اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول ما قبل لا تعبدوا او ما قبل احسنوا او ما قبل
قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية
فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد ولو اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد
كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال الولد بالاسترباح والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها
ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية ومنها اسرار قلبها
ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه لهذا ارسل الرسل وانزل الكتب
ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى
ان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول قد ورد طاعة الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي
انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الاية اطلاقا وقد تلطف ابراهيم في دعوة ابيه من
الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي قانون الادب في الخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما
ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى آخر الاية التكليف الثالث الاحسان الى ذوي القربى
ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك اى الرحم
مشتقة من الرحمن يعني لها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق وسبب العطف في الاية عناية هذا الحق ان القرابة مظنة لاتحاد الالفة
والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب
زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على
الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية ليرتفع نسبهم ونحن لو ترقينا الى الجد العالي
وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي يرتقي الى اقرب جد ينسب هو اليه ويعرف به وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانا نصرفه الى اولاد
شافع فانه منسوب اليه ويدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد الشافعي هو محمد بن ادريس بن
العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي
واما في زماننا فلا نصرفه الا الى اولاد الشافعي ولا نرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف قرابته في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في
وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ
الرحم لا يختص بطرف الاب بخلاف القرابة وذهبت طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية
سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان
الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما تيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان
الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما
امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم واليتم في غير الانسان
من قبل الام واليتيم من الدرة ما لا اخت له وانما جمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا وجع وحبط

للمشفع النظن وجاعى وحباعى قيل فى يتيم يتامى فى الكشاف انه اجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى على القلب وكذا فى التيسير
التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه او لانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكن
الدائم السكون وهو اسوأ حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابى حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعى واحمد الامر
بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى ذوى القربى واليتامى والمساكين ينبغى ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف
يقتضى التغاير التكليف السادس قوله وقولوا للناس حسنا بالوصف اى قولا حسنا وحسنا على المصدر اى قولا ذا حسن او قولا هو الحسن فى نفسه لافراط
حسنه او لحسين قولا حسنا والظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين خاطبهم الله لاتحاد القصة قيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس اى قولوا للمؤمنين
حسنا بدليل آية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول اى قولوا للناس حسنا فى الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال
اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس فى الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى
فقولا له قولا لينا وقال لمحمد ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفاسق فحسن القول فيه معتبر
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتى هى احسن واما فى الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطف
من القول لم يعدل الى غيره وما دخل الرفق فى شئ الا زانه وما دخل الخرق فى شئ الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا داخل تحت
هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرهما
ولا شك فى وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليه بتوليهم وهذه التكاليف ايضا واجبة
فى شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم يجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدنى او مالى و
كل منهما اما عام او خاص فالبدنى العام هو العبادة المطلقة وهى ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لامر الله لا يرى لنفسه
شيئا من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدى مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدنى الخاص هو الصلوة واشار اليه
بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان وشروط معدودة والمالى الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب
وبالحول وغير ذلك والمالى العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما النسب اولا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالدان
والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك اما ان كان الولى جدا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولى غيره وغير النسب اما الاحتياج
والفقر وهو المساكين والاشتراك فى النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما ينخرط فى سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس
باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد ذكر اكثر هذه المعانى
فى سورة النساء بضرب من التأكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى غير ذى القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم اصناف
اخر وهم الجار وغيره اليهم فكانه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب للمتقدمين من بنى اسرائيل على طريقة الالتفات وجميعهم
معهم فكذا اخره الا بدليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان فى عصر النبى من اليهود كانه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمتهم فهى لازمة
لكم فكذلك هى لازمة لكم لانكم تعلمون ما فى التورية من نعت محمد وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذى لزمهم وانتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم
وهم الذين امنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض اى وانتم قوم من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم
للمتقدمين وانتم معرضون للمتأخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود فى عصر النبى وقيل الخطاب المراد اخذنا ميثاق ابائكم وقيل
خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفى قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه فاى فائدة فى النهى والجواب ان
هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يعتقدون فى قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وكثير ممن صعب عليه الزمان
او المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه او لا تتعرضوا
لمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا
من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه النعمة حتى يقرب من الهلاك ولعل لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر فى لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون
اى ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم
على بعض بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم تشهدون معنى ثم استبعاد
لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره اى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
يعنى انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء او
قيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والنظام الشاوى ولما كان الاخراج من الديار

وقتل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واحتيج فيه الى اقتدار وغلبة بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن تظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع اسرى كسكرى وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران كعجالى وعجلان وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على انه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال وغيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتداء ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره افتؤمنون ببعض الكتاب اى الفداء وتكفرون ببعض اى بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه اذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا فقد يكون المناقضة داخلة في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحجة في امرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض وكل في الميثاق سواء الخزي الذلة والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اى استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه الا انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكر الصانع كالدهري يجب ان يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد مطلقا وقوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة يدل على وصول الحقوق الى مستحقها لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الاخرة ممتنع مستحيل وجود احديهما عند الاخرى والله ولي التوفيق واذ اخذنا ميثاقكم في عهد الست بربكم لا تسفكون دماءكم بامتثال اوامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل شعر الى حتفي مشى قدمي: ارى قدمي اراق دمي: ولا تخرجون انفسكم من ديار عبودية ربكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تقتصرون على ضلالكم بل يتعاون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان ياتوكم اسارى تفادوهم فمن اسر في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسر في قيد حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى ومن اسر في ايدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن اسر في حبس وجوده فنجاته في التجلي عن وثاق الكون ويوصل الى معبوده ومن اسر في قبضة الحق فليس لاسرائهم فداء ولا لقتلائهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغيرهم سبيل ولا لديهم دليل افتؤمنون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم في اول الخطاب الست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه الا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي

ولقد آتينا موسى الكتاب ... في تفسير ع ١١

وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهٖ بِالرُّسُلِ وَاٰتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَاَيَّدْنٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ اَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوٰى اَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتٰبٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهٖ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكٰفِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهٖ اَنْفُسَهُمْ اَنْ يَكْفُرُوا بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْيًا اَنْ يُنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ عَلٰى مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ فَبَآءُوا بِغَضَبٍ عَلٰى غَضَبٍ وَلِلْكٰفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ اٰمِنُوا بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهٗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ اَنْبِيَآءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير نبيء بالهمز نافع ينزل بالتخفيف ابو عمرو ويزيد والاعشى

(Persian interlinear translation: ... و قوة دادیم اورا بروح القدس ...)

ودود

وورش وحمزة فى الوقف بين كخفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب بالوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهى الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب
بعده كذبتم للعطف المستقبل على الماضى مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق الثانى يؤمنون لما معهم ط
لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابها متحد قوله وكانوا من قبل معترض
كفروا به ج لان ما بعده مبتدا لكن الفاء يقتضى تعجيل ذكر جزائهم الكافرين من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط
مهين لما معهم ط مؤمنين التفسير لما ذكر سبحانه فى الاى المتقدمة صنيع اليهود فى مخالفتهم امره تعالى ومناقضة حالهم اكد ذلك فى هذه
بذكر نعم فاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقيض المقصود زيادة فى تبكيتهم اما الكتاب فهو التورية اتاه الله تعالى اياه جملة واحدة
عن ابن عباس لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل اية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها
ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى فحملها القفو الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اى اتبعنا
على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم روى ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود
من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل ان الله سيبعث
لهذه الامة على راس كل مائة من يجدد لها دينها وقيل عيسى بالسريانية ايشوع اى المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء
كالزير من الرجال وهو الذى يحب محادثة النساء ومجالستهن سمى بذلك لكثرة زيارته لهن به فسر قوله وفيه شعر قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت فى الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وبروح القدس والروح المقدس كما يقال حاتم الجود ورجل
صدق اى بجبرئيل سمى بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن ولانه الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول
ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذى
كان يحيى الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله واضافة الروح اليه تشريف
وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وكون الروح ههنا جبرئيل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذى بشر مريم بولادتها وقد
تولد من نفخة جبرئيل فى امه وهو الذى رباه فى جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله تعالى افكلما
وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد اتينا لافادة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر
معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون
كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذ اموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبى على الباطل ويحتجون
على ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على ادم ففريقا كذبتم على التمام وما بقى منه غير
مكذب وفريقا تقتلون اى مما تدبر لكم قتله بعد على التمام لانكم حول قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
وقال عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودنى فهذا اوان قطعت ابهرى والعداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من
القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب كقوله فاثير بها
بلاد هش تخرث وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد غاية الفاصلة فى يقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل
فريقين احدهما مخصص بالتكذيب والاخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذى اقتضى عندهم احد هذين حتى خص المنعوت به دون سائر
الناس باحد الامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف لاكرم الاصناف بغاية الاستخفاف وغلف جمع اغلف وهو كل ما
غلاف ومنه الاغلف للذى لم يختن اى قلوبنا مغشاة باغطية فلا ينفذ فيها ما تدعونا اليه لمكان الحائل بينها وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين
جمع غلاف اى قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان يكون قلوبهم مخلوقة
كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اى طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذى احدثوه
بعد نصب الادلة وانزاح العلة وقد فاتهم اللطف للمكلفين ان لا يسلموا الى المعاصى بابلاء نحو هذا العذر وابداء مثل هذه الحجة ولكن بالتشمير
عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اى ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او بقليل مما
كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اى بشئ قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اى لا يؤمنون
اصلا لا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تعقل اى لا تعقل البتة وذلك عبارة عن الايمان بمعزل لما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا
على ان المراد بالكتاب هو القران ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة فى اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة

محمد من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا ومجازا لان الكتاب
مستلزم للرسول لا محالة ويدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد ونزول القرآن يسئلون الفتح
والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية وكانوا يقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسئلون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسئل بعضهم بعضا
ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي
الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل منهم فيرغبون
الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا و
عنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم
فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله هي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تعالى ذكر وقولوا
للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن ايضا واولئك بالنسناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم
اضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر بنكرة منصوبة و
بعدهما المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب
المخصوص فقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق بهم
بابدانهم كما ان الثمن حاصل ملك لمالك قيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فاتى باعمال يظن بها انها تخلصه من
العقاب فكأنه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما اتوا به انه يخلصهم من العقاب ويوصلهم الى الثواب فقد
ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر
فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث
على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته
ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي و
الحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباؤا
بغضب على غضب لا بد من اثبات سبب غضبين احدهما تكذيبهم عيسى وما انزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا وما انزل عليه فصار
ذلك سببا لسخط بعد سخط وهو قول الحسن الشعبي عكرمة ابي العالية قتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد
وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت
عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل
ان هذا الكفران وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا انه عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام
واما زيادته وتكثيره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر
مقام المضمر اي ولهم عذاب فائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة
لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من صفته لانها بسبب منه ولا يلزم من قران العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون العذاب
ولا اهانة كالوالد يؤدب ولده امنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب فقد يستدل به على العموم قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية وكتب
سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الانجيل والقرآن و
هو الحق الضمير يعود الى ما وراءه او الى القرآن فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما
لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القرآن فصار كأنه هو والعامل في مصدقا محذوف في هو بيّن او يثبت على الاصح واما الواو
في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وح اما ان يكون العامل فيها هو العامل في قوله ويكفرون على ان كلا منهما
حال بحيالها واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان
بمحمد لانه لما اثبت نبوته بالمعجزات ثم انه اخبر ان هذا القرآن منزل من عند الله وانه امر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان
ببعض الانبياء وببعض الكتب مع الكفر ببعضهم وببعضها محال وايضا انه لم يتعلم علما ولم يقرأ ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار مطابقة لما في التورية
فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القرآن يدل على نبوة محمد فلما اخبر الله تعالى عنه انه مصدق التورية وجب اشتمال التورية على الاخبار

عن نبوته فندعى الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد والا كان تكاذبا ثم انه تعالى بين من وجه آخر كذبهم في دعويهم هوان التورية لاتسوغ قتل الانبياء وانهم
سوغوا ذلك وفيه دليل على انه يراد المناقضة على الخصم الا الدجاز وا لكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل فيقتلون
حكاية حال ماضية واصل لم لما بدخال لام التعليل في ما الاستفهامية لا الالف للتخفيف اي لاي غرض وباي حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء
وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعويهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدم وفيه تنبيه على ان اليهود
المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم اقول وبهذا حال
اكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته قبلوه وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا
منهم فرارا عن تحمل عناء الطلب ويشترون الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب
اذا ابتلى في اثناء الطلب بالدعة او الفترة لم يضره ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبمدد همة الاستاد والشيخ فاما اذا ذلت قدمه
عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء
والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند قضاء حوائجهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلو فلما
وجدوا واحدا منهم ما عرفوا فوائده وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لا وليائه
كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانما اغضب لاوليائي كما يغضب الليث لجروه والله اعلم بالصواب ﴿وَإِذْ

أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ

وچون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم در بالای شما کوه را که بگیرید آنچه را که دادیم شما را بتوانائی و بشنوید گفتند شنیدیم و نافرمانی کردیم و بیاشامیدند در دلهای

الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ

گوساله را بسبب کفرشان بگو که بد چیزیست که وا دارد شما را ایمان شما اگر بوده باشید گروندگان بگو که اگر بوده باشد از برای شما خانه آخرت در نزد خدا تنها سوای از غیر

النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ

مردمان پس آرزو کنید مرگ را اگر بوده باشید راستگویان و آرزو نکنند مرگ را هرگز بسبب آنچه پیش فرستاده دستهای ایشان و خدا داناست بستمکاران و هر آینه بیابی ایشانرا حریص‌ترین مردم

عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ

بر زندگانی و از آنان که انباز آوردند دوست میدارند هر یکی از ایشان که زندگانی کند هزار سال و نیست او مانع او دیت از عذاب اگر باند و خدا بیناست بآنچه میکنند

القراءة ولقد جاءكم مد غمة الدال في الجيم كل القراء ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر
الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب قرأ حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما التقى الميم حرف ساكن وقبل الهاء
كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون ٥ الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ٥ صادقين ٥ ايديهم ط بالظالمين ٥ على
حيوة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا ويود مستأنف
للبيان وانما لم يدخل من في الناس ثم دخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من
من الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا ان يعمر ط يعملون ٥ التفسير لسبب تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه آخر في قولهم نؤمن
بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلعم وتثبيتا له فان قوم موسى بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا
العجل الها ومع ذلك صبر ثبت على الدعاء الى دينه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد لما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا
الدال على نهاية لجاجهم وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الاية يدل على انهم قالوا هذا القول يعني
سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا وفي هذا الاستعارة لطيفة وهي انه كما ان الشرب مادة لحيوة ما يخرج من الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم
وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى
ولا ريب ان جميع الاسباب ينتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا بئسما يأمركم المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يأمركم به ايمانكم با
بالتورية عبادة العجل فليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم
واعلم ان الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان
كانت لكم الدار الآخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من
الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها
بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند

فيه تعريض بالعلماء المتشبهين
ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون

ظرف خالصة حال في العامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال في العامل فيها اما عند او ما يتعلق به او كان ولكم
وسوغ ان يكون عند خبر كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص
كذا من كذا والمراد بالدار الآخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الآخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية
المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في
المكان كما تقول لمن وهبته منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوز منك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى
لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز
ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثاني ولقوله تعالى وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان آباءهم الانبياء
يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شأن انفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي
المنتظر المبشر في التوراة منهم لا من العرب كانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية وبيان
الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الآخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت
خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النغص ويفوت القليل النكد ولو سيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه
لا ينكرها العاقل نظرا الى غايتها كالفصد والنهي عن تمني الموت في قوله لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت
الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل الا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه ❊ الا رحم المهيمن روح عبد ❊ تصدق بالوفاة على اخيه ❊ فان ذلك نوع من عدم الرضاء بالقضاء ويدل على الجزع وضيق
العطن وينافي قضية التوكل والتسليم وعلى تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب نوع من الاخبار بالغيب
لا يليق الا ببعض اولياء الله وروي ان عليا كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن
ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب
جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت
ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك لمكان البشارة فاما احدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي
بي وعن النبي لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي وللبس لهم ان يقلبوا السؤال على محمد فيقولوا انك تدعي
ان الدار الآخرة خالصة لك لا لامتك ومن يبارزك في الاسلام رضوا ان تقتلك ويقتل منك فما نراك واصحابك في الضر والشدة والجهد والبلاء
العظيم وبعد الموت يتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه انما بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته فله
ان يقول لا جل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده
العبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة قتادة بن الصامت ان النبي قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك لكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته
فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا احتضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره
لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار
كالكفر بمحمد وبالقرآن وكتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم ثم ذكر الايدي مجاز لان اكثر الاعمال يتم بمباشرة اليد وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات
لانه اخبار بالغيب فكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى يطلع عليه احد انما هو قول الانسان بلسانه ليت
لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث لفظا ولكان ناقلوه من اهل الكتاب
وغيرهم من نقل الطاعن اكثر من الذر وايضا لو كان التمني بالقلوب لتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك ثم لولا انهم علموا
او وحي اليهم انهم لو تمنوا لماتوا لم يكن في العقل رخصة لاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة
وهو ان لا يكون الدار الآخرة لهم خالصة واما الفاء والسلطان لا يشترك الا بما يستفاد من الآية التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا
الى ذلك لانه اذا كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يستحقون لانه في ضع الظالمين مقام المضمر
هو بهم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد او اما للجنس فيتناولهم اولا وغيرهم من الظلمة
ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الآخرة خالصة لهم وهناك
كونهم اولياء الله من دون الناس والاول هو المطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب ان ينفى الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن ولان الدعوى

الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الاخرة وليا بمعنى تبلغ الشيء ذا الكمال والاكمال ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود بحيث كان الدعوى الاولى ابعد احتيج الى اداة هي في باب النفي ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الاية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لانهما قسمان ثالثا وهو ان لا يتمنى الحيوة ولا الموت فقال ولتجدنهم احرص الناس مؤكدا باللام والنون واللام لقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ لان المشركين لا يؤمنون بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فان زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان خليقا بالتوبيخ وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال ويحتمل ان يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكرها اشتمل عليه قبله فكانه ذكر وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك كقولهم عزير ابن الله وقال ابو مسلم في الاية تقديم وتاخير اي ولتجدنهم طائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم اي كل واحد يفرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو بعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر بناء على العرف لانه اول عقد يستحيل وقوعه في اعمار بني ادم او يقال والضمير في قوله وما هو يعود الى احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احد بمزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة عن الفساد والبصير قد يراد به العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقد يراد انه على نحو لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه مالم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى وجب حمل البصر فيه على العلم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا

بگو اي محمد که هر که باشد دشمن جبرئيل پس بدرستيکه فرستاد او را بر دل تو بفرمان خدا تصديق کننده مر آنها را که پيش از اوست و رستي و مژدگاني از براي گروندگان هر که باشد دشمن

لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا

مر خدا و فرشتگان و پيغمبران و جبرئيل و ميکائيل را پس بدرستيکه خدا دشمن است کافران را و بتحقيق که فرستاديم بسوي تو نشانهاي واضح و کافر نگردد بآنها

إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ

بجز فاسقان و ديگر آنکه هر چه بستند عهدي را درعقب انداختند آنعهد را بلکه بيشتر ايشان نگروند و چون آمد ايشانرا پيغمبري از نزد خدا تصديق کننده

لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ القراءة جبريل مفتوحة الجيم

مر آنرا که با ايشان است درعقب انداختند گروهي از آنانکه داده شدند کتاب را کتاب خدا را در پشت سر خود چنانکه گويا ايشان نميدانند

مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل مهموزا مشبعا الوقوف للمؤمنين للكافرين بينات ج لان هذه الواو للابتداء او للحال والحال اوجه لاتحاد الفصل الفاسقون فريق منهم لان بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون اوتوا الكتاب قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل مما قبله لا يعلمون قد يجوز لا ية والوصل للعطف على نبذ لاتمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع التفسير هذا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والسبب في نزوله انه لما قدم المدينة اتاه عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان فقال تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد من الرجل يكون او من المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت قال اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التورية ان النبي الامي يخبر عنه فقال انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك اي ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبرئيل قال انه عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي بالبشر والرخاء فان كان هو الذي يأتيك امنا بك فقال عمر ما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجلا لا فدفع عنه جبرئيل وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذلك وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وملك وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبرئيل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبرئيل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك

على عمر فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وقيل كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم يسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله لا آتيكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سألوه فقال من صاحب صاحبكم فقال عمر جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبريل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا ولا ريب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل بالقرآن على محمد كما يشعر به قوله فانه نزله اي ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسأت اليه وان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله اي فمن عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل القرآن من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء باذن الله وامره الذي لا يمكن عصيانه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا ومبشرا فهو من حيث انه مأمور وجب ان يكون معذورا ومن حيث نزل بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوة من هذه سبيله عداوة الله ولو انه تعالى امر ميكائيل بذلك لنفذ الامر ايضا لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فما الوجه في تخصيص جبريل بالعداوة وجبريل ممتنع من الصرف للعلمية والعجمة بشرطهما وعن ابن عباس وغيره ان معناه عبد الله والضمير في نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه اكثر الائمة ان القرآن انما انزل على محمد لا على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء ثباته في قلبه ومعنى على قلبك حفظه اياك وفهمكه وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق القرآن ومتأدبا بآدابه كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن وكان حق الكلام ان يقال على قلبي الا انه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادي والغايات دون الاوساط التي يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وهدى وبشرى ان القرآن يشتمل على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الآتي بتلك الاعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر ايضا ولا ريب ان البشرى يختص بالمؤمنين اما الهدى فلانهم هم المنتفعون به كما مر في هدى للمتقين ولما بين في الآية المتقدمة ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل القرآن على قلب محمد وجب ان يكون عدوا لله تعالى بين في الآية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله يعاديه وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو هو الذي يريد انزال المضار به وهذا المقصود يستحيل في حقه تعالى من العاقل المتفطن لا الغافل المتغابي فمعنى قوله من كان عدوا لله اي لاولياء الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ان الذين يؤذون الله ورسوله او يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في الازل بالقهر هؤلاء في النار ولا ابالي كما ان محبة المؤمن لله نتيجة محبة الله اياهم يحبهم ويحبونه وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة والاولى علة للثانية وافرد الملكان بالذكر دلالة على فضلهما كانهما من جنس آخر فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات ولان الآية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن ان ينص على اسميهما وتقديم جبريل في الذكر يدل على انه افضل من ميكائيل وايضا ان جبريل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو في جبريل وميكائيل بمعنى او لان عداوة احد هؤلاء يوجب عداوة كما ان عداوة كلهم يوجب ذلك ويحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان عداوة هؤلاء كفر الآيات البينات هي آيات القرآن ولا يبعد ان يشمل سائر معجزاته وان كان لفظ الانزال نابيا عنه بعض النبو ومعنى كون الآية بينة ان العلوم ينقسم الى ما يكون طريق تحصيله في الدليل الدال عليه كثير المقدمات فيكون الوصول اليه صعبا والى ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب واسهل هذا هو الآية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها وليس في اللفظ تخصيص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه مأخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد عن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن امر الله تعالى كمن فتح من النهر نقبا صغيرا لا يقال انه فجر النهر وفي قوله الا الفاسقون وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس فكان ذكر الفاسق في الآية على الكافر وغيره والثاني ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره وهذه الآيات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي يبلغ في الكفر نهايته

القصوى وهذا نوع آخر من قبائح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلعم قبل مبعثه فلما بعثه من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبرونا انه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكر لكم فنزلت واللام في الفاسقون للجنس واشارة الى اهل الكتاب وفي كلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلعم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله لان من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس من مخالفته كصعوبته ممن لم تجر عادته بذلك النبذ الرمي بالذمام ورفضه وانما قيل فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول اى كتاب لتلازمهما بديهيا فهو القرآن نبذه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم بذلك رصين من قبل التورية ولكن المكابرة حجبتهم عنه ونبذه وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله التورية لانهم بكفرهم برسول الله كانوا نابذين لها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ

ومتابعت كردند آنچه را ميخواندند ديوان بر مملكت سليمان وكافر نبود سليمان

وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

وليكن ديوان كافر شدند مى آموختند مردمان را سحر وآنچه فرو فرستاده بود بر آن دو فرشته در بابل كه هاروت وماروت اند ونمى آموختند هيچ كس را

حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

تا آنكه ميگفتند كه بدرستيكه ما آزمايشيم پس كافر مشو پس مى آموختند از هر دو آنچه جدائى اندازند بآن ميان مرد وزنش وحال آنكه ايشان نيستند ضرر رساننده بآن هيچ كس را مگر بفرمان خدا

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

ومى آموختند آنچه زيان رساند ايشان را ونفع نبخشد ايشان را وبتحقيق دانستند كه هر كه خريد آنرا نيست مر او را در آخرت هيچ بهره وهر آينه بد است آنچه فروختند بآن خويشتن را اگر

يَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلي

ميدانستند واگر ايشان گرويدندى و پرهيز كردندى هر آينه ثواب از نزد خدا بهتر است اگر ميدانستند

وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الملكين بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف تنبيه على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الوقوف على ملك سليمان ج لان الواو قد تصلح حالا لبيان نزاهة سليمان ورد ما افتروا عليه السحر وقد تصلح على جعل ما نافية لا يتضح لما تقتضيه ما في سياق الآية من ثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله السحر على انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا الا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفي الآية عشرها آت احدها كافرني نما ولا نكرة منصوبة في لبسهما والثانية خبرية ثم نافية ثم خبرية على التعاقب ماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ط يجوز الوقف لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون ه خير ط يعلمون ه التفسير من قبائح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شأن اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلعم وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن سليمان ثم من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ يتناول الكل قال السدي لما جاءهم محمد صلعم عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلوا تقرأ وعلى ملك سليمان اي على عهده وفي زمانه وقيل تتلوا عليه اي تكذب على القوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على سليمان صلعم واما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن فانهم كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوه في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي في الخبر ان سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموا الناس انه من عمل سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا خلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه خلقه في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل لتروج ذلك منهم قبلوا لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب على ظنونهم انه استفاد ذلك من الجن قوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين ان الذي براه منه صدر عن غيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممنوعان من الصرف للعلمية

فصل في السحر

الجذع بالكسر ساق النخل — نقزاى وثب — العنبة المطرة ... والقصب الكثير ...

والنجمة ولو كانا من الهرتة المرتة وهو الكسر كما زعم بعضهم لانهما لو كانا منهما لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل امر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال عم ان من البيان لسحرا سمى ع بعض البيان سحرا لان صاحبه يوضح الشئ المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن ليحط تارة فيقول اسوء ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب يزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم عم مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر على ماء وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي وجب وقد اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكى في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديكة نبتت على ساقها مثل الشئ النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح من الارواح السموية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فح لا يكون لها التصرف البتة الا في هذا البدن فاذا ارادت ان يتعدى تاثيرها الى بدن اخر تتخذ تمثالا لذلك الغير وتضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه فاقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى فان كانت بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهش فيحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر جدا الا سيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب السفينة اذا نظر الى الشط راى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالزجاجة وترى العظيم من البعيد صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة بالوان مختلفة ثم ديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشئ فربما حضر عند الحس شئ اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشئ اخر وكذا الناظر في المرآة ربما قصد ان يرى سطح المرآة هل هو مستو ام لا فلا يرى شيئا مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شئ يشغل اذهان الناظرين به وياخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشئ والتحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة التي تظهر من الالات المركبة على النسب الهندسية ولضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان فيقتل احدهما الاخر ومنه الصور التي تصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب والخوف فتضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من ان يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر عند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمتنع وقوع هذه

الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يمكن به الا ان اجتنابه قربة الى السلامة كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر
هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من اعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا
على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر اما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام
واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة ايضا على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقي وتدخين بعض الادوية
الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا
لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله
تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس واما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان
المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم تتم فصولة الباطل كما مر العرف
واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد اذا سحر انسانا فمات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه
القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطاء وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا
علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر ووصفوه بصفة يعلم
انه ساحر قتل ولا يستتاب وان اقر بانى كنت سحرته وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد يروى عن ابن عباس
ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جمعا من الملائكة وهم الكرام
الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله تعالى مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب
الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت
وماروت وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به
يهبطا الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك
نفسه في منزلها في مثال الصنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت
الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست مكنكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا
نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان اظهر هذا السائل للناس ما رأى منا فسد
امرنا فان اردتما الوصل الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا
حينئذ انهما انما اصابهما بسبب تعييرهما بني ادم وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا
للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى
خيرهما بين عذاب الاخرة اجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيمة وهما يعلمان الناس
السحر ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل
عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء
وجعلها الله تعالى كوكبا مضيئا ولا نكير في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني ادم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك و
هذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة
فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد
ايضا تعريف حقيقة السحر ليتميز بينه وبين المعجزة حسن لكن السحر لايقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة بين اولياء الله ولعل الجن انواعا من السحر
لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به
الى اللذات العاجلة ثم يمنع من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن
لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول يبوقتهما ليكون
ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس يثبت انه لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه و
ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او متوصلا الى شيء من المعاصي والاغراض العاجلة
فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر
فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لان
السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عنده ذلك شيئا من افعاله وان شاء

لم يحدث كان الذي يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن بسكون المرء وركونه الى زوجه لما كان اشد خصت بالذكر ليدل بها
بدلالة على ان سائر الصور بتأثير السحر فيها اولى وقرأ عمرو وما هم بضاري به من احد بجعل الجار جزءا من المجرور وهو احد اضاف الى المجموع
وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه المفاسد وقد علموا هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتراه
استبدل ما تتلوا الشياطين واختياره على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب كأنه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل
معنى الآية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكأنه اشترى بمنافع
الآخرة منافع الدنيا ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اي لو
كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا كما تقدم من الترجي في لعلكم تتقون وح لا يحتاج الى الجواب بقي ههنا سؤال وهو انه
كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بلام القسم ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الاول وكذا لو
كان للتمني فان التمني استدعاء امر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى
نبذ كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا اشياء وجهلوا اشياء
اخر علموا انه لا خلاق لهم في الآخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد و
المعلوم واحد لكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله ولقد
علموا اتبع ذلك الوعيد الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون ادعى الى الطاعة والنهي عن المعصية فقال ولو انهم آمنوا بعين ما نبذوه من كتاب الله
وهو القرآن او التوراة التي يصدقها القرآن او كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله و
اتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشيء من ثواب خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له اي لو ثبت انهم آمنوا وجواب لو
محذوف وتقديره يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اي لاثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز
ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه ساد مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان
هو الاكثر على دخول اللام الموطئة في لو مستقبل لئلا يشبه ان يكون لا كثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله
ايمانهم كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لآمنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم
لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم التأويل واتبعوا ما تتلوا الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي
هو خليفة الله في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخييلات الهواجس وتمويهات الوساوس
وما انزل فتنة وخذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح
وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى ارض العالم الجسماني بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة
الحيوة الدنيا واتباع خداعها ووقعا في شبكة الشهوة التي تركت فيها ابدانا واسماعا وشربا خمر الحرص والغفلة التي تخامر العقل وزنيا ببغي الدنيا
الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعلقا منكسين برؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما استماع خطاب الحق
كشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملائكة الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية و
الشيطانية والقوى البشرية حتى يلهماها انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوجه

ع ١٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
ای آنکسان که ایمان آورده اید مگوئید راعنا و بگوئید انظرنا و بشنوید و برای کافران است عذاب دردناک دوست نمیدارند کافران از صاحبان
أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
و اهل کتاب و نه مشرکان که فرود آید بر شما خوبی از جانب پروردگار شما و خدا مخصوص گرداند برحمت خود هر که را میخواهد و خدا صاحب فضل بزرگ است
مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
هر چه منسوخ کنیم از آیتی یا فراموش گردانیم آنرا بیاریم بهتر از آن یا مانند آن آیا نمیدانی که خدا بر همه چیز تواناست آیا نمیدانی که خدا مر اوراست پادشاهی آسمانها
وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ
و زمین و نیست شما را غیر از خدا از دوستی و نه یاوری آیا میخواهید که خواهش کنید از پیغمبر تان چنانکه خواهش کردند قوم موسی از او در زمان پیش
وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسأها مهموزا
و هر که بدل کند کفر را از عوض ایمان پس بتحقیق گمراه شد از وسط راه
ابن كثير وابو عمرو وغيرهما وتيتر بغير همز الباقون ننسها من الانساء نأت
بغير همز ابو عمرو وغير ابراهيم بن حماد ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطه ان
يجزم كل ما كان ساكنا اي عطفا على المجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا ياتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته

منها واشباه ذلك فقد حصل بالاظهار حجازي غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعا مثل قوله تعالى لقد
ظلم ولقد ذرانا واشباه ذلك لو وقف واسمعوا ط اليم من ربكم ط من يشاء ط العظيم ومثلها ط قدير والارض ط ولا نصير ربع الجزء ومن قبل
السبيل التفسير لما شرح الله تعالى قبائح افعال السلف من اليهود شرع في قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله صلعم وجدهم واجتهادهم في القدح
فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعا من القرآن قال ابن عباس رض كان يخاطب في التورية بيا ايها
المساكين فكانه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة آخرا حيث قال ضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب
هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالى يعطيهم الامان من العذاب آخرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولاسيما فان المؤمن اسم من اسمائه
العظام ففيه دليل على انه تعالى يغفر لهم منه في دار السلام وقيل امنوا على الغيبة نظرا الى الظاهر وهو الذين ولو قيل امنتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية
ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احديهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال الشافعي لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت
او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول
راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلعم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله صلعم و
اليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها اسمع لا سمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا
وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلعم وهم يعنون
المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهي انظرنا روي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي
نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلعم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت
صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي
غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المتخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك سمعنا
فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اي راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره
وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اي عوذا عياذا
فقولهم راعنا اي فعلت رعونة فيحتمل انهم ارادوا واضمرت راعنا اي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا
راعنا اي رعنا كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امرهم الله تعالى ان يسئلوه منسوبا الى
الامهال ليتقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة كانهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى فهمنا وهذا القدر غير خارج
عن قانون الادب فقد يلتمس المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل فائدتي التفهيم الاول الاستزادة من التثبت
والثاني الاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل انظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه اي من قومه الغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كان
افاضته عليه اظهر واقوى وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اي مهلنا حتى نحفظ واسمعوا معناه احسنوا استماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة
حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلعم وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الآية من الاولى للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركين
والثانية مزيدة لاستغراق الخير فانه ينزل في سياق النفي فمعنى ما يود ان ينزل يود ان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة أهم
يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان الله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة
والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان واتمام الرحمة من جانبه كما قال ان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ
من آية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد صلعم يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الآية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل ايضا وهو ان يغير الشيء في صفته
وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز
في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعا للاباحة فانه
لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن امتي الخطاء والنسيان
ونحوه بل بمقتضى العقل ايضا بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صوموا الى آخر الشهر فان الى وان اوجبت
مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى نسخا لانه ليس متأخرا ويمكن ان يقال ان قيد متاخر انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون
الا كذلك ونحو صوموا الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله

في تعريف النسخ

على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على
المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا
كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك لانا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع
وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شئ بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعنى بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق
شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانتساخ
القيام عمن سقط رجله وقولنا متراخ يخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق
له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق مبينا لذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع من اكثر ارباب
الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع
لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة
قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التورية انه امر آدم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده بالاتفاق
وهذا ما يدل على وقوعه كيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلعم وصحة نبوته تلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود
والنصارى نص صريح يعلم منه امتداد شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا احتج اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل
قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم لها ما دامت السموات والارض وايضا ان كان الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة
فهو البداء والا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع
من انه قول موسى ع ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا صلعم ومحاجته بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا
في عهده بذلك وعلى الثاني فان قرره المتأخرون منهم عن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة شرب
دواء او حالة ضرره في اجزاء الزمان الممتد من الازل الى الابد فقد وزع اجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا فشيئا
عن حكمة ووقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو اصلح بالنسبة الى المزمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها
بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله
تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في المستقبل من قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين امده ونص له على زواله فذلك الوارد ناسخ و
الاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر
له فله الظهور متقدما احدهما ومتأخرا الاخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تأمل نسخة الوجود ونسب حوادث العالم
بعضها الى بعض بالتقدم والتأخر والمعية وجد لها وجودا لها المرتبة اشبه شئ بكتاب يقرأ القارئ سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع
من ذلك تلاه مجموع اخر حسبما رتبه الحكيم العليم بمبادئه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون
اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء شئ وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب هذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
ولك ان تعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر المسئلة الثالثة اتفقوا على
وقوع النسخ في القرآن بوجوه احدها هذه الاية اعني ما ننسخ من اية واجاب ابو مسلم بان المراد بالايات المنسوخة الشرائع التي في الكتب
القديمة من التورية والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون
لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الاية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب و
ايضا انما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجئ بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الاية لا يدل
على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان يأتي بما هو خير منه ثانيها الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا اجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا
بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل لسنة او اقل او اكثر
فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة منسوخة بالاتفاق واجاب بانه زال
لزوال سببه لا سبب التعبد وهو ان يميز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي
انه لم يتصدق غير علي ويدل عليه فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها امر ثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل
القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال ومع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس ما

البحمان نحو ذلك سؤاً وسادسها واذا بدلنا آية مكان آية والتبديل يشتمل على رفع اثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف ما كان فرفع ونسخ فهذه الدلائل وامثالها يدل على وقوع النسخ في الجملة حجة ابي مسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب ان الضمير للمجموع وان نسخه بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيقته في نفسه وكونه قرآناً المسألة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة او التلاوة فقط كما يروى عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم وروى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب والحكم والتلاوة معاً كما روي عن عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعاً والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية فما ننسخ محمول على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة و ننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعاً وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي وان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فتصير بهذا الوجه منسياً عن الصدور ويكون ذلك معجزة له كما يروى انهم كانوا يقرؤن السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الآية الامر بنسخها وهو ان يأمر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية اي نبدلها اما بان نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما وننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما نرفعها بعد انزالها او ننسأها بالهمزة نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة ولا يخفى ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على شيء من القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند ابي مسلم التورية والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكماً على المكلف ان الثاني احق واصلح بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته والثاني خير بالنسبة الى وقته مثل الاول بالنسبة الى وقتها او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثواباً من العمل بالاول ايضاً ولم نكلف منهما قد يقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثواباً وان حملنا الآية على غير ذلك فمعنى الاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك المحترق من حال الى حال اعلى منه فان عصمنا استكمالهم ابداً نامره ونخمه ونسألهم دائماً دائماً فلا ينسخ من آثار عباداتهم شيء الا بدل منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من آثار الربوبية وايضاً انهم يشاهدون بعض الوقائع الشريفة في الصور اللطيفة كسبتها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام اعلى شاهدوا بعد ذلك بتلك المشاهدة فيظهر لهم السالك المراد بحسب حال المقام والحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات وننسها با محوها عن لوح الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم الائمة استنبطوا من الآية مسائل الاول زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم الا الى بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم آخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بالنسخ بتقديم الصدقة بين يدي النجوى نسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيراً للمكلف لمصلحته الثانية زعم قوم ان النسخ لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيراً منه لا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل اجراً على قدر النصب وايضاً فقد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم تحتماً وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالجلد واما النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشيء الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على ان الآتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما اخذ منك من ثوب آتك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضاً نأت يدل على ان الآتي هو الله لا الرسول وايضاً الآتي به خير والسنة لا يكون خيراً من القرآن وايضاً قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير دل على ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت مشيته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخاً بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئاً مغايراً للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك ان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية لا فلو كان نسخ تلك الآية مرتباً على الاتيان بذلك الخير لزم الدور وقد يمكن دفع الدور بان يقال المراد ما ننسخها من آية نأت بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقاً للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله تعالى الشيخ والشيخة الخ له ملك السموات والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما للنبي فيدخل الامة تبعاً او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور آثار قدرته

[illegible]

ووضوح آيات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ما شاهد ليلة المعراج بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من رؤية الآيات الى كشف الصفات

ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم تسحق عن الخيال واثبت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي امر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل

وكذا النصير والواو في ومالكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام

ويكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع الضمير ولا يوقف على والارض ام تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر

بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير فقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما

امرتم ام تريدون ان تسئلوا رسولكم ولانه سئل قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا

يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب كما سئلوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب

لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال يا محمد ما أومن بك حتى

تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك

حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا رسول الله فاتبعوه وقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فائتنا بكتاب من

عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سأل السبعون وعن مجاهد

ان قريشا سألت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة

من اول قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن

بالرسول لا يكاد يسئل ما يتبدل كفرا بايمان وليس في ظاهر الآية انهم اتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة

وههنا بحث هو ان السؤال الذي ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا وان كان ذلك

طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا

فالتكفير اما لانهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الآية ان يكون

ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم ام اما ان تكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم

واقع بكون احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فيسئل عن وجه الحكمة في النسخ وغيره على سبيل العناد

وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورأفته الكاملة وقدرته الظاهرة حقه

ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتفتيش عن تفاصيل حكمته التي تكاد تحصر فيوهم ان السائل في شك مما امر به او نهي عنه و

على هذا لا يوقف على نصير واما منقطعة على ان الاضراب عن الاستفهام الاول استئناف استفهام ثان ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل

الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على ان السؤال عما لا يهمهم مما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات

حتى يقفوا على الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله ولا يهم معرفتها وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي مر تفسيره

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ

دوست دارند بسیاری از اهل کتاب که برگردانند شما را پس از گرویدنتان کافران از حسدی که از نزد خودشان است پس از آنکه ظاهر شد مر ایشان را حقیقت پس درگذرید و بخشید تا که صادر فرماید خدا فرمان خود

اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

بیشک خدا بر هر چیزی تواناست و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را و هرچه پیش وا رید از برای خودتان از خوبی می‌یابید او را نزد خدا بیشک خدا به آنچه میکنید بیناست

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ

و گفتند که داخل نشود بهشت را مگر آنکه بوده باشد از یهود یا ترسایان این است آرزوهای ایشان بگو که بیرون آورید حجت خودتان را اگر هستید راستگویان آری هر که تسلیم کرد

وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ

روی خویش را از برای خدا و حال آنکه نیکوکار است پس مراورا است مزدش از نزد پروردگارش و نیست ترسی بر ایشان و نه اندوهناک شوند و گویند یهود که نیستند ترسایان بر چیزی و گویند

النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ترسایان که نیستند یهود بر چیزی و حال آنکه ایشان میخوانند کتاب را همچنین میگویند آنان که نمی‌دانستند مانند گفتار ایشان پس خدا داوری کند میان ایشان روز قیامت

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ القراءة قد سلف الوقوف كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف اي يحسدونكم حسدا او حال او مفعول له وهو وجه الوصل

در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ط الزكوة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصير

او نصارى ط امانيهم ط صادقين ه للابتداء ببلى مع لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى على شيء ص لعطف الجملتين المتفقتين على شيء ص لان

الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ه التفسير هذا نوع آخر من مكايد اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء

وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا

فيما يؤمر بالتكفير

ع ١٤

فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقال اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا ثم أتيا رسول الله وأخبراه فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت كفارا انتصب على الحال أو مفعول ثان ليردونكم على أنه بمعنى صير حسدا من قبح الخصال الذميمة قال ﷺ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال ﷺ لنعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروي أن موسى لما ذهب إلى ربه رأى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه قال أحدثك من عمله ثلاثا كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ويحكى أن عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء إياك والكبر فإنه أول ذنب عصى الله به إبليس ثم قرأ فسجدوا إلا إبليس استكبر وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والأرض فأكل منها فأخرجه الله ثم تلا اهبطا منها وإياك والحسد فإنه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار واعلم أنه إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله إن تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة أو المنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال ﷺ لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا وأنفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس هذا يدل على أن الحسد قد يطلق على المنافسة وقد يكون واجبة إذا كانت النعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة وقد يكون مندوبة في نحو الإنفاق في سبيل الله والتشمر للعلم والتعليم وقد يكون مباحة وللحسد مراتب أربع الأولى أن يحب زوال النعمة عنه وإن لم يحصل له وهذه أخبث الثانية أن يحب زوالها عنه لرغبته في داره الحسنة أو امرأته أو ولايته فالمطلوب بالذات حصولها له فأما زواله عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الأولى والحث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم وأسباب الحسد سبعة أولها العداوة والبغضاء فإن من آذاه إنسان أبغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما أفضى هذا الحسد إلى التنازع والتقاتل ثانيها التعزز فإن واحدا من أمثاله إذا نال منصبا عاليا ترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك فأراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضي بمساواته وثالثها أن يكون في طبعه أن يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والأنفة منهم ورابعها التعجب أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند الأبوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على أهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته فإن الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة أنواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمنع حصوله إلا لله تعالى ومن طمع في المحال خاب وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من يبخل بمال غيره وقد تجتمع بعض هذه الأسباب فيعظم الحسد ويقوى بحسبه قلما يقع التحاسد إلا في الأمور الدنيوية لأن الدنيا لا تفي بالمتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين أرباب الدين وأصحاب اليقين وإنما يكونون بلقاء إخوانهم مستأنسين وببقاء أقرانهم فرحين بما ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين وأما علاج الحسد فأمران العلم والعمل أما العلم ففيه مقامان إجمالي وهو أن يعلم أن الكل بقضاء الله وقدره وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يرده كراهة كاره ولا يجره إرادة مريد وتفصيلي وهو العلم بأن الحسد قذى في عين الإيمان حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للإخوان وعذاب أليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به لأنه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه أيضا من جهة أنك عدوه ولا تزال تزيد بغمومك وأحزانك إلى أن يقضي بك إلى الدنف والتلف شعر: اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله: النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله: وقد يستدل

مراتب الحسد اربعة

علاج الحسد

يحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل
من يحسد والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور في ابليس صدقاته مدحور عند الخلق واتباعه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى
عدو ليصيبه به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميه
فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشدخه وعدوه سالم في كل الاحوال قد عاد عليه الوبال واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون
هذا في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى واما العمل فهو ان يأتي بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف
لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير سعى في ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا بحباله فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك التكلف يصير بالآخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود
امر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه انما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهار آثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة
عنه وجر اسباب المحنة اليه ثم انهم كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان صواب وحق فالقوا اليهم ضربين من
الشبهة لعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة احدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم واموالكم
واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذي ساقكم الى هذه والثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف التورية وقوله من عند انفسهم اما
ان يتعلق بودّ اي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق
بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا سبيل العفو والصفح بترك المقاتلة والاعراض عن الجواب لان ذلك اقرب الى
تسكين النائرة لا دائما بل حتى يأتي الله بامره عن الحسن انه المجازات يوم القيمة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال
فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والآية منسوخة لان الآية التي علق بها غير معلوم شرعا فليس كقوله ثم اتموا
الصيام الى الليل بل حل محل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان ينسخه عنكم عن الباقر انه لم يؤمر رسول الله بقتال حتى نزل جبريل بقوله اذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان اول قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون
ويصفحون والكفار اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر على بعض
التشفي والاستعانة على بسائر اصحابه فامر ان لا يهيجوا قتالا وفتنة وايضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل الصابر له القوة نوعا ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال
ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك الشدة وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير
واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم
بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة او صدقة فريضة او تطوع فعمم بعد ما خص تنبيها على
ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار اي تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله
بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسيء وقالوا لن يدخل الجنة نوع آخر من تخليط اهل الكتاب اليهود والنصارى
والضمير في وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة
بان السامع يرد الى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل
وعائذ وعوذ والعائد الحديث النتاج من النوق والبازل الذي خرج نابه ووحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله
فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك امانيهم على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم اي انهم جميعا في البطلان مثل هذه وهي قولهم لن
يدخل الجنة واشير بتلك الى انه وددتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم امنية وودتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم ان يدخل الجنة
امنية اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم اعتراض
على هذا وهات التي اسم فعل معناه اعط ويتصرف فيه بحسب المامور هات هاتيا هاتوا هاتي هاتين وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما
الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله آت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على
ان المدعي نفيا او اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه باطلة شعر من ادعى شيئا بلا شاهد لا بد ان يبطل دعواه بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
وقوله من اسلم الى آخره جملة شرطية مستانفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما
معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان هؤلاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيبهم
في الاسلام وبيان لمفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى ان غيرتم طريقتكم واسلمتم وجهكم لله واحسنتم
فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس ينبوع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان
الوجه قد يكنى به عن النفس الذات كل شيء هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادات السجدة وهي انما تحصل بالوجه فلهذا

الاسلام اخص الاسلام الذي ورد في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات هو الاسلام الذي امر به ابراهيم
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله اي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معتقدا رجاء
بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا يصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات
الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شيء من السيئات واما الطاعات والمباحات فيكون مقتضية لتزايد الحسنات
ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذلك
ان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات والتودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروائح
المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق
كل ما عملته لغير الله حلالها حساب وحرامها عذاب وروي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل
طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت وليس النية
ان يقول في نفسه وبلسانه عند تدريسه او تجارته نويت ان ادرس لله او اتجر لله هيهات انما حديث نفس او لسان وما ذاك الا كقول الفارغ نويت
ان اعشق وانما النية انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تصيير ذلك ملكة للنفس شعر وللناس فيما يعشقون مذاهب
فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة لقصور همتهم عن طموح ما فوقها من الكمالات
واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين
في الاية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق الاخر والاظهر حمل لفظي اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل
واحد من كل من الطائفتين في حق الاخرى وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلعم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت
لهم اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل فقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شيء يصح ويعتد به وفيه مبالغة
عظيمة كقول العرب اقل من لا شيء عن ابن عباس رضي الله عنه صدقوا انكلتي ذلك ان الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله وبكل ما انزله وهم يتلون
الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن
بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السموية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور اي قولا مثل الذي
سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد لطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم
ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شيء وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم نفيا او
قولا عن التشهي والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى الكل
الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصف من الظالم المكذب المبطل المكذب ويريهم من يدخل الجنة عيانا
ويدخل النار عيانا اعاذنا الله منها ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان
وكيست ستمكارتر از انكه وا دارد مسجدهاى خدا را از انكه ذكر شود دران نام خدا وجهد كند در خرابى آن انگروه سزاوار نيستند
لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما
كه ايشان داخل شوند انجا مگر ترسناكان مر ايشانراست در دنيا رسوائى و مر ايشانراست در آخرت عذابى بزرگ ومر خدا راست مشرق ومغرب پس هر جا
تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون
كه روى آريد پس آنجاست قبله بدرستى كه خدا محيط است ودانا وگويند كه قرار داده خدا براى خود فرزند منزه است بلكه مر او راست هر چه در آسمانها وزمين است هر يك مر او را فرمانبرند
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا
آفريننده آسمانها وزمين است وچون اراده كرد فرمانى پس همين ميگويد او را كه باش پس ميباشد وگويند آنكه بيدانشند كه چرا گفتگو نميكند با ما خدا ونمى آيد ما را
اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون القراءة قالوا اتخذ الله
نشانى وهمچنين گويند آنان كه پيش از ايشان بودند مثل گفتار ايشان بهم مانند دلهاى ايشان بتحقيق كه ظاهر ساختيم نشانها را از براى مر قومى كه يقين دارند واو العطف ابن عامر اتباعا
لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في آل عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام ووافقه الكسائي في النحل
ويس الوقوف خرابها ط للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين ط لان ما بعده اخبار وعيد مبتدأ منتظر عظيم وجه الله ط عليم ولدا لا لتعجيل
للتنزيه سبحانه ط والارض ط لان ما بعده مبتدأ قانتون والارض ط لان اذا اجيبت بالفاء وكانت للشرط فيكون اية ط قلوبهم ط لان قد للتوكيد
الاستيناف يوقنون التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق

التورية ولم يدخلها احد باحتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر فنزلت الاية فيهم عن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس واعانه
على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلعم عن الدعاء الى الله
بمكة والجاؤه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية ووجه اتصال الاية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة وعلى الاخرين هو انه جرى ذكر
مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك ببيان قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفي اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني
مفعوليه لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد او حذف حرف الجر مع ان التقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا من اظلم ممن اذى
الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد بمن منع العموم اي الذين منعوا من اولئك النصارى او المشركين
باعيانهم والسعي في خرابها تخريب المساجد بانقطاع الذكر او تخريب البنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك
الشرك اعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلنا ما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لان المسجد موضوع
لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه
وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له معبودا وجب عبادته له عقلا او شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة
فتخريب المعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق و
المنافق كان راسخا لا من الكافر الاصلي بالاتفاق اولئك يا يعون ما كان لهم اي ما ينبغي لهم ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد
الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة
وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين
من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحج بعد العام مشرك
وامر النبي باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في يدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا في امر يتضمن الخوف بحوان يدخلوا
للمخاصمة والمحاجة وقيل اللفظ خبر لكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ومن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخول المساجد كلها لما روي انه قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد حين بايعوه في
اول الاسلام ثم نسخ بالاية ولهم في الدنيا خزي قيل يمنعهم من المساجد وقيل الخزي في اهل الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب فيمن دام على الكفر وقيل
الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية ولهم في الاخرة عذاب عظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوائد لا وليس في بيان فضل المساجد من ذلك
اضافتها الى الله في الاية وذلك يدل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلعم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وليس ذلك الا لان المسجد
يذكر الحبيب والسوق يشغل عنه وفي الاية نكتة وهي ان مخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان
الثانية في فضل المشي الى المساجد عن ابي هريرة انه صلعم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه احدهما
تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقال صلعم لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب اثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس
ان النبي صلعم قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين و
التمويه وامر عمر ببناء مسجد وقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن ابي قتادة انه صلعم قال اذا دخل
احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتتادى التحية بالفرض والنفل نواها او لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد واسحق
وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن ابي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري واصحاب الراي الخامسة في الدعاء عند الدخول في
المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله صلعم عنها قالت كان رسول الله صلعم اذا دخل المسجد صلى على محمد صلعم وقال رب اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد صلعم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة
عن ابي هريرة انه صلعم قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه فيقولون اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع
والشراء عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلعم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشراء فيها وان يتحلق الناس يوم
الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوه بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات بالخطبة ثم لا باس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب
الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فيكره الثامنة عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله صلعم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد
فليقل لا ردها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسألة في المسجد وكان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض

فضل المساجد

في المسجد قال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيها الحدود او يقبض فيها الخراج او ينطق فيها بالاشعار او ينشد فيها الضالة او يتخذ
سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد بأسا لان النبي لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي وقضى شريح والشعبي ويحيى
بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد الثامنة في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه رأى رسول الله مستلقيا
في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة كجوازها في البيت الا الانبطاح فانه نهى عنه وقال
انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهة البزاق في المسجد عن انس عن النبي قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه اذا قام احدكم
الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه العاشرة
عن جابر انه قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى
منه الانس الحادية عشرة في بناء المساجد في الدور عن عائشة قالت امر رسول الله ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على
تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملك مالكه ما لم يسبله قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الاية الاكثرون على انها نزلت في امر يختص بالصلوة ومنهم من زعم
اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها ان المراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف
مملوكة له سبحانه ومخلوقة فاينما امركم باستقباله فهو القبلة ليس قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكانت الاية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة
وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى
زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا
المشرق لان عيسى ولد هنالك اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق
فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير الى اي جهة شاء
بهذه الاية وكان للمسلمين ذلك الا ان النبي كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية في حق من
يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله في غزاة في ليلة سوداء مظلمة
فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله
فانزل الله هذه الاية عذرا لنا في خطأنا وهذا الحديث يدل على انهم قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها
عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته وكان اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومي برأسه نحو المدينة فمعنى
الاية اينما تولوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فثم وجه الله اي فقد صادفتم رضاه ان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا
يلزم ترك النوافل والتخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي
فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية
فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب في تولوا للمانعين والساعين يريد انهم ان هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم عن قتادة ان النبي
قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية فقالوا
انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الاية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة لي فمن وجه نحو شيء منها يريد طاعتي وجدني وكان في هذا
عذر للنجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادعوني استجب
لكم قالوا اين ندعوه فنزلت عن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارضه فلله بلاد
المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اي مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المأمور
المرضية وهذا كقوله جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلوة وفي غيرها وفيه ان المجتهد اذا رأى بشرائط الاجتهاد رأيا فهو مصيب
ومعنى تولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولي اليه فارا اي ادبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد
بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد تمسكت المجسمة من الاية بان لله تعالى وجها وانه سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب
الاية عليه لا له فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للمشرق استحال ان يكون محاذيا للمغرب فلا بد من تأويل وهو ان
الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقهما واوجدهما فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو
قبلة او المراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فثم مرضات الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى
احد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه وجهة ام كيف يكون جسما وجسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز
والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء
والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق في توفية ثواب من يقوم بالمأمورات على شرطها وتوفية عقاب من تكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم
على حسب اعمالهم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد ذكرهم في قوله كذلك قال الذين

في النوافل

لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر والضمير يصلح للعموم لهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا ابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف اي كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى ان دوام الممكنات واستمرارها جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد عن ابن عباس مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيمة فسئل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في السموات يعم المكلف وغيره فعدل الى تفسير آخر فقال المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من آثار الصنعة وامارات الحدوث وكونها جميعا في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة في قانتون للتغليب والمراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابد له مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يحمل على الاصل يحكى ان علي بن ابي طالب ع قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله تع لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي ان كان عيسى الها فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وبهت بديع خبر مبتدأ محذوف اي هو بديع السموات والارض عم اولا ان الملكية والاختصاص لا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا فقال بديع والبديع المخترع لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل معنى المبدع كالاليم بمعنى مؤلم وضعف ثم انه تع بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اصل التركيب من ق ض ى يدل على القطع قضى القاضي بهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشئ انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا اتمه واحكمه لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه واداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشئ لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل ههنا ومعنى قضاء امر اتمه او حكم بانه يفعله او احكمه قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما : داود او صنع السوابغ تبع : من قرأ فيكون بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قرأ بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل او فيهما نحو ائتني تنتفع او اذهب ينفعك زيد واذهب ينفعك زيد اما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشئ لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي رتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل الامر وذلك اكثري وقد يكون الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل ليوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا آخر مغايرا له فقول القائل اذهب يذهب فيذهب معناه اعلام ان الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شئ آخر كان المقصود في الآية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة موقع مثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان ينسبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بناء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشأنه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فرجع الى ذلك وههنا بحث آخر وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تع لشئ على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتأخر عن المحدث محدث ولان تكون المخلوق مرتب على قوله كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان مخصوص محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل واذ بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود فلا فائدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته او يرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تأثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها فكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما المجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين لعدم مجئ الثاني الا بعد انقضاء الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الآية على الظاهر غير جائز فلا بد من تاويل والاصح ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا المكون بحال المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يأبى وفيه تأكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تع للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل و قيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم من الامم قيل من للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون يعني جهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالآية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الآية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تخصيص اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شئ اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم

انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك فاوحى الله الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد ويزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا ياتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم فى كون القران اية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم فى العمى كقوله اتواصوا به فكما ان قوم موسى كانوا ابدا فى التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم الهة فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذلك المعاصرون من اليهود والنصارى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الايات لقوم يصفون فيوقنون انها ايات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها ايات ظاهرة هى القران العظيم الذى اخرس شقاشق الفصحاء عن اخرهم ومعجزات باهرة كمجيء الشجرة وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع خلق كثير من الطعام القليل وايضا لو كان فى معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعل الكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا لعل فى تلك الايات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل بالتكليف وكايجابها استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب فحجبها عن الغد الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الايات وتعاقبها ينافى كونها خوارق العادة فلا يبقى ايات وكل ما ادى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح فى صحة النبوة والله اعلم التاويل مساجد الله التى يذكر فيها اسمها عند اهل التنزيل النفس والقلب والروح والسر والخفى وهو سر السر وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود يا داود وحذر وانذر اصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عنى محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفى بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات اولئك ما كان لهم ان يدخلوها هذه المشاهد بقدم السلوك الا خائفين من سوء الحساب بالم العقاب لهم فى الدنيا خزى من ذل الحجاب ولهم فى الاخرة عذاب عظيم الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله فى مشرق كل قلب مغرب شمس وطلوع طوارق القلب من هو جو النفس بطريق الظلمات التى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من ذرات الروح يشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق لطلوع قمر الشهود فيكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا انجلت شمس صفات الجلال اختفت نجوم صفات الجمال واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليفة طويت بايدى سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الضياء ولا العناء ليس عند الله صباح ولا مساء تلاشى العبد بالعبدية فى كعبة العندية وبقى الله واينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسع عليم بتوسيع القلب بمعيته بلا كيف كما قال لا يسعنى ارضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن والله اعلم

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۝ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ ﴾

بتحقیق فرستادیم ترا براستی مژده دهنده و بیم کننده و پرسیده نشوی از یاران دوزخ و هرگز خوشنود نشوند از تو جهودان و نه ترسایان تا پیروی کنی ملت ایشان را بگو بدرستیکه

﴿ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾

راه خدا است راه راست و هر آینه اگر پیروی کنی خواهش ایشان را پس از آنکه آمد ترا از دانش نیست مر ترا از جانب خدا دوستی و نه یاوری آنانکه دادیم ایشان را کتاب

ع ١٥

﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾

که میخوانند آنرا سزاوار خواندنش آن گروه میگرویدند بآن و آنکه کافر شد بآن پس آن گروه ایشانند زیان کاران ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت مرا که عطا کردم بر شما

﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ ﴾

و آنکه من فزونی دادم بر جهانیان و بپرهیزید از روزیکه باز نیاید تنی بدل از تنی چیزی را و قبول کرده نشود از آن بدل و سود نبخشد او را شفاعتی و نه ایشان

﴿ يُنْصَرُونَ ﴾

یاری کرده شوند

القراءة ولا تسئل على النهى نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الوقوف ونذيرا لا للعطف اى نذيرا وغير مسئول الا على قراءة ولا تسئل على النهى لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لان نفى لولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع اهوائهم فكان فى الاطلاق خطر بصيرة تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ اخر مع خبره وعندى ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعنى يتلونه حالا من مفعول اتينا او من فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن اهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب على القران كما يجيء يؤمنون به للابتداء بالشرط الخاسرون العالمين ينصرون التفسير لما بين غاية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفى فى باب الاقتداء والاهتداء من الايات البينات اراد ان يسلى نبيه عن سوله لئلا يضيق صدره فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسبما يقتضيه الحكمة وانت لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل بجاء و دعالك عن ان يكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل نار عظيمة فى مهواة فهى جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا

خطاب اما قراءة النهي فيروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لانه سياق
الكلام يأبى عن ذلك ولانه مع علمه لاحوال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سئلت عمن
وقع في بلية فيقال لك لا تسئل عنه فكان المسئول يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث
الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك رسول الله صلعم عن اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون
راسا براس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين ان ملتهم التي يحنهاهي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق لهن وراءه
هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم مشتهياتهم وارائهم الباطل المنسوخة بعد الذي جاءك من العلم بامر الدين بالوحي او لوضوح البراهين
دستوع(?) ما لك من الله من عقابه يحفظك من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك وفي الاية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حجة
لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به لقوله بعد ما جاءك من العلم فلان لا يجوز التوعد الا بعد القدرة
على المامور به كان اولى وبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد وهو احد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا للامة
لانهم اذا علموا ان حال النبي لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو بعد
منهم ذلك الذين اتيناهم الكتاب قيل هم المؤمنون الذين اتاهم القران لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القران والاصح انه لما قدم
ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلعم او يتبعون
مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
اولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلوا الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين ومن الواضعين
عن حقه فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به بعينهم وردوه ورجعوا منه خائبين وفازوا بكل حين يا بني اسرائيل
الاتيان رجوع الى اول القصة تذكيرا للنعم بعد تعداد مواجب النقم لينتبه منهم من وفق للتنبيه والله المستعان وَاِذِ ابْتَلٰى اِبْرٰهِيمَ

رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَاَتَمَّهُنَّ قَالَ اِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَاِذْ جَعَلْنَا

و چون آزمود ابراهیم را پروردگار او بسخنانی چند پس تمام کرد آنها را گفت که من میگردانم تورا از برای مردمان پیشوا گفت و از فرزندان من گفت که نرسد عهد من ستمکاران را و چون گردانیدیم ما

الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرٰهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا اِلٰى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ

خانه کعبه را جایگاه از برای مردمان و ایمنی و فرا گیرید از مقام ابراهیم نمازگاهی و فرمودیم ما با ابراهیم و اسمعیل که پاک دارید خانه مرا از برای طواف کنندگان

وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ

و مقیم شوندگان و رکوع و سجود کنندگان و چون گفت ابراهیم که ای پروردگار من بگردان این شهر را شهری ایمن و روزی کن اهل او را از میوه‌ها هر که بگرود از ایشان

بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ القراءة ابراهام بالالف في البقرة

بخدا و روز واپسین فرمود خدا که هر که کافر شود پس بهره دهم او را اندکی پس ناچار کنم او را بسوی عذاب آتش و بد جای بازگشتی

والنساء الا قوله اتينا ال
ابرهيم وفي الانعام ملة ابرهام وفي جميع براءة الا ودوم(?) ابرهيم وفي ابرهيم واذ قال ابرهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا
ابرهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في الممتحنة الا قول ابرهيم وفي الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد
في هذه السورة فقط واعلم ان ذكر ابرهيم في القران تسعة وستون موضعا منها ثلاثة وثلثون ابرهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان
وستة وثلثون ابرهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار
عند الائمة ان يقرا ههنا بالالف لبيان المذهب والباقي بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر ويوافقه سائر الاسماء الاعجمية كاسرافيل
اسرائيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص
هشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط
الظالمين وامنا ط لمن قرأ واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين مصلى ط كذلك ومن فتح الخاء لتسق الافعال الثلثة فلا وقف السجود ه
اليوم الاخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدأ بهما تنبيها على المدح والذم المصير التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح
نعمه على بني اسرائيل والمشركين ومقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع اخر من البيان وهو ذكر قصة ابرهيم عم لان كلهم معترفون بفضله
وانهم من اولاده ومن سائر حرمه خدام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد صلعم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم
وفى بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته
فقيل له لا ينال عهدي الظالمين فيعرفون ان طالب الحق يجب ان يترك التعصب للمرء ووضع ما رفعه الله لينال ما يناله الذين ومنها ان القبلة لما
حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فادير انه نعمة ظهر بان هذا البيت قبلة ابرهيم الذي عمروا بتعظيمه الاقتداء به ومنها انه دعا بارسال

برسل

بني من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما يجيء فيجب على من يعترف بابرهيم ان يعترف بمحمد اما قوله واذ ابتلى فالعامل في اذ اما مضمر نحو واذكر فتكون بمعنى الوقت
فقط او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان او قال وموقع قال على الاولين
استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثالث جملة معطوفة على ما قبلها من الايات ولا يخفى ان
الاستئناف اصوب لمناسبة سياق الجملتين الاتيتين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب ليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال
ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى لتشبيهها الامر بما بين المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا منا قد
يامر ليعرف ما يكون من المامور والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى مع انه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل
الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان
هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى
لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الاية وامثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة
منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه يستحال ان لا يقع وما علم عدم وقوعه يستحال ان يقع ولا قدرة على الواجب
وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافي للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا
لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة
واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء اذا زيد من تلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد لو انضم اليه الاعداد
التي لا نهاية لها والجواب ان المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي واما الذي لا نهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات
التي لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلا او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب قال والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل
لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه
عما عداه خارج عنه وكل ما يخرج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه يستحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط
المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها
والحق ان نور الانوار لا يتناهى وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى واحاطة غير المتناهي بغير المتناهي بعيد فقد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع
تناهي قوتنا ونور يقيننا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابرهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور وهذه
الصورة مما يجب تأخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلي فانه لو قدم الفاعل قد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس
وابي حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ التنزيل
هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد فكل هذه تكاليف
شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها اكثر من ان تحصى ولهذا فان ثواب النبي اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده
فمن وقف على ما روي في كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان في الموقف لرمي الجمار وغيره
واما الاشتغال ببعث نبي اخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من
الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع فانه اخبر اولا بابتلائه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمها ثم فصل تلك الامور وهذا
ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولا انقطع النظم القائلون بان تلك الاية لا دلالة فيها على الكلمات زعم بعضهم
الكلمات التي تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه نقل عن ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي
عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم
الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشرة في براءة التائبون العابدون الاية وعشرة في الاحزاب ان
المسلمين والمسلمات وعشرة في المؤمنين وفي سأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي و
الاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم الذي وفى وقيل
ما ذكره في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه والصلوة والزكوة والصوم
وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كل ما في كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكلا منها الا
ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان قيامه بهن كان السبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لا يعلم
كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب و
الشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها
ما هو بصدد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كمنام والهام والضمير في اتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم بمعنى فقام

بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان وفى الاخرى لله تعالى اى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روى عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سئل ابرهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن
يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به اى ياتمون بك فى دينهم والاكثرون على ان الامام ههنا النبى لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم
يكن مستقلا بالشرع كان تابعا لرسول فيبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام فى كل شئ والذى يكون كذلك لابد ان يكون نبيا ولان
الله تعالى سماه بهذا الاسم فى معرض الامتنان فينبغى ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا الا على من هو دون
من يستحق الاقتداء به فى الدين كالخليفة والقاضى والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه فى عيون اهل الاديان كلها وقد
اقتدى به من بعده من الانبياء فى اصول الملة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون فى صلوتهم
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها من
نحو انى جاعل فى الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبى سلمنا ان المراد به مطلق الامام لكن الاية تدل
على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع فى انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة فى الاية على ذلك وفى الاية دليل
على انه عليه السلام كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به فى ذلك فيؤدى الى كون الفعل الواحد ممنوعا
منه مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق اى خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما فى البرية ويحتمل ان يكون منسوبا
الى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهرى فى المنسوب الى الدهر ومن ذريتى عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتى كما يقال لك سأكرمك
فتقول وزيدا ولا يخفى ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم قد لا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو
من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى امله فجعل فى اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف
وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد صلى الله عليه وسلم افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض فكان
يكفى فى الجواب نعم الا انه لم يكن نصا فى ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدى المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين
بالمفهوم لا بالنص فلكان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدى الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها
على كل عهد عهد به الله تعالى الى بنى ادم اذ الامامة رياسة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا اخرج الظالم
تعين الصالح للامامة بطريق برهانى فان ذلك ان دعاء مستجاب النبوة فكل نبى مجاب لانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر
معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما احيب سعيا في الطلبة بابلغ
معنى واتمه كما اذا قيل لمن شرفا وصلة نبك لشئ فيقول لا يرث منى اجنبى اى كل ما يبقى منى فهو لابنى فكيف وصله لشئ ولا يرد ان يونس نال
عهده مع انه ظالم سبحانك انى كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما فى حواء وادم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسوق وقد
يستدل الامامية على ابطال امامة غير على عليه السلام قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد
الامامة قالوا ولا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعده وان لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليهم دائما ولهذا
النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا المتكلم والماشى حقيقة فى مفهوميهما مع ان اجزاء التكلم والمشى لا توجد دفعة
فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن فى الحال الا انه كان
كافرا قبل السنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر وان قبل لعل هذا المانع شرعى هو تعظيم الصحابة
والمانع عرفى فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة فى الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق
لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاصم ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد فى كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم
اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان اى الم آمركم لكن المراد فى الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لازمة للظالمين كالمطيعين
فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فالفاسق لا ينبغى ان يكون حاكما ولا ينفذ
احكامه اذا ولى الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا فتياه اذا افتى ولا تقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدى به لم يفسد صلوته قال
ابو بكر الرازى ومن الناس من يظن ان مذهب ابى حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ لم يعلم انه قال
القاضى اذا كان عدلا فى نفسه تولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذى ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من
شرط اعوان القاضى ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا
اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعى ذلك على ابى حنيفة وقد
كرهه ابن هبيرة فى ايام بنى امية على قضائه وضربه فامتنع من ذلك فخلص فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال الفقهاء

ابل له شيئا من عمله اي شيء كان حتى يزول عنك الضرب بقولي له عدا حمال اللبن الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عده اللبن الذي
كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وقصته في امر زيد بن علي
مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك مره مع محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن وفي الاية انذار بليغ وتخويف
شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه يحط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وثالثا
عن رتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا
عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القائل شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ◦ فالظلم آخره ياتيك بالندم ◦ تنام عينك
والمظلوم منتبه ◦ يدعو عليك وعين الله لم تنم ◦ ولآخر شعر من تعود ظلم الورى وحيم ◦ يا صاحب الملك المجيد ◦ لا تظلم الناس واخش نارا ◦ وقودها
الناس والحجارة ◦ ايحسب الظالم في ظلمه ◦ اهمله القادر ام امهلا ◦ ما اهملوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ◦ اتلعب بالدعاء وتزدريه
وما يدريك ما صنع الدعاء ◦ سهام الليل لا تخطي ولكن ◦ لها امد وللامد انقضاء ◦ واعلم ان عهد الله الذي اخذ على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده فهو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال ينظر بلا لحظات
الربوبية فيربيك في بر بيك بعد نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا
التقصير فان الى الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تقرير تكليف آخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء
التي كانت في اصل الجنس ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله
لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمى بالعلم الاتفاقي ولهذا لزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت
كبعض حروفه الا انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة ثابتة بسبب الكعبة
نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد
والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سبب الامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول
يكون معنى امنا موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة
كعلامة عن الحسن اي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم فاجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله ثم بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله
القى تعظيمه في القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته
امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم
فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فتارة نتركه على ظاهره ونقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الوجود بخلافه فقد يقع فيه قتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة و
القتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعي الى ان المعنى انها لم تحل
لاحد ان ينصب الحرب عليها ان ذلك حل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاما من دخل البيت من الذين وجب عليهم الحد فقال الشافعي ان الامام يامر بالتضييق
عليه بما يؤدي الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد في الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند ابي حنيفة لا يستوفى قصاص
النفس في الحرم الا ان ينشئ القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه لا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد
لا يستوفى من الملتجي فيه واحد من القصاصين ولو التجأ الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد آخر يخرج منه ويقتل لانه تاخير يسير فيه صيانة المسجد تعجيلا قوله
واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها و
على هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرأ بالكسر فعلى الامر فعلى ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي
مقام ابراهيم اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء ابراهيم من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل لانه كان
شرطت عليه سارة ان لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى
غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابراهيم كان يبني البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم
عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابراهيم قام على
هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابراهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة ومزدلفة
والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا بها والقول بان مقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع بعرفه المكي

وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاصت فيه رجله وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابرهيم وكان اشد اختصاصا به فلا
مقام ابرهيم عليه ولما روي عن النبي انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ومن هذه مجريه على نحو رايت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا مشفقا ففيه بيان المتخذ والمرئي و
الموهوب تميزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابرهيم وركعتا الطواف خلف المقام
ثم في الحجر ثم في المسجد اي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا او نهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله للاعرابي حين قال
هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الآخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة انه مختلفة وعهدنا المراد بالعهد هنا
اي الرضا فهو ذلك وامرناهما امرا وثقنا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير
من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت حواليه مصلى واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص
كل هذه اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا والمراد قراه على طهارته بهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما
ان يكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس ان يطهره لهم متى جعوه للطائفين الى اخره العطف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد البيت
حاجا او معتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور ويعتكف والركع السجود جمع راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطا اذا كان طائفا
فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال
للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين المصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي ولعل الوجه الاول ولم يكن الركع السجود
كلاهما معطوفا بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسر الطائفين بالغرباء دلت الاية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة ولانه تعالى قدم
بذلك يروى عن ابن عباس ومجاهد وعطا ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الاية دليل على جواز الصلوة
في البيت سواء كانت نفلا او فرضا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة فلا تولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل
جزء من اجزائه واجيب بان التوجه الى جزئه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد بان الفرق بين الفرض والنفل لا قوله
تعالى واذ قال ابرهيم قيل في الاية تقديم وتأخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يمكن الا بعد حصول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متأخرا
في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوائد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه ثم فسر في التفسير تقديم الاهم فالاهم
ولا ابث ذكر جعل ابرهيم اماما اذ هي التقديم لعموم نفعه للخلائق ولتقدمه في الوجود ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة
البيت ثم حكاية عمارة البيت فقد حصل في ضمن رعاية الاهم فوائد اخر منها انه لما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها ايضا كذلك
فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابرهيم وذكر البناء وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بني
منها انه وقع ختم الكلام بادعية ابرهيم ووقع ختم الادعية بكلمة ثم التنبيه هذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب
اكثر مما احصينا هذا بلدا امنا ذا امن مثل عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا امنا على التنكير وفي سورة ابرهيم هذا البلد
امنا لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا امنا وذاك الدعاء صدر منه بعد جعله بلدا فكانه قال اجعل
هذا المكان الذي صيرته بلدا ذا امن واما الان الدعوتين هذا البلد امنا ففيه طلب الامن فيه قيل سأل الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير
ذي زرع ولا ضرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب الامن من
القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله امنا من الافات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة
وقصد اهلها بكل سوء واجيب بان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا اخر من الثمرات من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه
ثمرات كل شيء وانما سأل ابرهيم الامن ثم ان يجلب اليه الثمرات لانه كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا واخصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون
سببا للاجتماع للناس ونقلها اليه من كل اوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح
واختلف في ان مكة هل كانت امنة محرمة قبل دعوة ابرهيم ثم صار ذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صارت محرمة امنة بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله اني حرمت المدينة كما حرم ابرهيم مكة و
قيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله بمنع الله في النفوس من التعظيم ثم صار امنا على السنة الرسل ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث منع هناك بين المؤمن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما وقال ومن كفر عطفا
على من امن كما مر في ومن ذريتي او هو مبتدأ ضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي فهو ادى عن الله
امره ونهيه فلا يأخذه في الدين لومة لائم ولا سطوة جبار وظالم والى الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم واما الرزق
فلا يتقيد بالاول المؤمن والكافر والصالح والفاسق يعمهم الرحمة ولا ينفد يكونان سند راجيا المرزوق والما الحجة على انه متاع قليل لا مد به فيما بين

والابد قليلا اي متاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا لان نعمة المؤمنين في العاجل موصول بنعيمهم في الاجل ونعمة الكافر منقطع عنهم بعد الموت والى ابد
لا يجد بعد ذلك افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجئه الى النار
كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل تلك الفعل اختيارا كالمضطر
الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير لك الذي صار اليه وذلك الاضطرار يخالف المخصوص بالعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا
واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله اعلم وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهٖمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيلُ رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ و چون برافراشت ابراهیم بناها را از خانهٔ کعبه و اسمعیل گفتند ای پروردگار
قبول کن از ما بدرستیکه تو ای شنونده دانا پروردگارا و بگردان ما را منقاد خود و از ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ
اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اولاد ما گروهی منقاد از برای تو و بنمای بما جاهای عبادات ما و قبول کن توبهٔ ما بدرستیکه
تو ای قبول کننده توبه مهربانی پروردگارا برانگیز در میان ایشان پیغمبری از خود ایشان که بخواند بر اٰيٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ع
وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ اِبْرٰهٖمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ فِي ایات ترا و بیاموزد کتاب و حکمت را بایشان و پاکیزه کند ایشان را بدرستیکه توئی غالب و مصلحت دان
و کیست که رو گرداند از ملت ابراهیم مگر کسی که بجهل باشد نفسش و تحقیق که برگزیدیم او را الدُّنْيَا وَاِنَّهُ فِي الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ
لِرَبِّ الْعٰلَمِينَ وَوَصّٰى بِهَا اِبْرٰهٖمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ اِنَّ اللّٰهَ در دنیا و او هست در آخرت هر آینه از نیکوکاران چون گفت او را پروردگار او گردن نه گفت گردن نهادم
از برای پروردگار عالمیان و وصیت کرد ابراهیم فرزندان خود را و یعقوب که ای فرزندان من بدرستیکه خدا اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ
اِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ اِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي برگزید از برای شما دین اسلام پس نمیرید مگر در حالتی که تسلیم کنندگان باشید آیا بودید حاضر
چون در رسید یعقوب را مرگ چون گفت مر فرزندان خود را که چه میپرستید پس از من قَالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَائِكَ اِبْرٰهٖمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَاحِدًا
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا گفتند که میپرستیم معبود ترا و معبود پدران تو ابراهیم و اسمعیل و اسحق معبودی یگانه
و ما هستیم او را تسلیم کنندگان این گروهی که از پیش گذشت مر او راست آنچه کرد كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ القراءة ارنا وبابها ساكنة الراء ابن
كثير ويعقوب قياسا على كبد وفخذ اذ لكن فيقال فخذ وقرأ ابو عمرو بالاختلاس و پرسیده نشوید از آنچه کرده اند طلبا للخفة وهذا من الاجحاف
ويعلمهم بالاختلاس عباس كذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع ورد وعن ابن عباس بكلمتا وتعد ما وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس
مثل في اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى مدني والشامي ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون ووصى بالتشديد شهداء اذ عاصم حمزة وعلي خلف وابن عامر
الباقون شهداء اذ كذلك اشبهه كل القرآن الوقوف واسمعيل لا لاضمار القول اي يقولان ومحله نصب على الحال منا طلبا للابتداء مان وبجواز الوصل
وجه لطيف على تقدير فانك اولانك العليم مسلمة لك ص لعطف المتفقين علينا ط وقد كرر الرحيم ويزكيهم ط الحكيم نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار
في الديباج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين سلم ط لان قوله قال عامل اذ والاجيب يقال فقال ولا انقطع النظام العالمين ويعقوب ط لارادة القول
على الاصح ومن وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل اذ الاولى واذ الاولى ظرف
شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاول توقف على الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدي فله وجه ينسخ لان الانكار متوجه على
قولهم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدي ط واحد ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون قد
خلت ج لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استئنافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون
التفسير عن وهب بن منبه قال ان ادم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما راى من سعتها ولانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب اما لارضك هذه عامر
يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري ويسبح فيها خلقي ومنها بيتا اختاره
لنفسي واخصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه بعظمتي واحوطه بحرمتي واجعله احق البقاع التي اخترت لنفسي فاني اخترت
مكانه يوم خلقت السموات والارض جعلت ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم
حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن امن اهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد جفاني ومن عظم شانه فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد
صغر في عيني سكانها جيراني وعمارها وفدي وزوارها اضيافي اجعله اول بيت وضع للناس واعمره باهل السماء والارض ياتونه افواجا شعثا غبرا على
كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق علي ان اتحفه
بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا ادم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم والقرون
والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي بعد ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته
وولاته يكون اميني عليه ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني قد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره
ومجده وسناه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو ابوه يقال له ابراهيم ارفع به قواعده واقضي على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه
واجعله امة وحده قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وامره فيفعل وينذر لي فيفي واستجيب دعاءه

في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت في حمايته وسقايته وخدمته وخزانته وحجابته حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابرهيم امام ذلك
البيت واهل تلك الشريعة ياتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه ادم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وعن علي البيت المعمور بيت في السماء تعالى له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في
السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمرو عن النبي قال الركن والمقام ياقوتتان
من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب ما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس كان اشد بياضا من الثلج
حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل عم فنعني بهم ما روي ان رسول الله صلعم قال لم يكذب ابرهيم عم قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك
امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار فأتاه
فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها وقام ابرهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت
يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت يده اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد
فقبضت يده اشد من القبضتين الاوليين فقال ادعي الله ان يطلق يدي فلك الله ان لا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال انك انما اتيتني
بشيطان ولم تأتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطها هاجر قال فاقبلت تمشي فلما رآها ابرهيم انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما
قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت ذلك هاملكها سارة ابرهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب ما ثمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر
حيث لم يكن لسارة من ابرهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اول ما اتخذت النساء
المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق
زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام
اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع
يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع وتشرب من ذلك الماء حتى اذا انفد ما في السقا
ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا
فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها
فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي فذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال
بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي يرحم الله
ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي
وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى
اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل
فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن
بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلم وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد
قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك
السلم ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم
يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال
فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلم ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني
عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلم ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة
امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد ثم

باسمعيل

يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابرهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي ع انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلعم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلعم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم ترفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلعم فوضعه اعلم ان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلعم بعشر سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلعم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه ثانيا واعاده الى الصورة التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه وفي رفع القواعد صريح فيما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على التبيين بعد الابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة انواع من الدعاء في تلك الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى او يثيب عليه الاول للاعم والثاني للعارفين من الثاني تشبيه الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه رضا بها بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فان التقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختيار تقبل هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الاعمال المقرونة بالاخلاص فيكون يطلب القبول عن ذلك ويؤكده قولهما انك انت السميع يعني سماع اجابة العليم بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك والا كان تحصيلا للحاصل بالنسبة اليهما وقتئذ وان اريد بالاسلام الخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذه الامور نفسها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط لا ينال الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب قوله واجعلنا اما معطوف على تقبل في قوله انك انت السميع العليم ربنا اعتراض للتاكيد واما معطوف على محذوف اي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والامة الجماعة من الناس قيل اراد امة محمد صلعم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه وقيل مسلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومقيدا باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي وطلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالشفوق بسوء الظن مولع ويحتمل ان يكون هذا الدعاء بانا لما اجملها هنالك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة وانذر قوا انفسكم واهليكم نارا ولانهم اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وفي سدادهم يكون سداد من وراءهم ثم ان الله تعالى استجاب دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلعم على دين الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا عن رؤية العلم فمعناه علمنا شرائع حجنا كيف هي اذ امرتنا ببناء البيت لنحجه وندعوا الناس الى حجه وان كان منقولا عن رؤية البصر وهو الظاهر ولذلك لم يتجاوز مفعولين فالمعنى بصرنا متعبداتنا في الحج قال الحسن ان جبرئيل ارى ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابرهيم اعرفت ما اريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس فسد عليه الطريق فامره جبرئيل ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يامره جبرئيل برمي الحصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطء عن النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح للتقرب نسكا والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع اعمال الحج اولى قال صلعم خذوا عني مناسككم لعلي لا القاكم بعد عامي هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرع الله لابرهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبدك وبماذا نتقرب

اليك حتى نخدمك بذل الخدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة انما سئلاها مع علمهما بانهما تائبان قبل ان يكون فرط منهما من الصغائر عند من يجوزها على الانبياء
على ترك الاولى فيكون ذلك تشديدا على غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تعليما لغيرهما بصورة النادم العازم على التحرز تشديدا في الانصراف عما لا يليق
بهما فانه صلعم قال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة وايضا لعلهما استتابا للذرية لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين
وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة تقدم في قصة آدم فلنذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان
يبعث في تلك الامة رسولا ليبين لهم الشرع القويم ويهديهم الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل
اليهم كانوا جميعا من ذريته كان رتبته اجل ولانه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشأه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه
اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد صلعم باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى في موضع آخر لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ولقوله صلعم انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد واما الرؤيا فما رات امنة وهي حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة وهي ان الخليل لما دعا للحبيب بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا فلا جرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابرهيم وعلى آل ابرهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة
محمد فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم ابو الملة ملة ابيكم ابرهيم ومحمد صلعم ابو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرافة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في الصلوة ومنها ان ابرهيم منادي الشريعة
واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول
آخر الزمان ومنها ان الخليل تبرأ عن سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم
ذكر لذلك الرسول صفات اولها يتلوا عليهم آياتك فهو القرآن المتلو عليهم وجميع ما بلغه من دلائل التوحيد وغيره او تبليغ القرآن ومثله
معه ثانيها ويعلمهم الكتاب اي معانيه وحقايقه وذلك ان التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا من
التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولا سيما في الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام
وثالثها قوله والحكمة ويعلمهم الكتاب والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا من اجتمع فيه الامران فيضع
كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسبه قوله صلعم تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت
لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب الشافعي هي سنة رسول الله صلعم لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم
عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة
بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع اولى وقيل الحكمة الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الآيات المحكمات وبالحكمة المتشابهات
وقيل هي ما في احكام الكتاب من الحكم والمصالح ورابعها ويزكيهم لان كمال حال الانسان منحصر في امرين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم
بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليتخلى عنها وذلك يحصل بما يفعله النبي سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ
والتذكير والتسلي بامور الدنيا والتقوى بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي مكارم الاخلاق وقيل
يزكيهم يطهرهم عن الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول
عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق الحكمة
واذا كان كذلك صح منك اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه للتقرير والنفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر
اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من سفه الرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك لانه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد وسفه اما متعد
بمعنى سفه نفسه امتهنها واستخف بها فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمط الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في
اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنع على وحدانية
الله تعالى وربما يفضي الى صحة نبوة محمد صلعم وعن ابي عبيدة اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه وقيل ما لازم فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار نحو زيد ظني مقيم
اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى
ومشركي العرب وتعجيب مما لهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابرهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع
الى الله فان قيل ملة ابرهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع او هما متحدتان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما
مختلفتان في فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ايضا راغبا عن
ملة ابرهيم لان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد قلنا المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد صلعم من جملة الاصول

مهدیها ابرهیم ع والمراد بملة ابرهیم فی الاصول التی لا یختلف بمر الاعصار وکر الدهور فلا یلزم ان یکون محمد ص تابعا لها لانه مامور باتباعها ثم اوحینا الیک ان اتبع
ملة ابرهیم حنیفا روی ان عبد الله بن سلام دعا ابنی اخیه سلمة ومهاجرا الی الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال فی التورية انی باعث من ولد
اسمعیل نبیا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدی ورشد ومن لم یؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابی مهاجر ان یسلم فنزلت ثم انه تعالی لما سفه من رغب
عن ملة ابرهیم بین السبب فی ذلک فقال ولقد اصطفیناه فی الدنیا ای اخترناه للرسالة من دون الخلیقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحید والعدل
والامامة الباقیة الی قیام الساعة حتی نال منزلة الخلة وانه فی الاخرة لمن الصالحین فبلوغه ما لدیهم من الکرامة وحسن الثواب فالمستحق کان ذی
لب الراغب عن سیرة من هو فائز بسعادة الدارین لا رای له والله الموفق ثم بین سبب الاصطفاء وما عمل اصطفیناه لانه قال ای اخترناه فی ذلک
الوقت ویجوز ان ینتصب باضمار اذکر استشهادا علی ما ذکر من حاله کانه قیل اذکر ذلک الوقت لتعلم انه المصطفی الصالح الذی لا یرغب عن ملة
مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلک لکان حقه ان یقال اذ قلنا له والاکثرون علی انه تع قال له ذلک قبل النبوة وقبل البلوغ و ذلک
عند استدلاله بالکواکب والقمر والشمس واطلاعه علی امارة الحدوث فیها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا یجوز ان یقول له قبل ان عرف ربه و
یحتمل ان یکون ذلک قبل الاستدلال ولا یکون المراد منه نفس القول بل دلالة الدلیل علیه کقولهم نطق الحال قال تعالی ام انزلنا علیهم سلطانا
فهو یتکلم بما کانوا به یشرکون فجعل دلالة البرهان کلاما او یحتمل ان یکون هذا بعد النبوة والمراد استقامته علی الاسلام وثباته علیه کقوله
فاستقم کما امرت والمقصود الانقیاد لاوامر الله تع والمسارعة الی تلقیها بالقبول وترک الاعراض بالقلب واللسان وقیل الایمان صفة القلب
والاسلام صفة الجوارح وان ابرهیم کان عارفا بالله تع بقلبه فکلفه الله تع بعد ذلک بعمل الجوارح وفی تخصیص لفظ الرب بهذا الموضع دلالة
بالکتب قصص ابرهیم اشارة الی ان طریق عرفانه النظر فی المربوبات فلا جرم وصل الی الرب وطریق عرفان محمد ع عکس ذلک الترتیب فلا جرم بدا بامر الله
فاعلم انه لا اله الا الله والاول طریق سنریهم ایاتنا فی الافاق وفی انفسهم حتی یتبین لهم انه الحق لکن الطریق الثانی احسن اولم یکف بربک انه علی
کل شیء شهید ومن ههنا یعرف فضیلة محمد ع شعر وانی وان کنت الاخیر زمانه لات بما لم یستطعه الاوائل فالف ابرهیم دلالة علی استقامة سیرته
ومیم محمد دلیل علی انه مکمل الاوضاع وبه ابتداء الامر حیث انتهی ثم دائرة النبوة وحصلت الخاتمة وکما ان الف ابرهیم دلیل وجود الاستقامة
ان الذین قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالف الابد دلیل عدم الاستقامة الا ابلیس ابی واستکبر والوجود خیر والعدم شر فحصل من خلة
الخیر مع لام الابد واذ ابتلی ابرهیم ربه ترکیب الخلة واتخذ الله ابرهیم خلیلا ومن شین الشرع دال الدوام علی الکفر وکان من الکافرین
اسم الشدة وللکافرین عذاب شدید ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بین الشیئین ومنه خلال فلا جرم کان ابرهیم ع واسطة فی الطریقة
ان اتبع ملة ابرهیم حنیفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص کل شیء وداخله ومنه حبة القلب فلا جرم کان محمد خاتم النبیین و حبیب
رب العالمین وزبدة الکائنات وغایة الحرکات لولاک لما خلقت الافلاک اول الفکر اخر العمل اول ما خلق الله تع نوری انا اول من ینشق عنه
قبر ادم ومن دونه تحت لوائی انا سید المرسلین ولا فخر ومحمد ع ابو الحقیقة وان کان ابرهیم ع ابا الطریقة والحقیقة لکونها مقصودة بالذات
اقوی من الطریقة لا جرم وقع الصلوة علی ابرهیم فی الصلوة تبعا للصلوة علی محمد اللهم صل علی محمد وعلی ال محمد کما صلیت علی ابرهیم وان الصلوة
لا تصح بدون الصلوة علی محمد بخلاف الصلوة علی غیره ولنعد الی ما کنا فیه ووصی التوصیة من جملة الامور المستحسنة التی حکاها الله تع عن ابرهیم
اوصیته بکذا ووصیته بمعنی واصله من وصیت الشیء بکذا اذا وصلته به وصل البلاد ارض واصیة متصلة النبات فالموصی یصل القربة الحاصلة له
بعد الموت الی القربات الحاصلة له فی الحیوة ویجعل الموصی علیه هذا الوصل بسبب الوصیة والضمیر فی بها قیل یعود الی الکلمة او الجملة وهی اسلمت
لرب العالمین ونحوه رجوع الضمیر فی قوله وجعلها کلمة باقیة الی قوله اننی براء مما تعبدون الا الذی فطرنی وقیل الاولی ان یرجع الی الملة
لانها مذکورة صریحا فی قوله ومن یرغب عن ملة ابرهیم ولان الوصیة بالملة الجامعة جمیع اسباب الفلاح بخلاف الوصیة بالشهادة وحدها
اللهم الا ان یحمل الاسلام علی الانقیاد الکلی وفی الایة دلالة علی مزید فضل الدین منها انه لم یقل امرهما لان الوصیة عند امارات الموت وعند
ذلک یکون الاهتمام بالامور اشد منها انه خص بنیه بذلک لانهم اعزة مع انه کان یدعو کل الناس الی الدین فدل علی انه لا شیء عنده اهم من
ذلک منها التعمیم لجمیع الابناء وانه لم یقید الوصیة بزمان ومکان ولم یخلطها بشیء اخر ثم نهاهم ان یموتوا غیر مسلمین وکل هذه دلائل شدة
الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السیرة فیجب قبول قوله لکل عاقل وکذلک وصی بها یعقوب بنیه وقری یعقوب بالنصب
فمعناه وصی بها ابرهیم بنیه ونافلته یعقوب ویا بنی کل منهما یا بنی اصله یا بنون فاضیفا الی یاء المتکلم فسقطت النون وصار الواو یاء لاجل
النصب فادغم الیاء فی الیاء ان الله اصطفی لکم الدین استخلصه واختاره لکم بان اقام علیه الدلائل الواضحة ودعاکم الیه ومنعکم من غیره ووفقکم
للاخذ به فلا تموتن فلا یکن موتکم الا علی حال کونکم ثابتین علی الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لانه نهاه عن نفس الصلوة ولکن عن ترک
الخشوع فی صلوته والنکتة فیه اظهار ان الصلوة التی لا خشوع فیها کلا صلوة ومثله قوله ع لا صلوة لجار المسجد الا فی المسجد فانه فی قوة
قوله لجار المسجد لا تصل الا فی المسجد فکانه موتهم لا علی حال الاسلام موت لا خیر فیه لانه لیس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا یحل
فیهم ام کنتم شهداء یحتمل ان یکون ام منقطعة ومعنی الهمزة فیها الانکار لمجرد الحضور عنده ای ما کنتم حاضرین حین

احضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي ولا اهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تزعمون ان ما انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وقت الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيفي فزعمتم في دين محمد ويحتمل كون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت قيل اي انكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة لاحد الامرين الكائن فيهما فقط فان كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه ان يقال المراد الحضور غير ثابت لتطاول الزمان فاذن دعواهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه نص على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى آخره ويتجه على هذا التقدير ان تكون ام منقطعة كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استانف استفهاما ثانيا التقرير النفي اي ما كنتم شهداء او لتقرير الاثبات على ان اوائلهم قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلماء من لما يعقل وما لما يعقل ومن خصص ما بغير اولي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب روي ان يعقوب لما دخل مصر رأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لانهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين ابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك قدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما لانخراطهما في سلك واحد هو الاخوة قال عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جده فعن الشافعي انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد البتة وهذا مذهب زيد ومالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وقال ابو حنيفة انه حقيقة فهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا الاية دلت على ان الطريق الى معرفة الله تعالى التعليم لوسوله الامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده وآباؤك يعبدونه فدل على ان طريق المعرفة هو التعليم والجواب يمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات الله وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون نفس يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته وايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم والها واحدا بدل من اله آبائك مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص للمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله النصب على الحال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير له اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وجملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون قد خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم الا رسوم ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه يريد اني اقصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون بآبائهم اياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفي الاية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال عليه السلام يا صفية عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ايتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الاية تدل ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجد الافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما اراده العبد وليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد ان لا يتصف به واذا لم يخلقه فيه استحال ان لا يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وايضا الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرة العبد وعن القاضي ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذات الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف بان الحرمة من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي وضع الاسباب المؤدية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر منسوبا الى اثر آخر بعيد ثم الى ابعد الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب

البقرة

الثاني

وفاعل لكل ومبدأ المبادي واليك الاختيار بعقلك دون هواك التأويل من قوله واذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فان صدقه بقدر
اشده بلاء وابتلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المال و
وموجبات الخلة التبري عما سوى الخليل اني بريء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لي الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له
جبرئيل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين والرضاء بما امر به من ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين
بخلاف ما قال نوح ان ابني من اهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به وان جعلنا البيت بيت القلب كما جاء
ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فقال فرغ لي قلبك اي جعلنا القلب الانساني مثابة للناس ترجعون اليه بالطلب
وزوارا كما ترجعون الى الكعبة في الصورة وامنا للسالك من تصرفات الشيطان ومكائده حين بلغ منزل القلب لان القلب خزانة
الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جولان اللص الشيطان في ميادين الصدور كقوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا عند الوصول الى
كعبة القلب من مقام ابراهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى الله لا الى غيره كما قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين وعهدنا
الى ابراهيم واسمعيل في الميثاق ان طهرا القلب من ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاحوال
والعاكفين وهي الملكات والمقامات والركع السجود وهي صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء
والتسليم والرضاء والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابراهيم الاية لما اهبط آدم الروح الى ارض الجسد فقد ما كان يجد من
من روائح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس ستوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس له يأنس بها لتشرق الى حظيرة رب العالمين تطلع
منها شواهد الالطاف وتابع عرف الى عالم الجسد فيه قناديل العقل وانزل حجر الهدية المخاطبة بخطاب الست بربكم ممهور بمهر جواب بلى وقد
القم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان آفات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وغارتني اثم بولات رفع
بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعني حجب استار خواص العناصر الاربع واخفى حجر الهدية في ابي قبيس صفات النفس فلما امر ابراهيم الروح بعد البلوغ
ببناء بيت القلب وعمارته من حشر جبال اركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت القلب بدلالة السكينة هو الذي انزل السكينة في
قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجيء باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام وبناؤها ابراهيم الروح وهو يبني الى ان
بلغ موضع الحجر فنودي من ابي قبيس الهوى ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الهدية من استار صفات النفس الهوى ووضعه مكانه وكان
ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركوا الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سألا
ربهما الاستسلام الاحكام الظاهرة الشرعية والباطنة التي جف القلم بها في الازل كذا ذريتهما المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية
وان يبعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فمن لم يكن له في القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابراهيم الروح
يوصي المتولدات من القلب وصفات النفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها ملتوى وفي الايات اشارة الى انه تعالى يتجلى
لروح عبد مخلص مضرع البيت طهر آثار انوار تجليه على قلبه وسره ونفسه وقوله وحواسه جميع اعضائه فيخضعون بكليتهم فيعبدون الها واحدا لا منفردا
من الهوى والدنيا والاخرة والله الموفق وَقَالُوا كُونُوا هُودًا اَوْ نَصَارٰى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
و گفتند جهودان که جهودان شوید یا ترسا تا که هدایت یابید بگو که متابعت کنیم ملت ابراهیم را که مستوی بود و نبود از مشرکان

قُولُوا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْنَا وَمَا اُنْزِلَ اِلٰى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْاَسْبَاطِ وَمَا اُوتِيَ مُوسٰى
بگویید که گرویدیم بخدا و آنچه فرستاده شد بما و آنچه فرستاده شد بابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و اسباط و آنچه بموسی رسید و آنچه
وَعِيسٰى وَمَا اُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَاِنْ اٰمَنُوا بِمِثْلِ مَا اٰمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا
بعیسی و آنچه فرستاده خدا پیغمبران از پروردگار شان جدا نمیکنیم در میان هیچیک از ایشان و ما مر او را تسلیم کنندگانیم پس اگر گرویدند بآنچه گرویدید شما پس راه یافتند
وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ اللّٰهِ وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ
و اگر رو گردانیدند پس بدرستیکه ایشان در خصومت اند پس زود کفایت کند ترا از ایشان خدا و اوست شنوای دانا خوش دارید رنگ دین خدا را و کیست بهتر از خدا در رنگ دین و ما مر او را پرستندگانیم
قُلْ اَتُحَاجُّونَنَا فِي اللّٰهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا اَعْمَالُنَا وَلَكُمْ اَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ اَمْ تَقُولُونَ اِنَّ اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ
بگو که آیا خصومت میکنید با ما در باره خدا و حال آنکه اوست پروردگار ما و پروردگار شما و از برای ما است کردار ما و از برای شما است کردار شما و ما مر او را مخلصانیم یا آنکه میگویید که ابراهیم و اسمعیل
وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْاَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا اَوْ نَصَارٰى قُلْ ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّٰهُ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ
و اسحق و یعقوب و اسباط بودند جهودان یا ترسایان بگو که آیا شما بهتر میدانید یا خدا و کیست ستمکارتر از آنکه پنهان داشت گواهی را که نزد خود است از خدا و نیست خدا
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ القراءة ام تقولون بتاء الخطاب
بیخبر از کردهای شما آن گروهی که در گذشتند مر ایشانراست کسب ایشان و مر شماراست کسب شما و پرسیده نشوید از کردهای ایشان ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم
غير ابي بكر والحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف تهتدوا ط المشركين من ربهم ج لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اي ما غير مفرقين منهم

لاحتمال الابتداء والحال وجه مسلمون اهتدوا ج لابتداء شرط اخر مع العطف شقاق ج للابتداء لسبق الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج
لاحتمال الواو والابتداء والحال العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة بدلالة عليها قوله امنا بالله وقوله فان امنوا شرط معترض من صبغة الله
لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او للحال وللعطف على امنا عابدون وربكم ج لان الواو ويصلح ان يكون
عطفا على الحال الاولى ويصلح ان يكون مستانفا اعمالكم ج مخلصون لا لمن قرأ ام يقولون بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء لم يقف لكونها ام معادلة
للهمزة في اتحاجوننا او نصارى ط ام الله ط من الله ط تعملون قد خلت ج ما كسبتم ج يعملون الجزء الاول من الثلثين التفسير لما تقرر بما بين من الدلائل
المقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي
بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وتقدم مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله
قل بل ملة ابرهيم اي تكون اهل ملته مثل واسئل القرية اي اهلها او بل ملة نتبع ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته و
حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل وشبهه يشتمل على
فاعل ومفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابرهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام
لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب الحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان
النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابرهيم فاتباعه اولى وهذا
جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان زعم اليهود والنصارى انا على دين ابرهيم عرض عليهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قالوا
بالتثليث واليهود بالتشبيه ايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابرهيم التي هي محض التوحيد وخالص الاسلام في تحقق قولوا
للمؤمنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا
ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته وهذا جواب اخر برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد صلعم وجب
الاعتراف بنبوته والايمان به بما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابرهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب
المناقضة في الدليل عن الحسن قوله قل بل ملة ابرهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر انهم وانما قدم الايمان بالله لان
معرفة النبي والكتاب موقوفة على معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط
في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي فهم حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر عدد
بعض الانبياء المتقدمين وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم
ان كلا منهم حق في زمانه ولا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد معنى الجماعة ولذلك صح دخول
بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم لا نخص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا او هوى
ولما بين الطريق الواضح في الدين هو ان يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم في مثل هذا الايمان
وههنا سؤال هو ان دين الاسلام وهو حق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما امنتم به والجواب ان قوله فان امنوا بكلمة الشك دليل على
ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان تحصلوا دينا اخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا
لسلامته عن التناقض فلا اهتداء بغيره فلا اهتداء الا به ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب
منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك لكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق
والتمثيل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان
امنوا بما امنتم به وقيل معناه انكم امنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان امنوا بمثل ذلك في التورية فقد اهتدوا لانهم يتوسلون
به الى معرفة نبوة محمد صلعم وفي الاية دليل على ان الهداية قبل هذا الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها
والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق خلاف وعداوة وهو ماخوذ من الشق كانه صار
في شق غير شق صاحبه من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي وصف القوم
بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به لايقاع في المحن فلا جرم امنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله
وناهيك به من كاف كافي ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن في السوق
لن افعل نفي سافعل وقد انجز وعده بما ترتب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب كم من مثله
في القران وكل ذلك مما يؤكد اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله صلعم اي يسمع دعاءك ويعلم
نيتك في اعلاء كلمة الحق واعلائها فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد للاعداء اي هو مطلع عليهم ويسمع ويعلم ما يسرون من الحسد والغل فيعاقبهم
على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء اي عليكم

صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهو قول سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم ونصب على الاغراء اى عليكم صبغة الله وفيه فك
النظم واخراج الكلام عن الالتئام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التى يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس واصله ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه بالمعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم آمنا و
وصبغنا الله بالايمان لا صبغنكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره
انما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا فى الشيء اى يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما
للثوب وقيل سمى الدين صبغة لظهور هيئته على صاحبه سيماهم فى وجوههم من اثر السجود من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل
وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذى حس سليم كما يدرك الالوان وقيل
صبغة الله فطرته اى قوله ان ذلك ان آثار الفطرة لا مكانى لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به
قيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز اى لا صبغة احسن من
الايمان بالله الدين الذى شرع لكم ليطهركم به من اوضار الكفر وادران الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم من اهل الكتاب و
اما المحاجة فهى اما قولهم نحن حق بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا
هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركى العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
واما للكل والمعنى اتجادلوننا فى شأن الله او فى دينه وهو ربنا وربكم وللرب ان يفعل بعبيده ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه هذا الرعبده كلهم نحو
فى ذلك لا يختص به عجمى دون عربى ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ترجون نيل الكرامة بها نحن كذلك فالعمل هو الاساس به الاعتبار ونحن
له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يؤهل اهل الاخلاص بمزيد الكرامة من عنده ام تقولون من قراء بالتاء
الخطاب يحتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استئناف استفهام آخر اى بل تقولون والهمزة للانكار كما فى اتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة
اى الامرين تأتون المحاجة فى حكمة الله ام ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء انكارا عليهم وتستجهالا لهم بما كان منهم وعن الزجاج باى
الحجتين تتعلقون فى امرنا اما التوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قراء بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة
لانقطاع الاستفهام الا بالتفات قل ءانتم اعلم ام الله بل الله اعلم وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وكلهم معترفون بان الله اعلم وقد اخبر بنقيض ما
دعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واسفاههم فلا فائدة الكلام اما التنبيه
اما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابرهيم بنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة
لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل اشنع واما ان يتعلق بكتم اى لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله
وكتمها واخفاها اى منه او اما ان يتعلق بشهادة كقولك عندى شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى لا احد اظلم ممن كتم شهادة
عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لا يكتموا ما عندكم من الحق شهد الله لابرهيم بالحنيفية وتعريض باهل الكتاب فانهم كتموا شهادة
الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابرهيم وغير ذلك مما في كتبهم الخ وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولا اضرابهم ولو ان احدا كان عليه
رقيب من قبل ملك مجازى لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذى يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه وافكاره ثم هو يقدر على انواع
جنته وناره تلك امة تكرير اشارة الى ابرهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الاية هنا للمبالغة في التحذير والزجر عن الاشتغال بوصف ما عليه الائمة
فان المراد انهم لا ينفع الا اياهم لا تدرسوا ذا رهاو نطاس بوادرها واما الان فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان اليقيني فيجب
اتباع المعلوم والقفا والقاء المظنون العادة ولا يسئل المتاخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله يجزى سيقول

السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

بخردان از مردم كه چه بر گردانيد ايشان را از قبلهٔ ايشان كه بودند بر آن بگو كه مر خدا راست مشرق و مغرب راه نمايد هر كه را خواهد بسوى راه راست

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى

و همچنين گردانيديم شما را گروهى برگزيده تا كه بوده باشيد گواهان بر مردمان و بوده باشد پيغمبر كه محمد است بر شما گواه و قرار نداديم ما آن قبله را كه

كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله

كه بودى تو بر آن بجز آنكه جدا كنيم از آنكه متابعت كند پيغمبر را از آنكه بر گردد بر پاشنه خود و هر چند اين تحويل قبله بزرگ است مگر بر آنانكه هدايت كرد ايشان را و نه چنانست خدا كه

ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك

ضايع گرداند ايمان شما را بدرستيكه خدا بمردمان هر آينه مهربانست بدرستى مى‌بينيم گردش روى تو را در آسمان پس قرار دهيم از براى تو قبله‌اى كه خوشنود شوى آن را پس گردان روى خود را

شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله

بطرف مسجد الحرام و در هر جاى كه بوده باشيد پس بگردانيد رو هاى خود را بآن جهت و بدرستيكه آنانكه داديم ايشان را كتاب هر آينه مى‌دانند كه آن حق از جانب پروردگار است

بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة

بیخبر از آنچه میکنند و اگر بیاوری آنانرا که داده شده اند کتاب را بهر علامتی پیروی نکنند قبله ترا و نیستی تو پیروی کننده قبله ایشانرا و نیستند بعضی ایشان پیرو قبله

بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

بعضی و اگر پیروی کنی خواهشهای ایشانرا پس از آنکه آمد ترا از دانش بدرستیکه تو آنگاه از ستمکاران باشی آنانکه دادیم ایشانرا کتاب را می‌شناسند او را چنانکه می‌شناسند

ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها

فرزندان خود را و بدرستیکه گروهی از ایشان هر آینه می‌پوشند حق را و حال آنکه میدانند حق از جانب پروردگار تست پس مباش البته از شک کنندگان و از برای هر یکی جهتی است که او رو گرداننده است بدان

فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر

پس پیشی گیرید بنیکوییها در هر جا که باشید بیارد شما را خدا همه را بدرستیکه خدا بر همه چیزی تواناست و از هر طرف که بیرون رفتی پس بگردان روی خود را جانب

المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث

مسجد الحرام و بدرستیکه آن هر آینه حق است از پروردگار تو و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید و از هر طرف که بیرون شدی پس بگردان روی خود را جانب مسجد الحرام و هر جا که

ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم

باشید پس بگردانید رویهای خود را جانب آن تا نباشد از برای مردمان بر شما حجتی مگر آنانکه ستمکردند از ایشان پس مترسید از ایشان و بترسید از من و تا تمام کنم

نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة

نعمت خود را بر شما و شاید که شما راه یابید چنانکه فرستادیم در شما پیغمبری را از جنس شما که میخواند بر شما آیتهای ما را و پاکیزه کند شما را و بیاموزد شما را کتاب و حکمت

ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون القراءات يأت الى ابن عامر حمزة وعلي وخلف

و بیاموزد شما را آنچه نبودید که بدانید پس یاد آورید مرا تا یاد آورم شما را و سپاس کنید مرا و کافر نشوید وابن عامر الباقون بتاء ولي بفتح الياء نافع وا

وورش الحلواني وابن شنبوذ عن اهل مكة ثنا والي بقلب الياء والزوائد مهموز اشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف وعاصم ابو عمرو ويعقوب الباقون بالتاء موليها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء المغايبة ابو عمرو والباقون بالتاء لئلا بمد غير مهموزة يزيد وورش عن ابن كثير حمزة وعلي وخلف ويعقوب مدغما يسمون الباقون بطهاره مهموزا والاختيار عن يعقوب هشام الاظهار فاذكروني بفتح الياء ابن كثير الوقوف عليها ط التشريف مستقيم ه شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط ايمانكم ط رحيم ه في السماء ج لان الجملتين وان اتفقتا فقد تخللت الثانية حرف التوكيد يعنيان بالقسم في القسم مصححة ترتيبها صر لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم ط يعملون قبلتك ج قبلتهم ج وكلاهما لتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان الجواب معنى القسم فلو وصل كانت الظالمين ط وفي الاطلاق خطر الظالمين لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ يمدح عبد الله بن سلام واضرابه ابناءهم ط يعلمون الممترين الخيرات جميعا ط قدير ه الحرام ط من ربك ط تعملون ه الحرام ط لانه حيث متضمن للشرط شطره لا لتعلق لام كي حجة فقيل تجوز لغرض اثبات ما بعد النفي والوصل في العربية اوضح ولا منافاة لان المراد من نفي الحجة الخصومة ونفي بيان الحق لا ينافي الخصومة تهتدون لا لان الكاف اذا علق بما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلق او وان علق بما بعده وقف على تهتدون تعلمون ولا تكفرون ه التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ يقتضي اما الجهل او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا وان كان مقيدا بالدوام فكذلك وان كان مقيدا بالدوام فان كان الآمر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بانه لا يدوم وامر كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم خصصوا هذه الصورة لمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون فيّ كانه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك نزلت الآية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجاة المكروه اشد مما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم وقيل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان من لا يميز بين ماله وعليه في امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذي يضيع امر آخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا يأنسون بموافقة النبي اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا لاسيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن والاصم انهم مشركو العرب قالوا ابى الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه لكان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن بعض لا يثبت بدليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل لا خلاف فيه لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشفي فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ما ولاهم ما صرفهم استفهموا على جهة التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير في كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول

والمؤمنين

والمؤمنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب قبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم كانوا يأنفون
التوجه حد الى غيرهما بين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اى بلادهما والارض كلها والجهات باسرها
ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجيه الناس اليها ويحتمل ان
يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في اية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد
عليه كالاعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد فافعاله تعالى لا يعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا يهتدي عقول
البشر الى تفاصيل حكمها الا انهم قد يستنبطون بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة مما تعيين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان قوة
عقلية يدرك الجزئيات والمعقولات بها وقوة خيالية تتصرف بها في عالم الاجسام وقلما ينفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في
ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان ينثني على ملك مجازي فانه
يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والثناء يجري مجرى الثناء
عليه والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتأتى ذلك الا اذا بقي في جميع
صلوته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين اذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين
المؤمنين وقد من عليهم بذلك واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى جهة لتفوق
مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي
والجنة كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الى اوليك داركرامتي وايضا اليهود استقبلوا المغرب لان نداء موسى كان بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد
منخلق الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وبينهما قبلة ابراهيم ومحمد خير الامور اوسطها وايضا الكعبة
سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي
قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي
من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سيناء وزيتا وجودي ولبنان وحراء فكانه قال ان كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فاقصد
الكعبة حاجا ومعتمرا او توجهت مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سبب الظهور دولة العرب كانت عنهم في نوع
اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة ويكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد فتعظيمها
يقتضي تعظيمه تعظيما يعين على قبول اوامره ونواهيه فبمقدار حشمته المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي
ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه
وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اي كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم
امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولقد اصطفيناه كما اصطفينا ابراهيم في الدنيا جعلناكم وقيل ينصرف الى قوله ولله المشرق والمغرب اي كما خصصنا
بعض الجهات التشاور بمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مختصين بالعدالة انعاما وامتنانا مع تساوي
الخلق في العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور
المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيري
جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم كل موضع صلح فيه بين فهو
وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال
هم وسط يرضى الانام بحكمهم :: اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله
تعالى في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجمادات قال في الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطاهن اراد من خيار
الدنانير ويؤيده قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط
محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا
النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لتكونوا
شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الاخرة اما بان تكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روي ان الامم يجحدون تبليغ
الانبياء يوم القيامة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تميز امة محمد في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله

لهم

ويتصدق بتوحيد جميع الانبياء والايمان بهم جميعاً فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة
الامم عليهم وانما سمي هذا الاخبار شهادة لقوله ﷺ اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشيء الذي اخبر الله تعالى عنه معلوم مثل الشمس فيصح الشهادة
عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيداً وامة محمد ﷺ خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات
مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الآخرة لان عدالتهم
في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم رتب كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا
فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الآخرة قلنا المراد في الآية الاداء لان العدالة انما يعتبر في الاداء لا في التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم
حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية يقتضي كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل
مع ذلك لهم الشهادة في الآخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك
يوم القيامة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم ويكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس في
الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيداً يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة في الثاني لان
الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فيستعمل الشهادة في مركزها والغرض في الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم فازيلت
عن مركزها ليفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيداً مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية الطباق
للاول وانما قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف اما بفعل او بقول وذلك عليهم لا لهم في الحال قيل الآية متروكة الظاهر لان
وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب
في جعلناكم للموجودين عند نزول الآية لان خطاب من لم يوجد محال فالآية تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما
بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع وقد سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه ان كان خطأ
لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان يكون الشخص غير مقبول
القول عند الانفراد ويكون مقبولاً عند الاجتماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الآية الى قيام الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم
الصيام كما كتب عليكم القصاص للموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة وآخرها باسرها لزالت فائدة الآية اذ لم
يبق بعد انقضائها من يكون الآية حجة عليه فعلمنا ان المراد به اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خياراً وعدولاً فعند
الاجماع فلو امكن اجتماعهم على الخطأ لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك فلا منة وما جعلنا يريد الجعل بمعنى الشرع والحكم التي صفة موصوف
محذوف هو ثاني مفعولي جعل اي وما جعلنا القبلة اي الجهة التي كنت عليها معتقداً الاستقبال اليها كقولك الشافعي على كذا وفي الجهة وجهان احدهما
ان هذا الكلام بيان للحكمة في جعل الكعبة قبلة وذلك انه ﷺ كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تألفاً لليهود وامتحاناً
للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى الكعبة اختياراً ثانياً اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولاً الا امتحاناً للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان للحكمة
في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امراً عارضاً الفائدة هي ان نمتحن الناس وننظر
من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام في لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هي للتقرير الحكمة والفائدة التي يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم
يزل عالماً بذلك فالجواب ان معناه لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده او لنعلمه موجوداً حاصلاً وهو
العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بالحادث الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال
حدوثه وانما جاء المضي والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانياً وكون كل زمان مكفوفاً بزمانين سابق ولاحق فاذا نسبت العلم
الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا نسبته الى الزمان اللاحق قلت قد علم بجميع هذه التغيرات
من عباراتك فعلم الله واحد فافهم او ليتميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسمي التمييز علماً لانه احد فوائد العلم وثمراته
او لنرى كما يستعمل الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم في الآية راجع الى المخاطبين مثاله ان جاهلاً وعاقلاً اجتمعا فيقول
الجاهل الحطب يحرق النار فيقول العاقل بل النار يحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لنعلم ايها الجاهل وهذا من كلام المنصف
مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى ثم هذه المحنة
حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الناس من قال بالاول لانه ﷺ كان يصلي الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت
المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في امر النسخ
اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير رأيه

توجه

توجه الى الكعبة اختلفوا فقال المنافقون مال بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس
وقال آخرون اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية
ويتهيأ بالتخفيف للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي دخلت هي عليه من باب كان وعلم ويبطل عمل ان في اللفظ وكذا
في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العائد الى القبلة لانها هي المذكورة او الى ما
دل عليه الكلام السابق من التولية في ما ولاهم او الجعلة او الردة او التحويلة في وما جعلنا ومعنى الكبيرة الثقيلة الشاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج
من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف شديد لا اعراض عن طريقة الآباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل
فهو مبني على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب عقدا كثيرا الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اي هداهم اي الثبات
على دين الاسلام بان نصب لهم الدلائل اولا ثم جعلهم متفقين بها ثانيا والا فالهداية عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين
المعاصرين واللام لتاكيد النفي الداخل في كان ينتصب المضارع بعدها بتقدير ان اي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا
بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن قال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقريركم على ذلك مفسدة
لكم واضاعة لصلواتكم اي لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم آثار الايمان واشرف نتائجه اولان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك
الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما
خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال من الشك في حقية النسخ في شيء وانما هو
لاجل الاطمينان ولزيادة اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذلك حيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية
عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب للاموات والاحياء جميعا فان للمنسوخ حقا في وقته كما ان الناسخ حق في وقته سواء
عمل المكلف بهما في وقتهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم ان يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله
المسلمين على الجواب قبل بل المعنى وفقكم لقبوله هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا ويحكى عن الحجاج انه قال
للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس
اليه واحبهم ان الله بالناس لرءوف رحيم الجوهري الرافة اشد الرحمة رؤف بارؤف بالضم فيهما رافة ورافة ورافة رأف بالفتح فيهما و
رأف بالكسر رافة والصفة رؤف ورؤف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة هي دفع المكروه وازالة الضرر ولا تاخذكم
بهما رافة والرحمة اسم جامع خصص اولا ثم عمم والمراد ان الرؤف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة وكيف لا ينقلكم من شرع الى شرع هو اصلح
لكم وانما هداكم من هدى لانه بالناس رؤف رحيم فمن كان اثر الفيض كان الاثر عليه اظهر قوله عز من قائل قد نرى معناه كثرة الرؤية وههنا
وان كان في الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله : كان اثوابه مجت بفرصاد : كما ان رب في الاصل للتقليل ثم قد يستعمل في معنى
التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما : اقام به بعد الوفود وفود : ووجه ذلك ان المادح يستقل الشيء الكثير من المدائح لان الكثير منها
كانه قليل بالنسبة الى الممدوح ومثله قد يعلم الله فان المتمدح بكثرة العلم يقول لا تنكر اني اعرف شيئا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في جهة السماء
وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبرئيل وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها
فقال له جبرئيل انا عبد مثلك سل ربك فجعل النبي يديم النظر الى السماء رجاء مجيء جبرئيل بما سال فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون
انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابيه ابرهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم
ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشائه ولا يبعد ان يميل طبعه الى شيء ثم يتمنى في قلبه اذن الله فيه
وقيل انه استاذن جبرئيل في ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله قد اذن له في الدعاء فكان يقلب وجهه في السماء ينتظر مجيء جبرئيل للاجابة وعن الحسن
ان جبرئيل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للمحول اليها ولم يكن قبلة احب الى رسول الله من الكعبة فكان ينتظر
الوحي بذلك على هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب
وجهه عن الاصم قيل بل وعد بذلك وقبلة بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب طرفه وهذا اولى لانه لم يكن القبلة
ناسخة للاولى بل كانت مبتداة لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة للاولى لانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف
في صلوته بمكة فقيل كان يصلي الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس تسعة اشهر او عشرة اشهر او ثلثة عشر او ستة عشر او سبعة
عشر وهو الاكثر او ثمانية عشر او سنتين اقوال وقيل بل كان بمكة يصلي الى بيت المقدس الا انه هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره او كان النبي مخيرا
في توجهه اليه والى غيره فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما روي ان قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل
الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سالوا النبي عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس
ان ذلك كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه ما كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك او لنمكننك من

ان يستقبلها من قولهم وليته كذا جعلته واليا له فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها
ووافقت مشية الله تع وحكمته عن الاصم كل جهة وجهك الله يحب ان يكون رضى لا سخطها كما قال من انقلب على عقبيه وقيل ترضى عاقبتها لانك
تمن بها الموافق عن المنافق فول وجهك اى كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل بجملته القبلة لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء
وبه يتميز الاشخاص شطر المسجد الحرام اى نحوه وجهته فالجمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشئ والكعبة
واقعة من المسجد في النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وزيف بالفرق بين النصف وبين المنتصف
والمكلف مامور بالثاني دون الاول عن ابن عمر بينما الناس بقبا في صلوة الصبح اذ جاءهم ات فقال ان النبي قد انزل عليه الليلة قران وقد امر
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي الموطا صلى رسول الله صلعم بعد ان قدم المدينة ستة
عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا في المراد بالمسجد الحرام وفي شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت
قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب هذا قول مالك قال اخرون القبلة هي الكعبة لما اخرج في الصحيحين
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرني اسامة بن زيد قال لما دخل النبي البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع
ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة في صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا في حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة و
قال اخرون القبلة هي المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعي في اظهر قوليه ان يستقبل المصلي عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظ قوله تع
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله صلعم هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبي بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة
الصلوة وهي من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة
امر معلوم وغير مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابي حنيفة ويوافقه القول الاخر للشافعي فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان في استقبال
عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان في ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب محاذاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب والمعنى
في الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة تحتاج فيها
تحتاج الى الدقة والنظر ولم يبانهم ثم لم ينكر النبي عليهم وسمى مسجدهم بذي القبلتين ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا
بالدلايل الهندسية فانها هي المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا
يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلايل واجبا ولم يذهب اليه احد لا يقال فان القول الاول اقرب الى المقصد اصابة العين للبعيد
غير بعيد فانا من نقطتين في الارض وفي السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما خط والغرض ان يكون المصلي ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة
بقدميه موضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدايرة الهندية وغيرها
من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وقد بينا على كثير منها في كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون
مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهي اما ارضية وهي الجبال والقرى والانهار واما هوائية وهي الرياح واما سماوية
وهي النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون في الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذا
الرياح قد تهب في بعض النواحي من صوب معين واما السماوية ففي النهار لا بد ان يراعي قبل الخروج عن البلد الشمس عند الزوال هي بين الحاجبين
ام على العين اليمنى او على اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس في البلاد الشمالية قلما تعدو هذه المواقع وكذلك يراعي وقت العصر ويعرف
وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق
الشمس فيحتاط مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وبالليل يستدل بالكوكب الذي يقال له الجدي فيعرف انه على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن
او الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلالات في بلده فليعول عليها في الطريق كله الا اذا طال
السفر حتى اذا انتهى الى بلد سئل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها في سائر طريقه ومعرفة دلائل
القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين في مذهب الشافعي الاول كاركان الصلوة وشرائطها قوله تع وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ليس بتكرار لان الخطاب الاول للرسول وهذا خطاب للامة ولان الامة قد دخلت في الاول تبعا واحتمل فيه ان يكون الخطاب مختصا باهل
المدينة وفي الثاني عم المكلفين جميعا في جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل وهو القبلة ولا بد من حالة
يقع فيها الاستقبال فلنتكلم في هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك في كتب الفقهية الركن الاول الحالة وهي الصلوة للاجماع على
ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان راجحا لقوله صلعم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها
الا في حالة الخوف واما نافلة ويجب فيها الاستقبال الا في حالة الخوف وفي السفر راكبا او ماشيا متوجها الى طريقه لما روي عن ابن عمر ان النبي صلعم
كان يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف في الماشي وكذا عن ابي حنيفة وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم
الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مقطرة او لا حران بها والا فلا لما روي ان النبي كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث

البقرة

وجهه كالراكب ما عدا الاشتراط عند الصغو ولدفع المشقة واختلال السير ما عليه انما الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في سائر الاركان لا الماشي فعليه الاستقبال في كل ركوع وسجود كما عليه الامام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة في السجود على السرج والاكاف بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض والمبس لراكب التعاسيف الذي لا مقصد له رخصة ترك الاستقبال في التنفل الركن الثاني القبلة المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك في الفريضة لنا انه صلى متوجها الى بعض اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم تخير في استقباله الى جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ان كان مردودا وان كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر موخرة الرحل صحت صلوته والا فلا وموخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده يسامت بمعظم بدنه الشاخص ولو انهدمت الكعبة حاشاها وبقي موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه اليه هواء البيت والحالة هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت لو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الآن على سطح الكعبة فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر موخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام مستحبا والقوم يقفون مستديرين بالبيت والا فصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل وتعوا في اخر باب المسجد صح صلوتهم لان البعيد يزداد محاذاته بتبين ذلك اذا جعلت البيت راس مثلث متساوي الساقين والصفوف خطوطا موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان يعاين القبلة سوى محرابه بناء على العيان وصلى اليه ابدا ومحراب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطاء فهو صواب قطعا فيسوى سائر المحاريب عليه وفي معنى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي طرقهم التي هي جادتهم تعين التوجه اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشاء فيها قرن من المسلمين ولا بد من الاجتهاد في اليمامن وتياسر في محراب الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ولا يجوز الاجتهاد في الجهة في شيء من محاريب المسلمين لان الخطاء منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن من التياسر ويقال ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة او بامارات اخر لا يجتهد ولا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره عن علم وكان المخبر ممن يعتمد بقوله يرجع الى قوله ولم يجتهد فيه كما في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر ياخذ بقوله ولا يجتهد كذلك في الخروج اذا روى العدل خبرا يؤخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شيء ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمرءة والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظ وقد يكون دلالة كما في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر له بمعرفة ادلة القبلة كما عدنا اجتهد لم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغائب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلائل على المجتهد بغيم وحبس او تعارضت صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعدم البصر او لعدم البصيرة فالواجب عليه التقليد كالعامي في الاحكام والتقليد الغير هو قبول قول المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل والمرءة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكنه التعلم فليبن التقليد بناء على ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت قضى ثم المجتهد ان بان له الخطاء يقينا او كان دليل الاجتهاد الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطاء قضى على الاصح ان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد في اثناء الصلوة تحرف بنى هذه هي المسائل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود وعلماء النصارى عموا للفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان ومن اسند انهم اليهود خاصة والكتاب بالتورية والضمير في انه الحق ما للرسول اي انه مع شرعه بنبوته حق يشمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف الخاص وهو انسب بالمقام وذلك ان علمائهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابراهيم واسمعيل وايضا انهم كانوا يعلمون بنوة محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات والبشارات وكل ما اتى النبي صلى الله عليه وسلم فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما تعملون وعد للمتقين ووعيد للناكصين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب عن عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اعتقاد الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون بقلوبهم ثم يقولون الحق في الظاهر المتبعون للهوى ونوقش بان كل صاحب هوى قالوا الايتان الكتمان بهذه الاية مخصوصتان بالعلماء منهم لان الجمع العظيم لا يجوز منهم الكتمان فكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها قالوا اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا الغافل المتحير ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب من بحملته واتبع قبلته ووجه بان المراد من قوله ما تبعوا قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بكل اية برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة

ليس في عين الطريق ... عن الطريق تعسف اي كان بعيدا او تخبط على غير هداية

الحزب الثاني

امر ولو جئتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن لموطئة القسم اي والله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك
لان تركهم متبوعتك ليس لشبهة تزيلها بايراد الحجة بل عناد ومكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم
يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة
لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
اخرى لانهما بحكم الاتحاد في البطلان واخلق ما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن رضاهم
باتباعها وانهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين وانه اذا جاز ان يختلف قبلتاهما للمصلحة
فلم لا يجوز ان يكون المصلحة في ثالثة وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلتهم الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يتعطل احدى القبلتين
لان اليهود لا يتنصر ابدا ولا بالعكس فلعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت اهواءهم كلام على سبيل الفرض
والتقدير بمرتبة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعت مثلا بعد وضوح الدلائل وانكشاف حقية الامر في باب الديانة انك اذا اي اذا اتبعت
لمن المرتكبين الظلم الفاحش لا يصغى الرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح وفيه لطف للنبي صلعم فانه مزيد المحبة يقتضي
التخصيص لمزيد التحذير ولعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك المخاشنة في القول واسماع لقلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي
عن ذلك القدر ايضا والياس منهم بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وفيه اشارة للامة كالرجل الحازم يقبل على اكبر اولاده واصلحهم فيزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا
محالة يؤاخذون بالطريق الاولى وخالفوه الذين آتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين
غيره بالمشخصات من النعت والنسب والقبلة حسبما حدده في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة
والغرض تشبيه عرفان شخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد صلعم بالعلم بنبوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم
بالمظنون عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
قد خانت فقبل عمر راسه جاز اضمار الرسول وان لم يجر ذكره لان الكلام عليه وفيه تفخيم لشانه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة
معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يديه لانه لا يفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك انما ينكرون كونه النبي المنعوت في كتبهم فرد الله عليهم
ذلك فانهم وانما خص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وبصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق ولو نساء والا فالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القرآن
او تحويل القبلة وفي الكل تكلف يدفعه قوله ابناءهم ويباينه الحديث عن عبد الله بن سلام وان كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلعم
سابق به واظهر الحق فهو ما يجب لقوله ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد من سوى المؤمنين منهم
ليكتمون الحق الذي هو امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر
مبتدا محذوف اي هو الحق من ربك خبر بعد خبر او حال او ان يكون مبتدا خبره من ربك في اللام يكون وجهان العهد والاشارة الى الحق الذي
عليه رسول الله صلعم والى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق والجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه ما سواه كالذي عليه اهل الكتاب
باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم وفي كون الحق من ربك وقد يجوز انه نهي تخصيص عما يعلم انه منتف عنه لتقرير في قوله
ولئن اتبعت ولكل وجهة التنوين فيه عوض عن المضاف اليه الوجهة اسم للجهة ولذلك ثبتت الواو وكانا لواوله في جمع الوليد الصيغة مما لا يجتمع مع الهاء
في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه والله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل
المعنى لكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة وجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها للصلوة التي تقرب بها الى ربه وكل يفرح
بما هو عليه لا يفارقه فلا سبيل الى جمعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات
الدينية وهي الشرف والفخر بقبلة ابراهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين اينما تكونوا من جهات الارض يأت بكم الله جميعا في صعيد
القيامة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطئ انه قادر على ذلك وقيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهتان
من الله تعالى وهو الذي وجه عباده اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم
القيامة فيحكم بينكم وقيل لكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الى الصلوة من الجهات وهي
الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلوتكم واحدة كانها الى جهة واحدة
لمحاذاة جميع الكعبة والقراءة ابن عامر مولاها معنيان احدهما ان ما وليته فقد ولاك والآخر يثبت له تلك الجهة وحببت اليه قبلة لكل مخلوق قبلة
قبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة التي
هي قبلة روحانا وقبلتي انت ما عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي استدل بقوله فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل

وسنا يجيء

وعند ابي حنيفة التأخير افضل لجواز الفضيلة الانتظار وليكثر الجماعة ولما روي انه صلعم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رايت اصحاب رسول
الله صلعم حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لقوله صلعم يا علي ثلثة لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت
والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه وانما النزاع فيما اذا تحقق دخول
الوقت ثم تكاسل المكلف وتشاغل وبغير اسباب الصلوة تشاغلا ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا
صليت وانه وان هذا المامور للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به خالكونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للمطيعين ووعيد للمتغافلين
واعلم ان امر التولية ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام و
الثانية على ان يكون غائبا عنه لكن يكون في البلد والثالثة على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للقريب من التكليف ما
ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر وذلك انه اكد الاول بان اهل الكتاب يعلمون حقيته بشهادة التورية والانجيل
واكد الثاني باخبار الله تعالى عن حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كان قوله فبأي الاء ربكما
تكذبان وامثال ذلك تكرر حيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية الاولى توهم ان التحويل انما فعل لرضى النبي وطلبا لهواه حيث قال فلنولينك
قبلة ترضاها فازيل الوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة لمجرد رضاك وهوا لك كالقبلة المهوة
المنسوخة التي انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهي لكنها حق من ربك بعد انها وافقت رضاك وفي الثالثة بيان الغرض ورابعها ان الاولى لتعميم
الامكنة والثالثة لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة الحق لا قبلة
الهوى الزام هذه القبلة فانها ينقطع عنك حجج العدى وهذا قريب من الثالث وسادسها هذه الواقعة اولى الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا
فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد والتقرير وسابعها فلت الاية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي صلعم فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام له ولامته وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والاية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن عم وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض مما يؤيد هذا التاويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الا بشهادة نفسه حيث لم يبق الا هو
وهو مقام الفناء في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير وايضا اقتصر ههنا على امر النبي صلعم دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد الحرام
حرام لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ثم انه قدم على الاية قوله ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الا
خص ناسخ للتكليف الخاص والعام له ولامته كرر الاية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقايق الامور
قوله لئلا يكون اي ولوا لاجل هذا الغرض قال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل هم اليهود كانوا يطعنون
بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد اين يتوجه في صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم ولا
يدع التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابرهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد المحاجة وسماها حجة تهكما او طباقا او بناء على معتقدهم
لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل
والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا للبلد ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى دين اباء في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد شعر وكل اخ
مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذ طعنوا في دينكم من غير سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشوني واحذروا عقابي
ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم وفعلى القرآن ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه خشية الله ويقطع الرجاء والخوف عمن
سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابرهيم
وقيل متعلقه محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال اخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في اخر عهد رسول الله صلعم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان الله تعالى في كل وقت نعمة
على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر القبلة وذاك تمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن علي تمام النعمة الموت على الاسلام
وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه و
لاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الاخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او ولاتم نعمتي بيان الشرايع
واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث
قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعمه على العبد لا ينقطع فكل نعمة سابقة فسيضم اليها اخرى لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخرا وبداية

الاحوال والثانية لتعميم
الازمنة فانها قبلة صحيح

العموم وقيل

ونهاية وفى رسالة فيهم ومنهم اى من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله
تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب وكون القران متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيتادى به العبادات
ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة ففى تلاوته خير الدنيا والاخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة
قد مر فى دعاء ابرهيم فى قوله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس فى امر الدين بانه يعلمهم
ما احتاجوا اليه فى صلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون تكليف بامرين الذكر والشكر
وقد مر ذكر الشكر فى تفسير الحمد وقوله ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهى عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله شعر
اقول له ارحل لا تقيمن عندنا : لاوهم ان المقصود بالذات هو الثانى وان الاول فى حكم المنحى ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون لحذف
للوقاية وتحمل الجملة النصب على الحال اى اشكروا لى غير جاحدين لنعمتى واما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرا كتابه وبالقلب وهو ان يتفكر
فى الدلائل على ذاته وصفاته وفى الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفى الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها
ثم يتفكر فى اسرار المخلوقات متوسلا من كل ذرة الى موجدها وبالجوارح وهو ان يكون مستغرقة فى الاعمال المامور بها فارغة عن الاشغال المنهى عنها
ولهذا الوجه سمى الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله واما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ماله تعلق بالثواب واظهار الرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام
فالحاصل اذكرونى بطاعتى اذكركم برحمتى اذكرونى بالدعاء اذكركم بالاخرة اذكرونى فى الخلوات اذكركم فى الفلوات اذكرونى فى الرخاء اذكركم فى البلاء اذكرونى
بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكرونى بالصلوة والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكرونى بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكرونى بالفناء اذكركم بالبقاء

ع ٣ يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ وَلَا تَقُوْلُوْا لِمَنْ يُقْتَلُ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اَمْوَاتٌ بَلْ
اى انانكه ايمان اورده ايد يارى خواهيد بروزه ونماز بدرستيكه خدا با تحمل كنندكانست ومكوئيد درباره انهاكه كشته شوند در راه خدا كه مرده اند بلكه انها
اَحْيَاءٌ وَّلٰكِنْ لَّا تَشْعُرُوْنَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوْعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْاَمْوَالِ وَالْاَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِيْنَ
زنده اند وليكن شما درك نكنيد وهر اينه بيازمائيم شما را بچيزى از ترس وكرسنكى وكاستن از مالها ونفسها وميوها ومژده ده صابران را
اَلَّذِيْنَ اِذَا اَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ قَالُوْا اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّا اِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ اُولٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُوْنَ
انانكه چون در رسد انهارا داهيه كويند كه ما ايم در تحت قدرت خدا وما ايم كه بازكرديم بسوى او انكروه برايشانست رحمتهاى بيشتها از پروردكارشان وانكروه ايشانند هدايت يافتكان

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير لانهما جارتا مع مثلها فى الحروف لكثرة استعمال كلمة الاسترجاع الوقوف والصلوة ط الصابرين ه اموات ط
لا تشعرون ه والثمرات ط الصابرين لا لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ط لان اولئك مبتدأ على الاصح من ابتداء بالذين
خبره اولئك مع ما يتلوه ووقف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون ه التفسير انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكرونى اذكركم واشكروا لى جميع الطاعات
ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على تلك
الوظائف بالصبر والصلوة فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره فى ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود التذكرة ما ثبت
الوعد او عيد الترغيب الترهيب تجرد لك الى اداء حقوق سائر الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر
والتاييد مزيد التوفيق والتسديد يزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل
احياء اى هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة فى اقامة دينى وسلوك سبيلى فان احتجتم فى ذلك الى مجاهدة
عدوى باموالكم وانفسكم فتلفت فان قتلكم احياء عندى من قتل محبة فديته رؤيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء فى الحال من الجائز ان
يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت فى حجم الذرة فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يصح بحياته واليه الاشارة بقوله
ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الايات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفاء
للتعقيب قال القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا
تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا انهم احياء فى الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الله
فى شىء ولا تقولوا مثل ما يقول منكروا البعث انهم لا ينشرون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون فى الجنة وعلى هذا الوجه
لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا قوله مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك
للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتالم ويتلذذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن فى القيامة الكبرى حتى ينضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن
عباس ان الاية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلعم قال ان ارواح
الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اى تاكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما
انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما بيدكم فيه بدل المستعير امر اولا بالشكر
على كمال النعم ثم بالصبر على التكاليف البدنية ثم حض على التثبت عند طروق النوائب وحدوث المصائب ومعنى بشىء بقليل من هذه الاشياء وانما

لو قال بشيء لاوهم ان من كل واحد من الخوف وغيره ضرر وبلاء وليس بمراد وفيه ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه فيه ان يرحمهم
معهم في كل حال لا تزايلهم واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فان خطر ببالك فهو ان مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان في الحال سمي ذوقا ووجدا
لانها حالة تجدها من نفسك فان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب
يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا سمي ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع بن انس المراد
بهذه المخاطبة اصحاب النبي صلعم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يامنون قصدهم اياهم واجتماعهم
عليهم وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجرة النبي الى
المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلعم كان يشد الحجر على بطنه وقد روي انه صلعم خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع قال اخرجني ما اخرجك وكانوا
ينفقون اموالهم في الاستعداد للجهاد ثم يقتلون فهنالك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم
لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخدان واما نقص الثمرات
فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من
الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال صلعم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شيء ويحتمل ان يعطف على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلعم او لكل من يتاتى
منه البشارة قال الامام الغزالي رحمه الله الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها فليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك
القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا في الملائكة فليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بحضرة الكبرياء المتعال وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة
حضرة ذي الجلال اما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انتصب له مع الشهوة
الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تضاد وتقابل
فصد العقل بازاء هو المعنى بالصبر وانه ضربان بدني كتعاطي الاعمال الشاقة او فعلا الاكالثبات على الالام ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات
الطبع فان كان حبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمال مكروه فان كان من مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة هي الجزع و
الاطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وان كان في حال مبارزة
الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده الضجر وضيق الصدر وان كان في نائبة من النوائب مضجرة يسمى سعة الصدر ويضاده الضجر والبرم وان كان في اخفاء كلام يسمى كتمانا
وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وضده الحرص وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان الم المكروه
ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر على المصيبة هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا باس بهمول الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلعم بكى على ابراهيم
ابنه فقيل له في ذلك فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة
الاولى والا ففي الاخر يسلو وهو مما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس ادام الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى في القران الصبر في نيف وسبعين موضعا
واضاف اكثر الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال الله تعالى في حديثه
القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة وجمع للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون وقال صلعم الصبر نصف الايمان لانه لا يتم الا بترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما انما يتاتى بالصبر فكل الايمان صبر الا
ان كل واحد منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة و
من النبي صلعم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له ارضى
ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب تعالى فيقول لقد انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين
ومن فضيلة الصبر قال صلعم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون اقوى كما قال شارب الخمر كعابد الوثن وروي ان سليمان
يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه واخر اصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان
الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة
فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفاتها وتخص من بين ما يصيب الانسان بحالة مكروهة كالنائبة
والواقعة والملمة وانما الشمول كل مضرة ينالها من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة وخفية قالوا انا لله
اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما يقال ان الملك والدولة رجع الى فلان لا يراد الانتقال بل القدرة وترك المنازعة انا لله

اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك فانا لله اشارة الى المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالفناء فيه وانا اليه راجعون ايمان بقدومه واعلان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فمتى مال قلبه الى شئ والتفت خاطره اليه جعله تعالى محلا للآفات لينصرف وجه قلبه من عالم الحدوث الى جانب القدس كما ان آدم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فبقى آدم مع ذكر الله ولما استأنس يعقوب بيوسف اوقع الفراق بينهما فبقى يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد صلى الله عليه وسلم من اهل مكة فى النصرة والاعانة صاروا من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل تلك الشئ بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة ثم يرجع العبد الى الله وقد يتوقع العبد من جانب خيرا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحيى العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين ومن جذبه الحق الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف فكره اليه ويشتغل بالكلية عن سواه ويصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضاء بما قضية الحق سبحانه من غير ان يبقى فى طاعته شبهة المنازعة عن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى انه طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امر الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتى فاجرنى منها وعوضنى خيرا منها الا اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفى ابو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول فعاضنى الله محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس اخبر الله ان المؤمن اذا سلم الامر لله ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله تعالى له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون قيل الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والآجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اى رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب الفائزون بالكرامة والصواب هم المستمسكون بآداب المستحسنون بما الزم وامر وفى الآية حكاية فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضائه والصبر على اداء فرائضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا والنفل قوله انا لله وانا اليه راجعون فان فى اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدى به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده فى دين الله تعالى والثبات على طاعته واما الحكمة فى تقديم تعريف الابتلاء فهى ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصائب اذا وردت فيكون ابعد من الجزع وايضا اذا علموا انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيكون ذلك الخوف تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر الله بوقوع هذا الابتلاء ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه تميز المنافق عن الموافق كما ان الحكمة فى نفس الابتلاء ايضا ذلك: دعوى الاخاء كثيرة: بل فى الشدائد تعرف الاخوان: اذا تلك اهدى الهجر لى حلل البلى: يقولون لولا الهجر لم يطب الحب: وان قلت كربى دائم قال انما يعد محبا من يدوم له الكرب: وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة: حيوتك ذنب لا يقاس به ذنب

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ

القراءة من تطوع بتشديد الطاء والجزم حمزة وعلى وخلف ويزيد وروح والباقون بالتخفيف وفتح الآخر على المضى الوقوف شعائر الله ج للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعائر الله فكان استينافا حكم عليم فى الكتاب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون لا للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستيناف والحال الرحيم اجمعين لا لان خالدين حال عامله معنى الفعل فى اللعنة اى يلعنهم الله حتى قرأ الحسن والملائكة وما بعده فيها ج لان ما بعده حال بعد حال او استيناف اخبار ينظرون التفسير فى تعليق الآية بما قبلها وجوه منها ان السعى بين الصفا والمروة من شرائع ابراهيم عليه السلام كما مر فى قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة التى هى شرع ابراهيم ومنها انه من آثار هاجر واسمعيل ففيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتهما فناسب ان يرد عقيب آية الابتلاء ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا فى الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة اولها ما يهتدى العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك بقوله فاذكرونى اذكركم واشكروا لى وثانيها ما ركز فى العقول قبحه والتنفر عنه كالآلام والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتألم منه الا ان الشرع لما ورد ببيان الحكمة فيه وهى الابتلاء والامتحان يعتقد المسلم حسنه وكونه حكمة وثوابا وذلك قوله ولنبلونكم الآية وثالثها الامور

يهتدي العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل انما كان للبعث الخالي عن المنفعة والمضرة فيأتي بها تعبدا محضا وهو اكثر افعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها فذكر طرفا من هذا القسم عقيب القسمين الاولين تتميما للاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا باللام علمان للجبلين المعروفين بمكة زادها الله شرفا والصفا في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصورا واصفاء وصفي على فعول واذا نعتوا الصخرة قالوا صفاة صفوا واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب وعن الاصمعي المروة حجارة بيض براقة يقدح منها النار الواحدة مروة والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة وذلك ان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله وهما من متعبداته وقد شرعه الله تعالى لامة محمد صلعم ولابراهيم عم قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس السعي عبادة تامة في نفسه انما يصير عبادة اذا كان بعضا من ابعاض الحج فلهذا قرن بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد ورجل محجوج اي مقصود وهو ايضا كثرة الاختلاف والتردد وحج فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك فالحاج يأتي البيت اولا ليعرفه ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الزيارة ثم يعود اليه لطواف الصدر ومنه محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف كالزائر يزور ثم ينصرف والعمرة اسم من الاعتمار لغة الزيارة غلب على النسك المعروف والجناح الجرح الاثم من قولهم جنح الى كذا اي مال اليه كانه اذا مال الى الباطل ولان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحته الواجب والندب والمباح وظاهر الاية لا يدل على احد الثلثة بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا متمسكين بدلائل اخر فعن الشافعي انه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله صلعم ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك الشيء بحيث لا يفوت لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولما ثبت انه صلعم سعى فيجب علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلعم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه واجب على تاركه دم وعن ابن الزبير وابن عباس وانس انه تطوع وليس على تاركه شيء لان رفع الحرج دليل الاباحة ولقوله بعد ذلك ومن تطوع خيرا اجاب الشافعي بما روي انه كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح فالاباحة ينصرف الى وجود الصنمين حال السعي لا الى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة عند ابي حنيفة او دم البراغيث عندنا فقيل لا جناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة ولهذا قال عروة لعائشة ارى انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة فقالت بئسما قلت يا ابن اختي ان هذه لو كانت على ما اولتها كانت لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم ومن قرأ يطوع بالتشديد فاصله يتطوع والتطوع ما تبرع به من ذات نفسك مما لم يجب عليك ومن قال ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ فان الله شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمي جزاء الطاعة شكرا لتشبيهها بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي يقرض الله كانه يقول اني وان كنت غنيا عن طاعتك الا اني اجعل لها من الموقع ما لو صح علي ان انتفع بها لما ازداد وقعها على ما حصل عليم بالسرائر فيوفي كل ذي حق حقه وهو وعد لتبيينه ترتيب الشكر وان كان ايضا يحتمل التحذير من الاخلال بوظائف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون كلام مستانف يتناول كل من كتم شيئا من الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سألوا نفرا من اليهود عما في التورية من صفته صلعم ومن الاحكام فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص السبب لا يوجب خصوص الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فلا ريب ان كتمان الدين يناسب استحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف ثم لا يخفى ان القرآن قبل صيرورته متواترا يمكن كتمانه والمجمل من القرآن اذا كان بيانه بخبر الواحد يجري فيه الكتمان وكذا القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلائل العقلية فلان جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عائشة انها قالت من زعم ان محمدا كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات فحملت الاية على العموم وعن ابي هريرة قال الناس اكثر ابو هريرة وتلا ان الذين يكتمون قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة اليه وحصول الداعي الى اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا فلما كان ما انزله الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج اليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف احدنا اذا كانت مما يقوى الداعي الى اظهارها وعلى هذا الوجه يمدح من يقدر على كتمان السر لان الكتمان مما يشق على النفس وفي الاية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزله على الانبياء كتابا ووحيا دون ادلة العقل والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة فيعم الكل وبعبارة اخرى الاول هو التنزيل والثاني ما يقتضيه التنزيل من الفوائد وقوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب يشمل كون خبر الواحد والاجماع والقياس حجة لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لا على التعيين لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره مرة اخرى وقيل لم لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا عن الكتمان مامورا بالبيان ليكثر المخبرون فيتواتر الخبر اجيب بان التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم موجبا للعلم ومن الناس من يحتج بالاية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار يدل على وجوب العمل بالذي اظهر لا سيما وقد قال الا الذين تابوا

وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالآية ايضا على عدم جواز اخذ الاجرة على التعليم لانها دلت على وجوب التعليم ولا اجرة على اداء
الواجب قيل في الكتاب اي في التورية والانجيل من نعت الرسول ومن الاحكام والمعنى انا لخصناه بحيث لم ندع فيه موضع اشكال فعمد والى ذلك المبين
الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل اراد بالمنزل الاولى والمراد في الكتاب القرآن اولئك نبعدهم عن درجة الاعتبار يلعنهم الله يبعدهم عن كل خير ويلعنهم بدعوا عليهم
باللعن اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الارض وهوامها فانها تقول منعنا القطر
بشوم معاصي بني آدم واللاعنون دون اللاعنات تغليب للعقلاء وقيل هم الهوام فقط فالتذكير لانه تم وصفهم بصفات العقلاء مثل وَالشَّمْسَ وَ
الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ وقيل كل شيء سوى الثقلين بتقدير انها لو كانت عاقلة كانت تلعنهم
او لانها في الآخرة اذا اعيدت وجعلت من العقلاء فانها تلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل ان اهل النار يلعنونهم ايضا لانهم كتموهم الدين كلما
دخلت امة لعنت اختها وعن ابن مسعود اذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق وان لم يكن مستحق رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله
سبحانه وعن ابن عباس انهم الحيوانات لعنة الله ولعنة الخلائق قال ذلك اذا وضع الرجل في قبره فيسئل ما دينك من ربك فيقول لا ادري فيضرب ضربة
يسمعها كل شيء الا الثقلين فلا يسمع على شيء صوته الا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت إِلَّا الَّذِينَ استثناء منهم وفيه من الرحمة ما فيه وقد مر
ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فان من ترك رد الوديعة ثم ندم لان الناس لاموه او لان الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا
وَأَصْلَحُوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرطوا منهم وَبَيَّنُوا ما كتموه بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي
بهم غيرهم من المفسدين فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ اقبل توبتهم بان اسقط العقاب عنهم تجملا واضع مكانه الثواب تفضلا بدلالة قوله وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بهؤلاء الكاتمين ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا اذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون
اطلاق الكفر عليهم وهم من اصحاب الكبائر مجازا للتغليظ او يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين من يعتد بلعنه هم المؤمنون اجمعون
قيل يوم القيمة يلعن بعض الكفار بعضا فيعم المؤمن والكافر وقيل لعن الجاهل والظالم مقرر في العقول حتى ان الظالم قد يلعن نفسه اذا تأمل في حاله وقيل
وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا وان زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر لجنون لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا
للعنة والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الايمان والصلاح اذا مات صاحبه او جن لا يتغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي
الآية دليل على ان الاموات يجوز لعنهم انه اذا كفر ومات لا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خَالِدِينَ فِيهَا في اللعنة وقيل
في النار واضمرت وان لم يجر لها ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لمكانها والاول اولى لتقدم ذكره لفظا ولان اللعنة تشمل النار وزيادة ولانها تعم
في الحال والمآل جميعا بخلاف النار فانها في الاستقبال فمن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل
وقد سلف مثل ذلك لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بل يكون على نسق واحد في الاوقات باقيا على المبلغ الذي يتيح له بحسب ما استحقه وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ اذا استنظروا
من الانظار الامهال ولا ينظرون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة اعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التأويل السر والمروة
للروح والسالك بينهما يسعى فصفاء السر بقطع التعلقات عن الكونين هو التعظيم لامر الله وفي مروة الروح يوصل الخير الى اهله وعياله ونفسه
لمراقبة احوال الباطن ومراعاة اعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى السعي سراية ان يتصل بركات سعيه الى سبعة اعضائه في الظاهر والى سبعة
اطوار في الباطن والى سبعة اقاليم العالم لقوله تعالى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ومن كمال رأفته باهل محبته ان جعل آثار
اقدامهم اشرف الامكنة وساعات ايامهم اعز الازمنة فلتلك المعاهد والاطلال تشد الرحال وتلك المشاهد الاتانة تعظم وترا اهوي هواها لمن قد
كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر حسبي الله ونعم الوكيل وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

و خدای شما خدائی است یگانه نیست خدا بجز او آن بخشاینده مهربان بدرستیکه در آفرینش آسمانها و زمین

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

و در پی شب و روز و کشتی که میرود در دریا بآنچه سود میرساند مردمرا و آنچه فرو فرستاد خدا از آسمان از آبها پس زنده کرد بآن زمین را پس از مردن

وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ القراءة لا اله الا هو بالمد

و پراکنده در آن از هر نوع جنبنده و گردانیدن بادها در جهات و ابر که رام کرده شده در میان آسمان و زمین هر آینه نشانهاست گروهی را که در یابند وكذلك جميع التهليل

روى الهاشمي عن ابن كثير ويرد بالاثر في هذه الكلمة وهو قوله من قال لا اله الا الله ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى ابو الفرج عن
قنبل لا مد بالاهمال حيث كان الريح مفردا حمزة وعلي خلف الباقون الرياح مجموعا الوقوف ج لحدوث نظرا الى ما بعده وصفا خبر والى الاختلاف
بالنفي والاثبات الرحيم من كل دابة ضرورة طول الآية والافاسم ان لآيات والجار وما يتصل به معترض والاولى الوصل فالرجوع يعقلون ٥
التفسير الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه
واحد فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث هو انسان لان الانسان الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين بلى يصح ان ينقسم الى الابعاض
والاجزاء وذلك من جهة اخرى ثم زعم قوم ان الواحدية صفة زائدة على الذات لان الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا

في تفسير الواحد

نظ ولانه يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر ولان
مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبا لكان سلبا للكثرة فان كانت الكثرة سلبية
وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل
الامور المعدومة امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تعقل لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء
المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد حكمنا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك
الذات والجواب ان كون الشيء واحدا في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان ينتزع الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا تتوقف على حصول الذهن في الخارج
ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الوحدات متماثلة في ماهية الوحدة ومتباينة بتعينها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم
وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة ثم ان العدد فان العشرة الواحدة يعرض لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان
فالعشرتان مرة واحدة قد عرضت لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى
الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين احدهما الا ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل هو من
امرين ثم اليه الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما يشاركه
في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدا لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما
تدل على اثبات وحدته في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد احد تريد الوحدة في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة
الثانية تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبودية بالحق فمعناه لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة
ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك انه قد يفنى في عالم اللاهوت فيبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع
عالم الشهود فيلزم منه نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سواه حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين
ولان الاولى مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على
انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا يجمعه اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا بحصره اجزاء معنوية كما في البسايط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسايط
الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود لذاته ايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته
في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده
ولا نعني بكون الوجود زائدا الا هذا واما انه تعالى واحد لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا
ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال لا ريب ثمن كالات الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن
وصفاء الضمير لم يشك في وحدته تعالى ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته
حتى عن حمل الوحدة عليه وعن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد
وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار
وشروق انوار الواحد القهار وتلك ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته
فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته
من نفسه ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان له معلومات غير متناهية بل له
في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احياز ذلك المعلوم واوقاته وساير احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته
وكون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته يستكمل بها لان ذاته كالمبدا لتلك الصفات ولن يستكمل المبدا بما عن المبدا بل ذاته مستكملة بذاته
ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد يفضي التقرير ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته
كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه الذي لاجله ظهر الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا لا نعلم من ذاته الا انه مبدا جميع الممكنات من
طبع على قلبه مس الخذلان ومن كشف له الغطا صار حيران فلا احاطة للقطرة بكرة الماء ولا ظهور لضوء الشمع عند حلول الشمس كبد السماء اشتاقه فيا
بدا الطرف من جلاله لا حيفة بل هيبة وصيانة لجماله فلو ان في ادبار مع العيش في اقباله واصلحه اذا بدا وادوم لمح خياله واما انه واحد في
افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته ويقف التوقف بين الواجب للذات والممكن للذات يوجد التفاوت بين فعليهما ان فرض للممكن فعل من نفسه
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه تعالى خص الموضع بذكر
الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بانه انما
خلق الخلق للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الاية ذكر العلماء المعاني في ان بجانب هذه الاية ان في ترجيح وقوع اي ممكن كان على
لا وقوعه لايات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لا مع الانس والجن فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلها الى انقراض الدنيا

في معنى ...

الفرق بين الممكن والواجب

فيهم من يكتفي بالتقصير في باب النظر والعلم بالصانع من لا يحصى من طوايف الغواة لم يكن مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطاء قال انزل بالمدينة على النبي ﷺ والهكم اله واحد فقالت كفار قريش بمكة ولهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في خلق السموات والارض الى اخرها وعن سعيد بن مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا الها واحدا ان كان صادقا فليأتنا باية فنزلت زعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق وهو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان عينها والخالقية صفة لله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى فلا يصح تعليل حدوث نفس ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من النحاة على ان العالم في قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله اياه وهذه الجهة هي التي صيرته اية وقد عد الله تعالى في هذه الاية ثماني ايات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فسويهن سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبع حركات مختلفة كالبطؤ والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احديهما ان السموات لا يتطرق اليها الا الاختلاف الوضعي الثانية ان حركة الكوكب في الفلك ليست كحركة السمك في الماء ولكنه يدور بادارة الفلك اياه ان كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر يتضمنها الكل الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها يخالف مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم انفصاله من الفلك الكلي جسمان نعليان متضادا الوضع الغلظ والرقة يسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض يسمى بالتدوير ويكون الكوكب مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منها متشابهة في نفس الامر ونعني بالتشابه ههنا ان يقطع المتحرك من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية او يحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير وللعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير ولكل من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك البسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية هي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين والمشتري باثني عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب تقرر هذا على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك بمقدار معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر مختار خبير قدر بتقديرها وكذا تخصص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من سطح الفلك للقطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكواكب والتداوير في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك الكلية الى الخوارج المراكز وابقاء المتممات على مقادير معينة في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة [illegible] السيارات كما قلنا انفا والثوابت بحيث يتم دورانه في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتاخرين والفلك الاعظم في يوم بليلة وكذا تعيين جهات الحركات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلنا انها حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول لان الحركة انتقال من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير فالابتداء بالحركة بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصص كل من الكواكب بعظم اخر وبلون اخر كصفرة عطارد وبياض الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظر وبين الشمس وذلك في الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب لتسوية الاينق في تركيب الافلاك وايلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف اوضاعها المستتبعة لاتصالاتها وانصرافاتها اترى انها مبنية على حكمة وبقدرة تدبير خبير ام هي اتفقت عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر ثم تزين بنفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل له بالجنون وسجل عليه بسخافة الراي بل بعده عن زمرة الانعام لا من جملة الانام الاية الثانية خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وفي حيزها من كونها واقعة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة الشمس يسمى وقع القمر فيه انخسف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء لمكان الاستقرار عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف مرور الشمس وسائر الكواكب بسمت رؤس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الافاق ومن سائر عوارضها ومنافعها التي نحن طرف منها في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير عليم خبير واحد في ملكه وملكه يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند الثالثة اختلاف الليل والنهار واما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع زيادة ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق وبنقصان الزيادة المذكورة وذلك الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق فوقع الابصار داخله الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب ان كان القصير يقعا عن الافق بعد اول الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس في

مقابلة فظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان اى يتعاقبان يجيئان ويذهبان كقوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا و
قصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الآخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان في الامكنة فان نهار كل بقعة ليل
بقعة تقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلدان كلما ازداد عرضها عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة
الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع
القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الآخر ليلا وذلك اذا صار قطب
الفلك الاعظم محاذيا للسمت الراس ولا عمارة هناك ولا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وكون الليل و
والنهار في نفسهما آيتين على وجود الصانع ووحدانيته ظاهر وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش
في الايام والنوم والراحة في الليالي ومن الغرائب تعاون المتنافيين على امر واحد هو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت
الخلائق ولا عند النفخة الاولى وتيقظهم عند طلوع الفجر ايضا هي عود الحيوة اليهم في النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من عجائب الاشياء
كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور دلائل على وجود مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان منزه عن سمات
الحدوث والامكان الرابعة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس الفلك بالضم والسكون السفينة واحد
وجمع فضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة اسد تانيث صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اى المراكب التي تجري و
التركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك لجسم كروي يحيط به سطحان متوازيان مركزهما واحد وفلكة المغزل وفلك ثدي الجارية استدار والبحر
خلاف البر قيل سمي بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه تبحر في العلم والمال ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا ومنه في فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحر
اذن الناقة شقها ومنه البحيرة هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل الذي جعل لكم الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب الثلث المعمور من
الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي ومنقطعا عن الغربي الى وسط العمارة خليجات اولها اذا
ابتدئ من الغرب الخليج البربري لكونه حد بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض
الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة وثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه يقرب منها ستون فرسخا وبين طرفه
وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربي بلاد البجة من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة
مدينة الرسول للقوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة
وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربي من اليمن بلاد عمان ولهذا ينسب البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب واحيائهم من الحجاز
واليمن والطائف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربي من هذا البحر والشرقي من الخليج الاحمر فلهذا سمي العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة
زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند ورابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال ضلعه
الشرقي من بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران يتصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات الهند والصين وهذا و
يسمى بحر الصين ومن زاويته الشرقية الغربية الى ما يتصل من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا قد دخل الى العمارة من جانب
الغرب خليج عظيم من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب يحاذي ارض السودان وينتهي الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس والجلالقة
والسقالبة الى بلاد الروم والشام ويتشعب منه شعبة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلمي البلغار يسمى بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثة
وثلثون آزاجا ووراء تلك النواحي منه نحو المشرق عمارة وراء جبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة ويتشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هي البحار
المتصلة بالمحيط اما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر والسكون لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل اخذ من
المشرق الى المغرب باكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال بقرب من مائتين ومن عجائب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف
ومنها الجزائر الواقعة فيها فقد يقال ان في بحر الهند من الجزائر العامرة وغير العامرة الفا وثلثمائة وسبعون ومنها جزيرة عظيمة في اقصى البحر تقابل ارض الهند في
ناحية المشرق عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب دورها ثلثة آلاف ميل فيها جبال عظيمة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسع
عشرة جزيرة عامرة فيها مدائن وقرى كثيرة ومن جزائر هذا البحر جزيرة كله التي يجلب منها الرصاص القلعي وجزيرة سريرة التي يجلب منها الكافور وغرائب
البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رأيت من عجائب البحر فقال سلامتي منه والسفينة مما الهم الله تعالى تركيبها ثم اجراها بتمكنه
على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجيب صنعها لما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح
لما سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبيها لما صبروا على شدائد ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء لم ينبعث الدواعي الى اقتحام الاخطار
في هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار في البراري والبحار فلاجرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد ما يعوزه وفي الآية
دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء
فقد مر تحقيق ذلك في تفسير قوله تعالى او كصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب او جانب السماء وانما نكر من ماء فلان الغرض الوحدة النوعية

منافع البحر والفلك

وعرضه خمس وثلثون فرسخا

او الصنعة يعني ما هو سبب حيوة الارض لان المطر لا الارض التي قد لا تنبت شيئا كما جاء في الحديث ليس السنة بان لا تمطروا انما السنة التي تمطر ولا تنبت ولا ريب ان
في انزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزله بعد قنوط الناس عند
شدة احتياجهم اليه واودع في نزوله لحيوة الارض اي حسنها ونضارتها ورواها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب في الوان الازهار
وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول بينها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين فوقت الربيع في الازمان كسن الصبي في الاسنان وموت
الارض من ترشيح الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضرتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودتها وبقائها على الهيئة الاصلية بالموت كانها جسد
لا روح فيه فلا دواء عليه الساد سة وبث فيها من كل دابة وانه معطوف على انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويصح عود الضمير في فيها الى الارض لان قوله فاحيى
عطف على انزل فاتصل به وصار جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا اي فاحيا بالمطر الارض
وبث فيها من كل دابة لان معاش الحيوان بل حيوته بل هو على الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي اعلم ان الحيوان اما تولدي وتوالدي وكلا الصنفين
يحتاج الى صانع فرد حكيم يحكى ان شخصا قال بحضرة عمر اني اتعجب من امر الشطرنج لان رقعته صغيرة ولو لعب الانسان به الف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر ههنا
ما هو عجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم لا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى
شخصين ابدا يشبهان في الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التي تظهر في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها ولولا هذا الاختلاف
لاشتبه الناس بعضهم ببعض فانقطع نظم معايشهم وحوائجهم من تامل كتب التشريح وقرأ كتاب الحيوان وتتبع عجائب المخلوقات وتفحص تراكيبها وخواصها
على ما يقتضي منه التعجب يفضي الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريف الله تعالى الرياح مع دقتها ولطافتها وفي ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان
بتنشق الهواء البارد وجريان السفن بهبوب الرياح من قبل تلقيح الاشجار وسوق السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الاهوية الوبائية
الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اي صبا ودبورا وعلى كيفيات مختلفة
حارة وباردة وعاصفة ورخاء ومن قرأ الريح بالموحدة فليس فيها دلالة على العذاب في هذا المقام والذي جاء في الحديث انه صلعم كان اذا هبت الريح
قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع دل كما قال تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وقال في عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم فقد يختص اللفظة في القران بشيء فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء في التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير
معين قال وما يدريك لعل الساعة قريب وما كان من لفظ ادريك فانه مفسر وما ادريك ما القارعة وما ادريك ما هية الثامنة السحاب المسخر
بين السماء والارض سمي سحابا لانسحابه في الهوا ومعنى المسخر المذلل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف
طبعه بقاسر مسخر وانه لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الانداء والامطار ويتعذر التردد في الحوائج ولو انقطع لعظم ضرره
لاستلزامه الجدب لا محالة فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به في وقت الحاجة ودفعه عند زوالها بمدبر ومسخر لا محالة وفي نفس السحاب
من عظمه وتراكمه او تقاعده وتخاصمه او انبساطه وتخليته وسرعة الانوف لحظة وانقشاعه في اخرى واشتماله على الرعد والبرق والسحب والطبيق
الى غير ذلك من العجائب دلالات واضحة على كمال الحكمة موجده ومقدره واما قوله تعالى لآيات فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اي مجموع هذه الاشياء
الثمانية آيات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا فيه فكل واحدة منها من حيث انها موجودة
تدل على وجود موجدها وكونه قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت
دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام تدل على وحدانية الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
واما قوله تعالى لقوم يعقلون فانما خص الآيات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال ومن الفوائد ان التقليد مذموم وانها
الى تحقيقه سبيل ومنها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا لم يحتج الى النظر في شيء منها وانما خص الآيات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام
والاعراض مساوية في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعما على المكلفين في
كانت الدلائل كلما كانت انجع في القلوب واشد تاثيرا في الخواطر عن رسول الله صلعم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حسبي الله ونعم
الوكيل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ
و بعضی از مردمان هستند که فرا گرفته اند بغیر از خدا انبازها را دوست میدارند ایشان را چون دوستی خدا و آنان که گرویدند بیشتر است دوستی ایشان برای خدا و اگر ببینند
ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
ستمکاران که چون مشاهده کنند عذاب را که توانائی مختص بخدا است همه و بدرستیکه خدا سخت عقوبت است وقتیکه بیزاری جویند آنها که پیروی کردند از آنها که پیروی کرده
وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ
دیگر بینند عذاب را و بریده شده بدیشان سببها و گویند آنانکه تبع کاسه بودند از برای ما بازگشتنی که بیزاری جستیم از ایشان همچنانکه بیزاری جستند از ما چنین
يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون
نماید ایشان را خدا کردارهای ایشان را حسرتها بر ایشان و نیستند ایشان بیرون آینده از آتش جهنم بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف

بينهما يزيد وسهل ويعقوب في تبرأ بادغام الذال في التاء وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلى وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم
ابو عمرو وسهل وقرأ حمزة وعلى وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالامالة عباس وقتيبة بخارجين من النار
الوقوف كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا الامن قرأ ان فان بالكسر فيهما شديد العذاب الاسباب تبرأوا منا ط عليهم ط من النار التفسير انه
سبحانه تعالى لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبها بتقبيح ما يضاده فبضدها يتبين الاشياء والند المثل المنادى كما سلف المراد بالانداد ههنا
هى الاصنام التى اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى وند لها الند دو وقربوا لاجلها القرابين وقيل يعنى السادة الذين كانوا يطيعونهم ويتبعون
على اوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدى واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد انهم يحبون
محبتهم لله تعالى مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا وامثالا لله
يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى ويمكن ترجيح الحجج بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث
نظموها فى سلك المعقول كقوله تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وانهم علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا
بذلك ما اشركوا وانهم التبرى لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شئ شغلت قلبك به سوى الله
فقد جعلته فى قلبك ندا لله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه يحبونهم يعنى عبادتهم والتقرب اليهم والانقياد لهم ويعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله
من اضافة المصدر الى المفعول اى كما يحب الله على انه مصدر من المبنى للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملتبس وقيل كما يجب الانقياد
عليهم لله وقيل كحبهم الله اى يسوون بينه وبينهم فى محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره فى السراء ولا فى الضراء ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهتها من حيس هو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة
وفيهم قال الشاعر اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة واعلم ان الحلاف محبة العبد لله تعالى قد ورد فى القرآن
والحديث كما فى هذه الاية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابرهيم قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه
هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الان فاقبض وجاء اعرابى الى النبى فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ماذا اعددت لها
فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا انى احب الله ورسوله فقال صلعم المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا فى معناه فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع
من انواع الارادة لا تعلق لها الا بالجائزات فيستحيل تعلقها بذات الله وصفاته فمعنى قولنا يحب الله يحب طاعة الله وخدمته او يحب ثوابه واحسانه واما
العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شئ محبوبا لاجل شئ آخر دار او تسلسل فكما يحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته
وغلبته والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب فالله تعالى احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص وكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه كلما كان الاطلاع
على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم وبحسب الترقى فى درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولى سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله
عن الالتفات بغيره ويفنى عن حظوظ نفسه فيه يسمع وبه يبصر وبه يمشى وبه يتكلم بلسان الحال الحبيب جنتى سوى الله فلا يعصى الله طرفة عين ولا يشتغل
بحظ نفسه لمحبته كما قيل تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويحب الله اولياءه
ومعرفته بيان ذى عداوة ومخالفيه ذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لعبه يتعدى لفعيل وبقى ويكرم الحبيب المكرم ولو يرى قرئ بالتاء
وان وان بالفتح والكسر فههنا اربعة تقديرات الاول ولو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذ عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها
لله على كل شئ من العقاب والثواب دون اندادهم وان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم حذف جواب لو دليلا على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب ويقدر من الفظاعة ما لا يكتنه كهنه كقولهم لو رأيت
فلانا والسياط تاخذه بخلاف ما لو وقع التعبير عنه بلفظ معين الثانى ولو ترى يا محمد ومن يتأتى منه الرؤية هؤلاء من الذين ارتكبوا الظلم العظيم
بشركهم وقت معاينتهم العذاب معاينتهم ان القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرأيت امرا عظيما فعلى هذا ان مع معمولها بدل من العذاب قال الفراء الوجه فيه تكرير
الرؤية اى يرون ان القوة لله جميعا الثالث بياء الغيبة وكسر ان وان ومعناه كالاول والجملتان معترضتان والمعنى لقيل ان القوة لله والرابع على هذا
القياس ودخول لو وكذا اذ فى المستقبل مع ان حقهما الدخول على الماضى نظم للمستقبل فى سلك الماضى المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف فى اخباره
وقيل لان الساعة قريبة فكانها قد وقعت وكذا الكلام فى اذ تبرأ وانه بدل من اذ يرون العذاب قيل هو معمول شديد المراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء
من مشركى الانس عن قتادة والربيع وعطاء او شياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدى وقيل الاوثان والتبرى ما بالقول وهو قرب
اما باطنه فهو العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عقابه شيئا فكيف عن غيرهم ورأوا العذاب وتقطعت عطف على تبرأ بهم اى عنهم فان
التقطع فى معنى الزوال وقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون او الباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع
ومصالحهم انقلبت عليهم مفاسد والسبب فى اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به فالواو لا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به المراد ههنا
الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمنى ولذلك اجيب بالفاء

الواو للحال اى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب

من الجن والإنس في بناء عظيم خلوق ويعبد غيره وارزق ويشكر غيري ثم لما أجمل في الآية ما يباح أكله بل بعضها فصل ما هو محرم ليبقى ما عدا ذلك على أصل الإباحة فقيل
إنما حرم عليكم الميتة والدم ويتناول ما مات حتف أنفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي وإذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها إجماعا ولأن تحريم ما لا
يحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الآية إجمال عند الأكثرين لأن المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم أعيانها وإن المفهوم في العرف حرمة التصرف
في هذه الأجسام كما لو قيل فلان يملك جارية حلت فهم منه عرفا أنه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالآية تدل على حرمة جميع التصرفات إلا ما أخرجه
الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان أما الميتتان فالجراد والنون وأما الدمان فالطحال والكبد قال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو
الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش إلا في الماء وإن لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق فيه بين ما يؤكل نظيره في البر
كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على أصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف أن السمك والجراد يخرج بنفسه لأن
الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وإن أكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن عد الكافر من الدواب لقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لأن عدم التناول عرفا إنما هو بعد
تخصيص الشارع فلا يمكن أن يجعل دليلا على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الأم عند الشافعي وأبي يوسف ومحمد هو المروي عن علي وابن
مسعود وابن عمر لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة أمه قال أبو حنيفة لا يؤكل إلا أن يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الإضمار أي ذكاة الجنين كذكاة أمه ورد
بأن الإضمار خلاف الأصل وبأنه إذا خرج لا يسمى جنينا وبأنه لا يبقى للخبر فائدة لأن ذلك معلوم ولما روي عن أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج
ميتا قال إن شئتم فكلوه فإن ذكاته ذكاة أمه كشعر الميتة وصوفها فإنهما عند أبي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن أصوافها
وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة إنما حرم من الميتة أكلها ولأنهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولأن الشعر
والصوف لا حياة فيه لأن حكم الحياة الإدراك والشعور ومن هاهنا ذهب مالك إلى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن
والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما أبين من حي فهو ميت ولأن الحياة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر و
اللحم وأما الإهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فأوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود بأسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ
لقوله صلى الله عليه وسلم أيما إهاب دبغ فقد طهر ولأن الدباغ يعيد الجلد إلى ما كان عليه حال الحياة من عدم التعفن ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم أبو حنيفة
يطهر كلها إلا جلد الخنزير لدسومته والآدمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل إلا جلد الكلب والخنزير ثم الأوزاعي وأبو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم
أحمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لإطلاق الآية ولقول عبد الله بن حكيم أتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر ألا تنتفعوا من الميتة
بإهاب ولا عصب اختلف في أنه هل يجوز الانتفاع بالميتة بإطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم إذا أقدم البازي من عند نفسه
على أكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال النجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجأة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين
ولأجل تجليل الكلب وإن لم يكن ضرورة وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الأرض لعموم الحاجة القريبة
من الضرورة وقد نقله الأثبات عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل صلى الله عليه وسلم عن العاذرة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تأكلوه والدخان وإن كان
نجسا لكنه قليل معفو عنه وعند أبي حنيفة إذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة أي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان
لم يفسد الماء قل أو كثر لأن رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة الأصحاب
عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة قالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف فإن وقع في ماء أو في مائع آخر فقولان ثم الذباب
والبعوض ونحوهما وإن حكم بطهارة ميتها فهي محرمة لأنها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز أكل دود الطعام والفواكه وللنا
وجهان والأظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الأشياء يمكن أن يباح به سئل عبد الله بن المبارك أبا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات
فقال أبو حنيفة لأصحابه ما ترون فذكروا له عن ابن عباس أن اللحم يؤكل بعد ما يغسل ويهراق المرق فقال أبو حنيفة بهذا نقول على شريطة
إن كان وقع فيها في حال سكونها كما في هذه الرواية وإن وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لأنه إذا سقط
فيها في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم وإذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة اللحم فاستحسن ابن المبارك وعند أبي حنيفة
ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الأكل وكما لو ذبح المجوسي مأكول اللحم ولبن الشاة الميتة وإنفحتها
طاهران عند أبي حنيفة وعند الشافعي ومالك لا لأن الآية لا يتناولهما فإن اللبن لا يوصف بأنه ميتة بل يتنجس بمجاورة الميتة وبيض مأكول اللحم
إذا ماتت وصلب قشره في جوفه فإن كان متصلبا فطاهر بعد أن يغسل وإلا فلا أما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح لإطلاق الآية
إلا الكبد والطحال للخبر عند من يقول بتناول الآية إياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص قال أبو حنيفة دم السمك ليس بمحرم وأما لحم الخنزير فأجمعت
الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لأن معظم الانتفاع متعلق به أما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وإن أجمعوا على تحريمه وتنجيسه
اختلفوا في أنه هل يجوز الانتفاع به للخرز فأبو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز واحتج أبو حنيفة بأنا نرى المسلمين يقرون الأساكفة على استعماله
من غير نكير ولأن الحاجة ماسة إليه وأما ما أهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى فأهل المعتمر إذا رفع صوته

في جواز الانتفاع بالميتة

بالتلبية

بالتلبية قال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد تقدم به في هذه السورة واخر في المائدة والانعام
والنحل لان تقدم الباء هو الاصل لانه يجري في افادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف فكان الموضع الاول هو اللائق بهذا الاصل وفي سائر المواضع
قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذا لم يذكر في سائر الاي ثم اكتفى بما ذكر في المواضع الاول ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا
سمي عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولان النصارى اذا سموا الله تعالى فانما يريدون به المسيح وهو مذهب عطاء
ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا
ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما نووا واراد[وا] المسيح عن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا و
اذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ما يقولون ظاهر الاية يقتضي ان لا يكون سوى هذه الاشياء محرما
لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر افتعل من الضر وهو الضيق اي الجئ استثنى
من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد بان لا يجد ماكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني
اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناول ما اكره عليه قيل الاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن
اضطر فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به غير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف بغى
الجرح ورم وترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد وللائمة في الاية قولان احدهما
واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا يكره طبعه النفس فيعدل الى اكل الحرام للذة ولا عاد اي متجاوز
قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد او غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة و
الثاني واليه ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي بسفره هل
يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الاية الاخرى فمن اضطر
في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار بهما باقيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل
لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان نفور بطبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى النهي عن التعدي في الاكل وايضا انه نفى ماهية البغي والعدوان
وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص البغي بالاكل كما ذهبتم اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي
حنيفة قوله تعالى في اية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل او فيل او حية
وايضا الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه التوصل
الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان الرخصة اعانة على السفر واذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية
والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يمسك به رمقه الا اذا عجز عن السير وهلك فحينئذ
يشبع قال عبيد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود فان غني عنها طرحها والاول اقرب لان سبب الرخصة
اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة كما ان الجوعة في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه
وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش وان اساغة اللقمة
وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول
وحدوث مرض مخوف في جنسه كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه طوله وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون التيقن ومعنى قوله فلا اثم
عليه رفع الحرج والضيق كما في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة
الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناولا لما حصل فيه المقتضي للحرمة
ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة
رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة وانه لما بين هذه الاحكام فالمكلفون بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم
حيث وفقهم للطاعة ان الذين يكتمون عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم
الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها
ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي صلى الله عليه وسلم فلا
يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة العقل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم كل ملآن في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار
لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار وكقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر فهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الآخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام
فذلك

لان القرط هو الدرة المعلقة في الاذن والمهواة الهواء والبعد وبعد مهواه يستلزم طول العنق

في جواز الانتفاع بالميتة

والجن والانس في بناء عظيم خلقه ويعبد غيره ما رزقه ويشكر غيره لما اجمل في الاية ما يباح اكله ذيل بحصر ما هو محرم ليبقى ما عدا ذلك على اصل الاباحة فقيل
انما حرم عليكم الميتة والدم ويتناول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما لا
يحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف
في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية احلت فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه
الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله عم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد قال عم في صفة البحر هو
الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق بين ما يؤكل نظيره في البر
كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد مخرج بنفسه لان
الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد
تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد هو المروي عن علي وابن
مسعود وابن عمر لقوله عم ذكوة الجنين ذكوة امه قال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكوة الجنين كذكوة امه ورد
بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للتخصيص فائدة لان ذلك معلوم ولما روى عن ابي سعيد انه عم سئل عن الجنين يخرج
ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكوته ذكوة امه كشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله عم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر
والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن
والظفر والسن كلها نجسة لقوله عم ما ابين من حي فهو ميتة ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر
اللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ
لقوله عم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة
يطهر كلها الا جلد الخنزير لنجاسته والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم
احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقوله عبد الله بن حكيم اتانا كتاب رسول الله عم قبل وفاته بشهر ان لا تنتفعوا من الميتة
باهاب ولا عصب اختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اقدم البازي من عند نفسه
على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال النجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجاة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين
ولا يحل تجليل الكلب ان لم يكن ضرورة وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة
من الضرورة وقد نقله الاثبات عن اصحاب رسول الله عم وسئل عم عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تأكلوه والدخان وان كان
نجسا الكثير قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان
لم يفسد الماء قل او كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة الاصحاب
عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة قالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف فان وقع في ماء او في مائع اخر فقولان ثم الذباب
والبعوض ونحوها وان حكم بطهارة ميتها فهي محرمة لانها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والماء
وجهان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يباح به سئل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات
فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون سألته فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل فيهراق المرق فقال ابو حنيفة لهذا نقول على شرطه
ان كان وقع فيها في حال سكونها فكما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط
فيها في حال غليانها فمات فقد اختلطت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة
ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكما لو ذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها
طاهران عند ابي حنيفة دون الشافعي ومالك لان الاية لا يتناولهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل تنجسها بمجاورة الميتة وبيض ماكول اللحم
اذا مات وجعله تلك في جوفه فان كان متصلبا فظاهره بعد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا لاطلاق الاية
الا الكبد والطحال للخبر عند من يقول بتناول الاية اياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص قال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت
الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم تخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه
اختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز واحتج ابو حنيفة بانا نرى المسلمين يقرون الاساكفة على استعماله
من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى واهل المعتمر اذا رفع صوته

بالتلبية فقال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته مرتد وقد تقدم نظيره في هذه السورة واخرى في المائدة والانعام والنحل لان تقدم الباء هو الاصل لانه يجري في افادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف فكان الموضع الاول هو الاولى بهذا الاصل واما في سائر المواضع قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذا لم يذكر في سائر الاي ثم اكتفا بما ذكر في المواضع الاول ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا سمى عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولان النصارى اذا سمى الله تعالى فانما يريد به المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب تحريمه واذا ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما في الواد المسيح عن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ظاهر الاية يقتضي ان لا يكون سوى هذه الاشياء محرما لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر افتعل من الضرر وهو الضيق اي الجئ من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد بان لا يجد ماكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناوله اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن اضطر فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف بغى الجرح ورم وترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد وللائمة في الاية قولان احدهما واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا يكره النفس فعدل الى اكل الحرام للذته ولا عاد اي متجاوز قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد وغير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة والثاني واليه ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي بسفره هل يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الاية الاخرى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم والاية غير باغ ولا عاد حال لان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار باقيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان نفور بطبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى النهي عن التعدي في الاكل وايضا انه نفى ماهية البغي والعدوان وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص البغي بالاكل كما ذهب اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي حنيفة قوله تعالى في اية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى فلا تقتلوا انفسكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كالوترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل وفيل وحية وايضا الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه التوصل الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان الرخصة اعانة على السفر واذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية والسعي في تحصيل المعصية محظور والجمع غير ممكن ثم اتفق الائمة على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يمسك به رمقه الا اذا عجز عن السير وهلك فقيل يشبع قال عبيد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود فان غني عنها طرحها والاول اقرب لان سبب الرخصة اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة كما ان الجوعة في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا تركه وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش وان ساغ به اللقمة وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول حدوث مرض مخوف في جلسته كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه طوله وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون اليقين ومعنى قوله فلا اثم عليه رفع الحرج والضيق كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة او انه لما بين هذه الاحكام فالمكلفون بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا ويطيعوا فهو رحيم حيث وفقهم للطاعة ان الذين يكتمون عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت نبي آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي فلا يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة الفعل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الآخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام

فلان تعرضه هو الدية المطلقة معنى اد: هو المهواه والادا المحمود بعد مهواه يستلزم طول العنق

ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كلموا كلامه في الدنيا بل اخسؤوا فيها ولا تكلمون ولا يكلمهم صلا لغضبه عليهم كما هو دين الملوك من الاعراض عند
ولا اقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالاثناء عليهم و يقبل اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لما ادى بهم الى الخسارة فان احسن الاشياء في
الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العذاب فهم في خسران لا يدين لا ستبدالهم في الدنيا اقبح
الامور باحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في تلبسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب
الشيء لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن هذا التعجب
منهم في حال التكليف واشترائهم الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد انه اذا قيل لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على النار لليائس من الخلاص
وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في ما اصبرهم للاستفهام لمعنى التوبيخ معناه اي شيء صبرهم عليها
حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل
لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كانه في حق الله تعالى ذلك الوعيد الشديد في ذلك الكتمان وسوء معاملتهم بما هو بسبب ان الله نزل الكتاب
يعني جنس الكتب التورية والقرآن بالحق بالصدق وبيان الحق وقد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار
على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب بجنسه فقالوا في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق خلاف بعيد عن
الحق والذين اختلفوا في القرآن فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير الاولين او الذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح كل منهما في
الاخر وذكر كل منهما للايات الدالة على نبوة محمد تاويلا اخر فاسدا وحرفوا كلا منها على وجه اخر لاجل عداوته فهم فيما بينهم في شقاق بعيد وعناد
شديد فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة وعن ابي مسلم اختلفوا في الكتاب اي توارثوه مثل ان في اختلاف
الليل والنهار اي تعاقبهما واعلم ان الاية وان نزلت في اهل الكتاب لكنها تكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح
ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان السبب في تعقيب هذا الحكم الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل
والبانها واحلوا بعض ما حرم الله كبعض الشحوم فسبقت الاية تعريضا بصنيعهم وتصريحا بجزائهم وجزاء اضرابهم والله اعلم التاويل الميتة جيفة الدنيا
والدم هي الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال صلى الله عليه وسلم سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير مادة الشرة والحرص وما
اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء او سمعة قوله تعالى لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ
نیست خوبی آن که بگردانید روهای خود را بجانب مشرق و مغرب ولیکن خوبی آنست کسی که گروید
بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ وَاٰتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهٖ ذَوِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ
بخدا و روز واپسین و فرشتگان و کتابها و پیغمبران و بدهد مال خود را بر دوستی خدا صاحبان خویشی و یتیمان و فقیران و راهگذاران
وَالسَّاۤئِلِيْنَ وَفِي الرِّقَابِ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ وَالْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا عٰهَدُوْا وَالصّٰبِرِيْنَ فِي الْبَأْسَاۤءِ وَالضَّرَّاۤءِ
و بینوایان و در بندگان و بگزارد نماز را و بدهد زکوة را و وفا کنندگان بپیمان خود را چون پیمان بستند و تحمل کنندگان در تنگدستی و ناخوشی
وَحِيْنَ الْبَأْسِ اُولٰۤئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَاُولٰۤئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص الخراز عن هبيرة الباقون
و در هنگام جنگ حالی آن گروه آنانند که براستی عهد کردند و آن گروه ایشانند پرهیزگاران بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون
بالتشديد والنصب الوقوف والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع
المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون ط على الصابرين البأس ط صدقوا ط المتقون التفسير
هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض يقول اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب
لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو
التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من
جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولن يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير
المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وهو نقيض الفجور ضادهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى لكون
الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها يشبه المضمر في انها لا توصف والمضمر ادخل في الاختصاص من المظهر فهو اولى
بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقدير حذف المضاف اي بر من امن وقيل البر بمعنى البار مثل رجل صوم اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند
العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم

التفسير هكذا ولكن ذا البر من امن وقيل الخ

والعلم بالصو

والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوده وقدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل ثانيها الايمان باليوم الآخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات ثالثها الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين سبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدأ ووسطا ونهاية ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله واليوم الآخر واما معرفة مصالح الوسط فلا تتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي يأتي به الملك فثبت ان كلا يلزم المكلف لتصديقه وثانيها الايتاء اي ايتاء المال على حبه روى ابو هريرة انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل فقال ان تتصدق وانت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعد ما يشبع السبب فيه ان عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند القرب من الموت يحصل الاستغناء وبذل الشيء عند الاحتياج ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه وايضا فالاعطاء عند الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت والضمير في حبه عن الموت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب ذلك الاعطاء رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال على حب الله وطلب مرضاته ثم ذكر سبحانه وتعالى من يؤتى المال اصنافا ستة اولهم القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما قدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك ثنتان لانها صدقة وصلة لما ذكر استحقاق قرابة الوراثة في سياقة المال الى الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث المتوفى ذوي القربى والمساكين الا الفقراء منهم الا بأس بتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله جعل ابن السبيل لملازمته له كما يقال للطير ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به وخامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وسادسهم المكاتبون واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فك الاسارى وقيل ابتياع الرقاب وعتقها وهو من خواص العرب ان المكان مكانها من الجسد وذلك ان الرقيب المشرف على القوم ولا يقال له عتق الثالث والرابع قوله واقام الصلاة واتى الزكاة وقد سلف مباحثهما ان الآية دلت على ان في المال حقا سوى الزكاة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس اعطاؤه مقدار دفع الضرورة وان لم تكن الزكاة واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي رضي الله عنه ان الزكاة نسخت كل حق فالمراد الحقوق المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من آمن والمراد ما اخذه الله من العهود على عباده بقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل العهد الذي بين الناس سواء الانبياء والكتب ويندرج فيما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين ربه كالنذور والايمان وبينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا الحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم وبينه وبين الناس واجبا كالعقود والمعاوضات او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون ههنا هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا وفوا واذا قالوا صدقوا واذا ائتمنوا ادوا السادس والصابرين في البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالاحسن ان تخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في فائدة اختلاف الحركة في المدح والذم ان اصل المدح والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد فقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل اي فهو والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر لا افعل لهما لانهما ليسا بنعتين وحين البأس القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة اولئك الذين صدقوا في ايمانهم وجدوا في الدين واولئك هم المتقون نظيرهما في ترك العاطف للاستيناف قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون كانه قيل للمستقلين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو اسم لكل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين بها هم الذين صدقوا في الاسلام وهم المتقون بسمة التقوى كل منهما منطو على جميع الخيرات ومتضمن لكل المأمورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات ذكر الواحدي ههنا ان الواو في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص

الموت لتيسير المتبرع عند

الانبياء والحواريين ليس بمستبعد ان يوجد الامة موصوفة بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في المتقي ولا سيما بنبيا محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان اهل الكتاب كانوا اخلوا بجميع ما وصا
البر اخلوا بالايمان بالله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهب اليهود الى التجسيم والنصارى
الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبرئيل
عدونا كفروا بالكتب السماوية افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض قتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واتبعوا الشهوات الشح
حتى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ولا يوفون بعهدهم ونقضوا العهد كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في اللأواء لن نصبر على
طعام واحد ولا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فالعجب كل العجب منهم حيث ادعوا البر والاشي وكلا واحد من اجزاء
البر فيهم وهذه غاية الفحش ونهاية العناد والله بصير بالعباد التأويل ليس البر برّكم بتولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر الحقيقي هو برّه معكم
بتولية وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لتؤمنوا بالله لانه نور يرى به ويرى به ويحبكم ويحبونه والملائكة يحبونكم بحبه اياكم ويرحبي
الكتاب بحدث كبركم ويمين بل هو برقديم في الكتاب القديم وبنور هذه المحبة يحبون اهل المحبة وهم النبيون فالجنسية علة الضم واتى المال على
ما حصل للعبد من الحب وما مال اليه سره من عواطف الحق يستفقه على حب حبيبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي
القربى وهم الروح القلب والسر وذراية الحق واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات
الحق والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والمخيلات والمحسوسات والموهومات
والسائلين الذين هم الحيوانية والروحانية وفي الرقاب فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين واقام صلوة الحاضرة مع الله بالله وآتى الزكوة من
الحق الى اهل استحقاقها من الخلق وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد العبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة
الحقوق والضراء مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود
واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله اعلم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد

اى گروه مومنان نجباتی کہ نوشتہ شد بر شما قصاص در کشتگان از چند کشتگان آزاد بآزاد و بنده ببنده

والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن

و زن بدل از زن پس هر کہ بخشیده شد قصاص برادر خود پس در دیه متابعت معروف و ادا کردن به نیکی این سبکیست از جانب خدا و مهربانیست پس هر کہ

اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون الوقوف في القتلى ط بالانثى ط

در گذشت پس از این پس مر اوراست عذابی دردناک و مر شماراست در قصاص زندگی ای صاحبان خرد کہ شاید شما پرهیز کنید لان العفو واعطاء الدية صلحا لكان

خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا باحسان ط ورحمة ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستانفا اليم تتقون التفسير هذا
حكم آخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط فاما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم
كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف للخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة
منا الرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف
ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ما ذا تريد فقال احدى ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملؤن داري من نجوم السماء او
تدفعون الى جملة قومكم حتى اقتلهم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى
بين عباده في القصاص وقيل نزلت في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله
ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك تقص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصة لان
الحكاية تساوي المحكي والمفصل تعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الآية يدل على
وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص
ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده او المسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما خطاء الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما
عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل ليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك
بل هو مندوب الى الترك ولقوله وان تعفوا اقرب للتقوى واما على اجنبي لم يوجد بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب غاية المساواة على
تقدير القتل لا يوجب نفس القتل قلنا عن الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام ومن يجري مجرى الامام لانه متى حصلت شرائط وجوب
القود فانه يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاء القصاص كما في قوله الزانية والزاني والسارق والمحارب من
الحدود ولهذا ايضا ان يستر استر الله فلا يعتبر فاذا كان امر القتل شنيعا وفيه حق الآدمي كثر وعن الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ايجاب التسوية في القتل
والتسوية في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالآية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في الكيفية المماثلة التي تجب رعايتها فقال
الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المدة والا حزت رقبته وكذلك اذا احرقه او لاطه بالنار حرق الثاني فان

الجزء الثاني

التأويلات النجمية

في تعريف القصاص

مارث

مات في تلك المدة والاجزت رقبته روي انه صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية بالحجارة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يفعل به مثله
ولانه يجوز ان يقال كتب التسوية في القتلى الا في كيفية القتل حيث لم يستثن دخل تحت الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتل بالسحر
لانه محرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف على الاصح ولو لم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الاية
الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيئين الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة
تماثل النفوس في تعيين السيف ولقوله صلى الله عليه وسلم لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة
اما اذا تاب فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة للدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله
اجاب اصحابنا بانه يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا فيه
منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد ان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر
المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل تقديره هذا بدل ذاك اي الحر مقتول
بدل الحر ثم فيه قولان الاول يروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين الانثيين وبين العبدين
لان الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا بغير حر وهو يناقض الاية ولان هذا القول
خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهمال للتسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك
وقالا انما قتل العبد بالعبد فلا يقتل بالحر وهو بعيد قوله وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان
الذكورة والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان
النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة ان الحر
بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص
الحرة بالمراة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك تناقض والثاني قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص
لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافا دماؤهم
وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التفاضل غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول
انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فنهوا عن ذلك والثاني نقل عن علي رضي الله عنه والحسن البصري ان هذه الصور هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما
في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فاذا حر قتل عبدا
فهو قود به فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقيته وان قتل عبد حرا فهو به قود
فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد
وان قتل رجل امراة فهو بها قود فان شاء اولياء المراة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف الدية الى الاولياء وان شاؤا تركوا قتله واخذوا ديتها وان
قتلت امراة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاؤا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية
ان الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله
تعالى فمن عفي له من اخيه شيء المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى
المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له والجواب انه يتعدى بعن الى
الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى
كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف
من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم وعفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل
اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما يقول الرجل للرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق وذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم
ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان قتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل و
العفو انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا التاويل وبان القاتل قد يتوب
وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى ادخل غير التائب فيه على سبيل التغليب والثاني لعل الاية نازلة قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة
قبل الاقدام على القتل وايضا لعل الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول خاله وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخا له في النسب كقوله
والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر اتباع او فحكمه اتباع او فعليه اتباع فقيل على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في الطلب
بل يجري فيها على العادة المالوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجدا لعين المال فان كان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجدا

الى المال الواجب فالامهال الى ان يستبدله ان لا يمنعه بسبب تباع عن تقديم الاهم من الواجبات على العفو عنه واداء اليه باحسان بان لا يدعي الا قدام
في حال الامكان ولا يؤخر مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه ان يؤدى تلك الى العاني ثم الى الاثر وقول جميل من غير مطل ولا بخس هذا قول ابن
عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافي بمعروف ويؤدي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة
الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم
يكن لاهل التوراة الا القصاص وللنصارى الا العفو واثبات الخير تخفيف من ربكم ورحمة في حقنا لان ولي الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان محتاجا
الى المال وقد يكون القود اثر عنده اذا كان راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه ويؤثر ثواب الاخرة فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا وهو
الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او دونه او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة
ولا يقبل منه الدية كما روي انه ﷺ قال لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وضعفه غيرهم ولما كانت الاية مشتملة
على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال الرحمن عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون ان القصاص ازالة للحيوة وازالة الشيء لا يكون نفس ذلك الشيء فالمراد
لكم في شرع القصاص حيوة واي حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل
غير القاتل فيثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا قيد منه ارتدع من كان
هم بالقتل فلم يقتل ثم لم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما تقص عليكم من حكم القتل
والقصاص وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة للقلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في
الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع وقولهم اكثروا القتل ليقل القتل واوجز ما قالوا
القتل انفى للقتل ثم يترجح مع ذلك للاية من وجوه الاول ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس نفيا للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خصص
بقيد القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال الكلام والاية تفيد هذا المعنى من غير تقدير وتكلف الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث
انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الاية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هي الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة
فالتنصيص على المقصود الاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن وانه في كلامهم لا في الاية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتمد
عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الاية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة
التركيب وفي الاية مع غايته وجاء فيها السبب والوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الاية
جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه الثامن المطابقة مرعية في الاية لمكان تضاد بين
لفظي القصاص والحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الاية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي اكتنفه قتلان
انه لا يليق بهم العاشر اشتمال الاية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الاية واحدة وفي كلامهم
ثنتان وان اعتبر التنوين في الاية تقاصت الادوات وبقي زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل
بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء فاين الوجازة يا اولي الالباب يا ذوي العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو
بمعنى صاحب وذوات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال واعرابه كاعراب جمع المذكر السالم وزادوا في اولو واوا
فرقا بينها وبين الي واجري اولوا عليه اللب العقل ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء والذين يتفكرون في العواقب ويعرفون
ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي اريتكم ما في القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص
بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقي على الاية بحث وهو انه سئل اذا صح ان المقتول لو لم يقتل فهو
يموت لان المقتول عمره ذلك القدر وكذا اذا هم انسان بقتل اخر فارتدع خوفا عن القصاص فان ذلك الاخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان لكل
وقت محتوم فوقوع قتله حين وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى جعل لكل شيء سببا ومسببه معه وجودا وعدما وفي
شرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سببا لحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فارتدع عما هم به ففائدة شرع
القصاص هي فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكر فائدتها منكر فائدتها وكلا الانكارين مذموم وصاحبهما عند العقلاء ملوم والله اعلم التأويل
كتب عليكم القصاص في القتلى اشارة على تفسير الرحمة في قتلاكم وقال من احبني قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان
متوجها اليه تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال من كان ناقصا في عبودية
لم يكن مستحقا الكمال الحقيقي فمن عفي له من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معروف
بها رفع فالواجب على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك اوفاء بملابسة الجفاء والقي جلباب الحياء فله عذاب اليم فان الكفر

موقعه وخيم ولكم في القصاص حيوة الذين والبقاء برب الثقلين يا اولي الالباب الذين بدلوا قشر الروح الانساني عند شهود جلال الصمد الملك لعلكم
تتقون وجودكم كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
نوشته شد برشما در وقتی که دریافت یکی از شما مرگ اگر بگذارد مالی را وصیت کردن از برای پدر و مادر و خویشان به مقدار معین و این ثابت بر پرهیزگاران
فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ
پس هرکه تغییر دهد او را پس از آنکه شنیده او را پس عقوبت تغییر بر آنهاست که تغییر دهند او را بدرستیکه خدا شنوای داناست پس هرکه بترسد از وصیت کننده میل یا گناه را پس صلاح
بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وابو بكر عن عاصم وحفص وجبلة
در میان ایشان پس نیست عقوبتی بر او بدرستیکه خدا آمرزنده مهربان است
الباقون بالتخفيف من الايصاء الوقوف خيرا ج لان قوله الوصية مفعول كتب تمام ما لم يؤنث الفعل للفصل
ولاعتراض ظرف وشرط بينهما او الوصية مبتداء وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين ان الوصية والوصل اولى
لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف ج لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين ط وان كان بعدها فاء التعقيب لانه حكم اخر يبدلونه ط كذلك
عليه ط رحيم التفسير هذا حكم اخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لان في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء
والاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان
تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وكذا ولا شك ان الخير يرد في القران بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد اني لما
انزلت الي من خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال قليلا كان او كثيرا بدليل قوله فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره وانه تعالى اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل او كثر فقال وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر
نصيبا مفروضا فكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الاية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال لا يفهم منه
ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى
فانه يراد تكثير النعمة وان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور ينفون الاسم عن الشيء لنقصه منه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا
في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لان كل من يموت فانه لابد ان يترك شيئا ما ثم القائلون بهذا اختلفوا
في ان المعتبر بالخير في الاية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف من المقدار
من المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا
بناء في اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل على مولى له في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي
قال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا الخير المال الكثير وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلاثة الاف قالت كم عيالك
قال اربعة قالت قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة
درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية
للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على رفع
الوصية بكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب والاقربين قيل
هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية
الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير واوصى للغني لم يكن معروفا ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد
مع حصول الاخوة لم يكن ما ياتيه معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين اثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم
ان الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم النسخ وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من
توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم
ان لا ينقص من انصبائهم اذ لا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت قالوا
يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين ولو قدرنا حصول المنافاة فهذه الاية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم اية الميراث تخرج القريب الذي
يكون وارثا داخلا في الاية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال
ومنهم من يسقط في كل حال اذا كان ذو رحم فاية الميراث مخصصة لهذه الاية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الاية منسوخة
قالوا نسخت باية المواريث وبالاجماع او بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول
حتى لحق بالمتواتر فيجوز نسخ القران به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال انه منسوخة في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن
البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وعن
طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الاية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث

اما باية المواريث وبقوله لا وصية لوارث وباجماع الامة فبقيت الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال صلى الله عليه وسلم ما من
حق امرئ مسلم له شئ يوصي فيه وفي رواية له شئ يريد ان يوصي فيه ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير
الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب هؤلاء القائلون بان الاية ما صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا
في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصري هم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن و
جابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا ترثه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن
طاوس ان الاقارب ان كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله من غير الاوصياء والشهود وما قال للميت واوصى به عن جهة
ان كان موافقا للشرع بعدما سمعه وتحققه فلا معنى للسماع او لم يقع العلم به والمبدل اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد
بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل المنهي عن التغيير هو الموصى نهي عن تغيير الوصية عن المواضع التي
بين الله تعالى الوصية فيها فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للابعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين واوعدهم
على تركها فانما اثمه ثم اثم الايصاء المغير او ثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الانسان لا
اذا امر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لا يعذب بنياحة غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حدها
ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل واي وعيد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن
خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا والخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فيسئل انه كيف
في امر منتظر مظنون والوصية وقعت علمت واجيب بان المراد ان المصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن
طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التأويل وشاهد منه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات
ذلك وقبل تحقق الوصية يأخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على سابقة الوصية فكان الموصي يقول قد حضر
الوصي والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب وان ازيد فلانا مع انه غير مستحق للزيادة او انقص فلانا مع انه مستحق للزيادة
فعند ذلك يصير السامع خائفا من جنف او اثم لا قاطعا بهما فلذلك قال خاف وفيه من الجائز ان لا يستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حياته ولمن يحصل
الثقة بما فعل وقد يعلل عن الخوف في اخر الامر ويتقدر ان يستقر الوصية ومات الموصي على ذلك الظلم بعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما
يتعلق الى الموصى به وقد يفرح الى الجنف والاثم فيحتاج الى الاصلاح باجراءهم على قانون الشرع والتفسير الثاني ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل
الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف منشأ ظن مخصوص بين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الاخر ومنه لا شايع امره
قولهم اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فمعنى الاية ان الميت اذا اخطأ في وصيته او جار فيها متعمدا فلا حرج على
من علم ذلك ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفي الاية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين اذا خاف
المصلح افضاء المنازعة الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حتى لا ينافي الوجوب فيه ومع ذلك نكتة هي ان الاصلاح بين
القوم يحتاج الى الاكثار من القول وذلك قد يفضي الى الاسهاب والتكلم ببعض ما لا ينبغي فبين انه تعالى لا يؤاخذ على المصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلاح صحيحا
ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتي اليك ايها المصلح مع تحمل عناء
الاصلاح اولى او المراد الذي اقدم على الجنف والاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التأويل يجوز ان يرجع الضمير في
في قوله فلا اثم عليه الى الموصي اي الموصى له واعلم ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ باية المواريث الا انهم اتفقوا على انها الا انها جائزة في الثلث لما روي
انه عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي فاوصي بثلثي مالي قال لا قال فبشطره قال لا قال فبالثلث قال الثلث و
الثلث كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كانت
الورثة فقراء والوصية وسع مجالا من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم
منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من سائر الورثة
كالوزاد على الثلث للاجنبي فان الزائد محتاج الى اجازة الورثة التأويل كتب على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال
والاغنياء يوصون في اخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون في مبادئ احوالهم عن الكل والمعنى اذا حضر قلب احدكم مع الله ومات نفسه عن الصفات
الحيوانية فعليها على ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت من ازدواجهما وللاقربين وهم القلب والسر بترك كل شرب
يظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال صلى الله عليه وسلم
بعثت لرفع العادات وترك الشهوات بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب مشربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا
شعر
وكان لي شتى الهوى ومذاهب ÷ ÷ فقد صار لي سؤلي وديني هواكم
وانتم من الدنيا مرادي وهمتي ÷ ÷ ومناي منا كم واختياري رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفي
وهذا لا يعقل على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر يحتمل النسخ واحكام

البواطن

البقرة

البواطن وهي الحكم والحقايق لا يحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله فمن غيره من الروح والقلب والسر الوصية الصادرة

من نفسه المبينة فانما اثمه عليهم بسبب هذه التوكيدات السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحاني وصفاتهم حميدة باقية فترك مشاربها والخروج

عنها صعب جدا فمن خاف تقريبا من موص جنفا في ترك المشارب بان يبالغ في المجاهدات لنيل المشاهدات او اثما تجاوزا عن حد الشرع في دفع

الطبع فاصلح بينهم بين الروح والبدن والقلب والسر ولكن بنظر شيخ كامل ومرب عارف فلا حرج على المصلح والله الموفق يا ايها الذين امنوا كتب عليكم

ع ٧ الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا ای ایمانیان نوشته شده بر شما روزه

روزه چنانکه نوشته شده بود بر انهائی که پیش از شما بودند شاید که شما پرهیزید در روزهای چند پس هر که باشد از شما بیمار او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى

الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم یا در سفر پس چندی از روزهای دیگر و بر

انان که توانند قضا را پس فدیه دهند طعام فقیری پس هر که از روی شرع خوبی کند بهتر است او را و روزه شما بهتر است شما را اگر تعلمون شهر رمضان الذي انزل

فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم دانید ماه رمضان است انکه در

فرود آمد در آن قران که هدایت است مردمان را و نشانها از هدایت و امتیاز پس هر که حاضر باشد از شما در این ماه پس روزه بگیرد اور مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم بیمار یا در سفر باشد پس چندی از روزهای دیگر

خواسته خدا برای شما اسانی را و نخواسته است دشواری را تا که بانجام رسانید عدد را و تا که بزرگی دانید خدا را که راه نمود شما را تشكرون واذا سالك عبادي عني فاني

قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل شکر کنید و چون بپرسند ترا بندگان من پس

نزدیکم روا کنم حاجت خواننده را چون بخواند مرا پس طلب اجابت کنند از من و بگروند بمن شاید که ره یابند حلال کرده شد لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن

لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم از برای شما در شب روزه خلوت کردن با زنان خود ایشان

پوشش اند شما را و شما پوشش اند ایشان را میداند خدا که شما خیانت کنید که نفسهای خود را پس رجوع برحمت نمود بر شما و در گذشت فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله

لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا پس در این وقت خلوت کنید و بخواهید که را نوشت خدا

از برای شما و بخورید و بیاشامید تا که ظاهر شود بر شما رشته سفید صبح از رشته سیاه صبح پس تمام کنید الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم

عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس روزه را تا شب و مباشرت مکنید انها را در حالیکه

معتکفید در مسجدها این احکامهای خدا پس نزدیک مشوید مر انرا ظاهر کند خدا نشانهای خود را لعلهم يتقون القراءة فدية طعام مضافا مساكين

الجمع ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وروى الحلواني اللام عن هشام والنجاري فدية بالتنوين طعام بالرفع شاید پرهیزند مضافا الى مساكين بالجمع الباقون

مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرور فمن تطوع بتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة وجزم العين حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل

القران غيرمهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان بمعنى القراءة فان عباسا فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقران الفجر قران الفجر

ولا تعجل بالقران ان علينا جمعه وقرانه فاتبع قرانه الباقون بالهمز اليسر العسر حيث كانا مثقلين يزيد الا قوله فالجاريات يسرا ولتكملوا العدة من

التكميل ابو بكر وحماد وعباس وسهل الباقون من الاكمال الداع اذا دعان بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر و

نافع غير قالون وابو عمرو وبالياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين بي لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون لا لان

اياما ظرف الصيام والانتفاء معدودات ط لان المرض والسفر عارضان فكانا خارجين عن الوضع مثلا اخر ط لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له بما

قبله مسكين ط لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له ط لان التقدير الصوم خير لكم تعلمون والفرقان ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه

للابتداء بشرط اخر اخر ط العسر ز قد يجوز تشكرون قريب ط لان قوله اجيب مستانف عار ص للفاء يرشدون نسائكم ط لهن ط عنكم ج لعطف

الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقين من الفجر ص لذلك الى الليل ج وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان

في المساجد ط لان تلك مبتدا فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اي يبين بيانا كبيانا ما تقدم يتقون التفسير هذا حكم اخر والصيام

مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في اللغة الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اي قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة

كل ممسك عن طعام وكلام وسير فهو صايم وانه في الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة تسمى المفطرات كالاكل والشرب والوقاع في

زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولابد لصحته من النية في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثر

ويوافقه الحديث من قول الشافعي وفي غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولابد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس

ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم

قال علي كرم الله وجهه اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة

عليها الفدية او المعاصي لان في الصوم ظلفا للنفس عن المناهي ومواقعة السوء ولعلكم تنتظمون في زمرة اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل

معناه صومكم كصومهم في عدد الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد الشديد

في ان تعصموا بالنصوص

فشق عليهم فجعلوه بين الثمن والربع وزاده وعشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل مثل دراهم معدودة واصله ان المال القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كأنه قال اني رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه الشبه بين الفرضين مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة وان اختلف المدتان ثم ان الائمة اختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان فعن عطا ثلثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا انه فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه فسخ بصوم رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان صوم رمضان فسخ كل صوم فدل على ان صوما آخر كان واجبا وايضا ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الآية وفي التي تتلوها فلو اتحد الصومان كان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه الآية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان واجب على التعيين فيختلفان والثاني هو اختيار ابي مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا في غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلالهم الاول بانه ليس في الخبر انه نسخ عنه كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب في الشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت في شرعه لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا للصيام وجب بغير هذه الآية وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الآية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان حالهما ثابتا في رخصة الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا وعن الثالث انه لا اختلاف مسلم لكن في التخيير والتعيين اما في نفس الصوم فلا وههنا سؤال وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول بل المقدم في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتأخر منسوخا كآية الاعتداد بالحول وهكذا في القرآن آيات مكية متأخرة في التلاوة عن الآيات المدنية وذلك كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة في هذا التكليف اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلائل لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي نزل فيه القرآن ليعلم شرفه فتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة في الزامه فاباح تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض والها واختلف الائمة في المرض والسفر المبيحين للافطار على اقوال احدها ان اي مريض كان واي مسافر كان فله ان يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين يروى انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فقال وجعت اصبعي عن داود الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها انه المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد منه ما يؤثر الصوم في تقويته ثم يعتد به والتأثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال الرجال واخلاقهم وعن الازهري سمي مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للارض الفضاء قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم هي اربعة آلاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان يتعب اليوم الواحد بسير الحمل بخلاف ما اذا تكرر في يومين فيحتاج الى ما يناسب الرخصة ولما روى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي ايضا عن عطاء قال ابن عباس اتقصر الى عرفة فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا يحصل الا في ثلث مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله يمسح المقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا يحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة يسير مقيما وكذا قوله صلى الله عليه وسلم والمسافر ثلثة ايام لا يوجب ان لا يحصل السفر في اقل من ثلثة ايام وايضا الترجيح للافطار لقوله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته وانما قيل او على سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يصح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف المرض فانه صفة قائمة به تحصل لا بفعله وعدة فعلة من العد بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون وعدة المرأة من هذا وانما قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات للعلم بانه لا يؤثر عدد على عددها وانه لا يأتي الا بمثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة واخر جمع اخرى تأنيث آخر وانه غير مصروف للصفة والعدل من آخر من كذا واعلم ان قوما من علماء الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام في السفر قضى في الحضر واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولان قوله يريد الله بكم اليسر يقتضي

وافطر ان شئت،

عن ارادة الافطار ولقوله ص ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم التعريف وقوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجئ من قوله تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان حمزة الاسلمي سئل النبي ص فقال يا رسول الله ص هل يصوم في السفر فقال يا رسول الله ص هل اصوم في السفر فقال صم ان شئت قالوا وفي الاية اضمار التقدير فمن كان مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من راسه ففدية اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء فعند الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طائفة الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي واحمد واسحق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين الفدية في معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم على الشيء وانه ههنا عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي مد من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف الى الفقير والمسكين قالوا كان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى نزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسخها من قرأ باضافة الفدية الى طعام فالاضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرأ مساكين على الجمع فلان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله ص وهو مائة وثلثة وسبعون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان المريض والمسافر منهما من لا يطيق الصوم اصلا واليه الاشارة بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة وهو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا وهذا اولى لئلا يلزم النسخ اذ لو قلنا بنسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق قال من نسخ التخيير عنه وعن الصحيح المقيم الثالث انه في الشيخ الهرم عن السدي وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه والتركيب يستعمل فيمن يقدر على شيء مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع اذا خافتا على نفسيهما او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما القضاء والفدية نحو الرفث وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضاء كيلا يلزم بين البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم الواحد اكثر من القدر الواجب او صام مع الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم مشاعب الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم اشق عليكم وان اجركم على قدر نصبكم او تعلمون ما لله فتخشونه فتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان النبي ص قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك عنه ص ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي ص قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه صح عنه ص من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه عنه ان رسول الله ص قال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا وعن النبي ص يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر من ان يحصى ولو لم يكن فيه الا التشبه بالملائكة والارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم الطريقة فالامساك عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واما صوم الحقيقة فالامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن صمت عن غيره فلما تجلى كان لي شاغل عن الافطار فلشوقت ثمه ثم ما زاد لي حل عن ملك الافطار قوله عز من قائل شهر رمضان الشهر ماخوذ من الشهرة عن مجاهد رمضان اسم الله تعالى وروي عن النبي ص لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله وعلى هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر ياتي وقت الخريف يطهر وجه الارض عن الغبار سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس وفي الارض رمضاء وفي الكشاف الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم النصل جعلته بين حجرين املسين ثم دققته ليرق عن الازهري انهم كانوا يرمضون اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضاء واضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يلفظ

التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم ولهذا الوجه تصير الآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي عليه السلام عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل ممن يجوز التشبيه فيسئل عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة وهل اذن ان ندعو كيف شئنا او ما اذن الا ان ندعوه على وجه معين كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان السؤال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع والاطلاق وقوله اذا دعان يرشد الى الاذن في الدعاء على اي نحو اراد ما لم يتجاوز قانون الادب عرفا كقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس منقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد ومن جانب دون جانب فكذلك مع كونه بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبائع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل بالاتفاق وايضا هذه الاية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب فلوا فثبت ان المراد بالقرب قربه بالعلم والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجودها لما كان بايجاد الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجوده لماهيته بل ماهية كل شيء انما صارت هي بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فيه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها قلت استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلة ذريفناها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب منها اقرب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بنحو آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شنعة الجهال شعر زرب اليه حلا الرثيث وكتمان سر الحبيب حبيب * اذا ما تلاشيت في نوره * يقول لي ادع فاني قريب * وان سألوا اين ربنا صح الجواب بانى قريب وان سألوه هل يسمع ربنا دعاءنا يصح الجواب بانى قريب وان سألوه كيف ندعوه ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب بانى قريب وان سألوه هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صلح في الجواب فانى قريب وان سألوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح ان يجاب بانى قريب اى بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية والاستمداد والمعونة قال بعض الطاعنين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب به ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا لا لان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص لان المقصود ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه لان اجل مقامات الصديقين الرضاء بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر انه جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله منبه على ما قلنا فانه عليه السلام علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حيوته للعمل الذي سبق به القدر قبل وجوده الا انك تحب ان تعرف الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في المشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ثم لم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق ناسخا للكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذلة والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والمسكنة والفاقة ولهذا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله وعالما بانه لا يفعل الا ما اقتضت مشيئته وسبق به قضاؤه وقدره ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الامارة راجيا فيما عند الله من الخير خائفا من الاقدام على موقف

سورة البقرة

للسائل ان المناجاة وان يكون استجابته صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان يعود بركته عليه قال صلعم ما من رجل يدعو
بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا
يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله صلعم قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا
بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص عمرة ركن البدن واصلاحه بلقمة الحلال وذكر النبي صلعم الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء
اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك وذكر المحققون ان الدعاء مفتاح
باب السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلعم قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قال يا رسول الله صلعم اي الدعاء اسمع قال جوف الليل
الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله صلعم قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قالوا فماذا نقول يا رسول الله
قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه انه
قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله صلعم قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام
العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة

في كيفية الدعاء

بن عبيد ان النبي صلعم سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي صلعم فقال النبي صلعم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم
ليصل على النبي صلعم ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلعم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى على النبي فلا تجعلوني
كغمر الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه وآخره ومن لطائف الآية انه تعالى قال فاني قريب ولم يقل فقل اني قريب كما قال في سائر الاسئلة و
الاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسألونك عن الساعة
قل انما علمها عند الله وهذه الاسئلة اصولية يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسألونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير ويسألونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبئونك احق هو قل اي وربي يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا فكانه سبحانه
يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك وايضا في مقام السؤال قال عبادي فهذا يدل على
ان العبد له في مقام الاجابة قال فاني قريب هذا يدل على انه للعبد لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه اشارة الى انه ما للتراب ورب الارباب
وانما يصل من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجاب واستجاب لبى فليمتثلوا امري اذا
دعوتهم الى الايمان والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا وليعزموا على الاستجابة وليؤمنوا كاني اجيبهم اذا دعوني لعلهم يرشدون ارادة ان يكونوا من اهل الرشد
المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى هي المستتبعة للخيرات عاجلا وآجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفي ضده ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وحاصل

نكتة

الكلام انا اجيب دعاءكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه ونكتة وهي انه تعالى لم يقل اجيب دعاء
حتى اجيب دعائك لئلا يصير الذنب محوا عن هذا الاكرام بل قال انا اجيب دعائك على جميع احوالك فكن ابدا مجيبا الداعي وهذا يدل على ان
نعمه شاملة ورحمته كاملة تعم المطيعين والمذنبين الكاملين الناقصين وقيل الدعاء في الآية هو العبادة لما روي عن النعمان بن بشير ان
رسول الله صلعم قال الدعاء هو العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة
عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء
التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز وجل احل لكم جمهور المفسرين
على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا
صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء وصاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن
بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد صلعم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ويومه حتى يمسي وان
قيس بن صرمة الانصاري او صرمة بن قيس او قيس بن عمرو على اختلاف الروايات كان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت
لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلعم فنزلت
احل لكم ففرحوا بها فرحا شديدا ابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم
على هذه الامة بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة فهذه
الآية رافعة لها ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا يمنعون من الاكل والشرب و

والوقاع اعتقادا منهم ببقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالنسخ
ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة وقيل ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما
اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا
بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب واكتسب
وتكسب فمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد
المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل
والتوسعة والتخفيف قال صلى الله عليه وسلم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله
والمراد التخفيف بتاخير الصلوة الى اخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى فعاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء
المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار احاد لا يوجب شيء منها حمل القران على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال الواحدي
اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف والرفث الجماع والرفث ايضا
الفحش من القول وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا ارفثت وانت
محرم فقال انما الرفث ما روجع به النساء هميسا اي مشيا خفيا ولميس اسم امرأة اي ان يصدق الفال ننكها وقال ابو علي معناه الفرج يقال جامع الرجل
او نال فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان
او المس ونحوها كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشيها فباشروهن من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء في قوله دخلتم بهن فاتوا حرثكم
فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة والبيان كما سماه اختيانا لانفسكم قال الاخفش انما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى
الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فينضم جسد احدهما الى جسد صاحبه فيشتمل عليه كالثوب قال
الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او سميا لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المراد لسترها لها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم تكن
المرأة حاضرة كما يستر الانسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للاخر في ذلك المحظور الذي كانوا
يفعلونه وزيف بان هذه القرينة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس اما لانه قصد الجنس او وضع موضع المصدر وموقع قوله هن لباس
لكم استئناف لانه كالبيان لسبب الاحلال فان مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه وهو عالم ولم يذكر
في الاية ان الخيانة فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تاخر هو مثله بدليل فالان باشروهن فتعين ان يكون المراد بالخيانة في الجماع ومن
المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانون فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب
وقيل ان الاية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو دام هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى
لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من لقاء الفضيحة اي فتبتم فقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اضمار فالان باشروهن تاكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب
من البيان لان حل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها حتى الصباح والجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق
البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يباشر الرجل الرجل والمرأة المرأة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم
ولان الرفث اريد به ذلك الا ان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه فنرفض ما نقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ويرجع النزاع لفظيا واما المباشرة
في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع من الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات
وابتغوا ما كتب الله لكم جعل وقضى او كتب في اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن للغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال
صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهية ذلك وعن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا باس ان يعزل عن الامة وعن علي
كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله لكم كقوله فاتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد
ان كانت محرمة عليكم وعن ابي مسلم ابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات
والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة الذي وهو
كتب في القران من قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله من الثواب
لكم ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد لان توزع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية ولا يتفرغ لطلب ليلة
القدر التي هي خاصة صوم رمضان فقال سبحانه فالان باشروهن لتفرغوا لطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر اليهما من الليل ولا
يتبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك فقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض

النهار وسواد الليل وكنى رسول الله صلعم بذلك عن بلاهة عدي وقلة فطنته وفي الصحيحين ايضا عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار وعلم
ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من
مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو دواد شعر
فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة اولا ثم لما اشتبه الامر على البعض ممن لا دربة
له باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الآخر وخرج الكلام من الاستعارة
الى التشبيه البليغ كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من
حيث انها استعارة كما بين في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى فالفصاحة في هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تاخير
البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لانه فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى
العارف بقوانين العرب واستعمالاتهم لا بالاضافة الى الاغبياء منهم نعم التفهيم بعد التبليغ للزكي والله المستعان ولا يسبقن الى الوهم ان المشبه بالخيط
الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه ما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو في
بدوه دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما ينفجر من الضياء اي ينشق وبين ما هو مظلم بعد
يشبه خيطين اتصلا عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدا منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعالى واختلاف
الليل والنهار فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الآية على ان حل
المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي
عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه صلعم قال اذا اقبل الليل من
ههنا فقد غربت الشمس وفطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي صلعم انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله
انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة اواني على ثقة بانه لو احتجت اطعمني من الجنة اوانه اعطيت
قوة من طعم وشرب والتحقيق انه استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك
كان بالخيار في الاستيفاء الا ان يخاف التقصير في الصوم المستانف وفي سائر العبادات فيلزم حينئذ ان يتناول بمقدار الحاجة وقد يتمسك الحنفي بالآية
على جواز النية نهارا في صوم رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول
الاقل ملحق بالاغلب فابطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله صلعم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ويروى من لم يبيت وانما
جوز في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه صلعم كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم او اني اذا صائم واستدل الحنفي بحجة اتمام
الصوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب قال الشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خص بالذكر من المفطرات الرفث و
الاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الآية واستفيدت من السنة فمنها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال مبطل
فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس والقبلة دون الفكر والنظر بالشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد
ان كرر النظر حتى انزل فطر ومنها الاستقاء لقوله صلعم من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح
سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء او دواء او لا كالحلق والجوف وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس انه
الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال فليست العين من الاجواف فانه صلعم اكتحل في رمضان
وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد في الحلق طعمه افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس
بالفصد والحجامة لكن يكره عند ابي حنيفة للضعف احتجم صلعم وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه او بطنه فوصل الى جوفه بتشرب
المسام لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل من قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق الى
جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا الى الحفظ من العثر ولو ضبطت المراة ووطئت او وجئ بالسكين او وجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر
معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه افطر لانه اتى بضد الصوم ولا اثر لدفع الضرر كما لو اكل وشرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر وابتلاع الريق الصرف
الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم يحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق
الحلقوم فان قدر على مجها لم يمجها حتى جرى بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل الماء الى دماغه لم يفطر
على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا قال صلعم للقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي
طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا فطر خلافا لابي حنيفة فيما اذا كان يسيرا وقدره بالحمصة وان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا
في وصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فانه لم يفطر لقوله صلعم من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك

وان كثر افطر ولو جامع ناسيا فكذلك وفي الاصح انه لا يبطل كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت وكان غالطا لم يجز صومه على
الاشهر لانه تحقق خلاف ما ظنه واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في آخر النهار ان لا ياكل الا بعد
تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار ولو اجتهد غلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف
السحاب وظهرت الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك وبحسن متى عرف
المترصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي متقدما عليه فيجاب بان المسئلة موضوعة على التقدير كدأب الفقهاء في امثالها واما بانا نتعبد بما يطلع عليه ولا
شعور لنا بغيره ولا حكم لما قبله كالزوال عند زيادة الظل اذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر وكان بحيث لا حائل بينه وبين الفجر مطلع
وترصد حتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر وتحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على آخره وجعل
الخيط الابيض اول الطلوع والخيط الاسود ما اتصل به من آخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع
الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال الاعمش انك لتثقل على قلبي وانت في بيتك
فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال ماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره يعني انه كان ياكل بعد الفجر الثاني
قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الانزال فلا صلوة له واعلم ان في الآية ترتيبا عجيبا وذلك انه تعالى ايضا وذلك ان الرفث لما كان من اشنع
الامور التي يجب ان يسأل عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان محرما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد نعت الخيانة كما مر في الاخبار قدم اباحته
اولا ثم بين السبب في اباحته ثم وبخ المختانون في شأنه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته لترتب عليه غرض لا صلى من الرفث وهو طلب
النسل ثم عطف عليه اباحة الاكل والشرب في جميع الليل الى آخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما يبيح فيها بين مدة الصوم لذي هو المقصود الاصلي
تلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته اعني من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان
الاعتكاف مستثنى من ذلك كله فهم من الآية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا بسائر ايام السنة ولما عقب اباحة
الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حال الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف حبس النفس على
شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين ولا ائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه وافقه ابو حنيفة واحمد انها الجماع والمقدمات المفضية الى الانزال لان
الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف حين يخرج لحاجة ولم يتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والمعانقة
وكل ما فيه التصاق البشرتين خالفنا الدليل فيما اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة فيها وقد علم ان اللمس بغير شهوة جائز لانه كان يدني رأسه
لتغسله حليلته وهو معتكف فيبقى ما فيه الشهوة على اصل المنع احتج من قال انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا تبطل الصوم والحج فلا
يفسد الاعتكاف لانه ليس على درجة منهما واجيب بان النص مقدم على القياس وقد اتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه ممتاز عن سائر
البقاع من حيث انه بني لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي رضي الله عنه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى وطهر بيتي للطائفين والعاكفين و
عن عطاء انه في مسجد المدينة لقوله صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد بيت
المقدس لقوله لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام
راتب ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان
الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه بغير صوم عاكف لانه تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان
ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال
بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو تلازما لخرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم
لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليلة ابو حنيفة
لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة حال الاعتكاف وهو ان الصلوة لما لم يجب في النذر بالاجماع لم يجب
بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متقاربان فكل منهما كف وامساك والصلوة افعال مباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل
احدهما وصفا للآخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا
لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل
قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم
من اباحة الصيام الى ههنا الا الى عدم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حد لحد الله الا ان يراد امثال تلك الجملة وحد الشيء مقطعه ومنتهاه وحدود الله ربما
يميع عنها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعدد ذلك قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال ههنا
فلا تقربوها وفي موضع آخر فلا تعتدوها لان العامل بشرائع الله وامره ونواهيه متصرف في حيز الحق فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي

هو

هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل كيلا يداهن فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله يقول ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه وقيل لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوا تلك الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها اي اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به وما نهاكم عنه في هذا المقام بين سائر ادلته على دينه وشرعه لاداة الناس بالتقوى جعلنا الله تعالى من المتقين بفضله ورحمته التأويل صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الضمير عائد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم فصوم اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة وصوم العين عن محل الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا نفس البواقي وصوم النفس عن التمني والشهوات وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على انبيائكم واجزائكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون مشارب المركبات وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانيات والروحانيات فتخبو نار افل كوكب يستدعي الحظوظ الفانية فتطلع شمس حقوق الملاقات الروحانية الباقية كما قال تعالى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبات صفات النفس وكلال الطبيعة او على سفر حصاله وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى يدركه العناية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الاعطاف فيتدارك في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في صدق الطلب طعام مسكين يا لطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مواهب الحق وشراب مشاربه وهو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا فمن زاد في الفداء اي كلما نظم من مشرب سقى من مستقيم خرج فذلك المشرب بقضاء تركها اي يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله تعالى وان تصوموا خير لكم فينزل فيه حقائق القرآن وهذا معنى قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فيكون على مائدة الله لا بمعنى انه ياكل من المائدة فانه دايم الصوم ولكن المائدة ما كله حتى تفنيه عن وجوده وتبقيه بشهوده فيكون خلقه القرآن وح يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال تعالى بينات من الهدى والفرقان فيها لما سبق فالزم وهو معنى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو زيد نادانى ربي قال ما يدك اللازم فالزم بدل رمضان برمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم رمضان اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غير الله يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا زيادة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لولم يرد بنا اليسر لم يجعلنا طالبين لليسر لولم ترد نيل ما ارجو لطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا لتكملوا العدة انواع الغاية بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله ولتعظموه على ما هداكم الى عالم الوصال بتجلي صفات الجمال لعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال واحاطة الوهم والخيال قوله سبحانه احل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تلونا في الاحوال فتارة يكون في غلبات الصفات الروحانية في ضياء نهار الواردات الربانية وح يصوم عن الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فخص الله تعالى نهار كشف الستار وطلوع شموس الاسرار بصوموا فيه عما سواه وبليلة اسبال ستار الرحمة ليسكنوا فيها ويستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآية ان ومعنى الرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي يتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم يحجبكم عن حرارة شموس الجلال كيلا تحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل فالآن باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة ما كتب الله لكم من المقامات العلية كلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم آثار انوار المحو فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب وجمع وفرق واخذ ورد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كان شيئا لم يزل ذا انى كان شيئا لم يكن اذا مضى ثم في المساجد اي مقامات القربة والانس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف بالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

ع وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ يَسْأَلُونَكَ

ومخوريد مالهاى خودرا درميان خود بطريق باطل وكشيد نزاع راسوى حكام تا بخوريد بسبب كوريد پاره از مالهاى مردمرا بظلم وحال آنكه شما ميدانيد ميپرسند تورا

عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ

از ماهها بگو آن زمانهاست از براى مردمان وحج ونيست نيكوئى آنكه داخل شويد خانهارا از پشت آنها وليكن نيكى آنست كه پرهيزد داخل شويد خانهارا

مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل

از درهاى آن وبترسيد خدارا شايد كه شما رستگار گرديد والبرجمي وهشام غير الحلواني الباقون بكسر الباء الوقوف تعلمون ٥ عن الاهلة ط للفصل بين السؤال

والجواب في الحج لا ابتداء حكم خرج مع النهي من اتقى ج لعطف الجملتين المختلفتين ابو العباص لعطف المتفقين تفلحون ٥ التفسير لما كان الصوم منتهيا الى الافطار و
الافطار يتضمن الاكل ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن حال
الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال الحرام اما المعنى في عينه وتحلل في جهة اكتسابه الاول المال اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما
المعادن والنبات فلا يحرم شيء منهما الا ما يزيل الحيوة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وساير المسكرات واما الحيوان
فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يحل اكله انما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك مذكور في كتب الفقه
والثاني هو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا
يكون ماخوذا من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مالك وذلك اما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون ماخوذا
من مالك ذلك المال يؤخذ قهرا او بالتراضي فما ماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين و
النفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة
الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون
الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وساير اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين
اذا اخرجوا الخمس منه وقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث الماخوذ قهرا لاستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون
رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين
وشرط العاقدين وشرط لفظ الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يؤخذ بالرضاء من غير عوض كما في الهبة
والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو
حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة
واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الى غير المصارف
الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والسرف المحرم كل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بالوجه الذي
لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه بينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة بينكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غير الاكل من التصرفات كالاكل في هذا
الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال ولذا يقال لمن انفق ماله انه اكله والادلاء اصله من ادليت الدلو اي ارسلتها في البئر للاستقاء فاذا
استخرجتها قلت دلوتها ثم جعل كل القاء قول او فعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصل الى مراده وفلان يدلي الى الميت بقرابة ورحم اذا كان
منتسبا اليه فيطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء بالدلو وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم ولا تلقوا
امرها والحكومة فيها اليهم لتاكلوا طايفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق
بين الوجهين ان الحكام على الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشى التي هي رشاء الحاجة فيها يصير المقصود البعيد قريبا واذا اخذها حاكم السوء مضى في الحكم
من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن يشتبه عليه الحق كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصدا الحق فيما تصنعانه
من القسمة ثم تقارعا وليأخذ كل منكما ما يخرجه القسمة بالقرعة ثم تحاللا وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه
بالتوبيخ احرى روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة وقيل ان السائلين هم اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بما ذا يرى كذلك لانه
يستفيد النور من الشمس وانه مظلم في ذاته ويفصل ابدا بين المضيء والمظلم منه دائرة لاستدارة المنير والمستنير ويفصل بين المرئي وغير المرئي من القمر
دائرة والدائرتان تتطابقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شيء من المستنير فيكون القطعة المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن
القطعة المضيئة هي التي تلي البصر القمر في هذه الحالة بدرا وفي ساير الاوضاع يتقاطعان اما في التربيعين فعلى زوايا قوايم تقريبا او في غير التربيع
على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين ينقسم كرة القمر بها الى اربع قطع اثنتان مضيئتان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان ويقع
في مخروط البصر حكم الاوليين وحكم الاخريين لكنه يحس بالمضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساوية بالتقريب وفي غيرهما تختلف المتجاوران
ويتساوى المتقابلان والقطعة المرئية من المتجاورتين الواقعتين في مخروط البصر في التربيعين الاول والاخير من الشهر اصغرهما لان زاوية تلك القطعة
اصغر اللتين تليان الابصار اعني انها حادة وتسمى القطعة المرئية الصغيرة الا ما يلي الهلالين هلالا ويجمع على اهلة لانه يتعدد اعتبارا وفي التربيعين
الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني انها منفرجة وانما لم يجابوا بذلك لان
المكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت التي هي المعالم التي يوقت بها الناس

في النهي عن الرشا

مزارعهم

مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم واثار حيضهن ومدد حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته والمهمات من الوقت كالزراعة
والوزن ولعمري انه لو منع مانع من ضبط هذه الامور لا يتسهل ولا يتيسر الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حيث يسمى عوده من كل شكل
الى مثله ولا سيما من الهلال الى مثلها شهرا شهرا وبذلك تقدر السنون وضبط الاوقات والفصول فلن يمكنه جحود فائدته على تقدير وجوده
ولو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مفيض
الخير والجود وامتناع الخرق والالتيام كما ذهب الى كل من ذلك طائفة من اللئام لكفى به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى
فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي قران الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة
اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى له وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى شهر اخر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء و
يمكن ان يقال توقيت الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران والزكوة يتعلق بالحول والاصل في تقدير السنين لعود
الشمس من نقطة كاول الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة تتعلق باليوم بليلته فلم يبق
من الاركان المتعلقة بالشهر سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى عز من قائل وليس البر بان تاتوا البيوت عن البراء قال نزلت
هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت
وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا
ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج
من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب تشددا بالامر الاحرام ولكن البر من اتقى ولكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل الحمس وهم
قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة
ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم ينظفوا الوبر ولم ياكلوا السمن ولا الاقط وعن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم
يدخل بيته من بابه بل من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما معنى وجه اتصال هذا الكلام بما
قبله بناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سئلوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي
لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما تنتحيه لكم هو على مشاكلة الصواب وانظروا في واحدة تفعلونها انتم وتحسبونها برا وليس من البر
في شيء او انه تعالى لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا واتفق
وقوع القضيتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على
المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذاك عكس الواجب ولما ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب
البريء عن العبث والسفه فاذا راينا اختلاف حال القمر وجب ان نعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه
من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق وفاتم
الشك فقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر لان من كمال العقل ان ياتوا الامور من وجوهها التي يجب ان يؤتى منها وهذا باب مشهور في الكناية
قال الاعشى شعر وكاس شربت على لذة : واخرى تداويت منها بها : لكي يعلم الناس اني امرؤ اتيت المعيشة من بابها : وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما
كانوا يفعلونه من النسيء وكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن
الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق التاويل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بهوى
النفس والحرص والاسراف وتدلوا بها الى الحكام يعني النفوس الامارة بالسوء من اموال الناس من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة
للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قيامه بالشريعة
ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال لاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت الا اوقات
محبوبهم كما ليس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
و جهاد كنيد در راه خدا انها كه قتال كنند با شما و زيادتي مكنيد كه خداي دوست ندارد تجاوز كنان
وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتّٰى
و بكشيد ايشانرا هر جا كه يافتيد ايشانرا و بيرون كنيد ايشانرا از انجا كه بيرون كردند شما را و فتنه سخت تر است از كشتن و قتال مكنيد با ايشان در نزد مسجد الحرام تا اكر
يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتّٰى لَا تَكُونَ
قتال كنند با شما پس اكر قتال كنند با شما پس بكشيد ايشانرا اينچنين است پاداش كافران پس اكر باز ايستادند پس بدرستي كه خدا امرزنده مهربانست و بكشيد ايشانرا تا انكه نباشد
فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّٰهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ
فتنه در دنيا و بعد شود دين از براي خدا پس اكر باز ايستادند نيست عقوبتي مكر بر ستمكاران ماه حرام بماه حرام و حرمتها بدل كرده اند

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله
پس هر که تعدی کرد بر شما پس تعدی کنید بر او بانطریق که تعدی کردند ایشان بر شما و بپرهیزید از خدا و بدانید که بدرستی که خدا با پرهیزکارانست و انفاق کنید در راه خدا
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين القراءة ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي وخلف الباقون
و میندازید خود را بدست خود در میان مهلکه و خوبی کنید که خدا دوست میدارد نیکوکاران را من باب المفاعلة وقيل انه من جملة ما يكتب في المصحف بغير الالف كالرحمن الوقوف
ولا تعتدوا ط المعتدين ه من القتل ج للعارض بين الجملتين المتفقتين فيه صح للابتداء بالشرط مع الفاء فاقتلوهم ط الكافرين ه رحيم ه الدين لله ط لتبدل
الحكم الظالمين ه قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب لتوهم ما اعتدى عليكم ص لعطف الجملتين المتفقتين المتقين ه التهلكة ج لاختلاف المعنى
اى لا تقحموا الى الحرب فوق ما تطيقون واحسنوا ج لاحتمال تقدير الفاء واللام المحسنين ه التفسير لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية باشق انواعها
على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابي موسى ان النبي صلعم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولا يقاتل رياء ولا سمعة
الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين اعنى الذين بصدد القتال بالفعل دون التاركين قيل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا
المشركين كافة ومنع بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل وكذا ما روي عن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلعم
يقاتل من قاتل ويكف عمن كف والذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء اي المستعدين للقتال
سوى من جنح للسلم والكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستعدون لها فهم في حكم المقاتلة قاتلوا ولم يقاتلوا وقيل في سبب
نزول الاية انه صلعم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل الحديبية وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك
فصالحوه على ان يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا له مكة ثلثة ايام حتى يطوف وينحر الهدي ويفعل ما يشاء فرضي بذلك وصالحهم عليه وعاد
الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر
الحرام وفي الحرم فانزل الله هذه الايات وبين لهم كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة
المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوي الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل اليأس
من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او لا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من غير المستعدين كالنساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم
عهد او بالمثلة او المفاجأة من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعاني الثلثة بازاء التفاسير الثلثة في الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين
عما شرع الله لهم في الصحاح ثقفته اي صادفته وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال شعر فاما تثقفوني
فاقتلوني : فمن اثقف فليس الى خلود : امر في الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية زاد في التكليف فامر بالجهاد معهم سواء
قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمي حرما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اي
اي من الموضع الذي اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلعم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح واخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلعم
المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا وتخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج
والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل
ليس كذلك الكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل روي ان صحابيا قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابه المؤمنون على ذلك فنزلت اي لا تستعظموا
الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار
اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام الكفار على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم
في الدين وابقاء على مهجهم وحرمهم اشد من القتل الذي وجب عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضي التخلص من غموم الدنيا وافاتها شعر لقتل
بحد السيف اهون موقعا : على النفس من قتل بحد فراق : وقيل الفتنة العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم كانه قيل اقتلوهم من حيث ثقفتموهم
واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعي في المنع عن
الطاعة التي ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم و
لو ادى ذلك الى قتلكم على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا عن طاعة معبودكم يروى ان الاعشى قال
قال لحمزة ارأيت قراءتك اذا صار الرجل مقتولا فبعد ذلك كيف يصيبه قتال الغيرة فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد
قالوا ضربنا وذلك لتوقع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم فان انتهوا قيل اي عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس
وقيل اي عن الشرك بدليل قوله فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم الكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر عن الحسن
قلت ان اريد بالقتال استحلالهم قتل المسلمين تلازم القولان والانتهاء عن الكفر ظاهره التلفظ بكلمة الاسلام وانه مؤثر في حقن الدم وعصمة المال و
بالمنة التسبب بل كان جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران وقد يستدل بقوله والفتنة اشد من القتل على ان التوبة عن قتل العمد بل من كل ذنب
مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة القاتل اولى وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق فاذا اسلم فالقاتل غير

الكافر ولعله يمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبنى على المساهلة فظهر الفرق ولان الايمان يجبّ ما قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوٰة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله تعالى وَقَاتِلُوهُمْ قيل انه ناسخ لقوله وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام بقيت حرمته غاية ما فى الباب ان هذه الاية عامة وما قبلها مخصصة اياها وهذا جائز فان القران ليس على ترتيب النزول ولو كان على الترتيب ايضا فلا يضر بالجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص قاطع فى دلالته تقدم او تاخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ قتل اى شرك وكفر وعلى هذا فالاية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر راسا وانما الغالب الازالة لان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل كان خائفا من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى يكون كلمة الله هى العليا وهو المراد ايضا من قوله وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ اى ليس للشيطان فيه نصيب لوضوح شانه وسطوع برهانه كما قال لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولا يعبأ بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد ومحمولة على قصد ازالة الكفر بنية هذا العزم على القتال كلى لا يتخلف عنه وقيل فتنتهم انهم كانوا يضربون اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اى قاتلوهم حتى تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابى مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذى اذا بدءوا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده من انواع المضار ولا يخفى ان قوله وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ كله يرجح القول الاول ليكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الامر الذى وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ اى فلا تعتدوا على المنتهين بمجموع قوله الا على الظالمين فانما يكون مقام على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل انحصاره فى غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين على الوجهين سمى جزاء الظلم ظلما للمشاكلة كما يجىء فى قوله فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيتسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة وسنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة سنة سبع الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر والافعال القبيحة فكيف يمنعنا عن القتال معكم دفعا لشركم واصلاحا لفسادكم والحرمة ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اى كل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد فتكم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذن لكم فى قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تبالوا ثم اكد ذلك بقوله فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ بالنصر والتاييد والتقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم وبالمكان ان جاز شامل للمتقين وغيرهم قوله عز من قائل وَأَنْفِقُوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال والقتال يفتقر الى العدد والعدد وقد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوى على القتال عديم المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق فى سبيله اعدادا للرجال وتجهيزا للابطال ويروى انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامرهم ان ينفقوا فى سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بمشقص يحمل فى سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق قول الرسول صلى الله عليه وسلم والانفاق صرف المال فى وجوه المصالح فلا يقال للمضيع انه منفق وما يتقرب به وسبيل الله دينه فيشمل الانفاق فيه الانفاق فى الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق فى صلة الرحم وفى الصدقات وعلى العيال وفى الزكوات والكفارات وفى عمارة بقاع الخير وغير ذلك الا ان الاقرب فى هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به الانفاق فى الجهاد ولكنه تعالى عبر عنه بقوله فى سبيل الله ليكون كالتنبيه على السبب فى وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه فى سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتزت نفسه ونشط وهان عليه ما دعى اليه والباء فى بِأَيْدِيكُمْ مزيدة مثلها فى اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدى الانفس كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اى لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل بل ههنا حذف اى لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابى عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد ولم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها فى الاعيان التنضبة للشجر والتنفلة لولد الثعلب ويجوز ان يقال اصل التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من هلك مشدد العين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار فى الجوار وليس الغرض من هذا التكليف على ما ظن تصحيح لفظ القران كيلا تحرم فصاحته فانه اجل من ان يحتاج فى تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر كيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما امكن فنقول للمفسرين فى هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخارى فى صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الاية فى النفقة وذلك ان لا تنفقوا فى مهمات الجهاد اموالكم فيستولى العدو عليكم ويهلككم او ينفقوا كل ما لهم فيحتاجوا ويحتاجوا فيكونوا نهيا عن التقتير والاسراف وعنهما جميعا وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا او المعنى انفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا ان انفقنا هلكنا لا وفقر لهم عن ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للانفاق او انفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق فى التهلكة والاحباط منا او اذى او رياء او سمعة وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ومنهم من قال انه راجع الى غير الانفاق اى لا تخلوا الجهاد فتتعرضوا للهلاك الذى هو سخط الله وعذاب النار ولا تقحموا فى الحرب بحيث لا ترجون النفع

ولا يكون لكم فيه لا تقتلوا انفسكم فان ذلك لا يحل كما روى عن البراء بن عازب انه قال في هذه الاية هو الرجل يستقبل بين الصفين وانما يجب ان يقيم اذا طمع في النكاية
وان خاف القتل روى الشافعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارأيت يا رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس في جماعة
العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ثم انغمس في العدو فقتلوه بين يدي الرسول عم وروى ان رجلا من الانصار
تخلف من اصحاب بئر معونة فرأى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه سأتقدم الى العدو فيقتلونني ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه
اصحابي ففعل ذلك فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا حسنا وروى مسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين
مثلهم واكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله
يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال يا ايها الناس انكم تأولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار ولما
اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبي صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا
ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله
حتى دفن بارض الروم وقيل ان الاية من تمام ما قبلها اي ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم حرمة الشهر على ان تستسلموا
لمن قاتلكم فتهلكوا بترككم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي فانزل الله تعالى هذه الاية وذلك انه يرى انه لا ينفعه
معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهى عن القنوط من رحمة الله واحسنوا في الانفاق بان يكون مقرونا باطلاق الوجه او على قضية العدالة بين
التقتير والاسراف وفي تفسير البغوي رض الله عن الحسن ان الله يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب
والقرب يقتضي الارادة الذاتية وهذا مراد الله ولكل خبر التاويل فقاتلوا من يمنعكم عن السير في سبيل الله واراد ان يقطع عليكم طريقه من
شياطين الانس والجن حتى نفوسكم التي هي اعدى عدوكم ولا تعتدوا ولا تتجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا بالطبع لكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة
بقدر الاستطاعة من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم ومجاهدتها بمخالفة هواها واخرجوهم من صفات النفس
كما اخرجوكم من جمعية القلب وحضوره والفتنة اي المحنة التي ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من قتل النفس بمخالفة هواها
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تلتفتوا الى النفس وصفاتها اذا كنتم امنين مطمئنين في مقامات القلب والروح حتى يزاحموكم في الحضور داعية
الهوى فان نازعوكم في الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعي عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصدكم
عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لابد لها فلا تغلوا في مجاهدتها الشهر الحرام اي ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بدواعي النفس ونزاعها وغلبة
صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت واستولت فعالجوها بضدها البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص
بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا الله في الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط في الحقوق والافراط في الحظوظ او بموافقة
النفوس ومخالفة النصوص او بالركون الى الغرور بالحسبان والغرور والله المستعان على ما يصفون **وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ فَاِنْ اُحْصِرْتُمْ**
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوْسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهٗ فَمَنْ كَانَ وتمام کنید حج وعمره را از برای خدا پس اگر منع کرده شوید
پس هر چه میسر شود از هدی وسر نتراشید سرهای خود را تا برسد هدی بجای خود پس هر که باشد **مِنْكُمْ مَرِيْضًا اَوْ بِهٖ اَذًى مِّنْ رَّاْسِهٖ فَفِدْيَةٌ**
مِّنْ صِيَامٍ اَوْ صَدَقَةٍ اَوْ نُسُكٍ فَاِذَا اَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ اِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ از شما بیمار یا باو اذیتی باشد از سرش پس فدیه دهد
از روزه یا صدقه یا ملل دیگر پس چون فارغ شدید پس هر که بهره یافت بعمره تا حج پس هر چه میسر شود **مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلٰثَةِ اَيَّامٍ**
فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ اِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ اَهْلُهٗ حَاضِرِي از هدی پس هر که نیافت پس روزه بگیرد سه روز
در حج وهفت روز وقتی که برگشتید این ده روز تمام میشود این از برای کسی است که نباشد یاران او حاضران **الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ**
الْعِقَابِ القراءة من راسه كذلك لباس الكاس كلها بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد و مسجد الحرام وبپرهیزید خدا را ودانید که خدا سخت است
عقوبتش الاعشى وحمزة في الوقف الوقوف لله ط لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدي لعطف المختلفين محله ط لابتداء حكم
كفارة الضرورة او نسك ج لان اذا للشرط مع الفاء وجوابه محذوف اي فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم وقفة لحق الحذف ولا
بتداء الشرط في حكم اخر وهو التمتع من الهدي ج رجعتم ط كاملة ط الحرام ط العقاب التفسير الحج في اللغة القصد كما مر في قوله فمن حج البيت او اعتمر وفي الشرع
عبارة عن افعال مخصوصة وهي على ثلثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو الركن اولا يتوقف فاما
ان يجبر بالدم وهو البعض ولا يجبر به وهو الهيئة والاركان عند الشافعي خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وحلق
الراس او تقصيره وخالف ابو حنيفة في السعي لا مدخل للجبران في الاركان واما الابعاض اعني الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمي فاما
وفي الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس وفي المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفي طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم
والرمل والاضطباع في الطواف وفي السعي واستلام الركن وتقبيله والسعي في موضع المشي والمشي في موضع السعي والخطب والاذكار والادعية الى غير
ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض ولا دم في تركها واما في العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيها ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام

مقامات القلب والروح

وهل هذا الامر مطلق او مشروط فالشافعي على انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيه فليتمه كما اذا كبر بالصلوة لزمه الاتمام تطوعا وفائدة الخلاف يظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد به فعل الشيء تاما كاملا كقوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمت فاتمهن اي اداهن على التمام والكمال وقوله ثم اتموا الصيام الى اليل اي افعلوا الصيام تاما الى الليل وهذا اولى من تفسيره انكم اذا شرعتم فيه فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه اول اية نزلت في الحج فحملها على الايجاب ليكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولانه قرئ واقيموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح للقطع كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فتاويلنا اكثر فائدة فيكون اولى وايضا انه احوط واعتمر النبي صلعم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب قال تعالى يوم الحج الاكبر وفيه دليل على وجود حج اصغر وما ذاك الا العمرة بالاتفاق ولكن الحج واجب على الاطلاق لقوله ولله على الناس حج البيت فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي سئل النبي صلعم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة والحج والصوم فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلعم افلح الاعرابي ان صدق وقال صلعم بني الاسلام على خمس الحديث فلم يذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روي عن جابر ان النبي صلعم سئل عن العمرة اواجبة هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلعم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار احاد فلا تعارض القران وايضا لعل العمرة ما كانت واجبة حين ما ذكر النبي صلعم الاحاديث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلك في السنة السابعة من الهجرة وايضا لها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سئل النبي صلعم قال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال صلعم حج عن ابيك واعتمر امرهما والامر للوجوب روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انها يقترنان في الذكر تكلف وعن ابن عمر ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك حمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف قالوا قرا علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع فكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء النسكين وجوها ثلثة الافراد والتمتع والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من ميقات بلده في اشهر الحج ويأتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي متمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة قبل الاحرام بالحج وانه ايضا يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة في جواز هذه الوجوه انما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك وقال الامامية لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد قوله واتموا الحج والعمرة وذلك ان العطف يقتضي المغايرة وانما يحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل حجة ما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلعم وكان لعابها يسيل على كتفي فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي صلعم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن عمر وقد رجح الشافعي رواية عائشة وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلعم والقرب الى رسول الله صلعم واقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قليل العلم حجة القائل بافضلية القران ان في القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنا نقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فالمجموع هذين الامرين افضل من الاتيان بالحجة المقرونة ثم اختلف في تفسير الاتمام في قوله تعالى واتموا فعن علي وابن عباس وابن مسعود ان تمامهما ان تحرم من دويرة اهلك قال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلعم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية بان لا يرجع حتى يتم الفرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الاصم المراد باتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل ويكريها الثاني الاخوان والرفقاء المقيمون فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادس في ان السنة
يكون اكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل صلى ركعتين ودعا الى الله كثيرا السابع ان تصدى عدو او سبع بالليل وبالنهار فليقرأ
اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن مهما علا نشزا من الارض في الطريق
يستحب ان يكبر ثم يهلل التاسع ان لا يكون هذا السفر مشوبا بشيء من الاغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر ان يصون لسانه عن الرفث والفسوق
والجدال ثم بعد الاتيان بهذه المقدمات ياتي بجميع اركان الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الامور
ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون مؤتمرا لقوله تعالى وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ اقتداء بابراهيم عليه السلام حين ابتلى بكلمات فاتمهن وقيل المراد من قوله
اتموا افردوا لكل واحد منهما بسفره ويؤيده هذا تاويل من قال الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع حاصله الى معنى ائتوا بالحج والعمرة
تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما واداءهما لوجه الله بدليل قوله فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ قال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للملك
لانه كالمحبوس في الحجاب والحصير معروف وسمي به لانضمام اجزائه الى بعض فكان كلا منها محبوس مع غيره والحصر المحتبس بطنه والاكثرون على ان لفظ
الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو اذا منعه عن مراده وضيق عليه عن ابي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم ان لفظ الاحصار مختص بالمرض
ونحوه من خوف او عجز قال تعالى الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وقيل الاحصار مختص بمنع العدو ومنه ما يروى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو
وفائدة الخلاف في الاية تظهر في مسئلة فقهية وهي انهم اتفقوا على ان حكم الاحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال
ابو حنيفة يثبت وقال الشافعي ومالك واحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روي انه صلى الله عليه وسلم مر بضباعة بنت الزبير فقال اما
تريدين الحج فقالت اني شاكية فقال حجي واشترطي ان محلي حيث حبستني وفي حكم المرض كل عرض صحيح كضلال الطريق ونفاد الزاد حجة ابي حنيفة ظاهر كلام اكثر اهل
اللغة وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطائفة من اهل اللغة وايضا الهمزة في احصره للتعدية ليس
للسلب وانه حصره اقتضى المفعول فيكون للوجود ولصيرورة ذا كذا فيؤول المعنى الى انكم ان وجدتم او صرتم محصورين فلا يبقى النزاع وايضا المانع انما يتحقق عند
وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة اليه فثبت ان لفظ الاحصار حقيقة في العدو دون المرض وايضا لفظ المانع على المرض
غير معقول لانه عرض لا يبقى زمانين وايضا لو كان المريض داخلا في الحصر لكان في قوله فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه واعتذر
عن هذا بان المريض انما خص بالذكر لان له حكما خاصا وهو حلق الرأس فصار تقدير الاية ان منعتم بمرض تحللتم بدم وان تأذى راسكم بمرض حلقتم
وكفرتم وايضا فَإِذَا أَمِنْتُمْ يناسب الخوف من العدو اذ يقال في المرض شفي وعوفي لا امن ولو قيل ان خصوص اخر الاية لا يقدح في عموم اولها قلنا لا
يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل انه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول
الاية ان الكفار حصروا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية والائمة وان اختلفوا ان الاية هل تتناول غير سبب النزول ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب
عنها غير جائز ثم في الاية اضماران والتقدير فتحللتم واردتم التحلل فعليكم ما استيسر او فاهدوا ما استيسر اي ما تيسر مثل استعظم واستكبر وتكبر اما
الاضمار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل ونية التحلل واما الاضمار الثاني فلان قوله ما استيسر مرفوع على
الابتداء وخبره محذوف او منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو تحت دفتي السرج جدي
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الهدي ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه بمنزلة الهدية عن علي رضي الله عنه وابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم
اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الاجناس فالمحصر المحرم اذا اراد التحلل ذبح ووجب ان ينوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل
الذبح واكثر الفقهاء على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج وعن ابن سيرين انه لا احصار فيها لانها غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور
عقيب الحج والعمرة فكان عائدا اليهما وبانه صلى الله عليه وسلم تحلل بالاحصار عام الحديبية وكان معتمرا وما حد الاحصار قال العلماء لو منعوا ولو يتمكنوا من
المسير الا ببذل مال فلهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون على انه
لا يجب القتال على الحجيج وان كان العدو كفارا وكان في مقابلة كل مسلم اقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا
المخيط لدفع حر او برد ولا فرق على الاصح في جواز التحلل بين ان يمنعوا من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون بالتحلل الامن
من العدو المواجه لو صدوا عن طريق وهناك طريق اخر وجدوا شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال واذا سلكوه ففاتهم
الحج لحزونته او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضاء على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا مجهودهم فصاروا كالمصدود مطلقا نعم لو استوى الطريقان
من كل وجه وجب القضاء لان الموجود فوات محض في قوله وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ حذف لان الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله
بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ الهدي محله وينحر وانما جاز تذكير الهدي لان كل ما يفرق بين واحده وجمعه بالتاء وعدمها جاز تذكيره وتانيثه
قال تعالى أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ وفي موضع اخر أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ والمحل اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه واسم للمكان
قال الشافعي يجوز اراقة دم الاحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال ابو حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم يبعثه ويجعل للمبعوث على يديه يوم امارة حجة الشافعي
انه صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية فنحر هناك واجيب بانه محصر في طرف الحديبية الذي هو اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي

الحديبية

الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وورد بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الاية صريحة في انهم نحروا الهدي في غير الحرم ايضا قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سواء كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وايضا لو كان الموصل الى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف وان كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير فماذا يفعل حجة ابي حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل قوله حتى يبلغ الهدي محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى ذلك المكان وايضا ثبت ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان وفي البدن نفسه لا يراق فيه الدماء فتعين ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب على المحرم في ماله من بدنة وجزاء وهدي فلا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا اذا عطب الهدي فيذبح في طريقه ويخلي بينه وبين المساكين والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس بالدلائل المذكورة قالوا الهدي لا يكون هدية الا اذا بعثها الى دار المهدى اليه فالهدي كذلك ورد بان هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر اذا كان عادما للهدي فهل له بدل ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدي في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب الهدي وما اثبت له بدلا وعلى هذا فماذا يفعل فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال كالو صام بدله كيلا يعظم المشقة والاخر واليه ميل ابي حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجده والقول الثاني ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح الطعام لان قيمة الهدي اقرب اليه من الصيام واذا لم يرد النص الا بالهدي فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام عن كل مد يوما وفي قول صوم التمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلثة ايام وبالجملة فالاية دلت على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلوا فيحلقوا رؤسهم الا بعد تقديم ما استيسر من الهدي كما انه امرهم ان لا يناجوا الرسول الا بعد تقديم الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدي محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم او حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه في الحرم ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان مصدودا عن البيت دون الاطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل فيه وجهان عند الشافعي انه له ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه قال مالك واحمد لان المصدودين مع النبي كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يامر الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفة عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان وكالنذر والقضاء فهو باق في ذمته كما كان كما لو شرع في صلوة ولم يتمها بقي في ذمته ومهما احصر بمرض ونحوه وقد صححناه بالاية فحكم الهدي ما مر في الاحصار بالعدو وان صححنا بانه كان قد شرط التحلل به اذا مرض فهل يلزمه الهدي للتحلل فان كان قد شرط التحلل بالهدي فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدي محله ربما لحقه مرض او اذى في راسه ان صبر فالله تعالى اذن له في جواز ازالة ذلك المؤذي بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستانف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في راسه فاضطر الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام فليس في الاية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبماذا يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلعم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة فقلت لا قال صم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق راسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في القدر قال العلماء المرء قد يحوج الى اللباس او الى الطيب او الدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا بالفدية نحو هذه المحظورات بفدية الحلق لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه يدخل فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شياه ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجيء في قوله فلا رفث وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الاية ايضا اضمار اي فحلق فعليه فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامن بعد الخوف فقيل العلل فجواب الشرط وهو فاء مضمر محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول جبل ماتع اي طويل وكل من طالت صحبته الشيء فهو متمتع به وقد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما يروى ان عمر خطب وقال متعتان على عهد رسول الله صلعم انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وروي ان النبي صلعم اذن لاصحابه في ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا مع النبي صلعم وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي صلعم ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بمحظورات

الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان الحج وقيل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج استفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج والوجوب لدم على
المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ويجي تمام الكلام فيه عما قريب منها ان
يحرم بالعمرة الى الميقات فان جاوزه مريد النسك ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر قبل اشهر الحج ثم حج فليس عليه دم التمتع ولكن يلزم
دم الاساءة وان كان الباقي مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم وفرغ من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدى لانه اشبه
الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي الشافعي انه لا يلزم الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم
احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند
ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة المقابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة
الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا احرم بالعمرة حجز في وقتها وترك الاحرام بحجه من الميقات مع حصوله في وقت الامكان ولم يوجد وعن سعيد بن
المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان
عاد الى ميقاته الذي انشاء العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا
لان الدم منوط بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما هي وقت الحج فهي وقت
العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان ياكل منه ام دم نسك حتى يجوز ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثاني
ومال الشافعي الى الاول لما روي ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال له علي اعمدت الى رخصة اثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغريب المحتاج فابطلتها فسمى
المتعة رخصة هذا دليل التفصي اي التمتع تلذذ وانه ينافي العبادة لانها مشقة تكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدى على المتمتع بلا توقيت فلو كان نسكا
كان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذه الهدى كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة
السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة تجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثني المعز وهو الذي دخل في
السنة الثانية او هي جذع الضان وهو ايضا في السنة الثانية يستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج
جاز لان التمتع قد تحقق فترتب عليه الهدى جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق بسببين وهما الفراغ
من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم
النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدي وقلنا عليه ما اذا لم يجد ما يشتريه او بيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي اي
بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم ولا يصلح سائر افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام ولانه ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدي
الذي هو الاصل فكذا البدل وقال ابو حنيفة في وقت الحج وهو اشهره اذا ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال احمد في رواية وفي اخرى قال
يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب ان يصوم الايام الثلثة قبل يوم
عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة بعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان الشخص ان كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم جائزة للفضيلتين ويعلم بما ذكرنا انه
يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدي فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج واذا فاته صوم الايام الثلثة في الحج لزمه القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات
وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوت ويستقر الهدي في ذمته وسبعة اذا رجعتم للشافعي
في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال للمتمتعين من كان معه هدي فليهد ومن لم يجد فليصم ثلثة ايام في الحج
وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه
من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية
على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة الاصح
عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد انه لا يجب لان التفريق في الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق في الصلوات المؤداة والاصح عند
اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق التفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع
وما قدر ما يقع به التفريق اصح الاقوال باربعة ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس
له صوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى الاهل تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا من ايضاح الواضحات فمن
المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان ههنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله
وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل يكون للاباحة بمعنى او كما في قوله مثنى وثلث ورباع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين لو جالسهما جميعا او
واحدا منهما كان ممتثلا فقد لكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففايدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم الحساب
وكفى به فائدة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم من الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قائما مقام المبدل وهما في الفضيلة سواء

ان يكون مفطرا الثلاثة لا يصوم من النبي ولا ولو امر ان الاحرام ... [illegible]

وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك جاز ان يعود الى الثلثة او الى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذى يتطرق الى كثير من العمومات فى الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص وايضا ان مراتب الاعداد ثلث الآحاد والعشرات والمآت وهذه مرتبة وسطاها فكانه قال انما اوجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد طريقة مسلوكة فى كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتقد به اهتمام وتفخيم وزيادة توصية بصيانتها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب لم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا كما روى انه صلعم قال فى الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيده ثلث مرة اخرى وامسك ابهامه فى الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة الاشتباه والتصحيف الذى يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة فى الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة فى الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفرق غير مجزية كما لا يجزى فى كفارات الظهار والقتل ووقاع رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا فى معنى الامر اى فليكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل ويكون الحج المأمور به تاما كاملا كما قال واتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى فى قول النبى صلعم حكاية عن الله تعالى الصوم لى وانا اجزى به والحج ايضا مضاف اليه تعالى فى الاية واتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل البتة على وجوه الحكم فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضى التباعد من اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يؤتى به الا لمحض ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع فى زمان الحج فيكون جمعا بين شقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من شقة الى شقة والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال فى باب العبادة والتكثير فى الالفاظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على لطائف قرآنه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام واختلف العلماء فى ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع وما ترتب عليه لانه ليس لبعض اولى من البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام وقال الشافعى يعود الى الاقرب اى وهو الحكم بوجوب الهدى على المتمتع وايضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمى والميقاتى والآفاقى وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية فى تحريمهم العمرة فى اشهر الحج والنسخ يثبت فى حق الناس كافة وتفرع على مذهب ابى حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضرى المسجد الحرام كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وعلى مذهب الشافعى ان يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شئ فان لزوم الهدى على الآفاقى بسبب انه احرم فى الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه [illegible] الدم والمكى لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فلو حل فى حجة تمتع او قران او افراد فلا يلزمه الهدى ولا بدله ثم اختلفوا فى حاضرى المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذى طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعى هم الذين يكونون على اقل من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن ابى حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت ذو الحليفة وهى على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام ومصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من تهامة اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من نجد [illegible] العراق وخراسان وكل هذه الثلثة من مكة على مرحلتين فهذه هى المذاهب وفقهها للاية ان مذهب مالك ان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام الا ان الشافعى قال قد يطلق المسجد الحرام ويراد به الحرم قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول الله صلعم اسرى به من الحرم لا من المسجد وقد يقال الحضر فلان فلانا اذا دنا منه ومن كان مسكنه دون مسافة القصر فهو قريب نازل منزلة المقيم فى نفس مكة وفى مذهب ابى حنيفة بعد فانه يؤدى الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر مرعية من نفس مكة او من الحرم الاصح هو الثانى لما قلنا ان مسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض الذى هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله تعالى اشترط لهم الولاء اى عليهم وذكر حضور الاهل والمراد حضور المحرم لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث اهله ساكنون فاتقوا الله فى محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن يتهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كانه يراد عاقبة فعل السئ كقول القائل لتذوقن فعلك التاويل حج الخواص حج رب البيت وشوده وهذه سيرة ابرهيم صلعم كما قال انى ذاهب الى ربى لكنه احصر فى السماء السابعة فلا جرم اهدى باسمعيل ولما اسرى بالنبى صلعم كان ذهابه بالله ما احصر شئ فقال له واتموا الحج والعمرة لله وجرى ما جرى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال لامته سعوا فى تمام صورة الحج بقدر استطاعتكم وفى الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فان احصرتم فى بادية النفس والهوى او ملال القلب او كلال الروح باستحلاء الاحوال وتمنى الامال فما استيسر من الهدى اعلاها الروح واوسطها القلب وادناها النفس هكذا كان الاحصار به ولا تحلقوا لا تشتغلوا بغير الله حتى تبلغوا المقصد فان عرض مرض فى الارادة او يعلوه اذى من المزاحمات من غير فترة من نفسه فلم يجد بدا من الاناخة بفناء الرخص فليجتهد ان يتداركه بالفدية فقد قيل من اقبل على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله والصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن المعلوم والنسك ذبح النفس فى مقاساة الشدائد فاذا امنتم الاحصار واقبل الجد الصاعد والزمان المساعد فمن تمتع بالعمرة الى الحج واستراح فى الطلب فما استيسر من الهدى من ترك مشارب الروح والقلب والنفس فمن لم يجد لم يستطع ترك تلك المشارب لعلو شانها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشارب القوى الثلث المدركة للمعانى المتصرفة فيها وهى الوهم والحافظة والمتخيلة هذا اذا كان فى عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة امسك عن القوى السبع [illegible]

الاهل والمراد حضور

وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة الصور والثانية معينتها على الحفظ وبعدهما الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب والانس لا يخاطب ولا يعاتب وانما يلزم العتب والطلب للسالك والسائر فاذا وصل فقد استراح واتقوا ان تسكنوا الى فترة او وقفة او تركنوا الى مشرب من هذه المشارب واعلموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب الغافلين بذلك الحجاب

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا

حج کردن در ماهها چند شناخته پس هر که واجب کرد بر خود حج را پس جماع نکند و گناه نکند و دشمنی نکند در حج و هر چه را که میکنید از خوبی میداند او را خدا و توشه بردارید

فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات ع ٩

پس بدرستی که بهترین توشها پرهیزگاری است و بپرهیزید مرا ای صاحبان خرد نیست بر شما حرجی اگر جوئید و خواهش کنید زیادتی را از پروردگار تان پس چون برگشتید از عرفات

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس

پس یاد کنید خدا را نزد مشعر الحرام و یاد آورید او را چنانکه هدایت کرد شما را اگر چه پیش از آن بودید هر آینه از گمراهان پس برجعت کنید از آن طرف که مراجعت کردند مردم

واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من

و طلب آمرزش کنید از خدا که خدا آمرزنده و مهربانست پس چون ادا کردید مناسک خود را پس یاد آورید خدا را چون یاد کردن شما پدران تان را یا سخت تر پس از مردمان کسی که

يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

میگوید پروردگارا بده ما را و نیست او را در آخرت هیچ بهره و از ایشان کسی است که میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا خوبی و در آخرت

حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات

خوبی و نگاهدار ما را از عذاب آتش آن گروه مر ایشان راست بهره از آنچه کسب کردند و خدا زود محاسبه است و یاد آورید خدا را در روزهای شمرده شده

فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون القراءة فلا رفث

پس هر که شتابید در دو روز پس نیست گناهی بر او و هر که پس اندازد پس نیست گناهی بر او مر آن را که بپرهیزد و بپرهیزید خدا را و بدانید که شما بسوی او گرد آئید ولا فسوق بالرفع فيهما

ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد زاد يزيد لا جدال بالرفع والباقون بفتح الثلثة وكذلك يروى الضطي من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل بالياء ومن تاخر ورى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف بالتليين الوقوف معلومات في الحج ط يعلمه الله ط التقوى للعارض بين الجملتين المتفقتين الالباب من ربكم ط لان اذا اجيبت بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم آخر الحرام لعطف المتفقتين هديكم ج لان الواو تصلح حالا واستينافا الضالين واستغفروا الله ج رحيم ذكرا ط من خلاق ج النار مما كسبوا ط الحساب نصف الجزء معدودات ط لان الشرط في بيان حكم آخر عليه لا ولج لابتداء شرط آخر مع العطف عليه الثانية لا لتعلق اللام اتقى ط لاختلاف النظم تحشرون التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك البلد شهران والحج اشهر معلومات اي لا حج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسيء وقيل يمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في قولهم ليل قائم ونهار صائم واتفق المفسرون على ان شوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمرأة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر وعن هذا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر وعن ابي حنيفة عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ورمي الجمار يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت للحج في قوله قل هي مواقيت للناس والحج وفي هذه الآية جعل وقت الحج اشهر معلومات واجيب بان تلك الآية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات الحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا واحالهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا او المراد انها معلومات ببيان الرسول والمراد انها موقتة باوقات معينة لا يجوز تقديمها وتاخيرها كما يفعله اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل بالآية على انه لا يجوز لاحد ان يهل بالحج قبل اشهر الحج وبه قال احمد واسحق وايضا الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها اقيمت مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان

لا ينعقد

لا ينعقد صحيحا الا اداء الحج قبل الوقت ولأن البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام الحج فجاز تقدمه قبل الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدإ واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من اكابر الصحابة انهم قالوا من تمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يخرج قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بالنسبة الى من لا يكون داره بعيدا فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذه الشهور ان يحج وبماذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام انه يحرم عليه اشياء كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية نعم لها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض وفرض الحج على النية ادل منه على التلبية او سوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في آخرها ولا في اثنائها نطق واجب فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط في انعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدي وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد واشعر فقد احرم وعن ابن عباس اذا قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد احرم وروى ابو منصور الماوردي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل ولبى وايضا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا تكره الزيادة على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل فان رأى شيئا يعجبه قال لبيك ان العيش عيش الآخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى تنبعث به دابته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني ولبى وان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم ياخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال صلى الله عليه وسلم لعائشة حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرأ بفتح الثلثة او برفعها فلا اشكال ومن قرأ برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة ويؤخرون سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج ومما يستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال قوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك ترى كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش ويؤدي الى العداوة والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل نفيها بوجوده فيكون الفتح ادل على عموم النفي اما الرفث فعن ابن عباس هو الجماع وله في العمرة وفي الحج نتائج منها افساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا اثر له في الفساد على الصحيح وعن مالك واحمد انه يفسد ما بقي شيء من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا و ذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من الرمي والنحر والحلق والطواف على الرمي والحلق او الرمي والطواف يحصل التحلل الاول (او الحلق في الطواف) وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بالاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج يطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال صلى الله عليه وسلم اذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الافساد كالوطي في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسدا يجب المضي فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتائج الفساد الكفارة يستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة ان وجدها الا ان الصحابة نصوا على البدنة والا فبقرة والا قومت البدنة

دراهم الدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن البدايع القضاء باتفاق لما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان المقضي عنه فرضا
او تطوعا فان القضاء واجب صح الوجهين في القضاء انه على الفور لا على التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل و
كذا الكلام فيمن ترك الصوم والصلوة بعذر ان على الاشبه ان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدي لا يستحق ذلك ولو كانت المراة محرمة نظر ان
جامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد لكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان
لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع فليس للمحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج
فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية روي عن علي وابن عباس انهما اوجبا بالقبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات
الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل او لم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد وقيل الرفث
باللسان ذكر المجامعة وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنى والفحش لقوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم
فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وعن ابي عبيدة الرفث اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن
الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصي قال تعالى ففسق عن امر ربه وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان وقال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء والاخافة ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد
هو الذبح للاصنام ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية
واما الجدال فانه فعال من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رايه واختلف المفسرون فيه فعن
الحسن هو الجدال الذي يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال الا انه مع الرفقاء وفي الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة وقال
محمد بن كعب القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال اخرون بل حجنا اتم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وقال مالك
في الموطا الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح وانه جبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول
نحن اصوب وقال القاسم بن محمد كانوا يجعلون الشهر على العد فيختلفون في يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول اخرون بل غدا
وكانه قبل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا فقال صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي
ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال في الحج وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج تحاجهم في ان ايهم المصيب مقام ابراهيم قبل انه النسك فهو اعرف لذلك ان اليهود قد عاد
ما كان عليه الحج في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل النفي في الالفاظ الثلثة على ... وجعلتهما الرفث على الجماع والفسوق على الزنا
والجدال على الشك في الحج لصح خبر الله تعالى بان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر وان حملنا ... على النهي حملناها على الرفث الجماع ومقدماته
وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فعلى هذا يكون في الاية بعث على الاخلاق الحميدة ... الحسنة وبالحقيقة الرفث
هي عن طاعة القوة الشهوية التي توجب الانهماك في الفجور ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد لا استعلاء ولا جدال ... الى
تسخير القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه فمنه يتشعب الاراء المخالفة والاهواء المتناقضة و
الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدل ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذي منشاه صرف العصبية ومحض المراء لتنفيذ
الاراء الزائفة وتحصيل الاعراض الزايلة والاعراض الفاسدة واما الذب عن الدين القويم والدعاء الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام
المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة واراء محمودة حتى يستقر الحق في مركزه ويضمحل صولة الباطل ويركد ريحه فمامور به في قوله عز من قائل وجادلهم
بالتي هي احسن وانه احد شعب البيان وقد يكون انجع من قاطع البرهان وما تفعلوا من خير يعلمه الله لم يتعرض لما بل الخير وان كان عالما
بالنقيض لنكتة هي انه اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك ضده اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي بك هكذا في الدنيا فكيف
يكون في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع
مولاه على سريرته وخفاياه اجتهد في اداء ما امره واحترز عن ارتكاب ما نهاه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعملوا مكان
الرفث التقى ومكان الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال والشقاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق وتنبيها على شرف النفس وطيب
الاعراق بدليل قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبايح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا
اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلص عن عذاب منقطع موهوم وزاد الاخرة ينجيك
من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الاخرة يبلغك دار السرور وزاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الاخرة
سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس ❊ اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ❊ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ❊
ندمت على ان لا تكون كمثله ❊ وانك لم ترصد كما كان ارصدا ❊ وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون
ثم كانوا يسالون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا وما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال

وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمة الله تعالى ورفع الوسائط والروابط التي عليها مدار المناهج وبها ينتظم المصالح روي ان بعض العارفين زهد فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسئل احدا شيئا حتى يأتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق العباد بايدي العباد احب الي من ان ارزقهم بيد القدرة وقيل في الآية حذف اي تزودوا لمعاش سفركم وللاجل فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابو النجم وشعري شعري يا اولي الالباب تعني ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق ولما منع عن الجدال اختلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهر لان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على سائر المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه تفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله عن ابي مسلم انه حمل الآية على ما بعد الحج قال والتقدير فاتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الآية على موضع الشبهة اولى من حملها الا على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها الاشتغال بغيرها واعمال الحج متفرقة يحتمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الآية كانوا يأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الحجيج هو الدبيب في السير قال ابن السكيت ولا يطلق الحجيج الا اذا كان جماعة لا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الحرج من الله وانما يباح ما لم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمران رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به وقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو الفضل والثواب والجنة والرحمة تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب القرب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه فاض الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هلا منعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث فقيل انه لم يبق علما بعد ما جمع ثم جعل علما لمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجه لها كجار الله وكثير من المتأخرين وان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي لمحض التانيث سقطت والباقية علامة لجمع المؤنث وزيف بان عرفات مؤنثة وان قلنا انه لا علامة تانيث فيها لا متمحضة للتانيث ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتأويل بعيد كما في قوله ولا ارض ابقل ابقالها فالتانيث فيها لا تقصر عن تانيث مصر الذي هو بتأويل البقعة وقال بعض المتأخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسر في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسر فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف لا تنعه وزه لم يحذف المانع هذا مع انه جوز المبرد والزجاج ههنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرء القيس في رواية شعر: تنورتها من اذرعات واهلها ٭ بيثرب ادنى دارها نظر عال ٭ وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كسائر ما لا ينصرف فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى بيوم التروية واليوم التاسع يسمى بيوم عرفة وعرفة اسم للموضع المخصوص فقيل التروية التفكر وسميت به لان آدم عليه السلام لما امر ببناء البيت فبناه تفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل فنبت به عرفة

في معاني الفضل

لك ذنوبك بأول شرط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لك ولذريتك اذا طافوا به قال زدني فقال اغفر لكل من استغفر له الطائفون من موحدي اولادك قال حسبي حسبي وقيل ان ابرهيم ع راى في منامه ليلة التروية انه يذبح ابنه فاصبح متفكرا هل هذا من الله او من الشيطان فلما راه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفت يا رب انه من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيتروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية الارواء فان اهل مكة كانوا يجمعون الماء للحج الذين يقصدون هم من الافاق فيتسعون في الماء بعدما تعبوا في الطريق من قلة الماء او لانهم يتزودون الماء الى عرفة اولان المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة فشربوا منها حتى رووا واما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان ادم وحواء ع التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن ابن عباس او لان جبرئيل ع علم آدم مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم اولان ابرهيم ع عرفها حين راها بما تقدم من النعت والصفة عن علي ع وابن عباس وعطا والسدي او لان جبرئيل عرفها ابرهيم المناسك كما قدم في قوله وارنا مناسكنا او لان ابرهيم وضع ابنه اسمعيل وامه هاجر بمكة ورجع الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم بعرفات كما سبقت القصة في بناء البيت في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد ولما ذكرنا انفا من منام ابرهيم او لان الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالك بالعبودية والربوبية والجلال لله ولانفسهم بالفقر والخذلان لحال يقال ان ادم ع وحواء لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الان عرفتما انفسكما وقيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله مقام ضدها قال ع خلوق فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار من الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تع في المائدة اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمر وابن عباس نزلت هذه الاية عشية يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي ع واقف بعرفة في موقف ابرهيم ع في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي لو يعلم الناس ما لهم في هذه الاية لقرت اعينهم فقال اليهودي لعمر لو ان هذه الاية انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر اما نحن جعلناه عيدين وكان ذلك يوم عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان الله بريء من المشركين ورسوله يوم اقالة عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين في خبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم زائره يوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال ع صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة كفارة سنتين وقال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم اقسم الله تع به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع يوم التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة وعن عايشة ان رسول الله ص قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا ملائكتي اني قد غفرت لهم ولا ضير ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم انه من دخل مكة محرما في ذي الحجة او قبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات ثم يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعد ما صلى الظهر خطبة واحدة يامر الناس فيها بالذهاب غدا بعد ما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة الا يدخلوها بل يضرب قبة الامام بنمرة روي ان النبي ع مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة من شعر ان يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون ياخذون في الاذان معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبي ع وقف هنالك واذا وقفوا استقبلوا القبلة و يذكرون الله تع ويدعونه الى غروب الشمس وفي الوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله ع الحج عرفة فمن فاته عرفة فقد فاته الحج وقد يستدل بالاية على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا تتصور الا بعد الحصول بعرفات وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تع امر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لا اصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة واذا حضر الحاج هنالك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة وقيل سميت بها لانهم يقربون فيها من منى والازدلاف التقرب وقيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع فيها بين صلوتي المغرب والعشاء عن قتادة وقيل لان ادم ع اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء باقامتين ثم يبيتون بها فان لم يبت بها فعليه دم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس بالفجر ههنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا

ممقا

منها الحصى للرمي يأخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان امكنه او وقف بالقرب منه ان امكنه ويحمد الله ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الفجر ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منه الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان راكبا يحرك دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا شديدا قدر رمية حجر فاذا اتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى ثم بعد ما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه وربما لا يكون معه هدي ثم بعد ما ذبح الهدي يحلق راسه او يقصر ثم بعد الحلق اتى مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر وعليهم البيتوتة بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين والمزدلفة متوسطين بين منى وعرفات منها الى كل واحد منهما فرسخ ولا يقفون بها في سيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر الى ان يعود الى منى بعد رمي جمرة العقبة والذبح والحلق والتقصير والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم ياتون من منى زائرين للبيت يعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه آخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه آخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعند مالك واحمد وابي حنيفة ان الترتيب بينها واجب لو تركه فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا اتخذوا مناسك الحج من سنة ابرهيم عليه السلام وذلك ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون قبل ان تغرب الشمس الذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل في غور الارض وثبير جبل هناك فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين فامره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من المزدلفة قبل طلوع الشمس فان السنة ايضا من قبل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لان الصلوة والمقام والمبيت به والدعاء عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر قال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر العلم لعبادته ووصفه بالحرام لحرمته واما الذكر المامور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه ان فاذكروا امر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هديكم ما مصدرية او كافة اطلق الامر بالذكر اولا ثم قيده ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة كي تكونوا شاكرين لهذه الهداية اما كل انواع الهدايات والهداية الى سنة ابرهيم في مناسك الحج او اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه بحسب الراي والقياس فان اسماء الله تعالى توقيفية والذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب والمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكر هدايته والمراد بتثنيته الامر تكثيره وتكريره يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هديكم متعلقا بالامرين جميعا او الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اقامة للوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام او المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى او من قبل الرسول او من قبل نزول الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انه الافاضة من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف به اولى ولانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج الناس الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس تركهم فقالوا له الى اين وهذا مقام ابائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر الناس الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المامور بها صواب والاخرى خطاء كما تقول احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم فانى بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى كريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه صورة ومعنى فاذا افضتم من عرفات ولا يفيد تقديم هذه الاية على ما قبلها في الوضع من القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال انه امر الناس جميعا وقوله من حيث افاض الناس المراد به ابرهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام فان من سنتهما ذلك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا مقتدى به ان ابرهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان ووجه ثالث وهو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديما

لانه معلم

وذكر اللسان
وذكر القلب

بالوقوف

فافيضوا من عرفات

القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابرهيم واسمعيل و
متبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول صلعم والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع
الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة ابرهيم واسمعيل عم واورد على هذا القول ان استعمال الحيث للزمان
قليل ويمكن ان يجاب بان القران اولى ما يحتج به وعن الزهري ان الناس في هذه الاية ادم عم واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسِ بكسر السين
اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في
الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم وليكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما
بعد ابتغاء لمرضاة الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم الامكان و
القصور من خصايص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارفع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه
عن شداد بن اوس ان النبي صلعم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك فانك انت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية
ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذنب الذي لا اعلم كان احسن ان الله غفور رحيم بناء على المبالغة كما مر مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة
الموعودة في هذه الاية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على
القول الاخر وقوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج او من اعمال مناسككم اذ المناسك جمع المنسك وانه يحتمل
ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق
يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضائل ابائه في السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الاشعار ويعرضون الشهرة
والترفع بمآثر سلفهم فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم كذكرهم لابائهم ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك
يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوة في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار
بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم اثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية
واماطتم الاذى من طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية
بمواجب السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات ثم معنى كذكركم اباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الاباء واقيموا الثناء
على الله مقام تعداد مفاخر الاباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي و
ان كانوا يذكرون الاباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على مولى النعماء اولى مع ان حسنات ابائهم محبطة بسبب شركهم وعن
الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم اباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول ما ينطق ابه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في
صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه فاكتفى بالاباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الاباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل
لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله قال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالاباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم اباءكم
وقد نهى رسول الله صلعم عن الحلف بالاباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباءكم بالوحدانية
فان الواحد منكم لو نسب الى والدين تأذى منه واستنكف وقيل كما ان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله
كذلك وعن ابن عباس معنى الاية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالدك اذا ذكر بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما
اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى واشد ذكرا من اباءكم
على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الاباء لا من فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره
عن الفاعل وذلك الفعل واحد لا اعتباران مغايران بالاعتبار الاخر وانما الزم اعتبار الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل
عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما يضاف
الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه فاذا نصبت ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد افره عبدا فالفراهة
للعبد لا لزيد المذكور وقيل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال الذكر اشد ذكر على الاضافة ووجه نصبه على ما قال
ابو علي ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا او يجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يسمع انسان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه على جميع الوجوه فمعنى
او ههنا ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب او اولى كقول الرجل لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى بان يكون
ذكره اشد لان مفاخر ابائهم متناهية وصفاته الكمالية غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاولى تضييع وحرمان ولازم الثاني
نور وبرهان ثم انه تعالى بعدما امر بالعبادة مصفية للنفس وتخلية لها عن ظلمات الكبر والضلال امر عقيب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة

الاشتغال

الاشتغال بذكر الكبير المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف
الى ذلك الطلب نعيم الآخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يؤخذ فان الانسان
خلق ضعيفا لا طاقة له بآلام الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من آفات الدنيا والآخرة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل يعوده وقد
انهكه المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا
قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في
البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه وقد يفضي ذلك به الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات فمن
ذا الذي يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصر في الدعاء على طلب الدنيا من هم عن ابن عباس هم المشركون كانوا يقفون اذا وقفوا اللهم
ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابي علي الدقاق
انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلبا للاكول والمشروب في النار طلبا للماكول والمشروب فلما
غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والآخرة وقال الآخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وعوتبوا لانهم سألوا الله في اعظم المواقف واشرف المشاهد الاخس
البضائع دون المطالب الشريفة تارة بكنيف واخرى بجعر من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقوله ربنا آتنا في الدنيا متروك المفعول
الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان معطي اي موجد للاعطاء معناه اجعل العطاء لنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطامح النفوس في الدنيا
احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه
والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الاخلاق لتدبير الامور
المنزلية والمدنية فلما قال عز من قائل وما له في الآخرة من خلاق اي طلب نصيب حذف مفعول آتنا لان كل من يطلب في الآخرة لطلب لا همة الى اقتناء السعادات
الباقيات نزاع وطموح فمطلوبه عبث وسفه وضلال اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا او جسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شيء ينظر الا
اليك ولا اليك ولا يرغب في كل ما يرغب الا لاجل الدين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الآية ان هذا
الفريق اجاب دعوتهم اولا فقال طائفة من العلماء انهم ليسوا باهل للاجابة لان يكون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمتقين
من عبيده وقال الآخرون قد يكون الانسان مجابا بالاكرام واجتباء بل مكرا واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال في الآية اضمار اي يقول ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح و
الزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين قيل هما النصرة واما الشهادة واما في الآخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب لان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح
بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والآخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فقالوا زدنا فاعادها فقالوا زدنا فقال ما تريدون قد سألت لكم خير الدنيا والآخرة وعن علي رضي الله عنه
الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العمل النافع وهو الايمان والطاعة وفي الآخرة
التنعم بذكر الله والانس به وبرؤيته تلك لا تلذذ في الدنيا والآخرة الا بهذه الجنة مني للجليس مجالسي وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي عن قتادة الحسنتان
طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الآخرة الجنة ومنشأ البحث مجيء الحسنة منكرة في حيز الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ
على ما رآه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او يقال حسنة ما توافق حال الداعي وحكمة المدعو وفيه
حسن الطلب وغاية التطلب الادب مع ما ليس في التصريح به فانه لا يكون الا ما يشاء او يريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام قليل منك
يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل اولئك الداعون بالحسنيين لهم نصيب اي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب
الذي هو المنافع الحسنة فمن للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ينال المرء بعمله ومنه يقال للارباح
انها كسب فلان اولهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال و
الاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
والله سريع الحساب السرعة نقيض البطء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك ان
فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا الخلق قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم
بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب والعقاب وجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق
الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها
سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل انه

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

المجازاة وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز أن الحساب سبب للأخذ والإعطاء وقيل إنه تعالى يكلم
العباد في أحوال أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال إن كلامه ليس بحرف ولا صوت قال إنه تعالى يخلق في أذن المكلف سمعا يسمع به كلامه
القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال إنه صوت قال إنه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف إما بأن يخلق ذلك الكلام في أذن كل
واحد منهم وفي جسم يقرب من أذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا لخلقه ومعنى كونه
سريع الحساب أن قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير أن يفتقر في إحداث شيء إلى فكر وروية ومدة وعدة ولذلك ورد في الخبر أنه يحاسب الخلق في
مقدار حلب شاة وروي في لمحة وأنه سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم لأنه قادر على أن يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في
المأثور يا من لا يشغله سمع عن سمع وأن ومتنجز وحسابه سريع يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم
قوله تعالى واذكروا الله أي بالتكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لأن الأمر بالتكبير أمر بالذي يتوقف التكبير
على حصوله وإنما اختص هذا التنويه بهم لما كانوا منكرين للرمي ولما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في أيام معدودات هي أيام التشريق ثلاثة أيام
بعد النحر أولها يوم القر لأن الناس يستقرون فيه بمنى والثاني يوم النفر الأول لأن بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني
عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي أن رسول الله صلعم أمر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وأيام منى ثلاثة فمن
تعجل في يومين فلا إثم عليه واعلم أن التكبير المشروع في غير الصلوة وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الأحوال
بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما مر في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وذكرنا صورة التكبير هناك أيضا ولا خلاف في
التكبير المرسل في عيد الفطر والأضحى وأما التكبير المقيد فأظهر الوجهين أنه لا يستحب في عيد الفطر لم ينقلوا ذلك عن رسول الله صلعم ولا أصحابه
وإنما يستحب في الأضحى وتقييده هو أن يؤتى به في أدبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر إلى ما بعد طلوع الصبح من آخر
أيام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في أشهر قوليه وحجته أن الناس فيه
تبع للحاج وهم يبتدؤن التكبير عقيب الظهر يوم النحر إلى مضي خمس عشرة صلوة فيكون آخرها صلوة الصبح من آخر أيام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول
الثاني للشافعي أنه يبتدئ به من صلوة المغرب ليلة النحر إلى الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير في أعقاب ثماني عشرة صلوة المغرب الأول
الثالث أنه يبتدئ من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والأسود
والنخعي وأبي حنيفة واعترض عليه بأن هذه التكبيرات تدل على أيام التشريق فوجب أن يؤتى بها فيها وإن انضم إليها زمان آخر فلا أقل من أن يكون هي أغلب
والقول الرابع يبتدئ بها من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من آخر أيام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول أكابر الصحابة
كعمر وعلي وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وأبي يوسف ومحمد وأحمد وإسحق والمزني لما روى جابر أن النبي صلى الصبح يوم عرفة ثم أقبل علينا
وقال الله أكبر ومد التكبير إلى العصر من آخر أيام التشريق ولأن هذا هو الأحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول إنما يكون التكبيرات مضافة
إلى أيام التشريق لأنها أكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه أيام التشريق لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم أشرق ثبير كيما
نغير وقيل سميت بذلك لأن الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس وفي ما بين أيام التشريق فإنه يجب الرمي كل يوم بين الزوال والغروب بكل جمرة من الجمرات الثلث
مبتدأ من الجمرة الأولى من جانب المزدلفة ومختتما برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة رميات سبعا في سبع دفعات لأن النبي صلعم كذلك رماها وقال خذوا
عني مناسككم فجملة ما يرمى في الحج سبعون حصاة يرمي إلى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة وإحدى وعشرون في كل يوم من أيام التشريق إلى الجمرات الثلث
إلى كل واحدة سبع لورود النقل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج أن يبيتوا بمنى الليلتين الأوليين من ليالي التشريق فإذا رموا اليوم الثاني فمن أراد
منهم أن ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه فمن لم ينفر حتى
غربت الشمس فعليه أن يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال أحمد ومالك والشافعي وعند أبي حنيفة يجوز النفر ما لم يطلع الفجر فإذا طلع لزم التأخر إلى
تمام الأيام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الذهاب واستعجل ويجيئان
مطاوعين بمعنى عجل وهذا أوفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الأيام
ويتنبه ههنا أن المتأخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه فلا إثم عليه هذا إنما يقال في حق المقصر الذي يظن أنه قد رهقه آثام فيما أقدم
عليه وأجيب بأن الرخصة قد يكون عزيمة كالقصر عند أبي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الاحتمال دفع الحرج في الاستعجال والتأخر كلاهما
على أن الحاج مخير بين الأمرين أو بأن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يجعل المتعجل آثما ومنهم من يجعل المتعجل آثما ومنهم من يجعل المتأخر آثما فخالفا
لسنة الحج فبين الله تعالى أن لا إثم على واحد منهما وقيل إن المعنى في إزالة الإثم عن المتأخر إنما هو لمن زاد على مقام الثلثة فكأنه قيل إن أيام منى التي ينبغي المقام
بها فيها ثلثة فمن نقص فلا إثم عليه ومن زاد على الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل إن الآية سبقت لبيان أن الحج مكفر للذنوب والآثام
لا لبيان أن التعجل وتركه سيان كما أن الإنسان إذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الآن إذا تناولت السم فلا بأس وإن لم تتناول فلا بأس يريد أن الترياق
دواء كامل في دفع المضار لا أن تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحدا وقيل إن جوار البيت مكروه عند كثير من العلماء لأن ذلك ربما يفضي إلى نقص حشمته

البيت وقعت في قلبه عينه فامكن ان يختلج في قلب الطالب ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجيل من المسارعة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج في

واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها بل ههنا اولى لان المندوب يصدق عليه انه لا اثم على

صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله تعالى لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه اثم منهما

فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه وقيل معناه ان هذه المغفرة انما يحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين او لمن كان متقيا

عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اي فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق

كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وبعث على التشمير فيه لان الحشر هو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء

الموقف يوجب تصوره لزوم سيرة الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجأ الا اليه ولا استعانة

الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله التأويل الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل الى اربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين

بارد نعم لو صدقت طلبه قبل الاربعين ما امكنه الوصول وقريب ان يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في عنفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين يجري

منه عليه الحيف اذ ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة التي اجرها الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها ويهجرها كالمحرم بعد الاغتسال بماء الانابة

تبرز بازار التواضع والانكسار ويتردى برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج من حكم الرفث ولا يدخل فيما

يورث المقت ولا جدال في الحج لا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصول لا بالفروع ولا بالاصول فلا في طلبها مع احد يخاصم ولا في حاجتها لاحد يزاحم فمن

نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا الكل سالك زاد فزاد اولى القشور كعك وسويق وهم

الذين مقصدهم البيت مقصودهم الجنة وزاد اولى الالباب التقوى وهم من مقصدهم ومقصودهم رب البيت وتقوى اهل القشور مجانبة الزلات وفعل

الطاعات وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات الذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا

مقام ابتغاء الفضل يعني الرحمة بترك الوجود وبذل المهجة هو في سيره الى عرفات ومقام ابتغاء بمعنى الرزق هو قبل سيره الى عرفات وقال جمع من المحققين

انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه لقوة عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله في الله لله عند المشعر الحرام يعني القلب الذي حرام عليه

الاطمينان بغير ذكر الله واذكروه كما هديكم اي كما هديكم الله بهلك نفوسكم كيلا تقع في خطر حب الدنيا وان كنتم من قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الطالبين

وحظوظ النفس من حيث افاض الناس يعني محمدا وسائر الانبياء والاولياء اي ليكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق والتعظيم لامر الله و

الشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل ان الذعين المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله الى قوله واستغفره اي انه وجدت هذا لا يخلو عن حظ ما

فاستغفره فاذا قضيتم مناسككم الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فلا تأمنوا مكر الله وواظبوا على الذكر كذكركم اباءكم في صغركم بالافتقار وفي كبركم بالافتخار

او اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان الطاعة واثر المعصية تظهر في الحال على القلب في ايام معدودات

هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين وتم على الوسط ليكون من اهل الجنة فلا اثم عليه ومن تأخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون

من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف مع الله والى التوفيق هو حسبي ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله

على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض

لفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد

واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس

المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله

رءوف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة

ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان

زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز

حكيم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة

وقضي الامر والى الله ترجع الامور القراءة مرضات بالامالة والوقف

بالهاء علي وكذلك يقف على هيهات هيهات وعلى هداة وذات وعلى قرابتهم اللاة واللات وعلى مرضات ابنة

وافق ابو عمرو في لات حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي الباقون بالكسر والملائكة بالجر عطفا على ظلل او على الغمام والجوار

وان كان فاعل ياتيهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح

الجيم الوقوف قلبه لا لان الواو للحال الخصام والنسل ط الفساد ط جهنم ط المهاد مرضات الله ط بالعباد كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع

احتمال الجواز مبين حكيم وقضي الامر ط الامور التفسير لما ال بيان الحج الى تعديد فرق الناس بحسب اغراضهم في الدعاء ناسب ان يعطف على ذلك تقسيم اخر

يعرف منه مطامح انظار الناس على الاطلاق ليعرف ذا باب النفاق من اصحاب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل

بيان اهل القشور وتقوى اولي الالباب

لطلب الدنيا

الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه قال الله يعلم انى لصادق فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع و
عقر الحمر وقيل انه اشار على بنى زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس
به فقالوا نعم الرأى ما رأيت ثم خنس بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى بهذا السبب اخنس وكان اسمه ابى بن شريق فبلغ ذلك رسول الله
فاعجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض
الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم وفيهم نزلت هذه الاية وقوله بعد ذلك ومن الناس من يشرى اشارة الى هؤلاء الشهداء
واختيار المحققين من المفسرين انه لا يمتنع ان تكون الاية نازلة فى الرجل ثم تكون عامة فى امثاله فهذه الاية عامة فى المنافقين فان السنتهم
حلوة وقلوبهم امر من الصبر وضمير يعجبك قوله يقولون من ويحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم فى قلبك وفى
الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله اى يعجبك ما يقوله فى باب الدنيا طلبا للصلاح العاجلة فقط كالامان من القتل والاخذ من المغانم واما ان يتعلق
بيعجب لان قوله حلو كلامه انما يعجب السامع فى الدنيا لا يعجبه فى الاخرة لما يرهقه فى الموقف من الهيبة والحبسة ولانه لا يؤذن له فى الكلام والخطاب
اما للنبى او لكل سامع ويشهد الله على ما فى قلبه يحتمل ان يكون ذلك الاستشهاد بالحلف وان يكون بقوله يشهد الله على ما فى قلبى من محبتك ومن
الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة واللديدان جانبا الوادى كان كلا من المتخاصمين فى جانب ومنه اللدود وهو ما يصب من الادوية
فى احد شقى الفم واضافة الالد بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر وقيل اللطف وجعل الخصام الد على المبالغة نحو جد جده والخصام جمع خصم كصعاب
فى صعب والمعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه جدل بالباطل شديد الفسق فى معصية الله عالم اللسان جاهل العمل واذا تولى عنك وذهب بعد
الانة القول واحلاء المنطق سعى فى الارض ليفسد فيها كما فعل باولئك المسلمين من احراق الزرع وعقر الحمر او مشى والسعى اصل المشى بسرعة وقد يستعار
لايقاع الفتنة والتخريب بين الناس وقيل لما انصرف من بدر مر ببنى زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم
وعلى هذا فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا لما اجمل قوله ليفسد وقيل فساده هو القاء الشبه فى عقائد المسلمين وعلى هذا فيكون اهلاك
الحرث والنسل بمعنى اخر وهذا تفسير مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة الى نقص قوته النظرية والاهلاك
عبارة عن فعل المنكرات فيه نقصان قوته العملية وقيل واذا تولى اى صار ذا ولاية فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث و
النسل فالحرث الزرع والنسل الولد وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد ونسلت الناقة
بولد كثير والتركيب يدل على الخروج وقيل هلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل افناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت
المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبائح واذا لم يردها لم يخلقها لان الخلق لا يمكن الا بالارادة ومنع من ان المحبة نفس الارادة
بل المحبة عبارة عن مدح الشئ وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مرجح لاحد جانبى كل ممكن على الاخر الا الله والا انسد باب اثبات الصانع يدل على
ان الكل بارادته ومشيئته وقد مر تحقيق ذلك فيما سلف واعلم انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها حسن كلامه فى طلب الدنيا وثانيها
استشهاده بالله كذبا وبهتانا وثالثها لجاجه فى ابطال الحق واثبات الباطل ورابعها سعيه فى الارض للافساد وخامسها سعيه فى اهلاك الحرث والنسل ووقع
قوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة تشنع الكافر الدالة على جهله المركب وخروجه عن ان يرجى منه خير وذلك قوله واذا قيل له اتق الله
فى ارتكاب شئ من هذه المنهيات والقائل اما الرسول صلى الله عليه وسلم قولا خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه واما كل واعظ وناصح اخذته العزة بالاثم
من قولهم اخذته بان يفعل كذا اى الزمته ذلك وحملته عليه اى اخذته العلبة والاستيلاء والانفة وحمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات
الى هذا الوعظ وعدم الاصغاء اليه ومن قولهم اخذته الحمى لزمته واخذه الكبر اعتراه ذلك والمعنى لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الاثم الذى فى قلبه وذلك
الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر فى الدلائل فحسبه جهنم كافيه هى جزاء له يستوى فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لانه مصدر ورفع على الخبرية او على
الابتداء ان كان ما بعده معرفة وعلى الابتداء فقط ان كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلى تقدير كونه خبرا ووقوع
المعرفة بعده يكون الاضافة لفظية اى محسب كاف له قال يونس واكثر النحويين جهنم اسم للنار التى يعذب الله بها فى الاخرة وهى عجمية وفيها العلمية والتانيث
وقال اخرون انه اسم عربى سميت نار الاخرة بها لبعد قعرها حكى عن رؤبة انه قال ركية جهنام بكسر الجيم والهاء اى بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة
وهى الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اى غليظه سميت بذلك لغلظ امرها فى العذاب والعقاب ولبئس المهاد اى فلبئس المهاد جهنم لاجله فان المعذب فى النار يلقى على النار
كما يوضع الشخص على الفراش ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التمهيد لتوطئة قوله تعالى ومن الناس من يشرى الاية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم
فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما فى كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الى او ارمى بكل سهم معى ثم اضرب بسيفى ما بقى فى يدى وان شئتم
دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى ففعلوا فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا الاية وقيل اخذ المشركون
صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب انى شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تأخذوا مالى وتذرونى ودينى ففعلوا ذلك وكان قد شرط
عليهم راحلة ونفقة فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر فى رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال صهيب وبيعك فلا تخسر ما ذاك فقال نزلت
فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرأ هذه الاية فقال عمر انا لله قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت

في علي رض بات على فراش رسول الله صلعم ليلة خروجه الى الغار ويروى انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من
مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الاية ثم ان الاية تدل على ان ههنا مبايعة فاكثر المفسرين على ان العامل هو البايع ومعنى يشري يبيع
وشروه بثمن بخس والله هو المشتري ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعمل المكلف هو بذله نفسه في طاعة الله من الصلوة والصيام والحج
والجهاد وهو المثمن والجنة هي الثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشرى ههنا الاشتراء وذلك ان من اقدم على الكفر والمعاصي فكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت
حقا للنار واذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار فصار حال المؤمن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشتري بها نفسه والمؤمن يبذل
انفاسا معدودة ويشتري بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فكذا المكلف لا ينجو عن ربقة العبودية ما دام يبقى له نفس واحد في الدنيا وهذا
قول عيسى واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقوله عز من قائل لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وابتغاء مرضات الله اي طلب رضوانه
على العلة الغائية وفيه دليل على ان كل مشقة يحتملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا كان عمله ضلالا وكدا ووبالا
والله رؤف بالعباد فمن رأفته جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل وجوز لهم كلمة الكفر ابقاء على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رأفته
انه لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رأفته ان المصر على الكفر مائة سنة اذا تاب ولو في لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رأفته ان النفس له والمال له ثم انه
يشتري ملكه بملكه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق
ايضا على الصلح وترك الحرب والمنازعة وهو ايضا راجع الى هذا وانه يذكر ويؤنث واختلف في المخاطبين فقيل امر للمسلمين بما يضاد حال المنافقين اي الذين
امنوا بالالسنة والقلوب ودوموا على الاسلام فيما تستأنفونه من ايامكم ولا تخرجوا منه ولا من شيء من شرائعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تلتفتوا
الى الشبهات التي يلقيها اليكم اهل الغواية والكائن في الدار اذا علم ان له في المستقبل خروجا منها لا يمتنع ان يؤمر بدخولها في المستقبل حالا بعد حال
معلوم وان المؤمنين قد يخرجون من خصال الايمان بالنوم والسهو وغيرهما من الاحوال فلا يبعد ان يأمرهم الله بالدخول في الاسلام فيما يستأنف
من الزمان وامرهم بان يكونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا اثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخور في امر الدين
متابعة ولا تنازعوا فتفشلوا ويكون المراد الرضاء بالقضاء والتلقي لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في الخبر الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم
او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريق العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المأمورين
اي ادخلوا باجمعكم في السلم ولا تتفرقوا ولا تختلفوا وان يكون حالا من السلم على انها مؤنث كالحرب اي ادخلوا في شرائع الاسلام كلها واصل الكف
المنع فسمي الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرقة والتبدد ورجل مكفوف اي كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها تمنع الثوب من الانتشار
والكف طرف اليد لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام ولا تتبعوا
اثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يقيموا على بعض
شرائع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية واستأذنوا رسول الله صلعم في ذلك فامروا ان يدخلوا في شرائع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشيء من
احكام التورية لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع اثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى
يا ايها الذين امنوا بالكتاب المتقدم كملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات التي يتمسكون بها
في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين من ابان بمعنى بان او المبين من صفات المبالغ الذي يعرب عن ضميره ولا يخفى انه اعرب عن عداوته لادم ونسله وقيل
مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثواب رضوانه قوله فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون في قوله ادخلوا
فيجيء الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم عن الطريق الذي امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلائل
العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذا نهاية في الوعيد كما قال الوالد لولده
ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي كان ابلغ في الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب وكان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ
فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة تمييز المحسن من المسيء وان لا يسوي بينهما في الثواب والعقاب يحكى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه
اعرابي فانكره ولم يقرأ القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله الاية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذا من شان المحدثات
المركبات وانه تعالى احد فرد في ذاته وصفاته فذكروا في الاية وجهين الاول وهو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الالفاظ من التأويل
وتفويض علمها الى مراد الله تعالى كما يروى عن ابن عباس انه قال نزل القران على اربعة اوجه وجه لا يعرفه احد لجهالته ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه
يعرفه من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجيء الايات مجيئا
له تفخيما لها كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد اتيان امره وبأسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع اخر او يأتي امر ربك
فجاءهم بأسنا وايضا اللام في قوله وقضي الامر يدل على معهود سابق وما ذاك الا الذي اضمرناه لا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها
محال وعند المعتزلة اصوات فيكون اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد والمراد ما يفعله

بتلك المواقف من الاهوال واظهار الآيات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهي فالمعنى بعد ان ينادي مناد يوم القيمة الا ان الله يامركم بكذا ومعنى كونه
في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في ان واحد ويكون المراد بحصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل
على حكم الله تع على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تع يخلق نقوشا منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها
حال اهل الموقف في الوعد والوعيد يكون فائدة الظلل انه تع جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل المأتي به محذوف والمعنى الا
ان ياتيهم الله بباسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه وقيل ان في بمعنى الباء
اي ياتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذي ياتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر اتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طي ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل بناء على ان الخطاب في ادخلوا في السلم
لليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه يجوزون المجيء والذهاب على الله
تع ويقولون انه تع تجلى لموسى ع على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد ص فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان
الآية لا تدل الا على انهم ما ينتظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وسمي ما اظل والغمام لا يكون
كذلك الا اذا كان مجتمعا ومتراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم فكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام
ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان ياتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة واذا نزل منه العذاب كان
اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير او نزول الغمام علامة
لظهور الاهوال في القيمة قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا واستعير لها لـ
العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة ليقيموا بما امروا به من تعذيب وتخريب ولا حاجة الى التاويل لان اتيانهم ممكن وقضي الامر فرغ من امر اهلاكهم وتدميرهم
او عما كانوا يوعدون به فلا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان ياتيهم الله ويقضى الامر فوضع الماضي
موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب والساعة كل ما هو آت قريب واما لان اخبار الله تع كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضاء
بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلته من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفا على لفظ الله
والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيرا من امورهم وخلقها بما اذا صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا القول
رجع الى الامير ان كان هو مختص بالنظر فيه فعلى المكلفين ان يدخلوا في السلم كافة ويحترزوا عن اتباع آثار الشيطان كما نهي ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تع
يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيمة فهذا معنى القراءتين في ترجع وايضا قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه
يقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك او المراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة
الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال التاويل النفس الامارة تنظر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة
وترى لها اولي الالوان والبناء ولكنها الحق الاعداء ويسعى في تخريب من القلب وابطال حرث الصدق في طلب السعادة واهلاك نسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة
وتشمخ بانفها عن قبول الحق فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري هذا شأن الاولياء باعوا انفسهم خالصا لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم
كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق
الله وتسليم الاحكام والاقضية له ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله هذا مما يضيق عنه نطاق النطق ولا يسع اظهاره في زي
الحروف شعر وان قميصا خيط في نسج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصر والله ولي التوفيق وحسبه سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة
ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين — بپرس از بنی اسرائیل که چه قدر دادیم ایشان را از نشانهای روشن
کفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين — و هر که تغییر دهد نعمت خدا پس از آنکه بیاید او را نعمت پس خدا سخت عقوبت است آراسته شد از برای آنها که
آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب — کافر شدند زندگانی دنیا و سخریه میکنند با آنها که
کان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين — گرویدند و آنها که پرهیز کردند در مرتبه بالای ایشانند در روز قیامت و خدا روزی میدهد هر که را خواهد بدون حساب
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — بودند مردمان طائفه یگانه پس برانگیخت خدا پیغمبران را مژده دهندگان
واختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم — و ترسانندگان و فرستاد با ایشان کتاب را براستی تا حکم کنند میان مردم در آنچه اختلاف کردند
البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق — و اختلاف نکردند در آن مگر آنها که داده شده بودند کتاب را پس از آنکه آمد ایشان را
باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم — حجتها کفری که در میان ایشان بود پس هدایت کرد خدا آنها را که گرویدند بحقیقت آنکه اختلاف در آن کردند از حق
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم — بفرمان او و خدا هدایت کند هر که را خواهد بسوی راه راست
مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول — یا گمان کردید که داخل میشوید در بهشت و نیامده است شما را مثل آنها که گذشتند پیش از شما
والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب — رسید بایشان سختی و فقر و ناخوشی و در هراس بودند تا آنکه گفت پیغمبر

ذهب بك ان لم يكن احد

ع

الفراء

القراءة ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد كذلك في آل عمران والنور في موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب الوقوف
بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اي فبدلوا ومن يبدله العقاب من الذين آمنوا م لان الذين مبتدأ وفوقهم خبره ولو وصل صار
ظرفا للسخرية وحالا لفاعل يسخرون وقبحه ظاهر يوم القيمة ط حساب ومنذرين ص لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين
باذنه ط مستقيم من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما يأتكم عطف على ام حسبتم تقديره احسبتم ولم يأتكم متى نصر الله ط قريب التفسير
انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم
بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الاية ثم ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل الخطاب
للرسول صلعم او لكل احد هذا السؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيمة والاكثرة الايات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين
انا لما آتينا اسلافهم آيات بينات فانكروها لا جرم استوجبوا العقاب من الله تعالى وذلك تنبيه هؤلاء الحاضرين على انهم لو زالوا عن آيات الله لوقعوا
في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون لكي يعتبروا ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن آية مميزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت
استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد ما آتيناهم من الآيات ليخبروك عن كميتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن كثير من الآيات آتيناهم والآيات
الواضحات اما معجزات موسى ع كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها وهي تسع فلقد آتينا موسى تسع آيات بينات واما
الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من آمن واقر ومنهم من جحد بدلها ومن يبدل نعمة الله قيل انها الآيات والدلائل وهي اجل اقسام النعم لانها
اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الآيات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها ليكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم
كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الآية البينة هي ما في التوراة والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلعم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه
فيها وقيل المراد بنعمة الله ما آتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها ان لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف
بل استعملوها في غير ما اوتيت هي لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول فهو ان المراد من النعمة الآيات فمعنى مجيئها
التمكن من معرفتها وعرفانها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها ولم يعرفها فكانها غائبة عنه فان الله شديد العقاب
قال الواحدي الرابطة محذوفة اي له والتحقيق ان ترك هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان
شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك صفة ذاتية ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب
الذي لاجله كان التبديل بسيرتهم فقال زين للذين كفروا الاية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على
الباقي من نعيم الآخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد وللفصل مع ان التأنيث ليس بحقيقي عن ابن عباس ان الآية نزلت في ابي جهل
واضرابه من كبار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في التنعم والراحة
كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين المهاجرين ثم المزين من هو فعن المعتزلة انهم غواة الجن والانس فحجوا امر الآخرة في اعين الكفار واوهموا ان لا صحة لها
فلا تنغصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال أتترك لذة الصهباء نقدا بما وعدوك من لبن وخمر قالوا واما الذي يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك فباطل
لان المزين للشيء هو المخبر عن حسنه فاذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعل المستحسن مصيبا وان كان كافرا
واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر لجميع الكفار لا بد ان يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه ممنوع انما
المزين من يجعل الشيء موصوفا بالاوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيها من اللذات والراحات
وهذا اخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر وقال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب يقولون اين يذهب بك لا يريدون ان ذاهبا ذهب به
ومنه قوله تعالى اني يؤفكون اني يصرفون ولما كان الشيطان لا يملك ان يحمل الانسان على الفعل قهرا فالانسان بالحقيقة هو الذي زين لنفسه والتحقيق
ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث اليه اظهر في الدنيا
من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وركب في الطبايع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الالجاء الذي لا يمكن تركه بل مع امكان رد
النفس عنها ليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام فيتم غرض الابتلاء او نقول المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا ولم
يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تعالى زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله
تعالى خص هذا التزيين بالكفار والمباحات لا تختص بالكفار وان قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دائم السرور وان قلت ذات يده لكونه مقصور
الهمة به لا عيش عنده الا عيش الدنيا بخلاف المؤمن فانه يتنعم من طيبات الدنيا ويحبها وان كثر ماله وجاهه مكدر بالخوف والوجل من الحساب في الآخرة
قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى الاشتغال عن الآخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله
ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تعالى بعد تذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم
بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين آمنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا و
تحملوا المتاعب لطلب الآخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة

عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما
بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في مهاوي الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج
الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان وبمجرد استبعاد امر المعاد وحجج المتقين يوم القيمة يستند الى العيان وبمدد الرحمن ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المؤمنين بالكافرين يوم القيمة
لكونها حقة وباقية فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول امنوا كما قال من
الذين امنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول
الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وبحرمان المؤمنين على انهم على الباطل فرد الله تعالى عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غاية هي الاستدراج في حق
الكافر والابتلاء في حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سؤال سائل فالامر امره والحكم حكمه
ولا يسئل عما يفعل ومن حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن قد قدره ما كان هذا في حسابي فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء
المؤمنين فلعل الله تعالى يرزق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود و
يسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها حساب وما يرزق العبد في الاخرة من
النعيم المقيم فبغير عذاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق في الاية بالمؤمنين وفي الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا لا فناء له
ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب او يقال ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله فالفضل بلا حساب والحساب ذلك الحساب انما يحتاج اليه اذا اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار والاعصار
يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا وعلى هذا لا يتطرق الحساب البتة الى الثواب او المراد ان الذي يعطي لا نسبة له الى ما في خزائن ملكه وقدرته فلا نسبة
للمتناهي الى غير المتناهي او معنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطي بمجرد الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعمائة من قولهم
فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة
الاية فيه اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك داء قديم في الانسان ثم الامة الواحدة
كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وهذا يدل على ان النبيين انما بعثوا حين الاختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم اولى ومنها
النقل المتواتر ان ادم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون
على شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح ولعل الناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق
يتوقف على النظر والنظريات مستندة بالاخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب
من خارج فالصواب له بالذات والخطاء بالعرض وما بالذات اقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان الناس على
الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغي والحسد يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي
عن ابن عباس والحسن وعطاء انهم كانوا على الباطل لان بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم ولو قيل ان تقدير الاية فاختلفوا
فبعث الله كما قرأ ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر فلعلهم من لدن ادم الى زمان
نوح كانوا كفارا والحكم للاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس كما يقال دار الكفر وان كان فيها مسلمون القول الثالث عن
ابي مسلم والقاضي ابي بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرائع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر
نعمته والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف فيفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فيعلم من
ذلك ان تلك الوحدة متقدمة على جميع الشرائع فلا يكون الا الاستفادة من العقل ثم سئل القاضي نفسه فقال اوليس اول الناس ادم وانه كان
نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون مع اولاده متمسكين بالشرائع العقلية اولا ثم ان الله تعالى بعثه الى اولاده ويحتمل انه شريعته قد صارت مندرسة
ثم رجع الناس الى الشرائع العقلية القول الرابع التوقف فلا دلالة في الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس ان المراد من الناس اهل
الكتاب الذين امنوا بموسى ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد فبعث الله النبيين ومعهم الكتاب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل و
محمدا ومعه الفرقان ليكون تلك الكتب حاكمة في تلك الاشياء التي اختلفوا فيها وهذا القول يوافق قول من قال ان الخطاب في يا ايها الذين امنوا
ادخلوا في السلم لاهل الكتاب فيراد بالناس ناس معهودون ثم انه تعالى وصف النبيين بصفات ثلث الاولى كونهم مبشرين والثانية كونهم
منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة والانذار يجري مجرى ازالة المرض والاول كتناول الغذاء والاول
لكونه مقصود الغذاء والثاني كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثاني لانه مقصود بالعرض الصفة الثالثة قوله وانزل معهم
الكتاب بالحق ففي قوله معهم والضمير يعود الى عامة النبيين دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل فقال ذلك الكتاب تام قصير

على الحق ويحتمل انفقرا المؤمنين منها

دون

دون ذلك الكتاب ام لم يدون معجزا كان او غير معجز قبل انزال الكتاب قبل وصول الامر والنهي الى المكلفين ووصول الامر والنهي اليهم قبل التبشير والانذار
فلم قدم التبشير والانذار على انزال الكتاب واجيب بان الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم
وغيرهما وبان المكلف انما يحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب
والخوف انما يقوى عند التبشير والانذار فلهذا قدم ذكرهما على انزال الكتاب قلت فيه فائدة اخرى لفظية هي ان لا يقع فاصلة كثيرة بين الثالث المترتب على
الاولين وبين الثالثة وبين ما رتب عليها من قوله ليحكم اي الكتاب لانه اقرب لا محمد وفي نسبة الحكم اليه تجوز كما لا محذور في كونه هدى وشفاء
واللام للجنس او اريد مع كل واحد كتابه قيل ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في
الحق وهو دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وفي كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه اي في الحق
إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ اي اعطوا الحق وادوه لمباشرة اسبابه القريبة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير للكتاب اي الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة
الاختلاف كانهم عارضوا الكتاب بنقيض ما انزل لاجله لئلا يختلفوا فزادوا في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد بعثة
الانبياء وانزال الكتب كما مر في القول الاول قال كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا
واما تحريفهم او تبديلهم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء الكتاب اي وما اختلف فيه صحه اختلف الا من بعد مجيء الايات
التي هي الكتب كقوله وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة لايتاء الكتاب ويعني
بها الدلائل العقلية التي نصبها الله تعالى على اثبات الاصول التي لا يمكن اثباتها بالدلائل السمعية واذا حصلت الدلائل العقلية والسمعية لم يكن
في العدول عذر ولا علة ولو حصل الاعراض كان بسبب بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا ولقلة الانصاف وكثرة الاعتساف ومن
الحق بيان لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ اي فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف واللام بمعنى الى اي هداهم الى ما اختلفوا فيه كقوله ثم
يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا بِإِذْنِهِ قال الزجاج بعلمه وقيل بامره فيه الامر يحصل التميز بين الحق والباطل فيحصل الهداية وقيل في الاية اضمار اي فهداهم فاهتدوا
باذنه اذ لا يجوز ان ياذن لنفسه وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو الحق الموصل الى كمال الدارين وهو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق
او الطلب لا يتأتى الا باحتمال شدائد التكليف واعباء الاستاذ والتعليم قال سبحانه أَمْ حَسِبْتُمْ على طريقة الالتفات التي هي ابلغ تشجيعا للرسول
والمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان نظره على مراتب قرب المولى فبلاؤه اقوى وهو بالابتلاء اولى وام في الكلام
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده قال القفال الله تقدير الاية فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء
قومهم افتسلكون سبيلهم ام تحسبون ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم وَلَمَّا يَأْتِكُمْ فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر عن
ابن عباس لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت اليهود العداوة له فانزل الله
تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون انفسكم وتنصرون الباطل لو كان محمد نبيا ما
سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم
به وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما نال
ذلك من قبلكم من المؤمنين ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مَسَّتْهُمُ بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل
فقيل مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه والضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والآفة اليه وَزُلْزِلُوا حركوا وازعجوا
بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة وهي زوال الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لان
الخائف لا يستقر بل يضطرب بقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف المقيم المقعد ثم ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضر والبؤس
المحنة فقال حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية
في الشدة لا مطمح وراءها من قرأ يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال بالنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع فعلى
الحال الماضية المحكية كقولهم شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ اي فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المؤمنين كذلك
في تحمل الاذى والمتاعب في طلب الحق فان نصر الله قريب لانه آت وكل ما هو آت قريب والحاصل ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينالهم من المشركين والمنافقين
اذى كثيرا ولما اذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال والانفس ما لا يخفى فعزاهم تعالى في ذلك وبين ان حال من قبلهم في طلب
الدين كان كذلك والمصيبة اذا عمت طابت وذكر الله تعالى من قصة ابراهيم عليه السلام والقائه في النار وايوب عليه السلام وما ابتلاه به من مرسائر الانبياء في مصابرتهم على
انواع المكاره ما صار ذلك سلوة للمؤمنين روي عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر
لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد
ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون

وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب ان كونه رسولا لا يمنع من ان
يتأذى من كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى انه ينصره الا انه ما عين له ذلك الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى
انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بان نصر الله قريب بان نصر الله كائن وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا
لقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم علموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين آمنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلاما من احدهما متى
نصر الله والثاني الا ان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله والمعنى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم في الآية دليل على ان كل من لحقه شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنها واما
ان يموت واذا مات فقد وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم النصرة اللهم انصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير التأويل انه تعالى اذا
فتح ابواب الملكوت على قلب عبد من خواصه يريه آياته وكراماته فان تعزز باحواله وتعجب بكماله فيقبل على حظوظ النفس ويميل الى نعم الله بموافقتها ورضاها فان الله
شديد العقاب بان يغير حواله ويسلب عنه كماله كان الناس امة واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق وانزل معهم الكتاب الذي جف به القلم بالسعادة
او الشقاوة كقوله ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة والنار وما اختلف كل فريق الا وقد وقعوا السعادة والشقاوة في حكم الله وقضائه
ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا مربعد البعثة وهي معاملاتهم بها يتبين السعيد من الشقي وبالعكس والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا اَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ وَمَا
سؤال كنند ترا كه چيست که انفاق ميكنند بگو که آنچه انفاق ميکنيد از مال پس از براى والدين است و خويشان و يتيمان و فقيران و راه گذريان و هرچه
تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيْمٌ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا
ميکنيد از خوبى پس بدرستى که خدا بآن دانا است نوشته شد بر شما جهاد و حال آنکه مکروه است شما را و شايد که مکروه داريد چيزى و حال آنکه آن بهتر است شما را و شايد که دوست داريد
ع ١١ شَيْئًا وَّهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيْهِ قُلْ قِتَالٌ فِيْهِ كَبِيْرٌ وَصَدٌّ عَنْ
چيزى را و حال آنکه آن بد است شما را و خدا ميداند و شما نميدانيد مى پرسند ترا از ماه حرام از جهاد در آن بگو که قتال در آن بزرگ است گناه و باز داشتن است
سَبِيْلِ اللّٰهِ وَكُفْرٌۢ بِهٖ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاِخْرَاجُ اَهْلِهٖ مِنْهُ اَكْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ وَالْفِتْنَةُ اَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُوْنَ يُقَاتِلُوْنَكُمْ
از راه خدا و کفر است بآن و مسجد حرام و بيرون کردن اهل آن از آن بزرگتر است نزد خدا و فتنه انگيختن بزرگتر است از قتل و هميشه در مقاتله باشند با شما
حَتّٰى يَرُدُّوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ اِنِ اسْتَطَاعُوْا وَمَنْ يَّرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهٖ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَاُولٰٓئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
تا که برگردانند شما را از دين شما اگر قدرت داشته باشند و هرکه برگردد از شما از دين خود پس بميرد و حال آنکه او کافر است پس آنگروه باطل است کردهاى ايشان در دنيا
وَالْاٰخِرَةِ وَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اُولٰٓئِكَ
و آخرت و آنگروه ياران آتش اند ايشان در آن جاويدان باشند بدرستى که آنها که گرويدند و آنها که مهاجرت کردند و جهاد کردند در راه خدا آنگروه
يَرْجُوْنَ رَحْمَتَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ الوقوف ينفقون ط السبيل ط للابتداء بالشرط عليم ج كره لكم ج لتفصيل الاحوال خير لكم ج شر لكم ط لا تعلمون
اميد دارند رحمت خدا را و خدا آمرزنده مهربان است قتال فيه ط كبير ط على ان قوله وصد مبتدأ وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال
وصد عطف على كبير اي القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام او صد عن سبيل الله عن المسجد الحرام فيوقف ههنا
ويجعل اخراج اهله مبتدأ وقيل وصد عطف والوقف على سبيل الله وكفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اي القتال منا وان كان كبيرا
او لكن الصد والكفر والاخراج التي كانت منكم اكبر منها القتل ط استطاعوا ط والآخرة ج لان الجملتين ان اتفقتا فتكرار اولئك تنبيه على الابتداء
مبالغة في تعظيم الامر النار ج خالدون في سبيل الله لان ما بعده خبران رحمة الله ط رحيم التفسير انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال
على الآجل بكل ما يمكن من الدخول في السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم انتظار النصرة الله شرع بعد
ذلك في بيان الاحكام وهو من هذه الآية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنته المرضية من خلط بيان التوحيد بذكر النصيحة والوعظ
ببيان الاحكام ليكون كل منهما مؤكدا للآخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الآية في رجل اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي دينارا فقال انفقه على اهلك فقال ان لي ثلاثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة قال انفقها على والديك قال ان لي
خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لي ستة قال انفقها في سبيل الله وهو اخسها اي اقلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو بن الجموح وهو الذي
قتل يوم احد كان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها اما بحث ماذا فقد تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا
مثلا واما ان القوم سئلوا عما ينفقون لا عمن يصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله في الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الآية فالوجه
فيه انه حصل في الآية ما يكون جوابا عن السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل
خير ومبنى الكلام على الايجاز وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق وقال القفال السؤال وان كان واردا
بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية فمن المعلوم لهم ان الذي امروا بانفاقه مال يخرج قربة الى الله تعالى وح يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله قالوا

بقرة لا ذلول" سؤالهم عن البقرة ما هي حيث كان المعلوم ان البقر بهيمة شأنها كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سألوا عن الشيء
اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اي شيء كان ولكن بشرط كونه مالا حلالا ومصروفا الى مصرفه كما لو سئل شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اي طعام
آكل والطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اي طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق اي شيء اراد
لكن بشرط وهو ان يراعي الترتيب في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح
جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق وايضا لو لم يعطه قريبه
احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وايضا قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على
الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم غير اليتامى في ابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك في دار الاقامة من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلادهم
وما لهم ما لا يبلغون به الى اوطانهم "وما تفعلوا من خير" من انفاق شيء من مال بناء على ان الخير هو المال ومن كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا للجزيل
الثواب وهربا من اليم العقاب "فان الله به عليم" فيجازيكم احسن الجزاء عن السدي ان الاية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن
انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروع والاصول واجبا ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب
قوله تعالى "كتب عليكم القتال" كان النبي صلعم غير مأذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن في قتال
المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الاية تقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فيستفاد من لفظ
الايجاب في يكفي العمل به مرة واحدة وقوله كتب واما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله "كتب عليكم
القصاص" "كما كتب عليكم الصيام" وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي
العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت والعموم في "عليكم الصيام" مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع
وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد على الكل "وهو كره
لكم" ليس المراد ان المؤمنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس كما ان سائر التكاليف وكيف
لا والتكليف التزام ما فيه كلفة ومشقة واما في القتال فاكثر لان الحيوة اعظم ما يميل اليه الطباع فبذلها ليس بهين والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التي
نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم
كالضعف في الضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى "حملته امه كرها ووضعته
كرها" وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان الاكراه فبالفتح "وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم" فربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال
وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد ولهذا احسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وحسن تحمل الاخطار في الاسفار
لتحصيل الربح في المال وكذا تحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى "العلم اوله مر مذاقته لكن آخره احلى من العسل" وههنا كذلك
لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار
واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان استباحوا بيضة الاسلام واستباحوا حريمهم واستأصلوهم عن آخرهم واما منافع الجهاد فمنها
الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات عليه والثواب في الاخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء
كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب في القرآن قال "فعسى الله ان يأتي بالفتح" وقد وجد
"عسى الله ان يأتيني بهم جميعا" وقد حصل والتحقيق ان معنى الرجاء فيه يعود الى المكلف وان كان المرجو له معلوما لله تعالى كما بينا في لعل "والله يعلم وانتم
لا تعلمون" وذلك ان علمه تعالى فعلي يعلم الاسباب وما يترتب عليها والحوادث وما نشأت هي منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السموات وعلمكم انفعالي فلعلكم تعكسون التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد فيه ترغيب عظيم
في اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والمرود فان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يأمر العبد الا بما فيه خيره
وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كرهه طبعه فكانه تعالى يقول يا ايها العبد علمي اكمل من علمك فكن مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك ومو
ا ان هذه الاية في هذا المقام يجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة "اني اعلم ما لا تعلمون" الحكم الثاني في قوله سبحانه "يسئلونك عن الشهر الحرام" اكثر
المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدورهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسألوا النبي صلعم هل يحل
لهم القتال في هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلعم في جمادي الآخرة
قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن
محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم
عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا

تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهاني ان استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستاذناه ان يتخلفا في طلب بعيرهما فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهي رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتل فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويتذعر فيه الناس لمعايشهم يسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقطوا في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري في رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء اسيرهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمن بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان هذا السؤال كان من الكفار سئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه بالخفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرا عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله تعالى قل قتال ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفا مشارا به الى الاول لانه لو كان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي سئلوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام واعلاء كلمته فاختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سئلوا عنه ثم الجمهور اتفقوا على ان حكم هذه الاية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن ان يقال ان قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه الى تقدير النسخ والله اعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله من القتال في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا منها في الشهر الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال مع انه ظن انه في جمادى واعلم ان قوله وصد قد مر وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فقيل انه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد الحرام منع الناس عن الصلاة فيه والطواف به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالاجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد في المعنى فكانه لا فصل وبان التقديم لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا احد وكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر الحرام اي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وابي مسلم وقيل الواو في والمسجد الحرام للقسم اي صد عن سبيل الله هو المنع عن الايمان بالله ومحمد او عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بان الاية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن جحش وعام الحديبية كانت بعد غزوة بدر بسنتين ويجاب بان معلوم الله كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهلا له اذ كانوا هم القائمين بحقوق المسجد ولهذا قال عز من قائل وكانوا احق بها واهلها وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال وقيل انها اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بانه وقع في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون بان هذه الامور يصد عنهم

سورة البقرة

فی الشهر الحرام والفتنة ای الشرك او القاء الشبهات فی قلوب المؤمنین او التعذیب کفعلهم ببلال وصهیب وعمار اکبر من القتل لان الفتنة تفضی الی القتل
فی الدنیا والی استحقاق العذاب الدائم فی الآخرة فیصح ان الفتنة اکبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذی وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمی یروی انه لما
نزلت الآیة کتب عبد الله بن جحش الی مؤمنی مکة اذا عیرکم المشرکون بالقتال فی الشهر الحرام فعیروهم انتم بالکفر واخراج الرسول من مکة ومنع المؤمنین عن البیت
الحرام ولا یزالون یقاتلونکم اخبار عن استمرار الکفار علی عداوة المسلمین حتی یردوکم عن دینکم کی یردوکم عنه کقولك اسلمت حتی ادخل الجنة بمعنی کی
ادخل ویجوز ان یکون بمعنی الی کقوله ولن ترضی عنك الیهود ولا النصاری حتی تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم کقول الرجل لعدوه
وهو واثق بانه لا یظفر ان ظفرت بی فلا تبق علی ومن یرتدد ومن یرجع منکم عن دینه فیمت وهو کافر باق علی الردة فاولئك حبطت اعمالهم فی الدنیا
والآخرة اما فی الدنیا فلما یفوته من فوائد الاسلام العاجلة فیقتل عند الظفر به ویقاتل الی ان یظفر به ولا یستحق من المؤمنین موالاة ولا نصرا ولا ثناء
حسنا وتبین زوجته عنه ویحرم المیراث واما فی الآخرة فیکفی فی تقریره قوله واولئك اصحاب النار هم فیها خالدون واعلم ان الردة اغلظ انواع الکفر
حکما ولها تارة یحصل بالقول الذی هو کفر کجحد مجمع علیه وکسب نبی من الانبیاء واخری بالفعل الذی یوجب استهزاء صریحا بالدین کالسجود للشمس وللصنم والقاء
المصحف فی القاذورات وکذا لو اعتقد وجوب ما لیس بواجب وشرط فی صحة الردة التکلیف فلا یصح ردة الصبی والمجنون وههنا بحث اصولی وهو ان جماعة
من المتکلمین ذهبوا الی ان شرط صحة الایمان والکفر حصول الموافاة فالایمان لا یکون ایمانا الا اذا مات المؤمن علیه والکفر لا یکون کفرا الا اذا مات
الکافر علیه لان من کان مؤمنا ثم ارتد والعیاذ بالله فلو کان ذلك الایمان الظاهر ایمانا فی الحقیقة لکان قد استحق علیه الثواب الابدی فاما ان یبقی الاستحقاق
ان الطاری یزیل السابق وهو ایضا محال لانهما متنافیان ولیس احدهما اولی بالتاثیر من الآخر بل السابق بالدفع اولی من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع
والیه شرط طریان الطاری زوال السابق فلو علل الزوال السابق بطریان الطاری لزم الدور وبحث فروعی وهو ان المسلم اذا صلی ثم ارتد ثم اسلم فی الوقت
فعند الشافعی لا اعادة علیه لان شرط حبوط العمل ان یموت علی الردة لقوله تعالی عطفا علی الشرط فیمت وهو کافر وعند ابی حنیفة لزمه قضاء ما ادی وکذا
الحج لما جاء فی موضع آخر مطلقا ولو اشرکوا لحبط عنهم ما کانوا یعملون والحبط فی اللغة ان تأکل الابل شیئا یضرها فیعظم بطونها فیهلك وفی الحدیث ان مما
ینبت الربیع ما یقتل حبطا او یلم سمی بطلان الاعمال بهذا لانه کفساد الشیء بسبب ورود المفسد علیه ولا شك ان المراد من احباط العمل لیس هو ابطال نفس
العمل لان العمل شیء کما وجد فنی وزال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتکفیر المعنی ان عقاب الردة الحادثة یزیل ثواب الایمان السابق
اما بشرط الموازنة کما هو مذهب ابی هاشم وجمهور المتاخرین من المعتزلة او لا بشرط کما هو مذهب ابی علی وقال المنکرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد فی کتاب الله
تعالی هو ان المرتد اذا اتی بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه یمکنه ان یاتی بدلها بعمل یستحق ثوابا فیعنی حبط عمله انه اتی بعمل لیس فیه فائدة بل فیه مضرة عظیمة او
المراد انه تبین ان اعماله السابقة لم تکن معتدة بها شرعا وروی ان عبد الله بن جحش واصحابه حین قتلوا الحضرمی ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم یکن لهم
اجر فنزلت ان الذین آمنوا الآیة لان عبد الله کان مؤمنا وکان مهاجرا وصار بسبب هذه القتال مجاهدا وقیل انه تعالی لما اوجب الجهاد بقوله کتب علیکم
القتال وبین ان ترکه سبب للوعید اتبع ذلك ذکر من یقوم به فقال ان الذین آمنوا الآیة ولا یکاد یوجد وعید الا ویعقبه وعد ومعنی هاجروا فارقوا اوطانهم
وعشائرهم من الهجر الذی هو ضد الوصل والهجر الکلام القبیح لانه مما ینبغی ان یهجر وجاز ان یکون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدین وهو ایضا هجرهم
بهذا السبب فکان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذی هو المشقة او من الجهد بالضم الطاقة لانه یبذل الجهد فی قتال العدو عند فعل
العدو مثل ذلك ویجوز ان یکون معناها ضم جهد الی جهد اخیه فی نصرة دین الله کالمساعدة ضم ساعده الی ساعد اخیه لتحصیل القوة اولئك یرجون
رحمت الله یحتمل ان یکون الرجاء بمعنی القطع والیقین ولکن فی اصل الثواب والظن انما دخل فی کمیته وکیفیته وفی وقته ویحتمل ان یراد المنافع التی یتوقعها
فان عبد الله بن جحش ما کان قاطعا بالثواب فی عمله بل کان یظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء لیعلم ان الثواب علی الایمان والعمل غیر واجب وانما
ذلك بفضله ورحمته کما هو مذهبنا ولو وجب لم یصح لانهم لا یعلمون انه لا یکفر بعد ذلك فهذا الشرط مشکوك وایضا المذکور ههنا هو الایمان والهجرة والجهاد
ولا بد للانسان مع ذلك من سائر الاعمال والتوفیق فیها مرجو من الله وایضا المراد وصفهم بانهم یفارقون الدنیا مع هذه الخصال مستقصرین انفسهم
فی نصرة دین الله فیقدمون علیهم راجین رحمته خائفین عقابه الذین یؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الی ربهم راجعون والله غفور رحیم
یحقق لهم رجاءهم ان شاء بعمیم فضله وجسیم طوله عن قتادة هؤلاء خیار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء کما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف
هرب قال شاه الکرمانی علامة الرجاء حسن الطاعة وقیل الرجاء رؤیة الجلال بعین الجمال وقیل قرب القلب من ملاطفة الرب وروی عن لقمان انه
قال لابنه خف الله تعالی خوفا لا تامن فیه مکره وارجه اشد من خوفك قال فکیف استطیع ذلك وانما لی قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن لذو قلبین یخاف
باحدهما ویرجو بالآخر وهذا لانهما من حکم الایمان وهما للمؤمن کالجناحین للطائر اذا استویا استوی الطیر تم فی طیرانه ومن ههنا قیل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ

سؤال کنند ترا از شراب و قمار بگو در هر دو گناهی بزرگ است و منفعتها از برای مردمان و گناه ایشان بزرگتر است از نفع ایشان و سؤال کنند ترا که چه انفاق کنند

قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ

بگو آنچه زیاده از حاجت باشد همچنین ظاهر میسازد خدا برای شما آیات تا شما اندیشه کنید در دنیا و آخرت و سؤال کنند ترا از یتیمان بگو اصلاح

الحزب

لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا

ایشان بهتر است و اگر بیامیزید بایشان پس برادران شمااند و خدا میداند مفسد را از مصلح و اگر خواستی خدا هر آینه بمشقت انداختی شما را بدرستی که خدا غالب با حکمت است و نکاح مکنید

المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن

زنان مشرکه را تا وقتی که ایمان آرند و هر آینه کنیزک مومنه بهتر است از زن مشرکه و اگرچه خوش آید شما را و نکاح مکنید مردان مشرک را تا آنکه ایمان آرند و هر آینه بنده گرویده

خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم

بهتر است از مرد مشرک و هرچند خوش آید شما را آن گروه میخوانند بسوی آتش و خدا میخواند بسوی بهشت و آمرزش بفرمان خود و بیان میکند آیات خود را برای مردم تا ایشان

يتذكرون القراءة اثم كثير بالثاء المثلثة حمزة وعلي الباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو الباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز روى ابو ربيعة عن اصحابه عن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب والهمزة ليدل على اصل الكلمة الوقوف المبسوط للناس قد يجوز مع اتفاق الجملتين لتنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط العفو ط يتفكرون لا لتعلق الجار والاخرة ط اليتامى ط خير ط فاخوانكم ط المصلح ط لاعنتكم ط حكيم يؤمن ط لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم ج لوقوع العارض وان اتفقت الجملتان يؤمنوا ط اعجبكم ط الى النار ج والوصل اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه ج لان جملة والله يدعو بقي بل الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلعطف المستقبل على المستقبل يتذكرون التفسير الحكم الثالث بيان حرمة الخمر والميسر قالوا نزلت في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من اصحابه قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب الحكمة في وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المألوف شديد فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعي بما روى ابو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير هذا دليل ان الخمر عندهم كل ما خامر العقل اي خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المرأة وكذا ما روى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما خص ذكر هذه الاشياء خصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان وكل ما في معناها من ذرة او سلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كان تخصيص الاشياء الستة بخبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا في غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام ثم مراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه كالخمر في الحرمة وهو المراد وعن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل فقال صلى الله عليه وسلم كل شراب مسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء وايضا الايات الواردة في الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرهما بلفظ السكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر كذا في قول عمر ومعاذ الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا بالخمر في علة التحريم وايضا قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن والنبيذ سكر ورزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون الا بالمباح وايضا ما روي في الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا اسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ فشرب واعلم ان المسكر حرام جنسه قل ام كثر نيا او مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاء رجل فسئل عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال اني طبخته وفي نفسي منه شيء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه قال لا قال فان النار لا تحل شيئا وقد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب اذا ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا حد على شاربه الا اذا اسكر وان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فيحرم ويتعلق بشربه الحد يروى ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد ونقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا المقدار الذي

العفو [illegible]

يسكر فانه الحرام ويحد ولا يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل والذرة حلال نيا كان او مطبوخا ولا يحرم منه الا القدح المسكر وذكروا في حد السكران عبارات فعن الشافعي انه الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يفرق بين السماء والارض وقيل الذي يتمايل في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن اي شيء سئلوا فيحتمل انهم سئلوا عن حقيقتهما وماهيتهما ويحتمل انهم سئلوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سئلوا عن حل شربه وحرمته الا انه تعالى لما اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسئلونك عما في تعاطيهما واما كيفية دلالة الآية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ومما يؤكد هذا ان السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزمها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغيره من وجوه الانتفاع والاستعمال وصرح ايضا بان الاثم الحاصل منها اكبر من النفع المتوهم منها عاجلا وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه الآية طلبا لما هو اكد في التحريم لتقنعوا وطلبوا كما التمس ابراهيم مشاهدة احياء الموتى طلبا لمزيد الايقان وهدوا الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما لماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرائع قلت كم من نقص في الاديان السالفة تمم بشرع خاتم النبيين فلعل هذا اللزوم شرعي ويمكن ان يختلف الشرائع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبر مصالح الانسان والميسر القمار مصدر ميسر كالموعد والمرجع من فعله يقال يسرته اي قمرته مشتق من اليسار لانه سلب يساره عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله ومن اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب قال ابن قتيبة الميسر من التجزية والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للضارب بالقداح ياسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور ويقال للواحد يسر اي وجب لياسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام اساميها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء وفي حكم الميسر سائر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وعن علي انه مر بقوم وهم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الا ان الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا عن الرهان وكف اللسان عن الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال او اخذ مال وهذا ليس كذلك ويحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير من السلف واما السبق في النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك لما فيها من التأهب للجهاد والكلام في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء فيعني الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها عدو العقل الذي هو عقال الطبع واشرف خصائص الانسان ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكى بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح وجهه كهيئة المتوضي ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جراءتك فقال ما انا باخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسي سفيههم ومن خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر المعاصي كالزنا وغيره وكفى بقوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ذما لها وتقريرا للاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وكذا الكلام في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا يتغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا ترك المماكسة في الثمن يعد ذلك فضيلة ومكرمة فكان يكثر ارباحهم بذلك السبب قال ابو محجن اقومها زقا بحق يديكم ينال التجار تجرها وتسوقها قال الاطباء في الخمر عشرة منافع خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن البشرة وتطيب النكهة وتزيد في الباه والنفسانية انها تسر النفس وتفرح الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع الميسر التوسعة على ذوي الحاجة لانهم كانوا يفرقونه على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان منافع الخمر والميسر لكونها مظنونة عاجلة اقل من اثمهما لكونه متيقن الحصول الدائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل للعقاب الابدي الذي لا نهاية له الحكم الرابع ويسئلونك ماذا ينفقون وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما امرهم الله ورسوله بحضهم على الانفاق وبينا لهم عظم ثوابه سئلوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه فمعنى العفو ما تيسر وسهل مما يكون فضلا عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو عن الذنب راجعا الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو راجع الى ذلك لان الغالب ان ذلك مما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله وحاصل الامر يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير

والتقتير وعن النبي صلعم انه كان يحبس لاهله قوت سنته وقال صلعم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز
ان يكون العفو هو الزكوات ذكرها هيهنا مجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى راي المكلف وقيل
ان هذا كان قبل نزول اية الصدقات وكانوا مامورين بان ياخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين
الله لكم الايات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستانف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة
فتاخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون
اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا لاختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي
يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس ويسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعن ابن عباس قال لما انزل الله تعم ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله
ان الذين ياكلون انطلق من كان عنده مال اليتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه فجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم
فذكروا ذلك لرسول الله صلعم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتاديب
وصلاح ماله بالتنقية والتثمير لئلا ياكله النفقة والزكوة منه واما الولي فلان احراز الثواب خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه وتفسد
معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من
التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على
تحصيل الخير في الدنيا والاخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد
وان تخالطوهم في الطعام والشرب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعله المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فان هذا
ادخل في حسن العشرة والمؤالفة وقيل المراد بهذه المخالطة اخذ مقدار اجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك اذا انتهينا الى تفسير قوله
تعم ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقيل المراد ان يخالطوا اموال اليتامى باموالهم وانفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية
جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط لليتيم نفسه والشركة خلط لماله والشركة داخلة
في قوله اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا فانه تعم قال بعد هذه الاية
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام لتتاكد الالفة بالمناكحة فان كان
اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها او يعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازي
على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لوليه ان قصر ولو
شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة بان ضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا
وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده
وقد يستدل بالاية على انه تعم لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعم قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات لما جاز ان
يقول لو شاء لاعنتكم ولهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا
المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الاية ابتداء شرع وحكم اخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون
مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلعم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى
امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلعم
فاستامره فنزلت هذه الاية ثم العلماء اختلفوا في الاية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلعم
لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان المتوقف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطي ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعم وانكحوا
الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطي لقوله تعم حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطي
بدليل قوله صلعم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك قال صلعم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم
يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطي فيحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سئلت ابا علي
عن قولهم نكح المراة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته
لم يريدوا غير المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الاية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول
الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون و
لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل
بالاتفاق وايضا النصارى قائلون بالتثليث ليس بانه في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعم صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا

الحكم السادس في النكاح

شرك محض وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اميرا وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان والنبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف ولعله خص ولا ثم عمم هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان مقرون بان اله العالم واحد وانه ليس له في الالهية على خلق العالم وتدبيره شريك ولا نظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه يسمي كل من كان كافرا بانه مشرك التفريع ان قيل المشركات تشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من امن منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا والاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج بيهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات تختص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات وهذا عن الحسن ضعيف لان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين الا ان يقال ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفايا فان وافق سره العلن كان مؤمنا حقا والا كان منافقا جاحدا ولامة مؤمنة هذه اللام في افادة التوكيد تشبه لام القسم المراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مؤمن من اماء الله وعبيده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي لامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة والجواب محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتالف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة والعشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وقد يتولد اضداد ما توقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لاربع لمالها وحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اخر الى ان في الاية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لانه بسبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل وان المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية مظنة الالفة والمحبة في الظاهر وقد يحمل المودة على الاتفاق في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطموح الى اسلام المشرك فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعوا الى الجنة حيث امر بالتزويج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرأ الحسن المغفرة بالرفع على الابتداء اي المغفرة كائنة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الايات تنبيه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون التاويل ان خمر الطاكما تتخذ من اجناس مختلفة

كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه تسكر
النفوس والعقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اثناء
المشاهدات من سبحات تجلي الصفات اذا دارت الكؤوس الجذبات شهوات النفوس تسكر القلوب بالمواجد عن المواجيد والارواح بالشهود على الوجود
والاسرار بمطالعة الجمال من ملاحظة الكمال وهذا شراب حلال لانه فوق عالم التكليف فانه يمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس وملاذ لاهل القرب
والاستيناس شعر فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا قوم
اسكرهم وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقي فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير الكاس الشراب والساقي والمسقي ههنا واحد كما قيل رق
الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح ولاخمر واثمهما الاعراض عن كؤوس الوصال في النهاية اكبر من نفع الطلب العلي في البداية　كانما قدح
اما الميسر فاثمه كبير عند الاخيار وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نفوس العالمين في قربانه نقش الكعبتين
واثمهما اكبر من نفعهما للعوام ونفعهما للخواص وللعوام اكثر من الخواص وبعبارة اخرى الاثم في الخمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع في الخمر الباطن والميسر الباطن لاهل الظاهر　لان انما
اهل الباطن والله اعلم وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا　ع ١٢
و سؤال کنند ترا از حیض زنان بگو که آن رنج است پس دوری کنید از زنان در حال حیض و نزدیکی مکنید ایشان را تا که پاک شوند پس چون
تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ
پاک شوند پس بیائید بایشان از جهتی که فرموده است شما را خدا بدرستیکه خدا دوست دارد توبه کنندگان را و دوست دارد پاکیزگان را زنان شما کشت زار شمااند پس بیائید بکشت زار خود
أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ
هرگونه که خواهید و از پیش فرستید برای خودتان و بپرهیزید از خدا و بدانید که شما رسیدگانید بوی و مژده ده گروندگان را و مگردانید خدا را [illegible] برای سوگندهای خود
أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ
که نیکوئی کنید و پرهیز کنید و صلح کنید در میان مردمان و خدا شنوای داناست [illegible] در سوگندهای شما و لیکن فرا گیرد شما را
بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
بانچه کسب کرده است دلهای شما و خدا آمرزنده بردبار است مر آنها که سوگند میخورند از زنان خود انتظار بردن چهار ماه است پس اگر بازگشتند پس بدرستیکه خدا آمرزنده مهربان
وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ القراءة حتى يطهرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف
و اگر قصد کنند طلاق را پس بدرستیکه خدا شنوای داناست وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة انى بالامالة المفرطة حمزة وعلي
وخلف وقرأ العباس بالامالة اللطيفة كل القراء الباقون بالتفخيم لا يؤاخذكم بلينه كل همزة متحركة ومتحرك ما قبلها مثل يؤخر ويؤده وما اشبه ذلك
بغير همز يزيد وورش والشموني وحمزة في الوقف الوقوف عن المحيض ط اذى لا لان لكونه اذى تاثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض للعطف حتى
يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط للفاء في جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله ط المتطهرين حرث لكم ص لان الفاء للجزاء اي اذا كن حرثا فاتوهن
والاتفاق احسن لاتفاق الجملتان شئتم ز قد يجوز لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين بين الناس ط عليم قلوبكم ط حليم اشهر ج رحيم عليم التفسير الحكم الثاني
ويسألونك عن المحيض قيل انه تعالى جمع في هذا الموضع بين ستة اسولة فذكر الثلاثة الاولى بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان سؤالهم عن تلك
الحوادث وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كلا من تلك السؤالات مبتدأ وسألوا عن الوقائع الاخر في وقت واحد فجيء
بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا وعن كذا روي ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة
حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على
فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرناها
هلكت الحيض فنزلت الاية فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت يعني ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء
فاعتزلوا مجامعتهن ثم اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة
وفوق الركبة والشافعي وابو حنيفة وابو يوسف قالوا يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء
في زمان الحيض ترك العمل بالاية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي الباقي على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي
حائض فقال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء
نعم المحيض الاول مصدر بمعنى الحيض فقوله قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان و
التقدير هو ذو اذى كما قدم قوله هو اذى لترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة يدفعها طبيعة المرأة
من طريق الرحم حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا ولا كذلك دم الاستحاضة حيث لا
يوجب الاعتزال لانه دم صالح يسيل من عرق ينفجر في عنق الرحم ويؤيده ما روي في الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا　رسول الله

امرأة

سورة البقرة

ان امرأة استحاضت فسألته عن الطهر فقال دعي الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي

ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العرق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري ومنه قيل الحوض لان الماء يحيض اليه اي

يسيل والواو والياء من جنس واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد وبرانه يعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة

ومنها المحتدم وهو المحرق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة

وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل

بقاء التكليف وزوالها انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه

على المكلف فايجاب التأمل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها

حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين

فان رأت الصبية دما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعي اعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن لتسع سنين وقيل ان اول

وقت الامكان يدخل بالطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا

تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند

الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما بليلتها القول علي كرم الله وجهه ما زاد على خمسة

عشر فهو استحاضة وعن عطاء رايت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المرأة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر

يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروى انه ما

تمكث احداهن شطر دهرها لا تصلي اشعر ذلك بان اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ستا وسبعا في الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت

جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله بما علمك الله من عادة نساء من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة

اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القران والسجود والغشيان بنص القران والطلاق في حق بعضهن

ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المرأة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري

والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رأته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل

الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرأ يطهرن بالتخفيف فانتهاء

الحرمة عنده انقطاع الدم ومن قرأ يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية

حصول الشيئين معنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتأكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا

نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم

التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المرأة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل

الموضع وتتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند اعواز الماء من حيث امركم الله اي من

المأتي الذي امركم به حللا لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابراهيم وقتادة وعكرمة قال الاصم والزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان

لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر عنهم من ارتكاب

ما نهوا عنه من ذلك بمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه

والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كالنجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس او يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهور التوبة

من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثامن نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فاتوهن من حيث امركم الله لانه دل على ان

الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى المأتى الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كانت اليهود يقولون اذا جامعها

من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي

الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وتحويل الرحل قيل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل

المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان يأتي الرجل المرأة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل

ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث لكم

فأتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات مستلقيات بعد ان يتقى الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل

التشبيه ففرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي هن مواضع حرث فاتوهن كما تأتون اراضيكم

التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه

اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل هو اذى فاعتزلوا اجعل ثبوت الاذى علة للاعتزال لا معنى للاذى الا ما يتأذى الانسان منه بنتن وتلوث

وتنفر الطبع لاذي في الدبر حاصل ابدا فالاعتزال عنه اولى لا الوجوب فمعنى انى شئتم كيف شئتم من قبلها او قائمة او باركة او مضطجعة وقيل انى بمعنى اى فاتوا حرثكم اى وقت شئتم من اوقات الحل يعني اذا لم تكن اجنبية ومحرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس المعنى ان شاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل متى شئتم من ليل ونهار والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث اسم المرأة لا للموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انى لك هذا اى من اين لك فكلمة اين تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتي متعددا وبقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه في حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه الحجج ولو سلم صحتها وانها دلائل الحرمة في القوة فالاجتناب احوط وكيف لا وقد روى عن رسول الله صلعم ملعون من اتى امرأة في دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات غرض التوالد والتناسل الذي به بقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الكائنات لكفى مفسدة ونقصا واذا كان الزنى لكونه مزيلا للنسب محرما وكذا الخمر لكونها دافعة للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا افناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء ولهذا عقبه بقوله وقدموا لانفسكم اى افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الاية اشتملت على الاذن في احد الموضعين والمنع عن الموضع الاخر فكانه قيل لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في بقية الاخلاص وتقديم الطاعة ثم انه اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التاكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلاثة المتوالية لا تحسن الا اذا كان مسبوقة بالنهي عن مشتهى فقوله وقدموا لانفسكم تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من اداب الخلوة وقوله واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذي لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلو الوعيد من الوعد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما اما لانه كالمعلوم من نحو قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات واما لان الغرض نفس البشارة مثل فلان يعطي الحكم التاسع ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهو نهي عن الجرأة على الله بكثرة الحلف فان من اكثر ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة اى معرضا له قال فلا تجعلوني عرضة للوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يبتذله ويستشهد به في غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا علة للنهي اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فاذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد باسمه العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس في صدق لهجته وبعده من الاغراض الفاسدة فعدوه برا متحرزا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى اخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما للشيء الذي يوضع في عرض الطريق فيصير مانعا الناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء ونقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم واصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلعم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اى على شيء مما تحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا فاللام في لايمانكم اما ان يتعلق بالفعل اى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا واما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض يعني لا تجعلوه شيئا يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اى لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع ان حلفتم به عليم بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة فسمي الحلف بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث واللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا يلغو وقال صلعم من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فذهب الشافعي وهو قول عائشة والشعبي وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابي حنيفة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي ومكحول ان اللغو هو ان يحلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة الخلاف ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد من ذلك حجة الشافعي ان الاية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذي يقصده الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما يعتاده الناس في الكلام لا والله وبلى والله فاما اذا حلف على شيء انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن لغوا البتة وايضا انه سبحانه ذكر قبل هذه الاية النهي عن كثرة الحلف فذكر عقيب ذلك حال هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة والمؤاخذة عليهم يفضي اما الى ان يمتنعوا عن الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرنا هو المناسب يؤيده ما روي

مطلب اللغو من اليمين

عائشة عن النبي صلعم انه قال اللغو اليمين قول الرجل في كلامه لا والله وبلى والله وروي انه صلعم مر بقوم يتنصلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت
والله ثم اخطا فقال الذي مع النبي صلعم حنث الرجل يا رسول الله فقال صلعم كل ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة انها قالت ايمان اللغو
ما كان في المزاح والمراء والخصومة التي لا يعقد عليها القلب وا‍ثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق
والعتاق وايضا انه صلعم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل
بين المجد والهازل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة وفعل معصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذ بترك هذه الايمان وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ
اي باقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية عن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله بما تحلفون اذا كفرتم
وقيل هي ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمد اختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي قال معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت في الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه
احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد اي الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس وقال
مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على الشيء
وهو يعلم انه فيه اثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء
المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك ويحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وَاللَّهُ
غَفُورٌ حَلِيمٌ حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تتفكرون او تتوبون عنها الحكم العاشر لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ
يقال في اللغة الى يؤلي ايلاء وائتلى ائتلاء وتالى تاليا والالية والقسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث القدسي آليت ان افعل خلاف المقدرين
الايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطي الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن
المسيب كان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المراة ثم ان اهل الاسلام
كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتامل فان راى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان راى المصلحة في المفارقة
عن المراة فارقها ثم المتعارف ان يقال الى على كذا وانما عدي ههنا بمن لانه اريد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا او ضمن في هذا
القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين والتربص التلبث والانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة
المصدر الى الظرف كقولهم بينهما مسيرة يوم اي مسيرة في يوم فَإِن فَاءُوا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يغفر للمولين
ما عسى يقدمون عليه من طلب الضرار بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل ولغير ذلك
من الاسباب وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ بان عقدوا القلب على حل رابطة النكاح فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم
ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدة هي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه
معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله ويصح بالطلاق والعتاق وايضا
لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في الحد وعند ابي حنيفة يتنصف برق المراة وعند مالك برق الرجل كما في الطلاق ولنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير
هذه المدة ان كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع هو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة و
يصح الايلاء في حالتي الرضاء والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المراة سواء كانت في صلب النكاح او كانت
مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية تصدق عليها انه من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون
من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره لم يصح
ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايلاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة فان آلى
ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المراة رتقاء او قرناء
فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اما الله تعالى وصفاته وغيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها
في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وقول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلائل الدالة على وجوب
الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله لا اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما لم يذكر الكفارة
في الاية لانها مبينة في سائر المواضع من القرآن وعلى لسان الرسول صلعم قوله تعالى فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يدل على عدم العقاب بانه لا ينافي الكفارة كما
التائب عن الزنى والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة
او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد هو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين
بالوطي يحصلان لو وطئ فيكون مما يلزمه بالوطي ما يناله من الوطي ويكون هو بتعليقه بالوطي مضرا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى
يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفيء او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال اصحها ان عليه

علی کفارة الیمین الثانی علیه الوفاء بما سمی والثالث التخییر بین کفارة الیمین بین الوفاء الرکن الثالث المحلوف علیه وهو الجماع وهذا من صرائح الفاظه و کذا النیاک والوطی والاصابة ومن کنایاتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنیة الرکن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا یکون مولیا حتی یحلف ان لا یطأها ابدا وعن الحسن واسحق انه مولی ان حلف یوما وهذان المذهبان فی غایة البعد وعن ابی حنیفة والثوری انه لا یکون مولیا حتی یحلف علی ان لا یطأها اربعة اشهر اجل الاربعة اشهر وهذه المدة یکون حقا للزوج فاذا امضت طالبت المرأة الزوج بالفیئة او الطلاق فان امتنع الزوج منهما طلقها الحاکم علیه وعند ابی حنیفة اذا امضت اربعة اشهر یقع الطلاق بنفسه حجة الشافعی ان الفاء فی قوله فان فاؤا یقتضی کون ما بعده من حکمی الفیئة والطلاق مشروعا متراخیا عن انقضاء الاشهر الاربعة وایضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سمیع صریح فی ان وقوع الطلاق انما یکون بایقاع الزوج فی ان الزوج لا بد ان یصدر عنه شئ یکون مسموعا وما ذاک الا ایقاع الطلاق اجاب ابو حنیفة بان قوله فان فاؤا تفصیل للحکم المتقدم کما تقول انا نزیلکم هذا الشهر فان احمدتکم اقمت عندکم الی آخره والا لم اقم الا ریثما اتحول وایضا الایلاء طلاق فی نفسه فالطلاق اشارة الیه وایضا الغالب ان العازم للطلاق وترک الفیئة لا یخلو من مقاولة ودمدمة وحدیث نفس فذلک الذی یسمعه الله کما یسمع وسوسة الشیطان واستدل علی صحة مذهبه ان الفیئة لا بد ان تقع فی الاشهر بقراءة عبدالله بن مسعود فان فاؤا فیهن ورد بانها شاذة فلا معول علیها والرجوع الی الحق اولی الله حسبی التأویل کان للنساء محیضا فی الظاهر وهو سبب نقصان ایمانهن یمنعهن عن الصلوة والصیام فکذا للرجال محیض فی الباطن وهو سبب نقصان ایمانهم یمنعهم عن حقیقة الصلوة وهی المناجاة وعن حقیقة الصوم وهی الامساک عن مشتهیات النفوس وکان المحیض هو غلبة الدم فکذلک الهوی هو غلبات دواعی الصفات البشریة والحاجات الانسانیة فکلما غلب الهوی تکدر الصفاء وحصل الاذی وقد قیل قطرة من الهوی یکدر بحرا من الصفاء ولذلک نودی من سرادقات الجلال ان اعتزلوا الرجال عن لوث النساء النفوس فی محیض غلبات الهوی حتی یطهرن یغتسلن عن مقتضیات الحوائج الضروریة للانسان من المأکول والمشروب والمنکوح فاذا تطهرن بماء التوبة والانابة ورجعن الی الحضرة فی طلب القربة فأتوهن من حیث امرکم الله یعنی طهوا شواهد الحق لزهوق باطل النفس واضمحلال هواها ان الله یحب التوابین عن الوجود ویحب المتطهرین باخلاق المعبود بل یحب التوابین عن بقاء الوجود ویحب المتطهرین ببقاء الشهود نساؤکم حرث لکم الرجال البالغون الواصلون الی عالم الحقیقة المتصرفون فیما سوی الله بخلاف الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبیاء والاولیاء القائمون بالله الداعون الی الله باذنه فکان الدنیا مزرعة الآخرة للقوم فالدنیا والآخرة مزرعتهم ومحروثهم یحرثون فیها انی شاؤا وکیف شاؤا وما یشاؤن الا ان یشاء الله فقد ثبت مشیئتهم فی مشیئته تعالی وبقیت قدرة تصرفهم بقوته لا یؤاخذکم الله القلب کالارض للزراعة والجوارح کالآلات الحراثة والاعمال والاقوال کالبذر فالبذر ما لم یقع فی الارض المرتبة للزراعة لا ینبت وان کان فی الآن من الآلات الحراثة اما ان کان لما یجری علی الظواهر من الجوارح اثر فی القلب ولو کان مثقال ذرة فان الله تعالی من کمال فضله وکرمه لا یضیعه بل یضاعفه وان کان ما یجری علیه فی الظاهر شرا فان لم یکن له اثر فی القلب کان لغوا لا یؤاخذه وان کان له اثر فی القلب فهو بصدد المؤاخذة وان شاء الله عفره للذین یؤلون من نسائهم من وقع له من اهل القصة وقفة وفترة فی اسناء السلوک من ملامة النفس ونفرة الطبع فعلی الشیخ والاصحاب لا یعادونه فی الحقیقة ویعادونه بالظاهر العلیة وتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنین کما جاء فی الحدیث ان خلق احدکم یجمع فی بطن امه اربعین یوما ثم یکون علقة مثل ذلک ثم یکون مضغة مثل ذلک الی آخره فان فاؤا الفیئة الی صدق الطلب ورعایة حق الصحبة ونفخ فیه روح الارادة مرة اخری کالحظوة بعین القبول فان هذا ربیع لا یرعاه الا ابرهاه الا الطیر ولون ربع لا یسکنه الا المعزولون بل شراب لا یعذوقه الا العارفون وغناء لا یطرب علیه الا العاشقون وان عزموا الطلاق لعزمه علی طلاق المواصلة فان الله سمیع لمقالتهم علیم بحالهم وهو حسبی

والمطلقت یتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا یحل لهن ان یکتمن ما خلق الله فی ارحامهن ان کن

وزنان طلاق داده شده انتظار کشند بنفسهای خود سه ... پاکی ... و روا نباشد مر ایشان را که پوشیده کنند آنچه را که آفریده است خدا در رحمهای ایشان اگر باشند

یؤمن بالله والیوم الاخر وبعولتهن احق بردهن فی ذلک ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذی علیهن بالمعروف

که میگروند بخدا و روز پسین و شوهران ایشان سزاوارترند بر گردانیدن ایشان در این اگر خواسته باشند اصلاح کردن و مر ایشان راست مانند حقهای مردان بر زنان به نیکوئی

ع ١٣ وللرجال علیهن درجة والله عزیز حکیم الطلاق مرتان فامساک بمعروف او تسریح باحسان ولا یحل لکم ان

و مر مردان را بر زنان افزونی مرتبه و خدا غالب و استوارکار است طلاق شمرده دو بار است پس نگاه داشتن به نیکوئی یا رها کردن به خوبی و روا نیست مر شما را که

تاخذوا مما اتیتموهن شیئا الا ان یخافا الا یقیما حدود الله فان خفتم الا یقیما حدود الله فلا جناح علیهما

که فرا گیرید از آنچه که دادید بایشان چیزی مگر آنکه بترسند آنکه بر پای ندارند احکام خدای پس اگر بترسید که بر پای ندارند احکام خدای را پس نیست باکی بر ایشان

فیما افتدت به تلک حدود الله فلا تعتدوها ومن یتعد حدود الله فاولئک هم الظلمون فان طلقها فلا تحل له

در چیزی که زن بدهد عوض خود این است احکامهای خدا پس از حد در مگذرید در آن و هر که از حد در گذرد از احکام خدا پس آن گروه ایشانند ستمکاران پس اگر طلاق داد او را پس روا نیست مر او را

من بعد حتی تنکح زوجا غیره فان طلقها فلا جناح علیهما ان یتراجعا ان ظنا ان یقیما حدود الله وتلک حدود الله

از پس طلاق سیوم تا آنکه نکاح کند مر دیگری غیر از آن پس اگر آن دیگر طلاق داد او را پس باکی نیست بر ایشان اگر باز گردند اگر گمان دارند که بر پای دارند احکام خدا را و این است احکام خدا

یبینها لقوم یعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسکوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسکوهن

سورة البقرة

ع ١٤

ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ

ضرر رسانند تا که عدت را دراز کنند و هر که بکند این پس ستم کرده است بر نفس خود و مگیرید آیات خدا را استهزا و یاد کنید نعمت خدا را که بر شماست و آنچه فرستاد

مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

از کتاب و حکمت پند می‌دهد شما را به آن و بپرهیزید از خدا و بدانید که خدا به همه چیزی داناست و چون طلاق دادید زنان را پس رسیدند به غایت مدت خویش پس

تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ

منع مکنید ایشان را که نکاح کنند شوهران خود را اگر راضی شوند در میان خود به نیکویی این است که پند داده شود به آن هر که باشد از شما که بگرود به خدا و روز واپسین این پاکیزه‌تر است

لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ القراءة ان يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء بينهما بالنون المفصل الباقون بياء

مر شما را و پاک‌تر و خدا می‌داند و شما نمی‌دانید

الغيبة يفعل ذلك مدغما حيث كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهرا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم

غيرالاعشى الوقوف قروء ط الآخر ط اصلاحا ط بالمعروف ص لعطف المتفقتين ولا تمام المقصود في تفضيل الرجال درجة ط حكيم مرتان ص لطف المتفقتين باحسان ط حدود الله الاول ط افتدت به ط تعتدوها ج الظالمون ربع الجزء غيره ط لان الطلاق للزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر معهود كان خارجا من مقتضى الجملة الاولى ان يقيما حدود الله ط يعلمون ٥ وسرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا ط لطول ما بعد يعظكم به ط بالمعروف ط الآخر ط واطهر ط لا تعلمون ٥ التفسير الحكم الحادي عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهي التي وقع الطلاق عليها اما ان يكون اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان يكون منكوحة وحينئذ اما ان لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان يكون مدخولا بها وحينئذ ان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل قال تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت حائلا فان امتنع الحيض في حقها اما للصغر المفرط والكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله سبحانه واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن وان كان الحيض في حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرءان وان كانت حرة فعدتها ثلاثة اقراء لهذه الآية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخولة بها من ذوات الحيض الحائل فهذا العام انما يحسن تخصيصه اذا كان الباقي اكثر من حيث انه جرت العادة بالطلاق بلفظ الكل على الغالب لا المغلوب فيقال الثوب اسود اذا كان الغالب عليه السواد لا البياض وههنا الباقي قسم الواحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه انا نقول اما الاجنبية فتخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل والآيسة لان ايجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث تحصل الاقراء ولا اقراء في حقها واما الرقيقة فندرتها كالنادر فثبت ان اللفظ باق على تناوله الاغلب انما لم يقل فلتتربص المطلقات بل اخرج الامر في صورة الخبر اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عنه موجودا وبناء الكلام على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تأكيد تقوّ ولو قيل يتربصن المطلقات لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن ثلاثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء طوامح الى الرجال نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن القروء جمع قرء وقرء بفتح القاف وضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما اما لان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيدة واما لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابي عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلاثة اشياء تسمى قروءا لكن العلماء اجمعوا على ان الثلاثة يجب ان يكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد في رواية وقال عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول ابي حنيفة والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او تتيمم عند عدم الماء او يمضي عليها وقت صلوة حجة الشافعي قوله فطلقوهن لعدتهن اي في زمان عدتهن واجيب بان معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلاث بقين من الشهر اي مستقبلا الثلاث وقيل هذا يقوي مسئلة الشافعي لان قول القائل لثلاث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلاث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عائشة انها قالت هل تدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي النساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع اكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر اذ لو لم تمتلئ بذلك الفاضل لما سال الى الخارج فمن اول الطهر اخذ في الاجتماع والازدياد الى آخره والآخر هو حال كمال الاجتماع فآخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا الاعتداد بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى

فعدتهن

[illegible]

هذا الاصل وفي قوله تع ثلثة قروء نص الاية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى قروء خرجت عن العهدة فيكون متمكنة من الاعتداد بالاطهار التي
مدتها اقل من الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله ص دعي الصلوة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان
الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان اطلاق الطهر الكامل على بعض الطهر خلاف الظاهر
واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات فيكون حكم الله تع في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولهم
المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص مضي ثلثة قروء او على الظرف اي مدة ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون
كل واحد من الجمعين مكان الاخر ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء اكثر استعمالا فانزل القليل منزلة المهمل فيكون مثل
قولهم ثلثة شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة
ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي
اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فانقضى طهرها بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما
وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها لحصول ثلثة اطهار فمتى ادعت هذا او اكثر
منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانها اما كتمان الحمل فاذا
كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج اخر واحبت ان تلصق ولدها بالزوج الثاني
واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها
لتبطل رجعته فاذا حاضت ولا تكتمه ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وهكذا ان كتمت الحيضة الثالثة
واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل
المعنى على ما هو شريف اولى لقوله تع هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الاية وردت عقيب ذكر الاقراء
ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللائي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية
عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن ان من امن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان من جعل امينا في شيء
فخان فيه فامره عند الله شديد الحكم الثاني للطلاق الرجعة وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتأكيد التأنيث
في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع انما هو مقصور على السماع يقال للمرأة ايضا بعل وبعلة كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من
بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن
احق بردهن برجعتهن قال تع في موضع ولئن رددت الى ربي وفي موضع اخر ولئن رجعت فكانه يردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك
اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما يكون البعولة احق عند الله تع برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم
وبينهن واحسانا اليهن لا الاضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فلو راجعها لقصد المضارة استوجب من الله العقاب وان صحت
رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة
وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى بالاحقية ونقول لهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن اخر فاذا فعلن ذلك كان
الزوج الاول احق بردهن وان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع
وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونهما من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت
ثيابه او خبزت لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله ص اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر
وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن
فرشكم من تكرهون ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامرأتي
كما تتزين لي لقوله تع ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الاية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج دروجا اي مشى
ودرجا اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء
في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيبه من المغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها ويتسرى و
ليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المرأة ام ابت ولا قدرة للمرأة على التطليق ولا على الرجعة فاذن المرأة كالاسير العاجز في يد
الرجل ولهذا قال ص استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر اخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة وذلك ان من كانت نعمة الله

عليه أكثر كان أصدق والذنب عنه أقبح واستحقاقه للزجر أشد وقيل بل الغرض من الآية أن فوائد الزوجية هي السكن والازدواج والألفة والمودة واشتباك
الأنساب واستكثار الأعوان والأحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن أن يقال نصيب المرأة منها أوفر ثم إن الزوج خص
بأنواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المرأة أشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون
هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم وعن النبي ص لو أمرت أحدا بالسجود لغير الله لأمرت
المرأة بالسجود لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع مصيب في أفعاله وأحكامه لا يتطرق إليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث للطلاق
هو الطلاق الذي يثبت فيه الرجوع وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل أن تنقضي عدتها ولو طلقها ألف مرة كانت القدرة على
المراجعة ثابتة له فجاءت امرأة إلى عائشة فشكت أن زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عائشة ذلك لرسول الله ص فنزل الطلاق مرتان
فعلى هذا يكون الآية متعلقة بما قبلها والمعنى أن الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثلاث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلاث وهو
مذهب الشافعي وهو اللائق بنظم الكلام لأنه تعالى بين في الآية الأولى أن حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر أن ذلك الحق ثابت دائما أو إلى غاية معينة فكان
ذلك كالمجمل والعام فيفتقر إلى مبين أو مخصص فذكر عقيبه أن الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو أن يوجد طلقتان فقط
فإذا وصلت التطليقة إلى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل إن هذا كلام مبتدأ والمعنى أن التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين أي
كرة بعد كرة وقولهم لبيك وسعديك في هذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلاث حرام وزعم أبو زيد الدبوسي في الأسرار أن هذا هو قول عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وأبي موسى الأشعري وأبي الدرداء وحذيفة رض ويؤكده العدول عن لفظ الأمر
طلقوا مرتين أي دفعتين إلى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها اثنتين أو ثلاثا لا يقع إلا واحدة وهذا هو الأقيس
واختاره كثير من علماء أهل البيت لأن النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في إدخال تلك المفسدة في الوجود
ومنهم من قال وهو اختيار أبي حنيفة إنه وإن كان محرما إلا أنه يقع ويكون بدعة والسنة أن لا يوقع عليها إلا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه
بناء على أن النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها بين يدي رسول الله ص فلم ينكر عليه ومما
يؤكد مذهب أبي حنيفة حديث ابن عمر أن رسول الله ص قال له إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة أما قوله فإمساك
بمعروف أو تسريح بإحسان أي أمركم بعد معرفة كيفية التطليق أحد هذين فالتسريح الإرسال والإطلاق والإمساك نقيضه ومعنى الإمساك بالمعروف
هو أن يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الإصلاح ومعنى التسريح بإحسان قيل هو أن يوقع عليها الطلقة الثالثة روي أنه لما نزل قوله تعالى الطلاق
مرتان قيل له ص فأين الثالثة فقال هو قوله أو تسريح بإحسان وقيل هو أن يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو
أقرب لولا الخبر الذي رويناه لأن الفاء في قوله فإن طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متأخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة
الثالثة لكان قوله فإن طلقها طلقة رابعة وإنه غير جائز وأيضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الأقسام لأنه بعد الطلقة الثانية
إما أن يراجعها وهو قوله فإمساك بمعروف ولا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله أو تسريح بإحسان أو يطلقها
وذلك قوله فإن طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم إهمال أحد الأقسام وتكرير بعضها وأما الحكمة في إثبات حق الرجعة فهي أن النعم مجهولة
إذا فقدت عرفت فلو كان الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما تظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم إن كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة
فلهذا أثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الإنسان أحوال قلبه فإن كان الأصلح إمساكها راجعها وأمسكها بالمعروف وإن كان الأصلح
تسريحها سرحها على أحسن الوجوه وهو أن يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل
على كمال رأفته بعبيده الحكم الرابع من أحكام الطلاق بيان الخلع وذلك قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا مما أعطاها من المهر والثياب
وسائر ما تفضل به عليها لأنه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما أعطاها إلا إذا فارقها على عوض وبذل فهذا نهي عن أن يضيق عليها
ليلجئها إلى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للأزواج وفي قوله فإن خفتم
للأئمة والحكام ويجوز أن يكون الخطاب الأول أيضا للأئمة لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون روي
أن الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي وفي سنن أبي داود أن المرأة كانت حبيبة بنت سهل الأنصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه أشد البغض وكان يحبها أشد الحب فأتت رسول الله ص وقالت فرق بيني وبينه فوالله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر
في الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي
الحديقة التي أعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وأزيده فقال ص لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل
كان ذلك أول خلع في الإسلام ومعنى قوله إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله إلا أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية
واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس أنه لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله

ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اى فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت وفيما افتدت به فيما افتدت نفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها ولقوله ص لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وازيده لان ذلك اجحاف بجانب المرأة و ضرار بالمرأة بعد ما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا يأخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمرأة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ويؤكد هذا بما روي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بمالها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك انه كانت فيهما درتان قيمتهما اربعون الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق وكانت تكره صحبته لسوء خلقه ودينه كما في الآية وان وقع وتحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها من الكراهة فافتدت لتتخلص منه وان كان الزوج يكره صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان نافذا والزوج مأثوم بما فعل والخلع المباح هو ان تكون المرأة بحيث تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطعه اعتدى عليها ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف من موص جنفا ومن قرأ الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من الف الضمير بدل الاشتمال مثل خيفة زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينتقص به العدد واذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل ويروى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجهه انها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع واذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يرد عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه فسخ لا ينتقص به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر يروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد قال عقيبه تلك فان طلقها فلا تحل له من بعد لكان الطلاق اربعا ولان النبي ص اذن لثابت في مخالعة امرأته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض في الطهر الذي حصل الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي ص عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها على قرء واحد تلك اى المذكورات من احكام الطلاق حدود الله فلا تعتدوها فلا تتجاوزوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد كيف والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين ثم انه ظلم من الانسان على نفسه حيث قدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المرأة عدتها او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف او التسريح باحسان او اخذ من جملة ما آتاها شيئا الا بسبب نشوز من جهة المرأة الحكم الخامس من احكام الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق الرجعة وذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والسبب في ايقاع آية الخلع بين آية الرجعة وبين هذه بعد ما مر من مناسبتها للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اى لها زوج منهم هذا عند من يفسر قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي هو الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف بالتكرير في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطء لان قوله زوجا يدل على العقد وقد نقلنا هذا عن ابي علي فيما سلف في تفسير قوله ولا تنكحوا المشركات ويؤيده هذا ما روي عن عائشة ان امرأة رفاعة جاءت الى النبي ص فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله ص اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انثت لان من العرب من يؤنث العسل وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله ص فاتت ابا بكر فقالت أأرجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر ان تتزوج زوجته برجل آخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي ص ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته واحدة او ثنتين ثم نكحت زوجا آخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد يملك عليها الا الطلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة حتى

انها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل يملك عليها ثلثا كما لو نكحت وجا بعد ثلث وان تزوج
لغير بالمطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها
اذا احلها للاول ففيه قولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح
صحيح ويكره ذلك ويأثم به وقال مالك واحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطي لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اي الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح
عليهما على المرأة المطلقة والزوج الاول في ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كانا عليه من النكاح فهذا تراجع لغوي وظاهر الاية يقتضي ان محل التراجع
الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة فاء التعقيب في قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى
ان النكاح ههنا بمعنى العقد وانما التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطي لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب ان الاية مخصوصة بقوله تعالى
والمطلقات يتربصن ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما وفي عزمهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما ولا يجوز ان يفسر
الظن ههنا بالعلم لان اليقين في الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوز منها او اضرار منه
فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا ومن قرأ نبينها بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأ بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها
ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها عامة يتطرق فيها التخصيص وذلك يعرف
بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت هي حدود الله وسيبينها الله على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تعالى وانزلنا اليك
الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى لما بين الاحكام المهمة للطلاق استانف لحكمي الامساك والتسريح
ببيانين اخرين في ايتين متعاقبتين لان جملة الامرين في الطلاق يؤول الى احد هذين الاول قوله سبحانه واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل ويتسع في البلوغ
ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقول الرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذي
يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له
عليها فامسكوهن بمعروف فراجعوها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف فخلوها حتى تنقضي عدتها وتبين لما امر بعد الطلاق
باحد الامرين استانف حكم كل منهما وقدم حكم الامساك على طريقة النهي لان الامر لان المأمور يمتثل مرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه
ان يضارها في الاستقبال والنهي لا يمتثل الا اذا انتهى في كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة تشتمل على
النفرة والعداوة كلها وروي ان الرجل كان يطلق المرأة ثم يدعها فاذا قاربت انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة لتصير تسعة اشهر او اكثر
وقيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر هذه الافعال رجاء ان تختلع المرأة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا اي
تضاروهن ليكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون عصاة
لتلك المعصية وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله وبتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا
فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه ولا في معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد
لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا آيات الله هزوا من قربانه يجب طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة في ابواب العدة
والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتمسك بها كان كالمستهزئ بها او المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما يتهاون بما يكون من باب الهزء والعبث عن
ابي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى ان المستغفر من الذنب ان كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بآيات
الله ثم انه تعالى لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا في ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدأ اولا بذكرها على الاجمال فقال
واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة الله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم خصص نعم الدين بالذكر لانها
فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم في محل النصب حالا مما انزل
او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتدأ وقوله يعظكم به خبر واتقوا الله في اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم
فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثاني هو حكم المرأة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بلوغ الاجل ههنا
على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في
عصبة والخطاب للازواج الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن اذا تراضوا اي الرجال والنساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول

قبل بمهر المثل وفرعوا عليه مسئلة فقهية توافق مذهب ابي حنيفة وهي انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يتعرض عليها بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء ولان النساء والعشيرة يتضررون بذلك فقد يعيرهم ويوهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها وزوجتكها ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الاية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد والسدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت والاحسن بان رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد لا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا يبقى بين الشرط والجزاء مناسبة قالوا الذين يعضلون بعد انقضاء العدة قدرة للزوج على عضل المرأة والجواب انه قد يقدم على الظلم وقد يجحد الطلاق او يدعي انه كان راجعها في العدة او يدس الى من يخطبها بالوعيد والتهديد ويسيء اليها حتى ينفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا يمنعونهن من العود الى الرجال الذين كانوا ازواجا لهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يؤول اليه فالمراد من يردن ان يتزوجهم فيكونوا ازواجا لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالاية في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمرأة ان تتزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح وهذا مبني على ان الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن لكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا في الزوج وايضا فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه مهما عضل انعزل فاذا انعزل لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه ويتأكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى المتسبب مثل بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا لدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول ولكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر تخصيص لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر من ادناس الاثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او يشتبه المصلحة بالمفسدة فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله ولي التوفيق التأويل انه سبحانه من كمال الكرم والاستغناء اذا صدر من العبد ما يوجب التشوش والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرائط الوفاء ويتحرك الداعية في صميم قلبه من نتائج محبة ربه اذ لم يكن له ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلب منا فلاحا فليلازم عتبتنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حقوق في ذمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق برعاية الحق فيتقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بد حجة بل بسحاب غير متناهية والله عزيز اعز من ان يراعي العباد مع عجزهم كمال الحقوق حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما ليس في وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني اهل الصحبة لا يفارقون بجريمة وجريمتين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد ذلك عن افعاله وسئم ذلك الصديق وامثاله ورجع الى صحبة اشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان ان يعضله من صحبة الاقران فبان ان الله تعالى يتجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الوفاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه الا ان يؤدي الى مداهنة واهمال حق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله ولي التوفيق

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

ومادران شیر میدهند فرزندان خود را در مدت دو سال تمام آن برای کسی که بخواهد که تمام کند شیر دادن را و بر پدر که فرزند مر او راست روزی ایشان و پوشش ایشان

بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ

بطور معروف تکلیف نمیشود هیچ نفسی مگر بقدر وسعت آن ضرر نرسد بولد او و نه پدر بفرزند خویش و بر وارث هست مانند همین

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ

پس اگر خواستند جدا کردن از شیر برضای هر دو و مشورت یکدیگر پس گناه نیست برایشان و اگر خواستید که دایه دهید تا شیر دهند فرزندان شما را پس باکی نیست

عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ
بر شما چون تسلیم کردید بر وضع پسندیده آنچه را داده اید و بپرهیزید از خدا و بدانید که بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست و آنان که میمیرند از شما
وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ
و وا گذارند زنهارا فرمان نیابت که انتظار دارند خود را در مدت چهار ماه و ده روز پس چون رسیدند بمدتهای خود پس باکی نیست بر شما در آنچه کرده اند
فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ ع
در نفسهای خود بوضع پسندیده و خدا بآنچه میکنید با خبرست و باکی نیست بر شما در آنچه تعریض بان از خواستگاری زنان یا نهان کردید
فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا
در نفسهای خود دانسته است خدا که شما زود است که یاد کنید ایشان را ولیکن وعده مدهید ایشانرا در خفیه مگر آنکه بگوئید گفتاری شناخته شده و آماده نشوید
عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
بستن نکاح را تا آنکه برسد مدت عده باخر و بدانید که بدرستی که خدا میداند آنچه در ضمیر شماست پس بترسید از او و بدانید که خدا آمرزنده
حَلِيمٌ ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ
بردبارست نیست باکی بر شما اگر طلاق دهید زنهارا مادامیکه مباشرت نکرده اید ایشانرا یا قرار دهید برای ایشان حصه و بهره دهید ایشانرا بر مالدار است اندازه خودش و
عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً
بر تنگدست اندازه او بهره دادنی بوضع پسندیده ثابت است بر نیکوکاران و اگر طلاق دهید زنانرا پیش از آنکه مباشرت کنید با ایشان و حال آنکه قرار داده اید برای ایشان مهری
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ
پس نصف آنچه قرار داده اید ثابتست مگر آنکه در گذرند زنان یا در گذرد آنکه در دست اوست بستن نکاح و در گذشتن از آن نزدیکتر است بپرهیزکاری و فراموش مکنید فضل را
بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ القراءات لا تضار بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء ولا خلاف في قوله
در میان خودتان بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست في قوله ولا يضار كاتب بالفتح ما آتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون
بضم الياء النساء او وهي رواية عاصم علي وحمزة وخلف وابن عامر الباقون النساء يوروي الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النساء او تماسوهن حيث
وقعت علي وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وروح وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالاسكان
الوقوف الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك ج عليهما ط لابتداء الحكم في استرضاع الاجنبية بالمعروف ط بصير
وعشرا ج بالمعروف ط خبير في انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه ج للفصل بين موجبي الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا تقدير
غفور حليم فاحذروه والوقف اليق حليم فريضة ج لعطف المختلفتين ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المامور
في الاولى قدره الثاني ج لان متاعا مصدر متعوهن الوقف لبيان انه غير متصل بما يليه من الجملتين العارضتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع
اي متاعا حقا ويصلح مصدر المحذوف اي حق ذلك حقا المحسنين النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير التفسير الحكم الثاني عشر الارضاع والوالدات قيل هي المطلقات
والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات ولهذا ذكرت عقيب آية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المفضي
الى ايذاء الولد لمنافي الزوج وربما رغبت في التزوج بزوج آخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشأنهم
وايضا انه تعالى قال في الآية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك للزوجية لا للرضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط
الاولى ان يحمل على المزوجات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فاذا
اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب
الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن
لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر
ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة عن نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يجب على الام
اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه ولم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اي عامين التركيب يدل على الانقلاب فالحول ينقلب
من الوقت الاول الى الثاني كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة وقد يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الآخر فليس التحديد
بايجاب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع واللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده
اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود
من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاعة فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الآخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا
على ان يفطما قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا للرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فعلم من التحديد ان

لا رضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي وبه قال علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لنا حيث انهما في التاويل اي في المصدر لان كلمة ما تارة تقع مصدرية فلا تنصب وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم انما قيل المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدين انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال ص الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الاباء فيجب عليهم رعاية مصالحهم كما قيل كله لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضاروا وفيه المعروف في هذا الباب قد يكون محدودا بالشرط وعقد وقد يكون غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك قاصرا عن قدر الكفاية لحقها ضرر من الجوع والعري ويتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الآية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة فانه يستاجر المرأة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام قيل اصله من الكلف وهو اثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة من قرا لا تضار بالرفع فعلى الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر او تضارر بفتحها ومن قرا بالفتح فعلى النهي صريحا ويحتمل البناءين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط في شان الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ويكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان مبنيا للمفعول فهيا عن ان يلحقها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده وتفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في شانها فتقصر هي في حق الولد انما قيل بولدها وبولده لان المرأة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه كذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه قولان من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة واحتمل في الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب قوله تعالى وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه فيجب عليه عند موت الاب كل ما كان واجبا على الاب هذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات دون الام والاخوة من الام وهو قول عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابرهيم وقيل هو وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث وهو قول قتادة وابن ابي ليلى وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد من الوارث هو الصبي نفسه انه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما وليس من باب المفاعلة وانما هو مثل التثني على بناء كالعفار والاباء ووجه ذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم انه يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا عن تراض منهما وتشاور مع ارباب التجارب واصحاب الراي فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقص منهما لقوة بنيته وسعة بعد التحديد ذلك لان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل من اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة وح يبعد موافقة الكل على ما يكون فيه اضرار الولد وان اتفقوا على الفطام قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرحمن بالطفل الضعيف ومع اجتماع الشروط لم يصرح بالاذن بل رفع الحرج فقط لما بين حكم الام وانها احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي بزيادة السين مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به وعن الواحدي التقدير ان تسترضعوا لاولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت بزوج اخر فقيامها بحق ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع ليتزوج بها زوج اخر ومنها ان تأبى المرأة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجدنا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول عن الام الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اتيتمو

المرأة

سورة البقرة

في عدة الوفاة

المرأة أي ظائراً ويتم بناءه مثل أتممت الصلاة ومن قرأ ما أتيتم بالقصر فهو من أتى إليه إحساناً إذا فعله كقوله إنه كان وعده مأتياً أي مفعولاً وروى
شيبان عن عاصم ما أوتيتم أي ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة وليس التسليم شرطاً للجواز والصحة وإنما هو ندب إلى الأولى وفيه حث على أن الذي
يعطي المرضعة يجب أن يكون يداً بيد حتى يكون أهنأ وأطيب لنفسها فيحتاط في شأن الصبي ولهذا قيد التسليم بأن يكون بالمعروف وهو أن يكونوا مستبشري
الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن قطعاً لمعاذيرهن ثم أكد الجميع بأن ختم الآية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا
أن الله بما تعملون بصير. الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الأنفس حين موتها وأصل
التوفي أخذ الشيء كاملاً وافياً ويبنى للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى أجله ورزقه وعليه قراءة علي يتوفون بفتح الياء والذي
يحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله كان أحد الأسباب الباعثة لعلي على أن أمره بأن يضع
كتاباً في النحو فلعل السبب فيه أن ذلك الشخص لم يكن بليغاً وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على معارف الأوساط ويذرون
يتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والأزواج ههنا النساء يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر مثل قوله يتربصن
بأنفسهن ثلاثة قروء وقد مر وعشراً أي يعتددن هذه المدة وهي أربعة أشهر وعشر أيام وإنما قيل عشراً ذهاباً إلى الليالي والأيام داخلة معها قاله
في الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام وقيل في سبب التغليب أن مبدأ الشهر من الليل والأوائل أقوى من الثواني وقيل
هذه الأيام أيام الحزن وأيام المكروه خليق أن تسمى ليالي استعارة أو المراد عشر مدد كل منها يوم بليلة وذهب الأوزاعي والأصم إلى ظاهر الآية وقالا إذا
انقضت لها أربعة أشهر وعشر ليال حلت للأزواج ونقل عن أبي العالية أنه سئل لم ضم إلى الأربعة العشر فقال لأن الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الأربعة
قلت ولعل هذا من الأمور التي لا يعقل معناها كأعداد الركعات ونصب الزكوات وإنما الله ورسوله أعلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امرأة مات
زوجها إلا إذا كانت أمة فإن عدتها نصف عدة الحرة عند أكثر الفقهاء وعن الأصم أن عدتها عدة الحرة تمسكاً بظاهر عموم الآية وقياساً على وضع الحمل
وإلا إذا كانت المرأة حاملاً فإنها إذا وضعت الحمل حلت وإن كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ولو زعم
قائل أن ذلك في الطلاق فليعول على قصة سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حللت فانكحي من شئت وعن علي
أنها تتربص أبعد الأجلين ولا فرق في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الأقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول
ورد بعموم الآية ولهذا أيضاً لم يفرق بين أن ترى المعتدة في المدة المذكورة دم الحيض على عادتها أو لا تراه خلافاً لمالك فإنه قال لا تنقضي عدتها حتى ترى
عادتها من الحيض في تلك الأيام مثل التي كانت عادتها فإن كانت عادتها أن تحيض في كل شهر مرة فعليها في عدة الوفاة أربع حيض وإن كانت عادتها أن
تحيض في كل شهرين مرة فعليها حيضتان وإن كانت عادتها أن تحيض في كل أربعة أشهر مرة يكفيها حيض واحد وإن كانت عادتها أن تحيض في كل خمسة
أشهر مرة فههنا يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعي أنها إن ارتابت استبرأت نفسها من الريبة كما أن ذات الأقراء لو ارتابت وجب عليها أن تحتاط وتعتبر
المدة بالهلال ما أمكن فإن مات الزوج في خلال شهر هلالي والباقي أكثر من عشرة أيام فتعد ما بقي وتحسب ثلاثة أشهر بعده بالأهلة وتكمل ذلك الباقي
ثلاثين وتضم بها عشرة أيام فإذا انتهت من اليوم الأخير إلى الوقت الذي مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وإن كان الباقي دون عشرة أيام فتعده وتحسب
أربعة أشهر بالأهلة وتكمل الباقي عشرة من الشهر السادس وإن كان الباقي عشرة أيام فتعتد بها وبأربعة أشهر بالأهلة بعدها وإن انطبق الموت على أول الهلال
فتعتد بأربعة أشهر بالأهلة وبعشرة أيام من الشهر الخامس واختلفوا في أن هذه المدة سببها الوفاة أو العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قول الشافعي
أنها ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الأيام في العدة لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها يقين موته وطلاقه وأيضاً فالنكاح
معلوم بيقين فلا يزال إلا بيقين وقال الأكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة أو أكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب أن تعتد بما انقضى والدليل
عليه أن الصغيرة التي لا علم لها تكفي في انقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالإجماع والامتناع عن الخروج
عن منزلها إلا عند الضرورة والحاجة والإحداد ويعني به ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلي والتطيب والتدهن والاكتحال بالإثمد يحرم عليها أن تختضب
بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من اليدين والرجلين والوجه ولا منع فيما تحت الثياب ولا منع من التزين في الفرش والبسط والستور وأثاث البيت ومن التنظيف
بغسل الرأس والامتشاط وقلم الأظفار والاستحداد ودخول الحمام وإزالة الأوساخ والعدة تنقضي إن تركت الإحداد ولكنها تعصي لما روي أن رسول الله
قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً وعن الحسن الشعبي أنه غير واجب لأن الحديث
يقتضي حل الإحداد لا وجوبه لكنه صح قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة
بالمشق وهو الطين الأحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع وإلا لم يخص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب
إنما خصوا بالخطاب لأنهم هم العاملون بذلك لقوله إنما أنت منذر من يخشاها مع أنه منذر للكل ليكون للعالمين نذيراً فإذا بلغن أجلهن أي انقضت
عدتهن فلا جناح عليكم أيها الأولياء لأنهم الذين يتولون العقد أو أيها الحكام وصلحاء المسلمين لأنهن إن تزوجن في مدة العدة وجب على كل
أحد منعهن عن ذلك فإن عجز استعان بالسلطان وذلك لأن المقصود من هذه العدة الأمن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الأول وقيل معناه
لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في أنفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما إشعاراً بأن المرأة بفعله وفيه دليل على وجوب الإحداد

في بيان أحكام عدة المتوفى زوجها

الحكم

بالمعروف الوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحتج اصحاب ابي حنيفة ههنا على التزويج الفعل فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم ان المراد من الفعل
هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الآية بالتهديد المشتمل على الوعيد فقال والله
بما تعملون خبير الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان
تفهم كلاما له يصلح للدلالة على المقصود ولا اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال انه سوق الكلام لموصوف غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك
لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان خطب فلان فلانة اي سألها امرا وشانا في نفسها وكذا
في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شانا ثم النساء على ثلثة اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد
خطبها اخر واجيب وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء او لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز
خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك وثانيها ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا
للتشويش الامر على زوجها ولامتناع المرأة عن اداء حقوق الزوج اذا وجدت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها
وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة
عن وفاة او عن طلقات ثلث او عن بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما تكذب في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة
الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن وفاة فظاهر الآية تدل على انها في حقها لانها ذكرت عقيب آية عدة الوفاة عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح نحو
ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فالغالب انه يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها
بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك ومن يجد مثلك ولست بايم واذا احللت
فادعيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو
ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك واتزوجك واخطبك وعن ابي جعفر
محمد بن علي انه دخلت على امرأة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من نبي الله قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم
يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم اي سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال ولا ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله
اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله
تعالى عنه الحرج ثم قال ولكن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر ثم عبر عن النكاح الذي
هو العقد لانه سببه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا موا
الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان يكون المواعدة في السر بالنكاح
فيكون نهيا عن التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله اني لك فاتك نيك لاربعة والخمسة عن ابن عباس وكقوله عسى اجامعك فاذا اتممت
عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن ويكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المرأة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة والهيا ان يواعدها الا تتزوج باحد
سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود اي لا تواعدوهن بشيء يوصف بكونه سرا الا بان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض عن ابن عباس
هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه العزم عقد القلب على فعل من الافعال معناه ولا
تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهي عن العزم فعن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل
العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة
آخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته ثم ختم الآية ببيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم الحكم الخامس
عشر حكم المطلقة قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة
واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدتها
ثلثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الآية التالية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول
فحكمها في هذه الآية وهو ان لا مهر لها ويجب لها المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الآيات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل
قياسا على الموطوءة بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه
الآية تدل على انه لا مهر للتي لا تكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف حكم

المستوفى المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس وليس كذلك فانه
لا جناح عليه ايضا بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان اباحة الطلاق على الاطلاق وهذا الاطلاق لا يصح الا قبل المسيس اذ بعده لا بد ان يكون الطلاق
في طهر لم يجامعها فيه ولعل ما بمعنى التي لا للمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد
من الجناح في الاية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال اجنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه
نفى الجناح ممدودا الى غاية هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الاية
هو لزوم المهر وايضا ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده وفي القسم الثاني وجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي
في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني واتفقوا على ان المراد بالمسيس والمماسة في الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تاديب للعباد في اختيار
احسن الالفاظ في التخاطب والتفاهم والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعدم الفرض
على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انه
لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وقول
شريح والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في آخر الاية حقا على المحسنين فجعلها
من باب الاحسان ورد بان لفظ على منبئ عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع
ويسمى التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان في سعة من ماله واقتر ضده من القترة وهي الغبار فكانه التصق
بالارض لضيق ذات يده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف او قدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر والقدر
لغتان في جميع معانيهما وفي الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع بخلاف
المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلاثون درهما واقلها مقنعة واي قدر ادى جاز في جانبي الكثرة والقلة والنظر في اليسار والاعسار
الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا يزاد على نصف مهر المثل لان حال المراة التي سمى لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما لم يجب زيادة على نصف المسمى
اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف الذي يحسن في الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر
على ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة حق ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون محسنا فهذا شانه
وطريقته وعلى المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى الحكم السادس حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية واعلم ان مذهب الشافعي ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون
هناك مانع حسي او شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض او يكون معهما ثالث وان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض
والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وقد فرضتم في موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط
او ثابت الا ان يعفون اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء
يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شيء وانما وزنه يفعلن والفعل مبني
لا اثر في لفظه للعامل والواو في الثاني ضمير جماعة الذكور واللام محذوفة ووزنه يفعون والنون علامة الرفع تقول لن يعفوا ويعفو عطف على محل
ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي وهو قول الشافعي يروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابي حنيفة يروى
عن علي وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولي ان يهب مهر مولاته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيد الولي هو عقد
النكاح فاذا عقد حصلت العقدة اي المعقودة كالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل
الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وحجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم
الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها
او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل فعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة وحجة اخرى لو كان المراد
به الزوج وقد قال ولا وان طلقتموهن لناسب ان يقال الا ان يعفون او تعفو على سبيل الخطاب ايضا واجيب بان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو
التنبيه على المعنى الذي لاجله يرغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذي حبسها بان ملك عقدة نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها
سبب في الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها ثم قال الشافعي ثبت ان الذي بيده عقدة النكاح
هو الولي فيفهم منه ان النكاح لا ينعقد بدون الولي وذلك للحصر المستفاد من تقديم بيده على عقدة النكاح فتبين انه ليس في يد المراة من ذلك شيء
وان تعفوا اقرب للتقوى قيل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور لاصالتهم وكانهم
وانما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى التقوى لان من سمح بترك حقه فهو اقرب الى ان يتنفر عن ان ياخذ حق غيره بعد لانه اذا استحق بذلك
الصنع الثواب فقط اتقى العقاب فاحترز عنه ولا تنسوا الفضل لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس هذا من النسيان فان ذلك غير مقدور بل

المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المرأة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتأذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتأذيه منها فلا جرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الآخر بان يترك كل المهر او ترك الا في التنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الآية بما يجري مجرى الوعد والوعيد على العادة المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان

محافظت كنيد بر نمازها ... و نماز ميانه ... و بايستيد براى خدا فرمان برداران پس اگر

خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم و

ترسيد از دشمن پس پياده يا سواره نماز گذاريد پس چون ايمن شديد پس ياد كنيد خدا را كه آموخت شما را آنچه نمى دانستيد و آنانكه وفات كنند از شما و

يذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن

واگذارند زنان خود را وصيت كنند وصيتى براى زنان خود بهره تا سالى بيرون نكردن پس اگر بيرون روند پس باكى نيست بر شما در آنچه كردند در نفسهاى خود

من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم

از شايسته و خدا غالب حكيمست و از براى رها شدگان است بهره مقدارى معين واجب ثابت بر پرهيزگاران اينچنين ظاهر ميكند خدا آيات خود را اگر شما

تعقلون القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير رويس الباقون بالرفع الوقوف قانتين ه ركبانا ج لان

دريابيد

اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ه ج لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فليوصوا وصية و الوصل اجوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قام مقام خبر المبتدأ اخراج ج من معروف ط حكيم بالمعروف ط المتقين تعقلون ه التفسير الحكم السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعائر اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد لاوامره والانتهاء عن مناهيه تحصيلا للسعادات الطرفين وتكميل المصالح الدارين وقد اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الآية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع واقلها ثلث والصلوة الوسطى تدل على شيء زائد والا لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابع لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان باركانها وابعاضها وهيآتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امر بالصلوة كقوله فاذكروني اذكركم وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة فمن حفظ الصلوة حفظته الصلوة على انها هي ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وحفظته عن الفتن والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة القراءة والقرآن شافع مشفع وفي الخبر تجيء البقرة وآل عمران كانهما غمامتان فتشهدان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدميه تقول للنار لا سبيل لك عليه في الصلوة الوسطى سبعة اقوال الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اي الصلوة وما روي من اخبار الآحاد لا معول عليها فيجب ان نؤدي كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ومثل ذلك انه اخفى الله تعالى ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا عازما على التوبة في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوات تصبها وعن الربيع ابن خثيم ان سائلا سأله عنها فقال يا ابن اخي هي احداهن فحافظ عليهن تصب الوسطى القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والصلوة المكتوبة واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاؤس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي والدليل ان هذه الصلوة تصلى في الغلس فبعضها في ظلمة الليل وآخرها في ضوء النهار وايضا فان النهار صلوتي الظهر والعصر وفي الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجمعان في السفر وكذا المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما قال القفال وتحقيق هذا يرجع الى ما يقول الناس فلان متوسط ان لم يكن لاحد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى بها في قوله والفجر وليال عشر وايضا قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الآية بالذكر للتاكيد فخص الصلوة الوسطى في هذه الآية بالذكر للتاكيد فيغلب على الظن انها واحدة وايضا قرن هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروضة صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا شك انه تعالى افردها بالذكر لاجل التاكيد والصبح احوج الصلوات الى ذلك ففيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا لا فريبا بالذكر يبنى عن الفضل ولا ريب في فضيلة الصبح لهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين ولاهما قبل الوقت ايقاظا للناس حتى لا تفوتهم السنة وخصوا بها بالتثويب وهو

يقول

يقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلق ظلمة الليل
ونوم النوم والغفلة هو ظلمة النوم والغفلة وظلمة العجز والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد
باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن الصلوة الوسطى فقال
كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر وهو مروي عن عمر وزيد بن ابي بكر وابي سعيد الخدري
واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبي صلعم
كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه فربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال صلعم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم
فنزلت هذه الاية وايضا ليس في المكتوبات صلوة وقعت في وسط الليل والنهار الا هذه وانها صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين البردين
برد الغداة وبرد العشي وان اول امامة جبرئيل كان في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر لا غيرها وعن
عائشة انها كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر كانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلعم فغلب على الظن ان المعطوف عليه العصر هو الظهر الذي قبله
وروي ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد فسألوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة القول الخامس
انها صلوة العصر روي عن علي وعن ابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة نصا لما ورد من التاكيد فيه
كقوله صلعم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج في معرفة وقتها الى تامل اكثر من حال
الظهر فالمغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال
الناس بحوائجهم عن علي ان النبي صلعم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال ملأ الله بيوتهم
وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبي صلعم انها الصلوة
التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت
رسول الله صلعم يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذويب لانها بين بياض النهار وسواد
الليل ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح ولما ورد في فضلها عن عثمان
بن عفان عن النبي صلعم من صلى العشاء الاخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح
والجسد فكانه قيل حافظوا على صورة الصلوات بشرائطها وحافظوا على معاني الصلوات وحقائقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة بعد هذا ثم ان الشافعي
احتج بالاية على ان الوتر ليس بواجب لانه لو كانت الصلوة ستا لم يكن لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضل
من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان وهو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانه ثلث ركعات فهو وسط بين الاثنتين والاربع
او الوسطى في الصفة كصلوة الصبح يتوسط بين صفتي الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بما في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة
من الذكر وعن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه صلعم قال كل قنوت في القران هو الطاعة ومن
يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وادابها وفيه زجر
لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزي وذهب الى انه لا حاجة بالله الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا لوجب ان لا يصلي اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج
الى الكثير من عبادتنا فكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلعم وسائر الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا
اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل صاحبه الى جنبه حتى نزلت و
قوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم
اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا
لله مديمين لذلك القيام في اوقات وجوبه واستحبابه فان خفتم عدوا فحذف المفعول به للعلم به او فان حصل لكم خوف وكنتم على حالة الخوف على انه
متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين قيل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا
او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تاكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام
جمع قائم وتجار جمع تاجر وجمع رجل يقال رجل رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على ابل فان كان على فرس
فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال و
سوف يجيء بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال وهو المراد بهذه الاية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على
دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون
عن الصيحات لانه لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر لانه صلعم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة

لذلك الفعل ويدخل في الخوف المبيح لهذه الرخصة الخوف في القتال الواجب كالقتال مع الكفار ومع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس
حيوان محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي الخوف الحاصل لا في القتال كالهارب من الحرق و
الغرق والسبع كذا الطالب كان معرضا خايفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار يرخص في هذه الصلوة لان قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل
فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وكما بينه
بشروطه واركانه والصلوة قد يسمى ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه
على الامن اذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع على لسان نبيه كيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما علمكم اما
مصدرية او كافة الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بوجه آخر والذين يتوفون منكم الاية من قرأ وصية بالرفع فوصية مبتداء وخبره لازواجهم و
جاز وقوع النكرة مبتداء لتخصيصه كما يخص سلام عليكم او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر او فالامر المفترض الحكم وصية
فالمبتدأ مضمر او كتب عليهم وصية وليكن بينهم وصية او وصية الذين يتوفون وصية والذين يتوفون اهل وصية الى الحول كل هذه الوجوه
جايزة ومن قرأ بالنصب فعلى تقدير فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد والزم الذين يتوفون منكم وصية متاعا نصب على
المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا والتقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله من الكلام يدل عليه ونصب على الحال
او نصب بالوصية غير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول وبدل متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق
الذين يتوفون منكم عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعده حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن
واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا ونسخ ما زاد على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي
هو الربع والثمن لقوله صلعم الا لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر ان لها النفقة وان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى
لهن وهو قول علي وابن عباس وعايشة واختاره المزني قياسا على النفقة وفرق بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فللتحصين لمائه
وهو موجود وعند الشافعي لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة وبه قال مالك والثوري واحمد وبنا الخلاف
على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسألت رسول الله صلعم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما ترك لي منزلا يملكه كذا
في التفسير الكبير وهو في مكة فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني
على النسخ واخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تاخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان
اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول قال وانما انزل الاية على هذين التقديرين ليكون كل واحدة منهما معمولا بها وعن ابي
مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الاية الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة
التي ضربها الله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب انهم كانوا في زمان
الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المرأة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب روى كثير ما روت
زينب بنت ام سلمة فانها سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امرأة الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها
وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلعم لا مرتين او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله صلعم انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت احداكن
في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على راس الحول فقالت كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا
صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر لها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طاير فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض
بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب وغيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام
على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها وانما قال
ههنا من معروف منكرا لان المراد بوجه من الوجوه التي لهن ان ياتينه واما في الاية السابقة اراد بالوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال ان تلك
الاية متاخرة في النزول عن هذه باجماع المفسرين فلهذا نكر اولا ثم عرف لان النكرة اذا تكررت صارت معرفة قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول الحكم التاسع عشر وللمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها للواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم
الخامس عشر وروي انها لما نزلت ومتعوهن الى قوله متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد
ذلك لم افعل فنزلت هذه الاية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي اعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم يفرض
لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه
الاية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها ام لم يفرض واختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قول الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها تستحق
المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول وفي الجديد لها المتعة وهو قول علي وابنه الحسن وابن عمر لعموم الاية ولقوله تعالى فتعاليْن امتعكن وذلك في حق نساء كان

اي انت لسير البريد

دخل

تحل لهن النبي وليست كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا مقابلة عوض وهذا استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة للايحاش عن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الاية وقيل المراد بهذا المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول اعلم

ع

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ

ايا ندانی حکایت انهارا که بیرون رفتند از خانهای خود وحال آنکه چند هزار بودند از ترس مرگ پس گفت مر ایشانرا خدا که بمیرید پس زنده گردانید ایشانرا بدرستیکه خدا هر اینه صاحب فضل است

عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَّن ذَا الَّذِي

بر مردمان ولیکن بیشتری از مردمان سپاس نمی کنند وجهاد کنید در راه خدا وبدانید که بدرستیکه خدا شنونده داناست کیست آنکسی که او

يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ القراءة فيضاعفه

وام دهد خدارا وامی نیکو پس بیفزاید خدا از برای او مانندهای بسیار وخدا تنگ کند وروزی دهد وبسوی او باز گردید

بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالالف والرفع وكذلك في سورة الحديد يبصط ويبصطه بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وابن عون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلي والحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ص احياهم ط لا يشكرون عليم كثيرة ط ويبصط ص ترجعون التفسير جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص عبرا للسامعين ليحملهم ذلك على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال الم تر وفيه تعجيب لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبار الاولين وتعجيب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب ويكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك الى هذا على انه يجوز ان يكون النبي لم يعرف هذه القصة الا بهذه الاية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الاية ثم انه تعالى انزل الاية على وفق ذلك روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وروي ان حزقيل النبي الذي يقال له ذو الكفل مر عليهم بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب مما راى فاوحى اليه تريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له نادِ ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه نادِ ان الله يامرك ان تكتسي لحما فصارت لحما ودما ثم نادها ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم قالوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حيوتهم وكان يظهر امارات الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا القتال فهربوا وقالوا لملكهم ان الارض التي تذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر فاحياهم الله تعالى بعد الثمانية فبقي فيهم شيء من ذلك النتن وبقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما راه حزقيل ضاق قلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف ففيه دليل على الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة الاف وقيل ثلاثون وقيل ثمانون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد اي خرجوا وهم مؤتلفوا القلوب وزيف بان ورود الموت عليهم وفيهم كثرة يفيد مزيد اعتبار بحالهم بخلاف ما لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم بينهم ايتلاف ومحبة فكوروده على قوم بينهم اختلاف في ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد الفهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا ليعلم ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الموت حذار الموت فقوله جل جلاله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد لانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كامر في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا راوا عند الموت من الامور والاحوال ما يصير لها معارفهم ضرورية ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الآخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية آجالهم لذو فضل على الناس بان نعماء عليهم بانهم خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة وايضا في تفضل على منكري المعاد اقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا ذلك ان تركيب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان ممكنا في نفسه فالمخبر الصادق بوجوده وجب القطع به وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعه بقوله وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره وقلنا لهم قاتلوا وان كان استينافا فخطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب لهم بكيلا ينكص على عقبيه محب للحيوة بسبب خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد كانه ندب العاجز

عن الجهاد ان ينفق على الفقير القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه في طريق الجهاد وذا في من ذا اسما زائدة ومن استفهام في موضع الرفع
والذي مع صلتها خبره او موصوفه والذي بدلها او اسم اشارة خبر من والذي نعت له او بدل منه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم
واحد كما كانت ماذا الا ان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بنى الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل
من ظاهر الامر وقيل ان هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد سياقه في الانفاق ما على الاطلاق وهو الاليق بحسب لفظ القرض فانه الواجب
منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب او بما هو غير الواجب لان القرض بالتبرع اشبه هذا قول الاصم ثم روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد
من هذا القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي صلعم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويشبه ان
يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه انه لو قدر لينفق واعطي قامت تلك النية مقام الانفاق وعن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما
يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض
في الاية مجاز فان القرض انما ياخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله محال ولان البدل في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا يضاعف ولان المال
الذي ياخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال الماخوذ ملك لله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله
فكما ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه
مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يشوبه به من ولا اذى ولا يفعله رئاء وسمعة وانما يفعله خالصا
لوجه الله تعالى واضعافا انتصب على الحال او على المفعول الثاني ان ضمن ضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف اسم وان كان مصدرا الا انه قد يقع
موقع المصدر كالعطا فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر
بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاغراض في المقدار والاخلاص وغير ذلك والضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على
اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب
اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع عليكم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر
له لا اذ ذلك سواء انفق ولم ينفق ومن كتب له الغنى فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض
والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضات الله ويحتمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب
حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير والشر والله ولي التوفيق والى
انتهاء الطريق الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال
آیا ننگریستی بسوی گروهی از بنی اسرائیل از پس موسی چون گفتند از برای پیغمبری از ایشان که برانگیز از برای ما پادشاهی تا جنگ کنیم در راه خدای گفت
هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
آیا امید دارید که اگر نوشته شود بر شما جهاد را که جهاد نکنید گفتند که چیست ما را که قتال نکنیم در راه خدا و حال آنکه بیرون شدیم از خانهای خود و از
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
پس چون که نوشته شد بر ایشان قتال رو گردانیدند مگر کمی از ایشان و خدا داناست بستمکاران و گفت ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که خدا برانگیخت از برای شما طالوت را
قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده
گفتند که کجا میشاید از برای او پادشاهی بر ما و ما سزاواریم بپادشاهی از او و داده نشده فراخی از مال گفت بدرستی که خدا برگزید او را بر شما و افزود او را
بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
زیادتی در علم و جسم و خدا میدهد پادشاهی خود را بهر که خواهد و خدا محیط داناست و گفت مر ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که نشان پادشاهی او آنست که بیاید بشما تابوت
فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين فلما
که در آن سکینه است از پروردگار شما و باقی مانده از آنچه واگذاشت آل موسی و آل هرون که برمیدارند او را فرشتگان بدرستی که در این هر آینه نشانیست شما را اگر باشید گروندگان پس چون
ع فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة
جدا شد طالوت با لشکر گفت بدرستی که خدا آزماینده شما است بنهری پس هر که بیاشامد از آن پس نیست از من و هر که نچشد آن را پس بدرستی که از منست مگر کسی که بردارد یک کف
بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال
بدست خود پس آشامیدند از آن مگر کمی از ایشان پس چون گذشتند از نهر او و آنانکه گرویدند با او گفتند که توانائی نیست ما را امروز با جالوت و لشکرش گفت
الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت
آنان که یقین داشتند که ایشان ملاقات کننده خدا اند بسا گروه اندک که غالب شدند بر گروه بسیار بفرمان خدا و خدا با صابرانست و چون ظاهر شدند بر جالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل
و لشکرش گفتند پروردگار ما فرو ریز بر ما صبر و محکم کن قدمهای ما را و یاری ده ما را بر گروه کافران پس فراری دادند ایشان را بفرمان خدا و کشت

داود

داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله

داود جالوت را و داد داود را خدا پادشاهی و حکمت و آموخت او را از آنچه خواست و اگر نباشد دفع خدا مردم را بعضی از ایشان را ببعضی هر آینه فاسد شود زمین و لیکن خدا

ذو فضل على العالمين القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح وزاده بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بصطة بالصاد

صاحب بصطت ابو نشيط والحلواني عن النقاد وكذلك بباسط ويبسط الرزق لا تبسطها كل البسط فما اسطاعوا وما اشبه ذلك مني

الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالضم هو والذين بالادغام

روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابي شعيب وشجاع كذلك ما اشبههما فئة ومئة وبابهما غير مهموزتين يزيد وحمزة في الوقف دفاع الله

كذلك في سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله الوقوف من بعد موسى لانه لو وصل صار ذلك ظرفا لقولهم ابعث لنا ملكا نقاتل

في سبيل الله ج الا تقاتلوا ط وابنائنا ط تعظيما لابتداء امر معظم منهم ط بالظالمين ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم الملائكة

بالجنود لا لان قال جواب لما فلا ينهج للابتداء بالشرط مع الفاء فليس مني ج للابتداء بالشرط مع اتحاد المقصود وبيده ج لعطف المختلفين منهم ج

تعظيما لابتداء امر معظم معه لا لان قالوا جواب لما وجنوده ط ملاقوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصابرين ط الكافرين ط لان ما قبله دعا

وما بعده خبر ماض يتصل بكلام بعده ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ وان اتفق المعنى فان الهزيمة كانت منه قبل وقتل داود جالوت مما يشاء ط العالمين

التفسير القصة الثانية قصة طالوت الملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملؤن العيون هيبة ولانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة

وجمعه املاء قال شاعر وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملاء الرؤساء سموا بذلك لانهم ملؤا بما يحتاج

اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملؤ الرجل ملاءة فهو مليء اذا كان مطيقا لذلك ولانهم يتمالؤن اي يتظاهرون ويتساندون

والغرض من ايراد هذه القصة عقيب آية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وطلبوا اذ قالوا لنبي لهم لم

يحصل العلم بذلك النبي وباولئك الملاء من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود وهو الحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبي

هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف لقوله من بعد موسى لكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه اشمويل واسمه

بالعربية اسمعيل وعن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها ابنا فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين يصير شينا بالعبرانية

وهو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وينتظم به كلمتنا وكان قوام بني اسرائيل بملوك تجمعهم

على مجاهدة الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك ويقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهي

القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل

وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف يدل

عليه المذكور اي ان كتب عليكم القتال هل يتوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه ما لنا

ان لا نقاتل قال المبرد ما نافية اي ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك ان لا تفعل كذا

وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام

محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن دخول ان فيه وعن الكسائي واستحسنه الفارسي ان التقدير اي

شيء لنا او اي داع او غرض في ترك القتال فسقطت كلمة في على القياس وقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحيها ومن

بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد في قمع عدوه روي ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء

ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب القتال تولوا الا قليلا منهم وهم

الذين عبروا النهر وسيأتي ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل من كلف في الاسلام على القعود عن القتال

واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العائد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت

وداود منع من الصرف للعلمية والعجمة المعتبرة وقد يمكن تكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة في الجسم فلم يوافق العبراني العربي

وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفي الآية تقرير لقولهم تأكيد لذلك فان اول ما تولوا عنه انكارهم امر النبي المبعوث اليهم

وذلك انهم قالوا انى يكون كيف ومن اين يصح ويصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف

فانتظمت الجملتان في سلك الحالية استبعدوا تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهرون والملك كان في

سبط يهوذا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به قيل

انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الآخرون كان سقاء فازال شبهتهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره دونكم و

من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت

الثاني زاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابله الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من

والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس والعلم والقدرة من الكمالات الحاصلة
للانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب ذي القوة والبطش يكون
الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من النسيب الغني اذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة في العلم هو وجدانه
فيما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما
يملأ العين مهابته وحشمته والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني
اسرائيل والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له والمالك
اذا تصرف في ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب
الرزق ويوسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا
يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته
بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا اخر دالا على صدق النبي واكثار الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلعم ومعجزات موسى وعيسى ثم ان
مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة وآية من عند الله دالة على صدق تلك الدعوى فقيل ان الله تعالى انزل
على آدم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل فكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم
واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة
استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي
ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي صلعم عليهم في ذلك
الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت
فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت
مجاز لانه اتى به ولم يأت هو بنفسه وقيل صندوق من خشب كان موسى يضع التوراة فيه وكان يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعدما قبض موسى ع
لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت ان يأتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء والملائكة كانوا
يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا
في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشيء اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ
ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلة نحو سلس
وقلق لانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يخرج منه وصاحبه
فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان آية قاطعة في ثبوت ملك طالوت
وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزته لانه كان مقرونا بالتحدي والجواب ان التحدي كان من النبي لا منه فيه سكينة فعيلة من
السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما
ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا الثاني قول الاصم على هذا فمعناه انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت نفوسهم
واقروا له بالملك واستظهروا بما بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما بهذا كقوله ص في النفس المؤمنة مائة من الابل اي بسببها وعلى الاول قول
فعن ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء ع بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده
ويزيل خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتأن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي ع كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية فهي رضاض
الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى آل موسى وآل هرون لان ذلك
التابوت قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وما في التابوت اشياء توارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الآل هم الاتباع
قال تعالى ادخلوا آل فرعون واذ نجيناكم من آل فرعون ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون وآل مقحم لتفخيم شأنهما كقوله ص لابي موسى الاشعري
لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود واراد به داود نفسه فلم يكن لاحد من آل داود من الصوت الحسن ما كان لداود ان في ذلك لآية لكم ان
كنتم مؤمنين بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف في التقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما
فصل طالوت بالجنود اصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان و
الانصار وكل صنف من الخلق جند قال ص الارواح جنود مجندة روي ان طالوت قال للقوم لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا
تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت

في نوع مجيء التابوت

فيها

قيظا وسلكوا مفازة فسئلوا ان يجري الله لهم نهرا فقال نبيهم على قول وطالوت على الاظهر وذلك ما باخبار النبي او بالوحي ان كان نبيا ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر قيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة اظهر الله علامة قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتاثيره حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين والنهر والنهر مجرى الماء والتسكين افصح ومبتليكم اي ممتحنكم ولما كان الابتلاء من الناس انما يكون بظهور الشيء وثبت ان الله لا يبتلي بل لا يعاقب على علمه بما يفعل اذ لا يظهر الا فعال من الناس ذلك لا يحصل الا بالتكليف لا جرم سمي التكليف بلاء فمن شرب منه فليس مني هو كالجزء لي متصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني كانه بعض لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني وطاعتي ومن حزبي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا عن الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملء الكف عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا من ارواء الخلق العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان مأذونا ان يأخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقربة او جرة بحيث كان المأخوذ في المرة الواحدة يكفيه ولدوابه ولخدمه لان يحمله مع نفسه الا ان قوله بيده لا يجاوب بهذا الاحتمال فشربوا منه كرعوا فيه الا قليلا منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز الموافق عن المنافق والصديق عن الزنديق يروى ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم العطش وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله تعالى فلم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه الا مؤمن قال البراء بن عازب وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة آلاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه الى لقاء العدو الا من اطاعه وانما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق انه ما عبر معه الا المطيعون لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري لان المقصود من الابتلاء ان يتميز المطيع عن العاصي واذا تميزا فالظاهر انه لم يأذن للعاصين وصرفهم عن نفسه قبل ان يرتدوا عند لقاء العدو وقيل انه استصحب كل جنوده لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق والفاسق والجواب لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر ورأوا القوم تخلفوا وما جاوزوه سألوهم عن سبب التخلف فذكروا ذلك وما كان النهر في العظم بحيث يمنع المكالمة والمراد بالمجاوزة قرب حصول المجاوزة او المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف والجزع على طبعه وهم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب وهم الذين اجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وانهم انما شاهدوا قلة عسكرهم قال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال الآخرون بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الآخرين التحريض على رجاء الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم بمنزلة الاطاقة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة ومثلها اطاع طاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب اجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله يظنون انهم ملاقوا الله يغلب على ظنونهم انهم لا يتخلصون من الموت عن قتادة او يظنون انهم ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك ان احدا لا يعلم عاقبة امره عن ابي مسلم او يظنون انهم ملاقوا طاعة الله من غير رياء وسمعة وبنية خالصة او انهم عرفوا مما في التابوت من الكتب الالهية يقين النصر والظفر الا ان حصول ذلك في المرة الاولى ما كان الا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من المشابهة في تأكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصاروا جماعة وقال الزجاج هي من قولهم فأوت رأسه بالسيف وفأيت اي قطعت كان الفئة قطعة من الناس والمراد تقوية قلوب الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتأييد الالهي والنصرة الالهية فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة ومحل كم رفع بالابتداء وغلبت الجملة خبره باذن الله بتيسيره وتسهيله والله مع الصابرين بالمعونة والتأييد ويحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه ولما برزوا لجالوت وجنوده الآية البراز الارض الفضاء ومنه البروز والمبارزة في الحرب كان كل واحد منهما حصل بحيث يرى صاحبه واعلم ان العلماء والاقوياء من عسكر طالوت لما قرروا مع ضعفاء

القربة بالكسر الوطب من اللبن وقد يكون للماء والوطب سقاء من جلد الجذع والجرة قرب

وعوامهم ان الغلبة لا تتعلق بكثرة العدد وانما تتعلق بالظفر باعانة الله اشتغلوا بالدعاء وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا صلى الله عليه وسلم كما روي في
قصة بدر انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوا قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم اللهم بك اصول وبك اجول و
الافراغ الاخلاء الاناء مما فيه وانما يخلو بصب كل ما فيه فمعناه المبالغة اي صب علينا اتم صب وابلغه وهذا هو الركن الاعظم في المحاربة فانه ان كان
جبانا لم يجد بطائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى آلات العدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار فاردفوها بقولهم
وثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء يفتقر الى ان يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم هو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب
الله دعاءهم فهزموهم كسروهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطأ
خبر اخوته على ابيه ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت بيضته
فيها ثلثمائة رطل من الحديد فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارزني بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف
فسكتوه فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي
واعطيه نصف مملكتي فقال داود فانا خارج اليه وكانت عادته ان يقاتل بالمقلاع الذئب والاسد في المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود
بان يخرج الى جالوت مر بثلثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا ميتة جالوت ثم لما خرج الى جالوت رماه فاصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده
ناسا كثيرا فحسده طالوت ولم يف له وعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه الى ان قتل واتاه الله الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان
الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو الاصلح وكمال هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى كان يبعث
اليهم نبيا وعليهم ملكا كان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكه طالوت فلما توفي اشمويل اعطى الله داود
النبوة ولما توفي طالوت اعطى الله الملك اياه ايضا ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله وروي انه بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله
الملك والحكمة سبع سنين قال بعضهم هذا الايتاء جزاء له على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع جعل النبوة جزاء على بعض
الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا ذكر بعد حديث الهزيمة والقتل وترتب الحكم على الوصف
المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاخبار معه بقهر العدو العظيم المهيب بالآلة الحقيرة وقال آخرون ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على
الاعمال لكنها محض عناية الله تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه ادون
منها فالجواب انه تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود في معارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الادون الى الاشرف هو الترتيب الطبيعي
وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير علمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه
ما تعلم ذلك من آبائه فانهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ولا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه
على ان العبد لا ينتهي قط الى حالة يستغني عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظاهر واما
من قرأ بالالف فاما ان يكون مصدر الدفع نحو جمح جماحا وكتب كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين
على ايدي انبيائه وائمة دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله واعلم ان
الله تعالى ذكر في الآية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الآخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشرور في الدين كالكفر والفسوق
والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء وائمة الهدى ومن يجري مجراهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والشرور في الدنيا كالهرج
والمرج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبياء واما الملوك الذابون عن شرائعهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الملك والدين توأمان الاسلام اس والسلطان حارس
فما لا اس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع وعلى هذا فمعنى قوله لفسدت الارض اي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض خبث الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى
لو لم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزل سخط الله فاستوصل اهل الارض ويعضده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليدفع بمن يصلي من امتي عمن لا
يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشياء لما انظرهم الله طرفة عين ثم
تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره وبقهره ولطفه وبعدله وفضله التأويل
فقوله الم تر الى الملأ ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وادعوا غير ما كانوا عليه عرض نقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند الامتحان اذ عجزوا
عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان بالقلب يزعمون نصلي ونصوم ونحج ونزكي لله وفي الله
باللسان دون تصديق الجنان وتيقظ ما لله وما كان للهوى في كفتي الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطال فتولوا الا
قليلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء واعوز من الكبريت تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل تعيرنا انا قليل وجارنا عزيز
وجار الاكثرين ذليل وانما لم ينل المدعون مقصودهم لانهم لم يخلصوا لله قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقالوا ربنا وانت
القتال علينا وانه سيدنا ومولانا فليفعل الله صدق دعوتهم واعطى مناهم واكرم مثواهم كما قال قوم في اثناء البكاء والسعداء وما لنا الا نتو

بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلاجرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و
ذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة الى ان الحكم الالهية حلت وتجلت في جلبات تعاليها عن ادراك العقول
البشرية بكنه معنى من معانيها ولهذا قالوا اني يكون له الملك وليس هذا باعجب من قول المقربين المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من
يفسد فيها استحقارا لشان ادم وتعجبا بالحجب لانانية والتحية فلما تكبر بنو اسرائيل قالوا ونحن احق بالملك منه وضعهم الله وحرموا الملك لما تو
طالوت لله وقالوا كيف يستحق الملك وسبطي في اسباط بني اسرائيل بانيه دنى بيت بني اسرائيل فعله الله واعطاه الملك ولما فوق الملائكة
ترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود ادم ولما عرضت الخلافة على ادم فتواضع لله وقال انا للتراب رب الارباب اكرمه الله تعالى بسجود الملائكة
وحمل اعباء الامانة ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه اشارة الى ان اية خلافة العبد ان يظفر بتابوت قلبه فيه سكينة من ربه وهي الطمانينة
بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك ال موسى هو عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي اذا نفرها تلقف
عظيم سحر سحرة صفات فرعون النفس فان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان يتداوله ايدي الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وان كان في تابوتهم بعض التورية ففي تابوت المؤمن جميع القران وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسما
كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب الرباني يسلم له ملك الخلافة
وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا دنيا
زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن المسيء ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده قنع من متاع الدنيا بما لابد منه
من الماكول والمشروب والملبوس والمسكن لصحة الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا اى ما يمسك
رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد الضرورة فيها لا يطيق قتال
جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا بمرض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ولما
لجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الى ربه مستعينا مستغيثا عن عجزه فقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا على الاستمداد بطاعتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا على التسليم
في الشدة والرخاء ونزول البلاء وهجوم احكام القضاء في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة
وصفاتها التي هي اعدى عدو بين جنبيك خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس فاخذ حجر الحرص على الدنيا
وحجر الركون الى العقبى وحجر التعلق الى نفسه بالهوى حتى صار الثلاثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم والرضا فرمى به
جالوت النفس فنصره الله بريح العناية حتى اصاب انف بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها
ثلثين من صفاتها واخلاقها ودواعيها وهزم الله باقي جيشها وهي الشياطين اعوانها واتاه ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه
مما يشاء من حقائق القران واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ارباب الطلب بالمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين
كما قال ولكل قوم هاد لفسدت ارض استعدادهم المخلوقة في احسن التقويم عن استيلاء جالوت النفس بتبديل اخلاقها وتكدير صفاتها
ولكن الله ذو فضل على العالمين من كمال فضله ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول
تربيتهم ووفقهم على الثبات بالصدق بسرهم وتنبيههم على الرياضات في خلال تربيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي
ع من يشاء تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم
این آیات حدیث میخوانیم آنرا بر تو براستی و بدرستی که تو از فرستادگانی این رسولان افزونی دادیم برخی ازیشانرا بر برخی از ایشان
من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله
کسی بود که سخن گفت با او خدا و برداشت برخی ازیشان را مرتبها و دادیم عیسی پسر مریم را نشانهای ظاهر و نیرو دادیم اورا بروح پاکیزه و اگر خواستی خدا
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا
اختلاف نکردندی آنانکه از پس ایشان بودند از پس آنکه آمد بایشان نشانهای ظاهر ولیکن اختلاف کردند پس از ایشان کسی است که گرویده و از ایشان کسی است که کافر شد و اگر میخواستی خدا مختلف نشدندی
ع ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا
ولیکن خدا میکند آنچه میخواهد ای زمرهٔ گرویدگان خرج کنید از آنچه روزی کردیم شما را از پیش آنکه بیاید روزی که نیست خرید و فروخت و نه دوستی و نه
شفاعة والكافرون هم الظالمون القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع
درخواست کردن و کافران ایشانند ستمکاران
والتنوين وكذلك في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم فيها
الوقوف الخطوط للابتداء بان المرسلين الجزء الثالث على بعض م لانه لو وصل الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى
بعض فيكون موسى من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدول القدس ط من كفر ط ما يريد لا شفاعة

لا يوجبه لا على الوجوب لا الاكثرون على انه عام يتناول الواجب والمندوب لبشرى الاية وعيد انما الغرض ان يعلم ان منافع الاخرة لا يكتسب الا في الدنيا واذ
الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدي به من العذاب او يكتسب مالا حتى ينفق منه ولا
خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه او لان الخوف الشديد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة
عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير
الاية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون
هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله
غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسق
فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام وبقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه
ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفائدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التأويل تلك ايات الله اسراره وانواره ورموزه
واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات
وصح لهم صفاء الاوقات في لذة المناجات في الخلوات ثم فطموا عن البان تلك اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل الغفلات وعبدة طواغيت
الهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات
وانت عبرت المكونات فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله
وقت بتبليغ سفارة جبريل ثم لقيت من القوم ما لقيت نحو قولك ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقي من شرب سقيت فما
اوذي بفطام مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم
وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم اثار على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا
التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال ع ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطاه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام مميز عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص مميز
به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدو الخلقة
لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان في قوله جعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في
الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة
وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات
كما روي عنه ع انه راى ادم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء
الخامسة وموسى في السماء السادسة وابرهيم ع في السماء السابعة وان محمدا ع ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين
او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم اخبر عن
فضيلة الخواص انها كانت تفضيلا بامره خبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم ثم اخبر عن جزاء الفضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان الذي كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار
حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا املاكنا
لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان ياتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس
في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفع خلة خليل دنيوي لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق واعددنا
الثواب وحذرناهم العقاب فما عذر من انذر والله المستعان اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ

مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
خدای که نیست معبودی مگر او زنده پاینده فرا نگیرد او را سستی خواب و نه خواب مر او راست
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
آنچه در آسمانها و آنچه در زمینهاست کیست آنکه درخواست کند
مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَ
نزد او مگر باذن او میداند آنچه پیش از ایشانست و آنچه بعد از ایشانست و احاطه نکنند بچیزی
الْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
از دانش او مگر بآنچه خواسته است فرا گرفته کرسی او آسمانها
قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ
زمین و گران نکند او را نگاه داشتن آنها و اوست دانای بزرگ نیست اکراه در دین
يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللّٰهُ
بدرستی که ظاهر شد راستی از گمراهی پس هر که کافر شود به بت و

سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ

شنوای داناست خدا دوست آنانست که گرویدند بیرون آورد ایشانرا از تاریکیها بسوی روشنی و آنانکه کافر شدند دوستان ایشان شیاطین بیرون آورند

مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ القراءة نعرفه تمامًا الوقوف الا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا

از روشنی بسوی تاریکیها آن گروه یاران آتش اند که ایشان در آن جاویدانند عن الضمير وخبر مبتدأ محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولا

نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لان الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقيد بمشيئته مبتداء بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم الغي ج لان من الشرط مع فاء التعقيب الوثقى قد قيل للاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي مستمسكا بها غير منفصمة لها ط عليم آمنوا لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص اما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا الاسلوب حسن تام ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وصار اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه واذ تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ عن النبي صلعم انه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي ع سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي ع اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلعم يا علي سيد البشر آدم ع وسيد العرب محمد صلعم ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وعن علي ع انه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلعم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من نعوت جلاله واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية التصورات ولنشتغل بتفسيرها لفظ الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب اما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ واما الحي القيوم فقد سلف بيان معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده ما روينا من تشبثه صلعم به ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وتشبث في السجود واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصلح ان يعلم ويقدر وهو الدراك الفعال فاورد عليه ان هذه لا تقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك فمن ثم يقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح ان يقال للموات احيى الله الارض فان كمال حال الارض ان تكون معمورة وكمال حال الاشجار ان تكون مورقة نضرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا الواجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق بمجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه فهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد لانه لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في تحققه الى جزئيه فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في جهة لتساويهما والا كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا كان قيوما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته وذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او غير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي اصله حيي كحذر وطمع فادغمت الياء في الياء عند اجتماعهما وكلا اليائين اصل قال ابن الانباري اصله حيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة اصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قووما على فعول لقيل قوّوم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما بعدهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا تأخذه

انت سيد العالمين

لا بان بهملا ان ياخذه نوم ونقول فى الاحسن ولا تاكيد لنفى الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفى النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على الاخص
لم يلزم منه نفى الاعم والمعنى انه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل فهو كما يقال لمن ضيع واهمل انك لوسنان
نائم ومما يدل على ان السهو والغفلة والنوم على الله تعالى محال ان هذه الاشياء اما ان يكون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلى التقديرين
فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون
حيا ولا قيوما هذا خلف وروى عن النبى صلعم ان موسى سأل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين
مملوتين فى كل يد واحدة وامره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى ان نام فى اخر الامر فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا فى بيان انه
لو كان ينام لم يقدر حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت يجب ان ينسب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز
على نبى الله تجويز النوم على الحى القيوم والتجويز شك والشاك فى مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما واكده بما اكد رتب عليه حكما وقوله له ما فى السموات وما
فى الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وحصل وجوده فيكون ملكا له فيلزم منه ان يكون حكمه جاريا فى الكل ولا يكون لغيره فى شئ
من الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اى لا يشفع فيه رد على المشركين
والقائلين بالاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره متصرفا فى ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم
بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثانى بقوله ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان
قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا او لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين الشهداء
عن مجاهد وعطا والسدى يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان بعدهم من امور الاخرة الضحاك والكلبى ما بين ايديهم الاخرة لانهم يقدمون
عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما فى السموات و
قبل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه
عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا
يعلمون ان الله تعالى اذن لهم فى تلك الشفاعة ام لا فانهم لا يحيطون بشئ من علمه اى من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان
يراد ولا يعلمون الغيب الا بعلمه باعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء
لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم اولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه فى السموات وفى الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات و
والارضين اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون الانتهاء الى ادنى درجة من درجاتها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض
يقال وسع فلان الشئ اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به قال صلعم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى اى لم يحتمل غير ذلك واما الكرسى فاصله
التركيب والتلبيد ومنه الكرسى بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتركب بعض ورقاتها على بعض والكرسى لما يجلس عليه لتركب
خشباته وللمفسرين فى معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش
وبانه كرسى لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدى انه تحت الارض
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسى موضع القدمين وينبغى ان يحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضى الى التشبيه ككونه موضع قدم
الروح الاعظم او ملك اخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عبيده فهو اعلم بمجارى اسراره
وقيل المراد من الكرسى السلطان والقدرة والملك لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمى اصل كل شئ الكرسى او لانه تسمية
للشئ باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسى وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسى وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسى
الارض كما قال الحكماء اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسى ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع المحققين كالقفال
والزمخشرى وتقريره انه يخاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت
ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله فى ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدى الملوك وكذلك
ما ذكر فى القيمة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف
عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا و
لما توافقنا ان المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة فى العرش والكرسى ولا يؤده
لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وذلك ان نفاذ حكمه وامره مع كونه مقوما للممكنات مقيما للارضين والسموات متعال عن التحيز
ومقدس عن التغيرات فقال وهو العلى العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم للمكان ومقدم للزمان قوله
سبحانه لا اكراه فى الدين الاية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر عذر فى اقامته على الكفر الا ان يقسر على الا
ويجبر عليه وذلك لا يجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء والاختبار وفى الاكراه والاجبار بطلان ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغى يقال بان

الشيء واستبان وتبين وبين ابانه اذا وضح وظهر ومنه المثل قد تبين الصبح لذي عينين والرشد اصابة الخير والغي نقيضه اي تميز الحق من الباطل والايمان
من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات وتواتر الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت واصله طغيوت
الا ان لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم صيرت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي انه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك انه يفرد
في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى اولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا
ان يكفروا به فاما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فالتانيث لارادة الالهة واما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان
وعن سعيد بن جبير الكاهن قال ابو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس وكل ما يطغى وانما جعلت هذه الاشياء اسبابا للطغيان
لحصول الطغيان عندها لاتصالها بها كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر
لا بد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق
به والوثقى تانيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام اقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كانه ينظر اليه بعينه فيزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشيء من غير ان يبين نقضه فانفصم المفصوم
من قوله لا انفصام لها وهو المبالغة لانه اذا لم يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع اولى وقيل ان الموصوف ههنا محذوف اي التي لا انفصام لها
كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي من له وقيل معنى قوله لا اكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على انه اخبار في معنى النهي والاكراه الزام الغير فعلا
لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في اهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط
القتل عنهم ثم حكم المجوس حكمهم اما الكفار الذين تهودوا او تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك بل يكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه
ولا يكرهون روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعث رسول الله صلعم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلعم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه اي
لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من تكلم بالشهادة وقول من تكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب
وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلعم يحب اسلام اهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان
يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد صلعم عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا اي متولي امورهم
وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على ان
الطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين اكثر من الطافه في حق الكافر وذلك انه يخرجهم من الظلمات الى النور من الكفر الى الايمان ومن
الضلالة الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا آمن والمؤمن الاصلي ولا يبعد ان يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا
في الظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين
الدفع والرفع تشابه في مثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم انهم ما كانوا قط في النار وروي انه صلعم سمع انسانا قال اشهد
ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله صلعم قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن
من الظلمات والنور فانه اراد بهما الكفر والايمان الا قوله في اول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنى به الليل والنهار قال وانما جعل الكفر ظلمة
لانه كالظلمة في المنع من الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قد مر ان الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية
والمعارف اليقينية انوار تزداد النفس بها نورية واشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في
موضع الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق واحد يرجع اليه طريقة واحدة وهو ايضا في نفسه واحد واما الباطل
فلا حصر له ولطرقه كما ان الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من يبعث الى
الطغيان كالمجاز فان الحوادث باسرها تستند الى المبدأ الاول بالحقيقة وينتهي الى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا اولئك الكفار وهم مع
ما يدعيهم من الوسائط والوسائل اصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم اعاذنا الله من ذلك التاويل الحي القيوم اشير بهما الى الاسم الاعظم لان
اسم الحي مشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحي ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسم القيوم
دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفة الحي معاني جميع اسمائه وصفاته وعند تجلي صفة
القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق وزهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحي القيوم اذ سلب الحي جميع
اسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات فنفي التعدد وبقيت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية
فقد ذكره بالاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى لانه حينئذ ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما الذاكر عند غيبته عن عظمة
الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد عن الاسم

الاعظم فقال الاسم الاعظم الله لا حد مخلد ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لان النوم اخ
الموت والموت ضد الحيوة وهو الحي الحقيقي فلا يلحقه ضد الحيوة مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ هذا الاستثنا وراجع الى النبي كانه قيل من ذا
الذي يشفع عنده يوم القيمة الا عبده محمد صلى الله عليه وسلم فانه ماذون في الشفاعة موعود بها عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
من اوليات الامور قبل خلق الخلائق كقوله عليه السلام اول ما خلق الله نوري واول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام
وَمَا خَلْفَهُمْ من احوال القيمة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِنْ عِلْمِهِ وانما هو شاهد على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ويعلم امور اخرتهم واحوال اهل الجنة و
النار وهم لا يعلمون شيئا من ذلك الا بما شاء ان يخبرهم عنه وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مثال العرش في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي سره
وسوف يجيء تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى
سعة قلب المؤمن وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا لا يثقل الروح الانساني حفظ اسرار السموات والارض وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ولما ظهر المخلوقات من العرش
والكرسي لقلب المؤمن وسره علوا في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء
هو ولي المدح والثناء فقال وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ من علي في الاخرة واولي في اعلاء ومن عظم فيعظمه ثم اخبر عن عزة الدين لارباب اليقين بقوله لَا
إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ كما قال عليه السلام ليس الدين بالتمني مع ان التمني نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامره
ظاهرا والتسليم لاحكامه خفية بالنفس من غير حرج وضيق عطن ثم شرع في مراتب شرح له تمام الدين بقوله فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ يعني امنه فطاغوت العوام
الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان
الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى في شهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وانابة القلب الى الفنا
في الله واخلاء السر للبقاء بالله هذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب التجلي تُبْتُ إِلَيْكَ اي عن هذه
الافاقة وكان مخصوصا عن عالمي زمانه بالايمان العياني وشريكا مع القوم بالايمان البياني كما قيل اسقني شعر لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خصصت
به من بينهم وحدي ثم العروة الوثقى التي استمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من المحدثات المخلوقات لقوله كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ولا يكون
ايضا من بطشه فالكائنات منفصمة بل يكون من بطشه إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه في الايمان فهي للعوام توفيق الطاعات
وللخواص مزيد العناية بالمحبة يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ولخواص الخواص الجذبة الالهية التي تفنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال جذبة
من جذبات الحق توازي عمل الثقلين لان الثقلين في اعمالها فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب
لا يخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن تصرفات جذباته فقال اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يخرج العوام من ظلمات الكفر و
الضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات
الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان الولاء
والمحبة من قبل الكفار اي هم اولياء الطاغوت كقوله أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهي بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان
او النفس فهم الاعداء لا الاولياء يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها
فوق بعض حين كانت بعضها تحت بعض أُولَئِكَ اي ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام أَصْحَابُ النَّارِ لان الارواح وان لم تكن من
جملتهم لكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي ع ٣
[illegible] حجت کرد با ابراهیم [illegible] پادشاهی چون گفت ابراهیم [illegible]
يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ
[illegible] گفت ابراهیم [illegible] از سمت مشرق [illegible] از سمت مغرب [illegible]
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
[illegible] ستمکاران را [illegible] گفت [illegible] چگونه زنده کند این را خدا [illegible]
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
پس میرانید او را خدا [illegible] صد سال [illegible] زنده کرد [illegible] گفت [illegible] یک روز یا بعض روز [illegible] صد سال پس بنگر بسوی طعام خود و شراب خود
لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ
[illegible] بسوی خر خود [illegible] استخوانها [illegible] گوشت پس چون ظاهر شد [illegible] گفت میدانم
أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ
[illegible]

فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز

پس فراگیر چهار عدد از مرغان پس جمع کن انها را بسوی خود پس بگذار بر هر کوهی از ان مرغان جزئی را پس بخوان انها را بیایند بسوی تو شتاب و بدان که بدرستی خدا غالب

حكيم ❊ القراءات ربي الذي مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا احيي بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد في المكسورة في قوله تعالى ان انا الا نذير واشباه ذلك متبعا باية مثل قبل وقدم لبثت وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب لم يتسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بالتشديد بالزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف تقرأ ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة ❊ الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لا لان قال عامل اذ واميت ط كفر ط الظالمين ج لا للعطف وللتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موتها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب في الجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما من وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحما ط لتمام البيان له لا لان قال جواب لما قدير ط الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم ❊ التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلاثا اولها في اثبات العلم بالصانع والباقيان في اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابرهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء في ان اتاه قيل لابرهيم لانه اقرب في الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابرهيم ولا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا ومعنى ان اتاه الله اي لان الله اتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان اتاه عن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين كسر ابرهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصير باعضائه واحواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب الم نخلقكم من ماء مهين ويروى ان الكافر دعا شخصين فاستبقى احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم عم لما راى من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل من ذلك الى دليل اخر اوضح من الاول فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول وفي المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عنه عند استدلال ابرهيم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب عند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر وقالوا ان ابرهيم عم لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر تدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء ام بواسطة الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فنظيره او ما يقرب منه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابرهيم عم بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل مدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهي اذن بتحريك رب الارض والسموات قلت وفيه بعض طول اخر نذكره في التاويلات ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما و

وانصح منها القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين للهداية المنتفع بها الدليل فان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوجا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته القصة الثانية قوله سبحانه أو كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير أرأيت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر ونظيره من القرآن قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله مثله قول الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا وعن الاخفش ان الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر وعن المبرد انا نضمر الفعل في الثاني والتقدير ألم تر الى الذي حاج الى ابراهيم او لم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله انى يحيي استبعاد وانه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبيين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم ان الله على كل شيء قدير وذهب سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال ان ارميا هو الخضر وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ارميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب بختنصر بيت المقدس واحرق التوراة وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله و بانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا قد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له ايضا روي عن ابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي من اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى عنه في موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير وقال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا آباؤنا ان عزير بن شرخيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه يقرأ التوراة فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع فاخرجت وعورضت بما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت معنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كأن حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على سقوفها المنهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى بمعنى عن اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية على مع كون اشجارها مثمرة وكان التعجب من ذلك اكثر لان الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اقرب فيكون ادخل في كونه آية ثم بعثه اي احياه كما كان عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اي كم مدة فحذف المميز والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات شاهدها في نفسه وفي حماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم تأت عليه السنون لان مر السنين اذا لم يغيره فكأنها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم اجرت الدار مسانهة وقيل اصله يتسنن اما من السن هو التغير قال تعالى من حمأ مسنون اي متغير منتن واما من السنة بناء على ما نقل الواحدي من ان اصل سنة سننة بدليل سنينة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى

التقدير بين ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم ووصلت هاء السكت في الوقف وعن علي الفارسي ان السن هو الصب فقوله لم يتسن اى الشراب بقى بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم فالجواب انا شبهة كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد فلهذا قيل وانظر الى حمارك فرآه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث رأى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول المدة لكنه بان شاهد عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انجعله دليلا على صحة البعث وقال غيره كان آية للناس لان الله تعالى بعثه شابا اسود الرأس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير واما فائدة الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اى كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان الحيوة تكون بالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض والتركيب النشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشزها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى احيا رأسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى اجزاء عظام نفسه فرآها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما يليق بمن لا يرى في نفسه اثر التغير لا لمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وقوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التي اماتها وقيل هي عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا او والتقدير فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتاويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت اعلمه قبل ذلك استدلالا وقرئ اعلم على لفظ الامر ومعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك والله تعالى امره بذلك كما في آخر قصة ابرهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشئ انما يحسن عند عدم المامور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك اما الاخبار عن انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شئ آخر غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا اوردت القضية كلية نعم لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر يعود الى شئ آخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستأنف من الزمان اى ليكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيما بعد ذلك كقولك للمتحرك تحرك اى واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراءة السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة الثالثة قوله عز من قائل واذ قال ابرهيم التقدير واذكر وقت قول ابرهيم وقيل معطوف على قوله الى الذي اى الم تر الى وقت قول ابرهيم وههنا دقيقة وهو انه لم يسم عزيرا في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا سمى ابرهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابرهيم اثنى على الله اولا بقوله ربي فادرج ذلك في غيره ومعنى ارني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابرهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت فقال ابرهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل او لم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا احيي واميت فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابرهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب ارني كيف تحيي الموتى لينكشف هذه المسئلة عند نمرود واتباعه بزوال الانكار عن قلوبهم وروي ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي اى بنجاتي من القتل او ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الله تعالى اوحى اليه اني اتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابرهيم ع وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابرهيم ع في درجات العبودية واداء الرسالة

خطر ببالي لعلي اكون ذلك الخليل فسأل الله احياء الموتى فقال الله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على اني خليلك الرابع لا يبعد ان يقال انما جاء الملك الى ابرهيم واخبره بان الله يبعثك رسولا الى الخلق فطلب المعجزة ليطمئن قلبه على ان الآتي ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع في الصحف منزلة عليه ان الله تعالى يحيي الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس اقل منزلة عند الله من عيسى فانه من اولاده السادس امر بذبح الولد فسارع الى ذلك فقال الهي امرتني ان اجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فمرني بان تجعل بدعائي فاقد الروح ذا روح السابع اراد ان يخصصه الله بهذا التشريف في الدنيا بان جميع الخلائق يشاهدون الحشر في الآخرة الثامن لعل ابرهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة ولما ان ابرهيم ع كان شاكا في المعاد فلا ينبغي ان يعتقد فيه ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر اولى وكيف يظن ذلك بابرهيم ع وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه والذي جاء في الحديث من قوله ع نحن احق بالشك من ابرهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله ص تواضعا منه وتقديما لابرهيم على نفسه نحن احق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله اولم تؤمن للتقرير كقوله الستم خير من ركب المطايا وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيب بما اجاب به ليعلم السامعون انه ع كان مؤمنا بذلك عارفا به او ان المقصود من هذا السؤال شيء آخر واللام في قوله ليطمئن يتعلق بمحذوف اي ولكن سألت ليزيد قلبي سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال فان تعارض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمانينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شيء آخر فلا اشكال فخذ اربعة من الطير عن ابن عباس هن طاووس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره ويصيره اي املهن واضممهن اليك قال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها وحلاها كيلا يلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم انها غيرها وفي الآية حذف كانه قيل فاملهن واقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ومعنى صرهن قطعهن فلا اضمار وروي انه امر بذبحها ونتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي بعضها على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وانكر ابو مسلم هذه القصة قال ان ابرهيم ع لما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تعالى مثالا قرب به الامر عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اي فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن اي الطيور لا الاجزاء يأتينك سعيا وزيف قول ابي مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان ظاهر الآية يدل على انه اجيب الى ما سأل وعلى قوله لا يكون الاجابة حاصلة ولان قوله على كل جبل منهن جزءا دليل ظاهر على تجزية الطيور وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدي وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابرهيم وكان سبعة اما قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطائر اذا طار سعى واجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة مشيا كانت وطيرانا واحتج الاصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحيوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعي والعدو قال القاضي دلت الآية على انه لا بد من البنية من حيث انه وجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول المفارقة لا يدل على وجوب المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية على حصول الحيوة لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست شرطا للحيوة واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء التأويل ان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا قبله ادعى الربوبية وما ادعاها احد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب غاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فمتى وكل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا للبشرية الطبيعية لانه خلق من تراب فطبعه يميل الى السفل فيرى الكمال في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم في الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فيقول انا احيي واميت انا ربكم الاعلى جهلا بالكمال ذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية النبي ص ومن ينوب منابه هو الشيخ قال انا الحق او سبحاني او ليس في جبتي سوى الله هذا هو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعني كن فانيا عن وجودك بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فانه جل وان لم تكن محدا فان المحد من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ما سوى الله قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعراض عن قول الكافر انا احيي واميت فالمراد ان ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن اطلاع شمس الحيوة من افق البدن فان كنت صادقا في دعواك ان هذا يتأتى منك فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه آية القيامة من مات فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لانه ان امكنه ان يدعي الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه ان يدعي الاماتة بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس

المعز بسنه طريقه عند ذلك لا يرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم اخبر عن ابطال ر قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدعى في محجة

عقيب الدعوى بقوله تعالى او كالذي مر على قرية وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد عترافهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت

من سجن الاشباح وتقوت بالعلوم والكلية التي استفادتها من عالم الحس فلا حاجة لها ان ترجع الى السجن ابقى كما ان الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب

وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج الى ان يرجع الى المكتب في حال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورافته دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات

الفلسفية باماتة عزير مائة سنة وحماره معه ثم احياها جميعا ليعلم ان الله تعالى مهما احيى عزير الروح احيى معه حمار الجسد كما ان عزير الروح يكون

عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح شرب من كؤوس تجلي صفات الجلال والجمال وسقيهم ربهم شرابا

طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد يرتع من الرياض ويشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل اناس

مشربهم شعر شربنا واهرقنا على الارض قسطها وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة عن خليله وذلك قوله رب ارني كيف تحيي

الموتى فمفهوم منه انه قول موسى رب ارني انظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فرأى غير الغضب والتعب ودب سارب الخاطي الجاني

وعرك شعر بلى لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب كان الخليل صاحب ري صاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر شربت الحب كاسا

بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت فلسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق بقوله رب ارني انظر اليك ويعربد اخرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن

كمال صحو الخليل ما زال قدمه في اداب العبودية في الحضور والغيبة فلا جرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة انا اول ما شاب شيبة ابراهيم ثم غدا بالكسوة

ان اول من يكسى ابراهيم لما ابتلي في ماله فبذل للضيفان وابتلي بولده فاسلم وتله للجبين وابتلي في نفسه فسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلي بجبريل

فقال اما اليك فلا جرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربي واول من سلك طريق

الحق وقال اني ذاهب الى ربي واول من نطق بالمحبة وقال اني لا احب الافلين واول من اظهر الشوق وقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين و

اول من اظهر العداوة لغير المحبوب فانهم عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسأل الرؤية وقال رب ارني ولا تصح ان يسأل الرب بما يكون

وقت سؤاله شعر ولست حديثا لهيد شوقا ولو عته حديث هواكم في حشاي قديم ؛ ولكنه من حفظ اداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال

ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي الى ان ساقه التقدير الى حسن التدبير في سؤال نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربي الذي يحيي ويميت

فقال نمرود هل رأيت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة للمأمول فادرج في السؤال السؤال فاخفى سره وهو ادنى في علنه وهو كيف تحيي الموتى وهو

يعلم انه يعلم السر واخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان اسمعه من كلامه بفضله وجوده قال اولم تؤمن فكان في هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلاثة

معان مضمرة اولم تؤمن وقت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا اولم تؤمن لميعاد رؤيتي في الجنة فاردت ثمة اولم تؤمن بما

طلبت من الاحياء مضمر في كل منها الاثبات في لفظ النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلاثة بلى بسر السرى بلى امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن

ما كان مقصودي الايمان او الايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني سألت ليطمئن قلبي بما تريد وبلى امنت

بميعاد رؤيتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطرب قلبي من غاية يقيني وبلى امنت بقدرتك على

الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء وانما سألتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك يحصل مقصودي كما ان من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة

معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توأمان وفي مذهب الملاح الطلب والسبيل

سد فيقول ارني كيف تخيط الثياب فكل صانع فاخر في صنعته يريد ان يري جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا احتجاب هو يخيط الثوب فيقول انظر

الى كيفية خيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل لما عبر عن الجليل من اضطراب قلبه

واضطرار حاله وتضرع بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه حقق رجاه وقال خذ اربعة من الطير الاية والمراد انك محجوب بك عني

فحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب بحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فبما تموت عن صفاتك تحيي بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ

اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان

من التراب وقرينها وهو الماء تولدت الحرص والبخل وهما ترابيان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة لكل واحدة

من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل

هي كالمعشوقة بين الصفات تتعلق بها كل صفة فهن الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني

من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاووس البخل فلولم

يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص يكون معه حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لانه رفعة في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح

الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه موادها ما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما القي فيها بردا وسلاما وابلغه

في تقطيعهن ونتف ريشهن وخلط اجزائهن اشارة الى محو اثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يد ابراهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل منهن

الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلاثة الحيواني والطبيعي والانساني الملكي فهذه الجبال كالاشجار و

الزروع واجزاء الطبوكالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من اولئك فيربي تربيتها ويتصرف فيها
الروح الانساني بجنبها بنوره هو من خصايص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات مبتدعين صافها حيتية باخلاق الروحانيات هذه الخواص لخلو الذبح
العناية الى جوالهم الروح واما خواص الخواص فلمن ادركته العناية كالخليل فالله تع بعد محو هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيي فيحيي هذه الصفات الفانية
عن صافها بنور صفته المحيية فيكون العبد في تلك الحالة حيا بحيوته مخيبا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما ان اميا يقول لكاتب رئى كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه في يد الامي ويأخذ يده
بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب كقوله شعر عجبت منك ومني افنيتك
عني : ادنيتني منك حتى ظننت انك اني : فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي فيعلم الامي انه امي والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو
الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي ذنب حسبان انك كاتب وانت امي عربي بما وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله
عليك عظيما ثم ان الله تعالى تجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحيي ليريه من آياته وهي كيفية الاحياء وقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج
كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه رب ارني والحبيب طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هي وذلك لعلو مرتبته وهمته
رفعته وكمال معرفته فلعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا
نصه بحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية
الاشياء كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز اعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسرار
ع الامر بطوره الا من يحلو فاته مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ
حَبَّةٍ وَاللّٰهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا اَنْفَقُوا
مَنًّا وَلَا اَذًى لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا اَذًى
وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ اَصَابَهَا
وَابِلٌ فَآتَتْ اُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَاِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اَيَوَدُّ اَحَدُكُمْ اَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ
وَاَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَاَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَاَصَابَهَا اِعْصَارٌ فِيهِ
نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ القراءة انبتت سبع بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف
هشام وسهل يضعف بالياء ابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف
رئاء الناس غير مهموز حيث كان يزيد الشموني والحراعي عن ابن فليح وحمزة في الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي
حمدون وحمدويه وروح غير يعقوب كذلك ما كان محله النصب من الاعراب كل القرآن بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون
بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع ابو عمرو وفيها اتصلت بالهاء والالف بما يعملون بصير بالياء التحتانية ابو عون عن قنبل
الباقون بالتاء للخطاب الوقوف مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ج عند ربهم ج لعطف المختلفين يحزنون اذى ط حليم والاذى لا لتعلق كاف
التشبيه ابطال الاخر ط الاخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير
الانهار لا لان ما بعده صفة الجنة ايضا الثمرات لا لان الواو للحال ضعفاء من والوصل اولى والوقف على فاحترقت ط لانها هي مقصود الاستفهام
والمعنى ايحب احدكم احتراق جنته صفتها كذا في حال كذا تتفكرون التفسير انه سبحانه لما ذكر من اصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام
اتبعه ببيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة

فصل بعد ذلك بهذه الآية الاضعاف فانما ذكر من الآيتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر
لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت انى خلقتك واكملت نعمى عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتى على
المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازى القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن
الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبى صلى الله عليه وسلم ليرغبوا فى المجاهدة بالنفس والمال فى نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى
لما بين انه ولى المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن فى سبيل الله وما ينفق الكافر فى سبيل الطاغوت وقيل
لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التى يملكها العباد الا بالانفاق تبعه احكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار
ليصح التشبيه اى مثل صدقاتهم كمثل حبة ومثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن
الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب
لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجدت فى الدنيا سنبلة بهذه الصفة ولم توجد على انه قد يوجد فى الجاورس والذرة و
غيرهما مثل ذلك وفى سبع سنابل مثل ثلثة قروء فى اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اى تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق
لتفاوت احوال المنفقين فى الاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك فى مشيته فالله واسع كامل القدرة على
المجازاة لانه فيضه غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلا يضيع عمل عامل
عنده ثم لما عظم امر الانفاق ردف ببيان الامور التى يجب عليها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن هو ان يعتد بالانعام نحو
نعم ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صفوان من منح سائله ومن ومنع نائله وضن وذلك لما فيه من
انكسار قلب الفقير من نفسه وذوى الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعباد عباده وان المعطى هو الله اذ كان العبد
فى هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان فى درجة البهائم التى لا يتجاوز نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار
الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بانه
ادى اليه او يقول له لست الا مبرما وما انت الا ثقيل وباعدك الله ما بينى وبينك ومعنى ثم تراخى الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى
وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما على حدة لانهما نكرتان فى سياق النفى لهم اجرهم وفى البقرة بعد هذا فلهم اجرهم لان الموصول هاهنا لم يتضمن معنى
الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوى وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هاهنا لك
الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هاهنا انسب لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى لا يخافون
فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيمة لا يخافون العذاب
ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله فى سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل
الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالآية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان
ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثانى ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على نعته المن
لا ثواب له اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف يقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق وعدة حسنة ومغفرة عفو من
السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذا رده بغير مقصوده ربما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو عن جهة السائل
بان يغفل المسئول عن السائل اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اتبع الاعطاء الايذاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب
النفع بعقاب الضرر اما القول المعروف ففيه انفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان اولى من الناس من خصص الآية بالتطوع
لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غنى عن صدقة كل منفق فما وجه المن حليم
عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذى وغير المؤذى مثلا فقال يا ايها الذين آمنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير كالذى اى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرائى بعمله غيره ولا يريد به رضا الله وثواب
الآخرة ويجوز ان يكون الكاف فى محل النصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه
المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذى على انه شبهه بالمنافق ثم شبه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقى
ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق هذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذى ولعمل المنافق فان الناس يرون فى الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا
الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان
على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط
والتكفير فعلى مذهبنا العمل لله كالتراب والمان المؤذى والمنافق كالصفوان ويوم القيمة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل الله
مشبه بما اذا طرح بذرا فى صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقى مستودع بذره خاليا لا شىء فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة

المان بالمرائى المنافق ثم شبه

فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اى لا يقدر احد من الخلق على ثواب شيء مما فعلوا ان تعرض للتراب على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وناهيك بكون المان والمنافق ملزوزين في قرن شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذى ما لان من والذى متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذى واما لانه اشير بالذى الى الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم عن الثواب طريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اى يوطنون انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها في موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحيوة العاجلة والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبتت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم على هذا الابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد انهم يتثبتون انفسهم تثبيتا في طلب المستحق وصرف المال في وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يتثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمئن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البخت والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤها ونورها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة التنفس والربا في المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما يضربه الرياح كان الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها فان هذا البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكان الربوة في مقابلة الصفوان وسبب نزول المطر عليه فينبغي ان تكون هذه الارض بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اى ثمرها وما يؤكل منها ضعفين مثلي ما كان يعهد قبل مثلما يكون منها فان لم يصبها وابل فطل صغير القطر يصيبها ولا ينقص شيء من ثمرها لكرم منبتها او المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر فالمطر كثر او قل وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه قل او كثر ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازي بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب في الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا اخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اى لن يود وقرئ لجنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب كان الجنة مما تكون منهما لكثرتهما فيها الثاني تجري من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك مما يزيد رونقها وبهاءها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب بالذكر لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع قال في الكشاف يجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اى صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تستطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اى الجنة ولا يخفى ان هذا المثل في النهاية من الامثال فان الانسان اذا كان له جنة في غاية الكمال وكان هو في نهاية الاحتياج الى المال وذلك لان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح شاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون في قلبه من الحسرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق النفاق والمن والاذى كان ذلك كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورثه الخيبة والندامة التاويل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير فاخذها الله بيمينه ويربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى قلبه الى الله فهو بين اصبعين جلاله حتى يصير اعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بالله صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وارباب الصدق للقيام باموره في تشفي ما في صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غيره من الثناء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك وجب لي عليك اجر لا اذى بان يطلب من الله غير الله راى احمد خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني لهم اجرهم عند ربهم نزلهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار وقول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له

وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجمل اذى لطلب غير الحق من الحق والله غنى عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار في الطلب غيره ولولا حلمه فما للثمرات رب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن بطل حقوقه على في الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان يتصدق لشئ الصدقة طلب الحق لما منت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء اى لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغنى لان الفقير ياخذ منه الدنيا ويعطيه الاخرة كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثل المرائى كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مقلسا خائبا لا يقدرون على شئ مما كسبوا لينوسلوا به الى الله والله لا يهدى القوم الكافرين بنعمة طلبته نحو جمال تجرمواهب ولتوصاله وتثبيتا من انفسهم وتخليصا لقيامهم فى طلب الحق وصيانته من حظوظ انفسهم كمثل جنة هى قلب المخلص بربوة فى رتبة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فاتت اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطى اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطى اهل الدنيا نصيبا من الاخرة فكذلك يعطى اهل الله نصيبا من الاخرة بالتبعية ولا يعطى اهل الاخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات ولاستيفاء اللذات واستيفاء الحيوة ثم ضرب مثل الروح لانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق فى احسن تقويم مستعد لجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة فجنة هى منظور نظر العناية تجرى من تحتها الانهار الهداية واصاب لصاحبها ضعف الانسان وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية فى غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من عمال البرفيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون فى احسانه معكم بابناء الاستعداد الفطرى فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعماركم فى طلب امالكم واستعدوا للموت قبل حلول اجالكم والله المستعان وهو حسبى يٰٓاَيُّهَا الَّذِيۡنَ اٰمَنُوۡٓا اَنۡفِقُوۡا مِنۡ طَيِّبٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ اَخۡرَجۡنَا لَكُمۡ مِّنَ الۡاَرۡضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا

ای زمره گروندگان خرج کنید از پاکیزه‌های آنچه کسب کرده‌اید و از آنچه بیرون آوردیم برای شما از زمین و قصد مکنید

الۡخَبِيۡثَ مِنۡهُ تُنۡفِقُوۡنَ وَلَسۡتُمۡ بِاٰخِذِيۡهِ اِلَّآ اَنۡ تُغۡمِضُوۡا فِيۡهِ ؕ وَاعۡلَمُوۡٓا اَنَّ اللّٰهَ غَنِىٌّ حَمِيۡدٌ‏ ۞ اَلشَّيۡطٰنُ يَعِدُكُمُ الۡفَقۡرَ وَ

ناپاکیزه را از آن خرج کنید و حال آنکه نیستید گیرنده آن مگر که چشم بپوشانید در آن و بدانید که خدا بی‌نیاز ستوده است شیطان می‌ترساند شما را از فقر و

يَاۡمُرُكُمۡ بِالۡفَحۡشَآءِ ۚ وَاللّٰهُ يَعِدُكُمۡ مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًا ؕ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيۡمٌ ۞ يُّؤۡتِى الۡحِكۡمَةَ مَنۡ يَّشَآءُ ۚ وَمَنۡ يُّؤۡتَ الۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ

وا دارد شما را به ناشایسته و خدا وعده کند شما را آمرزش از او و زیادتی و خدا محیط داناست می‌دهد حکمت را به هر که خواهد و هر که داده شود حکمت پس

اُوۡتِىَ خَيۡرًا كَثِيۡرًا ؕ وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّاۤ اُولُوا الۡاَلۡبَابِ ۞ وَمَآ اَنۡفَقۡتُمۡ مِّنۡ نَّفَقَةٍ اَوۡ نَذَرۡتُمۡ مِّنۡ نَّذۡرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ يَعۡلَمُهٗ ؕ وَمَا لِلظّٰلِمِيۡنَ

داده شده خوبی بسیار و متذکر نشوند مگر صاحبان خرد و آنچه خرج کردید از خرج یا نذر کردید از نذر پس بدرستی که خدا میداند آن را و نیست ظالمان را

مِنۡ اَنۡصَارٍ ۞ اِنۡ تُبۡدُوا الصَّدَقٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۚ وَاِنۡ تُخۡفُوۡهَا وَتُؤۡتُوۡهَا الۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ ؕ وَيُكَفِّرُ عَنۡكُمۡ مِّنۡ سَيِّاٰتِكُمۡ ؕ وَاللّٰهُ

از یاوری اگر ظاهر سازید صدقه‌ها را پس خوبست آن و اگر پنهان دارید آن را و بدهید آن را به فقرا پس آن بهترست مر شما را و دور کند از شما از گناهان شما را و خدا

بِمَا تَعۡمَلُوۡنَ خَبِيۡرٌ ۞ لَيۡسَ عَلَيۡكَ هُدٰٮهُمۡ وَلٰـكِنَّ اللّٰهَ يَهۡدِىۡ مَنۡ يَّشَآءُ ؕ وَمَا تُنۡفِقُوۡا مِنۡ خَيۡرٍ فَلِاَنۡفُسِكُمۡ ؕ وَمَا تُنۡفِقُوۡنَ اِلَّا ابۡتِغَآءَ

به آنچه میکنید با خبرست نیست بر تو هدایت ایشان و لکن خدا راه می‌نماید هر که را خواهد و آنچه انفاق کنید از مال پس مر نفسهای شماراست و آنچه خرج مکنید مگر برای خواستن

وَجۡهِ اللّٰهِ ؕ وَمَا تُنۡفِقُوۡا مِنۡ خَيۡرٍ يُّوَفَّ اِلَيۡكُمۡ وَاَنۡتُمۡ لَا تُظۡلَمُوۡنَ ۞ لِلۡفُقَرَآءِ الَّذِيۡنَ اُحۡصِرُوۡا فِىۡ سَبِيۡلِ اللّٰهِ لَا يَسۡتَطِيۡعُوۡنَ

رضای خدا و آنچه خرج کنید از مال تمام باز داده شود بسوی شما و شما ستم کرده نشوید مر درویشان را آنانکه باز داشته شدند در راه خدا نتوانند

ضَرۡبًا فِى الۡاَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ الۡجَاهِلُ اَغۡنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ۚ تَعۡرِفُهُمۡ بِسِيۡمٰهُمۡ ۚ لَا يَسۡـئَلُوۡنَ النَّاسَ اِلۡحَافًا ؕ وَمَا تُنۡفِقُوۡا مِنۡ خَيۡرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ

رفتن در زمین را می‌پندارد ایشان را نادان توانگران از خودداری می‌شناسی ایشان را بعلامت ایشان سؤال نمیکنند مردم را بالحاح و آنچه خرج کنید از مال پس بدرستیکه

ع بِهٖ عَلِيۡمٌ ۞ اَلَّذِيۡنَ يُنۡفِقُوۡنَ اَمۡوَالَهُمۡ بِالَّيۡلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَّعَلَانِيَةً فَلَهُمۡ اَجۡرُهُمۡ عِنۡدَ رَبِّهِمۡ ۚ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُوۡنَ

بآن داناست آنانکه خرج کنند مالهای خود را در شب و روز در پنهانی و آشکارا پس برای ایشان است مزد ایشان نزد پروردگار ایشان و نیست ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوهگین شوند

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء وصلا البزى والباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اى من يؤتيه الله الباقون بالفتح فنعما هى ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هى بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلى وحمزة وخلف والحراز الباقون فنعما بكسر النون والعين والميم مشددة فى القرائت ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلى ونكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم بابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة لسيماهم بالامالة حمزة وعلى

ابن شاذان عن خلاد بخيرا وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف من الارض لعطف المنفقين تغمضوا فيه ط حميد ه بالفحشاء ج
وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب وعد الله الحق الصادق وفضلا ط عليم ه وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج
لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب ه يعلمه ط انصار ه فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون
او الياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ه من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لا ابتغاء
وجه الله ط لا تظلمون ه في الارض لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظرا ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف لان تعرفهم يصلح استينافا
وحالا يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحاف وقد يجعل لا يسئلون استينافا
فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم ه عند ربهم ج يحزنون ه التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك و
شرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض
بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وساير النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان بعض
الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه
في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلعم فقال النبي بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل
لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة
وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه صلعم قال الصدقة في اربعة
في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في غير هذه الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلعم
فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة
ومثله الشافعي بالقث وحب الحنظل وساير البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها وانه لا يجب الزكوة
في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة
يجب العشر في القليل والكثير لسنة لا تبعة والاية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مذكور في الفروع
فلذلك لطولها لم نشرع فيها وما المراد بالطيب في الاية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردي لما مر في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون بر
ذالة اموالهم فنهوا عن ذلك لان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والاية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود
ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون
انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي جهة اخذتم المال من حلاله ومن حرامه ويحتمل ان يراد بما يكون طيبا من جميع
الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد يكون شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا
وجب ان يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للاية لان المأخوذ في هذه الحالة لا
يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد ورديء فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكوة من رديء مالك ولا يكلف اجوده
لقوله لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب هو
الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء
لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممه وتأممه كلاهما بمعنى قصده ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه
ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه ان كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم
ابتداء مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا بالاغماض هو غض البصر واطباق جفن على جفن
واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه كيلا يرى
ذلك فكثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضون
لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمض بصر البايع اي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي وحامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك
كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تعالى لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما
الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن
ان يكون استعماله في الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويأمركم
بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل

للانفاق وهو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيئا الا الجيد ولا الردي والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردي فالشيطان اذا اراد
نقله من الافضل الى الاخس فمن خفي حيلته ان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند
كل احد فلا يمكنه ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه في ذلك دفعه منعه من الانفاق بالكلية وربما
تدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم
على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة
الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان
يعدكم الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع
به على تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بافة اخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء
المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما في الاخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال
فان ذلك ينقطع بزوال بخلاف او عود في الاخرة فانه باق لا يزول وايضا لذات الدنيا مشوبة بالالام والمضار البتة فلا لذة الا وفيه الم من وجوه
كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص وفي المغفرة تكفير الذنوب وفي التنكير فيه دلالة على الكمال والتعظيم لا سيما وقد قرن به لفظة منه فانه
غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في اية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخا وذلك
ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال
الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة
الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مهما عرف من
الانسان انه منفق كانت الهمم معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولمثل ذلك من التاثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل للخلف قادر
على انجاز ما وعد عليم بحال من ينفق ثقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الاسر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد
الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما هو الشهوة والفرح عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ
القران وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمن الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى
النبوة واتاه الله الملك والحكمة ورابعها القران بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتامل
يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا
قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة
منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني الى فعل العدل
والصواب لذلك سأل ابرهيم ع رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى ع انني انا الله لا اله
الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكي عن عيسى ع انه قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا
اينما كنت وكلها النظرية واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد فاعلم
انه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك فهو العملية وقال في حق جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين
والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة راي وفعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول فيها يفرق كل امر حكيم اي
محكوم وفي الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية مما هي باعطاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا
الا ان وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه ثم سلكوا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم
ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا
هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ما له وما عليه عند ذلك تقدم او تحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية
الاخلاص والرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان
او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم
يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده و
الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل ويحثه عليه بتعليق التزام قربة
بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او فعلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله علي صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه

وما انفقتم

ودخل ولم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال احدها يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث
التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة واندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي او
رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرر وهو
ان يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لاطلاق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي
واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر
في معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه فاذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه
قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوة الخمس وصوم رمضان لا معنى
لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات
المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة
والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة
على الجنازة والامر بالمعروف مما ليس فيه بذل مال ولا كثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها
اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او الحج ماشيا اذا جعلناه افضل من الركوب هو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام
والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود والقراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة
المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب
الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا
قائما في الشمس فسأل عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير
تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات
او ينفقون اموالهم في المعاصي والرياء او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر
كاصحاب جمع صاحب وجمع نصير كاشراف في شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في العرف
لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل
الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا
على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقة السر افضل ام صدقة العلانية
فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره
اذا اخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد
كماله في ايمانه فنعما هي من قرأ بسكون العين فحجته على انه وقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله
ما روي في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة و
من قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة نعم الساعون في الامر المبر قال سيبويه ما في تاويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال ابو علي الجيد
ان يقال ما في تاويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة لبقيت بلا صلة فان هي مخصوصة بالمدح والتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات
فحذف المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك اشق على النفس
فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه يطلب السمعة
والمعطي في ملاء من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد اعمى وبعضهم يلقيها
في طريق الفقير او في موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعضهم يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال صلى الله عليه وسلم
افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ايضا ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل
من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفي غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر
الناس على الفقير اخذ تلك الصدقة وظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للآخذ واهانة له واذلال
المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز
اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهر بها اقتدى غيره به فيبعد الحالة هذه ان يكون الاظهار افضل وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال السر افضل من العلانية
والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك فهو يدفع تلك

الشهوة فههنا الشيطان يرد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا كما روى عن ابن عباس صدقات السر في التطوع يفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان لله تعالى عبادا راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته وذهب عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تعالى وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا فهؤلاء ائمة الهدى واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب الزكوات وفي دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روى انه صلعم كان اكثر صلوته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل ولا سيما اذا خاف الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خَيْرٌ لَكُمْ انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الله وانما قيل وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ لان المقصود من بعث المتصدق ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط في الاخفاء ان يحصل معه ايتاء الفقراء واما في الابداء فلما لا يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ من قرأ بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتداء محذوف فقوله فهو خير في تاويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستانفة ومن قرأ مجزوما فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا واما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا فالاعراب كما مر في النون والضمير لله او للاخفاء وقرئ تكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها تكن خيرا لكم وان يكفر عنكم خيرا لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ يحتمل ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها واحسن احوال العبد ان يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلعم عمرة القضاء وكانت معه اسماء بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسئلانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله صلعم فانكما لستما على ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله تعالى لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ فامرها رسول الله صلعم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال الكلبي ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم واردوهم ان يسلموا واستامروا رسول الله فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلعم لا تتصدقوا الا على اهل دينكم فانزل الله لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ فقال رسول الله صلعم تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فيكون الاية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره ومعنى الاية لا يجب عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وذلك انه صلعم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله وسبيلا الى الدلائل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك منك الا بان الهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه اخر ليس عليك ان تلجئهم الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي اولا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الاجبار فهذا الثاني ومنه يعلم ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ انه خطاب مع النبي ولكن المراد به امته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ من مال فَلِأَنْفُسِكُمْ ثوابه فليس يضركم كفرهم او فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم وسد خلة مضطر فقد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا لله قيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد المدح حتى تنفقوا لوجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وايضا فقول القائل فعلت هذا الفعل له يحتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ جزاؤه في الآخرة اضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لا تنقصون من ثواب عملكم شيئا ثم انه بين

بحوائجهم في الصدقة الى فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اى ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل
فيقول عاقل لبيب اى ذلك الذي مر وصفه عاقل لبيب قيل اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء او المراد صدقاتكم للفقراء قيل
نزلت في فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن
ويصومون ويخرجون في كل غزوة فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم و
جهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي ثم انه تعالى وصف هؤلاء
الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين احصروا في سبيل الله اي حصروا انفسهم ووقفوها على الجهاد في سبيل الله لان سبيل الله مختص
بالجهاد في عرف القرآن ولان وجوب الجهاد في ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد فوضع الصدقة
فيهم يكون اوقع لسد الخلة وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائي ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات في الغزوات
فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض اي سيرا فيها
وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم
يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم من لم يختبر امرهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل كلما منهم التعفف اظهار
الفقر وهي ترك الشيء والكف عنه الرابعة تعرفهم اي انت يا محمد وكل من له بصيرة بسيماهم والسيماء العلامة التي يعرف بها الشيء من السمة العلامة فوزن عفلى
قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدي اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابن زيد رثاثة ثيابهم وقيل الهيئة في العيون
وقيل اثار الفكر يروى انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الفكر الخامسة لا يسئلون الناس الحافا اي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطى وفي التركيب يدل على
الشركانه لزم المسئول لزوم الشائر للمسئو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا
بتلطف ولم يلحفوا واورد عليه انه ينافي التعفف الذي وصفوا به قيل فالوجه ان يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي
ضب لا انجحار فيكون موافقا لوصفهم بالتعفف فائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور و
الآخر طياش خفيف واردت ان تمدح احدهما وتذم الآخر فقلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض لانه لم يكن غرضك من
قولك ليس بخواض انه بهذه الصفة بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغني عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه
انه يكون السؤال الا والحاح شديد منهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله قل لي بقل قول لما اذا ما نازعني لعلي او عسى وقيل ان عدم السؤال
بطريق الالحاف يتضمن نفي السؤال عنهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح في بعض الاوقات كانه يقول ذا ارقت ماء وجهي فلا ارجع بغير مقصود
وقيل لعل السائل عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون حال سكوته انطق ما يكون فيرق القلوب فالمراد انهم وان سكتوا عن
السؤال لكنهم لا يضمون الى ترك السؤال من تاثر الحال وامارات الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يجملون الحال بحيث لا يطلع
على سرهم غير العالم بالسرائر عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله لان ياخذ احدكم حبلا
يحتطب فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسأل الناس وما تنفقوا من خير فان الله عليم فيه ان ثواب هذا الانفاق الذي هو اعظم المصارف لا يكتنه
كنهه فلذلك وكل الى علمه تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما دعى الى التصدق على اهل الاديان قال في آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان
لعبده الذي حسن عنده موقع خدمته في تحمل خدمة مثلك عالم ولمحله عارف كان ابلغ مما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم ارشد في خاتمة الآيات
الى اكمل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم
دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى في اي في الليل او
النهار وعلانية منصوبان على الظرفية ايضا اي في اوقات السر والعلن او على وصف المصدر اي انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل
لما نزل للفقراء الذين احصروا وبعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث علي بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفي تقديم ذكر الليل تقديم
السر على العلانية دليل على ان صدقة على كان اكمل وعن ابن عباس ما كان لعلي يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدني ربي فقال لك ذلك فنزلت الآية وقيل نزلت في ابي بكر حين تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وقيل في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس
سمين قرأ هذه الآية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال التأويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها انه ينتسب بالكلية الى الله فيتقبل
منه ولو تمرة بالجودة فليربيه بقدر جودته وثانيها الثواب على التعظيم لامر الله وثالثها الثواب على الشفقة على خلق الله ورابعها الثواب على الايثار ويؤثرون
على انفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها الثواب على زيادة الايمان وان المتصدق في صدقته كالزارع
في زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد في جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد في جودة صدقته
المتعففة ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسب يده وفي الآية

معنى خر لطيف انفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم فى تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق
ولكن النفقة طيبة من خباثة الشبهات طيبا انفاقها من خباثة الاغراض الدنيوية والاخروية وتطيبا منفقها من خباثة الانفاق والنظر فى الانفاق
الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة فى نفسها فلله قبول طيب من الوسايط فيأخذها بيده ويربيها قبل ان يقع فى يد الفقير واذا كانت اليد طيبة فى
انفاقها فلله قبول طيب فانما يبلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من
اصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله تعالى ان الله طيب لا يقبل الا الطيب ولستم بآخذيه هذا الخبيث لا فى اصل الفطرة ولا فى عهد الخلقة لانكم خلقتم من
اصل طيب طينة طيبة فالروح من الطيب الاطائب لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم
احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث فى الظاهر والباطن الا ان تغمضوا
فيه فتقبلوه تكلفا وقد قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه
عارية لديه انزل الله تعالى كلمة طيبة هى لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم ويستحقوا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين واعلموا ان الله غنى فمن كمال غناه اراد ان يغنيكم بسواء الانفاق حميد على ما انعم بهذا التكليف ليتوسل به الى الكمال لا بد الشيطان يعدكم
الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق بالخلف والضعيف
وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة
وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات واضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق فاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله
واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام والفضل ما لا يدركه الاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمة عاجلا كما
قال يؤتى الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات
تكتسب بالبرهان وهى مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدى الله
لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وانتقلوا الى عالم النور ثم اخبر عن توفية الاجر للمنفق فى المفروض والمنذور وما
للظالمين الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه فبدلوا بالانفاق النفاق وبالاخلاص الرياء من انصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن اذن له الله ان تبدوا الصدقات
ضد اخفائها او ابداؤها تخليتها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة فى قوله عليه السلام سبعة يظلهم الله فى ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اى
عن حظوظ نفسه ليكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون فى ظل صدقته يوم القيمة اى ان كانت صدقته لله كان فى ظل الله وان كانت للجنة كان فى ظل الجنة
وان كانت لطلب الهوى كان فى ظل الهاوية فنعما هى قوله ان تبدوا الصدقات اى تظهروها لطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب حظ فنعما هى فانها مرتبة
الابرار ان الابرار لفى نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها
لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وان الله فيها ولى الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء
الفضيلة وانت سيد الاولين والآخرين وانت اكرم الخلائق على رب العالمين لكن ليس عليك هديهم ولكن الهداية مخصوصا بمن نشاء وانما اوحى بها
انك تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذى احصره المحبة فى الله عن طلب المعاش لا الذى احصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف
اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له فى المشرق مذهب ولا له فى المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب كان فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فما زادنا
طولا ولا عرضا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل الغيرة اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم
غيرى يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فانت غيرى ما رأيت اذ رأيت ذاك بل الله رأى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان سيماهم
لا يرى بالبصر الانسانى بل يرى بنور الربانى فمن سيماهم فى الظاهر من ظهور آثار احوال الباطن انهم لا يسألون الناس الحافا لا بقليل ولا بكثير لان
انوار غنى قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال والجاه و
خدمة بالنفس واكرام وارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استحقارا واجلالا لا استحقارا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم فى الظاهر انهم اذا وجد
مالا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون فى الدنيا
على ما ينفقونها لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا فى الآخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب
وحلال كردانيد خداى بيع را وحرام كرد ربا را پس هر كه آمد او را پندى از جانب پروردگارش پس باز ايستاد پس مر او راست آنچه پيش گذشت
النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

الله قال عليه السلام ان المرء يكون فى ظل

وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ

و بر پای داشتند نماز را و دادند زکوة را مر ایشانراست مزد ایشان در نزد پروردگار ایشان و نه ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوه یابند ای گروه آنان که گرویده اید بپرهیزید خدا را

وَذَرُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ فَاِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا فَاْذَنُوْا بِحَرْبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوْسُ اَمْوَالِكُمْ

و واگذارید آنچه را که باقی مانده از سود اگر هستید باشید گرویدگان پس اگر نکردید پس اعلام کنید بجنگ از خدا و رسول او و اگر توبه کنید پس شما راست سرهای مالهای شما

لَا تَظْلِمُوْنَ وَلَا تُظْلَمُوْنَ وَاِنْ كَانَ ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ اِلٰى مَيْسَرَةٍ وَاَنْ تَصَدَّقُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ وَاتَّقُوْا

ستم نکنید و ستمکرده نشوید و اگر بوده باشد تنگدست پس مهلت دهید او را تا زمان توانگری و صدقه دادن شما بهتر است مر شما را اگر باشید دانشمندان و بپرهیزید

يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف وهذا

از روزی که باز گردید در آن بسوی خدا پس تمام داده شود هر نفسی آنچه کسب نموده و ایشان ستمکرده نشوند اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله

وما اتيتم من ربوا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وابوبكر غير ابن غالب البرجمي حمزة في يقف يليّن

همزة اي بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تَظلِمون ولا تُظلَمون الاول مبنى للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة

بضم السين نافع ميسره بضم السين واثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد

الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من المس ط مثل الربوا م

كيلا يظن ان ما بعده من قولهم ان امكن جعل واحل حالا الا باضمار قد وحرم الربوا ط لابتداء الشرط واستيناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج

النار ج خالدون ط الصدقات ط اثيم ط عند ربهم ج يحزنون ط مؤمنين ج ورسوله ج اموالكم ج لان ما بعده مستانف وحال عامله معنى الفعل في لام

تمليك ولا تظلمون ط ميسرة ط تعلمون لا يظلمون التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا

مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص مامور بها والربوا زيادة منهي عنها وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب حسن ان يردف بالكسب الحرام هو

ربوا والحلال هو البيع ما يناسب من الدين والرهن وغيرها فقال الذين ياكلون الربوا اما الاكل فيعم جميع التصرفات الا انه عبر عن الشيء بمعظم

مقاصده كيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا نفس الربوا لا يمكن ان يؤكل ولكن يصرف الى الماكول فيؤكل

فالمراد التصرف فيه الربوا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امثالها فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وانت مخير في كتابتها بالالف

والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا قسمان ربا النسيئة

وربوا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان ياخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالبوا

المديون براس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما ربوا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين منها والمروي عن ابن عباس انه

كان لا يحرم الا القسم الاول كان يقول لا ربوا الا في النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له ابو سعيد الخدري اشهدت ما لم نشهد اسمعت ما لم نسمع فروي

الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا

بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الاخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اراني واياك في ظل بيت ما دمت على هذا فروي انه رجع عنه قال محمد بن

سيرين كنا في بيت معنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برايي ثم بلغني ان رسول الله

حرمه فاشهدكم اني قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس قوله تعالى واحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين قوله وحرم الربوا لا يتناوله

لان كان زيادة ليست محرمة فوجب بقي على الحل ولا يحتج الا العقد المخصوص الذي كان يسمى فيما بينهم ربوا وهو ربوا النسيئة وقد ناكد هذا الراي

في السنن وفي رواية هلا ربوا الا فيما كان يدا بيد ذكر ابو المنهال انه سال البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين في عهد رسول الله فسالنا

رسول الله عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نسيئة فلا يصح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين اما النسيئة

فبالقران واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربوا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربوا انما ثبت

فيها لمعنى فاذا عرفنا ذلك المعنى الحقنا بها ما يشاركها فيه اما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربوا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روي عن معمر بن

عبد الله قال كنا نسمع رسول الله يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق

كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل او الوزن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا

بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربوا في كل مطعوم مكيل وموزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز

وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت او يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربوا وعند ابي حنيفة العلة الكيل حتى يثبت الربوا في الجص والنورة

وعن احمد رواية كابي حنيفة واخرى كالجديد واما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما عينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيه اصلاحية الثمنية

الغالبة فليتعمم التبر المضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال

احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب في تحريم الربوا

الربع ثلاثة ارباع

بما روي للشافعي عن ابن زيد ان النبي قال الربوا صح

فهو ان من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيا يحصل له زيادة درهم من غير عوض واخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلعم حرمة مال المسلم كحرمة دمه
ابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزايد متيقن وتفويت المتيقن
لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا من تحصيل الدرهم
الزايد نقدا او نسيا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقال لما يفضى الى انقطاع المعروف بين الناس من القراض ولانه تمكين للغني من ان ياخذ
مالا زايدا من الفقير وقيل ان حرمة الربوا قد ثبتت بالنص ولا يجب ان يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبط الشيطان تخيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع نو
على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس مس بجني فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا
ارادوا تقبيح شئ ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فورد القران على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة
المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يصرع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان
الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الاية اقوال احدها ان اكل الربوا يبعث يوم القيمة مجنونا وذلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله مِنَ الْمَسِّ متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم
المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا
فاربا الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الهوى
والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربوا على ذلك ورثه الخبط في الاخرة واوقعه في ذل الحجاب بينه
وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا
البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان ينعكس ويقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع من حق القايسين ان يشبهوا محل الخلاف بمحل الوفاق
ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا ونسية فهذا حلال وكذا اذا اعطى العشرة
باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال وسيحصل
له اموال كثيرة في المال فاعطاء الزيادة عنده وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد هو قوله
وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض القياس فان ذلك من عمل ابليس لعنه الله تعالى بالحجة فعارض النص بالقياس وقال
أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ثم ظاهر الاية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربوا دون الاقدام على اكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الاية كون اكل
الربوا من الكبائر ويجاب وبان مقدمة الاية بان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله تعالى وغصبا اي يستحل التصرف
الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية على وعيد من يتصرف في مال الربوا لا على وعيد من يستحل هذا العقد قيل ويحتمل ان يكون قوله وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار
او على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ لايقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الاية ولولا انهم علموا ان ذلك الكلام لله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها
وههنا بحث للشافعي وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية فيكفي
في العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل واحل الله البياعات بلفظ الجموع ومع ذلك فقد تطرق اليه
تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم اطلاق اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وقد
روي ان عمر قال خرج رسول الله صلعم من الدنيا وما سئلناه عن الربوا ولو كان لان الربوا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد له الزيادة واذا تعارضا تساقطا و
وجب الرجوع الى بيان النبي فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ اتعظ من ربه فَانْتَهَى امتنع من استحلال الربوا وتبع النهي فَلَهُ مَا سَلَفَ فلا يؤاخذ بما مضى منه
لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ عن الزجاج التنوين في موعظة للتعظيم وللتقليل اي موعظة بليغة او شئ من المواعظ
وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد له ما اكل من الربوا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم
ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ لانه ان انتهى عن اكل الربوا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله
العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ومن عاد الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما
القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربوا وكان بالغ في الاي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما
يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ والمحق نقص الشئ حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من محق
الربوا وارباء الصدقات اما في الدنيا واما في الاخرة وذلك ان الغالب في المرابي وان كثر ماله ان يؤل عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود

فيصرع كما يصرع قد

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه ببغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما يطمع الظلمة في ماله ولما
منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند
الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام
المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضربه فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل
الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب
ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وايضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وميل القلوب اليه
وينقطع الاطماع عنه مهما اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال في الحال الا انه نقصان
في المآل والصدقة ان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندب اليه العقل
والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمزاولة وكذا في قوله والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو ايضا
للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا ووجه آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم
الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى آكل الربوا ويكون تغليظا في امر الربوا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الاية دلالة
على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربوا فان استحله كفر وهو في
نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فتبقى الاية ساكتة عمن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار و
المواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما ثم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الآثام ولم يلبسها اهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن
حكمه هٰهنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الاية فاحتج به من قال العمل الصالح
خارج عن مسمى الايمان كما مر واجيب بانه قال في الاية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ورد بان الاصل حمل كل لفظ
على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى في غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع بالنقد فان النقد حاضر
متى شاء البايع اخذه والثاني جار مجرى البيع بالدين نسيئة ولا شك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس اي فيما يستقبلهم من احوال القيمة ولا هم يحزنون
بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة ان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة
فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل
لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منا طاعة ازيد مما صدر حتى صرنا اهلا مستحقين لثواب ازيد مما وجدناه
لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وهٰهنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله لما بلغت حائضة وعند انقطاع حيضها ماتت والرجل بلغ عارفا بالله
وقبل ان يجب عليه الصلوة والزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف علق الله هٰهنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب
ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الاية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف
كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا فبين انه يحرم اخذ
ما بقي من الربوا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب هذا كما يقال ان كنت اخي فاكرمني معناه ان
كان من شأن الاخ ان يكرم اخاه او معناه اذ كنتم مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان او يا ايها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى تجنب كل الكبائر واجيب بان المراد ان كنتم
عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت ووطن نفسه
على ان تلك الزيادة حصلت له ففطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الاية اصل كبير في احكام
الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى لا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز
في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب
الشافعي واما سبب نزول الاية فعن ابن عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو
المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة
ما جعلنا اشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتي بعدها
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله وقال عطا وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب
وعثمن بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان انتما اخذتما حقكما كله فهل لكما ان تاخذا النصف و
اؤخر النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقال السدي
نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي

ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا﴾ قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربا ومعنى
قوله ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ معترفين بتحريم الربا ﴿فإن لم تفعلوا﴾ أي فإن لم تكونوا معترفين بتحريمه ﴿فأذنوا﴾ ومن ذهب إلى هذا القول قال فيه دليل على أن
من كفر بشريعة واحدة من شرائع الإسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون مالهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على
معاملة الربا لأن الخطاب مع قوم تقدم ذكرهم وما هم إلا المخاطبون بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ومعنى قوله ﴿فأذنوا﴾ عند من جعله من الإيذان أعلموا
من لم ينته عن الربا بحرب من الله فالمفعول محذوف وإذا أمروا بإعلام غيرهم فهم أيضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم إلا أنه على إعلام غيرهم فهذه القراءة
في الإبلاغ آكد ممن قرأ ﴿فأذنوا﴾ من أذن بالشيء إذا علم به أي كونوا على إذن وعلم فإن قيل كيف أمر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على
من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله
وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ أصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت أن ذكر هذا النوع
من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه أن المصر على عمل الربا إن كان شخصا قدر الإمام عليه قبض عليه وأجرى عليه
حكم الله من التعزير والحبس إلى أن يظهر منه التوبة وإن كان له عسكر وشوكة حاربه الإمام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب أبو بكر مانعي الزكوة وكذا
القول لو اجتمعوا على ترك الأذان وترك دفن الموتى فإنه يفعل بهم ما ذكرناه ﴿وإن تبتم﴾ من استحلال الربا وعن معاملة الربا ﴿فلكم رؤس أموالكم لا
تظلمون﴾ الغريم بطلب الزيادة على رأس المال ﴿ولا تظلمون﴾ أنتم بنقصان رأس المال ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ وإن وقع غريم من غرمائكم ذو إعسار على أن كان
هي التي هي تامة بمعنى وجد الشيء وحدث في نفسه لا بمعنى وجدت موصوفية الشيء فإنها حينئذ تكون ناقصة تحتاج إلى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وإن
كان الغريم والمشتري ذا عسرة وقراءة المشهورة أولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المشتري بل يعمه وغيره من أرباب العسرة وهي اسم من الإعسار
وهو تعذر الموجود من المال ﴿فنظرة﴾ النظرة التأخير والإمهال وفي الآية حذف والتقدير فالحكم أو فالأمر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره
على الأمر أي فسامحه بالإنظار وناظره أي صاحب الحق منتظره أو هو نظره مثل مكان عاشب أي ذو عشب ﴿إلى ميسرة﴾ إلى يسار ضد الإعسار وقرئ بضم السين
كمقبرة ومقبرة وقرئ بالإضافة إلى الضمير وقد حذف التاء كقوله ﴿وإقام الصلوة﴾ واختلفوا في أن حكم الإنظار مختص بالربا أو عام في الكل فعن ابن عباس
وشريح والضحاك والسدي وإبراهيم الآية في الربا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم أهل
عسرة فأخرونا إلى أن ندرك الثمرة فأبوا أن يؤخروهم فنزلت ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ وعن مجاهد وسائر المفسرين أنها عامة في كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو
قيل إن سبب النزول خاص فلا بد من إلحاق سائر الصور به لأن العاجز عن أداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول أكثر الفقهاء كمالك وأبي حنيفة والشافعي والإعسار
في الشرع هو أن لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له مال لو باعه لأمكن أداء الدين من ثمنه من جهة دار أو ثوب لا يعدونه في العشاء إذا أمكنه
بيعها وأداء ثمنها ولا يجوز له أن يحبس إلا قوت يوم لنفسه وعياله وما لا بد لهم من كسوة لصلواتهم ودفع الحر والبرد عنهم هل يلزمه أن يؤجر نفسه من صاحب
الدين وغيره الأصح أنه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه القبول أما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه بيعها بالنقصان إن لم يمكن إلا
ذلك وإذا علم الإنسان أن غريمه معسر حرم عليه حبسه وأن يطالبه بما له عليه ووجب الإنظار إلى وقت اليسار فأما إن كان له ريبة في إعساره جاز أن يحبسه إلى
ظهور الإعسار ولو ادعى الغريم فإن كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض فلا بد له من إقامة شاهدين عدلين على أن ذلك العوض قد هلك
وإن لم يكن عن عوض كالإتلاف والضمان والصداق فالقول قوله وعلى الغريم اليمين لأن الأصل هو الفقر ﴿وأن تصدقوا﴾ على المعسر بما عليه من الدين بدل
على ذلك فكر المسلم ذكر رأس المال ﴿خير لكم﴾ لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أن التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل
بما علمه كأنه لا يعلمه أو تعلمون فضل التصدق على الإنظار والقبض بعد أو تعلمون أن ما يأمركم به ربكم أصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الإنظار كقوله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة وزيف بأن الإنظار ثبت وجوبه بالآية الأولى فلا بد من فائدة جديدة ولأن قوله ﴿خير لكم﴾ إنما
يليق بالمندوب لا بالواجب ثم إن العاملين بالربا كانوا أصحاب ثروة وجلالة وأعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا إلى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم أحكام
الربا بقوله ﴿واتقوا يوما﴾ والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والأهوال واتقاء ذلك لا يمكن إلا باجتناب المعاصي وفعل الأوامر في الدنيا فهذا القول
يتضمن الإتيان بجميع التكاليف وانتصب ﴿يوما﴾ على أنه مفعول به لا ظرف والمعنى تأهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ﴿ترجعون فيه إلى الله﴾ أي إلى ما أعد
لكم من ثواب أو عقاب أو إلى علمه وحفظه وذلك أن للإنسان أحوالا ثلاثا على الترتيب الأولى كونه جنينا لا يملك تصرفا فلا متصرف إلا الله الثانية خروجه إلى
فضاء وهناك يرى للأبوين ولغيرهما تصرفا فيه ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة إلا لله تعالى فكأنه عاد إلى
الحالة الأولى وهذا معنى الرجوع إلى الله ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ أي جزاء ذلك والمكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل المال يحصل بتجارته والمراد أن كل
مكلف فإنه يصل إليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع إلى الله تعالى كقوله ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ ثم كان لقائل أن يقول
كيف يليق بأكرم الأكرمين إيصال العذاب إلى عبيده الكفار والفساق فقال ﴿وهم لا يظلمون﴾ بل العبد هو الذي أوقع نفسه في الهلاك والورطة لأن الله تعالى مكنه
وأزاح علته وسهل طريق الاستدلال عليه وأمهله هذا على أصول المعتزلة وأما على أصول الأصحاب فهو إشارة إلى أنه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق و
المالك إذا تصرف في ملكه كيف شاء وأراد لم يكن ظالما عن ابن عباس أنها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبرئيل وقال ضعها على رأس المائتين والثمانين

وإذا ادعى الإعدام

من البقرة وعاش النبي عليه السلام بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله تعالى اعلم بحقيقة الحال * التأويل
اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعدم قناعتهم العقبى فمثل اكل الربوا كمثل من له جوع الكلب ياكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم
الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله عليه السلام ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا آكلة الخضر فانها اكلت حتى
اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي ياكل
ولا يشبع في الحديث مثلان احدهما للمفرط بحيث يفضي به الى الهلاك في الدنيا والعقبى في جميع الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم و
ذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى ينتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فيتشق امعاؤها فتهلك ويقا
الهلاك والآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلاء الصيف التي
ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع الشرعي يؤدي حقه وان كان
له حرص في الطلب والجمع لكن لما كان بامر الشرع وطريق حل ما اخبر به واحل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون ما ازال نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمة ترك
المنهي فكيف الربوا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص ظلمة المعصية وامره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب ان الله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواره اثيم
عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة
اتباع الهوى باقامة الصلوة وعن ظلمة الركون الى الدنيا بايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوت انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين آمنوا باللسان
اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله عليه السلام اي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربوا اي اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا اكل زيادة تمنعكم
فأذنوا بحرب من الله ورسوله يبعدكم عنهما وبغضه وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة
يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما
ما عامله آجلا وعاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه آجلا وان تصدقوا اي بذلوا فيما يتمنون من مسوف يرزقا في الدنيا والعقبى على قدر
هممكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر هممكم ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين ثم انه سبحانه لما جمع القرآن خلاصة الكتب كلها وجمع في خاتمة الوحي خلاصة اي القرآن فقال تعالى واتقوا يوما الآية وذلك
فائدة جميع الكتب حثا الى معينين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف
وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته
فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاقامة
بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا
تقوى الخاص يخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب صفاتهم الى رحبة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فيدفعون
بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجهم العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين
نهاية حجاب النفس بلا بتر انوار القدس وهنالك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله لا بيد وجود النفس واخرجات الجذبة
وبها اصطفى آدم وكرم بنيه لهذا البقاء في لقد كرمنا اولاد آدم لان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا
الرجوع وعد بشارة للاولياء ووعيد انذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من المولى
وبحسب بنايته عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت خروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة
وضيقه فلا يظلم الله عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى * يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ع

ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق

سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان

ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا

أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً
که بنویسید از انچه کم باشد یا بسیار تا مدت آن این راستتر است در نزد خدا و درست تر برای گواهی و نزدیکتر بآنکه بشک نیفتید مگر آنکه بوده باشد سوداگری نقدی

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا
که دست گردان کنید در میان پس نیست بر شما باکی که ننویسید آنرا و گواه گیرید چون خرید و فروخت کنید و زیان رسانیده نشود نویسنده و نه گواهی و اگر چنین کنید

فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ
پس بدرستی که آن نافرمانیست بشما و بپرهیزید از خدا و می‌آموزد شما را خدا و خدا بهر چیزی داناست و اگر بوده باشید در سفر و نیابید نویسنده پس گرو بدهید گرفته شده

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ
پس اگر ایمن داند بعض از شما بعضی را پس باید که وا دهد آنکه امین شده امانت او را و بپرهیزد از خدائی که پروردگار اوست و پنهان مکنید گواهی را و هر که بپوشد آنرا پس آن گناه کرده دل او و خدا

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. القراءة إلا أن يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الأصل أن تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل
بانچه میکنید داناست الباقون بالفتح على أنها ناصبة فتذكر بالتشديد بالرفع حمزة وجبلة فتذكر بالرفع ومن الإذكار أبو زيد عن المفضل فتذكر من الإذكار
وبالنصب أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد بالنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن
بضم الراء والهاء ابن كثير وأبو عمرو الباقون فرهان الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط من رجالكم
للشرط مع فاء التعقيب الأخرى ط دعوا ط للعدول أجله ط ألا تكتبوها ط للابتداء بالأمر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم
الله ط عليم مقبوضة ط للابتداء شرط واستيناف معنى آخر ربه ط للعدول الشهادة قلبه ط عليم التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم أن الحكمين المتقدمين
وهما الإنفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فأرشد الله تعالى في هذه الآية بكمالها إلى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار
ورعاية وجوه الاحتياط فإن مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية والحث وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال
لما حرم الربوا أباح السلف وأنزل فيه أطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل إليها بالطريق الحرام إلا وقد جعل الله سبحانه
لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطيا أو آخذا والمراد إذا
تعاملتم بما فيه دين وذلك أن البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى
ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما إذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية وأما القرض
فلا يدخل فيه وأنه غير الدين لغة فإن الدين يجوز فيه الأجل والقرض لا يجوز فيه الأجل والفائدة في قوله بدين تخليص التداين بمعنى المجازاة أو
التأكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه وليشمل أي دين كان صغيرا أو كبيرا سلما أو غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر
لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن لأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال فإنه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك التضمن وقيل
ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وإنما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا في العموم لأن الكلية تفهم من بيان العلة في قوله
ذلكم أقسط عند الله فإن العلة قائمة في الكل وتقول العلة هي التداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فيكون القضية كلية كما في قوله إذا قمتم إلى
الصلوة فاغسلوا والأجل مدة الشيء ومنه أجل الإنسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى أن يعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة
والأشهر والأيام وأنه لو قال إلى الحصاد وإلى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم إنه تعالى أمر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل المتداينين أوثق
وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف في مقدار الدين وفي انقضاء الأجل وفي سائر ما تشارطا عليه هذا الأمر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء
وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على أنه للندب لإجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالأثمان المؤجلة من غير كتبة ولا إشهاد ولأن في إيجابهما
حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة أما
المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل أحد لوجود أميين كثير في الدنيا بل من له استئهال الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب بالعدل لكنه يعم على الإطلاق
ونكتة يجب أن يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص أحدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الألفاظ
المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيها أديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل أن يكتبه
متفقا عليه بين المجتهدين لا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا إلى إبطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب
أن يكتب وقوله كما علمه الله إما أن يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب أن يكتب مثل ما علمه الله ثم يقع قوله بعد ذلك فليكتب تأكيدا للأول
فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى إياها وبما بعده فيكون الأول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني أمرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد
فلا يكون الثاني تأكيدا للأول وإنما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب إنما هو على سبيل الإرشاد والأولى في تحصيل حاجة
المسلم وشكر لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله وأحسن كما أحسن الله إليك وقيل إنه على سبيل الإيجاب لكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا
شهيد وعن الشعبي أنه فرض كفاية فإن لم يجد إلا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وإن وجد أشخاصا فالواجب كتبة أحدهم وقيل متعلق الإيجاب هو

فيكون الحكم خاصا في الكل

لا يكون ما

ان يكتب كما علمه الله يعني انه يتقيد بان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهمالها واعلم ان الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امر ان لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف بعقله او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة توكيد المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه لكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه عائد الى الذي اي الذي له الدين يمل فيه قيل وفيه بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته ان يشهد شهيدين اي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليكن او فليشهد او فالشاهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي لا تجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فعلم منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند ابي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان ينساها لغلبة البرد والرطوبة على مزاجهن واختلال النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قوله اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ان ههنا غرضين احدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يتبين ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن سفيان بن عيينة انه قال تذكر معناه تجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة خبر قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد يكفي في الحكم الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى ازيد من شاهدين الا في الزنى لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنى اما عقوبة او غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري سواء فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص وحد القذف واما غير العقوبات فالذي ليس بمالي ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين ايضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فيقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري انه قال مضت السنة ان يجوز شهادة النساء في كل شيء لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت ذلك باقل من اربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين وهو نص القرآن منزل على هذا القسم الذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد واليمين وانكره ابو حنيفة ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة اي اذا دعوا وقيل اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما امر الكاتب ان لا يأبى الكتابة امر الشاهد ان لا يأبى تحمل الشهادة وقيل مرة التحمل

ادائها

اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه اطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وايضا الامر بالاستشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وهي ان الشاهد ان كان متعينا وجب عليه اداء الشهادة وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسئموا لا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي الدين والحق لتقدم ذكرهما على اي حال كان الحق صغيرا او كبيرا انما جرت العادة بكتبه كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السامة لانها من الكسل والكسل من صفة المنافق وايضا من كثرت مدايناته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير وكبير كتابا فربما مل كثرة الكتب فاقتضى المقام زجره عن الملالة ويجوز ان يكون الضمير للكتاب فان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخل بكتابته الى اجله الى وقته الذي تفقا على تسميته ذلكم الكتب وذلكم الذي امرتكم به من الكتب في الاستشهاد اقسط اعدل عند الله واقوم للشهادة اعون على اقامة الشهادة وهما امران اسقط واقام فيكون محمولا على قولهم افلس من ابن المذلق واما من قويم وقائم بمعنى ذو قسط على طريقة النسب لا فالقاسط الجائر ولا يصح ان المعنى ههنا يقال قسط اذا جار واقسط اي عدل وادنى الا ترتابوا اقرب من انتفاء الريب تبارك الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلث فوائد الاولى يتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين اقرب وعن الجهل ابعد فيكون اعدل عند الله والثانية يتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج واعون للحفظ والذكر والثالثة انه يرفع الضرر عن نفسه بان لا يضل في امره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة فما احسن هذه الفوائد ما ادخلها في الضبط والترتيب الا ان تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب وقد يكون الى اجل بعيد فاستثنى من المداينة ما يكون اجله قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله ولا تسئموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه اذا كان التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستانفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح سواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة فان المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد ومن قراء تجارة بالرفع فعلى كان التامة او الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقول الكاتب بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذي تفع شره وعلا وذو كواكب اي شديد يقال اظلم به الدنيا حتى تبدو الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا ان تكون المداينة تجارة حاضرة اي يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم ان يكون الكتابة المذكورة اولا واجبة وقد اثبتنا خلاف ذلك وانما خص تعالى هذا النوع من التجارة بكثرة ما يجري فيها بين الناس فتكليفهم الكتابة في كل حظ حرج عليهم من خوف التجاحد في مثله قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاستشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة خفيف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان التبايع او كاليا لانه احوط عن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرأ عمر وعليه اكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهي الكاتب ان يزيد او ينقص والشاهد ان يحرفها او يترك الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة والشهادة فسوق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد ان التقدير لا يضارر بفتح الراء وبه قراءة ابن عباس وانه نهي للمداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلده وان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار او كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية وترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار او ارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن امر الله وطاعته ومعنى بكم اي ملتصق بكم واتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه جعل البياعات في هذا المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله رهن درعه في غير سفر ولكنه وردت الاية على الغالب فان الغالب لا يوجد الكاتب في السفر ولا يوجد الكاتب في السفر ولا يوجد دوات الكتابة ولهذا قال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب لم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر الاية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل الرهن من الدوام رهن الشيء اذا دام وثبت ونعمة راهنة اي دائمة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف ورهان مثل كباش وكبش وقيل احدهما جمع الاخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة والذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا بد في لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن او وكيله

بينه وبين المرتهن او وكيله ويمكنه من تسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع
والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من النقل ايضا بوزن او كيل او ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر
باذنه او وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض
الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره فليؤد الذي اؤتمن امانته فليكن المديون عند ظن الدائن به و
سمي الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع
الامانة الشرعية في وصف وجوب الاداء الامانة اللغوية اطلق احدهما على الآخر والائتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى لا يدخل في خلله
جحود واخيانة وفي الآية قول آخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول
ومن الناس من قال هذه الآية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتابة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على
الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الآية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال في آية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة وفيه
وجوه الاول عن القفال انه تعالى لما اباح ترك الكتابة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجائز ان يكون الظن خطأ
وان يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم ندب الله ذلك الانسان ان يشهد لصاحب الحق
بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة ام لا وشدد فيه بان جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله عم خير الشهود من شهد
قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان
في ذلك ابطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد فقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر والآثم مرتفع بان
وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والشخص بجملته آثم لا قلبه وحده هو ان افعال
الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن
الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي عن النبي عم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح
بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين ان الفاعل والعارف والمأمور والمنهي هو القلب والله بما
تعملون عليم فيه تحذير للكاتم ولهذا بلغه عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان
الشهادة التأويل انه تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين
عباده في الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به واشهد الملائكة
الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما امركم ان لا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا امر الملائكة ان يكتبوا معاملاتكم الصغيرة
والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في اعناقكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ثم نودي من سرادقات الجلال باقوى الظلم
ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صباحه ومسائه وما يكتبون الا من املائه ولذا امر بالقليل
والكثير بما يملي يخاطب بالنقير والقطمير على ما يملي عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل ان يحاسب فعليه ان يملي الحق للحق فان كان الذي عليه
الحق سفيها جاهلا باملاء الحق لاشتغاله بالباطل او ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه او لا يستطيع ان يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق
والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه لا يضره ولا قوة له فيما لا يخزيه بيسره فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاحزان
الى السرور ومن الاشجان الى السلو ومن العجز والفتور الى القوة والحضور الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور واستشهدوا شهيدين استصحبوا من ارباب القلوب ثنتين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال وانتم نساء فان لم يكونا رجلين
من ارباب القلوب فرجل منهم وامرأتان اي رجلان من اهل الصلاح ليكونا بمثابة رجل من اهل الولاية في فائدة الصحبة ممن ترضون من
الشهداء ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في ارضه ان تضل احديهما عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوة من
شياطين الهوى فتذكر احديهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من توقف
في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كان كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب معاملاته
فهو محبوس في سجن الجسد عليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما
السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار
فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي حل جلجلة الشريعة فاشار
في قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذي تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس ورخصة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما
قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفت صاحب اليمين وقال لي امل علي شيئا من معاملاتك فلبث
لا اكتب فاني اريد ان اتقرب الى الله فقلت له حسبك الفرائض خلص من قيد التوكيل لم يوجد صاحب الحق ويكون هاربا منه فاما الذي

التأويل

تحقيق

اناء الليل واطراف النهار بعد نومه وبروحه فى طلب غريمه مايبرح فى جريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذى هو موكل على الهائب يكون وكيلا وحفيظا
للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وللسائرين رهان مقبوضة عند الله رهان واية رهان قلوب ليس فيها
غير الله قبض واى قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذى هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب
بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد شتى مستهام ضاق مذهبه فهوى من عز مطلبه كل امر فى الهوى عجب وخلاصى منه اعجبه ومما يحتاج الى
الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد فى السموات والارض ولا فى الدنيا والآخرة امين يؤتمن لتحمل عباء امانة الا العاشق المسكين
لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها التى يحملها فلما حملها واستحق بها ما تفرد به من صحابه جاءته من الحضرة القاب
فنسب فى البداية الى الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب فى النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما
جهولا هذا امر عجيب وفن غريب من لم يطع فى حمل الامانة وابى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين ثم مطاع ثم امين ومن اطاع فى حمل
الامانة واتى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت فى قسم العاشق كما ان العزة والعظمة
وقعت فى طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا فى مرآة ذلة العاشق وثانيهما ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن فى الظاهر بصلاح
كتمان امر الامانة وقد يختص عن المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته فى الظاهر وذلته فى الحقيقة بدليل على حقيقة حفظ السر خطاب اسجدوا
لآدم وعتاب انى اعلم ما لا تعلمون فان امن بعضكم بعضا كما اخترتك من بين الخليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذى اؤتمن
امانته ولا تكتموا الشهادة اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق باقراركم بقبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم اطالبكم باداء حقها فادوها
الى الملفوفة بلفافة التقوى لا بما ان عريان فلباس التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهودك مع غير شواهده بك هذا من نتائج خيانة
قلبك فى امانة ربك بربك فلا يشاهد قلبك الا شواهد بك لا يؤدى سرك حقيقة امانة ربك الا الى ربك بربك لربك لله ما فى ع
السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
خدایراست آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است و اگر ظاهر سازید آنچه را که در نفسهای شماست یا پنهان دارید آنرا حساب کند شما را خدا پس بیامرزد آنرا که خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد
والله على كل شىء قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا
و خدا بر همه چیزی تواناست ایمان آورد پیغمبر بآنچه فرستاده شد باو از پروردگارش و مؤمنان همه ایمان آوردند بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او
نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها
جدائی نمی کنیم میان هیچ کسی از پیغمبران او و گفتند شنیدیم و پیروی کردیم آمرزش تو را ای پروردگار ما و بسوی توست بازگشت تکلیف نکند خدا هیچ نفسی را مگر بقدر گنجایش او
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا
مر اوراست آنچه کسب کرده و بر اوست عقوبت آنچه کسب کرده پروردگارا بار منه بر ما آنچه طاقت نیست ما را بآن و درگذر از ما و بیامرز ما را و رحم کن بر ما توئی کارساز ما پس نصرت ده
على القوم الكافرين القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء فى اللام ابو عمرو وجملة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب
ما را بر گروه کافران
برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير ابى عمرو والحلوانى عن قالون وابن مجاهد وابو عون
ابو ربيعة عن البزى وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو يدغم ميعذب من يشاء كل القرآن وكتابه على وخلف الباقون وكتبه
جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون اخطأنا مثل بادا راتم الوقوف ما فى الارض ط به الله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على
الاستيناف اى فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ه والمؤمنون ه لمن لم يقف على من ربه ط المصير ه وسعها ط ما اكتسبت ط
او اخطأنا ج من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال على السؤال لنا به ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك لتفصيل
بين انواع المقاصد للاعتراف بان الطاعة غير واحد الكافرين ه التفسير نعم نا جمع فى هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهى دلائل
التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق
والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما فى السموات
وما فى الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير وفى ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين عن ابى مسلم انه لما قال الله تعالى
عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا باجزائها
وجزئياتها وقيل لما امر بالوثائق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به قال الشعبى
وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما فى السموات والارض فيجازى على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وابى هريرة واللفظ
له لما نزلت ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلعم فاتوا رسول الله صلعم ثم بركوا على الركب
فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها قال رسول الله

اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها
القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا
يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا
قال نعم اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم
الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامور التي تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري
مجرى تكليف ما لا يطاق واما الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن
عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الآخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب
وروت انها سألت النبي عم عن هذه الآية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روي انه عم
قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتي ما حدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه ان يدخل ذلك العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه
حسيبا ومحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من اصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة
بالتوبة وهو تخصيص بغير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل
ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ونواهيه محترزا عن سخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون فان كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه ذلك قوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الى آخر السورة او نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فبين في آخرها ان الذين مدحهم في اول السورة
هم امة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا واطعنا كما قال هناك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا
ربنا غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هنالك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة كما قال هنالك
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او نقول انه تعالى سبحانه لما ذكر في هذه السورة انواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول عرف
بالمعجزة دلالة على صدق الملك ان ذلك وحي من الله وصل اليه وان الذي اخبره ذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وليس بشيطان
مضل ثم ذكر عقيبه ان المؤمنين بذلك المعجزات اظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق في دعواه وهو المرتبة
المتأخرة ومن تأمل في نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بسبب فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه فهو ايضا معجز بحسب ترتيبه
ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب اسلوبه ارادوا ذلك ثم ههنا احتمالان احدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى
آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم ابتداء بقوله كل آمن فيكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل عائدا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم
آمن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين آمن ولهذا وحد مثل هذا الضمير يجوز ان يفرد بمعنى كل واحد ويجوز ان يجمع كقوله
وكل اتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه عم ما كان مؤمنا بربه ثم آمن فيحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من
المعجزات على يد جبرئيل عم ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء الشياطين ولا
من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال
اشعار بان الذي حدث هو ايمانه بالشرائع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الايمان بالله وملائكته و
كتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من اول الامر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال
في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذي نزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير
ويعرفه فيمكنه ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو مختصا بالايمان به ولا يتمكن الغير من الايمان به وقد علم ان الآية دلت
على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان المرتبة الاولى هي الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ
والمرسل والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله والبشر ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى
والثالثة الكتب فانه الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله الى النبي عم فمثال الملك في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر يستفيد
من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك يأخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما
تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسائط ولا انفصام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم للنبي عم وهذا سر يطلع منه
على اسرار اخرى ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو

ان تعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالمجسم يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم فى ذات الله تعالى واما الفلاسفة
والمعتزلة فالخلاف معهم فى الصفات لا فى الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال فى المتحيز واما الايمان بصفاته فالصفات اما
ثبوتية او سلبية او اضافية وقد عرفت فى تفسير البسملة ما يصح صفة له تعالى وما لا يصح كذا فى تفسير آية الكرسى واما الايمان بافعاله فان تعلم ان
كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التى تسمى اختيارية للحيوانات فى ذلك زمشية الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر
فى صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة فى تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان
يترتب عليها الفوائد وان تعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم ان له
الالزام والحكم فى الدنيا كيف شاء واراد وان تعلم انه لا يجب على احد بسبب الاعمال شئ وانه فى الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء
بعدله ولا يقبح منه شئ لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه وهى الاسماء الواردة فى كتب الله المنزلة وفى كلمات انبيائه المرسلة وقد
مر فى تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله اما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة
او جسمانية محضة او مركبة من القسمين ثم بتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذلك مقام العلماء الراسخين
فى العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل فى الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحيوتهم بمعرفته وطاعته وانهم
وسايط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم واما الايمان
بالكتب فان تعلم ان كلها وحى من عند الله ليس لاحد من المخلوقات ان يلقى فيها شيئا من عند انفسهم ولا سيما فى القرآن العظيم وان من قال
ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شئ فعله عثمان فقد اخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه
ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب فى باب الاعتقاد وفى امر التبليغ وفى الاخلاق والافعال
كما مر فى قصة آدم وان تعلم ان النبى افضل ممن ليس بنبى خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض واما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السموية افضل منهم
وانهم افضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك فى قصة آدم ايضا وان تعلم ان شرعهم وان صار منسوخا الا ان نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم
الآن انبياء ورسل كما كانوا وخالف بعض المتكلمين فى ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه
على الوحدة فاما ان يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بمجموع الكتب والرسل واما ان يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف
قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال شائع فى جميع ليالى الصيام قال العلماء قراءة
الجمع اولى لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب ومن
قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اى يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء على ان الفعل لكل فلا حاجة الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر او حال واحد
فى معنى الجمع اى بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة فى سياق النفى تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل
لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق فى الايمان بهم وفى اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسب دعاويهم
والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى ويجحدون نبوة محمد وعن ابى مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم ان قوله آمن الرسول الى قوله بين احد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا
سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة او يقول ان للانسان ايام ثلثة الامس والبحث عنه يسمى علم
المبدأ واليوم والبحث عنه يسمى علم الوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سمعنا وا
طعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله فى آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
وهو معرفة المبدأ لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر
فيه كمال القدرة واما علم الوسط وهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب
وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب هو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون اى ليوم غد سيصل اليك فيه
نتائج اعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة
الى علم المعاد كقوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار مما يكون يجذبه من ضيق عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار و
فقوله والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدى سمعنا قوله
واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا اولى ليفيد انه ليس فى الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر تجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعنى
القبول اى سمعناه باذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال
واطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم فى هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشئ منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما و

عملا غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله اي اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تعدموا جزاءه وفي
الكشاف اي نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسئلك غفرانك فيكون مفعولا به لا اشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال نحو عن فعله
نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو ان القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فاي حاجتهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا ان يكون فرط منهم تقصير فيما
ياتون ويذرون او لعلهم كانوا يرتقون في درجات العبودية فيستغفرون مما خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد حمل
قوله واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولان جميع الطاعات في جنب مواجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى
عن اهل الجنة دعويهم فيها سبحانك اللهم اي انت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين اي كل الحمد له وان كنا لا نقدر
على قيم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثاني بقوله ربنا اما القيد الاول
فمعناه اطلب المغفرة منك فانت الكامل في هذه الصفة والمطموع من الكامل في صفة ان يعطي عطية كاملة وذلك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها
حسنات ويكون الاضافة اشارة الى ما ورد في الحديث ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات
فبها يتراحمون ويتعاطفون واخر تسعة وتسعين جزءا ليوم القيمة ولعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانه يظهر اثرها في محل معين فلولا الوجود
بعد العدم لما ظهرت اثار قدرتك لولا الترتيب العجيب والتاليف الانيق لما ظهرت اثار علمك لولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر اثار مغفرتك
ورحمتك فانا اطلب الغفران الذي لا يمكن ظهوره الا في حقي وفي حق امثالي من المذنبين واما القيد الثاني فمعناه ربيتني اولا وجدتني مع انك لولم
تربيني في ذلك الوقت لم تتضرر به لاني كنت بعد في العدم الان لولم تربني تضرر به فاسئلك ان لا تهملني او ربيتني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق
بكرمك ان لا تربيني وقد افنيت عمري في توحيدك او ربيتني في الماضي فاجعل تربيتك في الماضي شفيعا اليك في ان تربيني في المستقبل او ربيتني
فيما مضى فاتمم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف
بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه
النظم انهم قالوا كيف لا نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستانفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا
المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم ذنب الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من مكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى
ما جعل في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رافته واعلم ان المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الاية ثم استنبطوا منها اصلين الاول
العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها الضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد
بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق واما الاشاعرة
فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان
حتى يلزم التكليف بالنقيضين التكليف بامر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجته قوية
عنده خصص الاية بانها انما وردت في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خالق من اهل النار على
انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق بها تشبث ويحتمل ان يقال ما حكاه عنهم في معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه
خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف فلهذا خص بجانب الشر لا لانه على ان العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهم عليه وربط القلب به
بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة في الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه
الاضافة وجرى صدور افعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له بما عليه البتة ولا نتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة
مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه في تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالاية على فساد القول بالتحابط
لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبته وعليها عقاب ما اكتسبته وهذا صريح في ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طريان احدهما زوال الاخر قال
الجبائي تقدير الاية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفر بالتوبة وانما اضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة
دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية في ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب ابائهم والفقهاء تمسكوا بها في
اثبات ان الاصل في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم
وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان
المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع
لا يسقط الضمان لوجود المقتضي والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان سنكري وجوب الزكوة
احتجوا به والجواب ان دلائل وجوب الزكوة تخصيص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا

إن نسينا أو أخطأنا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا أن الناسي قد مكن من نفسه
وطرق السبيل إليها بفعله فصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في إيذاء نفسه وفي التفسير الكبير أن الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذه به بالعفو
الكرم أي يتمسك عند الخوف عن عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب وقيل المراد بالنسيان إما الترك وهو أن يترك الفعل لتأويل فاسد كما أن الخطاء
هو أن يفعل الفعل لتأويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا العمل لله فتركهم أن يثيبهم وإما ضد الذكر وهو وارد عليه أن النسيان والخطاء متجاوز
عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الأول أن النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا
يعذر فمن رأى دما في ثوبه وأخر الإزالة إلى أن نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا إذ كان لزمه المبادرة إلى الإزالة وكذا إذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى
نسي فإنه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فإنه يكون معذورا وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر حاجته شد خيطا في أصبعه فثبت
أن الناسي قد لا يكون معذورا وذلك إذا ترك التحفظ وأعرض عن أسباب التذكر وإذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل أنه ذكر النسيان والخطاء
والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والإغفال الثاني أن هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك أنهم كانوا متقين بالله حق تقاته فما كان يصدر عنهم
ما لا ينبغي إلا على وجه الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكأنه قيل إن كان النسيان مما
يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث العلم بأن النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الإنسان بما يعلم أنه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله إما لاستدامته وإما لاعتداد تلك النعمة ولغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع أن مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وإنما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان
ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا أنه
جائز من الله تعالى عقلا لما أرشد الله تعالى إلى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لأهل الكبائر فلولا أن النسيان والخطاء لا بد أن يعتبرا
مباينة العمد والقصد إلى فعل ما لا ينبغي إذ لو فسرناهما بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء وإذا
فسرناهما بما ذكرنا وقد أمر الله المسلمين أن يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على أنه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة
مرجوا النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا الإصر الثقل والشدة ثم يسمى العهد إصرا لأنه ثقيل والأصر
العطف لأن من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل إليه من المكاره يقال ما تأصرني على فلان آصرة أي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد
علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون إن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكوة ومن أصاب
ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فأجاب الله تعالى دعاءهم كما قال ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن
أمتي المسخ والخسف والغرق وإنما طلبوا هذا التخفيف لأن التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب العقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا
يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الأول قال بعض العلماء إن اليهود لما كانت القساوة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم
في التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الأمة الرقة وكرم الخلق غالب عليهم وكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ وأما أن اليهود لم خصت بغلظ
الطبع وهذه الأمة باللطافة والكرم فليس لنا أن نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به من الأصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق إذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء وأجاب المعتزلة عنه بأن
معنى قوله لا طاقة لنا أي يشق فعله لا الذي لا قدرة لنا عليه في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق أي لا
يشق عليه وزيف بأن معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فعلوا لو اعترض لذلك فالمراد منه العذاب أي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق حمله
سلمنا أنهم سألوا الله تعالى أن لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز أن يفعل خلافه كما أن قوله رب احكم بالحق لا يدل
على جواز أن يحكم بباطل وكذا قول إبراهيم عليه السلام ولا تخزني يوم يبعثون لا يدل على أن خزي الأنبياء جائز وقيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذي
لا قدرة عليه بالتحميل وأجيب بأن الحامل فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل مثل ما طلب أن لا يكلف بالفعل الشاق كان من لوازمه أن لا يكلف بما لا يطاق فكان
المناسب طرح هذا الدعاء لأن الأول من عكس الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر أي لا تحملنا عذابك فإنهم طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي
كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وأما على تفسير الأشاعرة فهو أنهم سألوا أن لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا
وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا أن لا يكلفهم التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم أو لا وقيل الأول طلب
ترك التشديد في مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وشكر نعمته أي لا تطلب منا
حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة يليق بقدس عظمتك وكمالك أما الفائدة في حكاية هذه الأدعية بصيغة الجمع في لا تؤاخذنا
ولا تحمل علينا فذلك لأنه إذا اجتمعت النفوس وأقبلت على شيء كان حصوله أرجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وإنما حذف النداء
وهو قوله ربنا ههنا لأن النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بأن العبد إذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى من الله و
الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة أن العفو إسقاط العذاب والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فإن الخلاص

عذاب النار انما يطيب ان حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان جسماني هو نعيم الجنة ولذاتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بالكلية على مولاه وهو قوله انت مولينا ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة يجدونها وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذي لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه بالامكان والنقصان عرف ربه بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفنا وعادانا وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ما سواك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمن انه لما اسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء اعطي خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عز وجل اكرمك بحسن الثناء بقوله امن الرسول فسله وارغب اليه فعلمه جبريل عليه السلام كيف يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال الله لا اؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون امين التأويل الانسان مركب من عالمي الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في انفسكم مودع من انوار الاخلاق الروحانية في الظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن باحوال الحقيقة او تخفوه بابراز ظلمات الاوصاف النفسية في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول انوار الروح او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه ببعاد دركات السعير وروحه بنور قرب العلي الكبير والله على كل شيء من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الامر والخلق قدير لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اكرمه بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاجاب بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له امن الرسول عيانا بما انزل اليه من ربه فقال من كمال رأفته بامته والمؤمنون كل امن بالله الى قوله سمعنا واطعنا فقال الله نعم ما يطلبون مني في جزاء السمع والطاعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الا ان تسترهم بسترك او بفضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيري اليك لا الى من سواك فقال الله جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انا في مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وهذا قال له جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم في سماء واقفون حسبهم وحتى كلا يجرهم سبحات وجهي وسطوات قهري فكيف كلف منك المؤمنين المرحومين المصيرا بضعف حالهم بصيرا انما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الى الكرام ان تخذتك حبيبا قبل ان اخلقك وخلقت الكائنات لمحبتك ولان امتك اكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم ما داموا في متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما اكتسب امتك من انوار متابعتك يستحق المصير الى حضرة جلالنا وشواهد جمالنا وعلى قدر ما اكتسب بالتولي عن ظل متابعتك تنشأ اهل المصير الى دركات السعير فتارة اسكره لذة هذا الخطاب واخرى اخجله سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تعاقب متى ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم ان تحبوك ولا تحبوا غيرك واخطأت طريق طلبك ولكن ما اخطأت طريق عبوديتك فلم نعبد واغيرك وانت قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا اسير النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف عنا جنايات نبينا واغفر لنا شواهد هوياتنا وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولينا وولينا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك الى عنا في المصير اليك على قمع كفار الانانية التي تمنعنا من حدثنا بأني وبينك انى يزاحمني فارفع بجودك انيي من البين وحسبي الله

سورة ال عمران وهي مدنية حروفها ١٤٥٢٤ كلماتها ٣٤٨٠ اياتها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خدای بخشنده مهربان

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل ع

منم خدای که نیست خدای بجز او آن زنده پاینده فرو فرستاد بر تو قرآن را براستی تصدیق کننده مر آنها را که پیش از او است و فرستاد توریه و انجیل را

من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام

از پیش راهنمای مر مردمان و فرستاد قرآن را بدرستی که آنها که کافر شدند بایات خدا مر ایشان راست عذاب سخت و خدا غالب خداوند انتقام است

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
بدرستی خدا پوشیده نیست بر او چیزی در زمین و نه در آسمان اوست آنکه بصورت آرد شما را در رحمها چنانکه میخواهد نیست معبودی بجز او غالب استوار
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
اوست آنکه فرستاد بر تو نامه را برخی از آن آیتهای استوارست که آنها ام الکتاب‌اند و دیگر مانند هم اند پس اما آنها که در دلهای ایشان میل است پس پیروی میکنند
مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ
متشابه از آن بجهة خواهش فتنه و جستن تاویل آن و نداند تاویلش مگر خدا و ثابت قدمان در دانش گویند که گرویدیم بآن همه
مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
از نزد پروردگار ماست و آگاه نگردند بجز خداوند خرد پروردگارا میل مده دلهای ما را پس از آنکه راه نمودی ما را و ببخش ما را از نزد خود رحمتی بدرستی که تو
الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ
بخشنده پروردگارا توئی گرد کننده مردمان در روزی که شکی در آن نیست بدرستی که خدا خلاف نکند وعده خود را بدرستی که آنها که کافر شدند نفع ندهد ایشان را اموال ایشان
ع ١٠ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
و نه فرزندان ایشان از خدا چیزی و آن گروه ایشانند هیزم آتش چون خوی آل فرعون و آنان که پیش بودند تکذیب کردند آیات ما را پس گرفت ایشان را خدا
بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ القراءة الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولة بفتح الميم التورية
بگناهان و خدا سخت عقوبت است ممالة حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف والنجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد كان

حيث كان بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف الوقوف الم ج مختلف فان غير الاعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الا هو ج القيوم ط والانجيل لا الفرقان ط شديد ط انتقام ط في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ه متشابهات ط لاستيناف تفصيل وابتغاء تاويله ج لان الواو يصلح استينافا وللحال الوقف الا الله لازم عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخين يعلمون تاويل المتشابه كما يعلم الله ومن لم يجز نعم هذا وجعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يحتملها القياس لنا ويلزم جعل المحكمات الاصول المنصوص المجمع عليها عطف يقول والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا الا لم يسع له ان لا يقف على الا الله امنا به لا لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب ه رحمة ج للابتداء بان ولاحتمال لام التعليل وفاء التعقيب للتسبيب الوهاب ه فيه ط الميعاد ه شيئا ط النار لا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط باياتنا ج للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ه

التفسير اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني ان يكون ذلك على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه قولان احدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأنا به تثبت الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف والقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها في حكم الباقية بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان كان ضرورة سقوط الهمزة في الدرج توجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلعم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلاثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم ووزيرهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينما بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز اخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلعم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال له يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا به لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلعم على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون لقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على ثالث ثلثة بقول الله تعالى فعلنا وجعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقد حانت وقت صلوتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال رسول الله صلعم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتاكلون الخنزير قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله صلعم فانزل الله تعالى في ذلك اول سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها اية المباهلة ثم اخذ رسول الله صلعم يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم

ان ربنا قائم على كل شيء بكلاءته ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال فكيف يكون هو كما زعمتم فسكتوا ثم ابوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فنزل فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية وتمام القصة سيجيء في آية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم عجيب وبيان ذلك انه قيل للنصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه في شان الاله او في امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حي قيوم كما في تفسير آية الكرسي وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه فهذه الكلمة اعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى وقوله وانزل التوراة والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التوراة والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجز قائم في كون القرآن نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كما قال المسلمون اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن نازع في دينه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب فالمراد هنالك نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق صدقا فيما تضمنه من الاخبار عن الامم او ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل او انه قول فصل وليس بالهزل قال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا استحال ان يسلم من التحريف والخراف وثانيها انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مطلقا في معنى التقدم وفي غاية الظهور لتلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكام اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على ان احكامها تثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتوراة والانجيل اسمان اعجميان احدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التوراة معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح وظهرت النار قال واصلها تورية بفتح التاء والراء وبهذا قلبت الياء الفا وتورية بكسر الراء تفعلة مثل توصية الا ان الراء فتحت على لغة طي فانهم يقولون في نادية ناداة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل اي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت الشيء استخرجته اي به تم اظهار الحق بسببه ابو عمرو الشيباني التناجل التنازع سمي بذلك لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل اي من قبل ان ينزل القرآن وهدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين او عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التوراة والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال في اول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر انه حق في نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قيل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق بين الحق والباطل وقيل اي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقيل الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ هي التزام الاحكام المعلومة فيؤل الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفي التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذي يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام الخلق ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات خوف المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عن دلائل الله فان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب لا احد يقدر يرده ذو انتقام له انتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقم منه اذا كافأه بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل وقوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شيء لما ذكر انه حي قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بحاجاتهم وكيفياتها

وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات اشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء و
الثاني لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله
لا يخفى عليه شيء والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات
بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصوركم في ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء
مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى البعض على التركيب الاحسن والتأليف الاكمل
وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية
واشرفها اعتدال المزاج واشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وروحانية واشرفها العلم فلا جرم اشار الى ذلك بقوله هو الذي نزل عليك
الكتاب وتحتمل ان يبين هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى عليه السلام وعولوا في ذلك على نوعين من الشبهة احديهما تتعلق
بالعلم وهو ان عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وفي ذلك قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم والثانية تتعلق بالقدرة كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غير هاتين فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء فمن المعلوم بالضرورة من حال عيسى
انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض الغيبيات لا يدل على كونه الها لاحتمال
انه علم ذلك بالوحي والالهام وازال شبهتهم الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك انه لا اله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من
النطفة هذا التركيب العجيب والتأليف الغريب معلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لامات
الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص واحياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة
البعض واحيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المشاهدة
الى مقدمات الزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقوننا على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابا لله والجواب عنه بقوله ايضا هو الذي يصوركم
لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب وقيل قالوا للرسول الست تقول ان عيسى كلمة الله
وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل
العقلي كان من باب المتشابهات توجب رده الى التأويل وتفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي انزل عليك الكتاب الآية فظهر انه ليس في المسئلة
حجة ولا شبهة الا وقد اشتملت هذه الآيات عليها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلت
الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما في الحس والحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك
اكمل ولهذا فائدة ضرب الامثلة في العلوم قال الواحدي التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة حاصلة للشيء عند ايقاع التأليف بين
اجزائه واصله من صاره اذا اماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل ابويه الارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف و
قيل سمي رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده وكيف في موضع الحال اي على اي حال اراد
طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين
بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب
واحياء بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت آياته الر تلك
آيات الكتاب الحكيم والمراد كونه كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه
ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والاعجاز والبراءة من التناقص والتناقض ثم ان هذه
الآية هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فنعني
ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام
في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه
من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي واما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدي
الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الآيات
الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلي يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه
والسني يقلب الامر في ذلك وكذا المعتزلي يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد من
قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا البتة لتوقفه
على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي
وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه

الراجح الى المعنى المرجوح الا بالدلالة القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تاويل على تاويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بيناه ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض في تعيين التاويل غير جائز والله اعلم المسئلة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلث في سورة الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي تشابهت على اليهود كاوائل السور اولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم وايضا عنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلائلها واضحة لائحة كانشاء الخلق في قوله ثم خلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتامل كآيات البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل جلاءها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمأول وان عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بالدليل العقلي فكل القران متشابه فان انشاء الخلق ايضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تاثير الكواكب فلعل الاصم يسمي ما هو ابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما امكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذلك متشابه المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القران محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والنافي فيها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي ليس كمثله شيء فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعله ظاهرا جليا خاليا عن المتشابه نقيا كان اقرب الى الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وايضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فاذا كان مشتملا على القسمين فح يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه وبعد التحقيق والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات فيتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وايضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال الى الطمانينة وافتقر ايضا الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان واصول الفقه واصول الكلام الى ذلك ولما في المشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب قوي وهو ان القران كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب في اول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات قوله هن ام الكتاب الام في اللغة الاصل الذي يكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات الكتاب ليطابق المبتداء لان مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وامه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة واخرى ومنه آيات اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلعم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروحا منه قال بلى قالوا حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في اوائل السور وقال قتادة والزجاج هم منكروا البعث لانه قال في آخره وما يعلم تاويله الا الله وما ذلك الا وقت القيامة فانه تعالى اخفاها عن الخلق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث بالمتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولوما تاتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا لتسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا دلت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمي الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية تخالفهم فهي المتشابهة والانصاف ان الآيات ثلثة اقسام احدها ما تاكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقا وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة

منه آيات محكمات

على امتناع

امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان
الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الاخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي مختلف فيه انه بحسب ما يشتبه كل فريق وتخيله صار دليلا في
نفسه مادة وصورة فكل فرقة يدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه تاكيدا بالنظر الذي تعلق به فلا خلاص من اليمين الا بتأييد سماوي
ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه يقال
فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بابنه يشعره فكان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به عاشقا له لا ينقطع
عن تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عنه اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في
البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذلك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تاويله اي طلب المعنى الذي يرجع
اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون فيه حجة له في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد اتبعوا المتشابه من وجهين احدهما
ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تاويله ثم قال عز قائلا وما
يعلم تاويله الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن و
مالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه
حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت في التعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر
المتكلمين وقد روي عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان اما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قيل
واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات
تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال لانه في المسائل القطعية مثاله
الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما اشعر به ظاهرها الا ان
في مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن انس
الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الآية يدل ان ذم لطالب تاويل المتشابه حيث قال واما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم متوجه على الكل
وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال تعالى في اول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء
الراسخون لو كانوا عالمين بتاويله على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف شيئا
على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن
كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى
شيء غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله
بحيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله الجزم بصحة القرآن ولم يصير كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام
الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتاكيد وتفخيم لشأن القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به
الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون
حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين
فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا الالباب اي يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق
ظاهره دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه
لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان لم نعرفه فهو منا وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل حتى علموا من التاويل ما علموا ثم انه تعالى
حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم وهب لنا من لدنك
رحمة سألوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم واعضاءهم
بزينة الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل له في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت
سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة في القبر وسادسها في القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات
وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستار ودوام رؤية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك
تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله انك انت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية
كرمك ونهاية جودك وموهبتك تعالى اما يتعلق بالدعاء الاول قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر و

منهما يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني الداعيتين ومما يؤكد ذلك ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من قوي المحكمات وهو ظاهر في ان الازاغة والهداية كليهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على ان الازاغة لا يجوز ان يصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد ان يمنع قلوبنا الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته ولصار محتاجا وقال الاصم لا تبتلنا ببلوى نزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على ايذائك اي لا تفعل ما اصير عنده موذيا لك وزيف بان التشديد في التكليف قبيح ان علم الله تعالى ان له اثرا في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزيغ كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وحصول الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه وقال الجبائي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على شيء اخر وهو انه تعالى اذا علم انه مؤمن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية لكفر اماته في هذه السنة ويرد عليه انه لو كان علم بانه يكفر في السنة الثانية لوجب عليه ان يميته لما كان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول عمره فوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت وجامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد الموعدة والوقت والموضع فانه في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده ❊ وان وعد الضراء فالعفو مانعه ❊ وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن العبيد فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو وانك اعجم لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد واني وان اوعدته او وعدته ❊ لمكذب ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعائهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني اعلم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا يدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والاخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المولمة اما الاول فالى الاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الامور التي يفزع اليها المرء عند الخطوب وارام يفد اقرب الطرق الى دفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير واما الثاني فالاشارة بقوله واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس ومن في قوله من الله للبدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله وطاعته شيئا وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد ابو علي شعر فليت لنا من ماء زمزم شربة ❊ مبردة باتت على الطهيان ❊ وطهيان من بلاد الازد قلت يجوز ان يكون من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيئا ومن زائدة لتاكيد النفي لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغناء اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كداب آل فرعون يقال داب فلان في عمله اي جد وتعب دابا ودؤبا فهو دائب والدائبان الليل والنهار والداب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة ومنه بحرك واصله من داب ثم اطلق الاسم الخاص على العام اي جد هؤلاء الكفار واجتهادهم ودابهم وصنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كداب آل فرعون مع موسى ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا باياتنا

كان بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة صح

التعذيب

بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ اى صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ الماسور الذى لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى
كداب الله فى فرعون اى بجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه فى فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال
يحتمل ان يكون الاية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم فى ايذاء محمد كعادة من قبلهم
فى ايذاء الرسل وعادتنا ايضا فى اهلاك هؤلاء كعادتنا فى اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدؤب والداب اللبث فى الدوام والتقدير دؤبهم فى النار
كدؤب ال فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم فى النار كمشقة ال فرعون بالعذاب اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوا
اٰلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ وقيل المشبه هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم ما فى ازالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بال فرعون ومن قبلهم
المكذبين بالرسل من العذاب الذى عنده لم ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغنى عنكم الاموال
والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال هو قوله فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ ثم صاروا الى دوام
العذاب وهو قوله وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ فسينزل بمن كذب بمحمد امران احدهما المحن المعجلة من القتل والسبى والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة
بقوله فيما بعد قُلْ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا سَتُغْلَبُوْنَ والثانى المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وَتُحْشَرُوْنَ اِلٰى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ النار وبل الم الالف اظهار
الوحدة مظهر ذاته وصفته فان الالف واحد فى ذاته وصفاته فى وضع الحساب منفرد بالاولية والانقطاع عن غيره فى وضع الحروف وهو يشير باستقامته
وعدم تغيره فى جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحدانى ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف
معوج ثم فى اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالاخر اشارات ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول
وقسم ما كان فكان لم يزل وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذى لا زال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف قائما واللام فاشارة
الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك الاجساد ونوعه فى المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود
والالف سابق عليه والانكسار فيه يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح
وذلك ان الميم اول حرف من اسم المبدئ واخر حرف من اسم القيوم فيشير الى انه كما ابداه المبدئ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال ويوجد اخر
الالف اشارة الى وجود حقيقى ثم بدايته اللام يشير الى اثبات ونفى فاللام اثبات فى لام التمليك له ما فى السموات وما فى الارض والنفى فى لا النافية اى لا
وجود لشئ بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى اثبات ونفى فالاثبات ميم اسم القيوم والنفى ما النافية اى ما فى الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين
قوله اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفى الشرك عن وجوده واثبات وحدته فى وجوده والحى القيوم اثبات
جميع صفات كماله ونفى جميع صفات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معانى هذه الاية فى قوله الم فمعنى قوله الله اودع فى اول حرف من حروفه
وهو الالف ومعنى قوله لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ اودع فى اوسط حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ اودع فى اخر حرف من حروفه وهو الميم وانما
اودع فى اخر حروفه ههنا ليكون السر موضوعا فى الاية من اول حرفها مكتوبا فيما بينهما والحروف الثلثة من قوله الم يكون الالف من اولها دالا على
المعنى الذى هو فى الكلمة الاولى وهى الله واللام من وسطها دالا على المعنى الذى فى الكلمة الثانية وهى لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ والميم من اخرها دالا على المعنى
الذى مودع فى الثالثة وهو الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ فيكون الاسم الاعظم مودعا فى الم كما روى عن سعيد بن جبير وغيره وهو القران وضمونه كما روى عن
ابى بكر وعلى ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة فى الم بقوله اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ اظهر الطاف ربوبيته المكنونة فى اسرار العزة
مع حبيبه محمد فقال نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ نزل حقائق القران وانواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك بحقيقة عزتى لك فصرت مثبتا
لسر الله المودع فى الم وهو الذى بين يديك اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فانهم ان لم تعلم
تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير انت بعد بيضة لا من الطيارين ولا من السيارين وَاَنْزَلَ التَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ فلا تظنن
يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القران بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلى انواره باسراره وحقائق بينى وبينك
لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة فى صحائف والواح يقرأها كل قارئ ويستوى فى هداها
الانبياء والامم قاطبة هُدًى لِّلنَّاسِ وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلى انوار القران بالتنزيل على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء و
يفرق بين تعليمك القران وبين تعليمهم الكتب فانهم كانوا يتدارسون الكتب فانت متخلق بالقران فشتان بين نبى يجئ هو بذاته نور ومعه كتاب
قَدْ جَاۤءَكُمْ مِّنَ اللّٰهِ نُوْرٌ وَّكِتٰبٌ مُّبِيْنٌ وبين نبى يجئ معه نور من الكتاب قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتٰبَ الَّذِيْ جَاۤءَ بِهٖ مُوْسٰى نُوْرًا وَّهُدًى لِّلنَّاسِ وشتان
بين نبى تشرف بكتابه الموعظة له فى الالواح وَكَتَبْنَا لَهٗ فِى الْاَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وبين نبى تشرف امته بكتابة الايمان لهم فى قلوبهم اُولٰۤىِٕكَ كَتَبَ
فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْاِيْمَانَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ الذين يستترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الايات البينات لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيْدٌ من هذا العمى والحرمان وهم فى خسران من الركون الى هذا النقصان وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ بعز اهل العزم بنيل المرام وينتقم
من اهل السلوة بحجاب العزة ثم اخبر تعالى عن كمال علمه بقوله اِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى الْاَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاۤءِ وكيف يخفى وانه هُوَ الَّذِيْ يُصَوِّرُكُمْ
فِى الْاَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاۤءُ لَاۤ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ عن نقض الاحكام الْحَكِيْمُ فيما يجرى من الازل الى الابد مما جفت به الاقلام وفى الاية اشارة الى

للعادة م

الى آخر حروفها م

اذا استبطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق ليسلم التصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام وتصبط
المريد حوله الظاهرة والباطنة على قوام الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصيبه منه حركة عنيفة او يجد لحجة غريبة يلزم منه سقوط النطفة
وفسادها ويفقد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق ويرد كل اربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال
ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس رياض الانس التي منها صدر الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب هو طفل خليفة الله في
ارضه فيستحق الان ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه واوليائه يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم
بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون ادم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون الايات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام للبسط
الشرع والاهتداء والمتشابهات تأويلها شرب الخواص خواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار وللابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ
الليث قلوبهم غطاء الريب حجبوا انوار الغيب هم اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تأويله
ليضلوا الناس بارائهم والراسخون في العلم يقولون امنا به بما شاهدوا من نور الحق فيحققوا لنا كل من عند ربنا بتوفيقه وانا مع تعريفه
وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي من ظلمات قشور وجودهم النفساني الى نور الباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور
العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق الباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفيه اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق
اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات واشهدهم على انفسهم بشواهد الربوبية الست بربكم فشهدوا تلك الشواهد وكوشفوا حقيقة الذرات علم التوحيد
فقالوا بلى فيندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم ادم الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت
الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام وهي مقامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة
بعلم التوحيد الناطقة به الى اسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية نسيت تلك العلوم النطق بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم باثره وذو والفطرة
حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذي اجاب به الرب وقال بلى فان ذلك
اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب تلك الوجود المستمع المجيب في الميثاق
فسمعه قشر ذلك السمع الذي يستمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي يبصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي يفهم خطاب الحق
وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبي انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما
انت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص بهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب انما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن سعي
تقلبات ظلمات طبايعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك ونور جمالك حتى يسمعنا بلب سمعنا لب التنزيل ونشاهد بلب
ابصارنا لب التأويل وتذكر بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك تعينا عنا بك انك انت الوهاب
وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طالبا كما كان الله في الازل الى الابد وهابا وكما انه
لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب الطالبين فان بعد هذه الدار دار القرار توفى فيها جزاء الابرار والفجار يحصل الارب بقدر رعاية الادب
في الطلب ومقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات
نفسانيتهم لن تغني عنهم طاغوت اموالهم ولا اولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق الا قشور الجلود ولا يخلص الى القلوب فان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب
وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة التي تسمو الممات شعر في فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم
بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله
شديد العقاب اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشراقه بالنار حرقتني توجي نقلتهم النار ترحم من شكي قلبه

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ
بگو مر نهارا كه كافر شده زود است كه مغلوب شوند و محشور شوند بسوی دوزخ و بد جایگاهست تحقيق شما را نشانه در دو طایفه كه ملاقات كردند گروهی جهاد كرد
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ
در راه خدا و طایفه دیگر كه كافر بود كه می دیدند ایشانرا دو چندان در دیده نظر و خدا قوت می دهد بیاری خود هر كرا خواهد هر آینه در این عبرتست صاحبان بصیرت را
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
آراسته شد برای مردمان دوستی شهوات از زنان و فرزندان و پوستهای پر از طلا و نقره و اسپان با نشان و حیوانات
وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
و زراعت این متاع بهره زندگانی دنیا و خدا در نزد او هست بهتر بازگشت بگو آیا خبر دهم شما را به بهتر از این مر انها راست كه پرهیزگاری كردند در نزد پروردگار
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ
بهشتها كه میرود زیر آنها جویها جاوید مانند در آن و زنان پاكیزه و خوشنودی از خدا و خدا بیناست به بندگان آنانكه

سورة البقرة

ابي امرأة استحاض فلا اطهر افادع الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي
ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري منه قيل للحوض لان الماء يحيض اليه اي
يسيل والواو والياء من جنس واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد وبريقه يعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة
ومنها المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق لا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة
وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو حيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل
بقاء التكليف وزوالها انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه
على المكلف فايجاب التأمل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها
حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين
فان رأت الصبية ما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعي واعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن لتسع سنين وقيل ان اول
وقت الامكان يدخل بالطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا
تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند
الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما لقول علي كرم الله وجهه ما زاد على خمسة
عشر فهو استحاضة وعن عطاء رأيت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فلا كثره لا حد له فقد لا ترى المرأة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر
يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
تمكث احداهن شطر دهرها لا تصلي اشعر ذلك بان اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ستا وسبعا في الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت
جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله اي مما علمك الله من عادات النساء من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة
اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القرآن والسجود والغشيان بنص القرآن والطلاق في حق بعضهن
ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المرأة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري
والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رأته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل
الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرأ يطهرن بالتخفيف فانتهاء
الحرمة عنده انقطاع الدم ومن قرأ يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية
حصول الشيئين معا وقوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتأكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون بذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم ونهيا
نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم
التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المرأة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل
الموضع وتتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند عوز الماء من حيث امركم الله اي من
المأتي الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وعكرمة قال الاصم والزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان
لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر عنهم من ارتكاب
ما هو اعنة من ذلك بمجامعة الحائض الطاهر قبل الغسل اتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه
والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كأنه نجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس ويحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهر التوبة
من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثامن نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان
الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى المأتى الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كانت اليهود يقولون اذا جامعها
من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال ما اهلكك قال حولت رحلي
الليلة قال فلم يرد علي شيئا فاوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وتحويل الرحل قيل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل
المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان يأتي الرجل المرأة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل
ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع لها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث لكم
فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان يتقي الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل
التشبيه ففرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي فهن موضع حرث فاتوهن كما تأتون اراضيكم
التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه
اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال لا معنى للاذى الا ما يتأذى الانسان منه بنتن ودم

لقيت قوماً اغماراً لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله تعالى قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون ثم تحشرون
ويحشرون الى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركوا مكة ستغلبون يعني يوم بدر ومن قرأ
بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر بلفظ الخطاب ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي
قل لهم قولي لك ستغلبون وفي الآية احتجاج للقائلين بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو امنوا واطاعوا لانقلب خبره
كذباً وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما اخبر اخبار عن الغيب فيكون معجزاً دالاً على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
نظيره في حق عيسى عليه السلام وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية في فئتين
التقتا يوم بدر فئة احداهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة اخرى كافرة هم كفار قريش
وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه احدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد فانهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة
عشر رجلاً مع كل اربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها ان ذلك
ابتداء غاية في الحرب لانها اول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل للمشركين اضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً وفيهم ابو سفيان
وابو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير واهل الخيل كلهم دارعون وكان في الرجالة دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة
المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها انه عليه السلام كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى في قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني جمع قريش وعير ابي سفيان
وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجزة وثالثها امداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة ورابعها
قوله يرونهم مثليهم وفيه اربع احتمالات لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة او الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير
في مثليهم الى كل منهما فهذه اربعة الاول ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلي عدد المشركين قريباً من الفين الثاني انها رأت المسلمين مثلي عدد المسلمين
ستمائة ونيفاً وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين
جميعاً ان عود الضمير في يرون الى الاقرب هو الفئة الكافرة اولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فيجب
ان يكون الراؤن هم الكفار حتى تكون حجة عليهم لو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك ان يهابهم المشركون
ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا اولاً في اعينهم حتى اجترؤا عليهم
فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا على ان تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في القدرة واظهار الآية الاحتمال الثالث ان الرائين
هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما تقرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريباً من ثلاثة امثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع
ان يكون رأوهم المسلمين ثم انهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب نصرة الكفار
وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس هو ان اول الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون ايها
اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث هو ان الاحتمالين الاولين الثاني يقتضي ان المعدوم صار مرئياً والاحتمال الثالث يوجب ان يكون
الموجود الحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلاً والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيراً وهذا
يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصباً على الحال ويحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة
لكن قوله رأي العين لا يجاوب ذلك ومعناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة لانه
عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائزاً لا واجباً والزمان زمان خوارق العادات اما المعتزلة
فعندهم الادراك واجب الحصول عند استجماع الشرائط وسلامة الحس فاعتذروا عنه بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتأمل البالغ
فلعله في البعض دون البعض لعل الغبار صار مانعاً عن ادراك البعض او خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعاً عن رؤية ثلث العسكر او جعلت في
عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في عين الحول ما يرون به الواحد اثنين كان ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما
بالحجة والعاقبة كيوم احد ان في ذلك الذي ذكر من الآية لعبرة نوع عبور وهو التجافي من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار لذوي العقول
التي تبصر القضايا باعينها كالشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح في البيان لمعيبة الانسان فهو زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم
الروحانيات خير وابقى لها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة واما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان ابا حارثة بن علقمة
النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا انه يمتنع من اتباعه حب المال والجاه وروينا ايضاً انه لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهروا
من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدة فبين الله تعالى في هذه الآية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين
هو الله تعالى اما عند الاشاعرة فلانه خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند جمهور
المعتزلة فلحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو ان يتصدق بها او ينفق بها

على طاعة الله والتشاغل بشكرها كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات
اذا تركها واقبل على اداء وظايف الخدمة كان اشق وله اكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا او مندوبا او مباحا فالتزيين
فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك احتج في الآية
بانه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا بمن جعل
الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم
والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهيات شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للقادر مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة اخرى هي ان الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها
شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الآية دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف
يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من فعال العباد وهي ان يجعل الانسان كل همه مصروفا الى اللذات والطيبات
واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه وقد يحبه ويحب ان يحبه يعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة
ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عم اني احببت حب الخير ومعناه احب الخير واحب ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان
الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك انه موجود في الاغلب في اكثر الاوقات فلا
التعميم فظاهر اعطي للاغلب حكم الكل على ان من همته بجملتها مقصورة على طلب اللذات الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك الناذر في جميع
الاحيان على ذلك الخاطر اعز وامنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هي الامهات ورتبها في سبع مراتب الاولى النساء
لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال عم ان اخوف ما اخاف
على امتي النسوان الثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النسوان والاولاد كانها امر غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل
للحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ماخوذ من عقد الشيء واحكامه منه القنطرة والمال الكثير قنطار لان
الانسان يتوثق بها في عقد النوائب ابو عبيدة انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي عم القنطار اثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن
وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم ملو مسك ثور من ذهب او فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار
للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة فانما كان الذهب
والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء وكل المستبد بوجه في الفرد ولا التي لغلت جلت قدرته وصفة
المالكية هي القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط
وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيها او سمي الخيال خيالا لجولانه وهذه القوة في مستحسن الصور والمسومة قيل المرعية اسمت
الدابة وسومتها اذا ارسلتها في مرجها للرعي ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة
فعن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي رجل مطهم اي
تام كل شيء على حدة فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد نعم الا للابل خاصة فانها غلب
عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان يكون من بني نوعه
او من غيره والاول اصله هو المرأة وفرعه هو الولد وانما فرض الكلام في الذكور لشرفهم والثاني اما ان يكون من المعدنيات واكثرها
فائدة واعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات المركوبة للكر والفر وهو الخيل والمحمولة واللحم وهو الانعام واما ان
يكون من النباتات والحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطبهم لا معهم والله
عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال
سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا والمقصود تعليم العبد انه كما ان الدنيا اطيب
وافسح من بطن الام فكذلك الآخرة افسح واوسع من الدنيا ولانه لما علم ان نعم الدنيا ان منافع الآخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير
أؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددنا ثم استانف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما تقول هل ادلكم على
خير من فلان عندي رجل من صفته كيت وكيت فبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع تابيد الخلود فان النعمة وان عظمت
فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لا يتكامل طيبها الا بالنساء فبهن يحصل الانس ثم وصف
الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الادناس والمعايب وبعضه كمال النعمة ذكرنا هو فوق التمام فقال ورضوان من الله
ويندرج فيه جميع المطالب المقاصد لان السيد اذا رضي عنه المولى سيصدر منه ما يحمل منه الملك كان اتم في ما ملكه للعبد كما ان العبد
وما ملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم وتعالى يا وفي الكلام تقديم الذين اتقوا متعلقا بخبر اخشى الفون لانهم

هم المنتفعون به برفع جنات على الخبر اى هو جنات وبعضهم قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام فى هذه القراءة يتعين ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به قوله للذين اى ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختاره لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب استحقاقهم او بصير بالذين وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل لاظهار الذل والعبودية وابداء الاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا يفيد ما لم يقع فى حيز القبول فعلى المتقى ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله فى مواجب الغفران ثم عدد من صفات عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى كل واحد منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفى فى استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اى فى اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلى فقال اى صبر اشد على الصابرين فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله قال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كادت تتلف روحه الصادقين اى فى الاقوال وفى الافعال بان لا ينصرفوا عنها قبل تمامها وفى النيات بان يمضى العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما يقدرون على انفاقه من شروطه ومصارفه وجوبا او ندبا والمستغفرين بالاسحار اى فيها والسحر قبيل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم او لان الاستغفار بالاسحار مزيد تاثير وانوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد ان يفيض عليه سجال المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف واثار اللطائف ما بان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل اداء جميع التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات مرغوب محمود فاشار الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان على الطاعة خدمة بالمال والابتهال والتضرع الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقى الاوصاف حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبى لما ظهر رسول الله صلعم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلعم الذى يخرج فى اخر الزمان فلما دخلا على النبى عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد صلعم قال نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا انا نسئلك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلعم سلانى قالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلعم ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا اننا امنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولى العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون كذلك اما الاول فتقريره من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل فى حق الله تعالى وفى حق الملائكة وفى حق اولى العلم اما من الله فذلك انه اخبر فى القران انه اله واحد لا اله الا هو وذلك فى مواضع كثيرة كالاخلاص واية الكرسى وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية فى هذه المسئلة جائز لان العلم بنبوة محمد صلعم لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولى العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له وثانى الوجهين ان تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والاثبات فان الله تعالى اظهر ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولو العلم اظهروا ذلك ايضا بتبيينهم فالملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع فى الشئ الذى به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشئ واحد فى حق الكل فكانه قيل للنبى ان وحدانية الله تعالى امر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين المنهج القويم لا يضره مخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد صلعم على ذلك فانه هو الاسلام واما الثانى فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولى العلم عبارة عن اقرارهم بذلك نظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فالصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اى شئ اكبر شهادة قل الله وفى انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو قائما بالقسط نظيره وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده بذلك دون من عطف عليه من الملائكة واولى العلم فانما بالقسط وهذا وجه ليكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا ولا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولى العلم اى حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط فى اداء هذه الشهادة الثانى ان يكون صفة للمنفى كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد دينا هم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة

الذين يقولون ربنا

الصابرين فقال لا فقال لا تم

ان الدين عند الله هو الاسلام تم

قائما بالقسط تم

كقوله

كقوله شعر : وبأوي الى نسوة عطل وشعثا : مراضيع مثل السعالي : ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجريه على سنن
الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب فيما يامر به عباده من ان ينصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات و
عدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم النقص والنقص في شيء من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات
العليا ومركوز في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة وقضية التسوية ورعاية الاصلح عموما او خصوصا فكل
ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او يشبه الجور والقبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه عن احاطته التامة بسلسلة الاسباب
والمسببات والمبادي والغايات فانظر في كيفية خلقه اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق
في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر في كيفية خلقه العناصر
واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلق في العلم والجهل والفطانة
والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى مخلوق مستعد لادراك تفاصيل كلمات
الله فالخوض في ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا
راد وان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شيء من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم العدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن نسب الجور في فعل من الافعال فهو
الجائر لا على غيره بل على نفسه انه لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات المطلع على الكليات والجزئيات من ازل الازال
الى ابد الاباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا او شرا في اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيئته وارادته فقد كذب بل اخبث خالقه
لانه يدعي التوحيد ثم يثبت قادرا اخر وخالقا لغير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو اي اشهد بذلك فقد
صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل لعلى وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله فيه يفاظ لاسترحمان يتولو على وتو
شهادة الله والملائكة واولي العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكن : هو المسك ما كررته يتضوع : ثم اكد
كونه متفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد
والاستقلال والعدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم
الطاعة سمي الدين به لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم او في السلامة او في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشيء اي
خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد
الكلي وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في الصفات
كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه فانه على الصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بما امر وينتهي عما نهي عنه ليكون عبدا
منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرا بفتح ان فتقديره عن البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شيء وقيل تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله
الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل
على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم
ما اصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قبلهم اليهود واختلافهم ان موسى لما قرب وفاته سلم التوراة الى سبعين
رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا
على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو
انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم اي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله في
تفسير الكبير ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة والمراد انه سيصير الى الله سريعا فيحاسبه
ويجازيه على كفره ثم بين للرسول ما يقوله في محاجتهم فقال فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله قال الفراء اي اخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه معنى
العمل وقيل اي اسلمت وجهي على الله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر مني من الاعمال فالوجه في الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه
وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام اعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن
اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا اعراض
عن المحاجة لانه قد كان قد اظهر المعجزات كالقران ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد مر في هذه السورة ابطال الحجة عليه في ثبوت نبوة محمد ثم

والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو صح

بين نفى الضد لنده والصاحبه والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغى والحسد فلم يبق الا ان يقول
اما انا ومن اتبعني فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في اخر كلامه وثانيهما ان
قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكانه قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك
بهذا القدر المتفق عليه وداع الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون
يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابى مسلم ان الاية في هذا الموضع كقول ابرهيم انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض كانه قيل
فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب
التمسك بالالزامات داخلا تحت قوله وجادلهم بالتى هى احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين هم مشركوا العرب الذين
لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفائدته التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تأل جهدا في سلوك طريقة الكشف
والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء
فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هداك الله اليه ووصلوا الى الفوز والنجاة في الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام لك واتباع لك فانما عليك البلاغ
ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولين
بصفات ثلث واردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بايات الله اى ببعضها وهو لان اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع
وقد تقدم عليه شئ من العناد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض ايات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اى
المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم لا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون او يقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس عن الحسن ان في الاية
دلالة على ان الامر بالمعروف والناهى عن المنكر تلى منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروى ان رجلا قام الى رسول الله فقال
اى الجهاد افضل فقال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لا اقل من الحال لانه
وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله
والمؤمنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال السم قاتل اى ذلك من شأنه ان وجد القابل ويقول في صفوا
بسيفى اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا
امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء
لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الالام
والمكاره عليهم هو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثانى زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبى والقتل
والجزية واما في الاخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو قوله وما لهم من
ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا
الى التورية فهى بيننا وبينكم فابيا فنزلت قال الكلبى نزلت في الذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف
تجئ القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبى او اياهم والنصارى الى الايات الدالة على صحة نبوته من التورية ومنها ومن الانجيل
فابوا فنزلت معنى قوله اوتوا نصيبا اى حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القران
من الكتب التى كانوا مقرين بحقيتها وقيل اى حصلوا من جنس الكتب المنزلة ومن اللوح التورية وهى نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون
الى كتاب الله وهو التورية كما مر في اسباب النزول لانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذى
يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القران وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اى الكتاب بينهم اى
بينهم وبين رسول الله فحذف الثانى للعلم به ويراد الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في قصة الزانيين ولهذا راجعوا في ذلك رسول الله
رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من اسلم من احبارهم وبين من لم
يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار
والذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتى الدعاء والتولى وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وهجيراهم والضمير
في وهم اما ان يرجع الى الفريق اى هم جامعون بين التولى والاعراض لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن مباشرة المقامات ولما

ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قدوصف العلماء والرؤساء بالتولى والباقين بالاعراض لا بل عن شاتهم ومنقلبهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب
اى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق وذلك التولى والاعراض وذلك العقاب والوعيد بسبب انهم كانوا ايضا ساهلون فى امر العقاب لا يفرقون بين
ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هى ايام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه احدها
استقصار مدة العذاب ومن اين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودة
فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون بالنبوة من قريش ومن زعمهم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم فى هذا الحذف فخامة لما فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا اليوم الخميس معناه جمعوا لفعل يوجد فى يوم الخميس واذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا ايضا
من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب وعقاب جزاء ما عملت وهم لا
يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسى وروى ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وانا وبل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب بحكم الازلى بالشقاوة ربنا غلبت
علينا شقوتنا ثم مغلوب بالهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى اسفل سافلى الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما
عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى جهنم وبئس المهاد مهاد مهده فى معاشه قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ان الله تعالى فى الظاهر من المؤمن والكافر
وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من
القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن
جنود الفئتين واعوان الفريقين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس الغالب عليهم الهوى
وهم اصحاب النفوس والخواص ويذكرهم بلفظ الولى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان جهنم سبع دركات
محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المايلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا
والرضاء بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات
عاجلة تجرى من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك
ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما حاول لهم الدنيا سرى على اوليائه
ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى انما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته
الاحد وكونه الصمد انه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكما ان ذاته
لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل
ولا غير ولا شر ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فهو
الذى كان كما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح
ولربوبيته موضح وعلى فردانيته شاهد لكن ماء التوحيد القدم يجرى فى مجارى انهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولى العلم ثم الملائكة وان
كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولوا العلم ولكن اختص اولوا العلم منهم بمشربية فالزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها الى سكرانه وللندمان وجه
شئ خصصت به من بينهم وحدك تحقيق معنى الاية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة واولوا
العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائد الى اولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالشربية لماء
التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا عزته من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف فى الصورة من نتايج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق لتقاربهم فى الصف
ولتقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم فى الصف ولتدابرهم فى المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد لكن المحمود
منه ما يخص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان مخلوق مستعد القبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكمال الانسان فى قبول فيض اللطف
ان يفدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا يحبط اعماله ولا يرجى
توبته ابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من اوتى حظا من العلم فعلامته اذا دعى الى حكم من احكام الله والى ترك الدنيا ومخالفة الهوى
ان يمتثل ويتبعه ولا فان كان مغرورا بالدنيا الدعوى وهذه حال الاكثر ممن اوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة بالله
فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

ويعبر عنهم بلفظ المؤمنين ... الارباب ...

نشئين ... يادنيا ... ينبوع ...

تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى

گر خواهى و خوار كنى هركرا كه خواهى در دست تست نيكوى هستى كه تو بر هر چيزى توانائى در آرى شب را در روز و در آرى روز را در شب و بيرون آورى زنده را

من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل

از مرده و بيرون آورى مرده را از زنده و روزى دهى هركرا كه خواهى بى اندازه فرا نگيرند مؤمنان كافران را دوستان بجز مؤمنان و هركه كند

ذلك فليس من الله فى شىء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه

اين را پس نيست از خدا در چيزى مگر آنكه بترسيد از ايشان ترسيدنى و ميترساند شما را خدا از خود و بسوى خداست باز گشت بگو اگر پنهان داريد آنچه را كه در سينهاى شماست يا ظاهر كنيد

يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شىء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من

ميداند او را خدا و ميداند آنچه در آسمانها و آنچه در زمين است و خدا بر هر چيزى تواناست روزى كه بيابد هر نفسى آنچه را كرده از خوبى حاضر آورده و آنچه كرده است از

سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

بدى دوست دارد كه بودى در ميان او و ميان او زمانى دور و ميترساند شما را خدا از ذات خود و خدا مهربانست به بندگان بگو اگر ميباشيد كه دوست داريد خدا را پس پيروى كنيد مرا تا دوست دارد

ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ع ١٢

و بيامرزد براى شما گناهان شما را و خدا آمرزنده مهربانست بگو كه اطاعت كنيد خدا را و رسول را پس اگر روگردانيد پس بدرستى خدا دوست ندارد كافران را بدرستى خدا برگزيد آدم

ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم القراءة الحى من الميت وللميت من الحى بالتشديد

و نوح را و آل ابراهيم را و آل عمران را بر جهانيان فرزندانى كه بعضى از بعضى اند و خدا شنونده داناست على فيعل حيث كان ابو جعفر و نافع وحمزة و

على وخلف وسهل ويعقوب غير عاصم غير ابى بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل

وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرا حمزة وعلى وخلف بالامالة الوقوف بمن تشاء ط لتناهى الجملتين المتضادتين معنى الى جملتين مثلها

وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ج فى الليل للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحى لعطف المتفقتين حساب المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط

المصير نصف الجزء يعلمه الله ط وما فى الارض ط قدير محضرا ج لاجواز ان يوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط

بالعباد ذنوبكم ط رحيم والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين العالمين لا لان ذرية بدل من بعض ج عليم لا لاحتمال ان اذ متعلق

بالوصفين اى سميع دعاءها وعليم رجاءها حين قالت واصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصبت باضمار اذكر التفسير انه سبحانه لما ذكر من

طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التحميد التعظيم فقال قل اللهم معناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة

عوض عن الياء وانما اجزت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص هذا الاسم كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع

همزته فى يا الله عند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اى اقصدنا فلما كثر فى الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من ام وزيف بانه لو كان

كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز ان يتكلم به على اصله من تحقيق الهمزة وباثبات حرف النداء واجيب بانه انما لم يوسط

العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثانى تفسيرا للاول فيكون اكد وبان الاصل كثيرا

ما يصير متروكا مثل ما اكرمه فانه لا يقال شىء ما اكرمه فى التعجب مالك الملك نداء مستانف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما لا يوصف

اخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه ويا نومان ويا ملكعان وقد اجاز المبرد نصبه على النعت كما جاء فى ما سمعوا عن ابن عباس

انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك

فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك فنزلت الاية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب قطع لكل عشرة اربعين ذراعا و

اخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها

ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لى قصور الحيرة كانها انياب

الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها قصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل ان امتى

ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح

لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسئله ان يعطيه ملك فارس

والروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك ليدل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك

الملك اى يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلق فى كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما

بين كونه مالك الملك فانه هو الذى يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتى الملك من تشاء اى النصيب الذى

قسمته له واقتضته حكمتك فالاول عام والآخر بعض من الكل وهذا الملك قبل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على

بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ فى البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم ولهم ان يقتلوا من اراد

التمزيق

المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا أبعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا أمة فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقولون النبوة في اسلافنا فمن احق بها وقد ذكرنا في تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي صلعم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب بمعنى انه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد بهذا الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال وتوابعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس وجيها لديهم معظما مطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون من مسبب الاسباب فاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور : لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ۔ بنجوم اقطار السماء تعلقي ۔ لكن من رزق الحجى حرم الغنى ۔ ضدان مفترقان اي تفرق ۔ ومن الدليل على القضاء وكونه ۔ بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق ۔ وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم ينزعه عن العادل المصلح نقيض ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهذا كقوله صلعم كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ و القدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدنيا والآخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده ولا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتدبيره تعالى وتقديره بيدك الخير بقدرتك تحصل كل الخيرات والشرور وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر تأدبا وليدل على عموم ما عداه او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير فكلها خير او لان القادر على ايصال الخير اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني ولاحترازه عن لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما قوام العالم ونظامه او يأتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الآخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا ازداد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر أو من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه والطيب من الخبيث والحيوان من النطفة والطير من البيضة وبالعكس فالنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحبة تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشرائط الشفقة على خلق الله ونقول لما ذكر انه مالك الملك بيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الآخر وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو بن ابي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلعم فانزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في آيات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله يا ايها الذين آمنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه والثالث

كالمتوسط بين القسمين وهو ان يكون الميل اليهم في المعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن
ابي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقتهم
والرضاء بدينهم حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلاجرم هدد فقال ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ اي من ولاية الله ومن دينه في شيء يقع عليه
اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة
غير متصور وهذا امر معقول فان الموالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال تود عدوي ثم تزعم انني ❊ صديقك ليس النوك عنك بعازب ❊ قال
بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه يحب احدهما اذا اراد ان يعم الحكم لابد له ان يزيل عنه
اذا كانوا في مرتبة واحدة ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة والتاء بدل من الواو وكذا تراث فالتقاة اسم وضع موضع
المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا او تخافوا
ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة او التقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار
الطوية كقول عيسى كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في
قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يظهر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما امكن فان التقية تاثيرها في
الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روي الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما
اتشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر
وقال اتشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظيره هذه الآية ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾
ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد يجوز ان يكون ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل
والزنى وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز
التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال
المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع
الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن قال التقية جائزة الى يوم القيمة وهذا ارجح
عند الائمة ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة
المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي حذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي ينهاكم الله
عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ اي قلوبكم وضمائركم لان
القلب في الصدر مجازا اقامة للظرف مقام المظروف ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ يتعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا لما شفي فقال ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثم قال اتماما للتحذير ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ وفي عامله وجوه قال
ابن الانباري ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ وقيل ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة
الله تعالى تعظيما لشانه مثل ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقيل انتصابه بمضمر اي اذكروا والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس
يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ والامد الغاية التي ينتهي اليها مكانا
كانت او زمانا والمقصود تمني بعده كقوله ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ ومعنى كون العمل محضرا هو ان يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف
حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود الى السوء ويحتمل
ان يكون حالا او احتمل ان يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية وتود جزاء له وهو قليل
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت تحملها على السوء الا ان الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى
لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تاكيد للوعيد ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال الحسن من رافته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال
علمه وقدرته وانه يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤف بهم حيث امهلهم للتوبة والتدارك
او هو وعد كما ان التحذير وعيد والمراد بالعباد عباده المخلصون كقوله ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ كانه منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو
رؤف بالعباد المطيعين المحسنين ثم انه تعالى دعى القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق آخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾
قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الآية وروى الضحاك عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون

لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسمعيل ولقد كانا على الإسلام فقالت قريش يا محمد صلعم إنما نعبد هذه حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى
فأنزل الله قل إن كنتم تحبون الله وتعبدون الأصنام ليقربوكم إليه فاتبعوني يحببكم الله فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم
وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي أنها نزلت حين زعمت اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا أنهم يعظمون
المسيح يعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل أن كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد أن يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فإذا
قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلعم وجبت متابعته فليس في متابعته إلا أنه يدعوهم إلى طاعة الله وتعظيمه
وترك المحبوب في الإعراض بالكلية عن غيره وقدم في تفسير قوله والذين آمنوا أشد حبا لله تحقيق المحبة وأنها من الله تعالى عبارة عن إعطاء الثواب وفيه
ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع إبقاء الثواب على إزالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده أنواع المعاصي
رحيم في الآخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى أنها لما نزل قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن أبي إن محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحب النصارى عيسى عم فنزلت قل أطيعوا الله والرسول وذلك لأن الآية الأولى لما اقتضت وجوب متابعته
ثم إن المنافق ألقى شبهة في البين أمر الله تعالى أن يقول إنما أوجب الله عليكم متابعتي لا لما يقوله النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ومبلغ
تكاليفه فإن تولوا أعرضوا وتعرضوا على أن يكون الثناء الأولى لمحمد ويدخل في جملة ما يقوله الرسول لهم فإنه لا يحصل للكافرين محبة الله
لأنها عبارة عن الثناء لهم وإيصال الثواب إليهم بل ويستحق الذم واللعن هذا ضد المحبة ثم إنه تعالى لما بين أن محبته لا تتم إلا بمتابعة الرسل بين علو
درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال إن الله اصطفى آدم ونوحا الآية أي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء
الذي يصفى وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقيل
المعنى أن الله اصطفى دين آدم ودين نوح ولكن الأصل عدم الإضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج أن الأنبياء عم مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية
والقوى الروحانية أما القوى الجسمانية فهي إما مدركة أو محركة أما المدركة فهي الحواس الظاهرة والباطنة أما الظاهرة فقوله عم زويت لي
الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وقوله أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري فهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما
حصل لإبراهيم عم وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ذكر في تفسيره أن الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس يستبعد
فإنه يروى أن زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام ويقال إن النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال عم
أطت السماء وحق لها أن تئط فسمع أطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة أن فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك وقد سمع سليمان
كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى أن النبي عم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب عم ريح يوسف من مسيرة أيام وقال عم إن هذا الذراع يخبرني
أنه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم قيل فهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر إذ لا إدراك
ههنا فكيف يستدل به على قوة الإدراك بل يجب أن يحمل هذا على معنى آخر وهو أنه تعالى لا يبعد أن يجعل المنافي ملائما للإعجاز أو لخاصية أودعها في
المنافي حتى يصير ملائما وأما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي عم علمني رسول الله صلعم ألف باب
من العلم فاستنبطت من كل باب ألف باب فإذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي وأما القوة المحركة فكعروج النبي عم وعروج عيسى عم إلى السماء و
كرفع إدريس وإلياس على ما وردت في الأخبار وأما القوة الروحانية العقلية فنقول إن النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس أو
كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا إلى عالم الأرواح فلا جرم يجري عليها الأنوار الفائضة من المبادي العالية ثم من سائر النفوس أكمل ولهذا
بعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين مرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الأرضين عند من يقول الملك أفضل من
البشر ومن سكان السموات أيضا عند من يرى البشر أفضل المخلوقات ثم إن القرآن دل على أن أول الأشياء صفي الله وخليفته ثم إنه وضع كمال — اصطفى آدم
القوة الروحانية في شعبة معينة من أولاد آدم وهم شيث عم وأولاده إلى إدريس ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم انشعب من إبراهيم عم شعبتان إسمعيل
وإسحق فجعل إسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد عم وجعل إسحق مبدأ لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب و
وضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك إلى زمان محمد صلعم فلما ظهر محمد صلعم نقل نور النبوة ونور الملك إليه عم وبقي الدين والملك في أمته عم إلى يوم
القيمة فالمراد بآل إبراهيم أولاده عم وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله إني جاعلك للناس إماما وأما آل عمران فقيل أولاد عمران بن يصهر
والد موسى وهرون وقيل المراد بآل عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه إذ قالت امرأت عمران ولا شك أن عمران بن ماثان
جد عيسى من قبل الأم ولأن الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على إلهية عيسى عم بالخوارق التي ظهرت على يديه عم فالله تعالى يقول إن ذلك باصطفاء
الله إياه لا لكونه شريكا للإله ولأن هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين ذرية بدل ممن سوى آدم بعضها من بعض
قيل أي في التوحيد والإخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه أن غير آدم
كانوا متولدين من آدم وقيل يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من فاهث وفاهث من لاوي من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان
ولاوي

سليمان بن داود بن ايشا ابن يهودا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما اخرين وكذلك بين ايشا ويهودا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفى من خالفه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه تقريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون اول الكلام تشريفا للمرسلين واخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف التأويلات مالك الملك هو ملك الوجود فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتى الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل القبض القهري بيدك الخير انك على كل شئ قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذي يقدر على اعطاء كل خير فاتنا واعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضر تولج ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس تخرج القلب الحي بالحيوة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من انوار الله والطافه في شئ الا ان تتقوا من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز عن السير فتعدل الى الرجوع وتضل في الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه اي من صفات قهره قل ان تخفوا ما في صدوركم من معادات الحق في ضمن موالاة النفس او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات قلوبكم وما في الارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير من الخير والشر ظاهرا في ذات المرء وصفاته بحسب ذلك يبيض وجه قلبه او يسود ولكنه في غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية كحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن طريق الوصول وهو في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة المحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام المؤمنين وهي متابعة اعماله والثانية درجات الخواص وهي متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله واما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو للمتابعين الاعمال الذين يطمعوا جزاء على ما يعملون وفيه قال ابو الطيب

وما انا بالباغي على الحب رشوة ... ضعيف هوى يرجى عليه ثواب

والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا لانه اهل لذلك كما قال رابعة

احبك حبين حب الهوى ... وحب لانك اهل لذاكا

ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال شعر

يا عبد الله لا ارجو مثوبته ... لكن تعبد اعظام واجلال

والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكان من كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة لسبق العناية غذينا بالمحبة يوم قال لها

الدنيا ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين

وحقيقة هذه المحبة ان يفنى المحب بسطوتها ويبقى المحبة فيه بلا هو كالنار يفنى الحطب بسطوتها ويبقى النار منه بلا هو نارا ولا نارا وغيرها ولا نارا واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله فما الذ قرار القائل بين يدي الشيخ ابي سعيد ابي الخير قوله يحبهم ويحبونه فقال الحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعة الصانع اذا مدح صنعة فقد مدح نفسه فالغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرجعها الخلق تختلف لذلك مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف السنة وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل بتجلي صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحو كم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وعند المحو والاثبات احياء عند ربهم يكون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدر فيه محبته لكم ان الله اصطفى آدم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع في آدم جميع الانواع وخصه بتشريفها من هو تشريف نفخت فيه من روحي فهو المظهر لجميع ذاته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق آدم على صورته ثم ذكر خواص اولاد آدم نوحا وآل ابراهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء ان العالم كشجرة ويتولها اهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم **اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت**

بهم بپيوند وبهم پيرند توون چون گفت زن عمران پروردگارا نذر كردم از براى تو آنچه در شكم منست آزاد كرده از همه كارها مر خدمت ترا پس بپذير از من

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ

شنونده دانا است ‌ پس چون که نهاد حمل را گفت که پروردگارا بدرستی که من نهادم حمل را دختر و خدا داناتر است بآنچه نهاد و نیست جنس مرد مانند جنس زن و من نام نهادم او را مریم

وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا

و من پناه میدهم او را بتو با فرزندانش از شیطان رانده شده ‌ پس قبول کرد او را پروردگارش بقبولی نیکو و تربیت داد او را بپرورشی نیکو و پذیرفت او را زکریا هر وقت که

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿

درآمدی بر آن ‌ بزرگ زکریا در محراب ‌ یافتی در نزد او روزی گفت که ای مریم چگونه شد مر ترا این گفت که آن از نزد خدا است بدرستی که خدا روزی دهد آنرا که خواهد بی اندازه

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

از آن زمان خواند ‌ زکریا پروردگار خود را گفت که پروردگارا ببخش مرا از نزد خود فرزندان پاک بدرستی که تو شنونده دعا ‌ پس ندا کردند او را فرشتگان در حالتی که ایستاده بود نماز

فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ

در محراب ‌ که خدا ‌ مژده دهد ترا بیحیی باور دارنده مر بنده از خدا را ‌ و مهتر ‌ و پارسا ‌ و پیغمبری از نیکوکاران ‌ گفت که پروردگارا از کجا

لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

مرا فرزند شود در حالی که دریافت مرا پیری و زنم نیز نازاینده است گفت که همچنین است خدا میکند هرچه خواهد ‌ گفت پروردگارا قرار ده از برای من نشانی ‌ گفت که نشان تو آنست که گفتگو نکنی با مردم در سه روز

إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿ القراءة مني انك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر

مگر بطریق رمز ‌ و یاد آر پروردگار خود را بسیار و تسبیح کن در شام و بامداد

ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة واني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر

ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقرأ ابو بكر

وحماد بالمد والنصب ههنا الباقون بالمد والرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث في المحراب بالامالة

حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر الهمزة ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون بالتشديد

لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير الوقوف منج للابتداء ولاحتمال لانك العليم انثى ط لمن قرأ بما وضعت بتاء

الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها

على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم حسنا ص لمن خفف كفلها مخففا لان فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب تعالى ومفعوله

كقوله الكفلنيها المحراب لا لان وجد جواب كلما رزقا ج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب ربه ج لما قلنا في رزقا

طيبة ج للابتداء ولجوازه لانك الدعاء في المحراب لا وان كسر لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين عاقر ط ما يشاء آية ط رمزا ط

والابكار التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا الفصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول وهي حنة بنت فاقود اخت ايشاع

التي كانت تحت زكريا بن اذن وكان حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاله فتحركت نفسها

للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران

وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم ام موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق

وتحرير الكتاب اصلاحه وتخليصه من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد تصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة

ولا سبي كان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع و

يجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار

له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت

مطلقا اما بناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت

لك ان اجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت انثى في علم الله او على تأويل النفس او النسمة الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر

بمعنى المحمول كما سمي بالحمل ثم دخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي

في بطن الناقة على تقدير ان يكون انثى قالت رب اني وضعتها حال لكونها انثى ثم من قرأ والله اعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام الى آخر

الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من انها لا يقع الموقع الذي

يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن بها انها قالت ذلك لا عن علم الله تعالى فقالت

والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث لا سيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم

والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان

تكون غادرته بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب اني وضعتها انثى ولكنك عرفت واعلم بحال ما وضعت فلعل

ان فيه سرا وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لي لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى للعهد وهو حاضر ذهني لكنها في الذكر حاضر ذهني تقدم ذكره لانه ما في بطني عليه ضمنا وفي الانثى حاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظة انثى ومن قرا بما وضعت بسكون التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْاُنْثٰى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات وقت وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى امرأة عمران ظاهرا بدليل انها التي خاطبت ونادت بقولها رَبِّ اِنِّيْ وَضَعْتُهَا ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انه كان ما في بطنها نسيبها بعد ذلك بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ تقبلت الشيء وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى انه لم يسمع غيره واجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وَاَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا قيل كان تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل المراد نماؤه في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات في كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه كان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يٰمَرْيَمُ اَنّٰى لَكِ هٰذَا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ فلا تستبعد اِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة وَاِنِّيْ اُعِيْذُهَا ومنها تكلمها في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روي عن النبي انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي الثاني يدعي الولاية والنبي يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت عجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والنخس في وقت الولادة وان قرب عهده بعالم الارواح وزمان المكاشفة وبعد عهده عن عالم الغفلة والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت

احس

اخرى يصرح على ان اثر مس الشيطان ونخسه يظهر في هيئات النفس واحوالها وانها امور لا يخرجها الا بعد المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام
فيه ليس هذا موضعه استعداد اخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي لم يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال
ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا من تفاصيلها فاذا رأى شيئا بعينه في وقت معين قال لها انى
لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عندها رزقا معتادا الا انه كان
ياتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا
لا نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق
اتاها من حيث لا ينبغي فكان يسألها عن كيفية الحال قلت امثال هذه الشبهات يوجبها الشك في القران وفي الحديث والعصبية المحضة على
انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال ايضا كيف قنع بمجرد
اخبارها في زوال التهمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على
نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها اية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا ع وذلك قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان الذي كانا
فيه في المحراب في ذلك الوقت الذي شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد
عرف في ذلك الزمان والمكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس
وان ذلك خارق للعادة فطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا
في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت لا سيما في الطلب وما المعتزلة فانهم انكروا كرامات الاولياء وارهاص
الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى اثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي
لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فيصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد
التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالبدء
على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح لم يعطه الله عليه فيصير فعزه ومعنى قوله من لدنك
ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك يا رب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة و
تخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال
فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتانيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا
في اسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير
انك سميع الدعاء يعني سماع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة
ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم ذلك المنادي كان جبرئيل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة اي يركب
من هذا الجنس ويأكل منه ولان جبرئيل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه اخرون ان الله يبشرك بيحيى ان زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء
رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى يحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد يسمى يحيى كما
في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى وعيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر
ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله
وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت
يا مريم اشعرت اني حبلى فقالت يا مريم وانا ايضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن
عباس ان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من امن به وصدقه بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا
بكلمة الله وهي كن من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه منشأ الحقائق والاسرار كما
ولهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان
او لانه وردت البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم حدث قلت قد جاء قولي وكلامي اي ما كنت اقول او اتكلم
به ومنها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم في الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم
وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء لضعف في الالة وزيف بانه
من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل اي والذي لا يأتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس
النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث عليه ورد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على
ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا يتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام
وهو منع النفس عما لا ينبغي روي انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عداه الاكمل

فانه ليس بعدها الا النبوة ثم قال ومن الصالحين اي من اولادهم لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين او لان صلاحه كان اتم لقوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم فيه ان الختم على الصلاح
هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمن بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني
مسلما والحقني بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر ادركني السن بما نادوه
العالية واثر في طول العمر واضعفني قال اهل اللغة كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا امكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز
بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشيء الطالب للانسان فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغني البلد في موضع بلغت
البلد لانه ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتي عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء ثم رجل عاقر اي لا تنبت شيئا فان قيل لما كان زكريا هو لان البلد
الذي سأل الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله انى يكون ومن اين يحصل لي غلام فالجواب على ما في الكشاف ان الاستبعاد
انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان
قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب كان له يومئذ مائة وعشرون سنة او تسع وتسعون ولامرأته
ثمان وتسعون وعن السدي ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه
كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى الله لذلك الخاطر فسأل ما سأل والجواب المعتمد ان زكريا لم يسأل عما سأل استبعادا او تشككا في
قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل
ما يشاء وهو اما جملة واحدة اي الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر واما جملتان
فيكون كذلك الله مبتدأ وخبرا اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيانا له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه لفرط
سروره وثقته بكرمه به ولتمامه سئل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر في اول الامر فقال آيتك
ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام اي بلياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلاث ليال ومعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اي لا تقدر على التكلم
عقل لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله بالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشيء
الواحد علامة على المقصود واداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز
عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر
وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عوتب بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قالت فحسن
العقاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب علامة للعلوق
واحتمل ان يكون قد طلب علامة على حدوث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبته
للواقعة حيث سأل ما كان من حقه ان لا يسأل وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مأمورا بعدم التكلم ولكن الاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا
اشارة بيد او راس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان
لم يكن الرمز من جنس الكلام لانه مؤدى مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل
من غير تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس
دفعة بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب
وانه كان عاجزا عن التكلم فقط وسبح حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلوة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون
لاشتمالها عليه بالعشي مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر اذا خرج
للامر من اول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التأويل ان لله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها اسرارا
لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن طعام طائر فرخه وماذا اظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيامة
بواسطة مريم وعيسى فتقبل مني راجع الى المحرر لا الى النحر اي تقبلها مني ان تكفلها وتربيها بسر المحررين فتقبلها ربها اي تقبلها
ربها ان يربيها بقبول حسن كقبول زكريا وقبولا اخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال قدرته كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج
عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد من التهمة وجد عندها رزقا اي فتوحات الغيب التي يطعم الله به خواص عباده الذين
يبيتون عنده لا عند نفسهم لا عند الخلق كقوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب مما لم يكن في حسابها
من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل الطعام
الطعام وخروجه سببا لتحريك قلب حنة بطلب الولد فكذلك جعل حال مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سببا لتحريك قلب زكريا
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي ولدا لا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو الطيب من لوث الحجاب والواسطة

الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثانی الذی هو لارواح الاولیاء بلبنه وبین الله تعالی حجاب الصف الاول بخلاف الصف الثالث الذی هو
لارواح المومنین بخلاف الصف الرابع الذی هو لارواح المنافقین والمشرکین فنادته الملائکة وهو قائم بالله یصلی بباشرته فی الملکوت
یحارب نفسه وهواه فی المحراب ان الله یبشرک بغلام اسمه یحیی لانه منذ خلق ما ابتلی بالموت کما یموت القلب بالمعاصی ولا یموت الصوت
لانه استشهد والشهداء لا یموتون بل احیاء عند ربهم یرزقون مصدقا بکلمة من الله وهی قوله یا یحیی خذ الکتاب بقوة وسیدا
ای حرا من رق الکونین وحصورا نفسه عن التعلق بالکونین ونبیا من الصالحین من اهل الصف الاول رب انی یکون لی غلام لم یکن
من قبل القدرة الالهیة ولکن من جهة استحقاقه لهذه الکرامة ثلاثا الا تکلم الناس لغلبات الصفات الروحانیة علیک واستیلاء سلطان
الحقیقة علی قلبک فان النفس لما طفقة تکون مغلوبة فی تلک الحالة لشواهد الحق والغیب فلا تفرغ لاجراء عادتها فی الشهادة بالکلام الا رمزا
لهذا یقوی الروح الحیوانی ویستمد منه القوة البشریة فیحیی الله تعالی الشهوة المیتة فیهب ما تولد من الشهوة المیتة التی احیاها الله یحیی ولاستمرار
ع ٣ هذه الحالة فی الایام الثلثة امر بالمراقبة لیلا ونهارا وعشیا وابکارا حسبی الله وَاِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِکَةُ یٰمَرْیَمُ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰکِ

و چون گفتند فرشتگان ای مریم بدرستی که خدا برگزید ترا

وَطَهَّرَکِ وَاصْطَفٰکِ عَلٰی نِسَآءِ الْعٰلَمِیْنَ یٰمَرْیَمُ اقْنُتِیْ لِرَبِّکِ وَاسْجُدِیْ وَارْکَعِیْ مَعَ الرّٰکِعِیْنَ ذٰلِکَ مِنْ اَنْۢبَآءِ الْغَیْبِ

و پاک ساخت ترا و برگزید ترا بر زنان جهانیان ای مریم فرمان برداری کن مر پروردگار خود را و سجده کن و رکوع کن با رکوع کنندگان این از اخبار پوشیده است

نُوْحِیْهِ اِلَیْکَ وَمَا کُنْتَ لَدَیْهِمْ اِذْ یُلْقُوْنَ اَقْلَامَهُمْ اَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَمَا کُنْتَ لَدَیْهِمْ اِذْ یَخْتَصِمُوْنَ اِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِکَةُ

که وحی کردیم او را بسوی تو و نبودی تو نزد ایشان چون انداختند قلمهای خود را که کدام از ایشان در پذیرد مریم را و نبودی نزد ایشان وقتی که نزاع میکردند چون گفتند فرشتگان

یٰمَرْیَمُ اِنَّ اللّٰهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیْحُ عِیْسَی ابْنُ مَرْیَمَ وَجِیْهًا فِی الدُّنْیَا وَالْاٰخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِیْنَ وَیُکَلِّمُ النَّاسَ فِی

ای مریم بدرستی که خدا مژده میدهد ترا بکلمهٔ از او که نام او مسیح عیسی پسر مریم است با جاه در دنیا و در آخرت و از نزدیکان باشد و سخن گوید با مردمان در

الْمَهْدِ وَکَهْلًا وَّمِنَ الصّٰلِحِیْنَ قَالَتْ رَبِّ اَنّٰی یَکُوْنُ لِیْ وَلَدٌ وَّلَمْ یَمْسَسْنِیْ بَشَرٌ قَالَ کَذٰلِکِ اللّٰهُ یَخْلُقُ مَا یَشَآءُ اِذَا قَضٰٓی اَمْرًا فَاِنَّمَا

گهواره و در میانه سالی و از شایستگان است گفت مریم که پروردگار من چگونه باشد مرا فرزندی و حال آنکه مس نکرده است مرا آدمی گفت همچنین خدا میآفریند آنچه میخواهد چون حکم کند کاری را پس

یَقُوْلُ لَهٗ کُنْ فَیَکُوْنُ وَیُعَلِّمُهُ الْکِتٰبَ وَالْحِکْمَةَ وَالتَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِیْلَ وَرَسُوْلًا اِلٰی بَنِیْٓ اِسْرَآءِیْلَ اَنِّیْ قَدْ جِئْتُکُمْ بِاٰیَةٍ مِّنْ

میگوید مر او را که باش پس میباشد و میآموزد او را کتاب و نبوت و توریة و انجیل را و پیغمبر است بسوی بنی اسرائیل و میگوید که آورده ام نشانه از

رَّبِّکُمْ اَنِّیْٓ اَخْلُقُ لَکُمْ مِّنَ الطِّیْنِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ فَاَنْفُخُ فِیْهِ فَیَکُوْنُ طَیْرًا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَاُبْرِیُٔ الْاَکْمَهَ وَالْاَبْرَصَ وَاُحْیِ الْمَوْتٰی

از خدا که میسازم از برای شما از گل چون صورت مرغ پس میدمم در او پس میگردد مرغی بفرمان خدا و شفا میدهم کور مادر زاد را و ناخوشی برص را و زنده کنم مردگان را

بِاِذْنِ اللّٰهِ وَاُنَبِّئُکُمْ بِمَا تَاْکُلُوْنَ وَمَا تَدَّخِرُوْنَ فِیْ بُیُوْتِکُمْ اِنَّ فِیْ ذٰلِکَ لَاٰیَةً لَّکُمْ اِنْ کُنْتُمْ مُّؤْمِنِیْنَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا

بفرمان خدا و خبر میدهم شما را بآنچه میخورید و آنچه را که پنهان دارید در خانهای خود بدرستی که در این هر آینه نشانه است مر شما را اگر باشید گروندگان و باور دارنده مر آنرا

بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرٰىةِ وَلِاُحِلَّ لَکُمْ بَعْضَ الَّذِیْ حُرِّمَ عَلَیْکُمْ وَجِئْتُکُمْ بِاٰیَةٍ مِّنْ رَّبِّکُمْ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطِیْعُوْنِ اِنَّ اللّٰهَ رَبِّیْ

که پیش از من است از توریة و تا حلال گردانم از برای شما بعضی چیزی را که حرام شده بود بر شما و آورده ام شما را نشانه از پروردگار شما پس بترسید از خدا و اطاعت کنید مرا بدرستی که خدا پروردگار من

وَرَبُّکُمْ فَاعْبُدُوْهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِیْمٌ فَلَمَّآ اَحَسَّ عِیْسٰی مِنْهُمُ الْکُفْرَ قَالَ مَنْ اَنْصَارِیْٓ اِلَی اللّٰهِ قَالَ الْحَوَارِیُّوْنَ نَحْنُ اَنْصَارُ

و پروردگار شما است پس بپرستید او را این راه راست است پس چون دریافت عیسی از ایشان کفر را گفت کیست یاران من بسوی خدا گفتند حواریون که ما یاران دین

حزب اللّٰهِ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَاشْهَدْ بِاَنَّا مُسْلِمُوْنَ رَبَّنَآ اٰمَنَّا بِمَآ اَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُوْلَ فَاکْتُبْنَا مَعَ الشّٰهِدِیْنَ وَمَکَرُوْا وَ

خدائیم ایمان آوردیم بخدا و گواهی ده بآنکه ما مسلمانانیم پروردگارا گرویدیم بآنچه فرو فرستادی و پیروی کردیم رسول را پس بنویس ما را با گواهی دهندگان و مکر کردند

ع ١٤ مَکَرَ اللّٰهُ وَاللّٰهُ خَیْرُ الْمٰکِرِیْنَ اِذْ قَالَ اللّٰهُ یٰعِیْسٰٓی اِنِّیْ مُتَوَفِّیْکَ وَرَافِعُکَ اِلَیَّ وَمُطَهِّرُکَ مِنَ الَّذِیْنَ کَفَرُوْا وَجَاعِلُ

و مکر کرد خدا و خدا بهترین مکر کنندگانست چون گفت خدا ای عیسی بدرستی که میرانم ترا و بر دارنده ام ترا بسوی خود و پاک کننده ام ترا از آنها که کافر شدند و گرداننده

الَّذِیْنَ اتَّبَعُوْکَ فَوْقَ الَّذِیْنَ کَفَرُوْٓا اِلٰی یَوْمِ الْقِیٰمَةِ ثُمَّ اِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَاَحْکُمُ بَیْنَکُمْ فِیْمَا کُنْتُمْ فِیْهِ تَخْتَلِفُوْنَ فَاَمَّا الَّذِیْنَ

آنها را که متابعت کردند ترا بالای آنان که کافر شدند تا روز قیامت پس بسوی من است بازگشت شما پس حکم کنم در میان شما در آنچه بودید در آن اختلاف میکردید پس اما آنان

کَفَرُوْا فَاُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِیْدًا فِی الدُّنْیَا وَالْاٰخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِیْنَ وَاَمَّا الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ فَیُوَفِّیْهِمْ

که کافر شدند پس عذاب کنم ایشان را عذاب سخت در دنیا و در آخرت و نباشد مر ایشان را یاوران و اما آنان که گرویدند و کردند کارهای شایسته پس تمام دهد

اُجُوْرَهُمْ وَاللّٰهُ لَا یُحِبُّ الظّٰلِمِیْنَ ذٰلِکَ نَتْلُوْهُ عَلَیْکَ مِنَ الْاٰیٰتِ وَالذِّکْرِ الْحَکِیْمِ اِنَّ مَثَلَ عِیْسٰی عِنْدَ اللّٰهِ کَمَثَلِ اٰدَمَ خَلَقَهٗ

مزد ایشان را و خدا دوست ندارد ستمکاران را این میخوانیم بر تو از نشانها و پند استوار بدرستی که مانند عیسی نزد خدا چون مانند آدم است آفرید او را

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهٗ کُنْ فَیَکُوْنُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّکَ فَلَا تَکُنْ مِّنَ الْمُمْتَرِیْنَ القراءة ویعلمه بالغیبة ابو جعفر و نافع وعاصم وسهل

از خاک پس گفت مر او را که باش پس شد حق از پروردگار تست پس مباش از شک کنندگان

وصفة واحدة ولا شك أنه غاية في الإعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلباً في الأحوال من الصبي إلى الكهولة فإن التغير
على الإله محال وقيل المراد أنه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لإظهار طهارة أمه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي وبالنبوة قال الأصم المراد أنه
يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب آخر وههنا بحث للنصارى قالوا إن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها ولا شك
أن مثل هذه الواقعة يكون بمحضر جمع عظيم وتتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى
لأنهم فرطوا في محبته حتى ادعوا الإلهية لكنهم أطبقوا على إنكاره فعلمنا أنها لم توجد أصلا والجواب أن إطباق النصارى على إنكاره ممنوع ولو سلم فإن
كلام عيسى في المهد إنما كان للدلالة على براءة مريم مما نسب إليه من السوء وكان الحاضر ونحو جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الإخفاء و
بتقدير أن يذكروا ذلك فإن غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم إلى البهت فهم أيضاً قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الأسباب بقي الأمر مكتوما إلى
أن نطق القرآن بذلك ثم ختم أوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك أوصاف يحيى وفيه أن الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم
هو المقصد الأسنى والأمد الأقصى قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا وتشككا وإنما أرادت تعيين الجهة كما
مر في قصة زكريا فأجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره إلا أنه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لأن القدرة ههنا أتم وهو تخليق
المولود بغير أب لهذا الكذا إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على
يبشر أو على وجيها أو على يخلق لأن قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل أن يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لأنه
في قوة أنا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه أمور أربعة أولها الكتاب كأن المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل
به وثالثها التوراة لأن البحث عن أسرار الكتب الإلهية لا يمكن إلا بعد الاطلاع على العلوم الحكمية ورابعها الإنجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك
وشرفه بإنزالها عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والإحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا
على وجيها وما بعده إلى بني إسرائيل أي إلى كلهم لأنه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بأنه مبعوث إلى قوم مخصوصين منهم أني قد جئتكم
يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول أي ناطقا بأني قد جئتكم وإنما وجب هذا الإضمار للعدول عن الغيبة إلى التكلم وأما قوله ومصدقا لما بين
يدي فمعطوف على قوله بآية أي بآية والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدي جئتكم لأجله وفي الكشاف تقديره ويعلمه
الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي أو الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأني قد
جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي وعن الزجاج أن التقدير ويكلم الناس رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس
لا الفرد لأنه عدد أنواعا من الآيات ثم أبدل عن الآية قوله أني أخلق فيمن قرأ بفتح أني ويحتمل أن يكون أن مع ما بعده أي هي أني أخلق ومن قرأ
إني أخلق فبالاستئناف وللبيان كقوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب هذا أحسن ليوافق قراءة الفتح و
المعنى أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيئات الشيء إذا صلحته فأنفخ فيه أي في ذلك الطير المصور أو الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو
اسم جنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى أنه خلق أنواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك أنه لما ادعى النبوة
وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه فطالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض قال وهب كان يطير ما دام
الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا بإذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على أن الروح جسم رقيق كالريح
فلذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو أنه هل يجوز أن يقال إنه تعالى أودع في نفس عيسى خاصية بحيث أنه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة
ذلك الشيء حيا وذلك أنه تولد من نفخ جبرئيل في مريم وجبرئيل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الأرواح في الأجساد أو يقال ليس
الأمر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى فيه على سبيل إظهار المعجزات هذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق
الموت والحيوة ولقوله حكاية عن إبراهيم في المناظرة ربي الذي يحيي ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وأبرئ الأكمه
والأبرص ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن الأكمه هو الذي يولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة
السدوسي صاحب التفسير وقيل الأكمه من عمي بعد أن كان بصيرا رواه الخليل عن مجاهد أنه الذي لا يبصر بالليل وأما البرص فإنه بياض يظهر في
ظاهر البدن ولعله يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو إلى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فيضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه
وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الأصداف فيحيل الدم السائر إليه إلى مزاجه ولونه وإن كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم
حارا وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والآخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما إذا دلك احمر بالدلك
يكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض وإذا أخذ جلده بالإبهام والسبابة واستشيل عن اللحم وغرزت فيه الإبرة
خرج منه دم أو رطوبة موردة ولا شك أن برء مثل هذا المرض من قبيل الإعجاز فيروى أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق
منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده وأحيي الموتى أحيا عازر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من
قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع إلى أهله وبقي وولد له قال الكلبي كان عيسى

يحيى الاموات بياحى يا قيوم وكرر قوله باذن الله دفعاً لوهم من توهم فيه الالوهية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول امره يخبر بالغيوب وروى السدي انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال آبائهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان امك خبأت لك كذا فيرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان يأخذ ذلك الشيء فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك الادخار فقال من ادخر قلبت كل من البناء والدال لا ثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب معجز دال على ان ذلك الخبر صار معلوماً بالوحي ما لم يستعن فيه بآلة ولا تقديم مسألة بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من احوال الكواكب او الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيراً ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها كونه رسولاً من عند الله ذكر انه لماذا ارسل فقال ومصدقاً لما بين يدي من التوراة وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقاً لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى تقرير احكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضاً آخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب واذا لم يكن التأبيد مذكوراً فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التوراة وعن وهب منبه ان عيسى ما غير شيئاً من احكام التوراة وانه ما وضع عن احد بل كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم شرائع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل القول آية من ربه لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكريراً لقوله اني قد جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير اب فاتقوا الله لما خصكم به من الآيات واطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهاراً للخضوع واعترافاً بالعبودية ورداً لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بماذا عاملوه فقال فلما احس اي علم عيسى منهم الكفر علماً لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس او انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدي لما بعثه الله تعالى رسولاً الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان امر عيسى في قومه كامر محمد بمكة وكان مستضعفاً فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوماً حزيناً فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك ان يجعل على كل رجل منا يوماً ان يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفيه ذلك فقال يا اماه اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ثم اعلمني فلما فعل ذلك دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخاً وما في الخوابي خمراً فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب فتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمراً اذا دعاه حتى يحيي ولدي اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى وطلب منه ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شراً فقال ما ابالي ما كان فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى مشهوراً وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري الى الله قيل انه لما دعا بني اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيئاً فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه على ارادة القتل وكان هو في الهرب منهم قال لاولئك الاثني عشر من الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم مما يذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبداً كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم اخذ اذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد بطلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال

في موضع اخر فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف
نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اياي وقيل من انصاري الى الله ان اظهر دين الله فالجار على القولين من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة
وقيل من انصاري حال ذهابي الى الله او حال التجائي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفي الحديث انه كان
يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى في اي في سبيل الله
وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص
الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد نظيره الحوالي وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا
بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان
نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب واما ان الحواريين من هم فقيل هم
الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل انه دفعته امه الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئا كان هو اعلم به منه
فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد علمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى حبا واحدا
وجعل الجميع فيه وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وسأله فاخبره بما فعل فقال قد افسدت علي الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا احمر
وثوبا اخضر وثوبا اصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله
جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا
من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب
فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا ينتقص فذكروا هذه
الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من انت قال عيسى بن مريم قال فاني اترك ملكي واتبعك فتبعه ذلك الملك
مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين جميعا وسموا
بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى والمخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان بالله يوجب
نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون
لامر الله تعالى وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم
تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل يزيد
على فضل الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس وعنه ايضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك
بالتوحيد وللانبياء بالتصديق وقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن
هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك واكتب
ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى
منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله من اجتماع الامر
واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرا اما مكرهم بعيسى
فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال الشر اليه وروي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى وكان جبرئيل
لا يفارقه ساعة فامره جبرئيل ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت اخرجه جبرئيل من تلك الكوة وكان قد القى شبهه على غيره فمن وكل به الروم ثم
ليقتله غيلة فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب واخرى قالت كان ابن الله واخرى قالت كان عبد الله
ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى وذكر
محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل انه
قتل رجلا من بني اسرائيل ممن يجب امرك وكان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت
ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب
فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك
طيباريس وهو صار نصرانيا الا انه ما اظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له ططيطوس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من طيباريس
اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في حاضية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله
تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءهم

اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب وفي علم ان المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال
فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يؤول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه تعالى
عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه
ممتنع في حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير فان الله ظرف لخير الماكرين او لمكر منهما ومفعول اذكر يا عيسى
اني متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الان بل رافعك الى سمائي واصونك من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اي
مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الى وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات
ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع بن انس انه نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه
خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافيا اي اخذك بروحك
وجسدك جميعا فرافعك الي بيان لهم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت
مالي على فلان اي استوفيته وقيل جعلك كالمتوفي لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما
يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه
من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام
تقديم وتاخير فان الواو لا يقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال
ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت
على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التاويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قوله ابرهيم اني ذاهب الى ربي
انما ذهب من العراق الى الشام وقد يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم والمراد الى مكان لا يملك الحكم عليه
هنالك غير الله فان في الارض ملوكا مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا لبشارته
ما لم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد
من الاضمار فلم يبق في الاية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه كما عظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك
من الذين كفروا اي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان
بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمري
انه كذلك فلا يرى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون
بانه عبد الله ورسوله ثم امنوا بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد والمتبعون هم المسلمون الذين بانهم
اتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القران دل على
انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول انه يوجب
ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رايت ولدي ثم رايته ثانيا فحينئذ اجوز ان هذا الذي رايته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان اخر القى
شبهه عليه وكذا الصحابة الذين راوا محمدا يامرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمدا انسانا اخر القى شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع
وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس فاذا جوزتم وقوع الغلط في المبصرات
ففتح هذا الباب اوله سفسطة واخره ابطال النبوات الثاني ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل
الارض فكيف لم يكف في منع اولئك اليهود وانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك الذين قصدوه اليهود
بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة
في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب
هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى
اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان
المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك لاشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت
القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد ثم هذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث ان ذلك
يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور يندفع بان التلامذة عيسى حاضرون منه العالمون بالواقعة وعن
الرابع ان التواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس
ما روي ان الذي القي عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا صبر على انا نقول قد ثبت بالمعجزات القاطعة صدق محمد صلعم في كل ما اخبر عنه فهذه

وعن الهمزة حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد وابو عون عن قنبل ها انتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز الوقوف الكاذبين ه القصص
الحق ج الا الله ط الحكيم ه المفسدين ه من دون الله ط لنا هي جملة وافية الى انتهاء الشرط مسلمون ه من بعده ط تعقلون ه ليس لكم به علم ط لا
تعلمون ه مسلما ط المشركين ه والذين آمنوا ط المؤمنين ه لو يضلونكم ط يشعرون ه تشهدون ه تعلمون ه التفسير روي انه ﷺ لما اورد الدلائل
على نصارى نجران ثم انهم اصروا على جهلهم قال ﷺ ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم نأتيك
فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام
الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار
على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله ﷺ وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان ﷺ
قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني
لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قالوا يا ابا القاسم
رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال ﷺ فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال ﷺ
فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل
عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك فقال ﷺ والذي نفسي بيده ان الهلاك قد
تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما
حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عائشة انه ﷺ لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم
علي ثم قال ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث
﴿فمن حاجك﴾ من النصارى ﴿فيه﴾ في عيسى وقيل في الحق ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق
الوحي والتنزيل ﴿فقل تعالوا﴾ هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نتفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل لما تعلوا من العلو وذلك ان
بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم ﴿ندع ابناءنا وابناءكم﴾
اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار
من هم اعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ﴿ثم نبتهل﴾ ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى
تفاعل نحو اختصموا بمعنى تخاصموا والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا اي لعنته ويقال بهله الله اي لعنه وابعده من
رحمته ومنه قولهم بهلة انا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها
فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء
يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الآية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسئل الله ان يلعنه
وفي الآية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله ﷺ لانه ﷺ وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد
يتمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في
الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس
المراد بقوله ﴿وانفسنا﴾ نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب فدلت على ان نفس علي هي
نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموافق انه ﷺ قال من اراد ان يرى آدم
في علمه ونوحا في طاعته وابراهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه
ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا
الانسان على ان النبي ﷺ افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد ﷺ فكذا في حق
سائر الانبياء واما فضل اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على
صحة نبوة محمد ﷺ فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض اعزته وخويصته وافلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا
ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته ﷺ لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين ﴿اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء﴾ فليس من قبيل المباهلة واما قولهم ان النبي لم يعرض نفسه لذلك فلم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج
والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ﴿ان هذا﴾ الذي تلي عليك من نبأ عيسى ﴿لهو القصص الحق وما من اله الا الله﴾ وهو في افادة
معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم ﴿وان الله لهو العزيز الحكيم﴾ فيه جواب
عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله

غالبا بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا عما وصفت من التوحيد ان الاله يجب ان يكون غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك منهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وسلم لما اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية امره الله تعالى بنمط اخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الاية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كالوا وقيل لحامل القران يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف فيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه والمراد الى كلمة سواء مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فمحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر اي هي ان لا نعبد وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرعت بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى مريم وحيث اثبتوا ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم من غير شريعة وبيان ولانهم يسجدونهم ويطيعونهم في المعاصي وهو النقص في رتبة الامور من الوسائط افرايت من اتخذ الهه هواه ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت فيحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه السلام القول بالاشتراك ايضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان يرجع في التحليل والتحريم والانقياد والايتمار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال صلى الله عليه وسلم هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او سائر المجادلات اعترف باني انا الغالب او يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهوديا او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القران اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابرهيم حتى يعبد عبادة المسيح النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة انما اراد هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الاخفش ها انتم اصله آنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كان حال هذه الشرايع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين من اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا او المسيح فان قيل قولكم ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقرر الشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم او الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند

ابرهيم

النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع هدايا الادم
وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون و
انهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلعم ولم يتابعه احد منا الا
السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد منا ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما
اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك
لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب
الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه
فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما يمنعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل
الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك
من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما و
لينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا
فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهما هل اهرقنا دما بغير حق
فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها فقال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي
قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا
غيره ولزمناه ونحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي تبعتموه اصدقني قال جعفر
اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام
جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا
فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى قال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما
يأمركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله
وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر
زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم ليشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح
على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم شيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا
دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك
المشركون وادعوا انهم في دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني
ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابراهيم على رسوله صلعم وهو بالمدينة
قوله ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلعم والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين
بالنصرة والتائيد لتوليهم والتشديد بمعنى الى الناس اخصهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابراهيم عن رسول الله صلعم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان اولى الناس الآية ثم بين انهم
لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد
ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او وما يقدرون
على اضلال المؤمنين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق
الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله قيل اي التوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلعم وان ابراهيم كان حنيفا مسلما وان
الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل ما الكفر بما يدلان عليه فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول والكفر بنفس التوراة
لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلعم ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم
كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد صلعم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب

انزلها

فيكون

فیکون معجزا وقیل ایات الله هی القرآن وشهادتهم انهم یعرفون فی قلوبهم انه حق وقیل بآیات الله جملة المعجزات علی النبی صلعم فمعنی تشهدون انکم تعرفون
دلالة المعجزة علی صدق المدعی ثم لما وبخهم علی الغوایة اردفه التوبیخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات فی البین وهو معنی لبسهم الحق بالباطل
واما باخفاء الدلیل وهو کتمانهم الحق عن الحسن وابن زید حرفوا التوریة فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار ثم رجعوا
عنه فی اخره تشکیکا للناس وقیل ان فی الکتابین ما یدل علی نبوة محمد صلعم والبشارة به وفیهما ما یوهم خلاف ذلک فیکون کالمحکم والمتشابه فی القرآن
فی القرآن فلبسوا علی الضعفاء احد الامرین بالاخر کما یفعل کثیر من المشبهة وهذا قول القاضی وقیل کانوا یقولون ان محمدا معترف بان
شرع موسی حق ثم ان التوریة دلت علی انه لا ینسخ وکل ذلک القاء الشبهات واما کتمان الحق فهو ان الایات الدالة فی التوریة علی نبوة محمد
کان الاستدلال بها مفتقرا الی التدبر والتامل والقوم کانوا یجتهدون فی اخفاء تلک الالفاظ التی بمجموعها یتم الاستدلال کما یفعل المبتدعة
فی زماننا وانتم تعلمون انکم انما تفعلون ذلک عنادا وحسدا او تعلمون انکم اهل المعرفة او تعلمون حقیتها او ان عقاب من یفعل هذه الافعال
عظیم الله حسیبه وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ ع
وگفتند گروهی از اهل کتاب که بگروید بآنکه فرو فرستاده شده برآنها که گرویده اند در اول روز وکافر شوید در آخر آن شاید
يَرْجِعُونَ ۝ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ
آنها برگردند ومگروید مگر مرآنرا که پیروی کرد دین شما را بگو که هدایت راه خدا است که داده شود یکی مانند آنچه را که داده شدید یا حجت کنند شما را نزد پروردگار
قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَمِنْ
بگو که بدستی افزونی در دست خداست میدهد آنرا بهر که میخواهد وخدا محیط وداناست مخصوص گرداند برحمت خود آنرا که میخواهد وخدا صاحب افزونی بزرگست واز
أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
اهل کتاب کسی هست که اگر امانت دهی او را مبلغ زیادی باز گرداند بتو واز ایشان کسی هست که اگر امانت دهی او را دیناری باز نگرداند بتو مگر همیشه میکه حاضر باشی بر او این بسبب آنستکه ایشان گفتند
لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝
نباشد بر ما در باره ناخوانندگان راهی ومیگویند بر خدا دروغ را وحال آنکه میدانند آری هرکه وفا کرد بعهد خود وپرهیز کرد پس بدرستیکه خدا دوست دارد پرهیزگاران را
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ
بدرستیکه آنها که میخرند بعهد خدا وسوگندهای خود بهای کمی آن گروه بهره نیست ایشانرا در آخرت وسخن نگوید با ایشان خدا ونه نگرد بایشان
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
در روز قیامت وپاک نگرداند ایشانرا ومر ایشانراست عذابی دردناک وبدرستی که از ایشان گروهیند که میپیچانند زبانهای خود را بکتاب تا پندارید آنرا از کتاب ونیست آن از کتاب
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ
ومیگویند که آن از نزد خداست وحال آنکه از نزد خدا نیست ومیگویند بر خدا دروغ را وایشان میدانند سزاوار نیست هیچ آدمی را که دهد او را خدا
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
کتاب وداوری وپیغمبری پس آنگاه گوید بمردم که باشید بندگان من بغیر از خدا ولیکن بگوید که باشید خدا پرستان بسبب یاد گرفتن شما کتاب را
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ القراءة آن
وبسبب خواندن شما آن کتاب را ونفرماید شما را که فرا گیرید فرشتگان وپیغمبران را خدایان آیا بفرماید شما را بکفر بعد از آنکه شما مسلمانانید
يؤتی بهمزتین
وتلیین الثانیة ابن کثیر الباقون بهمزة واحدة یؤده ولا یؤده هی ابن کثیر ونافع غیر قالون وابن عامر وعلی وخلف وحفص وبالمفضل وعباس
وسهل وزید عن یعقوب وقرأ ابو جعفر وقالون ویعقوب غیر زید وابو عمرو فی روایة الزیدی وطریق ابی ایوب الهاشمی بالاختلاس الباقون
ساکنة الهاء تعلمون بالتشدید عاصم وعلی وحمزة وخلف وابن عامر فحذف المفعول الاول العلم غیرهم والناس الباقون تعلمون بالتخفیف من
العلم ولا یأمرکم بالرفع ابن کثیر وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلی والاعشی والبرجمی وابو زید عن المفضل وقرأ ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب
الوقوف یرجعون ج للعطف دینکم ط هدی الله لا لان التقدیر ولا تصدقوا بان یؤتی احد مثل ما اوتیتم الا لمن تبع دینکم وقوله قل مع مقوله
معترض ومن قرأ ان یؤتی مستفهما وقف علیها عند ربکم ط بید الله ج لان یؤتیه لا یتعلق بما قبله مع ان ضمیره عائد الی الله من یشاء ط
علیم ط لاحتمال الاستیناف والصفة من یشاء ط العظیم الیک الاول ج لتضاد الجملتین معنی مع تفاقهما لفظا قائما ط سبیل ج لان الواو للاستیناف
مع اتساق معنی الکلام یعلمون المتقین یزکیهم ص الیم ره وما هو من الکتاب ج للعطف المتفقتین مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج یعلمون
تدرسون لا لمن قرأ ولا یأمرکم بالنصب عطفا وعلی ان یؤتیه اربابا ط مسلمون التفسیر هذا نوع اخر من تلبیساتهم وقوله بالذی انزل یحتمل ان یراد کل ما
انزل الله علیهم ویحتمل ان یراد بعض ما انزل ما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدی تواطأ اثنا عشر حبرا من یهود خیبر وقری عرینة فقال بعضهم
ادخلوا فی دین محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار ای اوله والوجه فی اللغة مستقبل کل شیء لانه اول ما یواجه منه والثوب لانه اول ما یبدو منه

تغلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد الربيع بن زياد * من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا
بوجه نهار * يجد النساء حواسرا يندبنه * قد قمن قبل تبلج الاسحار * وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهر الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار فيعني
البيت من كان مسرورا فليأت ترتشفي الغيظ وادرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا آخره اي آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلعم ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد
والا لما امنوا به في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب قد تفكروا في امره وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل التام والبحث الشافي انه
ابو مسلم كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال معنى وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى
قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب
فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل دينهم ويرجعوا الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه
في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم
ويرجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه والاحتمال الثاني فقول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله
وهو صلوة الصبح واخره صلوة الظهر وتقريره انه صلعم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر
قال كعب بن الاشرف وغيره امنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الحق قال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود
لمخالفتهم فقالوا امنوا بالذي انزل على محمد صلعم من امر الكعبة وصلوا اليها من اول النهار ثم اكفروا بالكعبة اخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة
لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم كيلا يؤثر الحيلة في قلوب
ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك اعظالهم وفيها انه اخبار عن الغيب
فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى
هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى اخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل
منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عد الاية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في
قراءة من قرأ بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى الان ا
امن اجل ان يؤتى احد شرائع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب
وعدد ذنوبه عليه وقد احسن اليه امن قلة احساني اليك ام من اهانتي لك والمعنى امن هذا فعلت ما فعلت ام من ذلك ونظيره قوله امن هو
قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا
تصدقوا الا نبيا يقر بشرائع التورية فاما من جاء بتغيير شيء من احكام التورية فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة
مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا
فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور
ويحتمل ان يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقيل للنبي قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد
الضعيف ثم استفهم فقال ألان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل بالانبياء عند كفركم به
من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما اوتوه مثل ما اوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبتت لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير ما كان
سبق ويقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى ويتم الكلام
بمحذوف اي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى
هدى الله كان له ان يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى
مثل ما اوتيتم او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم يقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدله يضمر لا بعد ان
مثل ان تضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد صلعم لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو
افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الاخرة لانه يظهر لهم في الاخرة انكم محقون وانهم ضالون
واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله جملة معترضة

فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم
فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في الكشاف واسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتاب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى
اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا دون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير
في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت
فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك فلم ينفع كيدكم وحيلكم وذبكم اى سركم
تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول وهو اعتراض فخيحي بعد تمام الكلام كقوله
وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد كان اعظم
من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد صلعم عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك
عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الاسرار بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا
عند خويصتكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شائعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله
قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد هذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله
عندما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم ادب رسول الله صلعم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى الحكاية
تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة امنت بالله لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك
الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان
الهدى هدى الله ان الفضل بيد الله واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا اخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين
في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك انه مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين
ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل
الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له
غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله ان يفعله
وان لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته
من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثلما اتيتم من المناصب العالية وبزيد عليها من جنسها
فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تع امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما اتاهم
بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر نعماه واكرامه على مراتب معينة على اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تع
في قدرته وحكمته ثم انه تع كذبهم في دعويهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد
والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن اهل الكتاب الاية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل الامانة واهل الخيانة فقيل
ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين و
اخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تامنه
بقنطار يؤده هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار لا يؤده اليك هو فنحاص بن عازورا
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة هي فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه
وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفائه وفيمن يمتحن بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال
امنه بكذا وعلى كذا ومعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار
ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينهما اما الاقوال فيه فقد مرت في اوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس
ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والعين والدين لان الانسان قد ياتمن غيره على الوديعة وعلى
المبايعة وعلى المفاوضة وليس في الاية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار
فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه ايضا انها نزلت في الوديعة واما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله
على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه مجتمعا معه ملازما اياه فان انظرته واخرته انكره ومنهم
من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان الطالب للشيء يقوم فيه والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تع امة
قائمة اى عاملة بامر الله غير تاركة وقال ابو علي الفارسي له في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما اى ثابتا لا ينسخ فمعنى الاية الا
دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال

العرب ليس لنا خطاب العتاب لانهم يبالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم وروي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سئله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيب انفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا لانه مجرد نفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استيناف وقال غيره انه يذكر في الابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم علينا جناح قائم مقام قوله نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وفيه ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء فلو انهم اوفوا بالعهود اوفوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدأ والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الاية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى شاملان لجميع مكارم الاخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتمها وتزينها حتى يؤتى بها على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين او الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا يتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا لا جرم اردفها بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال ان الذين يشترون الاية واختلفت الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الايات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عاهد الله اليهم في التوراة في شان محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشى والماكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسئلهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وانا اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه وسئلوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الاية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون بعهد الله هو ما يلزم الرجل بالبيعة والايمان والعهد هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد او وعيد او انكار او اقرار بذكر الله تعالى او صفة من صفاته وما يجري مجرى الثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب اليم اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الالام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه في الدنيا غيره فانما ذلك لسخطه عليه واذا امره يجيبه عنه يقول لا اكلمك ولا اريد وجهك اذا اجرى ذكره بالجميل قال في الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه فمن يجوز عليه النظر الى من عنده بالانسان التفت اليه اعادة نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الاية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الاية ان لا يكون الله رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر الذي هو الذي يخص الله به اوليائه من انه ينظر اليهم ثم هم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا يجوز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم

من نظر

من نفي رؤيته اياه العبارتان وحينئذ يفيد نفي رؤيته لا برؤيته حينئذ فان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب الاشرف
غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلعم فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم بالكتاب
قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشيء ورده عن
الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الايات الدالة على نبوة
محمد صلعم وغيرها بحسب اغراضهم الفاسدة وفي الكشاف اي يقلبونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقوله ذلك ان لي اللسان شبيه بالتشدق
والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتقريعا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق
بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لتحسبوه اي المحرف الذي يلوون عليه ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب في ما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نفي اولا كونه من الكتاب ثم
عليه نفي العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من
احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية فقط ويقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان
القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية وان
وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التورية واعراب الفاظها
فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكون طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الايات على نبوة محمد صلعم
بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقون بانه من كتاب الله تعالى لو بلغ اطباق
الخلق الكثير والجم الغفير عليه صح ذلك والكعبي بالاية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى لان اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم
الغلط فيان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله بخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله وهو حكم من احكامه فتوجه التكذيب
تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا الا الى ما لم يزعموا فلم يتوجها في الاية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب انهم زعموا ان عيسى كان يدعي
الالهية ويامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الاية وقيل ان ابا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران
قالا لرسول الله صلعم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله صلعم نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان نسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله وقيل عنت اليهود ان احد الاسباب من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا
باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمل ويشكل لفظ الاية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك لمنعهم الله منه نظيره ولو
تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام
عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات
لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفوس ما لم تكن كاملة بحسب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه
والحكم وهو فهم ذلك الكتاب ببيانه وتدبيره عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مأمورا بتبليغ ما انهم الى الخلق وما احسن هذا الترتيب ثم اذا كانت
كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي في تصاريف امره صرف القلوب والارواح
من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا
الكلام لان ذلك يحرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل
فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه مثل ما كان لله ان يتخذ من ولد على
سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي ان يغل ومعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد
هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به مواظبا على طاعته
كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا الى معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا
شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدها رباني وهو
الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم ثم اصلاحهم والقيام بامرهم والالف والنون كما في ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة والربانيون على هذا
التفسير يشمل الولاة ايضا قال القفال يحتمل ان يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فنسب اليه فمعنى الاية ولكن يدعوكم الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية

كونوا ولكن م

عدل اى لا يقبل و يأخذ الصدقات اى يقبلها سمى العهد اصرا لانه مما يوصر اى يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد وقال
فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفى قوله وانا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من
الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه
كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر فى الجهل به واصله ان الشاهد هو الذى يبين
تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالشاهد للشئ المعاين له او يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد
الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد
الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين الله يبغون ويحتمل ان
يراد يقولون افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرا بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب
فى اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن قرا بياء الغيبة فلرجوع الضمير فى الاول الى الفاسقين وفى الثانى الى جميع
المكلفين والاصل افيبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذى هو فائدة همزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلعم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى
انه اولى به فقال صلعم كلا الفريقين برئ من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها
ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضى تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغى و
العناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر ان يفعلوا ذلك وقرانه يعلون بين ان الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل
وكيف لا وقد اخلص له تعالى الانقياد وخصص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدا
مه فهو ذليل بين يدى قدرته خاضع لجلال قدرته فى طرفى وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا و
نظير الاية ولله يسجد من فى السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال الا انهما
من جنس الفعل اى طائعين وكارهين كقولك اتانى ركضا اى راكضا ولو قلت اتانى كلاما اى متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان
فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها فى غيره من الالام والمكاره التى تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره
واما الكافرون فينقادون فى الدين كرها اى خوفا من السيف وعند الموت ونزول العذاب عن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل
الارض قوله ذلك لان السفلى ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن
شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطرى بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبى اليه ترجعون اى الى حيث لا مالك سواه
ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق كل رسول كان قبله
امر النبى بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه اما وجه التوحيد فى قل فظ بناء على ما قلنا واما وجه الجمع فى امنا فلتشريف امته
بانضمامهم معه فى سلك الاخبار عن الايمان وليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه صلعم بل هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته ولاجلال قدر نبيه حيث امره ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقايد ثم ذكر الايمان
بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة احوالها الا بالقران المنزل على محمد صلعم ثم ذكر الايمان بما انزل على سائر الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل سبيل الى معرفة
وفى ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين فى شئ حيث خالفوا
مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبى ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور فى تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
فههنا قد اخذ الميثاق على محمد صلعم بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتى بعده فيكون فى الاية دليل على انه لا نبى بعده
واعلم ان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فيجوز ان يعدى انزل بعلى تارة كما فى هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما فى البقرة فنطق القران بالاعتبارين
جميعا وقيل عدى هناك بالى لمكان قولوا فان الوحى يأتى الامة بطريق الانتهاء وعدى ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول ياتيه الوحى بطريق الاستعلاء
وزيف فى الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذى انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه
المناسبة يجب اعتبارها فى كل موضع وانما ادعى اعتبارها فى الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار
ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شئ اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود الذين يشترون
بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام فى شئ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو فى الاخرة
من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة
وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول
عند الله بالاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظى لان الاسلام ان اريد الانقياد الكلى فلا فرق بينه وبين الايمان كما فى هذه الاية وان اريد

الاقرار

الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه الآية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الآية اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الآية بشيء آخر سوى نصب الدلائل فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف في دار العمل ان كل فعل يقصده العبد الى تحصيله فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لانه في تقدير ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الآية يؤل الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل لا الى ما يتوهم انكاره بعد ان جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين بالشيء في غير موضعه وذلك ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في آخر الزمان فالكفر والعناد فيه دليل على ان ذلك العالم اقبح من ذلك الجاهل ولهذا صرح في آخر الآية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الآية ثم اردفه بغاية الوعيد فقال اولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب اللاحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات واظهروا انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المنحرفة مغتر رجع عنها فان الله غفور في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفر وهو المراد في الآية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه في كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة في الكفر ثم انه تعالى حكم في الآية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى في هذه الآية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وايضا ثبت بالدليل ان التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقيل هو محمول على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص قال القاضي والقفال وابن الانباري هو من تتمة قوله الا الذين تابوا يريد انه لو كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه اقول ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر سيموتون على الكفر لما في فعلهم من قساوة القلوب والانتهاء الى الرين والانجرار الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصويرهم بصورة الآيسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فنقول انما يجعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية لا تكون كلية فكم من مرتد ويهودي مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فالكفر بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى يبرز الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لا بد للعدول من فائدة فصح ان يبين فائدة العدول على وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل الياس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود

المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من جهتهم ان لا تقبل توبتهم وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ الكاملون فى الضلال ضلوا فى تيه الاوصاف البهيمية والا
السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذى سيق
لاجله الاية التى بعدها الاستثناء وثانيها الذى يتوب توبة فاسدة وهو المذكور فى قوله لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ على وجه ثالثها الذى يموت على
الكفر من غير توبة فذكره فى الاية الاخيرة وملاء الشئ قدر ما يملاءه وذهبا نصب على التميز وربما يقال على المقسر معناه ان يكون الكلام تاما
الا انه يكون مبهما كقولك عندى عشرون عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء فى فلن يقبل ان يعلم ان
الكلام مبنى على الشرط والجزاء واذا ترك كما فى الاية الاولى فلعله قصد التسبيب فيه لا كتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب
الكشاف وليت شعرى انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فما ذا يجيبون لكن لعل عقيدتهم فى امثال هذه المواضع انها من الاشياء
المتفلتة وهو وهم والسر فى التخصيص هو انه لما قيد فى الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيدا للزوم وتغليظا فى الوعيد
والله اعلم اما الواو فى قوله فلو افتدى به فانها يشبه عطف الشئ على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثر تاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانبارى
انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملاء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقيل انها للبيان التفصيل بعد
الاجمال فان اعطاء ملاء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفى القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية و
يقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفى قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملاء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا فى كلامهم مثل ضربت زيدا اى مثل ضربه ابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله كانه يراد به فى
نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اى انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر فى اغلب الامور فكانا فى حكم شئ واحد فان قيل من المعلوم ان
الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا وبتقدير ان يملك فلا نفع فى الذهب هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب
كناية من اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض ان فى بذله نفعا لاخذوا ان المبذول فى غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى
تخليص نفسه من عذاب به ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ قال اهل التحقيق ماتوا
اى مات قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبى الله ونعم الوكيل

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ‎﴿٩٢﴾‏ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا
هرگز نرسید بنیکوی را تا که خرج کنید از آنچه که دوست دارید و آنچه که خرج کنید از مال پس بدرستی که خدا بآن دانا است همه خوردنیها بود حلال از برای بنی اسرائیل مگر آنچه
حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ‎﴿٩٣﴾‏ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
که حرام کرد اسرائیل بر خودش از پیش آنکه نازل شود توریة بگو ای محمد بیاورید توریة را پس بخوانید آنرا اگر بوده باشید راستگویان پس هر که دروغ بندد بر خدا
مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ‎﴿٩٤﴾‏ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ‎﴿٩٥﴾‏ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ
پس از این پس آن گروه ایشانند ستمکاران بگو راست گفت خدا پس پیروی کنید دین ابراهیم را که پاکیزه است و نبود از مشرکان بدرستی که نخست خانه که بنا کرده شد
لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ‎﴿٩٦﴾‏ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
از برای مردم هر آینه آنست که در مکه است بابرکت و راه نماینده مر جهانیان را در آن آیات روشن است جای ابراهیم و هر که در آید در آن میباشد آسوده و مر خدا راست بر مردم
حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ‎﴿٩٧﴾‏ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
قصد خانه کعبه هر که بتواند بسوی او راهی و هر که کافر شود پس بدرستی که خدا بی نیاز است از جهانیان بگو ای اهل کتاب چرا باز میدارید از راه خدا
مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ‎﴿٩٩﴾‏ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ
از آنکه گروید میطلبید در آن کجی را و شما گواهانید و نیست خدا بی خبر از آنچه میکنید ای زمره آنانکه گرویده اید اگر پیروی کنید گروهی را از آنان که
أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ‎﴿١٠٠﴾‏ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم
داده شده اند کتاب را بر گردانند شما را پس از ایمانتان کافران و چگونه کافر شوید و حال آنکه خوانده شود بر شما آیات خدا و در شما پیغمبر اوست و هر که در آویزد
بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ‎﴿١٠١﴾‏ القراءات ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء
بخدا پس بدرستی که راه نموده شده براه راست يزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف الخبر والى ما تحبون ط عليم
تنزل التورية ط صادقين الظالمون حنيفا ط المشركين للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا واستينافا مقام ابرهيم ج للابتداء بالشرط
مع الواو ولان الامن من الايات امنا ط سبيلا ط العالمين بايات الله ط قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون شهداء ط تعملون
كافرين رسوله ط للتناهى فى الاستفهام الى الشرط مستقيم التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق
الذى ينتفعون به فى الاخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهى انه سبحانه وتعالى جمع جوامع خصال الخير والبر فى قوله تعو

لكن

قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون

ولكن البر من آمن بالله الاية وذكر في هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باجر
خصلة البر ولن تبلغوا حقيقتها حتى تكون نفقتكم من الاموال التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه
لله يروى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان لي حائطا بالمدينة يعني به رحى وهو احب اموالي الى اصدقه فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال
رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي
كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الاية بفرس له كان يحبه فجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول الله اسامة فوجد زيد في نفسه وقال
انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
فتح مدائن كسرى فلما رآها اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم
حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما انه ما به يصيرون ابرارا اي يدخلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم ليكون المراد بالبر ما
يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من آمن وجعلها التقوى لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
والثاني الجنة اي تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس بر في من فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني
قال تعالى ان تبروا وتقسطوا ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه
ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل
هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو اطيب المال وارفعه
كما مر وعن ابن عباس المراد به الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن هو كل
ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي
الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن في من شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيب او خبيث فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه ويعلم الوجه الذي
لاجله تنفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل
الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة للقوم وتقرير ذلك من وجوه احدها انهم كانوا يقولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم انكار النسخ فادعى عليهم
ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان
ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي بان يطالبهم باحضار التورية الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد لانه كان اميا
فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابرهيم فكيف
تأكل لحم الابل والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابرهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا
ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية وثالثها لما نزل
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الايات
الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ
ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هي عليه وانما هو قديم فنزلت كل الطعام اي
المطعومات كلها حلا لا تدل على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم اولا والطعام اسم
لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم للبر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الاية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما يتخذ
منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود
في وقت نبينا انها كانت محرمة على ابرهيم وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا
استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس
عن النبي ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان
الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله ان لا يأكل شيئا من العروق وجاء
في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار
تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء
وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم
فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب ولا
سيما ومعارفهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده معهم اوفى ثم انهم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفتهم

في ذلك الحكم كان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرم الله على اسرائيل فلما اضاف التحريم الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه قال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعنى قوله من قبل ان تنزل التوراة ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التوراة اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى اخر الاية ثم ان القوم نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة فبهتوا فلزمت الحجة عليهم وظهر اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فلهذا قال فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون الواضعون للباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن يقلدهم من اشياعهم قل صدق الله في جواب الشبه الثلث وفيه تعريض بتكذيبهم فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجاتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات التي احلت لابراهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم في الفروع لما ثبت ان الذي حكم صلى الله عليه وسلم بحله حكم ابراهيم بحله وفي الاصول لان محمدا وابراهيم كليهما لم يدعوا الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الاية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التي اظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة وقيل لما انجر الكلام في الاية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته اردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقيل ان كلا من اليهود والنصارى زعم انه على ملة ابراهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا لهم وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس يحتمل ان يكون المراد انه اول في البناء والوضع ويحتمل ان يكون المراد انه اول في الوضع وان كان متاخرا في البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول انه اول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروي ايضا عن محمد بن بالفي سنة علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه قال ان الله تعالى بعث ملائكته فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق ادم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر وابن مجاهد والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابراهيم ثلاثة صفوح منها كان في الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حفا وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بوجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا في دين جميع الانبياء وايضا قال تعالى في سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم الى قوله خروا سجدا وبكيا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم تكن هي اول بيت وضع للناس هذا خلف القول الثاني روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير للاولية في البناء في هذا المقصود وان كان الارجح ثبوت تلك الاولية ايضا كما روينا انفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والاثار فمن فضائل البيت انه الامر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرئيل والباني ابراهيم الخليل والتلميذ ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من حصى الجمار فيه فانه منذ الاف سنة يرمى في كل سنة خمسمائة

الف انسان لكان لكل واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ماء او مهب
رياح شديدة وقد جاء في الآثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت حجارته الى السماء ومنها ان الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها اذا
وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطبائع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها امن سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدم
الكعبة او خرب مكة بالكلية واما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف يجيء في موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه تعالى
وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات
كل شيء بدعوة خليله ابراهيم وانه من اعظم الآيات ومنها انه لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف
والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود اربابه الهمم الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى
اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين
لاجعلهم في الآخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل لما لم اجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة الا
في قلب خال عن محبة الدنيا للذي ببكة للبيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كراتب وراتم وضربة لازم
ولازب مما يتعقب فيه الميم والباء لتقاربهما في مخرجهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة فمن
قولهم بكه اذا زحمه ودفعه عن سعيد بن جبير سميت لانهم يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر يصلي فيمر امرأة
بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا بأس
بذلك في هذا المكان ويؤكده هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان التطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الآية تدل على ان
البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه
واما مكة فاشتقاقها من قولك امتك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب في قطر ولقلة
مائها كان ارضها امتص ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف
البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار
واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد كثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة
شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب و
تكفير الذنوب قال عليه السلام صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال عليه السلام الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل
في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض فكانها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك انه
يحصل فيما بين هؤلاء المصلين تجاذب ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية
الى الكعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار اولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال
يجوز ان يكون بركته ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك
انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل ان يفرض فانه صبح لقوم ظهر لآخرين وعصر لغيرهم ومغرب
او عشاء فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم
ومتعبدهم ولانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلعم بما فيه من الآيات والاعاجيب ولانه هدى الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قال الزجاج
ويجوز ان يكون محله رفعا اي وهو هدى فيه آيات بينات يحتمل ان يراد بها ما عددنا من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق
بما قبله فكانه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الايات مبينة
وتفسيره قوله مقام ابراهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه يدل ايضا على علم الصانع وقدرته وارادته و
حيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابراهيم كان امة واما بان يجعل المقام مشتملا على
آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاء هذا الاثر دون آثار سائر
الانبياء آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين آية قال الزجاج قوله ومن دخله
كان آمنا من تمام التفسير للآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتداء وخبر او من شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه
آيات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبني
على ان الاثنين جمع كما قال عليه السلام الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على
تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير مما سواهما ومنه قوله صلعم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة فقال مقام ابراهيم وامن من دخله ولله على الناس حجه وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع

والمراد مقامات ابرهيم هي ما اقامه من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية
على التوحيد قال في الكشاف وفيه توكيد لكون مقام ابرهيم حده بيانا واما امنا فيثبت من دخله فقد مر اختلاف العلماء وفيه في سورة
البقرة في قوله تعالى وجعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا من النار لما روي عن النبي صلعم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
امنا وعنه الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلعم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير
حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلعم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه
جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت ردفه بايجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما
مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله
على من استطاع من الناس حج البيت قال الفراء يجوز ان ينوي الاستيناف في من والخبر والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع
اليه سبيلا فلله عليه حج البيت قال ابن الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل
هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه احتج اصحاب الشافعي بالآية على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرايع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح ان يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري مكلف بالايمان
بمحمد صلعم غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالآية على ان الاستطاعة
قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق اجاب الاشاعرة
بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق او بعد حصوله
وح يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان
وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي عن ابن عباس قال
خطبنا رسول الله صلعم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام اقرع بن حابس فقال افي كل عام يا رسول الله صلعم فقال لو قلتها لوجبت
ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد هو
الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز ويحج بهما
لما روي عن ابن عباس ان النبي صلعم مر بامرأة وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت الهذا حج فقال رسول الله صلعم نعم ولك اجر وعن جابر
قال حججنا مع النبي صلعم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة
الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات و
لوقوعه عن حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم ان
يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة
وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالآية والاستطاعة نوعان استطاعة
مباشرة بنفسه واستطاعة بتحصيله بغيره النوع الاول يتعلق بامور اربعة احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه وبين مكة
مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد الراحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روي انه صلعم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد
والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل
ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة محمل وشق محمل ووجد
شريكا يجلس في الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج
والا فلا يجب الا مع الراحلة او معها ومع المحمل كما في حق البعيد المراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل او باجرة
المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد واوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له اهل وعشيرة يرجع اليهم او لا لحب
الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب واجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم الى العود
ويعد مؤن النكاح ان خاف العنت ويعد مسكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته او لمنصبه لو كان له راس مال يتجر فيه وينفق
من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال
ولا عبرة بخوف الفقر في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع من عدو والامن على المال
من عدو او رصدي وان رضي بشيء يسير والامن على البضع للمرأة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف
الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة لا بد

للاعمى من قائد وعند ابي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة
ما يمكن المسير فيه الى الحج السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلتين او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة
اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي لكن ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان
ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة
خمس من الهجرة واخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر اميرا على الحاج سنة
تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما واما النوع الثاني فهو الاستطاعة بالاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادة بعيدة
عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت والكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي
فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله
تعالى فهو احق بالقضاء عنه وان امراة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك
على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفة
واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استأجر كان ثواب النفقة للآمر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني
واعطيك نفقتك وهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استأجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان تكون
معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم
ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله ولله على الناس اي حق واجب
لله عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال
ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين تقريرا له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ
ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار
الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه او فاني فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال
عن العالمين ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد
عام في كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود قالوا ان
الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت اية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين
فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث
الواردة في تاكيد امر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه
ان يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة
الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي عجل عقوبتهم ولم يستأصلوا ثم انه سبحانه لام اهل الكتاب في الخطاب
فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ظهور البينات وبعد وضوح الشبهات وبعد معرفة فضيلة الكعبة
ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا يجسروا على الكفر بايته ودلائلها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما
نكر عليهم في ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من امن قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك
والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكاران نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم وبتذكير ما كان بينهم
في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله ومحل تبغونها عوجا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا
يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان
وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام فالتقدير
تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اي صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم
ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك المنعوت في كتابنا او المراد انكم تتعبون انفسكم
في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون
انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قال ابن عباس
او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار
وفي ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال ثم اوعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد
انكر طريقته لا يخفى علي سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الاية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما

والاضلال

اظهروه من الكفر بنبوة محمد (ص) وبهذا فيما اضمروه وهو الصد بالاحتيال والقاء الشبهة وفي تكرير الخطاب في الآيتين بقوله يا اهل الكتاب توبيخ
على توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والينها لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة و
روي عن زيد بن اسلم وجابر انه مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس و
الخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا
قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بغاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل
وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي
احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتما والله رددتها الآن جذعة وغضب
الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا
عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
الآيات فجاء النبي (ص) حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته (ص) انصتوا له (ص) وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح
وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها
نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله (ص) سامعين مطيعين فانزل الله
عز وجل الآيات قال قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله (ص) فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا
فما كان شخص احب الينا من رسول الله (ص) فما رأيت يوما قط اقبح ولا اوحش اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام
بطريق الانكار والتعجب والتغني من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان انتم آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول في كل واقعة وبين اظهركم رسول الله
يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف ترجعوا الى
ما يعين لكم الى الكتاب والنبي قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي (ص) فان كان قد مضى الى رحمة الله في الظاهر ولكن نور سره باق
بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته (ع) وورثته يقومون مقامه بحسب الخلافة ولهذا قال (ص) اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا
كتاب الله وعترتي وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا ممن نرتهم بعصمتك هدايتك وفي هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى
يوم القيامة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه ويلتجئ اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم
والاعتصام الاستمساك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في آفة اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله هداية بل قالوا انه بفعل
العبد اولوا الآية بان المراد بالهداية الزيادة في الطاف المرتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدي اي
فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم
بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده التأويل لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو انفسكم
ان الفراش لا ينال من نور الشمع وهو شعلته حتى ينفق ما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلثة اصناف الملك النوراني العلوي
وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلتين وغذاؤه لروحانيته
الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في
غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه
وقوي روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كالحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس
وحيوة القلب واستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا
ملة ابراهيم وكان ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون
مع الله خليلا آخر ان اول بيت وضع للناس سر الله لانه غني عن العالمين انموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب
الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا وهدى يهتدي جميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفسح له وانشرح فبه
يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده
منها مقام ابراهيم وهو الخلة التي توصل الخليل الى الخليل ومن دخله يعني مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد رضا لخليله كان آمنا
من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه

وآداب السير وأركانه فمنها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الثياب والمألوفات والتطهر عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى الاثر فاطر
السموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد
والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف الستة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة
الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى انوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الالطاف
الالهية بجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون
منه قل يا أهل الكتاب خطاب معهم بالمنة مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن الهوى
الا منه تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
ای گروه آنان که گرویده‌اید بپرهیزید خدا را سزاوار پرهیزیدن و نمیرید مگر که شما مسلمانان باشید و درآویزید برشته خداوندی همه و پراگنده
تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ
مشوید و یاد آورید نعمت خدای را بر شما چون بودید دشمنان پس دوستی انداخت در میان دلهای شما پس صبح شدید بنعمت او برادران و بودید بر کناره گودی
مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
از آتش پس نگاه داشت شما را از آن اینچنین ظاهر کند خدا از برای شما آیات خود را شاید که راه یابید و باید که باشد از شما گروهی که بخوانند بسوی نیکی و امر کنند
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
بنیکی و نهی کنند از ناخوش و آن گروه ایشانند رستگاران و مباشید چون آنان که پراگنده شدند و اختلاف کردند پس از آنکه آمد ایشان را
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ
گواهان و آن گروه مر ایشانراست عذاب بزرگ در روزی که سفید شود روها و سیاه شود روها پس اما آنها که سیاه است روهاشان گویند کافر شدید
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
پس از ایمانتان پس بچشید عذاب را بسبب آنکه کافر شدید و اما آنها که سفید است روهای ایشان پس در رحمت خدایند یعنی بهشت ایشان در آن جاویدان
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ
اینست آیات خدا که میخوانیم آن را بر تو براستی و نیست خدا که خواهد ستم از برای جهانیان و مر خدای راست هرچه در آسمانها و هرچه در زمین است و
ع إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
بسوی خداست بازگشت کارها بودید شما بهترین گروهی بیرون آورده شده از برای مردمان که امر میکردید بنیکی و نهی میکردید از بدی و ایمان آوردید بخدا
وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ
و اگر ایمان آوردندی اهل کتاب هر آینه بهتر بود مر ایشان را از ایشان مومنانند و بیشترشان فاسقانند ضرر نرسانند شما را مگر آزاری کم و اگر کارزار کنند با شما
يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ه ولا تفرقوا ص
برگردانند بشما پشت‌ها پس یاری کرده نشوند لعطف المتفقين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها ط تهتدون ه المنكر ط للعدول المفلحون ه
البينات ط عظيم لا لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم ج لان التقدير فيقال لهم
اكفرتم تكفرون ه ففي رحمة الله ط خالدون ه بالحق ط للعالمين ه ما في الارض ط الامور ه وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون ه قيل لا وقف
عليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم
لا ينصروا التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى
عن ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى
او هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين
شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه كما يحق ان يتقى وهو ان
يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف
كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لا يبقى فرق بين الآيتين لناصر القول الاول ان يقول
ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره ونفاذ عزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان
كذلك فيجوز ان يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع
ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما نهي عن ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى امرهم
بما هو كالاصل لجميع الخيرات وصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله والاتفاق والآراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا

بحبل الله جميعا حال كونهم مجتمعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامتساك المتدلي على مكان مرتفع
بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه صفة غير حقيقية ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه
بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيهين ويجوز ان يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق
دقيق والسائر عليه غير مأمون ان يزل قدمه على الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وانما تنوعت عبارات المفسرين فعن
ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روى عن علي بن ابي طالب عن النبي انه قال اما انها ستكون
فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي هذا
القرآن حبل الله وعن ابي سعيد الخدري عن النبي اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل متين ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي
وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق
الا الضلال ويد الله مع الجماعة قال ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة
وروى السواد الاعظم وروى ما انا عليه واصحابي قال لا تجتمع امتي على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية
ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب
التفرق والاختلاف وهو منهي عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته
عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين
متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومناقشة بسبب الاعراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق
فانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه مستبصر بسر الله في القدر فاذا امرهم بنوع ناصح لا يعنف معه كانه يحبه ويحن
ونظرائه في الدين ورفقائه في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين الاخوان بل كجسد واحد كنفس واحدة وقيل ان
الاخوان في النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب بقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ
الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكر الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما
حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف
لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زائد على ما ذكرتم
هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها
بالتذكير والتانيث ومنه لو يقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اي حده وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير في
منها للحفرة او للنار او للشفا اما لانه في معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم قال بعضهم
الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال لذلك قال نوح ليس بي ضلالة جوابا لقولهم انا لنراك في ضلال مبين اي ليس بي صغير
من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم لتشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحيوتهم التي يتوقع بعدها
الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وان طالت كانه ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا
ما بين طرف الشيء وبين ذلك الشيء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول وسائر الالطاف حتى امنوا وقال اهل السنة
جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على
ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة
ان تزدادوا هدى او لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد مر نحوه اوائل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين
في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته
فلذا اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين او للتبعيض
فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه كيف لا وقد وصفهم الله
تعالى بذلك في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند وللامير من
غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر
فروض الكفايات وقال الاخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى
والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتها
وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وايضا فقد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا بالحقيقة

ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف على ثلثة اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث يجتمع شرائطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلوة العيد الثاني ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق ثانيهما ما يتعلق بحقوق الادميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل الشرب او انهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن امروا والكفة بوعايتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس ثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر في الصلوة السرية وبالعكس او تزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن يتصدى للتدريس او الوعظ وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تأويل او تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا واقفا مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الادميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات والسوقي المختص بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وليتسلط الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يعودوا ويبدأ الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبي وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين في هذه الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن علي افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون اي الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير قلما يتفق من يزني بامرأة ان يأمرها بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل: وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض: والقرآن ينعى عليهم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم اك الم اصل الم اصم افعل كذا كذا اجيب يا عدو الله لكن انك اذا خلوت بارزتني بالمعاصي لم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة انه بين في التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدا فاحتالوا لالقاء الشكوك في تلك النصوص ثم جر الكلام الى انه امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص والتأويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الآية من تتمة الآيات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا يكون الآية من تتمة الآية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا معناهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله وتفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات التي تفيد والنصوص الظاهرة واولئك الذين اقتفوا آثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه في تعلق الظرف بقوله لهم فائدتان احدهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها ونظيره في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه عليها غبرة ترهقها قترة وفي امثال هذه الالوان قولان احدهما قول ابي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سر

الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وثواب وعقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على
الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عداه والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا نفى عن اهل الكتاب في قوله ولو آمن اهل الكتاب وانما
قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف و
تاكد القيام به ولهذا اكد بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فكانت العناية به اشد فكان تقديمه اهم وليعلم
ان التكميل افضل من الكمال بنفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تاخير الايمان بالله تكرير
له مرة بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب وفيه اراد ان يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير ان الايمان مشترك فيه بين الاديان
فلا تتبين فيه الخيرية لكن الاية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان
بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان اهل
الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر ما لا بد منه من الامور المعدودة
لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة او لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا
هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعد من ايتاء الاجر مرتين وعلى ما هم فيه من الاستتباع
بعض الجهلة مع العوام وشئ يأخذونه من الرشى ويعده ذلك الخلود في النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستئناف فقال منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي واصحابه فاللام للعهد واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه فيما ان
الكفر ويرادفه والمراد انهم ليسوا بعدول في دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر عن حالهم
وكان كما قال تعالى وهو من آية الاعجاز بجملة مستأنفة هي لن يضروكم الا اذى اى لن يضروكم ضررا يبالى به الا اذى بقول كطعن في الدين وتهديد وتحريض
نضو والقاء شبهة واظهار كلمة الكفر باشراك عزير والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال اذاه يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع من الضرر
فصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا وبهذا تبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل رفع ليكون نفي النصر
وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتفية
عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ابدا كان اعظم من الاخبار بانهزامهم
عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الايات مخصوصة باليهود واسباب
النزول تدل على ذلك فكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد
نصراني بهذه الحالة وفي الاية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن آمن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتحريفاتهم التاويل
اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله بوجوده ولا تموتن الا و
انتم مسلمون لا بنفس وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء
بالله واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون
عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم وناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي
الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم منها بالهداية
والايمان وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين الاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب آياته وهي الجذبة الالهية
وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا
ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد
ايمانكم هم ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب
لان الناس نيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا وفي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفاء
مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة ولانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال آيات الله معجزات نتلوها عليك
بالحق نظهرها عليك بالتجليات بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض في غير موضعهما كنتم خير امة اخرجت من العدم
الى الوجود مستعدة لقبول كمالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقبة مطيعهم لشوم عصاتهم وعفو
عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها ان لهم لعنة ولنا رحمة ومنها شكا منهم الينا وشكر منا اليهم قبل وجودنا ولو آمن اهل
الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققون الا اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم
الادبار من صدق نياتكم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون ضربت

[illegible]

عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
برانها بینوائی این بانجهت است که بودند که کافر شدند بآیات خدا و میکشتند پیغمبرانرا بدون حقی این بانجهت است که نافرمانی کردند و بودند

يَعْتَدُونَ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّٰهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ
درگذرندگان نیستند یکسان از اهل کتاب طائفه که کمر بسته ایستاده هم میخوانند آیات خدا را در ساعتهای شب و ایشان سجود میکنند ایمان میآورند

بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ
بخدا و روز واپسین و میفرمایند به نیکوئی و نهی میکنند از بدی و پیشی میگیرند در خوبی و آنگروه از نیکانند

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ
و آنچه میکنید از خوبی پس کافر نشوید آنرا و خدا داناست باحوال پرهیزکاران بدرستی که آنها که کافر شدند بی نیاز نشوند از مال و نه اولاد از خدا

شَيْئًا وَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
چیزی را و آنگروه یاران آتش اند ایشان در آن جاوید باشند مانند آنچه خرج کنند در این زندگانی دنیا چون مانند بادیست که در آن

صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
سردی باشد که برسد بکشت گروهی که ستم کردند نفسهای خود را پس نابود کند آنرا و ستم نکرد ایشانرا خدا ولیکن خود را ستم کردند ای زمره آنان که

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
گرویدید فرا مگیرید دوستی بغیر شما که از غیر شماست کوتاهی نمیکنند تباهی شما دوست دارند مشقت شما را بدرستی که آشکار شده عداوت از کلام ایشان و آنچه نهفت

صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
در سینهای آنها بزرگتر است ظاهر کردیم برای شما آیات را اگر هستید دانشمندان آگاه باشید شما ایگروه دوست دارید آنها را و دوست ندارند شما را و ایمان آورید بکتاب

كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
همه آن و چون بشما رسند گویند گرویدیم و چون با هم نشینند گزند بعض شما انگشتانرا از خشم بگو بمیرید بخشم خود بدرستی که خدا داناست بآنچه

الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
سینهاست اگر برسد شما را خوبی بد آیدشان و اگر برسد شما را بدی شاد شوند بآن و اگر صبر کنید و پرهیز کنید ضرر نرساند شما را مکرشان

شَيْئًا إِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ القراءة ويسارعون وبابه كسارعوا ونسارع بالامالة قتيبة وابو عمرو طريق ابن عبدوس ما
چیزی بدرستی که خدا بآنچه میکنند محیط است

يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص ابو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسوءهم وبابه من كل همزة مجزومة بغير همزة الاعشى واوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب ابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم وما ثم محركا للساكنين بالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة الوقوف المسكنة ط بغير حق ط يعتدون قيل لا ووقف عليه لان ضمير ليسوا يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين ما الذين عصوا واعتدوا احد الفريقين سواء ط يسجدون قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط تعقلون كله ج للعطف مع الحذف اي وهم لا يؤمنون بكتابكم امنا ق قد قيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حاليهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور تسوءهم للابتداء بشرط آخر والوصل اجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهي وصف الزمهم وابتداء شرط على المؤمنين شيئا ط محيط التفسير هذا اخبار عن مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل والسبي والنهب ايما وجدوا الا معتصمين او متلبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين فهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فح يكون دمهم محقونا ومالهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال الآخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر والمدقعة البتة وباقي الآية قد مر تفسيره في البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين اعني في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة

لنا متناهية ولكن من الصدد لكون عين متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه
النصايح فقال قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي ثم ان سياق
هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير انكم خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم واما قد بينا
فكلام مبتداء واحسن من ذلك وابلغ ان يكون الجمل مستانفات كلها على جهة التعليل للنهي كما قلنا فكانه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم
لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما اية ودادة العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا الشق
احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف ههنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب و
لتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوي بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوايد ثم استانف للتحذير نمطا اخر من البيان مشتملا
على التوبيخ فقال ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون
لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف
الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب
ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون
مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحدثان هذه الاعتبارات وامثالها مما
لا تكاد تنحصر داخلة في الاية ثم ذكر سببا اخر مما يابى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله واضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون
به لان ذكر احد الضدين يغني عن الاخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون
للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر
مضادة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا امنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا اي يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل و
البنان والابهام لان هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما راوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم
بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي ان يخبرهم ان الله تعالى اتاح
ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سبب الغيظ فلا محالة تكونون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله
عليم بذات الصدور اي بمصاحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقولة فمعناه
اخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يهلككم او تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو مضمرات
القلوب فيخفيها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني اعلم ما اضمره الخلائق ولم يظهروه
على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون امرا بالقول لفظا بل يراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بطيب النفس وقوة
الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا اخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا
كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والائتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من
اضدادها على ما عدد يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول لعله يكون المس اقل من الاصابة
وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة فلما توجد اذا اصاب
العدو بلية عظيمة كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا ان يكون ثمة غاية الحقد اذا كان حال القوم مع المسلمين في القضيتين بالخلاف دل
ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم
وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه
وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه بشارة من الله تعالى الى ان يستعان على دفع مكائد الاعداء
بالصبر والتقوى ومن كان الله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك قال بعضهم اذا ما شئت
ارغام الاعادي بلا سيف تسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء من نوب الزمان ان الله بما تعملون في عداوتكم او بما
تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله التاويل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان تعتصموا بحبة الله
وطلب وحبل من الناس يعني متابعة النبي وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سنتهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمدعون
فلن تكفروه لانه من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد
الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون في نكال
والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا وشهواتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم اذ ترجحوا بما قاسيتم

من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفى صدورهم الحاسدة من الغل
والحقد اكبر تحبونهم بحبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في
القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور وان موتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة
من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ع
و چون صبح کردی از اهل خود که جای دادی مومنان را در جای خود از برای جهاد و خدا شنونده داناست
إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ
چون قصد کردند دو طائفه از شما که سست شوند و خدا دوست ایشانست و بر خدای پس توکل کنند گروندگان و هر آینه یاری کرد شما را خدا در بدر و
أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
و شما خواران بودید پس بترسید خدا را شاید که سپاس گزارید چون گفتید مر مومنان را که آیا بس نیست شما را که یاری دهد شما را پروردگار شما به سه هزار از فرشتگان
مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ خ
فرود آمدگان آری اگر صبر کنید و پرهیزید و بیایند شما از عقب ایشان که گفته شد که امداد کند شما را پروردگار شما به پنج هزار از فرشتگان نشان کرده
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ
و نگردانید آن را خدا مگر مژده از برای شما و تا محکم شود دلهای شما بآن و نیست یاری مگر از نزد خدای غالب استوار تا ببرد جانبی از آنها
كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَلِلَّهِ ع
که کافر شدند یا آنکه سرنگون سازد پس برگردند زیانکاران نیست برتو از کار ایشان چیزی توبه پذیرد بر ایشان یا که عذاب کند ایشان را پس ایشان ستمکارانند و مر خدای را
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة تبوى المؤمنين بغير همز
آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است میآمرزد از برای آنکه خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد و خدا آمرزنده مهربانست ابو عمرو وغير شجاع وورش والاعشى
وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاى ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم
وسهل ويعقوب الباقون بفتح الواو الوقوف للقتال ط عليم لا لان اذ بدل من اذ غدوت ويتعلق بالوصفين او بقوله تبوئ ان تفشلا لا لان الواو للحال وليهما ط
المؤمنون اذلة ج للفاء تشكرون منزلين ط لتمام القول بلى لا لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به ط الحكيم لا لتعلق اللام بمعنى
الفعل في النصر خائبين ربع الجزء ظالمون وما في الارض ط من يشاء ط رحيم التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا
واتقوا خلاف ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين
للقتال فلما خالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على
خصومهم ووجه آخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك يدل على انه
لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا اي قد كان لكم مثل تلك
الآية اذ غدا الرسول يبوئ المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر عن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب
واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت في واقعة احد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابي مسلم روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار
يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت
فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم اني رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه
قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي
يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة فاصبح بالشعب من احد يوم السبت فنزل غايته وهو المراد بقوله من اهلك وعن مجاهد
والواحدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان
راى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال
لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين
ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله لما خالف راى عبد الله بن ابي شق عليه ذلك وقال اطاع الصبيان وعصاني ثم قال لاصحابه

وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة
ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول
واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلعم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها اذا ارسلتها
للرعي والمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم على المشركين ليهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المرعى
وما جعله الله الضمير عائد الى المدد والامداد الدال عليه الفعل قال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى هي اسم من البشارة اي الا لتبشروا
بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل طمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا
من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند
الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا
يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اي طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط
الا بعد الاخذ من الطرف كما قال اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت في اللغة صرع
الشيء على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين
ظافرين بمبتغاهم قبل الخيبة لا تكون الا بعد التوقع نقيضه الظفر واما الياس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع
يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا
من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك لتخدمني لتعينني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه
قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلعم يوم احد وشج وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلعم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن
هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وفيه او يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
وذلك انه صلعم لما راه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين
انهزموا فمنعه الله عنه للمروي عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقعت
يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية على الكل القول الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهي ان النبي بعث جمعا من خيار الصحابة
زهاء سبعين الى بني عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع
من ذلك رسول الله صلعم شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعدما يرفع راسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن بني
لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه
الاشكال بان فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قدح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب ان المنع
من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط ولعله
صلعم شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع
تقوية لعصمته وتاكيدا لطهارته وان سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل
وايضا ان دعاء النبي صلعم لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسئوله وقد وقع فهو بالحقيقة سؤاله ولهذا
سأل الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة
ومن شان هذه الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي او المراد الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك امر في خلقي شيء الا ما يكون امري و
حكمي وقوله او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم و
جوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منع رسول الله صلعم من كل فعل وقول ما كان الا باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض
العبد في اسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شيء كالكلام
الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او
يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء
الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق
العزم فيهم على الا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكدوا هذا التفسير بان هذا برهان عقلي وهو ان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه والعزم

ارادة

ارادة يتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى فتسلسل فهو اذن بخلق الله ثم
واما المعتزلة فيفسرونه والتوبة عليهم اما بفعل الالطاف وبقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم او
عصيانهم ثم اكد ما ذكر من قوله ليس لك من الامر شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هما والحقايق والماهيات التي فيهما لله
فليس الحكم عنه فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان من الابالسة الفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية
والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين كل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة
والمغفرة غالب فلهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الاية يهب الذنب
الكبير خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد ومعصيته ينتهي الى الله فعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة
فناقشوا في ذلك وردوا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين
للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك ممنوع
والله اعلم التاويل خبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى توجه السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في
طلب الحق والرجوع الى المبدأ من اهله اي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفات الروحانية مقاعد للقتال النفس والشيطان
والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في الطلب اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
يعني القلب وصافه والروح واخلاقه والله وليهما يخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم
اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبي يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشيطان
ومجاهدة النفس ومكايد الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية لا بد كما قال
كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يمددكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا اي يقهر بعضا من
الصفات النفسانية التي تنشأ الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله يعز بحكمه من يشاء
على ما يشاء والله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار
المستعاً علي ما تصفون — اي زمرهٔ اشناني كه كرويديد مخوريد سود را افزوده تو بر تو و بپرهيزيد خدا را شايد رستكار شويد و بترسيد از آتشي
التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
كه آماده شده از براي كافران و پيروي كنيد خدا و پيغمبر را شايد كه رحم كرده شويد و بشتابيد بسوي آمرزشي از جانب پروردگار و بهشتي كه پهناي او
كعرض السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
وسعت آسمانها و زمين است آماده شده از براي ترسندگان آنان كه خرج كنند در خوشي و تنگدستي و فرو برندگان خشم و در گذرندگان از
الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
مردمان و خدا دوست دارد نيكوكاران را و آنان كه چون كنند كرده ناشايسته يا ستم كنند بنفسهاي خود ياد كنند خدا را پس طلب آمرزش كنند مر گناهان خود را و كيست كه
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
بيامرزد گناهان را بجز خدا و اصرار نكردند بر آنچه كردند و ايشان ميدانند آن گروه مزدشان آمرزشي است از پروردگارشان و بهشتها كه روان است از زير آن
الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
جويها جاويدان در آن و خوب است مزد كاركران بدرستي كه گذشت از پيش شما طريقها پس بگرديد در زمين پس بنگريد كه چگونه بوده
عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
عاقبت تكذيب كنندگان اين بيان است از براي مردم و راستي و پنديست مر پرهيزكاران را و سست مشويد و محزون نگرديد و شما بلند مرتبهايد
ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين
اگر باشيد گروندگان اگر برسد شما را زخمي پس بدرستي كه رسيد كفار را زخمي مثل آن و اين روزها است كه بگردانيم در ميان مردمان و تا بداند خدا آنان
امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين القراءة سارعوا
كه گرويدند و فرا گيرد از شما گواهان را و خدا دوست ندارد ستمكاران را و تا پاك كند خدا آنهارا كه گرويدند و برطرف كند كافران را بغير واو العطف ابو
جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وخلة اليافون بالفتح الوقوف مضاعفة ص لعطف المتفقين
تفلحون ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض ج لان ما بعده صفة للجنة اي جنة واسعة
معدة للمتقين لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف الى يعلمون ومن جعله
معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله وللذين

لهم بوعد الله والوقف لطول الكلام على ذنوبهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب ان يقول الروح
لاحد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها ط العاملين ط سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالنبأ المكذبين للمتقين ط مؤمنين ط مثله
بين الناس ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لا للعطف على ليعلم الكافرين التفسير قال القفال
يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال
على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا كي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام
منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى
الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا فانا علمنا انه منهي عنه مطلقا وانما هو نهي عنه مع توبيخ بما كانوا عليه
في الغالب والعادة من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكبائر
لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها ولكن اكثر اهل النار الكفار
فغلب جانبهم كما لو قلت اعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من ان تركبها لبعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه
لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة
موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شيء من الاشياء فهو ليس من اهل الرحمة وغيرهم
يحمل الآية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد
لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به ان ظاهر الامر يوجب الفور وان في الكلام محذوفا والتقدير سارعوا الى ما يوجب
مغفرة من ربكم ونكر المغفرة ليصيب المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع
الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن علي بن ابي طالب هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود
من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من
الربوا لانه ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف عليها المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد
للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات
بقوله في موضع آخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها
ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون
كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من
السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له
فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات
والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول
واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة يكون ادون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة
كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق
ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وههنا سؤال انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد
تسليم كونها الان مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال ص في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول هرقل سأل
النبي ص وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي ص سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله و
رسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل
وسئل انس بن مالك عن الجنة افي الارض ام في السماء فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش
ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء
في حالي الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه وعن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان
القوم انكروا عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل ليس المراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم
لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان الانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان
كان مخالفا له فانهم لا يتركونه وفي افتتاح ذكر الانفاق دليل على عظمه وقعه عند الله لان طاعته شاقة او لانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل

الحاجة

الحاجة الى الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه
ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كأنه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال صلعم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ايضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه صلعم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ و
الصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه قال صلعم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل
من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم ع ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من
اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة
الى هؤلاء وذلك ان من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم
وبالنفس فيقال الجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو
المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الاية دالة على جميع جهات
الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان
نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلعم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية
وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلعم بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلعم بالقرعة في
السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن
حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقال سبحان الله خنت امانتك وعصيت
ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل
عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلعم فاسأله عن ذنبك لعل الله ان يجعل
لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبرئيل ع بتوبته فتلا على رسول الله صلعم والذين اذا
فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة
وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلعم ابنو اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة
بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا فسكت النبي صلعم فنزلت فقال النبي صلعم الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم فبين انهم اكرم على الله
منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف اي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب
كان مما يؤاخذ الانسان به قيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة
وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه
كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه او انه
سائلهم او نهيه وجلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف و
يكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواحدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من اراد المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم
يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله
في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذلك لا اثر له في ازالة الذنب انما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا
الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك
العقاب عنه اكرمية وان الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار
والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله صلعم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم
لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا
لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي ع قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله صلعم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله
الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم
يصروا ولم يقيموا على قبح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صرة الصرة شدتها وصر الفرس اذنيه ضمهما الى رأسه اصر

ايضا عن النبي ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل
اصروا وحرف النهي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب واردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم
بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر
العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد نفي
الاصرار في حالة العلم لا نفيه مطلقا كما لو اردت في المثال المذكور نفي المجيء في حال الركوب لا نفي المجيء على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وهي اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على
علمهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء وللقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان
اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ما مر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا
يدخلها غيرهم بفضل الله ورحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل احوال القرون الخالية فقال
قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة
الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه كانه اجراه على نهج واحد من سننت النصل احددته
او من سن الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب
في الاخرة هذا قول اكثر المفسرين قال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر
ولكن المؤمن بقي له الثناء الجميل والثواب الجزيل وللكافر اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال احد
القسمين يكفي في معرفة حال القسم الاخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا
في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الى
السير لمشاهدة اثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار هذا بيان المشار اليه
اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث
على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم
اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان
احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص
الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به قيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط
كونها موصلة الى البغية واقول ليشبه ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين باي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني
والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وخص
المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر كما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون
الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد
وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وخرج وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
يوم احد او انتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون بالحجة والعاقبة
الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وهذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون اي ان
كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله بحقية هذا الدين فلا
تضعفوا ثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله يوم احد فبينما هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين
يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل
الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال
راشد بن سعد لما انصرف رسول الله يوم احد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله اهكذا
تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد قيل بالفتح لغة تهامة والحجاز
وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع
قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا تفتروا ولا
تجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف

وعشرين رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم عقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم اول النهار كما يحكى من قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما تكفي المثلية في نفس
القتل والجراحة وتلك الايام موصوفا وصفة مبتدأ وخبره نداولها او تلك مبتدأ والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد وان الضمير
او صفة ويكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات
من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدم والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اي تناقلته
والدنيا دول اي تنتقل لما تقدم تفسيره من قوم الى آخرين لا يدوم مسارها ومغامها فيوم يحصل فيه السرور ولتنقل الغم لعدوه ويوم آخر بالعكس
فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوة واخرى فارغة وليس المراد
من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد انه تارة يشدد
المحنة على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان
حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة
النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله والى هذا اشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل
مذهب فتكثر الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكونوا كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة
ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها
كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم
ربه وتاويل الآية ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان او قدرته والمراد معلومه
ومقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلومنا وهو المخلص
من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة يقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم
على الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير ليعلمهم مميزين
عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا
ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك
منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد والمراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة
والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضروا
دار الاسلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك
لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض التعليلات
وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين
والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الآية ان حصلت
الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه
مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محو اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بالتدريج ومهلا
يقطع طرفا بعضها من اطرافها التاويل لا تاكلوا الربوا ما يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا
يملأ جوف ابن آدم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص اي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوى الله وتظفرون
بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسائط بقوله واتقوا النار اي نار الحرص التي تورى منها نار القطيعة وجوزوا
بقدمه طاعة الله ورسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان بمصارعة النفس والجنان عرضها السموات اي المسافة بين العبد وبينها هذا لان
الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي عن عيسى انه قال لم يلج ملكوت السموات والارض
من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية
ينفقون اموالهم في السراء وارواحهم في الضراء بل من سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق
بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه ورؤيته ومن يغفر ومن يستر بكنف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من
الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة اي هم مستحقون للمقامات القربية من ربهم و
من اصناف الطاعة تجري من تحتها الانهار العناية ونعم اجر العاملين لان نيل المقصود في بذل المجهود قد خلت من قبلكم امم لهم سنن

على الكافرين واخرى

بالقناعة

فسيروا في الارض بقوى الحيوانية بالعبور على اوصافها الدنية لتبلغوا سماءات قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه

المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية لا تهنوا ايها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية و

انتم الاعلون من اهل الله ان يمسسكم في اثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة وليتخذ منكم شهداء ارباب المشاهد

والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل الم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير له وما يصيب الكافر من نعمة و دولة

وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه وبوجه آخر البلاء لاهل الولاء تمحيص وب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار الغيوب

ومحو صفات نفوسهم الكافرة ومحق سمات اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح ام حسبتم ان تدخلوا

الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه

مرگ را و هنوز خدا معلوم نکرده است خدا اظهار که جهاد کردند از شما و معلوم نکرده است صابران را و هر آینه بودید که آرزو میکردید مرگ را از پیش آنکه ببینید

ع فقد رأيتموه وانتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات او قتل انقلبتم

پس هر آینه دیدید او را و حال آنکه شما میدیدید و نیست محمد مگر پیغمبری که گذشت از پیش او پیغمبران آیا پس اگر بمیرد یا کشته شود برگردید

على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت

بر پاشنهای خود و هر که برگردد بر پاشنه خود پس ضرر نرساند خدا را چیزی و زود است که مزد دهد خدا شاکران را و نباشد مر نفسی را که بمیرد

الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين

مگر بفرمان خدا نوشته شده با مدت و هر که بخواهد ثواب دنیا را بدهیم او را از آن و هر که بخواهد ثواب آخرت را بدهیم او را از آن و جزا دهیم شاکران را

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله

و چه بسیار از پیغمبری که مبارزت کردند با او طائفه بسیاری پس سست نشدند بانچه رسیدشان در راه خدا و ناتوان نشدند و مستاصل نشدند و خدا

يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا

دوست دارد صابران را و نبود گفتار ایشان مگر آنکه گفتند که پروردگارا بیامرز مر ما را گناهان ما را و زیاده روی ما را در کار ما و استوار کن قدمهای

ع وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا ايها الذين

ما را و یاری ده ما را بر گروه کافران پس داد ایشان را ثواب دنیا و خوبی ثواب آخرت و خدا دوست دارد نیکوکاران را ای زمره آنان که

آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين

گرویدید اگر پیروی کنید آنان را که کافر شدند برگردانند شما را بر پاشنهای شما پس برگردید زیانکاران بلکه خداست صاحب اختیار شما و اوست بهترین یاری

القراءة رايتموه بغير همزة يعني بالياءين ونحوه راوك وداوه وروى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف بردئتوا

وبابه مدغما ابو عمرو وشاذن ابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف تؤته مثل يؤده وكائن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير

وقرأ يزيد كاين بالمد بغير همزة وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب على بغير نون في الوقف وكاى الباقون وكاين في الحالين قتل ابو عمرو

وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين تلقوه ص لطول الكلام الرسول ج لان ما بعده

يصلح صفة واستينافا الرسل ط اعقابكم ط انتهى الاستفهام شيئا ط الشاكرين ه مؤجلا ج لابتداء الشرط منهاج للعطف

منها الشاكرين قتال ط ليكون قتل النبي ع الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل و

التقدير ومعه ربيون كثير فلو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله ان لا يقف كثير لابتداء النفي مع فاء التعقيب استكانوا

الصابرين الكافرين الآخرة المحسنين خاسرين مولاكم ج الناصرين التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها

ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى

لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم

كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الآخر تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل

الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا وانما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها

وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال

مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المقام

على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بان الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو

الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل النقدير اظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين ووجه آخر وهو ان يكون مجزوما

الابتلاء الآخرة لا انكم من اهل تم

[illegible]

ايضا لكن الميم لما حركت للساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلم الله بفتح
الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن يعلم بالجزم على العطف وروى عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كانه
قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين الحوا على رسول الله صلعم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة
بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا
يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر او يريده ويرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء
الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا
من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين
ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر
ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة
مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رأيته بعيني الله رأيتموه معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل
من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم انتم تنظرون اليهم
من غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن
عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا
على الكفار هزموهم وقتل علي طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلعم مع صحابه فهزموا
ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق
الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلعم بحجر وكسر رباعيته وشج
وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمية واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول
الله ودافع عنه ابو بكر وعلي وظن ابن قمية انه قتل رسول الله صلعم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ
الشيطان ففشا في الناس خبر قتله صلعم فانكفأوا فجعل رسول الله صلعم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على
هزيمتهم فقالوا يا رسول الله صلعم فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت وما محمد الا رسول اي مرسل قال
ابو علي وقد يكون في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل
فسيخلو كما خلوا وكان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة
لا وجودهم بين اممهم ابدا افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتعقيب الجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه
في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى
الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله او موته الارتداد عما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس
على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عم مات ولم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عم قتل وهم لم يرجعوا عن
دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول
فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة على القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت
يراد به المفارقة الى الآخرة بأي طريق كان بدليل قوله وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال الصدق القضية الشرطية لا يتوقف
على صدق جزئيها الصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى وهو الترديد فيها التشكيك اي سواء فرض
وقوع الموت والقتل فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار والارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا
نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تأتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد
احد من المسلمين في ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف
عن رسول الله صلعم روي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعد رسول الله صلعم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك
مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل
فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم ففي امثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر و
الثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجفوا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل توهم

بان القتل مثل الموت فى انه لا يحصل الا فى الوقت المقدر وكما انه لو مات فى بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض المؤمنين
على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغنى عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحم المعارك والغرض بيان حفظه
وكلائه لنبيه فانه ما بقى فى تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظ النبيه ولم يقدر فى ذلك
الوقت اجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه انهم قد قصروا فى الذب عنه وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء
الله وقدره فانه لا يحدث شئ الا بمشية الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغى لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله
فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى انه تعالى يامر ملك الموت
فاقيم القابل مقام الفاعل ١٢
بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحيوة احد الا الله وقيل التخلية
والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا باذن يخلى الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلى
بين نبيه وبين احد ليقتله ولكن جعل من بين يديه ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما ارسل به فلا تهنوا فى غزواتكم بعد ذلك
بارجاف من رجف وقيل الاذن العلم اى لن يموت نفس الا فى الوقت الذى علم الله موتها فيه وفى الاية دليل على ان المقتول ميت باجله
وان تغير الاجال ممتنع ولذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه لانه فى معنى كتب الموت كتابا
مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الاجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذى كتب فيه جميع الحوادث
من الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضى الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى واما الكفر والفسق والايمان و
الطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتبه تعالى فانما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من ان يكون مذموما او ممدوحا
والحق ان هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان ياتى هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر
على الايمان فما معنى اختياره ثم انه كان فى الذين حضروا يوم احد من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة كما اخبر الله تعالى فى هذه السورة فقوله
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اى من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوى وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقى الاية مدح للفريق الاخروى
وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثانى هو المعتبر فى الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزى الشاكرين
فابهم الجزاء واضاف الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شئ لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانما كان يليق
بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الاية وان وردت فى الجهاد لكنها عامة فى جميع الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر فى جانب الثواب والعقاب
كما قال انما الاعمال ١٢
القصود والدواعى فمن وضع الجبهة على الارض وقت ظهر الشمس امامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد
تعظيم الشمس كان من الكفر وكاين الاكثرون على انها فى الاصل مركبة من كاف التشبيه واى التى هى فى غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما
ان كذا مركب من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكاين مثل كذا فى كون المجرورين مبهمين عند السامع الا ان فى ذا اشارة فى الاصل الى
ما فى نفس المتكلم بخلاف اى فانه للعدد المبهم وتميزهما منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من فى تمييز كاين وبه ورد القران والتمييز بعد كذا و
كاين فى الاصل عن الكاف فكانه مميز واى كما فى مثل رجلا الا انك تبين فى كذا رجلا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من اى جنس هو ولم تبين العدد
المبهم باى فى الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادى وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبنى على السكون
اخره نون ساكنة كما فى من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة لها خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل
كائن مثل كاعن وربما ظن بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بنى لكثرة الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان وبهذا قرئ بهما
وفيه لغات اخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانه لم يقرأ بها ولعلك تجدها فى كتبنا الادبية ومحل كاين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل
او قاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف والجماعات الكثيرة الواحد ربى عن
الفراء والزجاج قال ابن قتيبة اصله من الربة الجماعة فحذفت الهاء فى النسبة ويقال تربوا اى تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة و
الولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم فى دهرى والقياس الفتح ثم من قرا قتل فمعنى الاية ان كثيرا من الانبياء قتلوا و
والذين بقوا بعدهم ما وهنوا فى دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغى ان يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود
من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء لتقتدى هذه الامة بهم ومن قرا قاتل فالمعنى وكم من نبى قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم
قروح فما وهنوا لانه على هذا يكون الغرض من الاية ترغيب الذين كانوا مع النبى فى القتال وربما يؤيد هذه القراءة بما روى عن سعيد
بن جبير انه قال ما سمعنا بنبى قتل فى القتال ويحتمل ان يرجح القراءة الاولى على هذه لان الاية ابهم من ان يقال المعنى وكاين من نبى قاتل ممن
كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعفوا لما اتوا وما استكانوا لما قتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى
مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبى وما ضعفوا عن الجهاد بعده

وما استكانوا للعدو اى لم يخضعوا وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلعم وبضعفهم عند ذلك
عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابى فى طلب الامان من ابى سفيان وقيل الوهن استيلاء
الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات فى صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف
يلحق القلب والضعف مطلقا الاختلال فى القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن
لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح اى ببعيد بمعنى منتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسى كان صاحبه
تغير من كون الى كون اى من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك
بالصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان يقتدى هذه الامة بهم فان من عول فى تحصيل مهماته على نفسه
على عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجاء اليه فاز بالظفر وفى اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستصغار
لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء دل ذلك على
صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة اقرب
الى الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب فى الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا فى امرنا
لان الاسراف فى كل شىء هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد
بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب فى قلوب الاعداء وكاحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم كهبوب
ريح تثير الغبار فى وجوههم واجراء سيل فى مواضع وقوفهم وفى الاية تاديب وارشاد من الله تعالى فى كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان
او غيره فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الاخرة هو الجنة وما فيها من المنافع و
اللذات وذلك غير حاصل فى الحال والمراد انه حكم لهم بحصولها فى الاخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم مثل اتى امر الله اى
سيأتى قال القاضى ولا يمتنع ان يكون الاية مختصة بالشهداء وانهم فى الجنة عند ربهم كما ماتوا احياء وثواب الاخرة كله حسن فلذلك
حسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان
يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية فى الجود ونهاية فى العدل
وههنا نكتة وهى انه ادخل من التبعيضية فى الاية المتقدمة فى قوله نؤته منها فى الموضعين ولم يذكر فى هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن
العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا
بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا ايها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا عن السدى المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم فى ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم
وتستأمنوهم وعن على هم المنافقون عبد الله بن ابى واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وعن
الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه فى الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا
لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوم له ويوم عليه والاقرب انه عام فى جميع الكفار فان خصوص
السبب لا ينافى ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم فى شىء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم
وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم اى الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين فى الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام
والانقياد للاعداء الذى هو اشق الاشياء لدى العقلاء وفى الاخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع فى العقاب المخلد بل الله
مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا
خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض ان لاحد سواه قدرة
على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاح الطلبات نصره فى الدنيا والاخرة بلا شائبة علة من الغلبات ونصرة غيره لو فرض
فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفى بعض الاوقات وللغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه التأويل
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات والصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب
على وفق الشريعة وقانون الطريقة ليتجلى للارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون موت النفوس
عن صفاتها ومركباتها من قبل ان تلقوه المجاهدات والرياضات فى خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو فى الجهاد الاصغر ظاهرا
وفى الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التى كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تقدمون ارواحكم ولا تجاهدون حق جهاد
فى الله بارواحكم واشباحكم أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليدى لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه

الجزء الرابع

نعدام المقلد من الوالدين او الاستاد وكذا عند موت المقلد فيتحير عند سؤال الملكين في قولهما له من ربك فيقول هاه لا ادري فيقو
لان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه لا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان بالايمان الحقيقي
الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الايتمار باوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس ان تموت عن
اوصافها الذميمة واخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذباته واشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا ينتهي الا باشراق طلوع الشمس
ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص اي من عمل شوقا الى الحق
وفقد اي نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت فينشد خليلي هل ابصرتما او
سمعتما باكرم من مولى تمشي اليه عبد اي زائرا من غير وعد قال لانه اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره
على النعم فثوابه في الاخرة وسيجزي الله الشاكرين اي كلا الفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي قاتل اعداء العدو الذي بين جنبيه
ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة
والالتفات الى ان تطيعوا الذين كفروا اي النفوس الكافرة سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
وصفاتها يردوكم الى اسفل سافلين بشريتكم وهميتكم — زود باشد که بیندازیم در دلهای آنانکه کافر شدند خوف را بسبب انباز آوردن با خدا
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ
آنچه فرو نفرستاده بدان حجتی و جای ایشان آتش و بد است آرامگاه ستمکاران و هر آینه براستی گردانید بشما خدا وعده خود را چون کشتید کافران را بفرمان او
حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ
تا چون بددل شدید و نزاع کردید در کار و نافرمانی کردید پس از آنکه نمود بشما آنچه دوست میدارید بعضی از شما کسی است که میخواهد دنیا را و از شما کسی است که میخواهد
الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى
آخرت را پس بگردانید شما را از ایشان تا بیازماید شما را و هر آینه درگذشت از شما و خدا صاحب فضل است بر گروندگان چون بالا میرفتید و میل نمیکردید بر
فاصابكم
أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ثُمَّ أَنْزَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ۝ فَبِمَا رَحْمَةٍ
مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ
مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون
پس از آن و بر خدای پس توکل کنند مؤمنان — العين وما اويهم وبابه بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة

في الوقف

في الوقف لقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل ونعشي ثيابوقنا ثبة وبالامالة حمزة وعلي وخلف الباقون بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف حمزة الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف وافق حفص الا ههنا لجواز فيلتم الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل سائر القراء بتاء الخطاب الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفين النار الظالمين باذنه ج لان حتى يحتمل انتهاء الحسن ووجه الابتداء اظهر لافتران اذا مع حذف الجواب اي اذا فشلتم وفشلتم انقلب الامر ويمنعكم نصره والوقف على تحبون تلافي الوجهين الآخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل للعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم عفا عنكم ط المؤمنين اصابكم ط تعملون طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شيء ط لله ط يبدون لك ط ههنا استئنافا ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي لينفذ الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم الصدور الجمعان الا لان انما خبر كسبوا لاحتمال الواو حالا واستئنافا عنهم ط حليم قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله قالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل قلوبهم ط ويميت ط بصير يجمعون تحشرون لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط مع جواب ص والوصل اولى لعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة الامر ج على الله ط المتوكلين لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو من بعده ط المؤمنون التفسير ثم بالكر هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة والاسناد في هذا اسنادا الاستبشار ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم احد الا انا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى انه مختص بيوم احد لما روي في سبب النزول القصة قال السدي لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب وروي ان ابا سفيان صعد الجبل يوم احد وقال اين ابن ابي كبشة يعني رسول الله اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرت بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب من عاقبة سيل راعب املأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله فاني في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهذا هو الواقع لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه من المسلمين هيبة اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول هو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال امن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير انه معبودهم يصح منهم الاجابة كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه الحق بالقهر قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لم يقم عليه حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم من بالغ فيقول ما لا دليل عليه يجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا بالآيات المحدثات انه يكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا لم يسند للنافي بعد الدليل على وجود الشريك على نفيه اما اذا اسند للنافي بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي الشريك لما ذكر حال الكفار في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال ومأواهم اي المكان الذي يأوون اليه النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي ثواء اقام به ثم اكد الوعد بالقاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه اي تقتلونهم قتلا ذريعا قال اصحاب الاشتقاق حسه اي قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه ورأسه اذا اصاب رأسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام انه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية الا ان هذا كان مشروطا بشرط هو الصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما ثبتم فيه فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء هذا ليس بشرط فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى فلقد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الا ان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر قال الفراء

انه للمجازاة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه احدها قال البصريون انه محذوف وكان في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه عصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي امرهم فيه رسول الله وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم هٰهنا كالساقطة والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما هزموا المشركين ورأوهم يصعدون الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخيلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الامر اما ان يكون بمعنى الشان والقصة اي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشان او بمعنى الامر الذي يضاده النهي اي تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم ترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا في انفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في انا نذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله منكم من يريد الاخرة وفائدة قوله من بعد ما اريكم ما تحبون التنبيه على عظم شان المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام واذاقهم وبال امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى انتقضت الصفوف على المسلمين فقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير قالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تاويل الاية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هنالك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب جاز لهم ان يتنحوا عن ذلك الموضع يتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبي ذهب الى الجبل في جماعة من اصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا اضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بامره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبابهم من اعظم انواع الابتلاء فاذن الاية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وسبب العفو ما علم من ندامتهم على ما فرط منهم من عصيان امر رسول الله وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ثم معنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن اهلا للعفو وقالت الاشاعرة لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الاية يدل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الاية دليلا على انه قد يعفو عن اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالاية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون منصوب باضمار اذكروا او ان يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون لان ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب فتذكروه او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين تصعدون والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة فيقال فيه اصعد اذا اخذ من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد لا تلتفتون اليه واصله ان المعرج على الشيء يلوي اليه عنقه وعنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى محاربة العدو في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه وبقي هو في الجماعة المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل انه يقال ثاب اليه اي رجع والمرأة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الاية على اصل اللغة استقام بلا تاويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك

السيف تحيتك الضرب اي جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو في الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء في بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيانكم امره اذاقكم الله غم الانهزام وقيل الاحتساب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغير ذلك غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانضمام في سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما الاحتمال الثاني ففيه وجهان احدهما ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة او الاول غم فوت الغنائم والثاني ان ابا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما او الاول هذا والثاني خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم في انفسهم واموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول او الاول خوف عقاب والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعزم على ترك المحاربة واذا امروا بالمعاودة بعد القتل والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان ترك خاف الكفر وعقوبة الآخرة وثانيهما ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط في سلكها ثم اللام في قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لان في عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد في مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائدها قالت الاشاعرة معناه ان الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شيء واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمضار وهم لا يجدون على دفع ذلك ولا يذمون وان سلم انه بخلق الله فلغاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض ان لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما في قول الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا في هذا المكان وامتثلنا وقعنا في غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول لطلب الغنيمة وقعتم في غموم اخر كل واحد منها اعظم من ذلك فيصير هذا مانعا لهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة في وقعة اخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية بزاجر دنيوي زجرهم بزاجر اخروي فقال والله خبير بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر ان الذين كانوا مع النبي صلعم يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدي الى الاستيصال لاخبار الصادق ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب جماعتهم بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا واراد هؤلاء بقوله يغشى طائفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور في اوائل النوم وانتصاب امنة على انها حال متقدمة من نعاسا مثل رايت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلعم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس في القتال امنة والنعاس في الصلوة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلوة الا من غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها انه شموله للمؤمنين كلهم لا في الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له صلعم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله منجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجلب القوة والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا حراصا على قتلهم فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من ادل الدلائل على ان حفظ الله وكلاءته معهم ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى النعاس وينصره كونه اقرب وكون المبدل في حكم المنحى وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب يقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس هو الامنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير اولى واما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في شك من نبوته صلعم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبي ولا المسلمين المهم الامر الشديد يقال اهمني ذلك الامر اي اقلقني واحزنني فالمعنى اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباكي والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشيء و

واستغرقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان احب الاشياء عندهم هو النفس كانت شدة الخوف على النفس هناك موجودة والذى لذلك هو
الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن همهم هناك الا هم انفسهم يظنون بالله غير الحق وهو فى حكم المصدر اى غير الظن الحق الذى يجب ان
يظن به وظن الجاهلية بدل منه وانما ذكره فى هذا الترتيب غير الحق وان كثر ورودها معا لان اهل الجاهلية فذكروا ولانهم يظنون بالله
ظنا باطلا اثنين انهم اختاروا من الاديان اردلها كما يقال فلان دينه ليس بحق دين من الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر غير الحق تاكيد للظنون
كقولك هذا القول غير ما تقول وفى ظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف للابتداء اى الظن المختص بالملة الجاهلية
وهى زمان الفترة قبل الاسلام او اريد ظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك
الظن انهم كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول
النبى ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد محقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند اهل
السنة فلانه تعالى فاعل ما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه فانه ان شرف المولى عبده بخلعة لم يجب ان يشرفه من بعد المصالح فى افعاله واحكامه فلا باخرى واما عندهم
يبعد ان يكون فى التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر
الناس الى معرفة الحق وكان ينافى التكاليف فى استحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز
الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شىء حكاية شبهة تمسك
بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شىء يعنون راى عبد الله بن ابى
وان النبى لم يقبل قوله حين امره ان يسكن فى المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكى عنه لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب
انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر هل لنا من الشىء الذى كان يعدنا به محمد وهو النصر والقدرة
شىء وثالثها الطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تنفير المسلمين على التشبث فى الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر
والحوادث باسرها مستندة الى قضاء الله وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك
واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين على الاديان وقع لا محالة يخفون فى انفسهم فى ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك
المخفى قولهم لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه لما قتل من المسلمين من قتل
فى هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهى مصارعهم التى قتلوا
فيها لان ما فى الكتاب فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم
يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلى الله ما فى صدوركم
وليمحص ما فى قلوبكم فخص الابتلاء بما فى الصدر والتمحيص بما فى القلوب لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذى
فى الصدر والتمحيص مورده الشبهات والعقائد التى فى القلب واعلم ان نسق هذه الاية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وقد اهمتهم
صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اى ومنكم او ومنهم طائفة اهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى اهمتهم انفسهم
ظانين او استئنافا على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وانما صح وقوع القول الذى هو قوله انشاء بدلا من الاخبار
بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال فمن قرأ كله بالرفع
فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تاكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر اجمع لله وقوله يقولون استئناف
وقوله وليبتلى تقدم ذكره فى الوقوف واما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون
هل لنا من الامر من شىء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا فى حقية هذا الدين وفى المبدأ والمعاد وفى القضاء و
القدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك
مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين نفاقهم كيلا يغتر بهم المؤمنون فقال
يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك اى ذلك القول انما صدر عنهم فى هذه الحالة وكان لسائل ان يسأل ما الذى يخفونه فى انفسهم فقيل
يقولون لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راى مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل
ههنا فيكون كالطعن فى قوله قل ان الامر كله لله قال فى التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السنى والمعتزلى فان السنى يقول
العصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء امن وان شاء كفر فامر النبى ان يجيب عن هذه الاعتقادات
بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو ان يتميز الموافق كما فى عن المنافق
المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصى والسيئات ثم قال والله عليم
بذات الصدور بصاحبتها وهى الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شىء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح

قوله عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم
ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبران رسول الله قتل ثم بعده رجال دخلوا على نسائهم فجعل
النساء يقلن اعن رسول الله تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل غزل فقال بعض الرواة ان المسلمين لم
يعدوا الجبل وقال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر
الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هنالك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على
الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم ايضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم
رجعوا بعد ثلاثة ايام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع الرسول فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين
ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من
الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان
ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلاثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة
والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروى ابن عيينة انه اصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلثين
كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان تقول زل الرجل فلان في الطين
ازله وازلّه في الدين ومنطق الاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في ببعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت
بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم جنايات فبواسطة تلك الجنايات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التفسير وجوه قال
الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا
لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب
مفارقة المركز اوقعهم الشيطان بشوم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب فلما تقدمت نفوسهم قدر الشيطان على
دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا لان الكسب قد يكون جرا
كقوله لها ما كسبت او لان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال
الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في اي بسبب توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال
اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب
حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي بل ما يكون عنها الا اخرا اما في هذه الغزوة او
قبلها ولقد عفى الله عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث ان اي ذنب هو والظاهر انه
التولي لان التوبيخ وقع عليه والاية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر
فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الاية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر
لانه لا يكاد يقال في الكبائر ازلها الشيطان ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة
والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص حيث عفى عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار
فغلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد عنهم في الجهاد فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه فيه دليل على ان الايمان ليس
عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والالم يسم المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم مثل قال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يتكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان
المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين وكانوا
مسلمين او اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد
محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا او اذا
ضربوا ليشاكل في المبنى قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا
ما ماتوا وما قتلوا فمن اخبر عنهم بعد ذلك لا بد ان يقول قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي
لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة
كل منهما مقام الاخرى في هذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القران اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال
الزجاج في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا واما اللام

اى في حق اخوانهم

في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فهي متعلقة بقالوا والمعنى انهم قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله ذلك الكلام حسرة فيكون
لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف تستعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان اقارب
ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت ولم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم
بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد ان الحيوة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شئ من هذا النوع من الاسف
وقيل لانهم اذا قالوا هذا ما لتثبيط اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة وتأخر المتخلفون في الخيبة والندامة
وقيل المراد حسرتهم يوم القيمة اذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعدما اعلم الله المؤمنين بطلانها
وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان تعلق
اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لجهالتهم وجواب عن مقالتهم اي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال فالله اعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق مصالح
واحكامه ونقضه وابرامه كل شئ بما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء في امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف
ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه
بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ومن قرأ على الغيبة فالظهر للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب
الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب التقاعد عن الجهاد وتنفر الطبع
عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله اي شئ من مغفرة ورحمة خير مما يجمعون فاللام الاولى هي الموطئة
والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل والموت في السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا
بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان تلك خير مما يجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعون في الدنيا قد يكون من باب الحلال
الذي يعد خيرا او ورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خير لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد
فقد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعله
ما نعامن مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالالام ومنافعها مخلوطة بالمضار وتنغص
صفاتها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الاخرة اصفى واضفى وابقى وانقى ولا سيما منافعها العقلية واي نسبة
لانتفاع الحمار بلذة قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق انوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع اخر فقال ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد واحترزتم عن الموت والقتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الحسية
الخيالية ثم تتركونها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو اعرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم
الى اعلى الدرجات في مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل
او لان الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا
وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي جهة يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب على احوال الخلق كلهم
الموت ولهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر
وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على
اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على
ان الالهية تقتضي هذا الحشر لحكمة الجزاء ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ
ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه
خاطب الكل ليعلم ان القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه
تم ذكر في الايتين المغفرة والرحمة والحشر فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه و
الثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه ما احسن هذا التنويه روي ان
عيسى مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال
هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فرأى عليهم تلك الاثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان

يمنعكم

ان يمنعكم رحمته ثم قرّعهم ثالثاً فرأى عليهم سمات العبودية اكثر فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم
المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الاية دليل على ان المقتول ليس بميت الا كان قوله ولئن متم او قتلتم عطفاً للشيء على
نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الايات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من
جملة ذلك ان عفى عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفى عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روي ان امرأة عثمان
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه يغسلان السلاح فقالت ما فعل ابن عثمان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي ان عثمان
فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه وعنه انه قال ح اعياني ازواج الاخوات ان يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على ان قال
لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه انه قال انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال
لا حلم احب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلماً و
احسنهم خلقاً لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه ولا ينال الا بالشفقة
وامارات النصيحة عن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن
دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما
وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه
يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لم يغضب وان حصل له
مطلوب لم يأنس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احداً في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها
ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العيش مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم اكمل البشر في القوتين النظرية و
العملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقاً وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت
لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم بزيادتها فالنظر الى اصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكانه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلانه لا يحال
زيادة حرف لا فائدة فيه اصلاً وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة واذا كان لينه رفقه رحمة من الله لان
الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا له ولا رحيم الا هو ولان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضاً
كالخوف من العقاب والطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضاً رحمة المخلوق على غيره
لا تتم ولا ينتفع بها المرحوم الا بعد مؤاتاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وربطه
على جاش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظاً سيء الخلق واصله فظظ كحذر فظظت بالكسر يا رجل
فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك
احد وهذا التركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ثم منهم من حمل الاية على واقعة احد فقال
فبما رحمة لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظاً غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا
هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال
حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنى ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم
فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة الوسط وهو استعمال كل في شيء في موضعه وان طرفي
الافراط والتفريط مذمومان ومن المثل لا تكن حلواً فتسترط ولا مراً فتعقى واحتجت الاشاعرة بالاية في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان
حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان
والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين اشقى الاشقياء
فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستنداً الى رحمة الله هذا خلاف نص الاية فاذن جميع افعال العباد بقضاء
الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكناً من الالطاف فقد فعله في حق كل
المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الافضال والالطاف فهو بالحقيقة مكتسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله
ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماماً للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه اوجب عليه ان يعفو
عنهم في الحال كانه تعالى قد عفى عنهم كانه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني غفرت لهم قبل ان
تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل اي اجتنيتها و
استخرجتها من موضعها وقيل من شرت الدابة شوراً عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشواراً

يقال اثار والحطب كانما شوار كثير العثار و تركيب يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الآراء وقد ذكر
العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم
وفي تركه ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا
يبعد ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم
حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطأوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ظنا انه قد بقي في
قلبه اثر من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تصير النفوس طاهرة متطابقة على تحصيل
اصلح الوجوه فيكون اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعات ومنها
انه تعالى امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامره بها بعدها ليدل على انه صدر المعصية عنهم ليعلم انهم الآن قد عظم خطأهم كانوا ان عفوه اعظم
من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة
فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأي والقياس كما مثل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلتيهما ام لا قال
الكلبي وكثير من العلماء ان الامر بها مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو للمعهود
سابق وليس ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد وقد استشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على الماء فقبل منه واشار
عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة فتبصروا فقبل منهما وخرق
الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص منه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي وكيف لا وانه كان مامورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي
لعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين
قد عد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب فلهذا عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم
البكر تستأمر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الرأي على شيء
بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والرأي الحسن عن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت
بالضم اي ارشدتك الى شيء وامرتك به فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر
فلا يغلبكم احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه لان الفعل عليه وهو من قولك
ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك
الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء انه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اياه بالتوكل لما علم ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه ليس المراد بالتوكل ان يهمل
الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل
هو ان يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده التأويل ولقد صدقكم الله
ايتها الطلاب في هذا الامر طليعة وجد اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بارة لا على وفق الطبع حتى اذا تركتم قتال النفس وفشلتم
في امر الطلب وعصيتم الدليل المرشد من بعد ما اريكم الدليل بالتبينة ما تحبون من الالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ لكم على الله
لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الآخرة وقرئ هذه الآية عند الشبلي فصاح صيحة وقال اما كان من احد
يقال له فمنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفوس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات
وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعدما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفا عنكم بعد بعد ما ابتلاكم عن
التفاتكم الى الدنيا والآخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد
ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى احد من الامرين الدنيا والآخرة ورسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادي فجازاكم بدل غم الدنيا والآخرة
غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا ما اصابكم من نعيم الآخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والآخرة
في طلب جده فلا يضيع ايمانكم ويوفي جزاءكم ثم اخبر عن نزل الحق بعد الغم امنة نعاسا تغشى طائفة على عناية في صورة مخالفة فانزل الامن في صورة النعاس على اصحابه
واخرج جواهر الوقايع الغيبية لارباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فان اكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب
النفوس ومدعي الاسلام لا هم لهم الا هم انفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق
لا الى الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من الامر النصرة والظفر من شيء ما قتلنا ههنا بالباطل على ايدي حزب الشيطان وليبتلي الله
على ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يتمحص من شائبة
الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمينان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبه

ربع

الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخر
من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولى ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم
ليعلم ان الله تعالى فى كل شئ من الخير والشر اسرار الا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
اذا ضربوا فى الارض سافروا فى البلاد مستفيدين من العباد وسلكوا فى ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار
النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ما ماتوا بقساوة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول
حسرة فى قلوب الصديقين والله يحيى قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحزنون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة
الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وباقى الحقائق قد مرت فى التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانسانى انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفى
كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانقضت من الجوانب وتلاشت وتعطلت
حكمة التمدن وفقدت الكمالات التى خلق الانسان لاجلها ثم الكلام فى ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط
ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما نقد الله حبيبه وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
وسزاوار نيست مر پيغمبرى را كه خيانت كند وهر كه خيانت كند بيايد بآنچه خيانت كرده روز قيامت پس تمام داده شود هر نفسى آنچه را كسب كرده و ايشان
يُظْلَمُونَ ۝ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ
ستم نشوند آيا پس آنكه پيروى كرد خوشنودى خدا را چون آنست كه باز آمد با زيانى از خدا وقرارگاهش دوزخ است وبد جايگاهى است ايشان صاحبان مراتبند نزد خدا و خدا
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
بيناست بآنچه ميكنند هر آينه منت نهاد خدا بر مؤمنان وقتى كه برانگيخت در ايشان پيغمبرى از ايشان كه ميخواند بر ايشان آيات او را و پاك ميكرد ايشان را و مياموزد ايشان را
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
كتاب وحكمت را واگرچه بودند پيش از آن هر آينه در گمراهى ظاهر آيا هرگاه رسيد شما را مصيبتى كه رسيده بود شما را دو مانند آن گفتيد از كجاست اين
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
بگو آن از نزد خود شماست بدرستى كه خدا بر هر چيزى تواناست وآنچه رسيد شما را روز بهم رسيدن دو طائفه پس بفرمان خدا بود وتا بداند گروندگان
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ
وتا بداند آنان كه نفاق ورزيدند وگفته شد بايشان بيائيد جهاد كنيد در راه خدا يا دفع كنيد گفتند اگر ميدانستيم كارزارى هر آينه پيروى كرديم شما را ايشان براى كفر در آن روز
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
نزديكترند از ايشان از براى ايمان ميگويند بدهانهاى خويش آنچه نيست در دلهاى ايشان وخدا داناتر است بآنچه پنهان دارند آنان كه گفتند مر برادران خود را ونشستند
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا
كه اگر پيروى كردندى ما را كشته نشدندى بگو پس دفع كنيد از خودتان مرگ را اگر هستيد راستگويان ومپنداريد آنان را كه كشته شدند در راه خدا مردگان
بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
بلكه زندگانند در نزد پروردگارشان روزى داده ميشوند شادمانان بآنچه كه داد ايشان را خدا از فضلش و مژده داده ميشوند بآنها كه نرسيده اند بايشان از عقب ايشان كه نيست ترسى
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ
بر ايشان ونه ايشان اندوه يابند مژده دهند بنعمت از خدا وزيادتى وبدرستى كه خدا ضايع نكرداند مزد گروندگان را آنانكه اطاعت كردند مر خدا را و
الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
پيغمبر را پس از آنكه رسيد بايشان جراحت مر آنها را كه نيكوئى كردند از ايشان وپرهيزكارى نمودند مزدى بزرگست آنان كه گفتند مر ايشان را مردم كه مردم جمعيت كردند
لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
از براى شما پس بترسيد از ايشان پس افزود ايشان را ايمان وگفتند بس است ما را خدا و خوب كارگذاريست پس برگشتند با نعمت از خدا و زيادتى كه نرسيد ايشان را بدى وپيروى كردند
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
خوشنودى خدا را وخدا خداوند زيادتى بزرگست جز اين نيست كه اين شيطان است كه ميترساند دوستان خود را پس مترسيد از ايشان وبترسيد از من اگر هستيد گروندگان
القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غيره وليس الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول
ولا يحسبن بياء الغيبة الحلوانى عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر

ع

على الباقون بالفتح ويخافون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف الوقوف ان يغلط لابتداء الشرط يوم القيمة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون نصف الجزء جهنم ط المصير عند الله ط بما تعملون والحكمة ج لمكان العطف مبين مثليها ج لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط قدير ليعلم المؤمنين لا نافقوا ج لاحتمال العطف والاستيناف والوصل اولى على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم ط بما يكتمون لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدأ محذوف ما قتلوا ط صادقين امواتا ط عند ربهم ص يرزقون لا لان فرحين حال لهم من فضله لا للعطف من خلفهم لا لتعلق ان بيحزنون يحزنون م للاية واستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون وفضل لان التقدير وبان ومن كسر فقف والجملة اعتراضية المؤمنين ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره للذين احسنوا او نصبا على المدح الاول اوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدأ محذوف ايمانا ق والوصل اولى للعطف واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم اولياءه ص لوصل النهي عن الخوف بعد ذكر التخويف مؤمنين التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء في خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من اللحم ليسرق والغل الحقد الكامل في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقالت مزينة على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهري غل يغل غلولا اي خان واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول في المغنم خاصة وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك ثم معنى الاية فيمن قرا بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الاخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات فلا يكون امينا في الارض هيهات فاللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرا بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما يخان اي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان الوحي عليه كلما كان اجل منصبا كانت الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الاخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة اقبح وثانيهما يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد يقول العرب اكفرت الرجل جعلته كافرا ونسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي وجدته غالا او لا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها وقد طعن بعضهم في هذه القراءة وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان لا نشرك ما كان ليأخذ اخاه ما كان لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه كان يختار في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والجواب ان القران حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن في يده غل رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما اسباب النزول اكثرها يروى انه اخر قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل احد ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم بشيء زائد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت

مبالغة في النهي لرسوله ويعني وما كان للنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسئلوه ان يترك ذلك فقيل ما كان للنبي
ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره
نظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم
ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه
الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت فذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك قد يكون
انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره ويحصل نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى
رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله عليه السلام لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله
وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرره عليه يوم القيمة ويجازيه لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل
اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على
سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب هذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء وقيل ثم توفى ما كسبت ثم فصل
ما اجمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره امن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله
في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر
النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والاخرون المنافقون
وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لتكون
الاية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله وماويه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا
يجوز في الحكمة ان يسوي بين المسيء والمحسن والا كان اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات
وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية
يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في انفسهم درجات لا انهم
ذووا درجات وقيل المراد ذووا درجات ثم الضمير الى اي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب
والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان ماويه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان الله و
يؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن
ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب قال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب ولانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله
ان منها ضحضاحا وغمرا وقال ان اهون اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب هل يعذب احد
عذابي قال لا والاوجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب حسب تفاوت اعمال الخلق وقد
يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز من قائل لقد من الله
على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم لم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذا حاله الخيانة
ومنها انه تعالى كانه قال في وصفه بان انزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم خاملين جاهلين
وانما حصل لكم الشرف في العلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه باقصى ما
يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على
من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على
النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم
لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل وهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات
فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند
سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي ومن الثاني ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي
من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من امن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين
منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق
والامانة كان ذلك اقرب بهم الى تصديقه والوثوق به وفيه ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابراهيم
كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتوراة والانجيل وما كان للعرب ما

يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بسبب ذلك زايدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اي من جنس الانس لا من الملك لان المختص لا بن الجنس الى الجنس اميل ويروى عن النبي صلعم وعن فاطمة رضي الله عنها انهما قرءا من انفسهم بفتح الفاء اي اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب بعينه لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلعم واما سائر اوصافه من قوله يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون انفع واتم وقعا ثم لما اجاب عن نسبة النبي صلعم الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومفعول القول انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كأنه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصر علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة واقعة احد بمثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في الاولى يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد اصبتم مثليها جواب ضمني يعني ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند انفسكم وفي تفسيره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول في امور في الخروج عن المدينة وكان رايه في الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبرئيل عم الى النبي صلعم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وامرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلعم ذلك للقوم فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا فاخذ الفداء منهم فيتقوى به على قتال العدو ونرضى ان تستشهد بنا بعددهم فقتل يوم احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان العبد مختار في الفعل والمراد انه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله ان يقدر عليه لامتناع ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافي انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضا بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن مخل بين الماذون ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبر المضاف فذلك قد وقع ليعلم المؤمنين اي ليتميزوا عن اهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير انهم شرعوا في الاعمال اللائقة بالنفاق في ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القائل رسول الله صلعم كان يدعوهم الى القتال وقيل هو جابر ابو عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم غم الآخرة وطلب مرضاة الله اي كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائل يسئل فماذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة والمراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لوافقناكم عليه لكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان راي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن في امور الدنيا قائم مقام العلم والامارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد اما الثاني فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة ان صبروا واتقوا لم يكن خروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولكن لما كذبوا في جوابهم قال هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المبني عن الدغل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم او المراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان الاقرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الآتي بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم

خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري احوالهم
فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون
وايضا يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب او في سكنى الدار
او في الجنسية في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه واعترض الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف وصف
بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال هو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا
في امر اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا تثبيط غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت ومن
يسمع يخل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك عن في القعود ونفر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا
دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان
القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يتحرز عنه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك فهو المراد بقوله وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا والخطاب
للرسول او لكل احد ومن قرا على الغيبة فالضمير للرسول والمراد لا يحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا تحسبن
الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه مذكور كلاهما كاحد المبتداء في قوله بل احياء اي هم احياء للدلالة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى
قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم فانزل هذه الاية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا
فقال يا عبدي سلني اعطك فقال اسئلك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا
رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم
نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء
متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فعن طائفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في العقبى وروي ان عبد الملك بن مروان لما راى الزهري وعلم فقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة
من قال المجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة وروي انه لما اراد معوية ان يجري العين الى قبور الشهداء
امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم
فانفطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما يغسل الاحياء وذهب طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء
والغرض تكذيب منكري المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب اولى وبانه نهي عن حسبانهم امواتا والذي يزيل
هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما رويناه عن
ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بدان يكون قبل
يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى
يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال
والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى اخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه
حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان
جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا او اماته الله ثم اعيد حيا وبهذا يثبت عذاب القبر و
ثوابه ويزول الشبهات ومن تامل في الامور الواردة عليه جدا حوال النفس مضادة لاحوال البدن وجد قوة احدهما مقتضية لضعف الاخر
كما ان البدن يضعف وقت النوم ويقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا عرضت للنفس عن النفس عن الطعام
والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي ازدادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها
المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بحيوة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل
تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها و
من الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة

في هذه المسئلة عندك خلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تتعلق ببدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من ان النفس ينقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ او تتألم بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي تقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك في اكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والآلات وبعد الموت يجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى ان يقوم القيمة الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم لعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء وافضى الامر الى الالجاء وهو السر في آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا وتعجلوا للثواب كما عجلوا في الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة وبه تثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذوو كرامة كقوله فالذين عند ربك او المراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم او المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية فرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم انما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبيه بالتألم فاكرمهم الله تعالى وازال لهم ذلك التعلق بان اعلمهم امن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حال انفسهم وذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم واعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم كرر هذا المعنى لمزيد التاكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل وهو التفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد بعرفنا ولاهما بغزوة حمراء الاسد الثانية بغزوة بدر الصغرى اما الاولى فما روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال لا اريد الا ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا باتيان جميع المأمورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روي انه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ومن في قوله للذين احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع النبي بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي ودفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة اخيها فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة اخرى قد قتل زوجها وابوها واخوها وابنها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك جلل واما الثانية فروي عن ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا

فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان
خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا
بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لاخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء
لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات
نوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين و
رجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فانزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني
نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان
الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال
نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس
بابي سفيان فدسهم الى المسلمين ليخوفوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب قال السدي هم منافقو المدينة كانوا لا يثبطون المسلمين
عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم
فزادهم نعيم او قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام فكان ذلك اثبت
ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالاية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب تزايدها ونقصانها
واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فقط وبان الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها جعلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق
الكلام لنا في هذا المعنى في اوائل الكتاب وكما انهم اضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل عليه السلام حين القي في النار فاظهروه باللسان و
قالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله في قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل الكافي والكافل والموكول اليه وهو ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا
فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل هو الربح بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل
ولا جراح وصفهم بانه حصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله
سبحانه وتعالى ثم روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهد بن حيث فعلوا
ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضله بهم ورحمته عليهم لم يحج احدا عمله الا
ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان المثبط هو الشيطان لعتوه وتمرده
واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه او الشيطان صفة لاسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه فلا
تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ان تؤثر خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء المثبطين والاولياء هم ابو سفيان
واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف التقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن
الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير في فلا تخافوهم للناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله و يخوفونك
بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو علي وزيفه ابن الانباري بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة
الى اضمار حرف الجر الله حسبي التأويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالان نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق
ببدنه جزاء له على تعجيل ذائقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد اكثرهم ثم تبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا
الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرع غموم
مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كالطبيعة وليس كل تعلق لهذا العالم سببا للتألم بل بعضه
سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء من يبلغ اخواننا عنا
انا في الجنة والذي جاء فيه ان ارواحهم في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن ان يخلق الله
ذلك جسما لطيفا شبه طائر يكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى يحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما
كون الطير خضراء فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما
سيؤول اليه اهل الجنة والنار يوم القيمة كالمتوسط بين الحالين الذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
وهذه المعاني ما وجدتها في كتب التفسير لنا وبابه رجوت ان اكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله اعلم بمراده هنا ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم ان

الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ
آنان که خریدند کفر را بایمان ضرر نرسانند خدا چیزی و مر ایشانراست عذابی دردناک و مپندارند آنان که کافر شدند که آنچه مهلت میدهیم ایشانرا بهتر است مر خود شانرا

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
جز این نیست که مهلت میدهیم ایشانرا تا زیاده شوند در گناه و مر ایشانراست عذاب خوار کننده نباشد خدا که واگذارد گروندگانرا بر آنچه که شما بر آنید تا که جدا کند ناپاک را از پاک

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا
و نباشد خدا که آگاه کند شما را بر غیب و لیکن خدا اختیار میکند از پیغمبران هر که را خواهد پس بگروید بخدا و پیغمبران او و اگر بگروید و پرهیز کنید

فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا
پس مر شماراست مزدی بزرگ و مپندارند آنانی که بخل میکنند بآنچه که داد بایشان خدا از افزونی خود آن بهتر است مر ایشانرا بلکه آن بد است ایشانرا زود است که طوق ساخته شوند آنچه

بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ع
آنچه را که بخل کردند بآن در روز قیامت و مر خدا راست میراث آسمانها و زمین و خدا بآنچه میکنید مطلع است بدرستی که شنید خدا گفتار آنانرا که گفتند که بدرستی که خدا محتاج است

وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
و ما هم مالداران هر آینه ثبت کردانیم آنچه را که گفتند و کشتن ایشان پیغمبرانرا بدون حق و میگوییم که بچشید عذاب سوزانرا این بآنچه است که از پیش فرستاد دستهای شما

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ
و آنکه خدا نیست ستمکننده مر بندگانرا آنانکه گفتند بدرستی که خدا عهد کرد با ما که نگرویم مر پیغمبری را تا که بیاید ما را قربانی که بخورد آنرا آتش

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ
بگو که هر آینه آمد شما را پیغمبران پیش از من با گواهان و بآنچه که گفتید پس چرا کشتید ایشانرا اگر بودید راستگویان پس اگر تکذیب کردند ترا پس هر آینه تکذیب کرده شد

رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
پیغمبرانرا از پیش تو که آورده بودند گواهان و نوشتها و کتاب روشن هر نفسی چشنده است مرگ را و جز این نیست که تمام داده شوید مزدهای خود را در روز قیامت

فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
پس هر که منع کرده شود از آتش و در آید در بهشت پس برستیکه بهره مند گردید و نیست زندگانی دنیا مگر بهره فریب هر آینه آزموده شوید در مالهاتان و در نفسهاتان

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ
و هر آینه بشنوید از آنان که داده شدند کتاب را از پیش شما و از آنها که انباز آوردند آزارهای بسیار و اگر تحمل کنید و پرهیز نمایید پس بدرستیکه این

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
از تتمه در کارهاست و چون فرا گرفت خدا پیمان آنهارا که داده شدند کتابرا هر آینه ظاهر نمایید از برای مردمان و پنهان نسازید پس در عقب گذاشتند آنرا

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا
و خریدند بآن بهای کم را پس بد است آنچه را که میخرند و مپندار تو آنهارا که شاد میکردند بآنچه یافتند و دوست دارند که ستایش کرده شوند بآنچه نکرده اند

فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ القراءة ولا
پس مپندار ایشانرا رستگار از عذاب و مر ایشانراست عذاب دردناک و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و خدا بر هر چیزی تواناست يحزنك من

الانفعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين امنوا تزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا
خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء في تحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها
بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على
الغيبة والاخريان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس مخير الباقون خفيف بفتح الياء وكسر
الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو لقد سمع وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء
وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب
الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح من مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه
بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير رويس وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف الكفر ج
للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام او الفا شياط في الاخر ج لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم شيئا ج لما ذكر في الاخرة ط
اليم لانفسهم ط اثما ج لما ذكر فيه مهين من الطيب ورسله ط عظيم خيرا لهم ط شر لهم ط القيمة ط والارض خبير اغنياء م لئلا يصير ما
بعده من قولهم ومن قرا بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرا ونقول بالياء لان التقدير وهو يقول الله او يقول الزبانية فلا يتعطف

على قوله سيكتب مع اتساق ائتي الحريق للعبيد لاحتمال الصفة وان يكون المراد هم الذين والوقف اولى لانه لا يظلم العبيد وكم العبيد الموم
نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تأكله النار ط صادقين ط المنير ط الموت ط يوم القيمة ط لابتداء شرط في امر معظم فقد فاز ط
الغرور ط كثيرا ط الامور ط ولا تكتمونه لان الجملتين وان اتفقتا لم يكن التبيين متصلا باخذ الميثاق فلم ينعطف الى ظرفه قليلا ط يشترون ه
من العذاب ج لما ذكرنا اليم ه والارض ط قدير ه التفسير نزلت في كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم واتاح العاقبة له وان جمعوا
الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة
احد ويؤيسونهم النصر والظفر او بما يقولون ان محمدا طالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه احد و
قيل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق ضرر به قال في نظم بعضهم
هذا القول بان المسارعة هي شدة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة
انما يليق بمن آمن فاستوجب الحظ ثم احبط وبان الحزن انما يكون على فوات امر مقصود وذلك هو ما اراد النبي من الانتفاع بايمانهم و
انتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى انه لا يحزن بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الآية فان قيل الحزن
على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب انه نهى عن الاسراف في الحزن بحيث يأتي عليه نظيره لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين او المراد لا يحزنوك بخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله اي دينه شيئا من الضرر يريد الله
الا يجعل لهم حظا في الآخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم
عذاب عظيم انه كما لا حظ لهم من منافع الآخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل
اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد اراد ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف
البتة ثم انزل في اليهود خاصة وهو الاشبه او في الكفار عامة ان الذين اشتروا الآية والغرض تاكيد تقوية قلب الرسول كانه قيل انهم
ينازعونك في الدين لا لاجل شبهتهم بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو ان يبيع بالقليل
من الدنيا السعادة الكثيرة في الآخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر بالغير ولو قيل ان الآية في المرتدين فالمعنى
ان اختيارهم دينا بعد دين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الرأي والانسان المضطرب الحال لا يقدر قلما على ايصال
الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرأ
بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول اول وان مع ما في
حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يصلح لاحد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع
السكوت على متاعك في التقدير ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي لا تحسبنهم
اصحاب ان الاملاء خير لهم او لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال املى عليه الزمان اي طال واملى له اي طول لهم
وامهله قال ابو عبيدة ومنه الملاء الارض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال تمليت عنده ملاوة من الدهر اي حينا و
برهة وانما نصب على التمييز وفي صفة العذاب بالاعظم ثم بالالم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا
يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والآية دلت على انها ليست بخير فيه لانه على انه سبحانه فاعل الخير والشر
وايضا نص على ان الغرض من هذا الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا اخبر عنهم انه لا خير لهم فيه وانهم لا يحصلون
منه الا على ازدياد البغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انهم مجبورون على ذلك في صورة مختارين اجابت المعتزلة بان المراد ان هذا
الاملاء ليس خيرا من موتهم شهداء اذ الآية من تتمة قصة احد لا انه ليس بخير مطلقا وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكرها الا مع المفضل عليه لكنه
لم يذكر فعلمنا انه لنفي الخيرية لا لنفي كونه خيرا من شيء آخر وعن الثاني ان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت
عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك للاضلال ويقال ما كانت موعظتي لك الا للزيادة في
تماديك في الغي اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم
مزدادون اثما على تقدير الاملاء علة فاعلية لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير وترتيبه
لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية و
رد بان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر انه لا يجوز في حكمته
ان يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين عن الآخر بالقاء الحوادث وابداء الوقائع كما في قصة
احد ليتميز الثابت فانها صيد اللئام وصيقل الاحرار فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من
اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه كان في حكمة الله ان يترك المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما الغثاث ...

الشيء بعضه من بعض لعوزه ميزاً وميزه تمييزاً وفي الحديث من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة وحجة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفرداً
الا انه للجنس والمراد جميع المنافقين مع المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فان
الميز يقع على الادون والاهون ثم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكاد غاهم النبي صلعم الى الخروج مع ما بهم من القروح
ومثل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل
بالوحي الى نبيه ولهذا اردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي اي يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبناء الكلام
على ثلث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذي استاثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول
ايضاً لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه بخاصية فيه لكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن
وذاك منافق الثالثة ان هذا ايضاً مختص ببعض الرسل في بعض الاوقات بحسب مشيته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله
ان تعتقدوه وحده عالماً بالغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيداً مصطفين لا يعلمون من الغيب
الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلاناً مؤمن وفلاناً
منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب
ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي يتميز بها الفريقان
ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء او المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول
ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر
بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبع الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله صلعم
عرضت على امتي في صورها كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن
به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في النار
والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال
ابو العالية نزلت حين سأل المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل
النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافاً اي لا تحسبن بخل
الذين يبخلون هو خيراً لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احداً ومن جعل الموصول فاعلاً فالمفعول الاول محذوف للدلالة
التقدير ولا يحسبن هؤلاء بخلهم هو خيراً لهم وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الاية نزلت في مانعي الزكوة ثم رتب
الوعيد عليه في سوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لا وعيد عليه ولم يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي
حكم الزكوة ساير المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم
عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلعم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم
الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عوداً الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب فيعضد ان كثيراً من آيات
بقية السورة فيهم على هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقاً من النار كقوله صلعم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم
بلجام من نار والسر فيه انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولاً على ظاهره وهو ان يجعل
ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه يقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلعم ما من رجل
له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقاً في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا تحسبن الذين
يبخلون الاية وعن ابن عمر قال قال صلعم ان الذي لا يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيمة شجاعاً اقرع له زبيبتان فيلزمه او يطوقه يقول
انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقاً اي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق وفي امثالهم يقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس
انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان
به فيكون ذلك توبيخاً على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكناً ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما
من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من
من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان
اذا تفرد به بعد ان كان مشاركاً له فيه ومثله وورث سليمان داود اي انفرد بذلك بعد ان كان مشاركاً له فيه وتغالبا عليه والله بما
تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهي ابلغ في الوعيد لان الغضب

كانه تناهى الى حد اقبل على الخطاب وشافههم بالعتاب ثم شرع فى حكاية شبه الطاعنين فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما امر بالانفاق فى سبيل الله قالوا لو كان
محمد صادقا فى ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضا لو كان نبيا لكان انما
يطلب المال لاجل ان يجئ نار من السماء فتحرقه كما كان فى الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبى فهذا بيان النظم وليس
فى الاية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم فى موضع اخر يد الله مغلولة عنوا انه بخيل
وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز
عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غنى ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدى ومقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابى بكر الى يهود
بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو
من علمائهم انزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطم فى وجهه وقال لولا الذى بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر
ما الذى حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الاية تصديقا لابى بكر
وايضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا لما طلب منهم الجهاد
ببذل النفوس والاموال كانوا قد قالوا ما كان الا لاغنياء فاى حاجة الى اموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما يستقيم قوله
لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يجبهم عن شبههم اما على قواعد اهل السنة فلان
يقول هذا يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يامر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة
فبان فى هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب منها التوسل الى الثواب العظيم منها تسخير البعض للبعض وبذلك يرتبط امور
التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة وروده فى القران لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى
لا يحتاج فى ذاته ولا فى شئ من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك فى كمال غناه فى وجوده فقد عاد
بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولى الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة
الوعيد سنكتب ما قالوا فى صحائف الحفظة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما
نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق هو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول
كالاليم بمعنى المؤلم او سميت باسم صاحبها اى ذات حرقة والمعنى ننتقم منهم فنقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا
القول يحتمل ان يقال عند الموت او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب او
الوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدى لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب
وان كان بعضه باللسان او بسائر الجوارح والالات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما فى سورة الحج
قال الجبائى قوله وان الله اى وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم الذنب
وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان
الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك
الملك والمالك ذا تصرف فى ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير
عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضى بان العذاب الذى توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على
حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكرنا ان ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين اقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم
عنه فى قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له ان يتصرف فى ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم
ان تصدر عنه كانه قال ان تخيل اليكم ان فى الوجود شرا بناء على ما فى ظنكم من ان الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل لتبعيته الخير الكثير فاعلموا انه
منزه عن صدور الشر الكثير منى وان هذا من الشر القليل الذى فى ضمنه خير كثير ونقول المراد نفى الشر القليل واصل الظلم عنه ولكن القليل
من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم ذكر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا
قال الكلبى نزلت فى كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيى بن اخطب اتوا رسول الله
فقالوا انزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك الكتاب فان الله قد عهد الينا فى التوراة الا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند
الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون
الشحوم واطايب اللحم فيضعونها فى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبى فى البيت ويناجى ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون

حول البيت فينزل نار بيضاء لها دوي حفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران و
الرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه
للعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم
بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمد فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة
واية لصحة النبوة سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة وان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا
ان يجيء بهذه الاية المعينة وح لا يكون سائر المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة
يطالب بالمعجزة اية كانت وح يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فانهذا انبههم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم اي بمدلوله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر
مجيء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة
وعلامة لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث ضم
اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب بالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة
والنبوة او في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك فاي سلوة المصيبة
اذا عمت طابت جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب قال الزجاج
الزبور كل كتاب ذي حكمة فيشبه ان يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح
المستنير وبعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف
الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة والاستنارة اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم تشريفا مثل وملائكته وجبريل وميكال
وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما
يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس المكلفة
فان التعميم لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك كذا الجمادات لان لها ذوات ولقوله
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا لاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار
التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما
نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الاية دليل على ان المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد ان يكون
باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية
ثم الحرارة الغريزية تؤثر في تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال يستمر هذه الحالة الى
ان تفنى الرطوبة الاصلية وح فينطفي الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح
المجردة لا موت لها وناقشهم المسلمون فيه فانما توفون اجوركم يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم
كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزح التنحية والابعاد والزحزحة تكريره فقد فاز لم يقيد
الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذا فقد فاز الفوز المطلق المتناول
لكل ما يفاز به قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه فالاول غاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
تبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن علي بن ابي طالب
لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها
على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت
الواو لالتقاء الساكنين لم يجب قبلها من الضم المراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من
الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف والهلية واغراء المخالفين وتحكمهم
عليهم والمنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به تتقوا المخالفة او تصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات
فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي لا يترخص العاقل في تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب وهو من عزائم
الله ومما الزمكم الاخذ به قال الواحدي كان هذا قبل نزول اية القتال قال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخا
باية السيف فالمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير الاحوال والامر بالقتال

لا ينافي

الدنيا فى الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودى كان شاعرا وكان يهجو النبى صلعم ويحرض عليه كفار قريش فى شعره
وكان النبى صلعم قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبى صلعم ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه
ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الاية وروى ان رسول الله صلعم ركب على حمار واردف اسامة بن زيد
وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابى وذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا فى المجلس
اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفى المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابى انفه بردائه وقال لا
تغبروا علينا فسلم رسول الله صلعم فنزل ودعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابى ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا
فلا تؤذينا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله صلعم فاغشنا به فى مجالسنا فانا
نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى صلعم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلعم دابته فسار حتى دخل
على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله صلعم
اعف عنه واصفح فوالذى انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى نزل عليك وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذى اعطاكه شرق بذلك ففعل به ما رايت فعفى عنه رسول الله صلعم وانزل الله هذه الاية ثم انه تعالى عجب من حال اليهود انه كيف يليق
بحالهم ايراد الطعن فى نبوته مع ان كتبهم ناطقة بها ايضا من جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب والضمير فى لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور اى لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدى وقال الحسن وقتادة يعود
الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له بالله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو
للحال اى غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وانه لم يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهى عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد
فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشئ المطروح المتروك عن على ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا و
قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا
علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا به الى وجدان حظ يسير من الدنيا
فبئس ما يشترون هو ويدخل فى الوعيد كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم واستجلاب لمبارهم ولتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا اخر من ايذاء اليهود واوعدهم عليه تسلية
رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرا بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول ولكل احد والمفعول الاول الذين يفرحون
والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التاكيد من ضم الباء فى الثانى مع تاء الخطاب فى الخطاب للمؤمنين
ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين والثانى للتاكيد ومعنى
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ومعنى بمفازة من العذاب بنجاة منه اى بمكان
الفوز وقال الفراء اى ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه فى الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان
كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذا انما دعا النبى صلعم يهود فسألهم
عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب الايتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود فى الارض كلها
ان محمدا ليس نبى الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقران ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذى
جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة نحن اولياء الله فذلك قوله يفرحون بما اتوا بما فعلوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية يعنى بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابى سعيد الخدرى ان رجالا من المنافقين
كانوا اذا خرج رسول الله صلعم الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا عنه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية
وهذه الوجوه كلها مشتركة فى الاتيان بما لا ينبغى ومحبة الحمد عليه وصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن الضعفاء من انفسنا نجد
الاكثر يجارى امورنا على هذه الحالة فنسئل العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض انه كيف يرجو
النجاة من كان معذبه هذا القادر والغالب البخلاء التاويل هو خيرا لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتى البخل والسخا بمنزلة الاكسير حتى يجعل
الخير شرا او بالعكس سيطوقون تشبيه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه ينشا معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر
والغضب والبخل حب الدنيا راس كل خطيئة ولله ميراث السموات وارض الانسان وارث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون اذ ما
من عبد وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات وماتت قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله

فقير ونحن اغنياء فبان الانسان ليطغى ان راه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفا
الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة انا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار قالت
يهود صفات النفس البهيمية السبعية والشيطانية لا انقاد لرسول اى لخاطر رحمانى او الهام ربانى حتى يأتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها
نسيكة لله عز وجل تاكله نار الله الموقدة التى تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله
فلا تاكل نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلى اى واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذى قلتم اى يجعل الدنيا قربانا
فلم قتلتموه فلبستموهم ومحوتموهم حتى لم يبق اثر الوارد ان كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء ولا بد لها من موت فمن كان
موته بالاسباب يكون حيوته بالاسباب ومن كان فناؤه فى الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من اهل العلم الظ
ومن اهل الريا اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم
الامور اى من امور اولى العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله اعلم اِنَّ فِىْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَ ع ١
بدرستی کہ در آفریدن آسمانها و زمین و گردش شب و

النَّهَارِ لَاٰيٰتٍ لِّاُولِى الْاَلْبَابِ ۝ الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ قِيٰمًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُوْنَ فِىْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
روز هر آینه نشانهاست صاحبان خرد را آنانکه یاد آورند خدا را ایستاده و نشسته و بر پهلوهای خود و اندیشه نمایند در آفرینش آسمانها و زمین

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا ۚ سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَآ اِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ اَخْزَيْتَهٗ ۗ وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ
پروردگارا نیافریدی اینرا باطل منزهی تو پس نگاهدار ما را از عذاب آتش پروردگارا بدرستی که تو هرکرا در آری در آتش پس رسوا کردی او را و نیست ستمکاران را

مِنْ اَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَآ اِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُّنَادِىْ لِلْاِيْمَانِ اَنْ اٰمِنُوْا بِرَبِّكُمْ فَاٰمَنَّا ۖ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّاٰتِنَا
یاوری پروردگارا ما شنیدیم بانگی را که ندا میکرد برای گرویدن که بگروید به پروردگار خود پس گرویدیم پس بیامرز گناهان ما را و برطرف کن گناهان ما را

وَتَوَفَّنَا مَعَ الْاَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَاٰتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلٰى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ اِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ
و باز دار ما را با خوبان پروردگارا بده ما را آنچه وعده کردی بر زبان پیغمبران و رسوا مکن ما را روز قیامت بدرستی تو خلاف نمائی وعده را پس مستجاب کرد

لَهُمْ رَبُّهُمْ اَنِّىْ لَآ اُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى ۚ بَعْضُكُمْ مِّنْۢ بَعْضٍ ۚ فَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا وَاُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ وَاُوْذُوْا فِىْ
ازبرای ایشان پروردگار ایشان که من ضایع نکنم کردار شما را از مرد و زن برخی از شما از برخی پس آنان که ترک وطن کردند و بیرون شدند از خانهای خود و آزار کشیدند در

سَبِيْلِىْ وَقٰتَلُوْا وَقُتِلُوْا لَاُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ وَلَاُدْخِلَنَّهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ ۚ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ ۗ
راه من و کشتند و کشته شدند هر آینه برزدایم از ایشان گناهان ایشان را و هر آینه در آورم ایشان را در بهشتها که روان است زیر آنها جویها ثوابها از نزد خدا

وَاللّٰهُ عِنْدَهٗ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِى الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ ۟ ثُمَّ مَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ ۗ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝
و خدا در نزد اوست نیکو ثواب فریب ندهد ترا گردش آنانکه کافر شدند در شهرها بهره ایست کم پس آرامگاه ایشان دوزخ است و بد جاییست

لٰكِنِ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ ۗ وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ لِّلْاَبْرَارِ ۝
لکن آنهائی که پرهیز کردند پروردگار خود را ایشان راست بهشتها که روان است از زیر آن جویها جاویدانان در آن مهمانی از نزد خدا و آنچه در نزد خداست بهتر است مر نیکان را

وَاِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ لَمَنْ يُّؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ خٰشِعِيْنَ لِلّٰهِ ۙ لَا يَشْتَرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ ثَمَنًا
و بدرستی که از اهل کتاب هر آینه کسی هست که میگرود بخدا و آنچه فرستاده شد بسوی شما و آنچه فرستاده شد بایشان فروتنان مر خدا را نفروشند آیات خدا را بهای

قَلِيْلًا ۗ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ اِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اصْبِرُوْا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا ۟ وَاتَّقُوا اللّٰهَ
کمی آن گروه مزد ایشان در نزد پروردگار ایشان بدرستی که خدا زود حساب کننده است ای زمره آنها که گرویده اید صبر کنید و در صبر غالب آئید و پیوند کنید و پرهیز کنید خدا را

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ۝ القراء الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد ورجا الكسائى والبخارى عن ورش وخلف وابن مجاهد النقاش
شاید که رستگار شوید عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد النقاش فى جميع القران وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلى
وخلف وقرا ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد
نزلا حيث كان بالاختلاس عباس الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة صفة او مستانفا نصبا او رفعا على المدح بتقدير اعنى
الذين او هم الذين والوصل اشهر والارض ج لحق المحذوف اى يقولون ربنا باطلا ج للابتداء سبحانك تعظيما والا فالقول محذوف
التعقيب متعقب النار اخزيته ط انصار فامنا قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف
على امنا اى امنا فاغفر الابرار ج للاية وللعطف يوم القيمة ط الميعاد انثى لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتداء من بعض ج و
الانهار لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط الثواب البلاد ط لان التقدير لهم متاع او ذلك متاع جهنم المهاد من
عند الله ط للابرار لله لا لان ما بعده حال اخر قليلا ط عند ربهم ط الحساب تفلحون التفسير لما طال الكلام فى تقرير القصص والاحكا

عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجيب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي ان النبي كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الى ان عد ثمانية دلائل ههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها اقهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله وكبريائه اسهل وانما قال في تلك السورة لآيات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لآيات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير قد مر هنالك ثم بعد الدلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي ان يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون الله اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع حال اخرى معطوف على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قال من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاضطجاع وهذا موافق لمذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استكمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب فالصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذلك وضع الغافلين وقال ابو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله لقوله صلعم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوق ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن حصول صورة الشيء في النفس فيكون الصورة مخالطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شيء الا انه بكل محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعرف بان في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهة شيء من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف والى الاخير وجهة فيقول سبحانك اي نزهناك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق في بحار العظمة وجهة الجلال هذا المبلغ وجد نفسه نشرة من ذرات الكائنات وانغمس في حضيض عالم البشرية مخالطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي ابلغت في اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفي كلامهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك ثم توسل الى ما سئل بالايمان بمجامعه وذلك قوله ربنا اننا سمعنا مناديا الآية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والآيات على وجه القوي روعي والله اعلم باسرار كلامه عن النبي بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق اي الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شانه معقود به الهمم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال و باطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اي بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد لاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة تنزيها له عن العبث ان يخلق شيئا بغير حكمة

نوجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا بمرجح عام وذلك المرجح لا بد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله تعالى بمصالح العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي والاضمحلال والمراد انه خلقهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما في غاية متانة التركيب بعيدة البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف نفسه بالغنى اقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والاخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالاية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركاتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك قالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان تكون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من آمن مع النبي مخزيا ان لا يكون غيره وهو مؤمن مخزيا وايضا الاية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا في حق الكفار الذين دخلوا النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت العاقبة الخروج وقوله لا يخزي نفي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والمدخل في النار مخزي لهذه الاية والمقدمات باسرها محل المنع اما الاولى فلاحتمال ان لا يسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا واما الاخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما تقرر انفا وقد تمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد تمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب ان الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تاثير للشفاعة الا باذن الله فيؤل معنى الاية الى ان الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز لهم هذه الحجة بخلاف الفساق وايضا دلائل الشفاعة مخصصة لعموم الاية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورض بالايات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ادع الى سبيل ربك ادعو الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعو من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لدلالته قال يا واضع الميت في قبره خاطبك الدهر فلم تسمع يقال ينادي لكذا والى كذا ودعاه لكذا واليه وهداه للطريق والى الطريق فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير اي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء منادي الامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة او مخففة معناه اي آمنوا او بان آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد او الاجمال ثم التفصيل من رفع شان المطلوب والمجمل وكونه ادفع في النفس واوقع فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء

وقيل الاول الكبائر والثانى الصغائر وقيل الاول ما تقدم منهم والثانى المستانف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه معصية و
ذنبا والثانى ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اى معدودين منهم وفى اتباعهم او مشاركين لهم فى الثواب على مثل اعمالهم
ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعى فى هذه المسئلة اى مساو له فى ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط
بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة التعقيب فى فاغفر بعد قولهم امنا ثم انه تعالى
اجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبى صلعم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادى للايمان وهو الرسول عقيب قوله امنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك
وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما
عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك فى المتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم
بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به فى اخر الادعية لان معظم الغرض فى الدعاء اظهار سيماء العبودية او المراد وفقنا للاعمال التى نصير بها اهلا
لوعدك واعصمنا عما نكون به اهلا للاخزائك وطلبوا التعجيل النصرة على الاعداء او المراد احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل
على انهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم
القيمة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الايات انهم نظروا فى المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا
ربنا ثم تفكروا فى عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا
بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا فى غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة
التكليف الجنة او النار فتضرعوا الى معبودهم فى توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة جعلوا
اول دعائهم واخرهم الاستعاذة من العذاب لان العذاب الروحانى عند العقلاء اشد من العذاب الجسمانى فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة
من الاخزاء اللهم شاركنا فى هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين فى ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف
الغطاء عن جعفر الصادق من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم فى هذه الايات
انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اى اجابهم انى اى بانى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من فى منكم للتبعيض
لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين وفى من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثواب بعضكم من
بعض اى يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اى من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم
كما يقال فلان منى اى على خلقى وسيرتى قال صلعم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء
مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله صلعم انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء
فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا اوطانهم مع الرسول صلعم او بعده باختيارهم واخرجوا
من ديارهم الجاهم الكفار الى الخروج واوذوا فى سبيلى بريد الدين وطريق وقاتلوا وقتلوا من قرا بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل اى قطعوا
ومن قرأ قتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا يفيد الترتيب الطبعى فالمراد قاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت امارات
القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد اى قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذى طلبوه بقولهم ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار وهو الذى طلبوه بقولهم ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذى طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اى ثوابا
يختص به وبقدرته وبفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندى ما تريد اى اختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا
نصب على المصدر المؤكد اى اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم قال الكسائى هو منصوب على الحال
وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات
العالم بكل المعلومات القاضى جميع الحاجات وفى تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق فى دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكمة الله تعالى
تقتضى نوط الثواب بالجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهملوا جانب العمل باساءة الظن بخبر الله تعالى انه استجاب لهم لا
نه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدى الدعاء يعنى قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين
الثواب العظيم وكانوا فى الدنيا فى غاية الفقر والشدة والكفار كانوا فى النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف
يسمعه اى لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبى الله حتى قبضه الله او له والمراد هو فلعل السبب فى
عدم اغتراره هو تواتر امثال هذه الايات عليه قيل ان مشركى مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب فى الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد تقلبهم تبسطهم وتصرفهم

في المكاسب والمزارع والمتاجر تلك التقلب والكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما وعد الله للمؤمنين من الثواب
او هو قليل في نفسه لانه بالنسبة لمدته الى ما بين امدى الازل والابد ومع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت
سببا للمضرة العظيمة لم يكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما
يعد للضيف ويعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء آخر يكون اصلا بالنسبة
اليها قلت ويحتمل ان يكون قوله وما عند الله باقي اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى
وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف و
العامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين
وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب وهذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل
نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فاسلموا
وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال
رسول الله لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج
حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان وعلى اسمه عند الفصل
كما في الآية والمراد بما انزل اليكم القرآن وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ
تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شأن
هذا الوعد حسب ما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي ما لكل احد من جزاء
الحسنات والسيئات والمراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بقرب حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة
الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامرهم بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة
التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها و
مخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل والمدينة فامرهم بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب
وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان او بالسنان ثم انه لا بد
للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط
الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها
فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الآية مشتملة
على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي
تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه لسبب الفقر والجوع
وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد قال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال
الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة
ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال الآخر
قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا
يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن
رسول الله غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابي هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلك
الرباط ثلث مرات والله اعلم التاويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها وحرارها واختلاف ليل البشرية
وصفاتها ونهار الروحانية وانوارها لآيات لاولي الالباب الذين عبروا بنفوذ الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى
لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا دائما ناولوا
هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما
خلقت هذا باطلا اي خلقته لاظهار الحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا بالعدل عنا
عذاب نار قهرك والبعد منك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا
اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بسمع الحقيقة مناديا فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل

ان تحلقنا فاغفر لنا بفضلك و رحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر و الباطن من ذكر او انثى قد قيمتكم ورجوليتكم فالذين هاجروا
عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة و ديارها الى عالم الحقيقة
بسطوات تجلى صفات الربوبية واوذوا فى طلبى بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات
وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص
والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب
والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق
تجرى من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند
الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء الظاهر علما متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله
الذى دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما انزل
اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال عم اذا تجلى الشىء خضع له لا يشترون لما اوتوا
من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل فناءهم
اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا فى مراقبة القلب عند الابتلاءات و
رابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله فى الالتفات الى ما سواه لعلكم
تفلحون تفوزوا بالبقاء بالله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين

مدنية

سورة النساء

حروفها ١٦٠٣٠ وكلامها ٣٧٤٥ آياتها مائة وست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون ع ١٢
ای گروه مردمان بپرهیزید پروردگار خود را که آفرید شما را از یک نفس و آفرید از آن جفت او را و پراکنده گردانید از آن دو مردان بسیار و زنان و بپرهیزید خدای را که سؤال میکنید
به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان
با همدیگر بوی و از برسید از قطع ارحام بدرستیکه خدا هست بر شما نگاه دارنده و بدهید یتیمان را مالهای ایشان و بدل مکنید ناپاک را بپاکیزه و مخورید مالهای ایشان را با مالهای خود بدرستیکه آن
حوبا كبيرا وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما
گناهیست بزرگ و اگر بترسید از آنکه عدالت نورزید در باره یتیمان پس نکاح کنید آنچه پاکیزه است از زنان دو تا و سه تا و چهار تا پس اگر بترسید که بعدالت رفتار نکنید پس یکی را آنچه
ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
در تصرف دارید از کنیزان این پست تر است از آنکه میل کنید و بدهید بزنان مهرهای ایشان را که در شرع معین است پس اگر ببخشند از طیب نفس از مهر چیزی را پس بخورید آنرا گوارنده
ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا
و مدهید به بیخردان مالهای خود را که قرار داده است خدا از برای شما قیام و زندگانی و روزی دهید ایشان را و بپوشانید ایشان را و بگوئید با ایشان گفتاری خوش آینده و بیازمائید یتیمان را تا که چون برسند
النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
بحد نکاح پس اگر دریافتید از ایشان ترقی پس بسپارید بایشان مالهای ایشانرا و مخورید آن مال را از روی اسراف و پیشی گرفتن بر بزرگ شدن ایشان و هر که صاحب چیزیست پس عفت داری کند و هر که بی چیز است
فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ومما ترك
پس بخورد باندازه پس چون رد کردید بسوی ایشان مالهاشان را پس گواه گیرید بر ایشان و بس است خدا محاسب مر مردان راست بهره از آنچه گذاشته اند پدر و مادر و خویشان آنچه
منه أو كثر نصيبا مفروضا وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين
از آن یا زیاد بهره واجب و چون حاضر آیند قسمت را خداوندان خویشی و بی پدران و بینوایان پس بدهید ایشانرا از آن و بگوئید مر ایشانرا گفتاری خوش و باید که بترسند آنها
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون
که اگر گذارند از عقب خود فرزندان ناتوان که بترسند بر ایشان پس باید که بپرهیزند از خدا و بگویند گفتاری محکم بدرستیکه آنانیکه میخورند مالهای یتیمان را بستم جز این نیست که میخورند
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا القراءة تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف عباس مخير الباقون بالتشديد لادغام تاء
در شکمهای خود آتش را و زود است که داخل شوند در جهنم التفاعل في السين والأرحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب لإمالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون
بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على أنهما وقف وإذا انفرد هنيئا همزها كل القراء يزيد قياما ابن عامر ونافع الباقون
قياما ضعافا بالإمالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلي وخلف لنفسه وقتيبة على أصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل
الباقون بفتحها الوقوف ونساء ج لأن الجملتين وإن اتفقتا إلا أنه اعترضت المعطوفات والأرحام ط رقيبا ه بالطيب ص إلى أموالكم ط كبيرا ه ورباع ج
أيمانكم ط ألا تعولوا ط نحلة ط لأن المشروط خارج عن أصل الموجب مريئا ه معروفا ه النكاح ج أموالهم ج أن يكبروا ط لابتداء الجملتين
متضادتين فليستعفف ج بالمعروف ط للعدول إلى أصل الموجب بعد وقوع العارض عليهم ط حسيبا ه والأقربون الأولى ص أو كثر ط نصيبا مفروضا ه
معروفا ه خافوا عليهم ص سديدا ه نارا ط سعيرا ه التفسير كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الأولاد والنساء والأيتام

والصلة حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل ما عداهن الى غير ذلك من امهات مكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القران ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما في النصف الاول وهي الرابعة من سوره والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سوره ثم التي في النصف الاول صدرت بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني صدرت بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة اما القيد الاول وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد للتكاليف والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شان العبد امتثال امر مولاه في كل ما يامره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة والعلة الموجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد اخر منها انه امر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من اصل واحد اردية واحدة اعون على هذا المعنى ولهذا قال ص فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر انه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي لانه لم يقرأ كتابا ولا راجع المفسرين على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا آدم هو والتانيث في الوصف نظرا الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف ما روي عن النبي ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها الخ وجمع من الطبائعيين بالاتفاق على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض لنفي العرض محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء من واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي انشاها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بحضرة رسول الله اي خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الفروع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر اقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة لانه لم خلق بني آدم من نفس وخلق منه زوجها ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان لا يستفاد بها الفائدة العطف بالواو وفي الجمع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى اعلم رجالا وبث منهما فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم فكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على انه اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز ولائق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسيهما ثم ان هذا البث ليس محمولا على ما عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما ومن اولادهما جمعا آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرأ بالنصب فللعطف على اسم الله اي واتقوا حق الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما للعطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء اي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تمام ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالآباء وههنا حلف بالله ثم قرن به الرحم فاين احدهما من الاخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنها لكن لا نسلم انه نهي عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما هو على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انها منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتسائل وهو سؤال البعض البعض اسئلك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها مما يتقى ويتساءل به فان قيل لم قال اولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتاكيد كقولك للرجل عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب ولفظ الله تدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه رباك واحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب قال العلماء في الاية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله من سألكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول الله بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الاية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما

من سمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا بنى اصحاب ابي حنيفة
على هذا الاصل مسئلتين احداهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن
الاستخدام ايحاش يورث قطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها لان ذلك ايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن
الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع اعمالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة
ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى اموالهم واصل اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم
فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالصغير يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام
الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون
يتيما لا يجوز دفع امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم فالجواب طريقان احدهما
ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبيل
السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ
وقال صلى الله عليه وسلم تستأمر اليتيمة في نفسها ولا تستأمر الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يماطلوا
ان أونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما روى مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير
لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي
الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الطريق الثاني ان المراد بايتاء اليتامى الذين هم يتامى في الحال ان لا يتعدى ولي اليتيم على اموالهم وان يؤتيهم
من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج اي لا تتبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار اولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان يأخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردي قال صاحب الكشاف
هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل بل يريد ان الباء في تبدل تدخل على الماخوذ وفي تبديل على المعطى ولما كان الماخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه
لعله يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون تبدلا وضعف وقيل معنى الآية ان يأكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله
فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم في الانفاق سوية بينها لا تفرقوا بين الحلال والحرام انه اي الاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى
ههنا بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله الى اموالكم واكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين
عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم
وان خفتم ان لا تقسطوا اقسط الرجل عدل وهو مقسط قال الزجاج اصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من
قولهم قاسطته فقسطته اي غلبته على قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل انصف اي اتى بالنصف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم
ان قوله ان خفتم شرط وقوله فانكحوا جوابه ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روي عن عروة انه
قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها و
جمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج
عنها فقال تعالى وان خفتم ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الآية فيهن فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الآية فقوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الآية وهي قوله
وان خفتم ان لا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها ضنا بها
من غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا
في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية
المتقدمة في اكل اموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء لحوق الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج

واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن وقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء الا انهن كاليتامى في العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فكأنه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنى ايضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روى عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق ماله نفسه على النسوة اخذ في انفاق اموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم ان تظلموا اليتامى باكل اموالهم عند كثرة الزوجات فقد حظرت لكم ان تنكحوا اكثر من اربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع والناقص وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكأنه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال اهل الظاهر النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله ثم ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وايضا الاية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه اراد به الجنس تقول ما عندك فيقال رجل وامرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك او ما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان منهن من يحرم نكاحها كما سيجيء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فيؤول المعنى الى قوله ابحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدرك سلمناه لكن الاية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الاية عامة دخلها التخصيص وانه اولى من الاجمال لتعاضد الادلة لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشيء ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا ايضا كقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعد ما اخرجته اية التحريم فلا اجمال واما قوله مثنى وثلاث ورباع لم يوجد في كلام الفصحاء الا هذه واحاد او موحد وثناء او مثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع وجوز الى عشار او معشر قياسا على قول الكميت فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على ان فيها عدلا محققا وذلك ان فائدتها تشبيه ذي اجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه غير العدد مكررا على الاطراد في كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزءا جزءا وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر ولفظا حكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فعند سيبويه منع صرفه مثل هذا العدل والوصف لا الاصلي فان هذا التركيب يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من جهة اللفظ لان اصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث ومثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذا جرى على النكرة فيحمل على البدل وضعف بعد جريانه على المعارف ولو توجها الا فمعنى الاية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة ومن قرء بالنصب اي فاختاروا او انكحوا او الزموا واحدة ومن قرء بالرفع اراد فكفت واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فحيثما وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم في السوية في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شئتم من الاماء لانهن اقل تبعة واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن او اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل لما كان للتسوية بينها وبينهن ما احتج بها الشافعي في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون افضل من النكاح لان الزائد على احد المتساويين زائد على الآخر ولمانع ان يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل ان يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة الضرورية ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان اكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع للاحرار والعبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يمكن من النكاح الا باذن مولاه وايضا انه قال بعد ذلك فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه الخطابات وردت متتابعة على نسق واحد فبعيد ان يدخل التخصيص في اللاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا والعبد لا ياكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الاية ومن الفقهاء من سلم ان ظاهر الاية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان الرق له تاثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق في جميع الاعداد بدليل صحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تنصيصا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد ممتنع فذكر بعضها تنبيها على حصول الاذن في جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها واما السنة فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع ثم انا امرنا باتباعه في قوله فاتبعوه وقال ليس مني من رغب عن سنتي فلو لم يكن التسع مباحا لما امرنا باتباعه وقد قال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران احدهما الخبر كنحو ما روى

الربع

ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال له امسك اربعا وفارق واحدة ورتب بان القرآن دل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا والسنة القولية بخبر الواحد تجاوز وبان الامر فيهما لما فيه الزيادة فقد يكون لمانع النسب او الرضاع وان قول القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وايضا قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث ثانيهما اجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعتد به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع باو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ ان لا يجوز النكاح الا على احد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم ان ياتي بالتثنية ولبعض آخر ان ياتي بالتثليث ولآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وذلك ادنى ان لا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا او لا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها فيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه ان لا تفتقروا وعيل عائل اي تفتقر وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه ان لا تكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال عال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس ان لا تعيلوا وايضا انه لا يناسب قوله الا فان خفتم ان لا تقسطوا وايضا فيه نقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تفسير اللغة وانما زعم انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى الا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان تحمل الكلام على ما لا يلزم منه تكرار اولى بتقدير التسليم فتفسير الشافعي ايضا يؤول الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرن فله ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا عيال وايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهائر فان الخلاص عنهن يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكان مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تاخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما ياخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وامر بدفع الحق الى اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكون امرا بدفع المهور التي سموها لهن ويحتمل ان يراد الالتزام كقوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي ذلك ولم يسم الا ما خص به الرسول من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي فريضة او ديانة فيكون مفعولا لها او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يؤتي الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات اباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلتبس ان النفس لهن ولا انفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق او للمذكور وفي قوله طبن بناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون ان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه على ان قبوله انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعثهن على تقليل الموهوب ولهذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها او اكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخراجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لا انه لا يجوز هبة كل الصداق اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال للمريء مجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب بالجملة فهو عبارة عن التحلل

ويلزم مهرها

او المبالغة

او المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما قاما مقام مصدريهما اي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا وان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فورد ان الانسان لو قيل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الواحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه لكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل انفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة ادنى سبب وقيل خطاب للآباء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب اجله يجب عليه ان يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته وقد رجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم وقد اجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب اولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وبانه قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا فهذه الاوامر هنا يناسب حال الاولياء لا الآباء والقول الاخير يحمل الآية على كلا القولين لان الاضافة في اموالكم لا يفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية او اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء ازواجا كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة اطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم اولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير انه اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يهتدي له باصلاحه وتثميره والتصرف فيه فيدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل الدين والعلم بمصالح الدارين فيضيع المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام واصله قوام فقلبت الواو ياء للاعلال في فعله فان لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادنتني فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجدلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابو العتاهية اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل اذا مال الدنيا على المرء رغبت اليه ومال الناس حيث يميل ولبس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل وقد اختلفت اقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا قول من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال لانه بذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث امر بالكتابة والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فبئسها من خزي وندامة ثم انه سبحانه امر بعد ذلك بثلاثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها وانما لم يقل منها كيلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل امرهم بان يجعلوها مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروها حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من اصول الاموال وصلبها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقول اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم بما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلوة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول

سؤال العطاء

او عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فمنكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد
منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني ويدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين قمريه او يبلغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية
وللنساء امارتان اخريان الحيض والحبل ولحصول الكفاية امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس فمعنى اللغة الابصار والمراد
في الاية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم ودينهم واحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ
ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المامور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى
وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لانه لا يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف
على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسب ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى بحضوره ثم باستكشاف
ذلك البيع والشرى منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك
يتم العقد لو اراد وولد الزارع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ
الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين او اكثر على ما يليق بالحال ويفيد علبة الظن
انه رشيد نوعا من الرشد يعتد به لا الرشد من جميع الوجوه على اكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من
الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يفسد التبذير على خديعة ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله
وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء الى المصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن
فرعون في قوله وما امر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه ثم انه
اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند صاحبي ابي حنيفة وعند الشافعي
لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الاية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ثم قال ولا تاكلوها اسرافا
وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ومجاوزة الحد
والاسراف والكبر في السن يقال كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبارة اي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما نهاهم
قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه ولينزه وفي السين زيادة مبالغة كانه طلب زيادة العفة
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان ياخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر اجرة
عمله لان النهي في الاية عن الاسراف مشعر بان له ان ياكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما
افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى
عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا
واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف والاية قياسا
على الساعي في اخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا هنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان ياخذ
بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقراض انما جاء في اصول الاموال
من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فيباح له اذا كان غير مضر بالمال قال ابو بكر الرازي
الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا ياخذه لا على سبيل القرض ولا الابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم واجيب
بانها عامة وقوله فلياكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل
الوصي مال اليتيم ظلم ام لا قال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم
بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه
قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على
الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب لانه مبين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي
ولا كمال الشفقة كالاب فلم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفيرا الناس عن قبول الوصاية وكفى
بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض ومحاسبا كالشريك يعني لتشارك فيه تهديد للولي لليتيم ان يتصادقوا ولا يتكاتموا
والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس
ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها ام كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا

ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون
لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة قال فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات
وترك على بنات وانا امرأته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئا
فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله
لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعدها هو النقل
من المألوف شيئا فشيئا بالتدريج في الامور دأب الحكيم وهكذا فنزلت الاحكام والتكاليف شيئا فشيئا الى ان كملت الشريعة المحمدية وتم الدين الحنيفي
مما قل منه او كثر بدل مما الاخيرة بتكرير العامل نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بتقدير اعني نصيبا مقطوعا مقدرا لا بد لهم ان يحوزوه
او على المصدر المؤكد كانه قيل قسمة مفروضة واحتج بعض اصحاب ابي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد
البنات لان الكل من الاقربين غاية ما في الباب ان مقدار انصبائهم غير مذكور ههنا الا انا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب ونستفيد
المقادير من سائر الدلائل واجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وايضا الواجب عندهم ما علم ثبوته
بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وايضا ليس المراد
بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع اولاد آدم فيه فالمراد اذن اقرب الناس الى المورث وما ذاك الا الوالدان والاولاد ودخول
الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار لله تعالى امرنا المفسرون انه تعالى انما ذكر في الآية للنساء اسوة بالرجال في ان
لهن حظا من الميراث وعلم ان في الاقارب من يرث ومنهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية
ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة بآية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابراهيم
النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون بها الناس قال الحسن ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى
والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا فكانوا يقولون لهم ارجعوا بورك
فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ مستحب اذا كانت الورثة كبارا واما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف
كان يقول الولي اني لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والغنية منه انما
ان يعود الى ما نزلت واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله
الموصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل اولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون
وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزها صلة
الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم انهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم واما المخشي فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء
امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وامروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون
على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد اي الصواب هو ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم
بيا بني ويا ولدي وهذا القول الذي يناسب ما تقدم وما تأخر من الآيات الواردة في باب الايتام نبههم الله تعالى على حال انفسهم وذريتهم اذا تصوروها ليكون
ذلك اجلب ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقا
بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فلا يزالون يأمرونه بالوصية الى الاجانب
الى ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض خوفهم على اولاد انفسهم لو كانوا وعلى هذا يكون الآية ههنا للنهي
عن الترغيب في الوصية والقول السديد ان يقولوا للمريض لا تسرف في الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة
يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان يتصل الآية بما قبلها فيكون امرا للورثة بالشفقة
على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسما عن الآية فقال
هو الرجل الذي يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يحب ان يوصي
له وعلى هذا يكون نهيا عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم اكد الوعيد في باب مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما اي ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار
وكانه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان
يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم
ثم يجعل في افواههم صخرا من النار يخرج من اسافلهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من

صلی فلان النار بالکسر یصلی صلیا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء فی النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد یشدد من التصلیة والمعنی واحد و
السعیر انارا وسعرت النار والحرب هیجتها والهبتها فهی سعیر ای مسعورة والتنکیر للتعظیم ای نارا مبهمة الوصف لا یعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة
لا یجوزان یدخل تحت هذا الوعید اکل الیسیر من مال الیتیم لانه لا بد ان یکون مقدارا خمسة دراهم لانه القدر الذی وقع علیه الوعید فی آیة الکنز فی منع الزکوة
ولا بد مع ذلک من عدم التوبة فیقال لهم انکم خالفتم هذا العموم من وجهین من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم کونه صغیرة فلم لا یجوز لنا ان نزید
فیه شرط عدم العفو وههنا نکتة وهی انه اوعد مانع الزکوة بالکی واکل مال الیتیم بامتلاء البطن من النار ولا شک ان هذا الوعید اشد والسبب
فیه ان الفقیر غیر مالک لجزء من النصاب حتی یملکه المالک والیتیم مالک لماله فکان منع الیتیم اشنع وایضا الفقیر یقدر علی الاکتساب من جهة او علی
السؤال والیتیم عاجز عنهما فکان ضعفه اظهر وهذا من کمال عنایته تعالی بالضعفاء فیرجو ان یرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته التأویل ذکر الناس انه
بدو خلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد ﷺ قال اول ما خلق الله روحی فهما ابوا الارواح وخلق منه زوجه
زوجه وهی النفس خلقها من ادنی شعاع من اشعة انوار روح محمد وبث منهما رجالا کثیرا ارواحا کاملین ونساء ارواحا ناقصات واتقوا
الله الذی تساءلون به ای تتقوه ان تنساه لو ابد عزته والارحام ولا تقطعوا رحم دینی بصلة غیره وآتوا الیتامی اموالهم زکیة عن آفة الحرص
والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلیة بالقناعة والمروة وعلو الهمة والعافیة ولا تتبدلوا الخبیث بالطیب زکیة عن آفة الخیانة وتحلیة
وتحلیة بالامانة وسلامة الصدر ولا تأکلوا اموالهم الی اموالکم زکیة عن الجور وتحلیة بالعدل فان اجتماع هذه الرذائل کان حوبا کبیرا حجابا
فانکحوا ما طاب لکم زکیة عن الفاحشة وتحلیة بالعفة ذلک ادنی ان لا تعولوا زکیة عن الحدة والغضب وتحلیة بالسکون والحلم وآتوا النساء
صدقاتهن زکیة عن البخل والغدر وتحلیة بالوفاء والکرم فکلوه هنیئا زکیة عن الکبر والانفة وتحلیة بالتواضع والشفقة فهذه کلها اشارة
الی تربیة یتامی القلوب والنفوس بایتاء حقوق زکیتهم عن رذائل الاوصاف وتحلیتهم بهذه الاخلاق ثم نهی عن ایتاء النفوس الامارة حظوظها فقال
ولا تؤتوا السفهاء وانما قال اموالکم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنیا لاجلهم ان الارض یرثها عبادی الصالحون
وارزقوهم فیها قدر ما یسد الجوعة واکسوهم ما یستر العورة ومازاد فاسراف فی حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا کلوا من رزق الله واشکروا
شکر نعمته بامتثال اوامره ونواهیه والادنی طعامک بذکر الله کما قال ﷺ اذیبوا طعامکم بذکر الله وابتلوا الیتامی ای قلوب الشبان من ابناء
توسع فی المعیشة بعد ان کانوا محجورین عن التصرف حتی اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغین فان آنستم منهم رشدا بان یستمدوا بذلک التوسع
علی السیر وزادوا فی اجتهادهم وجدهم کما قال الجنید اشبع الزنجی وکده فادفعوا الیهم اموالهم فالعبد فی هذا المقام یکون جائز التصرف فی مال
سیده کالعبد الماذون ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تأکلوها اسرافا ای فان آنستم یا اولیاء الطریقة من المریدین البالغین رشد التصرف فی احوال
الارادة فادفعوا الیهم عنان التصرف باجازة الشیخوخة ولا تجعلوا الشیخوخة ماکلة لکم غیرة وغبطة علیهم ان یکبروا بالشیخوخة ومن کان
غنیا بالله من قوة الولایة مستظهرا بالعنایة فلیستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن کان فقیرا مفتقرا الی ولایة المرید فلیأکل بالمعروف
فلینتفع باعانته ولیجزله بالشیخوخة مع الامداد فی الظاهر والباطن فاذا دفعتم الیهم اموالهم سلمتم الیهم مقام الشیخوخة فاشهدوا علیهم
الله ورسوله وارواح المشایخ واوصوهم برعایة حقوقها مع الله والخلق ثم اخبر عن نصیب کل نسب فقال للرجال وهم الاقویاء من الطلبة
وللنساء وهم الضعفاء نصیب مما ترک الوالدان والاقربون وهم المشایخ والاخوان فی الله ترکتهم برکتهم وانوارهم نصیبا مفروضا
علی قدر استعدادهم واذا حضر القسمة ای فی محافل صحبتهم ومجالس ذکرهم اولوا القربی المنتمون الیهم والمقتبسون من انوارهم والمتعلقون
فارزقوهم من مواهب برکاتهم وقولوا لهم قولا معروفا فی التشویق وارشاد الطریق وتشهیر هوان الدنیا عند الله وعزة اهل الله فی الدارین
ولیخش الذین لو ترکوا من خلفهم ذریة ضعافا من متوسطی المریدین او المبتدئین خافوا علیهم آفات المفارقة بسفر او موت فلیتقوا الله
ای یوصیهم بالتقوی وان یقولوا قولا سدیدا هو لا اله الا الله فان التقوی مداومة الذکر حظوة ان یوصل العبد الی الله ان
الذین یأکلون یضیعون اطفال الطریقة بعدم التربیة ورعایة وظائف النصیحة انما یأکلون فی بطونهم نار الحسرة وقوة الغرامة لا ینفع

ع۳ یُوصِیکُمُ اللّٰهُ فِی أَوْلَادِکُمْ لِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ فَإِنْ کُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَیْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَکَ وَإِنْ
میفرماید شما را خدا در بارهٔ فرزندان شما مر پسر راست مانند بهرهٔ دو دختر پس اگر بوده باشند دختران زیاده از دو پس مر ایشانراست دو حصه از آنچه گذاشته است مرده و اگر
کَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَیْهِ لِکُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَکَ إِنْ کَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ یَکُنْ
باشد یکی پس مر اوراست نصف ترکه و مر پدر و مادر اوراست از برای هر یکی از آن دو ششم یک از آنچه نهاده است اگر بوده باشد مرده را فرزندی پس اگر نباشد
لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ کَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِی بِهَا
مرده را فرزندی و میراث برد او را پدر و مادر پس مر مادر اوراست دو دانگ پس اگر باشند مر او را برادران پس مر مادر اوراست ششم یکی پس از وصیتی که فرماید بران
أَوْ دَیْنٍ آبَاؤُکُمْ وَأَبْنَاؤُکُمْ لَا تَدْرُونَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ لَکُمْ نَفْعًا فَرِیضَةً مِنَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ کَانَ عَلِیمًا حَکِیمًا
یا وامی پدران شما و فرزندان شما نمیدانید کدام ایشان نزدیکتر است بشما از جهت نفع فریضه ایست از خدا بدرستیکه خدا هست دانا و حکیم

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ
و مر شما راست نصف آنچه بنهادند زنان شما اگر نبوده باشد ایشان را فرزندی پس اگر باشد مر ایشان را فرزندی پس مر شما راست چهاریک از آنچه بنهادند پس از
وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ
فرموده که بفرمایند بها یا قرضی و از برای ایشانست چهاریک از آنچه بنهادید اگر نباشد مر شما را فرزندی پس اگر باشد مر شما را فرزندی پس مر ایشان راست هشتم
مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ
از آنچه بنهادید پس از فرموده که فرمایید بآن یا قرضی و اگر بوده باشد مردی که میراث برده از او کلاله یا زنی و مر او را برادری است یا خواهری
فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ
پس از برای هر یک از آن دو است ششم یک پس اگر بوده باشند بیشتر از این پس ایشان انبازانند در این ثلث از پس فرموده که فرمایند بآن یا دینی
غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
نگزند رساننده فرموده از نزد خدا و خدا داناست و بردبار این است قرارهای خداوندی و هر که پیروی کند خدا و رسول او را در آورد او را در بهشتها
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ
از زیر آنها جویها جاویدان در آن و این است بهره بزرگ و هر که نافرمانی کند خدا را و پیغمبر او را و در گذرد از اندازهای او در آورد او را
نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً ع
در آتش جاوید در آن و مر او راست عذاب خوار کننده و آنهایی که مرتکب میشوند زنا را از زنان شما پس گواه گیرید بر ایشان چهار نفر
مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا
از شما پس اگر گواهی دادند پس نگاه دارید ایشان را در خانها تا وقتیکه در رسد ایشان را مرگ و یا قرار دهد خدا از برای ایشان راهی و آن دو مردی که میکنند زنا
مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ
از شما پس آزار کنید ایشان را پس اگر توبه کردند و باز آمدند پس رو گردانید از ایشان بدرستی که خدا هست توبه پذیر مهربان جز این نیست که توبه بر خداست از برای آنانکه
يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
میکنند بدی را از روی نادانی پس توبه میکنند بزودی پس آن گروه می پذیرد خدا توبه ایشان را و هست خدا دانای بردبار
وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ
و نیست توبه مقبول مر آنها را که میکنند گناهان را تا آنکه در رسد یکی از ایشان را مرگ گوید من توبه کردم الان و نه آنانی که میمیرند
وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا
و حال آنکه کافرانند آن گروه مهیا کرده ایم از برای ایشان عذابی دردناک ای زمره آنانی که گرویده اید سزاوار نیست که میراث برید از زنان بنا خواه
وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
و گزند مرسانید ایشان را که ببرید پاره از آنچه داده اید ایشان را مگر آنکه مرتکب شوند ناشایسته هویدا و زندگانی کنید با ایشان به نیکوئی
فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ
پس اگر بد آید شما را از ایشان پس امید است که بد آید چیزی و گرداند خدا در آن منفعت بسیار و اگر اراده کردید که بدل کنید زنی را در جای زنی
وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ
و داده باشید یکی از ایشان را مال بسیار پس وا مگیرید از آن چیزی را آیا وا میگیرید آنرا بهتان و گناهی هویدا و چگونه وا میگیرید آنرا
وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
و حال آنکه رسید بعضی از شما بسوی بعضی و فرا گرفتند از شما عهدی استوار و نکاح مکنید آنچه را نکاح کردند پدران شما از زنان
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب
مگر آنچه در گذشت بدرستیکه آن میباشد ناشایسته و دشمنی و بد راهیست فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلي
الباقون بالفتح يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل ووافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية الباقون مبنيا
للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر الباقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون
ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتين وارنا اللذين واشباه ذلك واما قوله فذانك فابن كثير وابو عمرو ويعقوب وعباس مخير الباقون بالتخفيف
كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وابو بكر وحماد وقرأ ابو جعفر ونافع وابو عمرو
وسهل ويعقوب مبينة بالكسر ومبينات بالفتح الباقون كلها بالكسر الوقوف الانثيين ج ما ترك ج فلها النصف ط لانتهاء حكم الاولاد فان كان له ولد

فلامه الثلث او ربعه وكبتن ابناؤكم لتعينه هم ابناؤكم ولاحتمال كون اباؤكم مبتدأ وخبره لاتدرون نفعا من الله حكيما لم يكن لهن ولد بن منهما السدس يزاد
لان غير حال عامله يوصي مضار لاحتمال نصب وصية كما يجيء من الله حليم لان تلك مبتدأ حدود الله خالدين فيها الا ان ما بعده اعتراض مقرر
للجزاء العظيم خالدا فيها لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين اربعة منكم لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فاذوهما عنهما رحيما عليهم حكيما السيئات لا
حتى اذا لا يصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت يصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار اليما كرها لتعد لعدم الاخبار الى النهي مبينة للعارض بين المتعاطفين
بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف مقتا وساء سبيلا التفسير لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا
ولم يكن ذلك الا ببيان جملة احكام الميراث فنقول اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي
يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كان يتوارثون بشيئين النسب والعهد اما النسب فكانوا يورثون الكبار
به ولا يورثون الصغار والاناث كما مر واما العهد فالحلف والتبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم وكان التوريث
بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين اخرين احدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة
ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه والثاني المواخاة كان رسول الله يواخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر
في الاسلام ان اسباب التوريث ثلثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روي ان رسول الله ورث بنت
حمزة من مولى لها وورثاء هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة
كما يحملون عنه الدية قال انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا
لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضايع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده
اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلثة ذكور واناث معا او اناث فقط او ذكور فقط اما
الحالة الاولى فبيانها هنا قوله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلثة احدها خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة
فله سهمان ولها واحد ثانيها خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا اخرين كالزوجين فهم ياخذون
سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب انثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف
حظه لذلك لان الابتداء بما ينبئ عن فضل احد ادخل في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل
لهم كفى للذكور تضعيف من النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من الميراث اقل من نصيب الرجال فلنقصان
عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن او لكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة
فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة فكيف حال المرأة وعن جعفر الصادق ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت
حفنة اخرى وخبأتها ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى ادم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف
نصيب الرجل واما الحالة الثانية فهي ان كن اكثر من اثنتين او اثنتان او واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم
القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت وفي كن يعود
الى النساء وجاز لعدم الالتباس بدليل واحدة واما ان يعود الى غائب حكمي اي ان كانت البنت او المولودة وقراءة النصب اوفق لقوله فان كن نساء
وقراءة الرفع ايضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهما ويكون نساء وواحدة
تفسيرا لهما على ان كان تامة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الاية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما
النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف ايضا مشروط
بالوحدة واقول لعله نظر الى ان الواحد من الاعداد الغير المحصورة التي فوق الاثنين سوى الثلثة والحمل على الاقرب اولى وقال الاكثرون من الصحابة الاثنتين او عن الواحد
وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالاية فلزم ان يكون للبنتين الثلثان ولانه لما كان نصيب البنت مع الولد الذكر
الثلث فلأن يكون نصيبها مع ولد اخر انثى هو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على
الثنتين فذكر بعده فلك لهن وان بلغن من العدد ما بلغن لم يتجاوز الثلثين وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في اخر السورة
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان اولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث
البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء او خبر بعد خبر للتاكيد او ليخرج اقل الجمع وهو اثنتان بدليل
كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتاخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها
فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس او قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم احد فقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي
الله في ذلك فنزلت هذه الاية فقال رسول الله ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما امهما الثمن وما بقي فلك واما الحالة الثالثة الثلثين واعط
وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الاية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان

للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وايضا قال صلى الله عليه وسلم ما
ابقت السهام فلأولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص ساكت عن ولد الولد فقيل
اسم الولد يقع على ولد الابن ايضا لقوله تعالى يا بني آدم يا بني اسرائيل وقيل بل قيس ولد الولد على الولد لما انه كولد الصلب في الارث والتعصيب لكنه لا يستحق
شيئا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب اصلا او لا يأخذ كما في مسألة بنت واحدة وبنت ابن فالعليا تأخذ تكملة
الثلثين ولولد الصلب كل الميراث في بيانهم التبا واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان
ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين بل المرتد ماله فيء لبيت المال سواء اكتسبه في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة ما
اكتسبه في الاسلام يرثه اقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روي ان فاطمة لما طلبت الميراث احتجوا بقوله نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود وان الاصل في التوريث
للمال دون وراثة العلم او الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم ولان المحتاج الى هذه المسألة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهؤلاء
كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسألة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث الرسول
عليه الصلاة والسلام فكيف يليق بالرسول ان يبلغ هذه المسألة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة وايضا
يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص
الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اجابوا بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر
بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على صحة ما ذهب اليه ابو بكر واعلم ان جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد واما حالة اجتماعهم بالابوين
فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام تغليبا للاب لشرفه ومثله من التغليب
في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير
العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل لابويه السدس لأوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي
او بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال ثم التفصيل او الابهام ثم التفسير فقوله السدس مبتدأ خبره لابويه وقد
توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلاثة احوال الاولى ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى
فههنا ثلاثة اوجه احدها ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها ان يحصل معهما
بنتان او اكثر فالحكم كما ذكرنا وثالثها ان يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الآية والباقي للاب بحكم
التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد اعظم فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد اكثر ونصيب الوالدين اقل فالجواب والله اعلم ان الوالدين
ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبا فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كأنهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وايضا ولد الولد ولده ويرفعه حال الولد اهم عند الوالدين من رفعة حالهما الحالة الثانية ان لا يكون
معهما احد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله وان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب
فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين فيحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فرضية الثلث للام بان يكون
الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه او الى
الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب
ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكور والاناث فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا استحق منه شيء مستحقا بقي
الباقي بينهما على قدر الاستحقاق لان الزوج انما يأخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية في قسمة الباقي وعن ابن سيرين انه
وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج
والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث بقي للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين وهذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين
الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة او الاخوات
لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان ثلاثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى ان الاثنين يحجبان كما في
الثلاثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فما فوقها فصح ان يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب
البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذا للاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين الاعرابي في الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فسأله عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلاثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلاثة وقال الاثنان فما فوقهما جماعة
وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا استطيع رد شيء كان قبلي ومضى
في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلاثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يقع

للاب الثلثان لانه لا يكون لهم شيء من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب وهو قول ابن عباس والاول مذهب الجمهور لان الثاني اذ لا يلزم من كون
حاجبا كونه وارثا ولم يرو لهم ذكرا لا بالحجب فوجب ان يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى
هؤلاء من بعد وصية يوصي بها او دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن او كان لكنه قضي وفضل بعده شيء فان
اوصى الميت وصية اخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انكم تقرءون الوصية قبل
الدين وان الرسول قضى بالدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم في الذكر لان كلمة او لا تفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من
السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين
فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه فكان في تقديمها بيان عناية لهم في ادائها ولهذا جيء بكلمة او الدالة على التسوية بينهما في الوجوب لان كلاما
ليس يحصل فيه الامران يجيء باو الفاصلة لتدل على انه ان كان احدهما فالميراث بعده وكذا ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام
اهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في انصباء اصحاب الوصية كما في الارث
بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال ابو البقاء ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في موضع
نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال القلوب اقول من الجائز ان لا يكون من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان
ايهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة ايهم اشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين
قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع لكم من آبائكم
وابنائكم الذين يموتون أمن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا
واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا
وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب
الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل
ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف ان انتفاعه في الجنة بهذا اكثر ام بذاك وقيل قد فرض الله
الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كنه تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال في
غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والتربية فلا بد ان الابن يحتاج الى ان ينفق الاب
عليه الاب يفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز ان يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله نصب على انها صفة
تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد
حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان فيهما متخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان
لكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك لم يزل موصوفا بهذه
الصفات هذا واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون هو النسب او الزوجية
فهذه ثلاثة اقسام الاول قرابة الولادة الفروع والاصول هو اشرف الانساب لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة و
الشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا اردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم
الى قوله توصون بها او دين ثم بين احوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما احسن هذا التنويع ولما
جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذا جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وفيه تنبيه في الاية
على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق
في الولدين الذكر والانثى بين الابن وابن الابن ولا بين البنت وبين بنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسألة قال الشافعي
يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم وقال ابو حنيفة لا يجوز لانها ليست زوجته
ولو كانت زوجته لحل وطؤها لقوله الا على ازواجهم واجيب بانه لو لم يكن زوجة له لكان قوله ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع انه
لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين في اصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول
الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن
الوطء بالشبهة وايضا حل الوطء ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد الى اصل الحرمة اما
حل الغسل ففيه مصالح توجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول
فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه
الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية اخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لان يكون بينهن الرسول لنا احب الي من الدنيا وما فيها الكلالة

والكلالة والربو وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي قال الفرزدق
ورثتم قناة الملك لا عن كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم والمختار الصحيح من الاقوال قول ابي بكر ان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها
بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالراس بخلاف نسب
الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال نسب تتابع كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب ومما يؤيد هذا انه تعالى قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة
ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك الجواب انه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة
والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين فيلزم ان لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين وايضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم اتبعها ذكر
الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل صفة للموروث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد
ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فبنو العم كلالة وهو ههنا موروث لا وارث وقد يجعل صفة للوارث
ومنه قول جابر مرضت مرضا اشفيت منه على الموت فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة اراد به انه ليس له والد ولا
ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث او الموروث كانت بمعنى ذي كلالة
كما يقال فلان من قرابتي اي من ذي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف اي احمق وقوله تعالى
وان كان رجل يورث كلالة فيه احتمالان الاول وهو قول عطاء والضحاك ان يكون مأخوذا من ورثه الرجل يرثه فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب
كلالة على الحال وعلى انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير ان يكون مبنيا
للمفعول من اورث فالرجل هو الوارث وينتصب كلالة على الوجه المذكور وقيل ما السبب في انه قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله
اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما تقول من كان له
اخ او اخت فليصله او فليصلها والترجيح بالتذكير المشرف معارض بالتانيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التوحيد والتذكير ههنا اولى
اما الاول فلان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما التوحيد فبناء على احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت
من الام ويدل عليه ما نسب الى ابي سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من الام فلكل واحد منهما اي من الاخ والاخت السدس من غير تفاضل للذكر
على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد
من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانه اذا اخذ السدس هو او واحد من الاخ او الاخت على التعيين فقد سوي بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين ان نصيبهم كيفما كانوا لا يزاد على الثلث وقد يستند الاجماع الى هذا بيانه انه تعالى في آخر السورة قال قل الله
يفتيكم في الكلالة واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال فههنا اثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع
فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم بنو الاخياف وهناك
الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الآية خاصة
كما بينا غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصى او علم
انه موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه الموروث والى الميت الذي دل عليه سياق الكلام اي ان كان الرجل وارثا وضرار
الورثة بان يوصي بازيد من الثلث او بالثلث فما دونه وبنيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله وقد يقر بان الدين
الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى با
لانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ذا مال قليل وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على
قانون العدالة وقد روى عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر وروي مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في و
صيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد او على انه مفعول
مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية والله
عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا من الوعيد بما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود
الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها
ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في فرق التكاليف في غيرها كما ان الوعيد يشتمل على من يتعدى في امر خصوص
ثم يقول احد في الفقه ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين
خالدا على الحال ولا يجوز ان يكون صفة لجنات ونارا لانهما جرتا على غير من هما له وكان يلزم ابراز الضمير ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قال ال

المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فاذن المراد تعدي اي حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود واجيب بما مر من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاي مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا اللفظ اي ومن يعص الله في كذا وفي كذا وكل لا يتحقق الا في حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلي كما ذكرنا من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود المواريث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله عز من قائل واللاتي يأتين الفاحشة الآية وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به في الآيات المتقدمة وفيه ان مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز في كل باب من طرفي الافراط والتفريط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات اللائي بالهمزة واللواتي واللوائي فكانهما جمعا الجمع وقد تحذف التاء من الاربعة وقد تسهل همزة اللاء بين الهمزة والياء لكونها مكسورة القراءة وترك اللاء بلا شيء الخبيص وقد يقال اللاي بياء ساكنة بعد الالف من غير همزة وقد يقال اللوا بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللات كاللاءات قال ابن الانباري العرب يقول في الجمع من غير الحيوان التي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الآية واللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغي هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنى ههنا قال المحققون حصر هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية ففساد الاولى الكفر والبدعة وامثالهما وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنى واللواط والسحق وما اشبهها وهذه اخص الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر او من نسائكم المؤمنات والثيبات اقوال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله منكم اي من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وان شهدوا وصفا مفسرا كقولهم رأيناه ادخل ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشاء في البئر ولا يقع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل عالم كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في البيوت خلدوهن محبوسات في بيوتكم حتى يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية او اللائط والملوط فآذوهما وبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما لكما في النكاح مندوحة عن هذه فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم او خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما ان يهددوهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن التعرض على الامام واعلم ان للعلماء خلافا في الآيتين فعن الحسن ان الثانية مقدمة في النزول امر بايذاء الزانيين ثم امر بامساك النساء في البيوت الى ان تبين احوالهن قال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب وعن ابي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا ان يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنى من الرجل والمرأة فدليله سورة النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الآيات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه ثبت في الاصول ان استنباط تأويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكميته وذلك ليس في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح حدا وجمهور المفسرين على ان الآيتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر اجماعا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن اصحاب ابي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلالة دليل الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا يكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا لها وصار ايضا مخصصا لعموم آية الجلد والله اعلم ثم اخبر عن المستحقين لعدم قبول التوبة فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله

فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم
له وبهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد انه يكون جاهلا بكونها
معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا اجمعنا على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون يهوديته
معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وان النائم والساهي لا يستحق العقاب لانه اتى بالقبيح غير متمكن من العلم
بكونه قبيحا اما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الآية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على الجاهل واجبة فلان يكون
واجبا على العامد اولى لانه عالم بقبح تلك المعصية اما قوله ثم يتوبون من قريب فقد اجمعوا على ان المراد من هذا القريب قبل حضور زمان الموت
ونزول سلطانه ومعاينة اهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا لان الآجل آت وكل ما هو آت قريب لان مدة عمر الانسان وان طالت فانها
الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في من قريب لابتداء
الغاية اي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية او للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا لما قلنا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب بعيد الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الان فبين ان وقتنا لا تحتسبا هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب مثل قوله ان الله يقبل توبة التائب ما لم
يغرغر والفائدة في قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل
والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك او المراد بالاول التوفيق للتوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بانه انما اتى بتلك
المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوعه في شدة
بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة اولى بالقبول
لقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبولها معاينة سلطان الموت ومشاهدة احواله واهواله بحيث يصير معرفته بالله ضرورية
كما لاهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وافضى الامر الى حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان
اهل القيامة لا يشاهدون الا انهم صاروا احياء بعد ان كانوا امواتا ويشاهدون ايضا اهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف
يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم
على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا ينفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وايضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق
بينه وبين الضروري في القوة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري منافيا للتكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة في بعض الاوقات وبعدله اخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله ان يقلب الامر
فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا ولا يسئل عما يفعل واقوال المحققين انه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وامره
حق وقد عين لعباده حال الدنيا وعقباه وقد اخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم لم يعكس الامر ثم
ان لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد ان لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا
له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على
الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذا المسوف الى حضرة الموت
لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة او المعنى انه كما ان التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذا الايمان لا يقبل عند القرب من الموت
او المراد ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا يقبل توبتهم اولئك اعتدنا اي اعددنا في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله
عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالاولون
فساق لكنهما مشتركان في العذاب لانه لم يثبت ان حكمهما واحد اجيب بان اولئك اشارة الى اقرب المذكورين فيختص بان الكفار اشنع
من الفساق او الطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه
كنمرود ونحوه قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها من ههنا شروع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء
النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك انواع الاول قوله لا يحل لكم ان ترثوا وفيه قولان احدهما الوراثة بمعنى المال اي لا يحل
لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا اموالهن وهن كارهات لامساككم وثانيهما انها ترجع الى ابضاعهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه
من غيرها او بعض اقاربه فالقى ثوبه عليها وقال ورثت ماله فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق
الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان آخر واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن قال اكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الامر عليها حتى تفتدي منه بمالها
وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بان يترك منعها من التزويج لمن شاءت وارادت ليبذل المرأة للميت ما اخذت من الميراث كما كا

يفعله اهل الجاهلية وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المرأة او للازواج كما مر في سورة البقرة قال في الكشاف واعراب تعضلوهن النصب عطفا على ان ترثوا
ولا لتاكيد النفي قلت الظاهر انه النهي لعطفه الامر وهو قوله وعاشروهن عليه صاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا ان يأتين بفاحشة
مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها او الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت
صارت سببا للبيان كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس لما صرن سببا للضلال ثم انه استثناء مماذا قيل من اخذ المال اي لا تحل له ان يحبسها
ضرارا لتفتدي الا اذا زنت فتحل لزوجها ان يسلبها الخلع وكان الرجل اذا اصاب امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وقيل استثناء
من العضل نهوا عن حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من عمم هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة
هي النشوز وشكاسة الخلق اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون في طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال النساء
وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب
في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ومال كثير الميمن في صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشوم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان عنتم مفارقتهن
فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تتخلص من زوج سيء العشرة وتجد زوجا آخر اوفق منه النوع الرابع من التكاليف وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن في مضارتهن اذا اتين بفاحشة بين تحريم المضارة في غير حال الفاحشة روي ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج
بامرأة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم
وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع و
تلت هذه الآية فقال عمر كل الناس افقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل ان يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض لا الرخصة وهو
موضع الحال اي قد اتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال او لم يؤد واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل اخذ
مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك لو خالع كما ان البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك أتأخذونه استفهام
بطريق الانكار بهتانا وهو ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وفي الحديث اذا واجهت اخاك بما
ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض اي ببهتان وقيل بمضمر اي
تصيبون بهتانا وسبب تسميته هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا او انه عند
العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا يأخذه منها فاذا اخذه منها صار القول الاول بهتانا اي باطلا او كان من عادتهم انهم اذا ارادوا تطليق زوجة
رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك او بالحقيقة ان اخذ هذا المال طعن في ذاتها
من حيث انه مشعر بانها قد اتت بفاحشة وتنقيص على مالها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما يأكلون
في بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ مستبعدا فقال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن
قتيبة واليه ذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع اذ الفضاء الساحة ويقال افضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة
عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبي واختاره الفراء ويوافقه مذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح
مذهب الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب وانما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قويا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة
وايضا الافضاء الابدان يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذ لم يحصل فعل من افعال احدهما الى الآخر
فان قيل على هذا يجب ان يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقيق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل
قائلان قائل بتفسيره الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة او
الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قال
السدي وعكرمة والفراء هو قولكم زوجتك هذه المرأة على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعلوم انه اذا الجأها الى
ان تبذل له المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقودة على الصداق واليها اشار في الحديث واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وقال آخرون اخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة
فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة باحوال النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن عباس
وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية
ابيه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطي لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد
ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطي لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد
ملعون فيدخل في الآية المزنية لانها منكوحة اي موطوءة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم ما طاب فانكحوا

لكم

لكم من النساء وبقوله النكاح سنتي ولا شك ان الوطي من حيث انه وطي ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من حلف ان لا ينكح
انهم ليسوا من اولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطي سمي بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الاية على ما ذكرتم اولى من حملها على ما ذكرنا مع
اجماع المفسرين على ان سبب نزول الاية هو العقد لا الوطي فالواجب حقيقة في الوطي مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطي لا في العقد
وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب فيحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معا فيكون الاية
نهيا عن الوطي وعن العقد معا او لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون
نهيا عن القسمين فان النهي عن اللون يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة واجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا
مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطي ولكن لم قلتم ان قوله ما نكح لانه انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء
وانما هي مصدرية التقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فان انكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مؤقتة وعلى سبيل القهر فنهوا عن مثل هذا النكاح قاله محمد بن جرير الطبري
سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكن لا نسلم ان من يفيد العموم وانما لم تفد العموم ثبتنا ولمحل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان
النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان متعذرا كان صحيحا ثم انا
نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فهي نهي عن نكاحهن الى غاية نفي ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد
تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت او غيرها الا ما اخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله واحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله اذا جاءكم
من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الاكفاء وبقوله الحرام لا يحرم الحلال وقد دخله التخصيص فيما اذا وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء
فيحرم ولا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوضح الكلام على قول الشافعي وطي حلال ووطي حرام فكيف
يشتبهان اما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه احسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب
المنهي عنه فكانه قيل انكم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثني غير ان
سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى
يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد
تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه فلو انه
اقرهم عليهن مدة ثم امرهم بفراقهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول فقال ما اقر احد على نكاح
امرأة ابيه وان كان في الجاهلية وروي انه بعث ابا بردة الى رجل عرس بامرأة ابيه ليقتله ويأخذ ماله انه اي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة اعلم
الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف
والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار وحصل ذلك بسبب امر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار فان
مراتب القبح ثلث في العقول وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح العادي وساء
سبيلا ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب تعالى والله تعالى اعلم التأويل الولادة الدينية ايضا سبب النسب فالسبب هو الارادة بل هي خرقة المشايخ والنسبة
بينهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفاتهم لانهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية لنيل السالك النشأة الثانية
من صلب ولايتهم ومن هنا قال الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد ايضا يتوارث اهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية
والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد ويتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل
اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارة بالسوء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من
خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصها الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللين والانوثة والشره والهواء ومن خواصه
الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان تظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن
في البيوت في سجن الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا
بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان يأتيانها منكم اي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال و
الاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة اي بصفة
الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية بحسب العمل السوء اذا كان بصدد
الجهولية فحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب اي عقيب المعصية فان اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل ان
يقال من قريب اي قبل ان يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية بالباس لا اختيارية بالجنان ولا
تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية الا
ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمال فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقتا والله اعلم

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اُمَّهٰتُكُمْ وَبَنٰتُكُمْ وَاَخَوٰتُكُمْ وَعَمّٰتُكُمْ وَخٰلٰتُكُمْ وَبَنٰتُ الْاَخِ وَبَنٰتُ الْاُخْتِ وَاُمَّهٰتُكُمُ ع ٥
حرام کرده شد بر شما مادران شما و دختران شما و خواهران شما و عمهای شما و خالهای شما و دختران برادر و دختران خواهر و مادران شما

الّٰتِیْٓ اَرْضَعْنَكُمْ وَاَخَوٰتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَاُمَّهٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَآئِبُكُمُ الّٰتِیْ فِیْ حُجُوْرِكُمْ مِّنْ نِّسَآئِكُمُ
آنانکه شیر داده اند شما را و خواهران رضاعی شما و مادران زنان شما و دختران زنان شما آنانکه در حجرهای شمااند از زنان شما

الّٰتِیْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَاِنْ لَّمْ تَكُوْنُوْا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَآئِلُ اَبْنَآئِكُمُ الَّذِيْنَ مِنْ اَصْلَابِكُمْ وَاَنْ
زنانی که صحبت کرده اید با ایشان پس اگر نبوده اید که صحبت کرده باشید با ایشان پس نیست گناهی بر شما و زنان پسران شما آنانکه از صلبهای شمااند و آنکه

تَجْمَعُوْا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ اِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ۙ وَّالْمُحْصَنٰتُ مِنَ النِّسَآءِ اِلَّا مَا مَلَكَتْ
جمع کنید میان دو خواهر مگر آنچه گذشت بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان و زنان پارسا از زنان مگر آنچه مالک شد

اَيْمَانُكُمْ كِتٰبَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَاُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَآءَ ذٰلِكُمْ اَنْ تَبْتَغُوْا بِاَمْوَالِكُمْ مُّحْصِنِيْنَ غَيْرَ مُسٰفِحِيْنَ الجزء الخامس ع ١
دستهای شما نوشته خدا بر شما و حلال شده بر شما آنچه غیر از این است که بجوئید بمالهای خود زن کننده گان نه زناکننده گان

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهٖ مِنْهُنَّ فَاٰتُوْهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ فَرِيْضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا تَرٰضَيْتُمْ بِهٖ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيْضَةِ
پس آنچه برخورداری گرفتید از ایشان پس بدهید ایشان را مزدهای ایشان را فریضه و نیست گناهی بر شما در آنچه راضی شدید بآن از پس از باز بریدن

اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ۝ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا اَنْ يَّنْكِحَ الْمُحْصَنٰتِ الْمُؤْمِنٰتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ
بدرستی که خدا هست دانای درست کار و هر که نتواند از شما از توانگری که نکاح کند زنان پارسای مؤمنه را پس از آنچه که مالک شده است

اَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيٰتِكُمُ الْمُؤْمِنٰتِ ۭ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاِيْمَانِكُمْ ۭ بَعْضُكُمْ مِّنْۢ بَعْضٍ ۚ فَانْكِحُوْهُنَّ بِاِذْنِ اَهْلِهِنَّ وَ
دستهای شما از کنیزکان شما که گرویده اند و خدا داناتر است بایمان شما بعضی شما از بعضی پس نکاح کنید ایشان را باذن کسان ایشان و

اٰتُوْهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ مُحْصَنٰتٍ غَيْرَ مُسٰفِحٰتٍ وَّلَا مُتَّخِذٰتِ اَخْدَانٍ ۚ فَاِذَآ اُحْصِنَّ فَاِنْ اَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ
و بدهید ایشان را مزدهای ایشان بشایستگی پارسایان از زنان نه زناکننده گان و نه فراگیرندگان دوستان پس چون شوی دار شوند پس اگر کردند زنا

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنٰتِ مِنَ الْعَذَابِ ۭ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ۭ وَاَنْ تَصْبِرُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ ۭ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ
پس بر ایشان است نصف آنچه بر زنان آزاد است از عذاب این مر آن راست که بترسد از زنا از شما و صبر کردن شما بهتر است شما را و خدا آمرزنده مهربان است

يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوْبَ عَلَيْكُمْ ۭ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ۝ وَاللّٰهُ يُرِيْدُ ع ٣
اراده کرده است خدا که بیان کند برای شما و راه نماید شما را طریقهای آنانکه پیش از شما بودند و بپذیرد توبه شما و خدا دانای درست کار و خدا میخواهد

اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ ۣ وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوٰتِ اَنْ تَمِيْلُوْا مَيْلًا عَظِيْمًا ۝ يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّخَفِّفَ عَنْكُمْ
که قبول کند توبه شما را و میخواهند آنانکه پیروی میکنند خواهشهای نفس را که بگردید از حق گردیدن بزرگ اراده کرده خدا که سبک گرداند از شما

وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيْفًا ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَاْكُلُوْٓا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّآ اَنْ تَكُوْنَ
و آفریده شده آدمی ناتوان ای گروه آنانکه گرویده اید مخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل مگر آنکه باشد

تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۣ وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ ۭ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا ۝ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَانًا وَّظُلْمًا
سوداگری از رضای یکدیگر از شما و مکشید نفسهای خود را بدرستی که خدا هست بشما مهربان و هر که مرتکب شود این را از روی دشمنی و ستمگاری

فَسَوْفَ نُصْلِيْهِ نَارًا ۭ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا القرآءة والمحصنات كل القران بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء
پس زود است که در آریم او را در آتش و هست این بر خدا آسان على الباقون بالفتح واحل يعنى مبنيا للمفعول يزيد حمزة وعلى وخلف

وعاصم غير ابو بكر وحمزة الباقون مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباقون احصن بضم الهمزة وكسر
الصاد تجارة بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباقون بالرفع الوقوف دخلتم بهن لا لان الاولى لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم
لذلك فان جملة الشرط معترضة اصلابكم للعطف سلف ط رحيما لا للعطف الجزء الخامس ايمانكم لا لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر التحريم لانه في معنى الكتابة ويحتمل
مصدرا محذوفا اى كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا لما اى حرمنا كتاب الله من قرأ واحل بالفتح لم يحسن الوقف على عليكم للعطف على كتب ومن قرأ
واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين ط لابتداء حكم المتعة فريضة ط الفريضة ط حكيما فتياتكم المؤمنات ط بايمانكم ط من بعض ج لعطف
المختلفين اخدان ج لذلك من العذاب ط العنت منكم ط خير لكم ط رحيم ويتوب عليكم ط حكيم عظيما يخفف عنكم ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اى يخفف لضعفكم
ضعيفا انفسكم ط رحيما نارا ط يسيرا التفسير انه سبحانه نص على التحريم اربعة عشر صنفا من النسوة سبعة من جهة النسب وهن الامهات والبنات والاخوات
والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء وبنات
النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والاباء وهذا في الاية المتقدمة والجمع بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخي الى ان هذه الاية

البناية

بجملة لانه اضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في الآية فلابد من اضافة هذا التحريم الى بعض الافعال التي يمكن ايقاعها في ذوات الامهات والبنات وليس بعض اولى من بعض وهذا معنى الاجمال والجواب من العلم بالضرورة من دين محمد ان المراد منه تحريم نكاحهن لاستمرار وقد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم وعنه قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحد خصال ثلث فانه لا يشتبه ان المراد لا يحل اراقة دمه ثم ان قوله حرمت انشاء للتحريم كقول القائل بعت وطلقت لا اخبار عن التحريم في الزمان الماضي ولا يشتبه ان المحرم هو الله تعالى كقوله بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وخطابا لا دلالة للخاص بالذات لم يعد اهم من الامة بالتبعية والاصل في كل حكم هو الاستمرار والتابيد ما لم يمنعه ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه تحريم على كل الامة خاصة وبنته خاصة واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة من زمان آدم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان الا ان زرادشت نبي المجوس زعم انه فالجملة الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان آدم عليه السلام وذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى تزوج بهن بنات آدم ويرد عليه ان هذا النسل لا يكون محض ولا آدم وذلك بالاجماع باطل قال العلماء السبب في تحريم الامهات والبنات ان الوطي اذلال واهانة فلا يليق بالاصل والجزء والامهات جمع الام والهاء زائدة وقد زاد فعل واصلية وزن فعل وفيه جمعه على امات وقد يقال الامهات للاناس والامات لغيره وكل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك ومن جهة امك بدرجة او درجات بانات رجعت اليها او بذكور فهي امك ثم الاشكال ان لفظ الام حقيقة في التي ولدتك اما في الجدة فيحتمل ان يكون حقيقة ويكون للفظ متواطيا فيها ان كان موضوعا بازاء قدر مشترك بينهما ويكون الآية نصا في تحريمهما او يكون مشتركا بينهما وح يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالآية نص في تحريمهما ايضا والا فطريقان احدهما ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع والثاني انه تعالى تكلم بهذه الآية مرتين لكل من المفهومين وكذا الكلام ان قلنا ان الام حقيقة في الوالدة ومجاز في الجدات قال الشافعي اذا تزوج الرجل بامرأة ودخل بها يحرم الجدة وقال ابو حنيفة لا يلزم حجة الشافعي انه هو هذا النكاح عنده بمثابة واحدة لكونه محرما قطعا في حكم الشرع فيكون وطئها زنا محضا الصنف الثاني المحرمات البنات ويراد بهن كل انثى يرجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث او بذكور والكلام في ان اطلاق لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة او مجاز كما مر في الامهات قال ابو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنى تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم لانها ليست بنتا له شرعا لقوله الولد للفراش وهذا يقتضي حصر النسب في الفراش لانها لو كانت بنتا له لا خذت الميراث ولثبتت له ولاية الاجبار عليها ولوجبت عليه نفقتها وحضانتها ولحل الخلوة بها لكن التوالي باطلة بالاتفاق فكذا المقدم واحتج ابو حنيفة بان يتيقن كونها مخلوقة من مائه اما بناء على الحقيقة وهي كونها مخلوقة من مائه او بناء على حكم الشرع والاول باطل على مذهبه طردا وعكسا اما الطرد فهو انه اذا اشترى جارية بكرا وافتضها وحبسها في داره الى ان تلد فهذا الولد معلوم انه مخلوق من مائه مع انه لا يثبت نسبه الا عند الاستلحاق واما العكس فهو ان المشرقي اذا تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه والثاني ايضا باطل باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزنى من الزاني ولو انتسب اليه وجب على القاضي منعه الصنف الثالث الاخوات ويشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب ومن الام فقط الصنف الرابع والخامس العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد يكون العمة من جهة الام وهي اخت ابي امك وكل انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد يكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك ولا يحرم اولاد العمات والخالات الصنف السادس والسابع بنات الاخ وبنات الاخت والقول فيهما كالقول في بنت الصلب الثامن والتاسع قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمى المرضعات امهات نفخيما لشأنهن كما سمى ازواج النبي امهات لحرمتهن ولئلا يلتبس قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل وامهاتكم اللاتي كسونكم او اطعمنكم والا كان تكرارا لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي يستحق بسببه الامومة ويعلم من تسمية المرضعة اما والراضعة اختا انه اجرى الرضاع مجرى النسب لان المحرمات بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات وخمس بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي منهما فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات ثم انه تعالى اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا بيان لطيف فامك من الرضاع كل انثى ارضعتك او ارضعت من ارضعتك او ارضعت من ولدك من الآباء والامهات وولدت المرضعة او الفحل الذي منه اللبن بواسطة او بغير واسطة وبنتك من الرضاع كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدته من الابناء او البنات واختك من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعت بلبن ابيك او ولدتها المرضعة او الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك كل انثى من الرضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اخت الفحل الذي ارضعت بلبنه ومن جهة الام كل انثى هي اخت ذكر ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي اخت امك من الرضاع او اخت من ارضعتك من الرضاع ومن جهة الاب كل انثى هي اخت انثى ارضعت اباك من الرضاع او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ولدها مرضعتك وبنتها او ولدها ابن الفحل الذي منه اللبن او بنته من الرضاع او النسب او ارضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك وكل حكم بنات اولاد من ارضعته امك وارضع بلبن ابيك مع بنات اولادهما من الرضاع او النسب والرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه وللرضاع اركان احدها المرضع ويجب ان يكون امرأة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى اللذين شربا منه وكذا لبن الرجل وان يكون حية وعند ابي حنيفة ومالك واحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وان يكون محتملة للولادة بان بلغت تسع سنين وثانيها اللبن ويتعلق به التحريم ولو تغير بحموضة او امتعاض او غلاء او اتخذ منه جبن او زبد او مخيض او اقط او ثرد فيه طعام او عجن به دقيق وخبز او خلط بمائع حلال او حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبي

اركان الرضاع

اختك او ارضعت بلبن اخيك من الرضاع او النسب وكل بنات من ارضعته امك ثم

الحرمة لانه للحقيقة ولا بعد الحولين لان هلالين لان التوصل الى معرفة الصبي للسن لا يمكن الا بذلك من جهة الشهور قوله لا يحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان
ولما روت عائشة خمس رضعات يحرمن وعند ابي حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف العاشر قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام
الحادي عشر وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها
في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء للكلام على الغالب مثله فلان في حضانة فلان واصله من الحضن الذي هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وعن علي
انه جعل كونها ربيبة له وكونها في حجره شرطا وهو قول داود واسنده الى الحسن واما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل حرمت ابنتها عليه
سواء كانت في تربيته او لم يكن لما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما يقول بنات رسول الله من خديجة واما
عدم اشتراط الحجر فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول
وذهب جمع من الصحابة ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى ذكر جملتين
وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا
واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليها فلا يتعلق الشرط بالثانية
واذا تعلق باحدى الجملتين فلا حاجة الى تعليقه بالاخرى وايضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان
ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض
امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان فيه تعسفا
منه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا وربائبكم يكون مبتدأ وقوله من نسائكم خبرا او يقع بين المعطوفات فاصلة
لان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال او الاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم ظاهرا ومما يدل على ان
الجملة الاولى مرسلة ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي ﷺ انه قال اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام
فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المرأة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة
فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول عن تلك المرأة وعن سعيد بن المسيب
ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امرأته قبل الدخول واراد ان يتزوج امها فله ذلك وان ماتت عنده لم يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم
كما قام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها واضرب عليها الحجاب ومعنى ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة
عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنا موجب للمصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطء من نكاح
كان او من سفاح ورد بان تقييد قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطء بالحلال الصنف الثاني عشر وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم فيخرج المتبنى
كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم الابن من الرضاع
حكم الابن من النسب في تحريم حليلته على ابيه لقوله ﷺ يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان ظاهر قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله
واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل ههنا فقد تخصص عموم القرآن بخبر الواحد اتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة
على الدخول لما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله اراد به التابيد الا ترى انه قال في السبع المحرمات من جهة النسب انها من المبهمات اي من اللواتي تثبت
حرمتهن على سبيل التابيد اتفقوا ايضا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد اما جارية الابن فقد قال ابو حنيفة يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان
الحليلة صيغتها اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من الحلول بمعنى ان السيد يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في حيز واحد او يحل كل واحد منهما في قلب صاحبه
لما بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما يصدق على زوجته انها حليلته فثبتت لها الحرمة بالاية الصنف الثالث عشر
وان تجمعوا بين الاختين اي حرم عليكم الجمع بينهما والتانيث للتغليب [illegible] ويمكن ان يقال الواو نائب الفعل المطلوب من غير اعتبار
تذكيره وتانيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك او بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب يبطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع
واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احداهما ويشتري الاخرى فقد اختلف الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما
لاطلاق الاية ولانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز بينهما وطؤهما معا لقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو
سلم ان الاية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي وارد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطئ
احداهما حرم وطء الثانية عليه لا يزول هذه الحرمة ما لم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت في
عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زائل بدليل لزوم الحد بوطئها
واما وجوب العدة ولزوم النفقة فنقول لمعنى حصل النكاح حصلت القدرة على حبسها ولا يلزم من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح لان استثناء
[illegible] لا ينتج واذا اسلم الكافر وتحته اختان فقد قال الشافعي اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء تزوج بهما معا او على الترتيب لان الكفار ليسوا بمخاطبين
في فروع الشرائع في احكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفهم بالفروع ما داموا كفارا ثم يعاقبون بترك الفروع في الاخرة كما يعاقبون على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي

ما روي أن فيروز الديلمي أسلم على ثمان نسوة فقال له اختر منهن أربعا وفارق سائرهن ومن طريق ... عن المذهب وقال أبو حنيفة إن تزوج بهما معا تركهما وعلى
الترتيب فرق الثانية لأن الخطاب بالفروع في قوله وأن تجمعوا عام فيتناول المؤمن والكافر فخالف صاحبه حيث حمل النهي على الفساد والكافر مخاطبا
بالفروع ومما يدل على أن الخطاب بالفروع لا يظهر أثره في حق الكافر في الأحكام الدنيوية الإجماع على أنه لو تزوج بغير ولي أو شهود أو على سبيل القهر والغصب
ثم بعد الإسلام تقرر ذلك النكاح. أما قوله تعالى إلا ما قد سلف فمعناه أن ما مضى مغفور بدليل قوله إن الله كان غفورا رحيما وقد مر نظيره واعلم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ألحق بالأختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وضبط العلماء ذلك بأن كل شخصين بينهما قرابة أو رضاع لو كان أحدهما ذكرا
والآخر أنثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المرأة وبنت أختها وبنات الأولاد منها وكذا بين المرأة وبنت أخيها وبنات أولاد أخيها
سواء كانت العمومة والخؤولة من النسب أو الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وأم زوجها ولا نكاح المرأة وبنت زوجها لأنه لا يوجد التحريم على تقدير ذكورة كل واحد
منهما وإنما يوجد على تقدير ذكورة أم الزوج أو بنته فقط لمكان المصاهرة بخلاف ما لو فرضت المرأة ذكرا فإنه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد ضبط
تحريم الجمع بعبارة أخرى هي أن ... ما يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع يقتضي المحرمية والثانية يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما وصلة قرابة أو رضاع لو كانت
تلك الوصلة بينك وبين امرأة لحرمت عليك. الصنف الرابع عشر والمحصنات من النساء وقد ورد الإحصان في القرآن بمعان أحدها الحرية والذين يرمون
المحصنات فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ثانيها العفة محصنات غير مسافحات التي أحصنت فرجها وثالثها الإسلام فإذا أحصن قيل في تفسيره
إذا أسلمن ورابعها كون المرأة ذات زوج المحصنات من النساء أي ذوات الأزواج منهن والوجوه كلها مشتركة في أصل المعنى اللغوي وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة
مانعة صاحبها من الآفات والجراحات والحرية سبب لمنع الإنسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الإسلام والزوج مانع لزوجته
من كثير من الأمور والزوجة مانعة من الوقوع في الزنى وقرئ بكسر الصاد لأنهن أحصن فروجهن بالزوج ومعنى قوله إلا ما ملكت أيمانكم أن اللاتي سبين ولهن
أزواج في دار الكفر فهن حلال للغزاة المسلمين وهكذا إذا سبي الزوجان معا خلافا لأبي حنيفة قياسا على شراء الأمة وإنها لا تفسخ فإن كلا منهما لا يوجب
الفرقة وأجيب بأن الحاصل عند السبي إحداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص إلى شخص والأول أقوى فظهر الفرق. وقيل المعنى أن ذوات الأزواج
حرام عليكم إلا إذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفراق بينهن وبين أزواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت عليكم الحرائر إلا العدد الذي جعل الله
ملكا لكم وهو الأربع أو الإماء أثبت الله لكم ملكا عليهن لحصول الشرائط المعتبرة من حصول الولي والشهود وغير ذلك والقول هو الأول لما روي عن أبي
سعيد الخدري قال أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
فاستحللناهن. ثم أكد تحريم المذكورات بقوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل أن يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له أي الزموا كتاب الله وأحل
لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح أو بدلالة جلية أو خفية أو ببيان النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا في تحريم الجمع بين الأختين
وغيرهما وقد دخل تحت هذه العمومات أنواع خصصت. أولها أن المطلقة ثلاثا لا تحل ودليل ذلك قوله فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره ومنها المرتدة والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها أمة من في نكاحه حرة لم يجز أن
ينكحها بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يجوز له نكاح الأمة بدليل ومن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع
ومنها الملاعنة لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وقوله أن تبتغوا مفعول له أي بين لكم ما يحل مما يحرم إرادة أن يكون ابتغاؤكم بأموالكم في حال
كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا أموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ويجوز أن يكون تبتغوا
بدلا من وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والأجود أن لا يقدر لأنه مفهوم من سوق الكلام وكأنه قيل أن تخرجوا أموالكم ومعنى محصنين
متعففين عن الزنى وسمي الزنى سفاحا لأنه لا غرض للزاني إلا سفح النطفة أي صبها قال أبو حنيفة لا يجوز المهر بأقل من عشرة دراهم لأنه تعالى قيد التحليل
بالابتغاء بالأموال والدرهم والدرهمان لا يسمى أموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لأن قوله بأموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزيع الفرد على
الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أعطى امرأة في نكاح كف دقيق
أو سويق فقد استحل وقال أبو حنيفة لو تزوجها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لأن الابتغاء بالمال اسم للأعيان لا للمنافع
وكذا قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والإيتاء والأكل من صفة الأعيان ولو تزوج امرأة على خدمة سنة فإن
كان حرا فلها مهر مثلها وإن كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي الآية تدل على أن الابتغاء بالمال جائز وليس فيه أن الابتغاء بغيره جائز أم لا وأيضا فقد
خرج الخطاب مخرج الأغلب الأعم فلا يدل على نفي ما سواه ومما يدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على أن تأجرني ثماني حجج والأصل
في شرع من قبلنا البقاء إلى أن يظهر الناسخ وأيضا التي وهبت نفسها لما لم يجد الرجل الذي أراد التزوج بها شيئا قال له هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة
كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومنه يعلم جواز عتق الأمة صداقا لها لأنه قد روي عن النبي أنه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه
من خواصه ممنوع فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو عقد عليهن أو خلوة صحيحة عند أبي حنيفة فآتوهن أجورهن أي عليه فأسقط الراجع للعلم به ويجوز
أن يراد بها النساء ومن للتبعيض أو البيان لا للابتداء والاستمتاع ويكون رجوع الضمير إليه في به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والأجور المهور لأن المهر
ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة أجرا وفريضة حال من الأجور بمعنى مفروضة أو أقيمت مقام إيتاء لأن الإيتاء مفروض أو مصدر مؤكد أي فرض

ذلك فريضة ولا يخفى أن استمتع بها للدخول بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر نصف المهر قال أكثر علماء الأمة ان الآية في النكاح المؤبد
وقيل المراد بها حكم المتعة وهي أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى أجل معلوم ليجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على
أنها كانت مباحة في أول الاسلام ثم السواد الأعظم من الأمة على أنها صارت منسوخة وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى أنها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن
عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة أسفاح هي أم نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال هي متعة كما قال الله تعالى قلت هل لها
عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية أخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاشعار في المتعة قال قاتلهم الله اني ما أفتيت باباحتها على الاطلاق
لكني قلت انها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني أتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة وأما عمران بن
الحصين فانه قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها آية تنسخها وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء يريد
أن عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي أنه قال لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة أن الوطء لا يحل الا في الزوجة
أو المملوكة لقوله تعالى الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وهذه المرأة ليست بمملوكة ولا بزوجة والا لحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة
عليها بالأشهر والتوالي باطلة بأسرها بالاتفاق وروي عن عمر أنه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ثم لم ينكر عليه أحد منهم فلو سكتوا عالمين بحرمتها
فذاك ولو سكتوا جاهلين بحلها وحرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن أمور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة
وذلك محال منهم وما روي عن عمر أنه قال لا أوتى برجل نكح امرأة الى أجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع أن الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على
سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة ألا ترى أنه قال من منع منا الزكوة فانا آخذوها منه وشطر ماله مع أن أخذ شطر المال
من مانع الزكوة غير جائز الا للسياسة وروى الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن متعة النساء وعن أكل لحوم حمر الانسية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه قال غدوت على رسول الله فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسند ظهره الى
الكعبة يقول يا أيها الناس اني أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا وان الله قد حرم عليكم الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا القائلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول الاستمتاع بالمرأة على سبيل التأبيد وعلى سبيل التوقيت بل الآية مقصورة
على نكاح المتعة لما روي أن أبي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن وبه قرأ ابن عباس أيضا والصحابة ما أنكروا عليهما فكان
اجماعا وأيضا أمر بايتاء الأجور لمجرد الاستمتاع أي التلذذ وهذا في المتعة وأما في النكاح المطلق فيلزم الأجر بالعقد أيضا قال في أول السورة فانكحوا ما طاب
أن تحمل هذه الآية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد أولى ومما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر وفي أكثر الروايات أنه أباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك أن أصحابه شكوا اليه يومئذ طول العزوبة فقال
استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل به أحد من المعتبرين الا الذين أرادوا ازالة التناقض عن هذه
الروايات ونهي عمر يدل على أنه كان ثابتا في عهد الرسول وما كان ثابتا في عهده لم يكن نسخه بقول عمر كما أشار اليه عمران بن الحصين وأجيب بأن المراد من قول عمر
وأنا أنهى عنها أنه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول وقد سلموا له ذلك فكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا
الآية على بيان حكم النكاح قالوا المراد أنه اذا كان المهر مقدرا بمقدار معين فلا حرج في أن يحط عنه شيئا أو يبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء
وقال الزجاج لا اثم عليكم في أن تهب المرأة للزوج مهرها أو يهب الزوج للمرأة تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال أبو حنيفة الحاق الزيادة بالصداق جائز لأن
التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة ان دخل بها أو مات عنها أما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في
العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة هبة فان قبضتها ملكته بالقبض وان لم تقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة أنها لو التحقت بالأصل
فاما أن يرتفع العقد الأول ويحدث عقد ثان وهو باطل بالاجماع وأما أن يحصل عقد مع بقاء العقد الأول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا
الآية على حكم المتعة قالوا المراد أنه ليس للرجل سبيل على المرأة من بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الأجر والأجل فان قال لها زيديني في الأيام و
أزيدك في الأجر فهي بالخيار ان الله كان عليما حكيما لا يشرع الأحكام الا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الأمر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا
فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان وأن ينكح متعلق بطولا يقال طال على الأمر أي غلبه فتمكن من فعله
والمحصنات ههنا الحرائر والمعنى من لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح من الاماء التي ملكتها أيمانكم قال ابن عباس يريد بجارية أخيك فان الانسان لا يجوز له أن يتزوج
بجارية نفسه الفتيات المملوكات يقول العرب للأمة فتاة وللعبد فتى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي ان الله تعالى
شرط في نكاح الاماء ثلاث شرائط اثنتان في الناكح الأولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا أستطيع أن أحج اذا كان لا يجد
ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالأمة لأن العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة السادة الثانية خشية العنت كما يجيء في آخر
الآية والثالثة في المنكوحة وهو أن تكون الأمة لمسلم ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالقيد الأول مستفاد من قوله من
فتياتكم أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات أما فائدة القيد الأول فهي أن الولد
تابع للأم في الحرية والرق فيتعلق الولد رقيقا على ملك الكافر الا أن هذا القيد الغاه أكثر لأنه الا أن الولد اذا رق للكافر يسمع عليه الحال وأما فائدة

القيد الثاني فالحذر من اجتماع النقصانين الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومذهب مالك والشافعي اما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير
سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على الوطي ويقول المراد ان من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له نكاحها
ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فيحمل التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر ايضا بالمؤمنات
والجواب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك ان في الاية دلالة على الحث عن نكاح الاماء وان كان قد
عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لاستتباعه الولد الامة في الرق ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وربما تعودت بسبب ذلك الفجور والوقاحة ولان للمولى عليها
من حق الاستخدام فلا يخلص لحقوق الزوج ولان السيد قد يبيعها فيصير مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على تمهيرها من وجها
ولا على ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم
اولاد آدم ولا يتداخلكم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم المقاصد فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت
اليه وفيه توهين ما كانوا عليه في الجاهلية من الفخر بالانساب والاحساب وتأنيس بنكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن
باذن اهلهن فلذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فتوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها يعطل على السيد
اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القران مقصور على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا تزوج العبد بغير اذن
سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالاية على ان المرأة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة
ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق زائلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة يبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع
هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث في يمينه فعند زوال الرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن اهلها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة
ثبت في سائر الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الاية يدل على الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمرأة ان تزوج امتها
واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضى المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دليل عليه ايضا اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى
ان كان رجلا او ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام مخصص بقوله العاهر هي التي تنكح نفسها او نقول يلزم ان لا يكون لها عبارة في نكاح
مملوكها ضرورة انه لا قائل بالفرق فلئن الانصاف ان استدلال الشافعي لا يتم الا بان يقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث انها امة وان سلمنا ذلك
فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الاصل في الاية يبقى بعد زوال الصفة الرق فيكون مثل قول القائل لا اكلم هذا الشاب ممنوع من العلوم فان المراد به كل شاب
من حيث هو لكنه كقول الحالف لا اكلم شابا فانه لو كلم زيدا وزيد شاب يحنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث واتوهن اجورهن اي مهورهن وفيه دلالة على
وجوب مهرها اسمي لها المهر او لم يسم في قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد وغالب الظن في المعتاد المتعارف هو مهر المثل او المراد بغير مطل وضرار
واحوج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كون الامة لا يقدح في وجوب نفقتها وكسوتها
كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا اجرها فالحذر كان هو المستحق
للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله واتوهن اجورهن واما الجمهور فعلى ان مهرها للمولى لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي
كون المملوك مالكا لشيء اصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الاية فلو حملنا
لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهر فالجواب انها ثمن بضعهن فلذلك اضيف الاجور اليهن في قوله واتوهن ما يوجب كون المهر
ملكا لهن وهبات المهر ملك لهن ولكنه قال العبد وما يملكه لمولاه او المراد واتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفائف وهو حال
من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال اكثر المفسرين المسافحة
هي التي تواجر نفسها اي رجل ارادها والمتخذة الخدن هي التي لها صديق معين وكان اهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن
بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم افردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا ولا اخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الذي
يخادنك اي يكون معك في كلام ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو
قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر حال ايمانهن في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند
اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ان اريد بها الحرائر المتزوجات والحرائر الابكار
فعلى الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنى الامة محصنة كانت او لم تكن وقد علق
ذلك في الاية بحصول الاحصان والجواب انا نختار القسم الاول ونسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف والثاني والمراد
تنبيها بتخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنى يغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت فقد وجب خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا
القدر اولى واعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف
الرجم في حق الامة وهو محال والجواب بما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا الاية اصلا في تنصيف حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان
كان من الامور ما لا يجب ذلك فيه كالصلوة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معنى الوقوع

في مرهقات وللمفسرين ههنا قولان احدهما ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة ربما يدعو الى الزنى فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب الاليم في الآخرة والثاني ان الشبق قد يفضي الى الامراض الشديدة كما في وجاع الوركين والظهر والوسواس وكاختناق الرحم للنساء والاول اليق ببيان القرآن وعليه اكثر العلماء وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد شرط الاباحة متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي ﷺ الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تاكيد لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الاماء اباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم اي اللام مقام ان في قولك اريد ان تقوم وقيل زيدت اللام وقدان وذلك لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة الاب وقيل في الآية اضمار الاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم مناهج من كان قبلكم قيل المراد ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شأن النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في نفسها الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المعنى سنن من كان قبلكم من اهل الحق ليقتدي بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه كما اراد منا نفس الطاعة فلا جرم بينها وازاح الشبهة عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير منا وتفريط وفي الآية اشعار بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة فينا فيرد عليه انه اراد التوبة منا وجب ان يحصل التوبة لكلنا وليس كذلك واجيب بان المراد التوبة في باب نكاح الامهات والبنات وسائر المنهيات المذكورة في هذه الآية وقد حصلت هذه التوبة وكذا الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا عن الحق والقصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم بحل نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه ولم يثقل اما ضعف خلقته بالنسبة الى كثير من المخلوقات بل الحيوانات فظاهر ولهذا اشتد احتياجه الى الغذاء والى الثمار والاغذية والادوية والمساكن والملابس والذخائر والمعاملات الى غير ذلك من الضرورات واما ضعفه عن الهوى ودواعيه فظاهر ولهذا لا يصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات ولا سيما عن النساء وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي النساء عن ابن عباس ثماني ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم لا تحرمنا مواعيدك انك لا تخلف الميعاد ثم انه لما ذكر ابتناء النكاح بالاموال وامر بايفاء المهر والنفقات بين عقيب ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لا يبيحه الشرع بوجه وقد مر تفسيره في البقرة في قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقد سبق مثله في اخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الاموال المستفادة بنحو الهبة والارث واخذ الصدقات والمهر وارش الجنايات حلالا لان اكثر اسباب الرزق يتعلق بالتجارة ويحتمل ان هذا النهي اكل مال الغير بالباطل واكل مال نفسه بالباطل كما ان قوله ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول الموكل فذلك غير منعقد بالاجماع فالمتصرف اذا وقع على خلاف قول المالك الحقيقي وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الحر اذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا الاول وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في الآية قد حصل وقال الشافعي ان هذا التراضي يقتضي الحل الا انا نثبت بعد ذلك للمتبايعين الخيار لقوله ﷺ المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة حين ما يعرضه غم او خوف او مرض شديد بان يقتل نفسه سهل عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب عبد الله ان رسول الله ﷺ قال كان رجل به جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدعي بالاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل له يا رسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي ﷺ الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبيناهم على ذلك اذ قيل انه لم يمت ولكن به جراحا شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي ﷺ فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وعن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا وقيل معنى الآية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته نهيكم عما يضركم عاجلا واجلا وقيل من رحمته انه لم يامركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ومن يفعل ذلك القتل عدوانا وظلما لا خطأ ولا قصاصا هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل والاكل بالباطل وعن ابن عباس انه عائد الى كل ما نهى الله تعالى عنه من اول السورة فسوف نصليه نارا للتعظيم وللنوع وكان ذلك على الله يسيرا مثل على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه

التاويل حرمت عليكم امهاتكم الاية كلها اشارات الى النهى عن التعلق ومنع التصرف فى الامهات لستفليات والمتولدات من اوصاف الانسان وصفات الحيوان ان الله كان غفورا رحيما بانواع عفوه ظلمات الصفات الانسانية تتولد من تصرفات الحواس فى المحسوسات عند الضرورات بالامرة بالطبع رحيما بالمؤمنين بما اضطرهم اليه من التصرفات بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هى الدنيا التى تصرف فيها العلويات الا ما ملكت ايمانكم باذن الله تع حيث قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا محصنين جرايرمن الدنيا وما فيها غير مسافحين فى الطلب منها وجوهكم فما استمتعتم به منهن من الضرورات فاعطوا حقوق تلك الحظوظ بالطاعة والشكر والذكر ان الله تعالى احب اهذ قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما احب اهذ فراشه فقال ومن لم يستطع اى من لم يقدر ان يتجرد عن الدنيا الصالحة باسرها ويجعلها منكوحة له ويحصنها بتصرف شرائع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف فى قلبه بوجه ما فليتصرف فى القدر الذى ملكت يمين قلبه من الدنيا ولم يملك قلبه لانها مامورة بخدمته وهى مؤمنة له بالخدمة كما قال حكاية عن الله تع يا دنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك محصنات بالصدق والقناعة غير مسافحات بالتبذير والاسراف ولا متخذات اخدان من النفس والهوى فلما احصن بالاخلاص فى العطاء والمنع والاخذ والدفع فان يأتين بفاحشة هى غلبات شهواتها على القلب فليبذل نصف ما ملكت يمينه من الدنيا فى سبيل الله وغرامة هى حدها كما ان حد عجوز الدنيا اذا احصنها ذو الطول من رجال فاتت بفاحشة اهلاكها بالكلية بالبذل فى الله كما كان حال سليمان اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد لما شغلته عن الصلوة وان بفاحشة حب المال طفق مسحا بالسوق والاعناق ذلك التصرف فى قدر من الدنيا لمن خشى ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهى وان تصبروا عن التصرف فى الدنيا بالكلية خير لكم كما قال يا طالب الدنيا لتبرّ تركها ابرّ يريد الله ان يخفف عنكم ثقل المعونة ولغيركم المؤنة قال ابرهيم انى ذاهب الى ربى واخبر عن حال موسى بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده وعن حال هذه الامة بقوله سنريهم آياتنا والمعونة هى الجذبة التى توازى عمل الثقلين فلا جرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى ولا منه التقرب لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه والفرق بين النبى والولى ان النبى مستقل بنفسه والولى لا يمكنه السير الا فى متابعة النبى وسلوكه وخلق الانسان ضعيفا ولهذا اعين بالجذبة حتى يتصل بقوة ذلك الى مقام لا يصل اليه الثقلان لسعيهم الى الابد ضعفه بالنسبة الى جلال الله وكماله والا هو اقوى فى حمل الامانة من سائر المخلوقات وايضا من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر الصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمد وكان ابو الحسن الخرقانى يقول لولا الرسالة لمات ابو وعبر الانسان يصبر عن الله لعدم المحبة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلى كما انه كان يغان على قلبه كان يقول كلمينى يا حميراء وكان الشبلى يقول لا امعك قرار ولا منك قرار المستغاث بك منك اليك ضعف الانسان سبب كماله وسعادته فسعادة نصف صفات الهية وسعادة بتمام سمات الملك وليس لغيره هذا الاسعاد فلهذا جاء فى الحديث الربانى انا ملك حى لا اموت ابدا فاطعنى عبدى لعلك تكون ملكا حيا لا تموت ابدا الا ان تكون تجارة تنجيكم من عذاب اليم ولا تقتلوا انفسكم ان تموتوا الكم فى شهواتها فان ذلك سمها القاتل انه كان بكم رحيما اذ بين لكم هذه الافات ودلكم على هذه التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى تعديا عن امر الله وظلما على نفسه

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا

مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ

مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ

أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ

ع

عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ

نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلِيًّا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ

بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
دوستدار نیست هرکسی که خود دوست ستاینده بسیار فخر کننده را آنان که بخل می‌کنند و امر می‌کنند مردم را به بخل کردن و می‌پوشانند آنچه را که داد ایشان را
اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ
خدا از فضل او و آماده کردانیدیم برای کافران عذابی خوار کننده و آنانکه خرج می‌کنند مالهای خود را بجهت نمودن به مردم و نگروند بخدا
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
و نه بروز پسین و هرکه بوده باشد شیطان مر او را همنشین پس بد همنشین است و چه میشد برایشان اگر گرویدندی بخدا و روز پسین
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ
و خرج کردندی از آنچه روزی کرده است ایشان را خدا و هست خدا بایشان دانا بدرستی که خدا ستم نمیکند مقدار ذره و اگر باشد حسنه را بیفزاید آن را و دهد

مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ القراآت يكفرون ويحملكم بيا الغيبة المفضل الباقون بالنون مدخلا بفتح الميم وكذا في الحج ابو جعفر ونافع الباقون بالضم
از نزد خود مزدی بزرگ وسئلوا وبابه مما دخل عليه واو العطف او فاؤه بغير همزة ابن كثير وعلي وخلف وسهل وحمزة في الوقف عقدت من العقد عاصم
وحمزة وعلي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ الله بالنصب يزيد الباقون بالرفع والجار بالامالة ابرهيم عن حماد وقتيبة ونصير ابو عمرو وحمزة في رواية
ابن سعدان وابي عمرو والبخاري عن ورش والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون المفضل الباقون بضمتين بالبخل بفتحتين حيث كان حمزة وعلي وخلف و
المفضل عباس مخير الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالنصب يضعفها بالتشديد ابن كثير وابن عامر و
يزيد ويعقوب الباقون يضاعفها بالالف ۝ الوقوف كريما ۝ على بعض ۝ مما اكتسبن ۝ من فضله ۝ عليما ۝ والاقربون ۝ بناء على ان ما بعده مبتدأ نصيبهم ۝ شهيدا ۝ من
اموالهم ۝ لان ما يتلوه مبتدأ بما حفظ الله ۝ واضربوهن ۝ لابتداء الشرط مع فاء التعقيب سبيلا ۝ كبيرا ۝ من اهلها ۝ لان ان مع الشرط اتحاد الكلام بينهما خبيرا ۝
وابن السبيل ۝ للعطف ايمانكم ۝ فخورا ۝ بناء على ان الذين بدل من من فضله ۝ مهينا ۝ لاحتمال ما بعده الاستيناف والعطف واليوم الآخر ۝ وان جعل الذين مبتدأ
لان خبره محذوف اي فاولئك قرينهم الشيطان قرينا ۝ رزقهم الله ۝ عليما ۝ ذرة ۝ لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى اي لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعفه
عظيما ۝ التفسير هذا كالتفصيل للوعيد المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصي كبائر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصي الله فيه فهو
كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بالقدر وضعف بان الذنوب لو
كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبين الكبائر وبقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وبانه نص
على ذنوب باعيانها انها كبائر وبقوله تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي الفسوق والصغائر
العصيان حجتهم ما روي عن ابن عباس ان الذنب انما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصى فيه ولجلال الله ولا شك ان نعمه تعالى غير متناهية وانه اجل الموجودات فيكون
عصيانه كبيرا وعورض بانه ارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين وكل ذلك يوجب خفة الذنب وان سلم ان الذنوب كلها كبائر من حيث انها ذنوب
ولكن بعضها اكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت واذ قد عرفت ان الذنوب بعضها صغائر وبعضها كبائر فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها او باعتبار
فاعلها ذهب الى كل فريق طائفة من الاولين من قال روي عن ابن عباس كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنى واكل
مال اليتيم وغيرها وزيف بانه لا ذنب الا وهو متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذنب كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود
ان الكبائر هي ما نهى الله تعالى في الآيات المتقدمة وضعف بانه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور ايضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبيرة ورد بانه ان اراد
بالعمد انه ليس بساه فما هذا حاله فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد ابطلناه وان اراد بالعمد ان يفعل المعصية مع العلم بانها معصية
فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرا وهو باطل بالاتفاق واما الذين يقولون الكبائر تمتاز عن الصغائر باعتبار فاعلها فيجعلون لكل طاعة قدرا من الثواب
ولكل معصية قدرا من العقاب فاذا وجد للانسان طاعة ومعصية فالتعادل بين الاستحقاقين وان كان ممكنا بحسب العقل الا انه غير ممكن بحسب السمع والا
لم يكن مثل ذلك المكلف لا في الجنة ولا في النار وقد قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح احدهما ويلزم منه الاحباط والتكفير
والحق في هذه المسئلة وعليه الاكثرون بعد ما مر من اثبات قسمة الذنب الى الكبير والصغير انه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه
الآية ان الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الاقدام على الصغائر اما اذا عرف انه لا ذنب
الا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظير هذا في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في ساعات الجمعة
ووقت الموت في جملة الاوقات هذا ولا مانع من ان يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله
والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن
عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة وعن ابن عمر انه عدها تسعا الالحاد في البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود زيادة
القنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة قول الزور وعقوق الوالدين والسرقة واما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال

هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب او سنة وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ويراد بالاصرار المداومة على نوع واحد من الصغائر او الاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القسم الكعبي بالاية على القطع بوعيد اهل الكبائر لانها تدل على انه اذا لم يجتنب الكبائر فلا يكفر عنه والجواب ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته واداء الامانة واجب امنه او لم يامنه سلمنا ان الاية رجعت الى قوله من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيئاته فغايته انه يكون عاما في باب الوعيد والجواب عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة ان عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو فضل واحسان ويدخل في الاجتناب عن الكبائر الاتيان بالطاعات لان ترك الواجب ايضا كبيرة وندخلكم مدخلا من فتح الميم اراد مكانا للدخول ومن ضمها اراد الادخال ووصفه بالكريم اشعارا بانه على وجه التعظيم خلاف ادخال اهل النار الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم وهو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان لا يقدموا على اكل الاموال بالباطل وعلى قتل الانفس حثهم على تهذيب الاخلاق في الباطن وتقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولن يتم ذلك الا بالرضاء بالقضاء وتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القائل ليته كذا وقال اهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا قالوا انه تعالى لو اراد من الكافر ان يؤمن مع علمه بانه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف والحقائق او عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء وكثرة العشائر والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها مما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة العوائق وتحصيل الموجبات وتوفيق الاسباب فلاي سبب يكون السعي والجد مشتركا فيه والفوز بالبغية والظفر بالمطلوب غير مشترك فيه واذا كان كذلك فما الفائدة في الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح الجمهور فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو خير له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من لم يسلم لقضائي ويصبر على بلائي ويشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم القيمة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من ارضي وسمائي وليطلب ربا سوائي قال المحققون لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي وعن الحسن لا يتمن احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال اما سبب النزول فعن مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء في الاخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الاخرة فلنحن احوج لان ضعفاء انما على طلب المعاش فنزلت وقيل اتت وافدة النساء الى الرسول وقالت رب الرجال والنساء واحد انت الرسول الينا واليهم وابونا ادم وامنا حواء فما السبب في ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الاية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال ان للحامل منكن اجر الصائم القائم واذا ضربها الطلق لم يدر احد ما لها من الاجر فاذا رضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الاخرة فينبغي ان يرضى بما قسم لهم وكذا للنساء او لكل فريق جزاء ما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد المذموم وتلخيصه لا تضيع ما لك بتمني ما لغيرك او للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن والقيام بمصالح البيت واسألوا الله من فضله فعنده من خزائن الانعام ما لا ينفد بمطالب الانام ومن للتبعيض اي شيئا من خزائن كرمه وطوله ان الله كان بكل شيء عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك اقرب الى الادب واوفق للطلب قوله سبحانه وتعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يمكن تفسيره بحيث يكون الوالدان والاقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا منهما والمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم انه كانه قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل واما على الثاني فاما ان يكون في الكلام تقديم وتاخير اي لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة واما ان يكون جعلنا موالي صفة لكل بل المحذوف والعائد محذوف كذا المبتدا والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون كما يقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمة عتقه ومنها العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه فهذا كما يسمى الطالب غريما لان له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى المطلوب غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنه المولى الناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا ومنها العصبة وهو المراد في الاية اذ هو اللائق بها لقوله صلى انا اولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة ومن ترك كلا فانا وليه اما قوله والذين عقدت ايمانكم فاما ان يكون مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع قوله فاتوهم خبره واما ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه مما توسط الفاء بين الفعل ومفعوله مفسرا ايضا واما ان يكون معطوفا على الوالدان والايمان جمع يمين اليد والحلف ومن الناس من قال الاية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقوله يوصيكم الله

او ابنيا ان المؤاخاة منهم كان يتخذ انسانا اجنبيا ابنا له وهم الادعياء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين كل رجلين منهم فكانوا يتوارثون بالتبني والمؤاخاة فنسخ ومن ثم
من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت ايمانكم فله وارث هو اولى به فلا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث
فيكون الضمير في فآتوهم للموالي قاله ابو علي الجبائي او المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة يعني ميراث الولد والوالدين كما في قوله يوصيكم الله قاله ابو مسلم
وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد بالنصيب نصيبهم من النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله
واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس ان رجلا اعتق
عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي الى الغلام لفقره
قال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى الاصم ان هذه الموالاة لا تصح عند
ابي حنيفة الا بين العرب وبين العجم لرعاية عقدهم في امورهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيامة بكل
ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا ولقد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الاية ما يشتمل على بعض
اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون يقال هذا قيم المرأة وقوامها بناء مبالغة للذي يقوم بامرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي
قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية
انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء
والعلماء والحكماء وفيهم الامامة الكبرى وهي الخلافة والصغرى وهي الاقتداء بهم في الصلوة وانهم اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص
بالاتفاق وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه وتحمل الدية في القتل الخطاء والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة و
عدد الازواج واليهم الانتساب فكل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة ومنها سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن بما انفقوا اي اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم من مهر ونفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله وقال
افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت نزلت اية القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي ارجعوا هذا جبرئيل اتاني وانزل الله
هذه الاية فقال النبي اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل اما في اللطم ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين فوصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله ولازواجهن
حافظات للغيب بما يجب من حقوق الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومن واجب حفظ غيبة الزوج ان تحفظ نفسها عن الزنا لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها
ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان تحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغي شرعا وعرفا عن النبي خير النساء امرأة ان نظرت
اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا الاية وما في قوله بما حفظ الله موصولة والعائد محذوف اي بالذي حفظه الله
لهن اي عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل عليهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
وقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى انهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن وانهن لا يتيسر لهن حفظ الغيبة الا
بتوفيق الله وبما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة واوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرأ بما حفظ الله بالنصب فما ايضا موصولة اي
بالامر الذي يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اي بسبب حفظهن حدود الله واوامره فان المرأة لولا انها
رعاية تكليف الله وتجتهد في حفظها وامروا لامتثال الطاعة فيها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون تعرفون بالقرائن والامارات نشوزهن عصيانهن
والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة فعظوهن هو ان يقول اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي
عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن في المضاجع اي في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف وقيل هو ان يوليها ظهرها في المضجع وقيل في المضاجع اي بيوتهن التي
يبتن فيها اي لا تبايتوهن وفي ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد في هجرة الكلام على ثلث فاذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك
عليها فتركت النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك دليلا على كمال النشوز فيها فيباح الضرب وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب
لما روى انه قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله فقال ذئرن النساء على ازواجهن اي اجترأن فرخص في ضربهن فطاف بال رسول الله نساء كثير
يشكون ازواجهن فقال رسول الله لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا
واذا ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها ولا يوالي بها في موضع واحد ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين
وقيل دون عشرين لانه حد كامل في حق العبد ومنهم من لا يرى الضرب الا بالسواك ونحوه لا بالعصي وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب ولهذا قال علي رضي الله عنه يعظها
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال اخرون هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز
فاما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وروي عن النبي علق سوطك حيث يراه اهلك فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا
ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا كبيرا لا بالجهة بل بالرتبة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم وانه فوقكم روي ان ابا مسعود
الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله فصاح به ابا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام ومنه انه مع علوه وكبرياء سلطانه

تعصونه فذنوب عليكم فانتم احق بالعفو اذا رجع الجانى عليكم او انه مع علوه وكبريائه لا يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فلهن لا يقدرن على ذلك او انه مع علو شانه وكبريائه يكتفى من العبيد بالظواهر ولا يهتك السرائر فانتم احق بان لا تفتشوا عما فى قلوبهن من الحب والبغض او اصلح حالهما فى الظلم او انهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر قاهر ينتصف لهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا المحاكمة فقال وان خفتم قال ابن عباس اى علمتم وذلك لان الاصرار على النشوز حينئذ ثابت ومنها الوعظ والهجران والضرب واعترض عليه الزجاج بانه اذا علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى الحكمين واجيب بان الشقاق معلوم الا انا لا نعلم ان سبب الشقاق منه او منها فالحاجة الى الحكمين لهذا المعنى ونقول المراد انه ان علم الشقاق فى الاستقبال وفيه شقاق بينهما شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به او على جعل البين مشاقا مثل نهاره صائم والضمير للزوجين يدل عليهما ما سبق الكلام او ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا رضى يصلح لحكومة الاصلاح بينهما ويهتدى الى المقصود من البعث ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والاسلام ويستحب ان يكون الحكمان من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهما وتسكن اليهما نفوس الزوجين فيبرزان لهما ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبا كل من الامرين وينبغى ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المرأة بالمرأة فيعرفا ما عندهما وما فيه رغبتهما واذا اجتمعا لم يخف احدهما على الآخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او موليان من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فيه للشافعى قولان اصحهما وبه قال ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان البضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب فى قوله فان خفتم وفى فابعثوا للحكام لانه يجرى مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به والثانى وبه قال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين ولما روى ان عليا بعث حكمين من جهة فقال اتدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا ان تفرقا وعلى الاول يوكل الرجل الذى هو من اهله بالطلاق وبقبول العوض فى الخلع والمرأة الاخرى ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم يتفقا على شئ ادب القاضى الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثانى لا يشترط رضى الزوجين فى بعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه وجوه الاول ان يريد الحكمان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير الثانى ان يريد الزوجان اصلاحا ابدل الله الزوجين بالشقاق وفاقا الثالث ان يريد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين الرابع ان يريد الزوجان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفق كلمتاهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل الا فى الخير والطاعة وفيه انه لا يتم شئ من الاغراض الا بتوفيق الله تعالى وتيسيره ان الله كان عليما خبيرا بوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين يقتضى علمه وارادته وفيه وعيد للزوجين وللحكمين فى سلوك ما يخالف طريق الحق ووعد على الجد فى حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشد الى مجامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان من عبد الله واشرك به شيئا آخر فقد حبط عمله وضل سعيه وبالوالدين احسانا فعله واحسنوا بهما احسانا يقال احسن بفلان والى فلان وبذى القربى واليتامى والمساكين وقد مر تفاسيرها فى البقرة قال ابو بكر الرازى ان اضطر الى قتل ابيه بان يخاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتله والجار ذى القربى الذى قرب جواره والجار الجنب الذى بعد جواره عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه الا ان اربعين جوارا يعون ذا دارا وعن الزهرى اربعين دارا واربعين من كل جانب وقيل الجار ذى القربى الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبى والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان للناحيتين والجنبان لبعد كل منهما عن الآخر ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة والمسجد ما لم يغتسل ومن قرأ الجنب فمعناه المجنوب مثل خلق بمعنى مخلوق والمراد ذى الجنب فحذف المضاف والصاحب بالجنب هو الذى حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا فى تعلم او حرفة واما قاعدا الى جنبك فى مجلس او فى مسجد او غير ذلك ممن ادنى صحبة نفقت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة فانها تكون معك وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذى انقطع عن بلده او الضيف وما ملكت ايمانكم عن على بن ابى طالب انه كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ملكت ايمانكم وذكر اليمين تاكيد كما يقال مشت رجلى والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق بحالهم وكل دفعة كانوا فى الجاهلية يسيئون الى المملوك ويكلفون الاماء البغاء وهو الكسب بفروجهن ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق بحاله طاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا تياها جهولا يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه مما يملكه وعن الالتفات الى حالهم والتفقد لهم والتحفى بهم ويانف من اقاربه اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا ضعفاء واصله من الخيلاء الكبر والفخور المتطاول الذى يعدد مناقبه وعن ابن عباس هو الذى يفخر على عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع نعمه ولعل هذا يجوز على سبيل التحدث بالنعم فقط الذين يبخلون البخل فى اللغة منع الاحسان وفى الشرع منع الواجب وفيه اربع لغات البخل مثل الفقر والبخل بضم الباء وسكون الخاء وبضمهما وبفتحهما وسبب النظم ان الاحسان الى الاصناف المذكورين انما يكون فى الاغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الاحسان لحب المال ويحتمل ان يشمل البخل بالعلم ايضا اى يبخلون بذات ايديهم وبما فى ايدى غيرهم مقتا للسخاء وهذه غاية البخل وفى امثالهم ابخل من الضنين بنائل غيره وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضله الغنى حتى اوهموا الفقر مع الغنى والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان فخالفوا سنة نبى الله حيث قال ان الله تعالى يحب ان يرى على عبده اثر نعمته وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله تعالى ولا يرضى بقضائه فلذلك قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الآية فى اليهود كانوا يأتون

رجالا من الانصار يخالطونهم وينتصحون لهم يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وانهم كتموا صفة محمد ولم يبينوها
للناس ثم ذم الذين لا ينفقون اموالهم عطف عليهم الذين ينفقون اموالهم ولكن رياء وفخارا وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله ومثل
هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يتقي الله ولا الآخرة ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا امر بالبخل والمخيلة فساء قرينا في الآخرة
يقرن به في النار ثم استفهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم وما الذي عليهم في باب الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد التوبيخ فكل منفعة في ذلك ای یغیر و باعلیهم
كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح افعال القلوب التي يطلع عليها علام الغيوب
وردع عن دواعي النفاق والرياء والسمعة والفخار احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو آمنوا مشعر بان الايمان
بالايمان في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان بالاستدلال التفصيلي لا الاجمالي وقال الجبائي والمعتزلة لو كانوا
غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمرأة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلا واجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسئل
عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة فقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن
عباس انه ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ثم قال كل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه مفعول
ثان اي لا ينقص الناس مثقال ذرة او على المصدر اي ظلما قدر مثقال ذرة وانما نفى الظلم راسا الا انه اخرج الكلام على اصغر المتعارف وهذه الآية مما يتمسك
به المعتزلة في انه تعالى غير خالق لاعمال العباد والا كان ظلمهم منسوبا اليه وفي ان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا
كان متصرفا في ملكه كيف شاء فلا يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب بهذه على صحة مذهبهم في عدم الاحباط بان عقاب شرب قطرة من الخمر لو كان مزيلا
الطاعات سبعين سنة كان ظلما وفي عدم وعيد الفساق بان عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دائما مخلدا لزم ابطال ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم
ثم قال ان تك حسنة حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين لاجل التخفيف وكثرة الاستعمال ومن قرأ حسنة بالرفع فعلى كان التامة ومن
قرأ بالنصب فالتأنيث في ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة بالمدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير
المتناهي محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كان يستحق عشرة اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلاثين عن ابن مسعود انه قال يؤتى بالعبد يوم القيمة
وينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد
ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضل رحمته
ومصداقه في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن قوله يضاعفها المضاعفة احب الى العلماء مما لو قال في الحسنة الواحدة مائة الف حسنة لان
هذا يكون مقداره معلوما اما على هذه العبارة فلا يعلم كنهه الا الله تعالى وعن انس ان رسول الله صلعم قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا
ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها اما قوله ويؤت من لدنه اجرا
عظيما فان لدن بمعنى عند الا ان لدن اكثر تمكنا يقول الرجل عندي مال ان كان ماله ببلد آخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا
المضاعفة على القدر المستحق وهذا الثاني على التفضل التابع للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى اللذات
الروحانية والله اعلم التأويل جملة الكبائر مندرجة تحت ثلث احدها اتباع الهوى ويتشعب منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وحظوظ النفس
وترك الطاعات وثانيها حب الدنيا ويتشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثها رؤية غير الله وهو الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم اخبر ان
الدين ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال المجتهدين في الله نصيب مما جدوا في طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب
على قدر هممهم في الطلب واسئلوا الله من فضله فيه معنيان اسئلوه من فضله الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما واسئلوه
منه ولا تسئلوا منه غيره ولكل جعلنا موالي لكل طالب صادق جعلنا استعدادا في الازل للوراثة مما ترك الوالدان والاقربون طلبه لعدم الاستعداد والمشيئة
والذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة في الله فآتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم الكامل فالمشايخ الرجال قوامون على النساء مصالح دينهن ودنياهن
بما فضل الله وهو استعداد الخلافة والوراثة وبما انفقوا من اموالهم اي تجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للمولى فالصالحات التي تصلح للكمال قانتات مطيعات
لله لهن قلوب حافظات لواردات الغيب بما حفظ الله عليهن حقائق الغيب واسراره واللاتي تخافون نشوزهن اذا وردن عليهن كؤس الواردات كما قيل شعر
فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير فعظوهن باللسان واهجروهن بالهجران لتاديب السكران واضربوهن بسطوة الانفصال وفراق الاخوان
كما كان حال الخضر مع موسى حيث قال هذا فراق بيني وبينك هذا قانون ارباب الكمال وارباب الارادة مادامت الملال وغيرته من غلبات الاحوال
وان خفتم شقاق بينهما الشيخ الواصل والمريد المتكامل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين ومن السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا بينهما بما يراه
صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الدنيا والعقبى لتتخلقوا باخلاق الله وتحسنوا الى الوالدين غيرهما
احسانا بلا شرك ورياء وفخر **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ**
پس چگونه است حال چون بیاوریم از هر طائفه گواهی را و بیاوریم ترا بر اینگروه گواه در آن روز
وخيلاء. والله ولي التوفيق

يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين ع
دوست دارند آنان که کافر شدند و نافرمانی کردند پیغمبر را اگر درست کرده شد با ایشان زمین و پنهان نمیدارند از خدا سخنی را ای گروه آنانکه

امنوا

آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ وَأَنْتُمْ سُكَارٰى حَتّٰى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتّٰى تَغْتَسِلُوا
گرویده اید نزدیک مشوید نماز را و حال آنکه شما مستانید تا بدانید آنچه را که میگویید و نه در جنابت مگر گذر کنندگان راه تا وقتی که غسل کنید

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضٰى أَوْ عَلٰى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
و اگر بوده باشید ناخوشان یا در سفر یا بیاید یکی از شما از قضاء حاجت یا که مباشرت کنید زنان را پس نیابید آب پس قصد کنید

صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
خاک را پاکیزه پس مسح کنید رویهای خودتان و دستهای خود را بدرستی که خدا میباشد درگذرنده آمرزنده آیا ندیدی آنهایی را که داده شده بهره را

مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَلِيًّا وَكَفٰى بِاللّٰهِ
از کتاب که میخرند شان گمراهی و میخواهند که شما گم کنید راه را و خدا داناتر است بدشمنان شما و بس است خدا دوستی

نَصِيرًا ۝ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ
یاری کننده از آنان که یهود شدند کسانی اند که تغییر دهند کلمات را از جای خود و میگویند که شنیدیم فرمان را و سر پیچیدیم و بشنو نا شنوانیده

وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ
و راعنا بپیچیدن زبانهای ایشان و طعن در دین و اگر چنانچه ایشان گفتندی شنیدیم و اطاعت کردیم و بشنو و نظر نمای ما را هر آینه بود

خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
بهتر از برای ایشان و درست‌تر ولکن دور کرد ایشان را خدا بکفرشان پس نگروند مگر کمی ای زمره آنهایی که داده شده اید کتاب را

آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلٰى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا
بگروید بآنچه فرو فرستادیم تصدیق کننده مر آنکه با شماست پیش از آنکه محو کنیم روها را پس برگردانیم آنها را بر پشتها یا که دور کنیم آنها را از رحمت خود چنانکه دور کردیم

أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
اصحاب سبت را و میباشد فرمان خدا کرده شده بدرستی که خدا نمی آمرزد که انباز قرار دهند او را و میآمرزد آنچه را که غیر از اینست از برای آنکه خواهد

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدِ افْتَرٰى إِثْمًا عَظِيمًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ
و هر که شرک آورد بخدا پس بحقیقت که افترا کرد گناهی بزرگ را آیا ننگریستی بآنانکه پاک میشمارند نفسهای خود را بلکه خدا پاک میکند هر که را خواهد و ستم کرده نشوند

فَتِيلًا ۝ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَكَفٰى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ
بقدر رشته خرما بنگر که چگونه میبندند بر خدا دروغ را و بس است باو گناهی هویدا آیا ندیدی آنها را که داده شده بهره از کتاب

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدٰى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولٰئِكَ
میگروند بجبت و طاغوت و میگویند مر آنهایی را که کافر شدند که ایشان راه یافته‌ترند از آنها که گرویدند راه را آن گروه

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا
آنانند که لعن کرد ایشان خدا و آنرا که لعن کند خدا پس هرگز نیابی از برای او یاوری یا مر آنها راست بهره از پادشاهی پس در آنوقت ندهند مردمان را بقدر نقیر

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلٰى مَا آتَاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا
یا حسد برند مردمان را بر آنچه که داده است آنها را خدا از فضل خود پس بحقیقت که دادیم آل ابراهیم را کتاب را و نبوت را و دادیم آنها را پادشاهی

عَظِيمًا ۝ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفٰى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ
بزرگ را پس از آنهاست کسی که گروید بآن و از آنهاست کسی که بازداشت از آن و بس است جهنم آتش افروخته بدرستی آنها که کافر شدند بآیات ما زود باشد که در آوریم ایشان را

نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا
در آتش که هر چند بسوزد پوستهاشان بدل کنیم پوست دیگر غیر از آن تا بچشند عذاب را بدرستی خدا میباشد غالب درستکار و آنها که گرویدند

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
و کردند شایسته زود است که داخل کنیم آنها را در بهشتها که روانست از زیر آنها جوها جاویدان در آن همیشه مر آنهاست در آن زنهای پاکیزه

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا
و در آوریم ایشان در سایه انبوه

القراءة تسوى بادغام تاء التفعل في السين ابو جعفر ونافع وابن عامر تسوى بالامالة وحذف التاء الاولى حمزة وعلى وخلف الباقون تسوى مبنيا للمفعول من التسوية لمستم من اللمس وكذلك في المائدة حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون لامستم من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز الضم كراهة الانتقال من الكسر الى الضم نحو منيبا انظرها وبرحمة ادخلوا وخبيثة اجتثت وعذاب اركض واشباه ذلك نضجت جلودهم وبابه مدغما حمزة

ع

وعلي وخلف وهشام وابو عمرو الوقوف تسوى بهم الارض ط حديثا ج تغتسلوا ط وايديكم ط غفورا السبيل ط باعدائكم ط نصيرا في الدين ط قوم لا لانفصال لكن قليلا السبيل مفعولا
لمن يشاء عظيما ج يكون نعتهم فتيلا الكذب ط مبينا سبيلا ط وبالجزء لعنهم الله نصيرا ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار وتغيير للعطف من فضله لسنا هي الاستفهام مع
مضينا لقاء هذيلا اصلا صعيدا سعيرا نارا العذاب ط حكيما ابدا مطهرة لا لاستيناف الفعل على انه من تمام المعفو ظليلا التفسير انه سبحانه لما اوعد الظالمين بقوله
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق ليكون
الالزام اتم والتبكيت اعظم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اقرأ القرآن علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن
مسعود فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الآية قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لما شرفه الله تعالى
بكرامة قبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتهم وعرفت احوالهم من مردة الكفر كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم
بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد بالذين
عصوا والظاهر ان الواو للعطف ووجه تغيير كون عصيان الرسول مغايرا للكفر ان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يحمل الكفر على نوع منه وهو الكفر بالله
او يقال انه عام وافرد ذكر شيء منه اظهارا لشرف الرسول وتفظيعا لشان المجنوبه او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الآية دلالة على ان
الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وانهم كانوا والارض
سواء او يصيرون ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف
اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا او للحال والمراد ان المشركين لما راوا يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الاسلام
دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فيختم على افواههم وتتكلم ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فهنالك
يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان عظم مكرهم وتمويههم
ثم اتبع وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم المنجيات فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وقد مر سببه في اول
في التحريم وفي لفظ الصلوة ههنا قولان احدهما ان المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه ذهب الشافعي وللتفسير الاحذف المضاف اي لا تقربوا
موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الآية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين احدهما
حالة السكر وذلك ان جمعا من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى
المسجد فانما يأتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز
في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او وقع الاحتلام فيه او كان الماء فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر الى ان تعلموا ما تقولون
ومعنى قربان الصلوة غشيانها والقيام اليها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة
في حالة الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون الا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري سبيل
اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافرة لما يجيء من التفصيل فيها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه ان الجنب
المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض ونحوه يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة اللهم الا ان يقال ان عذر السفر اعم واغلب فلهذا خصص بالذكر والسكارى
جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى
مجرى المصدر الذي هو الاجتناب ثم خالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا السكر من غلبة النوم ويوافقه الاشتقاق فان السكر
عبارة عن سد الطريق ومنه سكر البثق لسد طريقه والسكر في الشراب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو فعند النوم يمتلئ مجاري الروح من الابخرة
الغليظة فينسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح السامع والباصر الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة
ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقوله وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وايضا اجمع المفسرون على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول
يمنع من ان لا يكون مرادا من الآية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الآية بانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان يصير بحيث يعلم ما يقول
والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة مع هذا السكر
يوهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في آية المائدة على الاطلاق فيكون ناسخا لبعض مدلولات هذه الآية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن شرب
الخمر بانهم عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا بل يدل على ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق وكانوا لا
يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت آية المائدة فقالوا انتهينا
يا رب والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت ما او بوجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة
في غير تلك الوقت وبغير تلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهم الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث فخص
اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى
ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذا الذين هم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء

النساء ع

ليس هذا في حكم المرضى لانهم في الرخصة وان وجدوا الماء ثم عمم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف سبع او عدو او عدم آلة استقاء او لحصار في مكان لا ماء
فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذورا كبطء برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية الا اذا كان
ولا يخاف روي ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسأل بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك
وداود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض وفي معنى المرض البرد المؤدي الى المرض لو استعمل الماء كما مر من حديث عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم
الطويل والقصير اعني مسافة القصر وما دونها للاطلاق قوله او على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة
طلب غائطا من الارض يغيبه عن اعين الناس فكني به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد ونادر اما اللمس والملامسة
ففيه قولان احدهما ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما المراد
به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة لما ورد في القرآن بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فتحرير
رقبة من قبل ان يتماسا عن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني يعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا ليشمل الآية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي
قال بعض اهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لامستم والصحيح انه ينتقض وضوؤهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء
قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة فطلب الماء ولم يجد فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلوة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب
فلا بد في كل مرة من سبق الطلب قال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب لقوله ولم نجد له عزما وسبق الطلب في حقه تعالى محال واجيب بانه من الكلام على المجاز للمبالغة كانه
طلب شيئا ثم لم يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عند الائمة
انه يستعمله او يصبه ثم يتيمم ليكون عاملا بظاهر الآية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب بمعنى فاعل وقال ثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان
او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان حجرا لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لا بد من تراب ليتحقق مفهوم التصاعد فيه
وليلتصق بيده فيمكنه المسح ببعضه كما جاء في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت برأسي من الدهن الا معنى التبعيض
ولان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو المنبت والنكد الذي يحتمل الانبات لقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه خصص التراب بهذا المعنى
فقال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا اما مسح الوجه واليدين فعن علي وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك
لان المسح مكتفى فيه باقل ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة تستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الآباط لان
اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ثم ختم الآية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين
كان اولى بالترخيص للعاجزين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال احبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس
معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول فجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على
فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت عائشة
فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من احوال المتقدمين ومن خواصهم
لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك او الم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التوراة وهم احبار
اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التوراة نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد وصفهم
بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها على الهدى لان
من اشترى شيئا فقد آثره واختاره قاله الزجاج والمراد تكذيبهم للرسول لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشى وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة
وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الآيات لهم على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ولا يبعد من جمع بين
هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الآية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطهم عن الاسلام
وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكأنهم اشتروا بها الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه عالم
بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في اموركم واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لامور العباد وكفى بالله نصيرا
ينصركم فتوثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تأثيرا في القلب واكثر مبالغة وتدخل الباء في فاعل كفى ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية
من غيره فكانت الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل فائدة الباء وهي للالصاق ان يعلم ان هذه الكفاية صدرت من الله بغير
واسطة قوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى آخر الآية معترضات بين البيان والمبين واما لاعدائكم والجملتان بينهما
معترضتان واما صلة نصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستأنف على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا
قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف اما ابدال
لفظ مكان لفظ كوضعهم آدم طوال مكان اسم ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم والتحريف عن الله لانه على الامالة والازالة واما في المثانه فقيل من بعد مواضعه

الادم كهم للصبيه

نظر الينا لان الكلم كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحرفوه وتركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة
كما يفعله في زماننا اهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول اصح لانه لا يمكن التحريف في المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر فيه وطعنه في التورية ممنوعة وقيل
كانوا يدخلون على النبي ﷺ فيسألونه عن امر فيخبرهم به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة جهالاتهم انه ﷺ كان اذا امرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا
وفي الباطن عصينا او كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا اظهارا للعناد لم يزيدوا الكفر والجحود ومنها قولهم للنبي ﷺ اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين
اما احتمال المدح فلقول العرب اسمع فلان فلانا اذا سبه واذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروها كان مدحا وتوقيرا وتعظيما واما احتمال الذم فبان يكون معناه
اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لان من كان اصم فانه لا يسمع فلا يسمع او بان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه اي غير مسمع جوابا يوافقك او بان يراد
اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فتنبيه على هذا يجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه ومنها
قولهم له ﷺ راعنا وقد عرفنا حالها في البقرة وانما جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان على وجه لان المواجهة بالعصيان امر خطب في العرف
من المواجهة بالسب في غاية السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالاول دون الثاني ليّا بالسنتهم مفعول لاجله او مصدر المحذوف وليقولون لانه في معنى الليّ
بقيد وعينه واو بدليل لويت فقلبت وادغمت والمعنى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا او لعلهم كانوا يفتلون اشداقهم والسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية
وطعنا على عادة المستهزئين فبين الله تعالى انهم انما يقدمون على هذه الاشياء طعنا في الدين فيه دليل على انهم كانوا يقولون فيما بينهم انا نشتمه ولا يعرفه
ولو كان نبيا لعرف بالطهارة ذلك عليه فقلبه فجعلوا طعنا في الدين لان ذلك طعن على صحته لان الاخبار عن الغيب معجزة ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا مكان قولهم
سمعنا وعصينا اذ وضح لهم الايات وتبين لهم البينات ذكر انه لعلهم ارادوا اسمع وحده ان يقال معه غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واقوم اعدل واسد من قولهم ويحتمل ان يراد اي مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي بسببه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بالله وبالتورية وببعض
الانبياء دون سائر رسله او الا قليلا منهم امنوا لان قليلا مذهب به مذهب الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا او اراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفر الجحود والعناد
بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب الاية والطمس المحو في الطريق طامس ومطموس ومفازة طامسة الاعلام وطمست الكتاب محوته وهو في الاية حقيقة
او مجاز قولان والمعنى على الاول نمحو تخطيط صورها واشكالها من عين وحاجب وانف وفم والفاء في فنردها على ادبارها اما للتسبب فيجعل الوجوه
بسبب هذا الطمس على هيئة اقفائها مطموسة مثلها لان الوجه انما يتميز عن سائر الاعضاء بما فيه من الحواس والتخاطيط فاذا ازيلت وامحيت لم يبق
فرق بينها وبين القفا واما للتعقيب على ان العقوبة شيئان اشدهما عقيب الاخرى الطمس ثم نكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما يكون
هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما قال في حق اهل النار واما من اوتي كتابه وراء ظهره على ان وجوههم مردودة الى اقفائها
فيدل الكتابة ونحو من هنا اما المعنى على القول الثاني عن الحسن نطمسها عن الهدى ونردها بالخذلان على ادبارها اي على ضلالتها وشبهاتها
وذلك ان المتوجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الاقبال على ذاك يحصل الادبار عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد نردهم الى حيث جاؤا
منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني قريظة والنظير في الطمس على هذا اماته بتقبيح الوجوه واما ازالة اثارهم عن ديار العرب وقيل الطمس القلب والتغيير
المراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم والضمير في قوله او نلعنهم
اما للوجوه ان اريد بها الوجهاء واما لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فان قيل
فاين وقوع الوعيد قلنا الجواب انه مشروط بعدم ايمان جميعهم ولكنه قد امن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام واصحابه يحكى انه لما نزلت هذه الاية اتى عبد الله بن
سلام رسول الله ﷺ قبل ان ياتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي والاية انما جعل الوعيد هو الطمس
بعينه بل اياه او اللعن فان كان الطمس بتبديل احوال رؤسائهم او اجلائهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون
بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو منتظر ولهذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوها غير المخاطبين من ابناء
جنسهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيامة وقيل ان قوله امنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حيوتهم فلزم ان يكون قوله من قبل ان نطمس وجوها
واقعا في الاخرة فالتقدير امنوا من قبل ان يجيء الوقت الذي نطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان امر الله مفعولا لانه لا راد لحكمه ولا ينقض عليه
شيء يريد ان يفعله وهذا كما يقال في الشيء الذي لا شك في حصوله هذا الامر مفعول وان لم يفعل بعد فاذا حكم بانزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد
بالامر الشان والفعل الذي تعلق ارادته به لا الامر الذي هو احد اقسام الكلام فلا يصح استدلال الجبائي بالاية على ان كلامه تعالى مفعول اي مخلوق ثم بين ان
مثل هذا التهديد من خواص الشرك والكفر فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولا نزاع ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع لاتصالها بقصتهم ولانه دال
على ان ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالاجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك والمشرك مباح الدم هو الذي
لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله واستدلت الاشاعرة بالاية
على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لان ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني لمن تاب كما ان الاول مخصص بالاجماع لمن لم يتب قالوا وتقريره
قولنا ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء معناه لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله والمشيئة يكون مصداق

العقلين

الفعلين المنفي والمثبت جميعا لا نه استثناء لم يقبل المشرك فلا يغفر لعدم علة الغفران وان شاء تاب صاحب الكبيرة فيستوجب الغفران وذكر الواحدي في البسيط باسناده
عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس
لعمر بن الخطاب انه كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق
ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا بذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله ﴿والذين لا يدعون مع الله
الها اخر﴾ فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الاية فنزل قوله ﴿الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا﴾ فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك
به﴾ فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم﴾ فدخلوا عند ذلك في الاسلام ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى اختلق
وافتعل اثما عظيما﴾ لانه ادعى ما لا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوما من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال
لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون ﴿نحن ابناء الله واحباؤه﴾ ﴿لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى﴾ فنزل فيهم ﴿الم تر الى الذين يزكون انفسهم﴾ ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل او قبول الطاعة و
الزلفى عند الله ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ وان تزكيته هي التي يعتد بها كما اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله اني لامين في السماء امين في الارض وكفى باظهار المعجز
على يده تزكية لمن يصدقه في القول ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ هو ما فتلت بين اصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والضمير
للذين يزكون اي يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن يشاء اي يثابون على زكائهم من غير نقص شيء من ثوابهم ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم عن فريتهم وادعائهم
ذكاءهم ومكانتهم عند الله فقال ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ في تبرئة عمهم ﴿وكفى به اثما مبينا﴾ من بين سائر اثامهم قال المفسرون خرج كعب بن
الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على ابي سفيان والاخرون في دور قريش فقال لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب لا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم
ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وامنوا بهما فذلك قوله ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ ثم قال كعب لاهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق
اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا
اهدى طريقا واقرب الى الحق انحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني
ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم
والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى ﴿الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب﴾ يعني كعبا واصحابه فلما رجع الى قومه قالوا ان محمدا يزعم انه قد نزل فيك كذا
كذا فقال صدق والله ما حملني على ذلك الا بغضه وحسده وقد مر معنى الطاغوت في تفسير اية الكرسي واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم ان اصله جبس فابدلت السين
تاء والجبس هو الخبيث الرديء وقال الكلبي الجبت في الاية هو حيي بن الاخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعون اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما
في اغواء الناس واضلالهم فلا جرم جزاهم الله بقوله ﴿اولئك الذين لعنهم الله﴾ وبالحري ان جعلوا من هو اضل من النعام واذل من الانعام حيث صنو
معبودية الاصنام ﴿اهدى سبيلا﴾ وافضل حالا ممن له نهاية الشرف في الانام لاختيار دينهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ﴿ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ وعيد لهم بلزوم الابعاد والطرد ولصوق العار والصغار ووعد للنبي والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم
الحلوم القيمة والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل طالب بعيد عرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لان البخل
يمنع ما اوتي من النعمة والحاسد يتمنى ان تزول عن الغير ما اوتي من الفضيلة وام قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى قولهم للمشركين
انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال امن ذلك يتعجب ام من قولهم لهم نصيب من الملك مع انهم لو كان لهم ملك لبخلوا باقل القليل وقيل الميم زائدة والتقدير الهم
والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل الهم نصيب من الملك معنى الاية انهم كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم
قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في اخر الزمان وانه يخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني انهم انما يقدرون
على دفع نبوتك لو كان التمليك اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والاثبات قال ابو بكر الاصم كانوا اصحاب بساتين
واموال كانوا في عز ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل فنزلت الاية فيهم وعلى هذا فانما يتوجه الانكار على انهم لا يؤتون احدا
مما يملكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان لهم نصيبا من الملك فكانه جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان البخل والملك لا يجتمعان
كما قيل البر يستعبد الحر والانسان عبيد الاحسان والبخل ينفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له اسباب المملكة فان اجتمعا بالندرة فسوف يضمحل وانما الغي
اذن لدخول الفاء عليه وذلك ان ما بعد العاطف من تمام ما قبله فما بطل بسبب العاطف تعلق الكلام بعض ببعض فيجزم بتقديره فكانه معتمد فيرجح الغاء وارتفاع
الفعل بعده وجاء في قراءة ابن مسعود فاذن لا يؤتوا بالاعمال ليس يقوى والنقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها ينبت النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل
فان قيل كيف يعقل انهم لا يبذلون نقيرا وكثيرا ما يشاهد منهم بذل الاموال قلنا المدعى عدم ابتناء النقير على تقدير حصول الملك ويراد به الملك العام كالملوك
الدنيا او الباطن كما للعلماء او بالنيابة او كليهما كما للانبياء وحصول شيء من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضربت عليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء

منها فانه يلزمه لعل الشيخ يغلب عليهم خوف لا يتاتى معه منهم بذل شيء كما اخبر عنهم علام الغيوب اما على تقدير الاضمار فلعل المراد لانهم لا يبذلون شيئا ينسب الى ما يملكونه
كنسبة النقير الى النواة او انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح عليهم والله تعالى اعلم بمراده فهذا بيان بخلهم اما بيان حسدهم فذلك قوله أم يحسدون وهو
منقطعة والتقدير بل أيحسدون الناس يعني النبي والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظاهر وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة انكار
الحسد واستقباحه المراد بالفضل هنا ما آتاهم الله من فضله لمناسبته هو النبوة والخاتمية وما كان ينضم اليها كل يوم من النصرة والعزة والاستيلاء والاستعلاء
والفضل محسود بكل اوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم نبه على ما يزيل التعجب من شان محمد فقال فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد الكتاب اي جنس
الشرائع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل بمقتضى صلاح الدارين وآتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود
وسليمان فليس ببدع ان يؤتى النبي ما اوتي اسلافه ويكون من جملة حسدهم انهم استكثروا النساء للنبي فقيل لهم كيف استكثرتموه للتسع وكان لداود مائة و
لسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله
ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر والمعنى ان اولئك الانبياء جرت عادة اممهم فيهم ان بعضهم آمن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت
يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء والغرض تثبيت النبي وتسليته وكفى بجهنم سعيرا اي بعذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتاخرين سعيرا ثم اكد وعيد الكفار بقوله ان الذين
كفروا بآياتنا ويدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه وملائكته والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا كونها آيات او يغفلوا عنها ولا ينظروا
فيها او يلقوا الشكوك والشبهات فيها او ينكروها مع العلم بها عنادا وحسدا او بغيا ولددا وههنا سؤال وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار احياء مخلدين
من غير ان يحرق جلودهم فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه قد وعلى قياس الالم اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال الم
عليهم بادخالهم النار وسؤال آخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص والجواب يجعل النضيج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة ونوقش
فيه اهل اللغة بتبديل الشيء تغييره وان لم يات ببدله وابدلت الشيء تغييره فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد من هذا
التبديل هو تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعل ما حمله على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة اعم من ان يكون في الذات او في الصفات
فما ادريك هنا انه لا بد مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يعضده نقل صحيح ويكون الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزءا من ماهيته وانما
هو سبب لوصول العذاب اليه ويقال المراد الدوام وعدم الانقطاع ولا احتراق اي كلما ظنوا انهم احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا
انهم الآن حدثوا وتجددوا وقال السدي يخرج من لحم الكافر جلدا آخر وفي هذا التاويل بعد لان لحمه متناه وقيل فعاده لا بد من طريق آخر في تبديل الجلد وقيل ان السؤال
وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك للظاهر وان السرابيل لا يوصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز
اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الجلود الجديدة العذاب والمراد بالذوق ان احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق
بالمذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال والذين آمنوا الآية وقال
الواحدي الظليل ليس ينبئ عن الفعل حتى يقال انه بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل اليل وقيل اذا لم يكن في الجنة شمس
فمن اين الظل فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك
الجواب المنع من انه لا شمس هناك لا حر ولا ضوء ثم هو ظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا لا جوب فيه اي لا فرج لالتفاف الاغصان وانه
لا ينسخه الشمس فيصير احونه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا لهم صار موعودا
لهم التاويل او تسوى بهم الارض اي يتمنون ان يخلوا في عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة كيلا يروا ما يرون من عذاب القطيعة كما ان السكران ممنوع
من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلة لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال فان التكلف يفتح زلة ولا جنبا بالالتفات
الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة ويستثنى من عالم الارواح الى عالم الشعور ومن الثابتة حالة العبور في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل فغذ القدر من الالتفات
من المحظورات التي اباحها الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط في قضاء شهوة من الشهوات او لمستم
عجوزة الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا وامتعكوا في تراب اقدام الكرام فانه طهور الذنوب العظام من الذين هادوا يعني ذاب
علماء السوء فهم من دأب الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه بأولها على حسب آرائهم ويقولون سمعنا ما في القرآن بالمقال وعصينا بالفعال ويتكبرون
على ارباب المقامات والاحوال ويقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذو وجهين ليا بألسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا علم الكتاب
ظاهرا ولم يوتوا علم باطن الكتاب آمنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن
اهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الانبياء علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظرين الى
الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى يومها او نلعنهم عن صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ
المعنى اصعب من مسخ الصورة لان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة ان الله لا يغفر ان يشرك به للشرك ثلث مراتب وكذا للمغفرة فشرك جلي بالاعيان وهو للعوام
في عبدة الكواكب والاصنام فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالاوصاف للخواص وهو مشوب العبودية
بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد للواحد وشرك اخفى بالاحدية وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوت

جمعها بالانانية مرتبة

فى بناء اللاهوتية الم تر الى الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة تعلموا العلم ليباهوا به العلماء او ليماروا به السفهاء تحصل لهم صفات ذميمة اخرى مثل المنافقة والمماراة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وغلبة الاقران والاعداء بل الله يزكي من يشاء بتسليم نفوسهم الى ارباب التزكية من العلماء الراسخين والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فاذا سلموا انفسهم اليهم وصبروا على تصرفاتهم داووا اثر الزكاء فيهم ولن يضيع سعيهم يؤمنون بالجبت جبت النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من اهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء اهدى من الذين آمنوا بكل ما امر الله به ورسوله ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد آتينا آل ابراهيم يعني اهل الخلة والمحبة الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن وآتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه لان من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم الحاسدة سعيرا اخرى حسناتهم فان الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ان الذين كفروا بآياتنا ما ولياتنا الذينهم مظاهر آيات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نارا الحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم اي انقطع معنى ما في نفوسهم الامارة ومقتضيات هواها ولا يخفى حسن استعارة الجلود لاثار الشيء من حيث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فان دواعي الحرص والغضب والشهوة لا يفنى هي الثابتة ما دامت النفس على صفة الامارية فلن تزال سلاسل الشهوات ذائقة لعذاب التعلقات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم اي ندخلهم بجذبات العناية الى جنات الوصلة تجري من تحتها الانهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة وخمر الشوق وعسل الكشوف لهم فيها ازواج من تجلي صفات الجمال والجلال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل الا ظله

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ

بدرستی که خدا میفرماید شما را که واپس دهید امانتها را بسوی کسان آن و چون داوری کنید در میان مردمان انکه داوری کنید بعدالت بدرستی که

نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

خوبست آنچه پند میدهد شما را بان بدرستی که خدا هست شنونده بینا ای زمره آنان که گرویده اید فرمان برید خدا را و فرمان برید پیغمبر را

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

و صاحبان فرمان را از شما پس اگر نزاع کنید در چیزی پس باز گردانید بسوی خدا و پیغمبر اگر بوده باشید که ایمان آورید بخدا و روز

الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

واپسین این بهترست و نیکوترست عاقبت آیا ندیدی انهارا که گمان میکنند که انها ایمان آورده اند بانچه فرستاده شد بسوی تو و آنچه فرستاده شد

يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا

میخواهند که داوری جویند بسوی طاغوت و حال آنکه مامور شدند که کافر شوند بان و میخواهد شیطان که گمراه کند انهارا گمراهی دور

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ

و چون گفته شد بانها که روآرید بسوی آنچه فرو فرستاد خدا و بسوی پیغمبر دیدی اهل نفاق را که اعراض میکنند از تو اعراض کردنی پس چگونه

إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا

چون رسید بانها مصیبتی بجهة آنچه پیش فرستاد دستهای انها پس آیند ترا سوگند خوران بخدا که اراده نکرده ایم مگر نیکوئی و موافقت کردن را

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا

انها انانند که میداند خدا آنچه را که در دلهای ایشانست پس روگردان از انها و پند ده انها را و بگو بانها در نفسهای انها گفتاری رسا و نفرستادیم

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ

هیچ پیغمبری مگر برای آنکه اطاعت کرده شود بفرمان خدا و اگر بدرستی انها چون ستم کردند بنفسهای خود آمدندی ترا پس طلب آمرزش کردندی خدا را و طلب آمرزش کردی برای انها

الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

پیغمبر هر آینه یافتندی خدا را توبه پذیر مهربان پس نه قسم بپروردگار تو ایمان نیاورند تا آنکه حاکم سازند ترا در آنچه منازعه در افتاد میان انها پس نیابند

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا

در نفس خویش تنگی را از آنچه حکم کرده و گردن نهند گردن نهادنی و اگر چنانچه نوشته بودیم برانها اینکه بکشید نفسهای خود را یا که بیرون روید

مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا

از خانهای خود نمیکردند آنرا مگر کمی از انها و اگر انها کردندی آنچه پند داده میشوند بان هر اینه بهترست انهارا و سخت ترست ثابت داشتن

وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ

و انهنگام هر آینه دادیم انهارا از نزد خود مزدی بزرگ و هر آینه هدایت کردیم انهارا راهی راست و هر که فرمان برد خدا را

وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

و پیغمبر را پس آن گروه با انهایند که انعام فرمود خدا بر ایشان از پیغمبران و راستگویان و شهیدان

وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقًا ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ عَلِيمًا

ونیکوکاران وخوبند اینطائفه ازجهة رفاقت این زیادتی است از خدا وبس است خدا دانا

القراءات ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا بكسر الواو للساكنين عاصم وحمزة وسهل الباقون بالضم الا قليلا بالنصب ابن عامر على اصل الاستثناء والمعنى الا فعلا قليلا او الا قليلا الباقون بالرفع على البدل من الواو في فعلوه الوقوف الى اهلها لا لان التقدير يامركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل ط يعظكم به ط بصيرا منكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واليوم الآخر ط تأويلا ه ان يكفروا به ط بعيدا صدودا ج للآية مع فاء التعقيب السبع الثاني يحلفون قد قيل على ان تعلق ما ابتداء القسم والاولى تعليق الباء بيحلفون وتوفيقا بليغا باذن الله ط رحيما تسليما قليلا منهم ط تثبيتا عظيما لا لان ما بعده من تمام جواب لو مستقيما والصالحين لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى رفيقا من الله ط عليما ه التفسير لما شرح بعض احوال الكفار عاد الى ذكر التكاليف وايضا لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق قالوا للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات او من باب الدنيا والمعاملات ثم انه قد وعد في الآية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها روي ان عثمن بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فاراد النبي ان يدفعه الى العباس ثم قال يا عثمن خذ المفتاح على ان للعباس معك نصيبا فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمن يا علي اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك فقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واسلم فجاء جبرئيل وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وقال خذوها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمن هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فالمعاملة الامانة مع الرب في كل ما امر به ونهى عنه قال ابن مسعود الامانة في الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلوة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال هذا امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي والفحش والاكاذيب وكذا القول في سائر الاعضاء ثم الامانة مع سائر الخلق كرد الودائع وترك التطفيف وترك عيوب الناس وافشاء اسرارهم وبالجملة عدل الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقائد الباطلة والاخلاق غير الفاضلة ويشتمل امانة الزوجة للزوج في ماله وفي نفسها وامانة الزوج لزوجته في ايفاء حقوقها وحظوظها وامانة العبد للمولى وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح في الدين والدنيا ولا يوقعها بسبب اللذات الفانية في التبعات الباقية وقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ولا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء ما وجب لغيرك عليك امر باستيفاء حقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل في قوله اذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضاء وقد عد العلماء من شرائط النيابة العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة والكفاية واهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ ومن السنة المتواترة والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه وصحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا خصوصا وعموما الى غير ذلك مما له مدخل في استنباط الاحكام الشرعية من مداركها ومظانها وكفى بما في هذا المنصب الخطر انه منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدي له ان يتأدب بآدابهم ويتخلق باخلاقهم والا فالويل له عن النبي انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجائر وعنه ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص بالمدح محذوف وما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيئا يعظكم به ذلك المأمور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اسباب الوعيد للعاصي ثم انه سبحانه امر الرعاة بطاعة الولاة كما امر الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله الآية عن علي رضي الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر الطلب ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المأمور كايمان ابي لهب هل يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا امر الا بارادة والخلاف بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه الآية مشتملة

على أكثر علم أصول الفقه لأن أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة وأشار إليهما بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب يدل على أمر الله ثم يعلم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم يعلم منه أمر الله والإجماع والقياس وأشار إلى الإجماع بقوله وأولي الأمر لأنه تعالى أمر بطاعتهم على سبيل الجزم فوجب أن يكون معصوماً لأنه لو احتمل إقدامه على الخطأ والخطأ منهي عنه لزم اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد وإنه محال ثم ذلك المعصوم إما مجموع الأمة أو بعضهم على ما يقوله الشيعة من أن المراد بهم الأئمة المعصومون وعلى ما زعم بعضهم أنهم الخلفاء الراشدون وعلى ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم أمراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمي وكخالد بن الوليد إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الآية وعلى ما روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك أنهم العلماء الذين يفتون بالأحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل إلى الثاني أما على ما زعمت الشيعة فلأنا نعلم بالضرورة أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم والاستفادة منه فلو وجب علينا طاعته على الإطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته إذا صرنا عارفين به وبمذهبه صار هذا الإيجاب مشروطاً وظاهر الآية يقتضي الإطلاق على أن طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم أن تكون اللفظة الواحدة مطلقة ومشروطة معاً وهو باطل وأيضاً الإمام المعصوم عندهم في كل زمان واحد ولفظ أولي الأمر جمع وأيضاً إنه قال فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وعلى هذا ينبغي أن يقال فردوه إلى الإمام وأما سائر الأقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه إذا علم بالدليل أن طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس إلا الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسماً منفصلاً كما أن وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للأستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول أما إذا حملناه على إجماع أهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلاً فيما تقدم إذ الإجماع قد يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وأيضاً قوله فإن تنازعتم في شيء مشعر بإجماع تقدم يخالف حكمه حكم التنازع وأيضاً طاعة الأمراء والخلفاء مشروطة بما إذا كانوا على الحق وظاهر الآية يقتضي الإطلاق وإذا بطل أن تحمل الآية على هذه الوجوه غير هذا تعين أن يكون ذلك المعصوم كل الأمة أي أهل الحل والعقد أصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله أولي الأمر ما اجتمعت الأمة عليه هو المدعى وأما القياس فلذلك قوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إذ ليس المراد من رده إلى الله والرسول رده إلى الكتاب والسنة والإجماع وإلا كان تكراراً لما تقدم ولا تفويض علمه إلى الله ورسوله والسكوت عنه لأن الواقعة ربما كانت لا تحتمل الإهمال بل تقتضي قطع مادة الشغب والخصومة فيها نفياً وإثباتاً ولا الإحالة على البراءة الأصلية فإنها معلومة بحكم العقل فالرد إليها لا يكون رداً إلى الله والرسول فإذاً المراد رد ذلك إلى الأحكام المنصوصة في الوقائع المشابهة لها وهذا هو معنى القياس فحاصل الآية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول ثم لما سوى أهل الحل والعقد بطاعتهم ثم أمر أهل استنباط الأحكام من مداركها إن وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ما أن يستخرجوا لها وجهاً من نظائرها وأشباهها فما أحسن هذا الترتيب ثم في إطلاق الآية دلالة على أن الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقاً سواء كان القياس جلياً أو خفياً وأنه لا يجوز رفع ما فيه النص ولا تخصيصه بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب أيضاً في قصة معاذ واستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا والقرآن مقطوع في متنه والقياس مظنون والقرآن كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الإنسان الذي هو عرضة الخطأ والنسيان وقد أجمع العلماء على أن إبليس خصص عموم الخطاب في قوله إذ قلنا للملائكة اسجدوا بالقياس وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن إلى يوم الدين والسر فيه أن تخصيص النص بالقياس تقديم القياس على النص ومنها أنه إن كان الأمر للوجوب فقوله أطيعوا يدل على وجوب الطاعة وإن كان للندب فهيهنا ما يدل على الوجوب ظاهراً لأنه ختم الأوامر بقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وهو وعيد والظاهر أنه عائد إلى جميع الأوامر لا إلى قوله فردوه وحده وأيضاً مجرد الندب وهو أولوية الفعل معلوم من تلك الأوامر فلا بد للآية من فائدة خاصة فيحمل على المنع من الترك ليحصل من المجموع معنى الوجوب ثم هذا الوجوب يكون دائماً إن كان الأمر للدوام والتكرار وكذا إن لم يكن غيره كذلك لأن الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملناه على العموم كانت الآية مبينة وإلا كانت مجملة والمبين أولى من المجمل وأيضاً تخصيص اسم الله بالذكر يدل على أن وجوب الطاعة إنما هو لكونه إلهاً والإلهية دائمة فالوجوب دائم وإنما كرر لفظ أطيعوا للفصل بين اسم الله تعالى وبين المخلوقين ويعلم من إطلاق وجوب طاعة أولي الأمر أن الإجماع الحاصل عقيب الخلاف حجة وأنه لا يشترط انقراض العصر ومن إطلاق قوله فإن تنازعتم في شيء فردوه أن القياس يجوز إجراؤه في الحدود والكفارات أيضاً والمراد بالتنازع في الاحتجاج هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولي كأن كل واحد منهما ينتزع الحجة لجانبه ذلك الرد والمأمور به في الآية خير لكم وأحسن تأويلاً أي عاقبة من آل الشيء إذا رجع وقيل الرد إلى الكتاب والسنة خير مما تأولون أنتم ثم إنه تعالى لما أوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر أن المنافقين الذين في قلوبهم مرض لا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال ألم تر إلى الذين يزعمون الآية قال الليث تقول زعم فلان معناه لا يعرف أنه صدق أو كذب ومنه زعموا مطية الكذب قال ابن الأعرابي الزعم يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الآية الكذب بالاتفاق قال أبو مسلم ظاهر الآية يدل على أن الزاعم كان منافقاً من أهل الكتاب مثل أن يكون يهودياً أظهر الإسلام على سبيل النفاق لأن قوله يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك إنما يليق بمثل هذا المنافق أما سبب النزول ففيه وجوه والذي عليه أكثر المفسرين ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رجلاً من المنافقين يسمى بشراً خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف وذلك أن اليهودي كان محقاً وكان النبي لا يقضي إلا بالحق وعلم أن منصبه يمنعه عن قبول الرشوة وكان كعب يبطل الحقوق بالرشى فما زال اليهودي بالمنافق حتى ذهبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق إلى عمر بن الخطاب بدلا

عمر فقال اليهودي اختصمنا انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وهرب اليهودي فنزلت
الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلعم انت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق
بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ منه مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا من تمر
وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك فقال بنو النضير ضمان علينا انما
علينا ستين وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه فقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد لا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا
الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون لا بل الى النبي صلعم فابى المنافقون فانطلقوا الى ابي بردة ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة اوسق فقال
لا بل مائة وسق ديتي فاني اخاف ان نفرت النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه
الاية فدعا النبي صلعم لابنيه ادركا اباكما فانه ان جاز عقبة كذا لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم وامر النبي صلعم مناديا فنادى الا ان كاهن اسلم قد اسلم وعلى
هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم
يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون القداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم
ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله وبرسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء
رسول الله صلعم تشككا او تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي
ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة به على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجيب
فان للقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم والذم منهم بل التعجب من النبي او ولا عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان
احدهما وهو قول الحسن واختيار الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك
يعني انهم اول الامر يصدون عنك اشد الصدود ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الصد الا الاحسان والتوفيق ووجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم
الى الطاغوت وانهم يصدون ثم اتبعها بما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والاخرة والثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت
نفرتهم من الحضور عند الرسول اولا تلك النفرة فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك كرها يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك
الجناية الا الخير والمصلحة اما المصيبة فقيل هي قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا فطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج
وقال الجبائي هي ما امر الله ورسوله بها من انه لا يستصحبهم في الغزوات وتخصيصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك في وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون ما اردنا بما
كان منا من مواساة الكفار الا اصلاح الحال وقال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم الى ان يظهروا الايمان ومن عادة العرب عند
التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا احسانا بين الخصوم واستدامة الاتفاق بينهم فانهم كانوا لا يقدرون
عند الرسول ان يرفعوا اصواتهم ويتبعوا حججهم او ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه
يحكم له بما حكم به وعلى هذا لا يبقى للحلف مناسبة ظاهرة او ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يدور على التوسط
يامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الاخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهما الموافقة ثم اخبر الله سبحانه بما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ولذلك من اراد المبالغة في شيء قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني انه لكثرته وعظم حاله لا يقدر احد على معرفته الا هو
ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامره بثلاثة اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك العذر ويستمر على السخط او انه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم
بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثارة الفتنة الثاني ان يعظهم بزجرهم عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه احدها ان في الاية تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون
منه الخوف الثاني وقل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا هو ان الله يعلم ما في قلوبكم فلن يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم
عن دنس النفاق والا فسينزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك واغلظ الثالث قل لهم في انفسهم خاليا بهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح
بين الملا تقريع وفي السر نفع والجمع قولا يؤثر فيهم وقيل القول البليغ يتعلق بالوعظ فهو ان يكون كلاما حسنا وجيز المباني عزيز المعاني يدخل الاذن
بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغب مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله على ان من صلة
كيلا النفي والتقدير وما ارسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف والتقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الاية من اقوى الدلائل على بطلان
مذهب المجبرة لكونها صريحة في ان معصية الناس غير مرادة لله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة لله تعالى على ان قوله
باذن الله ليس بتيسيره وتوفيقه واعانته يدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول وقيل في الاية دلالة على انه لا
رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون عن المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع
اقوالهم وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك الذنب واستغفر لهم الرسول

كاهن اسلم الى الاسلام فابى وانصرف فقال النبي

انتصب شفيعا لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من ايذائه برد قضائه لوجدوا الله توابا رحيما ولم يقل واستغفرت لهم لما في الالتفات من الخطاب الى ذكر
الرسول تنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان قال الامام على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا
على كيد في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبرئيل فاخبره به فقال صلى الله عليه وسلم ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا فليستغفروا الله حتى
استغفر لهم فلم يقوموا فقال الا تقومون فلم يفعلوا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله
من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدء الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء
ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك وذلك ان ام الزبير
صفية بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار الذي يحيط بالمزرعة وهو اصغر من الجدار واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في هذا ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول اذن للزبير في السقي على وجه
المسامحة فلما اساء خصمه الادب لم يعذره حتى امره الرسول من المسامحة لاجل امره باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق وفي قوله فلا وربك قولان احدهما
ان لا صلة لتاكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثاني انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي امر سبق والتقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا
وهم يخالفون حكمك ثم استؤنف القسم بقوله وربك لا يؤمنون الثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب وهذا الوجه لا يتأتى فيما اذا كان الجواب مثبتا
ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق او الشك لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا وسلم لامر الله اي سلم نفسه له وجعلها خالصة لحكمه ومن التعليمية من تمسك بالآية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد
النبي وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل امر ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور
فائدة الحكم عبر كلي والتفصيل في جميع الاحكام عبر به ضمني واعلم ان الرضى بحكم الرسول قد يكون رضى في الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول هو الحق والصدق ثم من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فانه قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد
او يتوقف في ذلك القبول فبعدم الحرج اشارة الى الانقياد في الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد في الظاهر وفي الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطأ في الفتاوى
والاحكام ودليل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان في النفس حرج ثم قالت المعتزلة منها لو كانت المعاصي بقضاء الله لزم التناقض لان الرضى بقضائه
واجب فالرضاء بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضا في تركها ويلزم الرضاء بالفعل والترك معا وهو محال والجواب ان المراد
قضاء الله التكويني الايجاد فالرضى بقضائه ان نعتقد كون الكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به ويتلقى بالبشر والقبول
ذلك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روي ان حاطبا لما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوعب للزبير حقه في صريح الحكم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان
القضاء فقال الحاطب فقال لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل
بنا ذلك ونزلت الآية والضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا القتل
والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذ لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم الاشياء
السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمي التكليف وعظا لاقترانه بالوعد
والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي انفع وافضل من غيره او خير الدنيا والآخرة لان خيرا يستعمل بالوجهين جميعا واشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم
على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل ولان الانسان يطلب الخير اولا فاذا حصل
يطلب ثباته ودوامه ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما وثوابا جزيلا واذا جواب
لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما وفي ارادة صيغة التعظيم في آتينا ولدنا وفي قوله من لدنا
وفي وصف الاجر بالعظيم وفي تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق او الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد
استحقاق الاجر ثم اكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الآية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سببها وجوها قال الكلبي
نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اذا خرجنا من عندك الى اهالينا اشتقنا اليك فما ينفعنا شيء حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل

الله هذه الآية فلما توفي النبي اتى الانصاري ولده وهو في حديقته فاخبره بموت النبي فقال اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا بعده فعمي مكانه وقال السدي ان ناسا
من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية
ان كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول انه غير جائز لكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد
المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق ان عالم الانوار لا تمانع فيه ولا تدافع بل
ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة اخوانا على سرر متقابلين ثم انه تعالى ذكر اصنافا اربعة النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ولا شك في تغايرها مفهوما كانت متداخلة ومتباينة والمراد بالتداخل ان لا يمتنع كون كل متقدم موصوفا بما يتلوه فان يكون النبي صديقا وشهيدا
وصالحا والصديق شهيدا وصالحا وقد مر تفسير النبي في اوائل البقرة واما الصديق فمبالغة الصادق وهو من غلب عليه اقوال الصدق ومن تخصلة
مرضية في جميع الاديان ومحققة للنطق الذي هو من مقومات الانسان وكفى به منقبة ان الايمان ليس الا التصديق وكفى بنقيضه مذمة ان الكفر ليس سوى
التكذيب وذكر المفسرون لكونهم ان الصديقين في الآية كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
وقال قوم هم افاضل اصحاب النبي وخصصه بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة الناس كابي بكر وعلي وامثالهما ولا واسطة بين الصديق
والنبي ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين وفي صفة ابراهيم انه كان صديقا نبيا يعني انك ان ترقيت من الصديقية وصلت الى النبوة وان نزلت
من النبوة وصلت اليهم واما الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله ما تعدون الشهيد فيكم قالوا
يا رسول الله من قتل في سبيل الله قال ان شهداء امتي اذا لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد
وفي رواية ومن مات بجمع فهو شهيد وقيل هو الذي يشهد لصحة دين الله تارة بالحجة والبيان واخرى بالسيف والسنان واقول لا يبعد ان يدخل كل هذه الامة
في الشهداء لقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة ينبغي
ان لا ينحط عنها مرتبة المؤمن ثم قال في معرض التعجب وحسن اولئك رفيقا كانه قيل وما احسن اولئك والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع
فيه وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق في اللغة لين الجانب
ولطافة الفعل سمي الصاحب رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ومنه الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقا
فبين الله تعالى ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله
خبره او ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره وفائدة الاعتراض ذلك اشارة الى الاجر العظيم او مرافقة المنعم عليهم من الانبياء وهذا شيء تفضل الله به عليهم تبعا
لثوابهم الواجب على الله او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه فلولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار والعلل
لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب غيره ثوبا لينتفع به فاذا باعه وانتفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب
قال اهل السنة الاشارة في ذلك الى الجميع مما تقدم ولا يجب على الله شيء البتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شيء وانه هو الذي خلق القدرة والداعية
وايضا الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند الترك وانه في الالهية باطل وايضا كل ما صدر من الطاعات فانه في مقابلة النعم السالفة التي لا تعد ولا تحصى
فيمتنع كونها موجبة الثواب في المستقبل معنى الاية ان ذلك الثواب بكماله درجته كانه هو الفضل وما عداه غير معتد به وذلك الثواب المذكور هو من الله
لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب المكلف على كمال الطاعة والاحتراز عن النقصية فيها التأويل الوجود المجازي انما
من الله تعالى كما ان وجود الظل انما هو من الشمس فلا جرم اذا تجلت شمس الربوبية لظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاعتبارات وامحت الآثار وبقي الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا حكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح والقلب والنفس ان تحكموا بالعدل فيه
غرائب القلب بشواهد اللقاء ويلازم الروح عقبة الفناء والسر داود سلطان البقاء يا ايها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا
على الحقيقة وطاعة القالب ان يجل الله وحده وطاعة الروح ان لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره في الوجود اما الرسول فهو الرسول الوارد
من الحق في الباطن كما قال لو ابصرتهم بعيدا استغفت قلبك ما ابصره ولو فاتك المفتون واولي الامر منكم يعني مشايخكم ومن يبدأ اسمها منكم فان
تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس القلب والروح والشيطان فردوه الى الكتاب والسنة او يريد منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة رأسا فهو
لعلهم والدراية فردوه الى الله لمراعاة القلوب بشواهد الغيوب الى الرسول فان الحق يصدق اليه وصفاء الطوية ذلك الايمان الا ان في بر
تشبيه النور الوثابي خير من تقليد الكتاب والسنة بالتقليد دون التحقيق ثم اخبر عن حال اهل القال المحاكمين الى طاغوت الهوى والخيال من اهل البدع
والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الآية اصابتهم مصيبة ملامة من الخلق او سياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فيه ان الايمان
الحقيقي ليس بمجرد التصديق والاقرار ولكنه سبب على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع النبوة لا النبوة والمولى لا الهوى وادراك
الامور والخلق فيما اختلف ماراؤهم ويحررون عقولهم ثم لا يجدوا في قرارة انفسهم صون كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والقدرية
الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء اهل الجهاد الاكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله المستعان

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم

ای گروه آنها بیکه گرویده اید فرا گیرید اسلحه خود را پس متفرق شوید فرجها یا متفرق شوید همگی و بدرستی از شما هر آینه کسی است که بازمیدارد مردم را پس اگر رسد

مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن

شما را مصیبتی گوید که انعام فرمود بدرستی خدا بر من چون نبودم من با آنها حاضر در جنگ و هر آینه اگر رسد شما را بخششی از جانب پروردگار هر آینه گوید چنانکه گویا نبود

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ

میان شما و میان او دوستی ای کاش بودم من با ایشان پس بهره میبردم بهره بزرگ پس جهاد کنند در راه خدا آنهائی که میخرند زندگانی

الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَا لَكُمْ

دنیا را عوض از آخرت و هر که جهاد کند در راه خدا پس کشته شود یا غالب شود پس زود باشد که بدهیم او را مزدی بزرگ و چه شده شما را

لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

که جهاد نمیکنید در راه خدا و ناتوانان از مردان و زنان و طفلان آنهائیکه میگویند پروردگارا

أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا الَّذِينَ

بیرون آر ما را از این ده که ستمکارند اهل آن و بگردان از برای ما از نزد خود نگاهداری و قرار ده از برای ما از نزد خود یاوری آنهائیکه

آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ

گرویدند جهاد کنند در راه خدا و آنهائیکه کافر شدند جهاد کنند در راه بت پس جهاد کنید دوستان شیطان را

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

بدرستی که کید و حیله شیطان میباشد ضعیف آیا ندیدی آنها را که گفته شد بآنها که باز دارید دستهای خود را و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ

پس چون نوشته شد بر ایشان جهاد ناگاه طائفه از ایشان میترسند از مردم چون ترسیدن از خدا یا سخت تر ترسی و گویند که پروردگارا چرا نوشتی

عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا

بر ما جنگ کردن را کاش پس انداختی ما را تا زمانی نزدیک بگو بهره دنیا کم است و آن سرای بهتر است مر آنرا که پرهیز کرد و ستم کرده نشوید بقدر رشته میان هسته خرما

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ

هر جا که باشید در مییابد شما را مرگ و اگر چه بوده باشید در قصرهای رفیع و اگر رسید ایشانرا خوبی گفتندی که این از نزد خداست

وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

و اگر رسید ایشانرا بدی گفتند که این از نزد توست بگو همه از نزد خداست پس چه است مر اینگروه را که نزدیک نیستند که

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ

درک کنند حکایتی را هر چه رسید تو را از نیکوئی پس از خداست و هر چه رسید تو را از بدی پس از خود تست و فرستادیم تو را

لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

از برای مردم پیغمبر و بس است خدا گواهی هر که پیروی کند رسول را بتحقیق که طاعت کرده خدا را و هر که برگشت پس نفرستاده ایم تو را بر ایشان

حَفِيظًا وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ

نگاهبان و میگویند کار ما طاعت است پس چون بیرون آیند از نزد تو باشند گروهی از ایشان بغیر از آنکه میگفت و خدا

يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا

می‌نویسد آنچه شب را با آن بسر میبرند پس رو گردان از ایشان و توکل کن بر خدا و بس است خدا کارگذاری

القراءة لیبطئن نحوه مثل فلیقبلن ولیبوئنهم بالیاء الی الصنم یزید والیتموتن وحمزة فی الوقف کان لم تکن بالتاء العوفا بنیه ابن کثیر وحفص والمفضل ویعقوب لیاتون بیاء الغیبة یغلب عنوفد یا به یحوان تعجب تعجب من یتغلب مدغما ابو بکر وحمزة غیر خلف وعلی هشام ولا یظلمون بالیاء الحمانیة ابن کثیر وعلی وحمزة وخلف هشام وبرید وابن مجاهد عن ابن ذکوان لیاتون بتاء الخطاب بیت طائفة مدغما ابو بکر وحمزة الوقوف جمیعا لیبطئن لا ابتداء الشرط مع فاء التعقیب شهیدا عظیما بالاخرة عظیما اهلها ولیا کان الفصل بین الدعوات نصیرا فی سبیل الله للفصل بین الفضتین بالمتضادین اولیاء الشیطان لا للابتداء ونقل الفاء واللام ضعیفا الزکوة لان جواب فلما مدنظر لکن التعجب فی قوله الم تر واقع علی قوله اذا فریق منهم یخشون خشیة لانقطاع النظم مع تمام المعنی القتال لان لولا ای هلا استفهام اخر مع اتحاد المعول قریب قلیل للوصف للفضل بین وصف الدنیا والاخرة مشیدة للعدول لفظا ومعنی من عند الله بین النقیضین من عندک من عند الله حدیثا من الله فصلا بین النقیضین من نفسک رسولا شهیدا اطاع الله لحق العطف مع ابتداء الشرط اخر حفیظا الامبین

الفعل بعد هذا طاعة لابتداء الشرط مع ان المقصود من بيان نفاقهم لا يتم بعد بقوله ليبطئن لاختلاف الجملتين مع الاتصال اى ان كتب الله ما ينبغوا فاعرض
دلائهم على الله يكمل التقسيم انه سبحانه عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد لانه اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها تقوية
الدين فقال يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
الة التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه ما يتقي به ويحذر فان قيل
اى فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدور كائن والامر فصل قلت هذا امر عالم الاسباب والوسائط المرتبطة ولا ريب ان الكل يقع على نحو ما امر
امتثل ونهى عنه لا ترك ان يقدر وما ما يجري فيه عند السلام كان بتقدير وهكذا شأن جميع التكاليف اذا عرفت فانفروا الى قتال عدوكم اخرجوا لذلك
قال واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبي معوضة الهاء عن الياء المحذوفة والتركيب دال على
الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض لانه يجتمع عنده الماء وثبت الشيء جمعته او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قال الشاعر طاروا اليه زرافات
ووحدانا والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم
وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اي ليبطئن غيره ويثبطه عن الغزو كما هو دأب المنافق عبد الله بن ابي
ثبط الناس يوم احد واما لازم فقد جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اى ابطأ اى ليبطئن فليتخلف عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم
من قتل او هزيمة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن قوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني لان المنادى محذوف اي يا قوم ليتني وجوز ابو علي ان يكون حرف النداء في الفعل للحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوب
باضمار ان اي ليت لى كونا معهم فالفوز والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين آمنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا
فلعله جعل من المؤمنين من حيث الجنس والنسب او الاختلاط او لانه كان حكمهم حكم المؤمنين لظاهر الايمان والمراد يا ايها الذين آمنوا المؤمنون في زعمكم ودعواكم
كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض في البين ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل
في الباطن ونقل عن جمع من المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفاء المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء البتة لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه قد يتثاقل لقوله
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون ومعناه يشترون او
يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين يبيعون
الدنيا العاجلة بالآخرة والمراد انه لما ذم اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال قال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد الموصوفون على التقديرين الاولين لان
الانسان اذا اراد ان يبدل هذه الحياة الدنيا في سبيل الله ويحمل نفسه فانه اشتراها من نفسه ليستبعد الآخرة ليقدم على بذلها في سبيل الله او لعله اريد المشتغل
بالقتال اثر رجح الفاني على الباقي او المراد انهم كانوا يرجحون الحياة على الموت لا يستيقنوا السعادات الابدية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتحوزون
بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وليكون المجاهد على ثقة
من حاله على اي تقدير كان فيقدم ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله
والمستضعفين اما مجرور اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اي واخص من سبيل الله الذي هو عام في كل خير خلاص المستضعفين
وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة او العناد والضعف عن الخروج فبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه
فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الى الصبيان العقل ولانه
لا تبعد الرجل الحر والمرأة الحرة الامة والولد والعبد او الولدان لا تباع والعبيد والاماء لان
العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولائد والولدان والولاية الاعم خص الولدان بالذكر تغليبا كالآباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات
يقول عن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء والظالم صفة القرية الا انه مسند الى اهلها فاتبع القرية في الاعراب وفي تذكير الاسناد الى الاهل
والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لا لتانيث الموصوف بل لجواز تانيث الاهل جاز وانما اشرك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم
ارغاما لآبائهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس ووردت السنة باخراجهم
في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اي كن انت لنا وليا وناصرا او ول علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي لما فتح مكة
جعل عتاب بن اسيد اميرهم فكان الولي هو الرسول وكان النصير عتاب بن اسيد كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة ثم شجع المؤمنين ترغيبا بان اخبرهم انهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الطاغوت وهو الشيطان فلا ولي
لهم الا الشيطان وان كيد الشيطان اوهن شيء وانما وصفه بالضعف لان الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال فاذا كان ان يعلم انه كان موصوفا بالضعف لانه الا
نرى ان اهل الخير الذين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا مدة حياتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا
رسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا الاية نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود
وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون لرسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم
فاني لم اؤمر بقتالهم فلما هاجر الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كره بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما استشهد الله من

المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد يحتج للقول الاول بان
رغبتهم في القتال اولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد الى ان امروا بالقتال فاحجموا واحتج اصحاب القول الثاني بانهم
كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله ثم بقولهم لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فلهذا قيل لهم قل متاع
الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعني بالخشية والاعتراض محمول على التمني
التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاولى حمل الآية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شانهم بلا اختلاف في الآية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على الجهاد وهو ايضا ترتيب مطابق
لما في المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على الترهيب بالقتل في سبيل الله واذا في اذا فريق للمفاجأة وهو جواب لما والعامل
في لما معنى المفاجأة اي فاجاء وقت خشية فريق زمان كتبة القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف
عليه من قوله او اشد ثم نصب خشية على التمييز والتقدير يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من خشية اهل الله نعم لو قيل اشد خشية بالاضافة
انتصب على المصدر ولا يمكن ان يقول اشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية مثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل
خشية الله وخشية اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكلمة او
للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال لكنها بمعنى الواو او المراد ان كل خوفين فان احدهما بالنسبة الى الآخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد
في الاعتبار فخوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله بقي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه شاكا فيه ولكن يوجب ابقاء الابهام في
هذين القسمين على المخاطبين او هذا نظير قوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الآية في المؤمنين فهم انما قالوا ذلك لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحيوة واستزادة في مدة الكف
واستمهالا الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا
ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت باجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة
خير لمن اتقى لا لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هنالك نيرانا واهوالا ومن هنا قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وانما رجح الآخرة فلان نعم الدنيا قليلة
ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاقذار ونعم الآخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم
الآخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخائفين بانهم يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون و
اصلها من الظهور ومنه تبرج المرأة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت
فوقوعه على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوة من النعم وقت مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله تعالى عنهم
بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء فعند هذا قالت اليهود والمنافقون
ما رأينا اعظم شوما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقوله وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم
سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شوم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه وقال قوم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وكل ما يلتفع به من حسنة
فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب والغنيمة وامثالهما وان كان منتفعا به في الآخرة فهو طاعة والمعصية تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم
اجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الافعال والذوات والصفات لا بد من اسنادها الى الواجب بالذات ولهذا تعجب
من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والتهمم فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة هذه الآية
حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بتخليق الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى البتة لانه تعالى ما خلقها والجواب انه تعالى لا يسأل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم
والداعي وقالت المعتزلة ايضا الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الآيات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون القرآن محدثا والجواب بعد تسليم ما
ذكروا انه لا نزاع في حدوث العبارات انما النزاع في الكلام النفسي قوله عز من قائل ما اصابك من حسنة فمن الله قال ابو علي الجبائي السيئة تارة تقع
على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الآية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الآية الى العبد بقوله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق واذا قلنا السيئة في ذلك الآية بمعنى البلية وههنا بمعنى
المعصية فلذا لما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الآية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد عندنا لان الحسنة
انما تصل الى العبد بتسهيل الله والطافه فصحت اضافتها اليه اما السيئة فلا يجوز اضافتها الى الله تعالى لا بانه فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه
رغب فيها وقال في الكشاف ما اصابك من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة
فمن نفسك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك كما روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما
يعفو الله اكثر منه وقالت الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة باي معنى فرضت فهما من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث اليه لكنه قد يقال بعض الظاهريين ان

اسا وانه السبب الى الله تعالى خروج عن قانون الادب وتمني في الايه ان كل ما يصيب الانسان من سيئة حتى الكفر الذي هو اقبح القبائح فان ذلك بتخليق الله ثم والوجه

فيه ان يقال الكلام استفهام على سبيل الانكار والمقصود ان شيئا من الحسنات لا يسند مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيئته ويؤيده ما يروى انه قرئ فمن نفسك

بصريح الاستفهام وهو يدل على انه ظاهر على ان المراد من هذه الاية اسناد جميع الامور الى الله تعالى ثم قوله بعد ذلك وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا اى ليس لك

الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا على جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما تحصيل الهداية فليس اليك

بل الى الله قال علماء المعاني قوله رسولا حال من الكاف اي حال كونك ذا رسالة وللناس متعلق برسولا لا متعلق بارسلناك والا قيل الى الناس فاصل النظم

وارسلناك رسولا للناس فلا بد للتقديم من فائدة هو التخصيص اعني ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه على نقيضه حقيقة او عرفا لا محالة مطلقا وبعد تقديم قيد

المفيد فاللام في قوله للناس اما ان يكون للعهد الخارجي او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجي حصة معينة من الافراد فيلزم اختصاص

رسالته ببعض الانس لوقوع بعض الناس في مقابلة كلهم عرفا فيكون منافيا لما في الايات الاخر كقوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وقوله

بعثت الى الخلق كافة والثاني وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص رسالته بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بواسطة

التقديم ينفي الحكم عما يقابلها عرفا وهو حقيقة الجن او ينفي الحكم عما عداها من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه تعالى

مبعوث الى الثقلين لقوله تعالى وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ الاية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل

موجبه كلية وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه القائلون بنبوته من اهل الكتاب من انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم وانه رسول العرب خاصة على

هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الاية فلا دلالة فيها لا على كونه مبعوثا الى الثقلين ولا يكون منافيا لدلالة هذه الاية لان التقديم قد

استوفى حظه من الخاصية من غير تعرض الجن ثم لما بين انه لكل فرد من افراد الناس رسول وجب طاعته بقوله مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ لان الطاعة

للرسول لكونه رسولا فيما امر ونهى لا يكون الا طاعة لله قال مقاتل في هذه الاية ان النبي كان يقول من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله

فقال المنافقون لقد قارف الرجل الشرك هو ينهى ان يعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الاية وهي من اقوى الدلائل

على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله والا لم يكن طاعته فيها اخطأ طاعة الله وَمَنْ تَوَلَّى بقلبه وهو المتولي بالقلب اي حملك يا محمد

على الظواهر دون البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو التولي بالقلب ومعنا فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي فَمَا أَرْسَلْنَاكَ لتحفظ الناس عن المعاصي

فان من اضله الله لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولي كقوله لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ثم نسخ باية الجهاد ثم حكى عن

المنافقين بقوله وَيَقُولُونَ اي حين ما امرهم بشيء طَاعَةٌ اي امرنا وشأننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز بمعنى اطعناك طاعة ولكن الرفع يدل على

ثبات الطاعة واستقرارها فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ اي دبرت خلاف ما امرت به او ما ضمنت من الطاعة قال

الزجاج كل امر تفكروا فيه كثيرا وتاملوا في مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفي اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس

في بيته في الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلا جرم سمي الفكر المستقصى تبييتا الثاني قال الاخفش اذا ارادت العرب قرض الشعر

بالغوا في التفكر فيه فسمي الفكر البليغ تبييتا فاشتقاقه من بيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت في ذكر وفي التخصيص

وجهين احدهما انه ذكر من علم انه بقي على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا قد سهروا ليلهم

في التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا لم يبيتوا فلا جرم لم يذكروا قلت ووجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل في قلوبهم الى ما يكتب

وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ في شأنهم

فان الله يكفيك معرتهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ باية الجهاد والاكثرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة

الى التزام النسخ والله تعالى اعلم التأويل خُذُوا حِذْرَكُمْ وهو ذكر الله فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ جاهدوا بالرياضات من عالم النفس وهو عالم الحيوانية او انفروا

جَمِيعًا من عالم الجسمانية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وَإِنَّ مِنْكُمْ ايها الصديقون لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ من المدعين المتكاسلين في السير القانعين بالاسم

النازلين على الرسم مصيبة شدة ومحنة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند الخواص وقبول عند العوام الذين يشرون الحيوة الدنيا

يشترون حظوظ النفس بحقوق الرب فيقتل نفسه بسيف الصدق او يغلب عليها بالظفر فيسلم على يده والمستضعفين من الرجال اي الارواح الضعيفة

استضعفها النفوس باستيلائها عليها والنساء اي القلوب لان القلب للروح كالزوجة للزوج لتصرف الروح في القلب كتصرف الزوج في الزوجة

والولدان الصفات الحميدة المتولدة بين الروح والقلب هذه القرية قرية البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا يسخرها مربيا

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ من اهل السلامة كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عن الاعتصام بحبل اهل الملامة وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فانكم لستم اهل الغرام فانتفعوا

بدار السلام والسلام لارباب الغرام من اصل الملام إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ ويخافون لومة الناس كما كان من شرطهم ان لا يخافوا لومة لائم

ولا يبالوا مواتونه ثم يتقوا عن قربهم كالبهائم وضلوا عن طريقهم كالبهائم لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فنموت بالاجال فان لنا كل الحظ من قرب

ترك حظوظ فيا ايها الطالبين في التي لبطال الذين غلب عليكم حب الدنيا فيقعدكم عن طلب المولى أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ اضطرارا ان لم تموتوا قبل

ان تموتوا اختيارا وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ اجسام مونية مجسمة وَإِنْ تُصِبْهُمْ يعني لاهل البطالة من فتوحات غيبية يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لا بروية

المستفيض بالفواء

للنبي

للنبي فيما عليهم حفظا وان نصبهم سبب في المحامد اذ يقولوا للنبي هذه من عندك اى بسببك وسعيك قل كل من عند الله القبض والبسط والفرح والترح
ما اصابك من نسع وهو ممنة من الله تفضلا وكرما وما اصابك من سيئة بلاء وعناء من شوم صفات نفسك الامارة والحقيقة من الاحوال
او يرجع الى النقدير والخلق وهما من الله ثم والكسب الفعل وهما من العبد ان كان العبد وكسبه وفعله كلها مخلوقة خلقها الله ثم فافهم وارسلناك
للناس رسولا يهتدون بهداك ويتبعون خطاك ويقولون اذا كانوا حاضرين في صحبتك ينعكس اشعة انوار النبوة عليهم ويصغون باذانهم
الواعية الى الحكم والمواعظ الوافية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك وهبت عليهم رياح الهوى عاد الطبع المشئوم الى اصله وهكذا حال
اكثر بهذه هذا الزمان الى مشايخهم والله يكتب اى يغير عليهم ما يبيتون لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم
وتوكل على الله فلعل

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا
الله يصلح بالهم — ايا پس تدبر نمیکنند قرآنرا واگر میبود از نزد غیر خدا هرآینه یافتندی در آن اختلاف بسیار

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
واگر امدایشان فرمانی از بسوی یا ترس افشا کردند آنرا واگر برگردانیدندی بسوی پیغمبر وبسوی صاحبان فرمان از ایشان

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا
هرآینه میدانستند آنرا آنها که بیرون میکنند آنرا از ایشان واگر نبود زیادتی خدا بر شما و مهربانی او هرآینه متابعت کردید شیطانرا مگر کمی

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ
پس جهاد کن در راه خدا مؤاخذه نمیشوی مگر بفعل نفس خود و میل ده گروندگانرا امیدست که خدا باز دارد آسیب آنهارا که کافر شدند

وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ
وخدا سخت ترست بهیبت وسخت ترست بعقوبت او هرکه وسیله شود وسیله نیکوئی میباشد مراورا بهره از آن وهرکه وسیله شود

شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
وسیله بدی میباشد مراورا عقوبتی از آن وهست خدا بر هرچیزی توانا وچون دعا گفته شود شمارا بدعائی پس دعا گوئید

بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
بهتر از آن یا همانرا برگردانید بدرستی که خدا بر هرچیزی نگاهبان است خدائی نیست خدائی بجز او هرآینه گرد آوریم شمارا تا روز

الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا
قیامت هیچ شکی نیست در آن وکیست راستگوتر از خدا بسخن پس چیست شمارا در منافقان دو گروه شده اید وخدا نگونسار کرد ایشانرا بسبب آنچه

كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا
کسب کردند آیا میخواهید که هدایت کنید کسیرا که گمراه کرد خدا وهرکرا گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی دوست دارند که کفر ورزید چنانچه

كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
کافر شدند پس باشید یکسان پس فرا مگیرید از ایشان دوستان تا وقتیکه هجرت کنند در راه خدا پس اگر برگشتند پس بگیرید ایشانرا وبکشید ایشانرا

حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم
هرجا که یافتید ایشانرا وفرا مگیرید از ایشان دوستی ونه یاوری مگر آنها که پیوند میکنند بسوی گروهی که در میان شما ومیان ایشان

مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ
پیوندیست یا آمدند شمارا تنگ شده سینهای ایشان که کارزار کنند با شما یا کارزار کنند قوم خودرا واگر میخواست خدا هرآینه مسلط کردی ایشانرا بر شما

فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
پس هرآینه کارزار کردندی با شما پس اگر کناره گیرند از شما پس کارزار نکنند با شما والقا کنند بسوی شما صلح را پس قرار نداده است خدا از برای شما برایشان راهی

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن
زود باشد که بیابید دیگرانرا که میخواهند که آسوده سازند شمارا وآسوده گردانند قوم خودرا هرچند برگردانیده شدند در فتنه نگونسار شدند در آن پس اگر

لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ
کناره نگرفتند از شما ونیفکندند بسوی شما اختیار را وباز نداشتند دستهای خودرا پس بگیرید ایشانرا وبکشید ایشانرا هرجا که یافتید ایشانرا وآن گروه

جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ القراءة ومن اصدق وكل ساكن بعدها دال باشمام الزاى على يعقوب وحمزة غير العجلى
قرار دادیم از برای شما برایشان حجتی هویدا

حصرت صدورهم ويابه حفصا ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ابن عامر فرواسهل ويعقوب المفضل
حصرت صدورهم بالنصب والتنوين الوقوف القرآن لتناهي الاستفهام الى الشرط كثيرا اذاعوا به منهم قليلا في سبيل الله لان قوله لا يكلف

الشيئات والاعمال اي لا تكلف غيرك لا تكلف الا نفسك والعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المؤمنين لان عيسى مستانف لفظا ومتصل معنى لانه ان تخلج
ما امر به كفرة ان يحذوا نصيب منها الابتداء شرط اخر مع واو العطف فكل منها معنيا نصف الجزء ردوها حسبنا الا هو لا ربيبه حذبنا بما كسبوا امر اضل الله
للتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا في سبيل الله وجدتموهم تصبروا يقاتلوكم فلما تلوكم السلم الا ان ما بعده جواب فان سبيلا قوم ثم اركسوا فيها ثقفتموهم
مبينا التفسير لما حكى عن المنافقين فاحكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه غير نبي في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور
وادبارها ومنه قول اكثم لا تدبروا اعجاز امور قد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت في صدره ما عرفت
من عاقبته وظاهر الاية يدل على انه احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد صلعم والا انقطع النظم ودلالة القرآن على صدق النبي من ثلثة اوجه الفصاحة والاشتمال
على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الاية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين
كانوا يتواطأون في السر على انواع كثيرة من المكائد والرسول كان يخبرهم عنها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر فيه
الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد تجاوب معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل
من تناقض واضطراب والذي يظن به التناقض كقوله لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسئلنهم اجمعين او كقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها جان
ليس بذلك عند التدبر وملاحظة شرط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد صحة نظمه وكون كله بل كل جزء من اجزائه وابعاضه بالغا
حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث
يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا انه معجز من عند الله تعالى وفي الاية دلالة على وجوب النظر والاستدلال على التدبر فيها ليبطل
وقال الجبائي فيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلام غير متفاوت ولا مختلف
ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن اختلافه وهو كونه غير منافي للاغراض والمقاصد الانسانية قد يكون بحسب نظر الانسان
نفسه ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوا به وافشوه يقال اذاع السر
واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الافشاء من الضرر من جهة ان الارجاف لا ينفك عن الكذب ومن جهة ان تلك
الوقائع ان كانت في جانب الامن ولم تقع اورث شبهة تضعف المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها من الرسول وان كانت في جانب الخوف حصل اضطراب
في الضعفة ووقعوا في الحيرة وبقي البحث عن الارجاف موجب ظهور الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال او تحصنوا
وفي معنى الاية اقوال الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلعم والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما
اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر فاستعير لاستخراج المعاني والتدبير الثاني كانوا يقفون من رسول الله صلعم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف
واستشعار فيذيعونه فتنعوا اذا عنهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولي الامر وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف
يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى
سمعوه من الرسول واولي الامر لعلموا اصحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر
ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الاية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقائع الى اولي الامر من المستنبطين فرد امة النفر
لا يكون الا استنباطا فهو اذن رد الواقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولوا الاراء بل هم المذيعون كما في القول الثالث
سلمنا لكن الاية نزلت في الحروب فلا يلزم من جواز الاستنباط في الوقائع المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقائع الشرعية فان قسم احد البابين على الاخر
كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص
او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس
الشرعي داخل في الاية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في مثله انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة
ام لا واجيب بان صرف المستنبطين الى المذيعين ليس القوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان يقال لو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه
من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب فاذا عرف احكام الحرب بالقياس
الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقائع اذ لا قائل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث ان شيئا
من تلك لا تسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن ان حكم الله
في الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف
بان يعمل على وفق هذا الظن فقد يعني توهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كانه تعالى قال لهما غلب ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان
حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته
لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض ذكر المفسرون في ازالة التناقض وجوها الاول ان الاستثناء راجع الى قوله

اذاعوا به

اذاعوا به كانهم كانوا يخرجون بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه عائد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا
قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي ضد ذلك قال الزجاج
هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض بل هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثر يعرفونه الا البالغ في البلادة
والجواب ان الاستنباط لو حمل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج الصحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كما هو الحق فما
ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو حق اللفظ لان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص وفيه وجهان احدهما قول جماعة
من المفسرين ان المراد انزال القرآن وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان وكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم
بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد وثانيهما قول ابي مسلم ان المراد بالفضل
والرحمة ههنا نصرته تعالى ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان
الا القليل منكم وهم اهل البصائر والعزائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلاجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه
حقا بل لاجل ولا انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل ومن احسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل كانه قيل ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين كذا وكذا فلا تعبأ بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل في
لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا ادبت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد فقد تجب
والالحاح عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شيء واعلام ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات تبنى على
الظن انه مفيد لم يجب بخلاف رسول الله فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله ان يكف بأس الذين
كفروا وعسى من الله جزم لان الوعد عليه محال الطمع واطماع الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان كان وحده فلا جرم انه قاتل في بدر الصغرى لا خرجن وحده فخرج وتبعه
سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف بأس المشركين والقى الرعب في قلوبهم فقعدوا واحجم بعضهم ان يسيروا وترك الحرب في تلك السنة وفي الاية
دليل على انه كان اشجع الخلق لانه تعالى لم يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقد اقتدى به ابو بكر حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة ومن عرف ان الامر
كله بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضاء الله سهل عليه الفوت وكان معرضا عن نصب الموت والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا بالاعذاب الله
دائم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يخلصا ندعنه وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع
الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم نعوذ بالله من عذابه ولنعوذ بالله من عذابه والله اعلم بحكمه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه النظم
انه تعالى ذكر وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد
وايضا التحريض هو الحث على سبيل الرفق والتلطف فهو يجري مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في ان يأذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث ان يحصل له على الجهاد فنزلت ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة
ههنا ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة
الله المسلم لما روي عن النبي من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن
ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر وجلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة
وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعلى هذا يتوجه النظم ان التحريض على الجهاد حث على الفعل
الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول عن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع اهدية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل ابو النصيب فهلا قيل المقيتين فائدة فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي يكون عليه اعتماد الانسان
ومنه يقال كفل البعير واكتفلته اذا ادرت حول سنامه كساء وركبته الكفل الضامن لان الغريم يعتمد عليه فالمقصود من يشفع شفاعة سيئة يكون له منها نصيب يعتمد
عليه يكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا وحفيظا واشتقاقه
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق حاله ثم امر المؤمنين بالجهاد
امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة او يلقوا في المبارزة بالسلم فاكرموهم بالاكرام والتحية السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية تفعلة
من الحيوة وبحي الناقص من باب التفعيل على تفعلة مثل تسلية وتعزية لكنه ادغم ههنا لاجتماع المثلين كانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله دعاء له
بالحيوة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان الحيوة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يعتد بها بل اهل النوم خير منها ولان السلم اسم من اسماء الله
فالابتداء به اولى ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمنين في اثنا موضعا في الاذى ولهذا سمى نفسه بالسلم وعلى لسان نوح يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد منه تحيات الله على لسان جبرئيل فتنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال
المفسرون انه خاف على امته ان يصيروا مثل امة موسى وعيسى فقال الله تعالى لا تهتم بذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا اني جعلت جبرئيل خليفة لك فانزل الى
امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني وسلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم عليك على لسان عيسى وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

قوله المقيت

وسميت بالسلم عليك واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم امر المؤمنين بالسلام عليك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك على
لسان ملك الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قيل ان ملك الموت يسلم في اذن المسلم السلام يقرئك السلم ويقول اجبني فاني مشتاق
اليك واشتاقت الجنان والحور العين اليك فاذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت لا بد من هدية اعز من روحي فيقبض روحه هدية لك وسلم عليك من الارواح
الطاهرة وأما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وسلم عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان اهل الجنة تحيتهم يوم يلقونه سلام
وسلم عليك الى الابد سلام قولا من رب رحيم ولما اراد اكرام يحيى وعده بالسلام في مواطن ثلاث هي اشد الاوقات حاجة الى السلام فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا ولما ذكر تعظيم محمد ص قال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال
لما سمعت بقدوم رسول الله ص دخلت غمار الناس فاول ما سمعت منه يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام
تدخلوا الجنة بسلام وكانت تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحيتهم
للملوك انعم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته في هذا دليل على ان هذا الدين اشرف الاديان واكملها ومما يدل على فضيلة
السلام عقلا ان الوعد بالنفع قد يعقده الانسان على الوفاء به وقد لا يعقده واما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل عليه فهو افضل انواع الخير
قال بعض العلماء من دخل بيتا يجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله تعالى واذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقال ع افشوا السلم والامر للوجوب ولان السلم بشارة
بالسلامة وازالة الضرر وهو واجب لقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولانه من شعائر الاسلام واظهار شعائر الاسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي
اكثر العلماء ان السلام سنة واما الجواب فواجب بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
وظاهر الامر الوجوب عن ابن عباس ما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة قال العلماء الاحسن
ان يزيد في جواب السلم الرحمة وان ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في جوابه البركة وان ذكر الجميع اعادها فقط فان منتهى الامر في السلام ان يقال السلم عليكم
ورحمة الله وبركاته لان هذا القدر هو الوارد في التشهد وذكر ان رجلا قال لرسول الله ص السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال
يا نبي الله فحيوا باحسن منها فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فقوله تعالى او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام كرد التحية اما اشارة الى
هذه السوية واما الى التخيير بين الزيادة وتركها ورد الجواب فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين والاولى ان يقوم به الكل اظهارا للاكرام
الاحسن ان يدخل حرف العطف فيقال وعليكم السلام وهو واجب على الفور ويقدر ما يعهد بين الايجاب والقبول في العقود فان تأخر عن ذلك كان ابتداء سلام
لا جوابا واذا ورد عليه سلام في كتاب فجوابه بالكتابة ايضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال لآخر اقرئ فلانا السلم وجب عليه ان يفعل قال العلماء
المبتدي يقول السلم عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فان خالف المبتدئ فليكن الاختتام بحاله ويجوز سلم عليكم بلا لام
الا انه اولى من المعرف لان المنكر في القران اكثر وان المنكرات وردت من الله والملائكة والمؤمنين والمعرفات وردت في تسليم الانسان على نفسه قال موسى ع والسلم
على من اتبع الهدى وقال عيسى والسلم علي يوم ولدت ولان المعرف يدل على اصل الماهية والمنكر على الماهية مع وصف الكمال ومن السنة ان يسلم الراكب
لزيادة هيبته على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر والواحد على الجماعة والقائم لانه الواصل على القاعد ولان القائم اهيب
ومن السنة الجهر بالسلام لانه نوع في ادخال السرور في القلب منها الابتداء به واظهار التواضع ومنها الافشاء والتعميم لان التخصيص يجاري والمصافحة عند السلم
عادة النبي قال اذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تتحات ورق الشجر ومن استقبله رجل واحد فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم
عليهما رد السلم عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم ويكون كانه سلم من الله على نفسه وسلم على من فيه من مؤمني الجن والملائكة
السلام بركة اسم السلم ممن يتقي من الشياطين والمؤذيات ولو قال السلم علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة ان يكون المبتدئ بالسلام
على الطهارة وكذا المجيب وعن ان واحدا سلم على رسول الله ص وهو في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب اذا دخل الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي ان يسلم لا
شتغال الناس بالاستماع فان سلم رد بعضهم فلا باس ولو اقتصر على الاشارة كان احسن ومن دخل الحمام فرأى الناس متزرين سلم عليهم فان لم يكونوا
متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلم على القارئ كيلا يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب كذا القول فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة
العلم او بالاذان او الاقامة ولا يسلم على المشغول بالاكل هكذا اطلق وحمله بعضهم على ما اذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي الحاجة قال ابو يوسف
ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا يمنع من السلام على من هو في مساومة ومعاملة واذا دخل الرجل
بيته سلم على امرأته فان حضرت اجنبية هناك لم يسلم عليها واذا سلمت الاجنبية عليه كان يجوز له رد الجواب عليها بقلبه او يسر لم يجهر به بل الاولى ان لا يفعل
وحيث قلنا لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لانه اتى بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه وقد روي عن النبي انه قال لا تبدأ اليهودي بالسلم وعن ابي حنيفة انه
قال لا تبدأ بسلام في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس في الدعاء له بما يصلحه
في دنياه ورخص بعض العلماء في ابتداء السلم عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة اما اذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان يقول وعليك لما روي

ان النبي

ان اليهود يقول للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا يقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال
لنصراني سلم عليه السلام عليك ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة الله يعيش واعلم ان من مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها
ما لم يثب منها فاذا اثاب منها فلا رجوع له فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج لابي حنيفة بالاية وذلك
ان التحية تشمل جميع انواع الاكرام فتشمل الهبة ومقتضى هذا وجوب الرد اذا لم يعوضها بالاحسن لا اقل من الجواز وقال الشافعي هذه الاية محمول
على السلام بدليل انه لو اثيب بما هو اقل منه سقط عنه الرد بالاجماع مع ان ظاهر الاية يقتضي الايجاب بالاحسن ثم احتج الشافعي على قوله بما روى عن ابن
عباس وابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل للرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على
محافظة حقوق التحية وغيرها فكونوا على حذر من مخالفة التكاليف ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كانه قال
يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا اسلامه واكرموه وعاملوه بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما
ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة الذي يجمع فيه الاولون والاخرون للجزاء والحساب وقوله لا اله الا هو اما خبر المبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيامة اي ليضمنكم اليه ويجمعن بينكم وبينه بان يبعثكم فيه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال للواجب
اولى واحرى واقدم واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب انما يكذب لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو
غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على
حنكه من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم قبيح يجب تنزيهه عنها واعلم ان المسائل الاصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى العلم بصحته كعلمنا
بان للعالم الصانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقرآن والخبر والا وقع الدور ومنها غير ذلك كالبعث
والحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقرآن والحديث والله اعلم ثم عاد الى حكاية احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل
معنوي مثل ما لك قائما اي ما تصنع وقيل نصب على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار اي لم تختلفون في كفرهم
ولكن قطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلائل ذلك وانكشفت جلية الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاسلموا واصابوا وباء
المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله نريد ان نخرج الى الصحراء فائذن لنا فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم هم مسلمون فتبين الله نفاقهم وقال مجاهد هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك وما
اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بانه
نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يأباه اذ الهجرة تكون من مكة لا من المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى
اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد نزلت في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقين وان اظهروا
الكفر بما غيبوا من الخبث كانوا عليها وقوله والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة خسيسة وهي حالة النجاسة
ويسمى رجيعا ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على
النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى ارادته ومشيته وهذا ظاهر في المقصود
والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وبعلمهم ينتفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فالمراد من اضل الله حكمه بضلالهم
كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه به اولمراد اضلالهم عن طريق الجنة وهو مفسر بمنع الالطاف ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر
الى ان تمنوا ان يصير المؤمنون كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم
سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى
يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المعتمدة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض الفانية ومثله قوله صلى الله عليه وسلم انا بريء من كل مسلم قام بين اظهر المشركين
وانا بريء من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد
ونية وعن الحسن ان حكم الاية ثابت في كل من اقام في دار الحرب فراى فرض الهجرة الى دار الاسلام ثابتا قال المحققون الهجرة في سبيل الله يشمل الانتقال
من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال من اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اقدم واهم لقوله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن
الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى
شيئا من مهماتكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم بل تجانبوهم مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى عنه موضعين الاول الا الذين يصلون
اي ينتهون وينتسبون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال وقد
يدخل في الاية ان يقصد قوم حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلجؤا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه والقوم
هم الاسلميون وذلك انه صلى الله عليه وسلم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من

نافقوا وقال بعضهم

الجوار مثل الذي يحل له قال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح وقيل هم خزاعة وخزيمة وههنا نكتة وهي انه تعالى رفع السيف عمن التجأ الى
الكفار المعاهدين فلان يرفع النار عمن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان اولى وعن ابي عبيدة المراد بالوصلة الانتساب يقال وصل الى فلان واتصل
به اذا انتسب اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله
او جاؤكم وفي العطف تحتمل احتمالين ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاؤكم ممسكين عن القتال
لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم وهذا انسب بقوله في صفتهم فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم الى آخر الآية اذ بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفي التعرض لهم بالاستقلال لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت ضاقت وانقبضت و
الحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال باضمار قد بدلالة قراءة من قرأ حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاؤكم
قوما حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم هؤلاء الجاؤون من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار بنو مدلج
جاؤا رسول الله غير مقاتلين وعلى هذا يلزم النسخ لان الكافر وان ترك القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له
عذر فهما طائفتان احديهما الذين قصدوا الرسول للهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم كفار فذهبوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد
واقاموا عندهم الى ان يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول لا يقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم
اقاربه او لانه بقي اولاده وازواجه بينهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد
منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا فمعنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم
على سبيل الظلم وعلى الاول معناه عن ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قذف الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم ولقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير
او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل وهذا يبنى على القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه يفعل الظلم واراد والنزاع فيه فان اعتزلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم
قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما
دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اي ردوا مقلوبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في شيء
منكوسا يتعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا اي لم يلقوا ولم يكفوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل على
انهم اذا اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط يعدم عند عدم
الشرط اما قوله سلطانا مبينا فمعناه حجة واضحة لانكشاف حالهم في الكفر والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم
ع ١٣ وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ
وسزاوار نيست مر مؤمنى را كه بكشد مؤمنى را مگر از روی خطا وهر كه بكشد مؤمنى را از روی خطا
فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
پس بر اوست آزاد كردن بندهٔ مؤمن وخونبهائی فرا سپرده بسوی كسان او مگر آنكه ببخشند پس اگر مقتول باشد از گروهی در ميان شما وميان ايشان پيمانی
فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان
پس خونبهائی فرا سپرده بسوی كسان او وآزاد كردن بندهٔ مؤمن پس هر كه نيابد پس روزه گرفتن دو ماه پی در پی اين توبه است از جانب خدا وهست
الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد
خدا دانای ستوده وهر كه بكشد مؤمنى را عمدا پس پاداش او دوزخ است جاويد در آن وخشم گرفت خدا بر او ودور كرد او را ومهيا كرد
له عذابا عظيما يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم
از برای او عذابی بزرگ ای گروه آنچنانی كه ايمان آورده ايد چون قدم زنيد در راه خدا پس تفحص كنيد ومگوئيد مر آنرا كه افكند بسوی شما گردن
السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل
تسليم را كه نيستی تو مؤمن كه خواسته باشيد خواسته زندگانی دنيا را پس در نزد خداست غنيمت بسيار همچنين بوديد شما از پيش
فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير
پس منت نهاد خدا بر شما پس تمييز كنيد بدرستيكه خدا هست بآنچه ميكنيد آگاه يكسان نيستند نشستگان از مؤمنان غير از
اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
صاحبان ناخوشی وجهاد كنندگان در راه خدا بمالهاشان ونفسهاشان زيادتی داد خدا جهاد كنندگان را بمالهاشان ونفسهاشان
على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
بر نشستگان پايه وهر يك را وعده كرده است خدا نيكوئی وزيادتی داده است جهاد كنندگان را بر نشستگان مزدی بزرگ
ع ١٤ درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي
پايهای بلند از او وآمرزش ومهربانی وهست خدا آمرزنده مهربان بدرستيكه آنها كه ميرانند جانهاشان را فرشتگان ستمكنندگان

م

أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
نفسهای خود را گویند که در چه حال بودید گویند که بودیم ما ناتوانان در زمین گویند فرشتگان که آیا نبود زمین خدا با وسعت پس سفر کنید
فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ۝ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
دران پس آن گروه جایگاه ایشان دوزخ است و بد جای بازگشتی است بجز ناتوانان از مردان و زنان و اطفال
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ۝ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا
که راه نبرند حیله را و راه نبرند طریقی پس آن گروه امید است که خدا درگذرد از ایشان و هست خدا درگذرنده
غفورا ۝ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا
آمرزنده و هر که سفر کند در راه خدا می‌یابد در زمین زحمت بسیاری و فراخی و هر که بیرون رود از خانه‌اش سفر کننده
إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما ۝ وإذا ضربتم ع
بسوی خدا و پیغمبرش پس دریابد او را مرگ پس بتحقیق که واجب شد مزدش بر خدا و هست خدا آمرزنده مهربان و چون قدم زنید
في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن
در زمین پس نیست بر شما باکی که کم گردانید از نماز اگر بترسید که بفتنه اندازند شما را آنهائی که کافر شدند بدرستی که
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ۝ القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبين
کافران میباشند از برای شما دشمن هویدا السلم مقصورا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف

غير بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون غير بالرفع الذين توفاهم مشددة التاء البزي وابن فليح الوقوف الا خطأ ج يصدقوا ط لابتداء حكم آخر هو منه لذلك مؤمنة ج متتابعين لاحتمال كون توبة مصدر الفعل المحذوف والاوجه كونه مفعولا له من الله ط حكيما عظيما مؤمنا لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا الدنيا لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة ط فتبينوا ج خبيرا ط وانفسهم الاولى درجة الحسنى ط عظيما لا لان ما بعده بدل درجات منه ورحمة ط رحيما فيم كنتم ط في الارض ط فتهاجروا فيها ط لانتهاء الاستفهام بجواب جهنم ط مصيرا لا للاستثناء سبيلا لا عنهم ط عفوا غفورا وسعة ط على الله ط رحيما من الصلوة ق والاصح انه شرط تغليب في حال المسافر كفروا ط مبينا التفسير لما لم يكن يبغي مجاهدة الكفار من انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة واشكالها في هذه الآيات اما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان كان يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاخطأ المسلمون وظنوا ان اباه اليمان واحد من الكفار فاخذوه باسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول ذلك ازداد وقع حذيفة عنده ونزلت الآية وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه شيئا فذكر الواقعة للرسول فقال هلا شققت عن قلبه فندم ابو الدرداء والذي عليه اكثر المفسرين ما ذكره الكلبي ان عياش بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم اتى اطما من آطامها فتحصن فيه فجزعت امه جزعا شديدا واقسمت لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة وكان ابو جهل اخا عياش لامه فاتياه وهو في الاطم فقال له ابو جهل ان امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وحلفت لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها ولم يزل يفتل منه ابو جهل في الذروة والغارب ويقول اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل فذهب معهما فلما اخرجاه من المدينة وثقاه بنسعة وجلده كل منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت والله ما احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس واعطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد وقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش من مقالته وقال له هذا اخي يعني ابا جهل من انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة واسلم الحارث بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن زيد فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي ما صح له ولا استقام او ما كان له فيما اتاه من ربه وعهد اليه وما كان له في شيء من الازمنة ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من اول زمان التكليف الا خطأ الا لاجل الخطأ او الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مفعولا له او الا في حال الخطأ او الا قتلا خطأ قال ابو هاشم وهو امام من مشايخ المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فيبقى مؤمنا الا ان يقتله خطأ فيبقى مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة فعليه عتاق رقبة اي نسمة مؤمنة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وعبر عن النسمة بالرقبة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق ودية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية وهي مخصوصة ببدل النفس دون سائر المتلفات وقد يستعمل في بدل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا ان يصدقوا اي يتصدقوا فادغم

الثاء في القصاص والتصدق الإعطاء والمراد ههنا العفو ومحله النصب على الظرف أو الحال من العامل مسلماً أو على أنه قيل يجب عليه الدية أو يسلمها إلا وقت التصدق أو إلا متصدقين ههنا مسائل الأولى القتل على ثلاثة أقسام عمد وخطأ وشبه عمد أما العمد فهو أن يقصد قتله بالسبب الذي يعلم إفضاءه إلى الموت سواء كان ذلك جارحاً أو لم يكن وأما الخطأ فضربان أحدهما أن يقصد رمي مشرك أو طائر فأصاب مسلماً والثاني أن يظنه مشركاً بأن كان عليه شعار الكفار فالأول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد وأما شبه العمد فهو أن يضربه مثلاً بعصا خفيفة لا يقتل غالباً فيموت منه فهذا خطأ في القتل وإن كان عمداً في الضرب الثانية قال أبو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطأ أو شبه عمد فيكون داخلاً تحت الآية فيجب فيه الدية والكفارة ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي إنه عمد محض يجب فيه القصاص حجة الشافعي أنه قتل عمد عدوان أما أنه قتل فلقوله تعالى لموسى وقتلت نفساً فنجيناك من الغم يعني القبطي إذ وكزه موسى فقضى عليه وأما أنه عمد عدوان فظاهر فإن من ضرب رأس الإنسان بحجر الرحى وصلبه أو غرقه أو خنقه ثم قال ما قصدت قتله عد مجنوناً وإذا ثبت أنه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله كتب عليكم القصاص في القتلى ولأن المقصود من شرع القصاص صون الأرواح عن الإهدار والإهدار في المثقل كهو في المحدد والعلم الضروري حاصل بأن التفاوت في آلة الإهدار غير معتبر حجة أبي حنيفة قوله ألا إن قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا فيه مائة من الإبل وهذا عام سواء كان السوط والعصا صغيراً أو كبيراً وأجيب بأن العصا والسوط يجب حملهما على الخفيف ليتحقق معنى الخطأ فإن من ضرب رأس إنسان بقطعة جبل ثم قال ما كنت قصدت قتله لم يعبأ بقوله الثالثة قال أبو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه شرط في الآية أن يكون القتل خطأ وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجبها لما روي أن واثلة بن الأسقع قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا أوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار ولأنه نص الله تعالى على الكفارة في قتل الصيد عمداً في الحرم وفي الإحرام فأوجبها على الخاطئ بالاتفاق وههنا نص على الخاطئ فإن يوجب على العامد كان أولى لأنه لما أخرج نفساً مؤمنة عن جملة الأحياء عمداً لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار كما أن الميت ممنوع من التصرف مطلقاً ويحقق هذا المعنى وجوب أن تكون الرقبة كاملة الرق وأن تكون سليمة عن عيب مخل بالعمل كهرم وعمى وجنون الرابعة قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا يجزي الرقبة إلا إذا صام وصلى لأنه تعالى أوجب تحرير الرقبة المؤمنة والإيمان إما التصديق وإما العمل وإما المجموع وعلى التقديرات فالكل غائب عن الصبي وقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة والأوزاعي يجزي الصبي إذا كان أحد أبويه مسلماً لأن حكمه حكم المؤمن الخامسة أنه تعالى أوجب الدية في القرآن ولم يبين كميتها وإنما عرفت من السنة عن عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن أن في النفس مائة من الإبل وهذه المائة إذا كان القتل خطأ مخمسة عشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون جذعة وعشرون حقة وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في دية الخطأ بمائة من الإبل وفصلها كما ذكرنا وأبدل أبو حنيفة وأحمد أبناء اللبون بأبناء المخاض لأن هذا الأقل متفق عليه والزائد منفي بالبراءة الأصلية وقد عبر أبناء المخاض غير معتبرة في باب الزكاة فيجب أن لا يعتبر في الدية التي سببها أقوى من السبب الموجب للزكاة واتفقوا على أن الدية في العمد المحض مغلظة ومن ذلك التثليث في الإبل وهو أن يكون ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها ومنه الحلول على قياس إبدال سائر المتلفات خلاف دية الخطأ فإنها مؤجلة الثلث في السنة الأولى والثلث الآخر في السنة الثانية والباقي في السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين لم ينكره أحد فكان إجماعاً ومنه ثبوتها في ذمة الجاني لا يحملها العاقلة خلاف دية الخطأ فإنها تكون على العاقلة لما روي أن امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر وروي بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد وإذا تحمل في الخطأ أولى وجهة التحمل ثلاث القرابة والولاء وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على حاشية النسب هم الإخوة وبنوهم وقال أبو حنيفة ومالك يتحمل الآباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب في العصبات فيقدم الأقرب فالأقرب فإن كان فيهم وفاء إذا وزع عليهم لكثرتهم أو لقلة المال وإلا شاركهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال أبو بكر الأصم وجمهور الخوارج الدية في الخطأ أيضاً تجب على القاتل كما أن تحرير الرقبة أيضاً عليه ولأن عطف الدية في الآية على التحرير وأيضاً الجناية صدرت عنه فلا يعقل تغريم غيره كما في سائر الإتلافات وتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد غير جائز وأجيب بإجماع الصحابة على ذلك السادسة مذهب أكثر الفقهاء أن دية المرأة نصف دية الرجل بإجماع من الصحابة ولأن المرأة في الميراث وفي الشهادة نصف الرجل فكذلك في الدية وقال الأصم وابن علية إنهما مثل دية الرجل لعموم قوله ومن قتل مؤمناً السابعة إذا لم يوجد الإبل فالواجب عند الشافعي في الجديد الرجوع إلى قيمة الإبل بالغاً ما بلغت وإنما يقوم بغالب نقد البلد لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الإبل على أهل القرى فإذا غلت رفع قيمتها وإذا هانت نقص من قيمتها وقال أبو حنيفة الواجب ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وعندهما الدراهم اثنا عشر ألفاً الثامنة لا فرق بين هذه الدية وبين سائر الأموال في أنه يقضى منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة على فرائض الله لما روي أن امرأة جاءت في أيام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا أعلم لك شيئاً إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يورث الزوجة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أن من قتل مؤمناً خطأ فعليه تحرير الرقبة وتسليم الدية ثم قال فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وسكت عن الدية فالسكوت عن إيجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها وفيما بعدها وهو قوله وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب الدية ههنا ثم المعنى بقوله

من قوم عدو لكم

من قوم عدو لكم اما ان يكون هذا المقتول من سكان دار الحرب او انه ذا نسب منهم مع انه في دار الاسلام والثاني باطل بالاجماع لان قتل هذا المسلم يوجب
الدية البتة فتعين الاول انما سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب محوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من اشخاص
سكان دار الحرب هل هو من المسلمين ام لا وذلك يوجب المشقة والنفرة عن الجهاد على انه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى فيهم واما
الكفارة فانها حق الله تعالى لانه اهلك انسانا مواظبا على طاعته فيلزمه ان يقوم مقامه فيمكنه المواظبة عليها اما قوله وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق ففيه قولان احدهما ان المراد منه الذمي فعن ابن عباس هم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن هم المعاهدون من الكفار والتقدير وان
كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فديتهم ومذهبهم وثانيهما ان المراد المسلم عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير في
قال الي ما تقدم وهو المؤمن وكذا ههنا واعترض عليه بانه يلزم عطف الشيء على نفسه لانه المؤمن المقتول خطأ سواء كان من اهل الحرب او من
اهل الذمة داخل تحت قوله ومن قتل مؤمنا خطأ الا انه افرد المؤمن الساكن في دار الحرب لان من حكمه سقوط ديته وههنا لا غرض في الافراد
تكرارا محضا واجيب لو كان المراد ذلك لما كانت الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار لا يرثونه ولكان كونه منهم مبهما مجملا لانه لا يدرى انه منهم
في اي امر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه وهو حصول الميثاق بينهما واجيب بانه لما افرد حكم المؤمن
المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكرتم اعاد ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين منصوصا على العرف بينه وبين قاتله وتنبيها على التسوية
بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام واما اهله فهم المسلمون الذين يصرف ديته اليهم واما الابهام فيزول اذا جعل من بمعنى في كما في الاية
المتقدمة عليه ههنا مسألة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان اي المقتول من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلثا خمسها هكذا روي من قضاء الصحابة ولا يخفى ان استدلال ابي حنيفة
انما يتم على الثاني من قولي المفسرين في الاية وعلى القول الاول ايضا لا يجوز ان يكون المراد بالدية الثانية مقدارا مغايرا للاول وههنا سؤال
وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الاولى وفي الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال لعل الفائدة فيه ان يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية ايضا ليقع التسليم
والاختتام بحق الله تعالى وبين ما يجب على التحرير بقوله فمن لم يجد اي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين حتى بعتبر
الاعسار المجوز للعدول الى الصوم الاصح عند الشافعي وقت الاداء وعند بعضهم وقت الوجوب اما الشهران فهما هلاليان البتة نعم لو ابتدأ
في خلال الشهر تمم المنكسر ثلثين والمراد بالتتابع ان لا يفطر يوما منهما فلو افطر ولو بالمرض وجب الاستئناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس عن صدر
ان الصوم بدل عن مجموع الرقبة والدية توبة من الله اي شرع لكم ما شرع قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطأ انه
لا يخلو من ترك احتياط ومن يعلم واسف على ما فرط منه ويجوز ان يكون المعنى نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم
التوبة وكان الله عليما بانه لم يقصد ولم يتعمد حكيما حكم العقل لا يؤاخذ الانسان بما لا اختيار ولا يتعمد عند المعتزلة معنى الحكيم ان افعاله تقع
على قانون الحكمة ونصيبه العدل ثم لما ذكر حكم القتل الخطأ اردفه ببيان حكم القتل العمد وله احكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة
وقال مالك والقصاص كما مر في البقرة فلا جرم اقتصر ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد ولا يخفى ما في الاية من التهويل والتهديد فلا جرم تمسك اهل الاعتزال
بها في القطع بخلود الفاسق في النار واجاب بوجهين الاول اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر قتل مؤمنا روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ان مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رسولا من بني فهر وقال له ائت
بني النجار فاقرئهم السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا
ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة
من الابل ثم انصرفا راجعين الى المدينة وبينها وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك
مسبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل
يقول في شعره قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت الاية فيه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس بالسوق فقتلوه الوجه الثاني انه يجوز عندنا ان يخلف الله وعيد المؤمنين فان
خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بان ما قبل الاية وما بعدها في نهي المؤمن عن قتل المؤمن فكذا ههنا
الاية وبانه ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب ان يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد القتل العمد لا بالكفر ولا الاستحلال
لهذا الوعيد فائدة في ضم القتل اليه اذ الكفر مستقل فيه هذه العقوبة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من يقتل لجزاءه جهنم وجه
الوجه الثاني بان الوعيد قسم من اقسام الخبر فاذا جاز الخلف فيه لغرض ما فالكرم فلم لا يجوز في القصص والاخبار وعند ذلك لغرض المصلحة فتح هذا
الباب يفضي الى الطعن في الشرائع قال القفال الاية تدل على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر وليس فيها انه تعالى يوصل هذا الجزاء اليه كقول الرجل لعبده جزاؤك ان افعل بك كذا الا اني
لا افعل ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لان الاية سيقت لاثبات كقوله من يعمل سوءا يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره على انه يوصل الجزاء اليه لا محالة
البتة ولان قوله وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما صريح في انه سيفعل به ذلك لا سيما وقد اخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم انه كالواقع

ولتأكد هذه المعاني نقل عن ابن عباس ان توبة من اقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وحمله الجمهور على التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو الا الشرك لقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تهجموا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وهو السلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية يعني سلام اهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله ﷺ اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فكان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة واستاق غنمه فلما قدم على رسول الله ﷺ اخبره فقال قتلته رجلا يقول لا اله الا الله فقال يا رسول الله انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا جاءتك يوم القيامة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها على اقتلت رجلا وهو يقول لا اله الا الله حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الآية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي ﷺ خرجوا يتطوفون فلقوا المشركين فهزموهم فشد منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك الى النبي ﷺ فقال قتلته بعدما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال وكنت اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن لتعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم عادوا فحفروا له وامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلاثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوا عليه الحجارة قال الحسن ان الارض تجن من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فنزلت قال القفال ولا منافاة بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت في واقعته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله ﷺ اذا اشرع احدكم الرمح الى الرجل فان كان سنانه عند نقرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه الآية وقال ابو حنيفة اسلام الصبي يصح لاطلاق الآية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو الرسول الحق المنتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود فيما بين المسلمين حق تبتغون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر ياخذ منها البر والفاجر ويسمى عرضا لانه عارض زائل غير باق ومنه العرض يقابل الجوهر لقلة لبثه كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام متعوذا به لتاخذوا ماله وقيل ثواب ما اعد لعباده من حسن الثواب في الآخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في وجه التشبيه فقال الاكثرون ان ما يظهر منكم اول ما دخلتم في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا آمنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالآخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان ما كان عاما فيهم وفي التفسير الكبير المراد انكم في اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الى الاسلام فمن الله عليكم بتقوية ذلك الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء لما حدث لهم ميل ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتكامل فيهم نيته قيل ان قوله فمن الله عليكم منقطع عما تقدمه وذلك ان القوم لما نهاهم عن قتل من تكلم بلا اله الا الله ذكرهم ان الله من عليكم بان قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبيين مبالغة في التحذير وحذرا عن الاضمار وخلاف الاظهار فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه لما عاتبهم الله تعالى على ما صدر منهم وبكتهم كان مظنة ان يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد فذكر من فضل الجهاد ما يزيح علتهم ويزيد رغبتهم او نقول لما نهاهم عما نهاهم اتبعه بفضيلة الجهاد ليبعثوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل فقال لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت كنت عند النبي ﷺ حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر قال زيد فتغشى النبي ﷺ في مجلسه الوحي فاتكأ على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل على فخذي حتى خشيت ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان في البنية كعمى وعرج ومرض او بسبب عدم الاهبة ومن قرأ غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرأ بالرفع فعلى انه صفة للقاعدين ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولو الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله ﷺ عند انصرافه من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وعنه اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمل في الصحة الى ان يبرأ

ويعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال وذكروا في معنى قوله نية المؤمن ابلغ من عمله ان نية المؤمن ابلغ من عمله ان نية المؤمن
منه واصر على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير من عمله الذي ادركه في مدة حياته وقيل انه تعالى ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبائع اخر تنبيها على ان المماكسة فيها
اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر فائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان في تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في
الجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبة المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم ثم ان
عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة
بمعنى التفضيلة اي فضلهم تفضيلة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل
لان التفضيل يدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات واجيب بان اللام في قوله وعلى القاعدين للعهد والمراد بهم اولو الضرر
وفي قوله ثانيا على القاعدين للاصحاء الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة جنسها الذي يشمل الكثير بالنوع
وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب
الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدل الشيعة ههنا بان عليا
افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقائعه وشجاعته وحماسته واجاب اهل السنة بان جهاد
ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر حين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام
في ذلك الوقت قويا والحق انه لا يدل الاية الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين اما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا فان المعتزلة ههنا قد
من الاية ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة الثواب لكن لا لذاته بل بجعل الشارع ذلك
العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله فضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب
وهو الزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه عقاب القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفاهم
وانه يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قوما من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من المشركين
في قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التائين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفاهم
تقبض ارواحهم عند الموت لا منافاة بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس قل يتوفاكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة
الا ان الرئيس المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفاهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار واما قوله ظالمي انفسهم فمنصوب
على الحال عن مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم تفد تعريفها فصح وقوعها حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم نفاقا
وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فمنهم ظالم لنفسه فالمراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبران وجوه
الاول قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة اي قالوا لهم الثاني فاولئك فيكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد الثالث ان الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر الهلاك
بقوله قالوا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضى بالسكون في دار الكفر فهو بالحقيقة نعي عليهم بانهم ليسوا من الدين في شيء ولهذا
لم يجيبوا بقولهم كنا في كذا او لم نكن في شيء بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا عما وبخوا به واعتلالا بانهم ما كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا
في شيء ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اراد انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي
لا تمنعكم من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فان قيل لم عد الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد
ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى لو لم يخرج وليس الولدان من اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف واجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او
المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو
العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون حيلة في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان
المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى
لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون
في الواقع كذلك لاسيما النفس عن المال والوطن شديدة والفراق عن الاوطان شاق فلعل حب الوطن يحمله على ادعاء العجز مع قيام هذا الاحتمال لا يحصل الجزم
بالعفو هذا من جانب العبد واما من الرب فعسى اطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا انه على لفظ العفو انه لا يتقرر الا مع الذنب لا انه مع
العجز وجوابه يخرج مما قلنا وكان الله عفوا رحيما قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة
نحو عبيده واولهم لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا في الله

لاستغناء احد عن العفو والمغفرة ثم غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة
بما ينزل فيهم من القرآن فكتب اليهم آية ان الذين توفاهم الملائكة الآية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهتدي الى الطريق فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فنزل قوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
اي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون
رغم انفه يريدون انه وصل اليه شيء يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من هاجر من اهل بلدته فاذا استقام امره في بلدة
اخرى رغمت انوف اهل بلدته بسبب سوء معاملتهم معه اعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمتنع الانسان عن هجرة الوطن وبين الجواب عنه فالمانع
امران الاول ان يكون له في وطنه نوع راحة وزاحة فيخاف زوال ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة عن وطنك
خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرك ما يكون سببا لرغم انوف اعدائك
ويصير سببا لسعة عيشك وانما قدم في الاية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر ببلده ولذته من حيث انها سبب رغم انوف الاعداء اشد من
ابتهاجه بها من حيث انها سبب سعة رزقه وعيشه المانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل والجهاد والمهاجرة الى الله ورسوله فربما
كل غرض ينبني من الطلب علم او حج او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة او زهدا في الدنيا وابتغاء رزق طيب فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى
ان لا يضيع الرفاهية الحاضرة لطلب شيء مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
انا لا يضيعهم بلا اجر وفضله واجر العذر لله اي بسبب ذلك العمل اما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد من قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فانه يكتب له ثواب تمام تلك
الطاعة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرأ واتفق من المعلوم ان كل من اتى
بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الاية فائدة الترغيب ولا يكون الاية جوابا عن قول الصحابة في جندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فاذا
المعتزلة في الاية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال تعالى فاذا وجبت جنوبها اي وقعت وسقطت ولفظ الاجر وكلمة على يؤكد
ما قلنا واجيب بانا لا ننازع في ان الثواب يقع البتة لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالاية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب
سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان تمام الغنيمة يتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال
اجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة يقال قصر صلوته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف الا انه ليس صريحا في ان التخفيف في كمية الركعات او كيفية
ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة تكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين ويبقى المغرب
والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعن بعضهم ان المراد التخفيف في كيفية
الاداء كما يؤتى به عند شدة التحام القتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود ويؤكد هذا الرأي قوله ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا اي خوف فتنة العدو لا يزول فيما يؤتى بركعتين على تمام اوصافهما وانما ذلك بالتجوز والتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن
الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر التخفيف في اعداد الركعات ويؤيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة
ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة يجيء بعد ذلك فحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار اولى واما تقييد القصر بحالة الخوف فلان الاية نزلت على غالب
اسفار النبي واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حالة الامن ولا في حالة الخوف بسبب آخر على ان
المفهوم محتمل وبالجملة فهي مسئلة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب
ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه قال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في التشهد
فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا
الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا اليه اجيب بان هذا الاحتمال انما
يخطر ببالهم اذا قال الشارع لهم رخصت لكم في هذا القصر اما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلوة لكم فلا يخطر هذا
الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعارض الاية لان تغيير الصلوة
الى ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهرية زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على
ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال

انتهى فما قال المعتبر رحمه الله فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين قال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير من الكوفة الى المدائن هو ثلثة ايام وهو قول ابي حنيفة رحمه الله على
مدة جواز المسح للمسافر واما اصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روى مجاهد وعطاء بن ابي رباح عن ابن عباس ان النبي عم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة
برد من مكة الى عسفان والمراد بالبريد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلعم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر
الف قدم وهي اربعة آلاف خطوة فان كل ثلثة اقدام خطوة قالت الفقهاء فاختلاف الناس في هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير منوط
بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب السلف في هذه الاقوال يدل على انهم لم يجدوا في المسألة دليلا قويا فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ان الكافرين كانوا لكم
عدوا مبينا ظاهر العداوة الحاصلة بينكم وبينهم قديما فتكونوا على حذر منهم التأويل ليس لمؤمن الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون قتل خطأ وذلك
ان الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية يتجلى الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مرآة القلب الى النفس الامارة
فتموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحيى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله كاطمئنان القلب ففي بعض الاحوال يتأيد الروح بانوار
روح قدسي رباني ويتجلى في تلك الحالة الروح للقلب فيخر موسى القلب صعقا من سطوة تجلي الروح القدسي الرباني ويجعل جبل النفس دكا وكان قتله
خطأ لانه ما كان مقصودا بالقتل في هذا التجلي وكان القصد تنويره وتصفيته وقتل النفس الكافرة من قتله ومن قتل اي قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة
السر تحريرها عن رق المخلوقات ودية مسلمة الى اهله يعني تسلم العاقلة فهو الله تع دية القلب الى اهل القلب هم الاوصاف الحميدة الروحانية من جمالات الالطاف
البصرية الاوصاف بها اخلاق ربانية الا ان يصدقوا الاوصاف بهذه الدية عليه ساكن اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتيل يعني
من قوم عدو لكم اي من صفات النفس وهو مؤمن اي هذه الصفة قد آمنت بانوار الروح القدسي ودخلوا هنا من الصفات فتحرير رقبة مؤمنة وهي
رقبة القلب بعضها محررة عن رق حب الدنيا ولا دية لاهل القتيل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس وميثاقها قبول احكام الشرع
ظاهرا وترك المحاربة مع القلب واوصافه فدية مسلمة على عاقلة الوحدة الى اهل تلك الصفة المقتولة وهم بقية صفات النفس كما قال النبي عم الا ما رحم ربي وتحرير
رقبة الروح بعضها محررة عن رق الكونين فمن لم يجد فيه مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون زمانهم قد تحرر عن ما سوى الله فصيام
شهرين متتابعين اي تغلبه لاستماع شهادة رب العالمين على التتابع والدوام مراقبا لقلبه لا يدخل شيئا من الدنيا والآخرة مراعيا ذمته فلو فطر بادنى شيء
من المشارب كلها يستأنف الصوم ولا يفطر بشيء دون لقاء الله تع قال عليه السلام لقد صام طرفي عن شهود سواكم وحق لها اعزازه توكم يجيد يوم حين نسلك
قلا لهم ويبدوا قد لاح الصبح حين تراكم توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا للعداوة الاصلية
بينهما ففي حيوة احدهما موت الآخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى يتم الايمان ايقانا والايقان
احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيوخ فتبينوا من حال المريد في الرد والقبول
ولا تقولوا للمريد لست صادقا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف في النفس والمال تبتغون عرض الحيوة الدنيا اي تهتمون لاجل رزقه فان الضعيف
اذا تنفر كذلك كنتم ضعفاء في الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة مبدأ الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وتبتولهم اياكم ان الذين توفيهم الملائكة
هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتدسيتها فيم كنتم اي في غفلة كنتم تضيعوا اعماركم وتبطلوا استعدادكم الفطري في اي واد من اودية الحرص تهيمون وفي
اي روضة من رياض الدنيا ترتعون اكنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتلبسون الشراب للهو والتاء مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة
الهوى الم تكن ارض الله اي ارض القلب واسعة فتهاجروا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة
العيال وضعف الحال ولا يهتدون سبيلا الى صاحب الولاية وهؤلاء مستضعفون هم الخواص المقتصدون واما خواص الخواص وهم السابقون فهم
المجاهدون الجهاد الاكبر وقد مر ومن يهاجر من بلد البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في ارض الانسانية مراغما متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة
في تلك العوالم من رحمة الله ورحمتي وسعت كل شيء لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فافهم بابعبه النظر كثير الفكر والعبر والله اعلم بالصواب

وَاِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَاَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَاْخُذُوْٓا اَسْلِحَتَهُمْ فَاِذَا سَجَدُوْا فَلْيَكُوْنُوْا
و چون باشی تو با ایشان پس برپای کنی برای ایشان نماز پس بایستند گروهی از ایشان با تو و باید که فرا گیرند اسلحه خود را پس چون سجده کنند پس باید که باشند
مِنْ وَّرَآئِكُمْ وَلْتَاْتِ طَآئِفَةٌ اُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوْا فَلْيُصَلُّوْا مَعَكَ وَلْيَاْخُذُوْا حِذْرَهُمْ وَاَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
از عقب شما و بیاید گروهی دیگر که نماز نگذارده اند پس نماز کنند با تو و فرا گیرند آلات حرب و اسلحه خود را دوست دارند کافران
لَوْ تَغْفُلُوْنَ عَنْ اَسْلِحَتِكُمْ وَاَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيْلُوْنَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَّاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِنْ كَانَ بِكُمْ اَذًى مِّنْ مَّطَرٍ
که بی خبر باشید شما از اسلحه خودتان و امتعه خود پس رو آرند بر شما رو آوردنی یکمرتبه و نیست باکی بر شما اگر باشد بشما رنجی از باران
اَوْ كُنْتُمْ مَّرْضٰٓى اَنْ تَضَعُوْٓا اَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوْا حِذْرَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ اَعَدَّ لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا فَاِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ
یا بیمار باشید ناخوش آن که بگذارید سلاحهای خود را و بگیرید اسلحه خود را بدرستیکه خدا مهیا کرده از برای کافران عذابی خوار کننده پس چون تمام کردید نماز را
فَاذْكُرُوا اللّٰهَ قِيٰمًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِكُمْ فَاِذَا اطْمَاْنَنْتُمْ فَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ اِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ كِتٰبًا
پس یاد کنید خدا را [illegible]

مؤمنوناً ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا
ده شده آن و سست مشوید در جستن قوم اگر رنجیده ور رسیدگان پس ایشان هم رنج دارند چنانچه شما رنج دارید و امید دارید از خدا آنچه

يرجون وكان الله عليماً حكيماً انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا
امید ندارند و هست خدا دانای محکم کار براستی که ما فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تا داوری کنی در میان مردمان بانچه نمود ترا خدا و مباش

۱۳ع للخائنين خصيماً واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيماً ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
خیانت کنندگان را دشمن و طلب آمرزش کن خدا براستی که خدا هست آمرزنده مهربان و خصومت مکن از آنها که خیانت کنند نفسهای خود را

ان الله لا يحب من كان خواناً اثيماً يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا
براستی که خدا دوست ندارد آنرا که خیانتکار گناهکار است پنهان دارند از مردمان و پنهان ندارند از خدا و حال آنکه او با ایشانست چون تدبیر کنند آنرا که

يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله
خوش آید نیست از گفتار و هست خدا بانچه میکنند محیط هان شما آنکسانید که خصومت کردید از ایشان در زندگانی دنیا پس هرکه خصومت کند خدا را

عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلاً ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً
از ایشان در روز قیامت یا کیست بر ایشان کارگذار و هرکه کند بدی را یا ستم کند نفس خود را پس طلب مغفرت کند از خدا بیابد خدا را آمرزنده

رحيماً ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً ومن يكسب خطيئةً او اثماً
مهربان و هرکه کسب کند گناهی را پس جز این نیست که کسب کرده بر نفس خود و هست خدا دانای داور و هرکه کسب کند گناهی را یا صغیره را

۱۴ع ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
پس نسبت دهد بآن بیگناهی را پس بتحقیق متحمل شده است بهتان را و گناه آشکارا را و اگر نبودی زیادتی خدا بر تو و مهربانی او هر آینه قصد کردی گروهی

منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب
از ایشان که گمراه کنند ترا و از راه نبرند مگر نفسهای خود را و ضرر نرسانند ترا هیچ چیز و فرستاد خدا بر تو کتاب

والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً القراءة عن اسلحتكم وامتعتكم عباس بخلاف
و پیغمبری را و آموخت بتو آنچه را که نبودی دانای آن و هست فضل خدا بر تو بزرگ باختلاس اظهار نیستم و با بعد همزه ابو عمرو و زید

لا عنتی لا سیما فی شیء و حمزة فی الوقف بیا بالتشدید و الشموفی و حمزة فی الوقف او وقف عن تالمون و اسلحتهم لانقطاع النظم مع انصال
المعنی واحدة اسلحتکم حذرکم هینا و علی جنوبکم للابتداء باذا الشرطیة مع الفاء الصلوة لاحتمال فان و لا ن موقوتا القوم کما تالمون لاحتمال الواو
الاستیناف او الحال لما لا یرجون حکیما ارایک الله لان ما بعده استیناف خصیما للعطف فاستغفر الله رحیما للابتداء مع العطف نفسهم اثیما لاحتمال الاحتمال
الوصف القول محیطا وکیلا رحیما علی نفسه حکیما مبینا یضلوک من شیء تعلم عظیما التفسیر قال ابو یوسف و الحسن بن زید صلوة الخوف کانت
خاصة للرسول و لا یجوز لغیره لقوله تع و اذا کنت فیهم و لان تغییر هیئة الصلوة امر علی خلاف الدلیل جوزنا ذلک فی حق النبی لفضیلة الصلوة
خلفه فیبقی لغیره علی المنع و به قال الفقهاء علی انها عامة لان ائمة الامة نواب عنه فی کل عصر الا تری ان قوله خذ من اموالهم صدقة لم یوجب کون
الرسول مخصوصا به دون ائمة امته و ذهب المزنی الی نسخ صلوة الخوف محتجا بانه لم یصلها فی حرب الخندق و اجیب بان ذلک قبل نزول الایة عن ابن
عباس قال خرج رسول الله صلعم فی غزاة فلقی المشرکین بعسفان فلما صلی رسول الله صلعم الظهر فراوه یرکع و یسجد هو و اصحابه قال بعضهم لبعض کان هذا
فرصة لکم لو اغرتم علیهم ما علموا بکم حتی تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخری هی احب الیهم من اهلیهم و اموالهم فاستعدوا حتی تغیروا
علیهم فیها فانزل الله عز و جل علی نبیه و اذا کنت فیهم الی آخر الایتین اما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام یجعل القوم طائفتین و یصلی بهم الا امام
رکعة اخری و یسلم و هذا مذهب من یری صلوة الخوف لغیر الامام رکعتان و للقوم رکعة و هذا مروی عن ابن عباس و جابر بن عبد الله و مجاهد قال
الحسن البصری ان الامام یصلی بتلک الطائفة رکعتین و یسلم ثم یذهب تلک الطائفة الاخری الی وجه العدو و تأتی الطائفة الاخری فیصلی الامام بهم
مرة اخری رکعتین کما فعل النبی ببطن النخل لیس فی هذه الصلوة الا ان فیها مفترض بمتنفل فان الصلوة الثانیة نافلة للامام لا محالة و فی جواز
ذلک خلاف و بینا لغیره و قال الشافعی ان کان العدو فی جهة القبلة صلی الامام بجمیع العسکر الی الاعتدال عن رکوع الرکعة الاولی فاذا کان
السجود حرست فرقة اما صفا و فرقة من صف الی ان یفرغ الامام و غیر الحارسة من السجدتین فاذا فرغ الامام منهما سجدت الفرقة الحارسة
و تعقدت بهما اسکنا و اذا سجد الامام للرکعة الثانیة حرست فرقة اما الفرقة الحارسة فی الرکعة الاولی او الفرقة الاخری و هذه اولی فاذا فرغ
الامام من السجود سجدت الحارسة و لحقت بالامام فی التشهد لیسلم بهم و لیس فی هذه الصلوة الا التخلف عن الامام بارکان السجدتین و الجلسة
بینهما و احتمل ذلک لخوف ظهور العدو بمثله صلی رسول الله صلعم بعسفان و اما ان لم یکن العدو فی وجه القبلة او کانوا بحیث یمنعهم شیء من ابصار
المسلمین صلی الامام مثل الثنائیة کالصبح او الرباعیة المقصورة بکل فرقة رکعة و ذلک ان یتحاز الامام بفرقة الی حیث لا یبلغهم سهام العدو

بتقیه

فيصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها وسلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف المحاذي للعدو ثم انصرف القائمون الى الامام وهو ينتظرهم ولحقوا به
في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابو داود والنسائي عن صالح بن خوات عن سهل بن
حثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو حنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو وياتي الطائفة الثانية
فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الاولى فيقضون بقية صلوتهم بغير قراءة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية
فيقضون بقية صلوتهم بالقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم يدرك اول الصلوة والمسبوق
فيما يقضي كالمنفرد في صلاته ولا خلاف في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهذه الصلوة في اوقات مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل
والاشد موافقة لظاهر الآية اي هذه الاقسام فقال الواحدي دلالة قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية
كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تاتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل
على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام وقال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من
الصلوة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة واجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من ورائكم
لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية ومعنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال والرواية التي
اختارها الشافعي احوط لامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها ما في غيرها من زيادة الذهاب والرجوع
وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن ايضا والانتظار للامام بالطائفة الثانية
مرتين ان كانت الصلوة مغربا يصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية يصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع
فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لمقاومة العدو واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع للمستغني عنه بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره يصلي
بالاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز ولكن كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة وبتنافسون امرهم في الاقتداء به فامر الله تعالى نبيه بهم
هكذا ليحوزوا جميعا لطائفتين فضيلة التكبير مع الاخرى فضيلة التسليم معه فالخطاب في قوله واذا كنت لنبي اي اذا كنت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم
واقمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا
من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا
حذرهم وكانه جعل الحذر والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ والنكتة في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة وانما امر هذه الطائفة باخذ
الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبه اول الصلوة لكون المسلمين في الصلوة بل يظنونهم قائمين للحرب واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم
وسجودهم فلا اولى بهم فرصة ينتهزونها في الفرصة الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلا جرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير بقوله ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ثم رخص لهم في
وضع السلاح اذا اصابهم بلل المطر فيسود ويفسد حده او يثقل على المرء اذا كان محشوا وحين كان الرجل مريضا يشق عليه حمل السلاح ولكن امر
الامر باخذ الحذر لئلا يغفلوا عن كيد العدو لا يجوز بكل حال فلا يعتل بعض العلماء اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه واجب لظاهر الامر فان الوجوب ولان
رفع الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة لا يتاذى
به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي ان يأتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة
فيها على خلاف نص القرآن وكما ان الآية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك يدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على
العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا فان المصلحة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر
لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انها بالكلية مسببة وهذا ختم الآية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلم ان الامر
بالحذر ليس لتوهم انهم قد يغلبونهم وكان الامر ليعلم المؤمنين ان التحذير والامر بالحذر ليس لضعفهم وانما هو لغيرهم الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله
في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف في الحرب جدير بذكر الله واظهار الخشوع والالتجاء اليه لكن الشافعي ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا اثناء القتال
بالمسايفة والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال شغلكم بالرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح وزاد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز
وان المعنى بصيغة فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان يقال المراد فاذا اردتم قضاء الصلوة في حال احتدام القتال واعلم ان الآية مسبوقة
بحكمين احدهما بيان القصر في صلوة المسافر والثاني بيان صلوة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل ان يراد به فاذا صرتم مقيمين فاتموا الصلوة تامة
من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف وحصل سكون القلب فاتموا الصلوة التي كنتم تؤدونها مع تغيير شيء من هيئاتها الا ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقتة محدودة باوقات لا يجوز اخراجها عنها ولو في شدة الخوف وفيه دليل للشافعي في ايجاب الصلوة على
المحارب في حال المسايفة وان اضطراب في المعركة اذا حضر وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن واعلم ان الصلوة الخمس مشهورة وقد
يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى يجب ان يكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار ويلزم زيادتها على الثلث ولو كان
الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاذا اقلها خمس وسوف يجيء بيان آخر ان فيها الاوقات الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة

ليلوليا الشمس وستشرحهما ان شاء الله تعالى في مواضعهما قال المحققون ان للانسان عمرا يشبه السنة الى تمام سن الشباب وسن الوقوف وهو ان ينتهي ذلك الشخص
على نهية كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة وتظهر فيها نقصانات خفية في الانسان وسن الشيخوخة وتظهر فيها نقصانات جلية فيستمر الى ان يموت ويهلك
واما المرتبة الخامسة فهي الحيوان والنبات الى ان يتدرج وينمو ويكبر كان لم يكن وكذا الشمس اذا طلع سلطانها من المشرق لا يزال يزداد ضياها الى الطلوع فما
يزداد ارتفاعها شيئا بعد شيء الى ان يبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحر الى وقت العصر حين يصير ظل كل شيء
مثله ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير زمان الطلوع ظل كل شيء مثليه ثم ازيد الى ان تغرب ثم يبقى آثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم يمحي حتى كان الشمس
لم توجد قط فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا يقدر عليها الا الله فهي دخلت في جميع الاشياء وموافقة لاسنان الانسان فلهذا تعينت اوقاتها للعبادة ولا فتقار
الى المعبود الحق جل ذكره ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال للتعريض لهم بما يفعلونهم ثم الزمهم
الحجة بقوله ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد دونهم لانهم ينكرون البعث فانتم اولى
واولى بالصبر على القتال والحث منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصر والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم تعبدون الاله العالم القادر
السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه وانهم يعبدون الاصنام التي لا خير فيها فيرجى ولا شر منها يخشى وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لا يكلفهم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى تتمة الكلام وهو حديث المنافقين فان من الاحكام المذكورة كلها بامر
الله تعالى وليس للرسول ان يتعدى عن شيء منها كطلب الموادعة من القوم وفيه ان كفر الكافر لا يبيح المساهلة في النظر له وان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه
بما انزل الله تعالى على سوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان في جراب
فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس
من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في ذلك وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآيات الى قوله ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ وفي الآية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال ابو علي قوله ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾
ليس منقولا بالهمزة من رؤية البصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب والا اقتضى ثلثة مفاعيل وليس في الآية الا اثنان احدهما الكاف والآخر الضمير العائد
المحذوف وهو ان يعني الاعتقاد فمعناه بما علمك الله وسمى ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور
وكان عمر يقول لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه واما الرأي منا فهو ظن وتكلف قال بعض العلماء في الآية دلالة على انه ما كان يحكم الا
بالوحي والنص وان الاجتهاد ما كان جائزا له وحيث يجب ان يكون حال الامة كذلك لقوله ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ واجيب بان العمل بالقياس عمل بالنص ايضا وكأنه قال لهم اذا غلب على
ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ولا
﴿تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ اي لاجلهم ولاجل بني ظفر ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصما والصلة من الخصم بالفتح والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى
قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لولا ان الرسول اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه لما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء
لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الروايات ان قوم طعمة لما التمسوا منه ان يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي فلعله امر
بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين ولعل القوم شهدوا ببراءة طعمة وبسرقة اليهودي وبرأه
طعمة ولم يظهر للرسول ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى على حقيقة الحال فلعل المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون
عن طعمة ثم قال ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه وانما جعلها
خيانة نفسه لانه يجرم نفسه الثواب ويوصلها الى العقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبة اليهودي
الى تلك السرقة وانما ورد البناء على المبالغة وان كان طعمة ليس كذلك لعموم اللفظ لطعمة وكل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه لان الله لا يحبه وايضا كان الله
عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم وذكر انه هرب الى مكة وارتد وثقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره
لا يشك في حاله وقالت العقلاء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها
فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وفي الآية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله ﴿يَسْتَخْفُونَ
مِنَ النَّاسِ﴾ يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ اي لا يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بالعلم والقدرة والرؤية
وكفى هذا زاجرا للانسان عن المعاصي ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته وتسميته
التدبير وهو معنى في النفس قولا ليس فيها اشكال عند القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم فمجاز ولعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر فسمى
الله تعالى كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله والمراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلفه بعد ان بيته ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ ها للتنبيه في انتم واولاء
وهما مبتدأ وخبر وقوله ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ جملة موضحة للاولى كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك والمراد انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا

يذبون عن طعمة ويوبخونه لانهم في الظاهر مسلمون في المعنى هؤلاء انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يجادل عنهم في الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه
ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا عن عذاب الله وهذا الاستفهام معطوف على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم اردف الوعيد بذكر التوبة فقال
ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا بالسوء غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب ثم تخصيص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان
ايصال الضرر الى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله الى فاعله فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان لا يوصل الضرر الى نفسه وقد يستدل
باطلاق الاية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال بل على ان مجرد الاستغفار كاف وعن بعضهم ان الاستغفار
لا ينفع مع الاصرار ولا بد من اقترانه بالتوبة يجد الله غفورا رحيما اي لم يحذف هذا الرابط لان الكلام عليه لانه لا معنى للتعقيب بالاستغفار الا اذا
كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون
منه وبعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك
المقصود منه ترغيب للعاصي في الاستغفار وكانه قال الذنب الذي يذنبه انما يعود وباله وضرره اليه لا الي فاني منزه عن النفع والضرر فلا تيأس من قبول
التوبة وكان الله عليما حكيما يقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما عمله ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل الخطيئة الذنب القاصر على فاعله
والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او الخطأ والاثم ما حصل بسبب العمد ثم يرم به بريئا اي يتهم بذلك المذكور
او بالاثم او بذلك الذنب لان الخطيئة في معنى الذنب او بذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو جامع
بين الامرين فلا جرم يلحقه اللوم في الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته واولا ما خصك الله بالفضل وهو النبوة وبالرحمة وهي العصمة لهمت طائفة منهم من بني
ظفر وهي طائفة من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء الحق والحكم العدل وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان و
شهادتهم بالزور والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما امر الانبياء الا بالاحكام على الظواهر وهو وعد بابقاء عصمته
له مما يريدون في الاستقبال من اتباع الباطل ثم اكد الوعيد بقوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي انزل ما امرك بتبليغ الشرع الى الخلق فكيف
يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلال لانه على الاول يكون المراد انه اوحى في الكتاب والحكمة بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك
بناء الامر عليه فكيف هو عذر لك في مسائل بابها حتى لا يقدر احد من المنافقين على اضلالك وعلمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فيه معنيان احدهما
ان يكون كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما ووقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك
عالما بشيء منهما الثاني ان يكون المراد منها خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم
ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه تنبيه على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا بأسرها قليلا التأويل الصلوة
صورة جذبة الحق ومعراج العبد فلهذا امر بها في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوبا بالعناية على الدوام واذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي ادمتها لهم لان النظر اليك عبادة كما ان الصلوة عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء
والمنكر فلتقم طائفة هم الخواص منهم اي من عوامهم معك اي مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا وليعني طائفة من بقية القوم اسلحتهم
من الطاعات والعبادات دفعا لعدو النفس والشيطان فاذا سجدوا بلغوا من معك نزلوا مقامات القربة فليكونوا اي هؤلاء القوم من ورائكم في المرتبة
والمقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالهم بالامور الدنياوية لحوائجكم الضرورية للانسان ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك في الحقيقة
فلم يصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو ادب الطريقة واسلحتهم وهي اركان الشريعة ود الذين كفروا هم عدو النفس وصفاتها لو تغفلون
بكم اذى من مطر يعني اشتغال الدنيا ومن رات حوائج الانسان يطرأ عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعة لا الاذكار [illegible]
وخذوا حذركم من التوجه الى الحق ومراقبة الاحوال وحفظ القلب بحضور مع الله وخلو السر عن الالتفات بغير الله ورعاية التسليم والتفويض
الى الله والاستمداد من همم اعاظم الدين والالتجاء الى انبياء النبوة ان الله اعد بهذه الاسباب للكافرين من كفار النفس والشيطان عذابا مهينا
فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم ان الصلوة كانت في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا موقوفا الى الابد كما اشار اليه
بقوله انا فتحنا لك اي بابا من القدم الى الحدوث ليغفر لك الله بما فتح عليك ما تقدم في الازل من ذنبك ان لم تكن مصليا وما تاخر من ذنبك بان لا تكون
مصليا ويتم نعمته عليك بان يجعل سيئاتك وهي عدم صلوتك في الازل والابد مبدلة بالحسنات وهي الصلوة المقبولة من الازل الى الابد ويهديك صراطا
مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد بمقاساة الرياضات والعبادات
فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لانهم النفس الذميمة لا يتجاوز
مقصودها الدنيا المجازية الفانية بما اراك الله حين **لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح**
اوحى اليك بلا واسطة بما اوحى [illegible] نیست در بسیاری از رازها مگر آنکه فرمود و به صدقه یا نیکویی کردن یا صلاح کردن

بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد

در میان مردم و هر که بکند [illegible]

نصف

ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر
که هدایت مر او را راستی و پیروی کند بجز راه مومنان را باز گردانیم او را انچه خیار کرده و در او در اهل کنیم و او در جهنم و با جایگاهی بد بستی که خدا نیامرزد
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه
که شریک قرار داده شود و میامرزد آنچه را که غیر از بیت مر آن را که خواهد و هر که شریک آورد بخدا پس بتحقیق گمراه شد گمراهی دور نمی خوانند غیر از خدا
الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم
مگر ماده ها و نمی خوانند مگر شیطان سرکش را دور کرد خدا او را و گفت که هر آینه فرا گیرم از بندگان تو بهره معین را و هر آینه از راه ببرم
ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
و در آرزو اندازم و امر کنم ایشان را تا ببرند گوشهای چهارپایان را و امر کنم ایشان را تا تغییر دهند آفریده خدا را و هر که فرا گیرد دیو را دوست خود از غیر
الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماويهم
خدا پس بتحقیق زیان کرد زیان آشکارا وعده میدهد و آرزو در افکند و وعده نمی دهد ایشان را دیو مگر فریب آن گروه جای ایشان در
جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
جهنم است و نمی یابند از جهنم گریزگاهی و آنان که گرویدند و کردند کردار شایسته زود است که در آریم ایشان را در بهشتها که روانست از زیر
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب
جوها جاویدان در آن همیشه وعده بحق خدا و کیست راستگوتر از خدا در گفت نیست کار بآرزوی شما و نه آرزوی اهل کتاب
من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر
هر که بکند بدی را جزا داده شود بآن و نمی یابد برای خود غیر از خدا دوستی و نه یاوری را و هر که بکند از کردار شایسته از مرد
او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
یا زن و حال آنکه او مومن است پس آن گروه در آیند در بهشت و ستم کرده نشوند مقدار شکاف خرما و کیست نیکوتر دین از آنکه تسلیم کرد خود را
لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض
برای خدا و او نیکوکار است و پیروی کرد ملت ابراهیم را که پاک است و فرا گرفت خدا ابراهیم را دوست و مر خدا راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین
وكان الله بكل شيء محيطا القراءات نوليه بالياء ابو عمرو وحمزة وخلف وشيبة وسهل الباقون بالنون نوله ونصله مثل يوده
و میباشد خدا بهر چیزی احاطه کننده يدخلون بضم الياء وفتح الخاء وكذلك في مريم وحم المؤمن ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد
الاخرون بالعكس ابراهام وما بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان الوقوف بين الناس عظيما جهنم مصيرا
لمن يشاء بعيدا اناثا لا لان الابتداء بالنفي مع واو العطف مريدا لان ما بعده وصف له لعنه الله لان قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروضا للعطف خلق
الله مبينا كيلا يصير يعدهم وصفا للخسران ويمنيهم غرورا محيصا ابدا حقا قيلا الكتاب يجز به للعطف نصيرا نقيرا حنيفا خليلا وما في الارض
محيطا التفسير ثم اشار الى ما كانوا يتناجون حيث يبيتون ما لا يرضى من القول النجوى السر بين اثنين كذا النجوى يقال نجوته نجوا اي ساررته
وكذلك ناجيته قال الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا والاية وان نزلت في مناجاة بعض قوم ذلك السارق بعضا الا انها في المعنى عامة والمراد
انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من امر وفي محل من وجوه بناء على معنى النجوى فان كان النجوى السر جاز ان يكون من في موضع
النصب لانه استثناء الشيء من خلاف جنسه كقوله الا اذى ومعناه لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير ويجوز في موضع الرفع كقوله الا اليعافير والا العيس
وابو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف معناه الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما يقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد اي في قيامه وعلى
هذا يكون الاستثناء من جنسه وان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واذ هم نجوى كان محل من ايضا مجرورا من كثير او من نجوى كما لو قلت لا خير في جماعة
من القوم الا زيد ان شئت اتبعته الجماعة وان شئت اتبعته القوم وانما قال لا خير في كثير مع انه يصدق الحكم كليا بدليل قوله كلام ابن ادم
كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف ونهي عن منكر او ذكر الله سبحانه تنبيها للقلوب ليكون ادخل في الاعتراف بهم وليخرج عنه الخلال والتسبيح
ا استنكر هو اعلم ان قول الخير اما ان يتعلق بايصال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية فهو الامر بالصدقة وان كان
من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية او العملية فهو الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الاية مشتملة على جوامع الخيرات
ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة في الظاهر الا انها لا تقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر كيلا يكون من زمرة اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم لم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما ويمكن ان يقال ان معنى ومن يفعل الامر المراد ومن يامر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال والمراد بقوله من امر
من فعل لان الامر يلزمه الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد تبين له بما اظهر الله من امره فادله على صحة نبوة

حملة فتعادى الرسول واظهر الخلاف وارتد على عقبيه ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو غير دين الموحدين ومعنى نوله ما تولى نجعله واليا لما اختاره لنفسه
ونكله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ باية السيف لا سيما في حق المرتد والظاهر ان المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه اياها
وساءت مصيرا انتصب مصيرا على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود الى ما في الذهن لا الى المذكور يحكى ان الشافعي سئل عن اية في كتاب الله تدل
على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الاية وتوجيه الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين
مشاقة الرسول ورتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين او النقيضين فعدم اتباع
سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب ونكون الآية الرسول في الاية دلالة على وجوب عصمة النبي وعلى وجوب كل ما نووا الدوا فعال الدوا الاوجه
المشاقة في بعض من الامور وهي منهي عنها في الكل قيل في الاية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا
معنى لتبين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبين الدليل فيكون تبيين الدليل معتبرا في صحة الدين والقول الموقوف على النظر هو معرفة وجود الصانع
لانه وصحة نبوة النبي والبواقي يكفي في اعتقاده اخبار الصادق على ان اخبار الصادق ايضا دليل فلا حكم الا عن دليل ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به للتأكيد وقيل لقصة طعمة وارتداده وشركه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدته والمطلوب كلما كان اجلى
كان نقيضه ابطل ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه الا اناثا اي اوثانا وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى
فاللات تانيث الله والعزى تانيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان ويؤيده قراءة عائشة الا اوثانا
وقراءة ابن عباس الا اثنا جمع وثن مثل اسد واسد ابدلت الواو همزة كاجوه وقيل المراد الا امواتا لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث
تقول هذه الاحجار اعجبتني كما تقول هذه المرأة اعجبتني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل
ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا بالغا في العصيان مجردا عن الطاعة
يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم ينبت بعد قال المفسرون كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم وقال المعتزلة جعل
طاعتهم للشيطان عبادة له لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا هو ابليس لانه وصفه بقوله لعنه الله
وقال لاتخذن وهو جواب قسم محذوف اي شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال
المراد بلعنة الله ما استحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم ابيت اللعن اي لا تفعلن ما تستحق به ومعنى نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضه لنفسه
واصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانه قاطع الاعذار وتقدر سهم لهن فرضته جعلت لهن قطعة من المال وفرض الجند رزقهم المقطوع المعين قال الحسن من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعين وذلك لما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال اخرج بعث النار قال
وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث وههنا سؤال هو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والفساق
لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع انه لا يتناول الا القسم الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر لا اذا ضم الملائكة
اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا ولاضلنهم بغيهم عن الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم قالت المعتزلة
فيه دلالة على ان الاصل في الاضلال هو الشيطان دون الله والثاني ان الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال فان الشيطان بالاتفاق
لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسئلة مضطرب جدا فتارة يميل الى القدر المحض وهو قوله لاضلنهم لاغوينهم
واخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما اغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال وانتظام الاحوال فلا يكاد يقدم على
التوبة والاقبال على هيئة زاد الآخرة حتى يعمر قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم
والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن والخامس ذكر وحرموا
على انفسهم الانتفاع بها ويسمونها بحيرة وقال بعضهم كانوا يقطعون آذان الانعام نسكا في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه في نفسه
كفر وفسق قوله فليبتكن صيغة غائب للغائبين واللام لجواب القسم اي والله ليبتكن واصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت الواو
لالتقاء الساكنين واكتفى بالضمة والفاء للتسبيب لا يدان يلازم ما قبلها وما بعدها والجملة في التفسير لقوله ولامرنهم ومثلها في الاعراب قوله ولامرنهم
فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير التغيير المعنوي وقالت طائفة من الاول قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعي وقتادة والسدي انه تغيير
دين الله بتبديل الحرام حلالا او بالعكس او بابطال الاستعداد الفطري فطرة الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن الثاني قال الحسن
المراد ما روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك ان المرأة تتوسل بهذه الافعال الى الزنا اما الوشم فان يغرز ظهر الكف
بالابرة ثم يحشى بالنيل والوشر تحديد الاسنان والتنمص نتف شعر الحاجب وعن انس وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء
وقطع الآذان وفقء العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها وخصاء البهائم مباح عند عامة العلماء واما في بني آدم فمحظور
وعند ابي حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى اخصائهم وقال ابن زيد هو التخنث تشبه الذكر بالانثى وعلى هذا فالسحق
ايضا داخل في الآية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله تعالى خلق الانعام ليركبوها فحرموها على انفسهم كالبحائر والسوائب وخلق

النفس الى غير مستحقه للناس ينتفعون بها نعبد بها فهذا تغيير لخلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان انما يكون على ثلثة اوجه التشويش والنقصان والبطلان
فادعى الشيطان لعنه الله القاء اكثر الخلق في ضرر الدين هو قوله لاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولامنينهم وهو القدر من حبس التشويش لان صاحب الاماني
يتشوش فكره في استخراج الحيل الدقيقة وانواع الحيل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام اشارة
الى الضرر بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الرأي ضعيف العزم في طلب الآخرة وقوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله
اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يزيد ميله وركونه الى الدنيا حتى يتغير طبعه
بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الآخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان يفعل ما امره الشيطان به ويترك ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا
اذ فاته اشرف المطالب بسبب الاشتغال باخسها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم مفعول الثاني محذوف للتعميم انه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولي
على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه
وان طال عمره ونال المأمول على احسن الوجوه فلا بد ان يكون عند الموت في اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان الذ واشهى كان الالف به اشد
والبقي كانت مفارقته الم وابكى وايضا لعل الشيطان يعدهم انه لا قيامة ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب فجهدوا في استيفاء اللذات العاجلة واغتنموا
فرصة العيش الزائل فلذلك قيل اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا ولم يعينوا اصلها الا ليلهم من ورودها والمكث
التخليد بمعنى الدوام للكفار وطول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فان اهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله ابدا مفيد
للتابيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه ثم وعد مضمونه هو مضمون وعد الله واما حقا
فمضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون حقا وان لا يكون فمضمونهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن اصدق
من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للانكار وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء امانيه
الفارغة والتنبيه على ان قول اصدق القائلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسما
لا مصدران عن ابي صالح قال جلس اهل الكتب اهل التورية والانجيل واهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس باماينكم ولا اماني
اهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم
وقال المسلمون نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم افلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من اهل الاديان
بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن احسن دينا الآية وقيل الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان واما نيهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد
ولا عقاب وان عذبوا لكنهم يشفعون اصنامهم بانها تشفع لهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين واما نيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا الكبائر واما اماني
اهل الكتاب فقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس مضمر والمعنى ليس
اي ليس وضع الدين على امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب اي ثبت
منه وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل
ويؤكد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن هنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد
الفساق وبنفي الشفاعة واجيب بانه مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر لكنه مخصوص في حق المؤمن
بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاؤهم الآلام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي انه لما نزلت الآية قال
ابو بكر كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك اللاواء فهو ما تجزون به وعن عائشة ان رجلا قرأ هذه الآية فقال
انجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وبما يؤذيه وعن ابي هريرة لما نزلت الآية بكينا وحزنا
وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الآية لنا شيئا فقال ص ابشروا فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي يقع
في قدمه سلمنا ان الجزاء انما يصل اليه في الآخرة لكنه روي عن ابن عباس انه لما نزلت الآية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله وايّنا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء
فقال انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية واحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات
فويل لمن غلب احاده اعشاره واعلم ان المؤمن الذي اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن ومن يعمل من الصالحات يوجب القطع بانه يدخل
الجنة فلو ان صاحب الكبيرة غير مؤمن وجب نحو قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اما ما حدث بنفي الشفاعة فانا اذا كانت شفاعة الملائكة
والانبياء باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان
كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال
ومن في قوله من ذكر لتبيين الابهام في من يعمل والضمير في ولا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او يعود الى الصالحين فقط وذكره عند احد الفريقين
يغني عن ذكره عند الآخر والمعنى مستغن عن هذا القيد لان المعلوم ان ارحم الراحمين لا يزيد في عقابه واما نقصان الفضل في الثواب فلا يحتمل لان زيادة الله

الوهم ثم بين فضل الإيمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن أحسن ديناً وفيه إنباء عن الفضل من وجهين الأول أنه الدين المشتمل على إظهار كمال العبودية والانقياد لله في الإشارة بقوله أسلم وجهه لله وهو راجع إلى الاعتقاد الحق وعلى إظهار كمال الطاعة وحسن العمل والإخلاص والبله الإشارة بقوله وهو محسن وهو عائد إلى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على أن كمال الإيمان لا يحصل إلا عند تفويض جميع الأمور إلى الخالق والتبري من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الأفلاك والكواكب والطبائع وغيرها كائناً ما كان الوجه الثاني أن محمداً إنما دعا الخلق إلى دين أبيه إبراهيم ومن المشهور فيما بين أهل الأديان أنه ما كان يدعو إلى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان مائلاً عن الملل الباطلة بعيداً عنها بعداً لمركز عن جميع أجزاء الدائرة ولهذا شرف بقوله واتخذ الله إبراهيم خليلاً وهذه جملة معترضة والسبب في إيرادها أن نعلم أن من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديراً بأن يتبع طريقته قال العلماء إن خليل الإنسان هو الذي يدخل في خلال أموره وأسراره والذي دخل حبه في خلال قلبه ولما أطلع الله إبراهيم على ملكوت الأعلى والأسفل ودعا القوم مرة بعد أخرى إلى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس وعن عبادة الأوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله إماماً للناس ورسولاً إليهم وبشره بأن الملك والنبوة في بنيه إلى يوم الدين كان خليلاً لله لأن خلته عبارة عن إرادة إيصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال تخلقوا بأخلاق الله فلما بلغ إبراهيم في مكارم الأخلاق مبلغاً لم يبلغه من تقدم لا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل فلما كان إبراهيم منقاداً لكل ما أمر به ونهي عنه فكأنه سايره ووافق أوامر الله ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق وأما من قبل أسباب النزول فعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل بم اتخذ الله إبراهيم خليلاً قال لإطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى دخل إبراهيم فجاءه ملك الموت في صورة شاب يعرفه فقال إبراهيم بإذن من دخلت فقال بإذن رب المنزل فعرفه إبراهيم فقال له ملك الموت إن ربك اتخذ من عباده خليلاً قال إبراهيم ومن ذلك قال وما تصنع به قال أكون خادماً له حتى أموت قال فإنه أنت وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أصاب الناس سنة جهدوا فيها فحشروا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالإبل إلى الخليل بمصر يسأله الميرة فقال الخليل لو كان إبراهيم إنما يريده لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريده للأضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل إبراهيم فمروا ببطحاء فقالوا لو أنا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بميرة إنا لنستحيي أن نمر بهم وإبلنا فارغة فملؤوا تلك الغرائر رملاً ثم أتوا إبراهيم وسارة نائمة فأعلموه ذلك فاهتم إبراهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت إلى تلك الغرائر ففتحتها فإذا هو أجود حوارى تكون فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس واستيقظ إبراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من أين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله فيومئذ اتخذه الله خليلاً وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال إبراهيم اذكره مرة أخرى فقال لا أذكره مجاناً فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت أشجى من الأول فقال اذكره مرة ثالثة ولك أولادي فقال الملك أبشر فإني ملك لا أحتاج إلى مالك وولدك وإنما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والأولاد على سماع ذكر الله لا جرم اتخذه الله خليلاً وروى طاوس عن ابن عباس أن جبرئيل والملائكة لما دخلوا على إبراهيم في صورة غلمان حسان الوجوه ظن الخليل أنهم أضيافه فذبح لهم عجلاً سميناً وقربه إليهم وقال كلوا على شرط أن تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل أنت خليل الله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله إبراهيم خليلاً وموسى نجياً واتخذني حبيباً ثم قال وعزتي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي قلت وقد ذكرنا الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله إذ قال له ربه أسلم وقد ذكر في التفسير الكبير أن استنارة جوهر الروح بالأنوار القدسية والجلايا الإلهية صار الإنسان متوغلاً في عالم القدس فلا يرى إلا الله ولا يسمع إلا الله ولا يتحرك إلا لله ولا يسكن إلا لله فهذا الشخص يستحق أن يسمى خليل الله لما أن محبة الله تخللت في جميع قواه قال بعض النصارى إذا جاز إطلاق الخليل على إنسان تشريفاً فلم لم يجز إطلاق الابن على آخر لمثل ذلك والجواب أن الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وأنه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً ليعلم أنه لم يتخذ إبراهيم خليلاً للحاجة ولا للاحتياج لكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان فإنه مع خلته لم يستنكف أن يكون عبداً له داخلاً تحت ملكه وملكه وفيه أن من كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل أن يخضع لتكاليفه وينقاد لأوامره ونواهيه كما قال إبراهيم أسلمت لرب العالمين وأيضاً أنه لما ذكر الوعد والوعيد وأنه لا يمكن الوفاء بهما إلا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل لجميع الكليات والجزئيات أشار إلى الأول بقوله ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطاً وإنما قدم القدرة على العلم لأن الفعل بجودته يدل على القدرة وبإتقانه وإحكامه من الاتقان يدل على العلم ولا ريب أن الاعتبار الأول مقدم على الثاني قال بعضهم الإحاطة ليس ههنا بمعنى القدرة كقوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها ولا يلزم تكرار لأن الأول لا يدل إلا على مالكية ما في السموات والأرض والقدرة عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الأشياء وإن كانت خارج السموات والأرض وعلى أن سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات إنما تنقطع بإيجاده وتكوينه إبداعاً أو بالأخرة وفي كثير من نجوى النفس والموحي الشيطاني إلا فيهم من الخيرات وهو الله بالوحي والخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول أي يخالف الإلهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين باداء يتبع الهوى وتسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان إلى ما تولى ونصله بسلاسل مغانم جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية إن الله لا يغفر أن يشرك به ولو كان مغفوراً لم يشرك بالله لأن ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً وهو الضلال الأزلي فإنهم إن يدعون من دونه إلا إناثاً لأنها صفات جاهلية لله منها

يدعون من دونه

الشهوات بدعوت الشيطان فانه يزينها في الدنيا كما قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه والنصيب المفروض ما نفذ فيهم الله هوى
للنار ولاضلنهم كذب عدو الله فانه يزين ولبس لهم من الضلال شيء كما قال بعثت مبلغا وليس الي من الهداية شيء وعد الله حقا وموقوله هو كذا الى الجنة
ليس بامانيكم يعني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال واني لغفار لمن تاب ولا من يعمل صالحا ولا اماني اهل الكتاب
علماء السوء الذين يغرقون العوام بالرجاء والطمع ويقطعون عليهم طريق الطلب والاجتهاد فليس من غني نعمته من غير ان يبتغي في طلبه من غير ان يتمنى نعمته
من يعمل سوءا يجز به في الحال باظهار الدين على مرآة قلبه كما قال اذا اذنب عبده نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب رجع منه صقلت ولا يجد له من دون الله وليا
يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر على النفس الامارة من ذكر او انثى اي من قلب او نفس ومن احسن دينا يعني من محمد حين اسلم وجهه
وروحه وقلبه ونفسه وشيطانه كما قال اسلم شيطاني على يدي ومن سلام نفسه يقول يوم القيامة امتي امتي حين يقول الانبياء نفسي نفسي وهو محسن يعني انه من اهل
المشاهدة يعبد الله كانه يراه بل يراه ولا منه احسن الدين خلقه العظيم الى ان بلغ حد الكمال والختم واتبع ملة ابراهيم بان الله اتخذه خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
مثل المجنون بن عامر فيما سمعت قال ليلى ومثل الحمد ما اسمعت قال الحبيب كان محمد حبيبا اتى نفرا من الخلة الحاجة لانه انفرد بالكلية الى الله في كل احواله
والفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب ان الخليل اتخذ الالهة عدوا في الله فانهم عدو لي الا رب العالمين واتخذ نفسه عدو الله وقال لبيت ربي حملتم بخلق محمد
وهذا مقام الفناء في الفنا بل البقاء بعد وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيْطًا وَيَسْتَفْتُوْنَكَ
الفناء فلا جرم يقول ما رب عن الرب

ع فِي النِّسَآءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيْكُمْ فِيْهِنَّ وَمَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتٰبِ فِيْ يَتٰمَى النِّسَآءِ الّٰتِيْ لَا تُؤْتُوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ
و در باره زنان بگو که خدا فتوی میدهد شما را در ایشان و آنچه خوانده میشود بر شما در قران در باره یتیمان از زنان آن زنانیکه نمیدهید ایشانرا آنچه واجب شد
لَهُنَّ وَتَرْغَبُوْنَ اَنْ تَنْكِحُوْهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَاَنْ تَقُوْمُوْا لِلْيَتٰمٰى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ
برای ایشان و رغبت میکنید که نکاح کنید ایشانرا و در ضعیفان از اطفال و آنکه بایستید برای یتیمان بعدالت و آنچه بجای آرید از خیر
فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهٖ عَلِيْمًا وَاِنِ امْرَاَةٌ خَافَتْ مِنْۢ بَعْلِهَا نُشُوْزًا اَوْ اِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ اَنْ يُّصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا
پس بدرستیکه خدا هست بآن دانا و اگر زنی بترسد از شوهر خود بد خوئی یا روگردانیدن پس نیست گناه بر ایشان که اصلاح کنند در میان خود صلحی
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَاُحْضِرَتِ الْاَنْفُسُ الشُّحَّ وَاِنْ تُحْسِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا وَلَنْ تَسْتَطِيْعُوْٓا
و صلح بهتر است و حاضر کرده شده نفسها را بخل و اگر نیکوئی کنید و پرهیزگاری کنید پس بدرستیکه خدا هست بآنچه میکنید با خبر و هرگز نتوانید
اَنْ تَعْدِلُوْا بَيْنَ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيْلُوْا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوْهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَاِنْ تُصْلِحُوْا وَتَتَّقُوْا
که عدالت کنید در میان زنان و هر چند حریص باشید پس میل مکنید تمام میل که واگذارید او را مانند آویخته و اگر اصلاح کنید و پرهیزگاری کنید
فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا وَاِنْ يَّتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّٰهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهٖ وَكَانَ اللّٰهُ وَاسِعًا حَكِيْمًا
پس بدرستیکه خدا هست آمرزنده مهربان و اگر جدا شوند بی نیاز گرداند خدا هر یکرا از وسعت خود و میباشد خدا وسعت دهنده استوارکار
وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَاِيَّاكُمْ اَنِ
و مر خدایراست هر چه در آسمانها و آنچه در زمین است و بتحقیق وصیت کردیم آنانرا که داده شدند کتاب از پیش شما و شما را که
اتَّقُوا اللّٰهَ وَاِنْ تَكْفُرُوْا فَاِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيْدًا وَلِلّٰهِ
بترسید خدا را و اگر کافر شوید پس بدرستیکه مر خدایراست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و میباشد خدا بی نیاز ستوده و مر خدایراست
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيْلًا اِنْ يَّشَاْ يُذْهِبْكُمْ اَيُّهَا النَّاسُ وَيَاْتِ
آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بس است خدا کارسازی اگر خواهد ببرد شما را ای زمره مردمان و بیاورد
بِاٰخَرِيْنَ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى ذٰلِكَ قَدِيْرًا مَنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ
دیگرانرا و میباشد خدا بر این توانا هر که میخواهد که بهره دنیا پس نزد خداست بهره دنیا و آخرت
ع وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًاۢ بَصِيْرًا يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُوْنُوْا قَوّٰمِيْنَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلٰٓى اَنْفُسِكُمْ
و میباشد خدا شنونده بینا ای زمره آنانکه ایمان آورده اید باشید ایستادگان بعدالت گواهان از برای خدا و اگر چه بر نفسهای خود
اَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ اِنْ يَّكُنْ غَنِيًّا اَوْ فَقِيْرًا فَاللّٰهُ اَوْلٰى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوٰٓى اَنْ تَعْدِلُوْا وَاِنْ
یا پدر و مادر و خویشان اگر باشد توانگر یا درویش پس خدا سزاوارتر است بایشان پس متابعت مکنید خواهش را که عدالت کنید و اگر
تَلْوٗٓا اَوْ تُعْرِضُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَالْكِتٰبِ
روگردانید یا اعراض کنید پس بدرستیکه خدا هست بآنچه میکنید با خبر ای گروه آنانکه ایمان آورده اید ثابت شوید در ایمان بخدا و رسول او و قران
الَّذِيْ نَزَّلَ عَلٰى رَسُوْلِهٖ وَالْكِتٰبِ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ
که فرو فرستاد بر پیغمبر خود و کتابیکه فرو فرستاد از پیش و هر که کافر شود بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا

و روز واپسین پس بتحقیق که گمراه شده است گمراهی دوری بدرستی آنانکه ایمان آوردند پس کافر شدند پس ایمان آوردند پس کافر شدند پس افزودند در کفر

لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

نیست خدا که بیامرزد ایشان را و نه آنکه بنماید ایشان را راهی مژده ده منافقان را با آنکه مر ایشان راست عذابی دردناک آنان که فرا گیرند

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ

کافران را دوستان از غیر مؤمنان آیا خواهش میکنند نزد ایشان عزت را پس بدرستیکه عزت مر خدای راست همه و بتحقیق که فرستاد

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

بر شما در کتاب که اگر شنیدید آیات خدا را کافر شوند بان و سخریه کنند بان پس منشینید با ایشان تا فرو روند

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ

در حدیثی غیر آن بدرستیکه شما آنگاه مانند ایشانید بدرستی که خدا گرد آورنده منافقان و کافران در جهنم همگی آنان که انتظار کشند

بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ

بشما پس اگر بود مر شما را گشایشی از جانب خدا گویند که آیا نبودیم با شما و اگر بود مر کافران را بهره گویند که آیا نه دست یافتیم بر شما

وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

و منع میکردیم شما را از مؤمنان پس خدا حکم کند در میان شما در روز قیامت و قرار ندهد خدا از برای کافران بر مؤمنان سلطی را

القراءة يصلحا من الاصلاح عاصم وعلي وحمزة وخلف الباقون يصالحا من التصالح وادغام التاء في الصاد ان نشأ حيث كان بغير همز الاعشى واوقية دون شر
من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة الباقون تلووا بواوين نزل وانزل على ما لم يسم فاعله ... الباقون مشددا مبنيا للفاعل
عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول الوقوف النساء ط للعطف على الله وليلتسلوا يفتيكم الولدان لا للعطف اي في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا بالقسط عليما صلحا خير الشح كالمعلقة رحيما سعته حكيما وما في الارض ان اتقوا الله وما في الارض حميدا وما في الارض وكيلا باخرين قديرا والآخرة بصيرا
والاقربين لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا لذلك خبيرا من قبل بعيدا سبيلا اليما لا لان الذين صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على
الذم المؤمنين جميعا غيره لا لان ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لا لان ما بعده صفة المنافقين لكم لا لابتداء الشرط مع اتحاد بيان التربص معكم لترجيح جانب
العطف ... النفاق نصيب لا لان قالوا جواب ان المؤمنين القيمة سبيلا التفسير احسن الترتيبات اللائقة بالدعوة الى الدين الحق والبعث على تلقي
التكاليف هو ما عليه القرآن من اقتران الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب ثم الآيات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام والاستفتاء
طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل في المسألة فافتاني افتاء وفتيا وفتوى هما اسمان يوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب الذي
قوي وكمل كانه يقوي ببيانه ما اشكل فيشب ويصير فتيا قويا واعلم ان الاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلذلك اختلفوا فعن بعضهم
انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في توريثهم وقيل انهن الاوصياء وقيل نزلت في توفية الصداق لهن كانت اليتيمة
تكون عند الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان كانت دميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها اما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه
احدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر
في يفتيكم وجاز بلا تاكيد للفصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
كما سلف في اول السورة وجملة لان الكتاب على هذا الحكم اثناء من الكتاب فانهما وما يتلى عليكم مبتدأ في الكتاب خبره والجملة معترضة ويكون المراد من الكتاب
اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الآية فان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من عظائم الامور ... بما عظمه الله ونظيره في تعظيم القرآن قوله وانه
في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انه مجرور على القسم لمعنى التعظيم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على
معطوفا على المجرور في فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الجار ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتيكم الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء
انما يكون في المسائل وقوله في يتامى النساء على الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن او بدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لا غير والاضافة
في يتامى النساء قال الكوفيون هي اضافة الصفة الى الموصوف واصله في النساء اليتامى قال البصريون انها على تأويل جرد قطيفة وسحق عمامة وجوز
بعضهم ان يكون المراد بالنساء امهات اليتامى كما في قصة ام كجة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت
في ميراث اليتامى والصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا يحتمل الرغبة والنفرة اي ترغبون في ان تنكحوهن
لجمالهن وترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالآية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ورد باحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن
اذا بلغن وقيل ان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغبت امها في المال فجاءوا الى الرسول فقال قدامة

ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الباقون نزل وانزل مبنيين للفاعل

ان عمها ذو وصي لها فقال الحنفية انها صغيرة وزوجها لا ازوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر ولانه لكن في الاية اكثر من كون رغبة الاولياء في نكاح اليتيمة وذلك لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم بل يجوز ان يكون وان تقوموا منصوبا اي وامركم ان تقوموا ومن جملة ما امر الله تعالى امر يفتيهم به في الكتاب لكنه لم يتقدم ذكره قوله وان امرأة خافت ارتفاع المرأة بفعل يفسره خافت اي علمت وقيل ظنت والظاهر انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول الرجل لامرأته انك دميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين هو كراهة كل منهما صاحبه يعني نشوز الرجل ان يعرض عنها ويعرض بوجهه عنها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها عن عائشة انها نزلت في المرأة تكون عند الرجل ويريد الرجل ان يستبدل غيرها فتقول امسكني وتزوج بغيري وانت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا انه لا جناح على ان تطيب المرأة له نفسا عن القسم او عن بعضها او عن المهر والنفقة فان هذه الامور هي التي تقدر المرأة على طلبها من الزوج شاء ام ابى اما الوطء فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطء والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض فاللام للعهد او هو خير من الخصومة في كل شيء فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة في جواز الصلح على الانكار والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا انه اعتراض مؤكد للمطلوب يحصل المقصود والشح البخل مع حرص فارض شحاح لا تسيل الا من مطر كثير جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت على ذلك ثم يحتمل ان يكون هذا تعريضا بالمرأة انها تشح ببذل نصيبها او حقها او بالزوج انه تشح بانه ينقضي عمره معها مع دمامتها وكبرها وعدم الالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص اولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم ثم بين انه كما لا جناح فيه فكذلك فيه خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى وحسم مادة الخصومة راسا فقال وان تحسنوا اي بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة المحوجة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا فالخطاب للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه ويحترز عن الظلم وقيل لغيرهما ان يحسن في المصالحة بينهما ويتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران بن حطان الخارجي كان من ادم بني ادم وامرأته من اجملهم فاجالت يوما نظرها في وجهه ثم قالت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت ولن تستطيعوا ان تعدلوا لن تقدروا على التسوية بين النساء في ميل الطباع فكونوا حتى صنعتم واذا لم تقدروا وعلمها بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين به وهذا تفسيرها مناسب لمذهب المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا كل الميل اي رفع عنكم تمام العدل وغايته لكن ائتوا بما استطعتم بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم وبوجه اخر لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم ولا التسوية الكلية في نتائج الحب من الاقوال والافعال لان الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها ونفقتها وسائر حقوقها وحظوظها من غير رضا منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على قرار اي غير ذات بعل ولا مطلقة والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتائج الميل القلبي واما الميل القلبي فمعفو بالكل وبالبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان انما هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة كانت احب اليه عنه من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته يغن كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه وسعته الغنى والمقدرة وكان الله واسعا من الرزق والفضل والرحمة والعلم واي كمال يعرض لهذا اطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم ووعظ قال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف او تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض فهو كالتقرير لسعة ملكه وملكه وبيان ان الذي امرهم به من العدل والاحسان الى اليتامى والنسوان ليس لعجز او انتفاع وانما يعود فائدة ذلك الى المكلف لانه الاحسن له في دنياه وعقباه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة لم يلحقها نسخ وتبديل وان استغناءه تم بالنسبة الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الاتية فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي جنسه ليشمل التوراة والانجيل والزبور وغيرها من الصحف وقوله من قبلكم اما ان يتعلق بوصينا او باوتوا وقوله واياكم عطف على الذين ومعنى ان اتقوا بان اتقوا ويكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا عطف على اتقوا اي امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض فهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقى وتوكيدا لاستغنائه عن طاعات المطيعين ومعاصي المذنبين ثم بالغ في هذا المعنى بقوله ان يشا يذهبكم يعدمكم ايها الناس ويأت باخرين يوجد خلقا اخرين غير الانس او من جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك لم يزل كذلك وفي الاية من التخويف والغضب ما لا يخفى وقيل الخطاب لاعداء النبي صلى الله عليه وسلم من العرب والمراد باخرين ناس يوالونه يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس ثم رغب الانسان فيما عنده من الكرامة فقال من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب الاخس بالادنى مع انه اذا طلب الاشرف يتبعه الاخس فالتقدير فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراد ليحصل ربط الجزاء بالشرط وكان الله سميعا لاقوال المجاهدين الطالبين

بان اتقوا

نعم

بصيرة بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم فيجازيهم على حسب ذلك ثم بين ان كمال السعادة للانسان في ان يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل محترزين عن ارتكاب الميل شهداء لله لوجهه ولاجل مرضاته كما امرتم باقامتها ولو كانت
تلك الشهادة وبالا على انفسكم او الوالدين والاقربين فان يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره وفي كلام الحكماء اذا كان الكذب ينجي فالصدق انجى والمراد
بالاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وان يقول اشهد ان لفلان علي او على والدي كذا او على اقاربي كذا وانما قدم الامر بالقيام بالقسط على
الامر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لان شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات وقيامه
بالقسط عبارة عن رعاية قوانين العدل في تلك المخلوقات فالاول مقدم على الثاني واما في حق العباد فالعدل مقدم على الشهادة فتقدم الشرط
على المشروط فاعلم ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فالله اولى بامورهما ومصالحهما وكان حق
ان لو قيل فالله اولى به اي باحد هذين الا انه ثنى الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنسي الفقير والغني اي بالاغنياء والفقراء فراعوا النظر لهما
والاذن مصلحتهما فلولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير فكان ميله الى الفقير رايا ان الفقير لا يظلم
الغني فابى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير ونزلت الاية وقوله ان تعدلوا يحتمل ان يكون من العدل ومن العدول فكانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة
ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق واحتمال الاخر هو ان يراد اتركوا الهوى لاجل ان تعدلوا اي حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدل
عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الاخر وان تلووا بواوين من لوى يلوي اذا فتل وبواو واحدة من الولاية والمعنى
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وان وليتم اقامة الشهادة او تركتموها واعلم ان الانسان
لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردفه بما ذكر بقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا وظاهره مشعر بالامر بتحصيل الحاصل
فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا ايها الذين آمنوا في الماضي والحاضر آمنوا في المستقبل اي دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين آمنوا
تقليدا آمنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين آمنوا استدلالا اجمالا آمنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا ايها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله
آمنوا بان كنه الله تعالى وعظمته وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا ينتهي اليها عقولكم الخامس قال الكلبي ان عبد الله بن سلام واسدا
واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
من الكتب والرسل فانزل الله هذه الاية فآمنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين لكتبوا هم المسلمون والتقدير يا ايها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل
آمنوا بمحمد والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي هو المعجزة وانه حاصل في الكل ام الخطاب لليهود والنصارى
او يا ايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب فهم المنافقون او يا ايها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله فهم المشركون والمراد بالكتاب الذي انزل من قبل
جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان امورا ثلثة الايمان بالله وبالرسول وبالكتب وذكر في مراتب الكفر امورا خمسة اجيب بان الايمان بالثلثة يلزم الايمان
بالملائكة وباليوم الاخر لكنه ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالثلثة ثم انه ينكر الملائكة واليوم الاخر لتاويلات فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائما
نص على ان منكر الملائكة والقيامة كافر بالله فان قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الامر فالجواب ان الكتاب
مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق الى الخلق واما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب وبوجه آخر الرسول الاول هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرسل عام لم يعنه
فلما خص ذكره اولا للتشريف جعل ذكره تاليا لذكر الله لمزيد التشريف وليبان افضليته ثم لما رغب في الايمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد
الايمان فقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا والمراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان مرات واطوارا قال القفال
وليس المراد بيان العدد بل المراد ترددهم وتمردهم على ذلك وقيل اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون اظهروا الاسلام ثم كفروا بنفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم ثم ازدادوا كفرا بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكايد في حق المسلمين وقيل هم طائفة من اهل الكتاب قصدوا تشكيك
المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ثم انهم بالغوا في ذلك وازدادوا الى حد الاستهزاء والسخرية بالاسلام وفي الاية دلالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القائلين
بالموافاة وهي ان شرط صحة الاسلام ان يموت الشخص على الاسلام ولهم ان يجيبوا عن ذلك بانا نحمل الايمان على اظهار الايمان وفيها ان الكفر يقبل الزيادة
والنقصان فيجب ان يكون الايمان كذلك لانهما ضدان متنافيان فاذا قبل احدهما التفاوت فكذا الآخر وكيفية ازدياد كفرهم من وجوه احدها انهم ماتوا على كفرهم
وثانيها بسبب ذنوب اصابوها حال كفرهم وعلى هذا فاصابة الطاعة وقت الايمان يكون زيادة في الايمان وثالثها استهزاؤهم بالدين ثم قوله تعالى
لم يكن الله ليغفر لهم وقيل خبر اللام يفيد نفي التاكيد وهذا لا يليق بالموضع انما اللائق به تاكيد النفي بان نفي التاكيد اذا ذكر على سبيل التهكم افاد تاكيد
النفي ثم اورد عليه ان الكفر قبل التوبة غير مغفور على الاطلاق وبجمع جميع الشرائط المذكورة في الاية وبعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة فكيف يصح
النفي واجيب بان اللام في الذين للمعهود بين يريد قوما علم الله منهم انهم يموتون على الكفر ولا يتوبون عنه قط فقوله لم يكن الله ليغفر لهم اخبار عن موتهم
على الكفر او اللام للاستغراق ويحمل الكلام على الغالب المعتاد وهو ان من كان مضطرب الحال كثير الانتقال عن الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه

فيه واحتشام فالظاهر من حاله مثله انه يموت على الكفر فليس المراد انه لو اتى بالايمان الصحيح لم يكن معتبرا بل المراد منه الاستبعاد والاستغراب كالقائل يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع فانه لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسق ولا ليهديهم سبيلا اى الى الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين تهكم كقولهم عتابك السيف وتحيته الضرب ايبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوادون اليهود اعتقادا منهم ان محمدا لا يتم وحجهم يبتغون بودهم ويحصل لهم بهم قوة وغلبة فحسب الله امالهم بقوله فان العزة لله جميعا وعزة الله يستتبع عزة الرسول والمؤمنين كقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وجميعا حال من العزة اى مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا بمكة يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزؤن به وبين اظهرهم المسلمون ولا يقدرون الانكار عليهم ثم انزل لذلك واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين يجالسهم بعض المنافقين فانزل الله تعالى فى هؤلاء المنافقين وقد نزل عليكم فى الكتاب يعنى به الانعام ان اذا سمعتم آيات الله هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى اذا سمعتم آيات الله حال كونها يكفر بها ويستهزء بها وذكر الكسائى المعنى اذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الآيات كما يقال سمعت عبد الله يلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع على الآيات ممكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم ايها المنافقون اذا مثلهم مثل الاحبار فى الكفر وان هاهنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل اى اذن تكونون مثلهم وافرد مثلهم لانه فى معنى المصدر نحو انؤمن لبشرين مثلنا وقد جمع فى قوله ثم لا يكونوا امثالكم وانما لم يحكم بكفر المسلمين بمكة بمجالسة المشركين الخائضين وحكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة الاحبار واليهود الخائضين لان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة فى زمان ضعف الاسلام ولم يرد فيه وعيد ومجالسة هؤلاء المنافقين كانت لوفاق الاخبار وقوة الاسلام وبعد ورود النهى قال اهل العلم فى الآية دليل على ان من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم فى الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا يعنى القاعدين المقعورين معهم والضمير فى معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بها لا الى يكفر بها ويستهزء بها واراد جامع بالتنوين لانه بعد ما جمعهم ولكن حذف التنوين تخفيفا فى اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله فى الدنيا فكذلك يجتمعون فى عذاب جهنم يوم القيامة ومثل قوله المرء مع من احب الذين يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد بكم من نصر واخفاق فان كان لكم فتح من الله ظفر على اليهود قالوا الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا فى الغنيمة وان كان للكافرين اى اليهود نصيب سبيلا ما فى الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الحوذ السوق السريع والاستحواذ الغلبة وهذا جاء بالواو على الاصل كما جاء استروح واستصوب فى الآية وجهان الاول الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم الثانى ان اولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول فى الاسلام ثم ان المنافقين نفروهم واطمعوهم انه سيضعف امر محمد ويقوى امركم فالمراد الستا غلبناكم على رايكم فى الدخول فى الاسلام ومنعناكم منه وارشدناكم الى الصلاح فادفعوا الينا نصيبا مما وجدتم وفى تسمية ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تثبيت للمؤمنين وتعظيم لما هم عليه من الدين وتحقير لشأن الكافرين وتوهين لامرهم فكان ظفر المسلمين امر عظيم يفتح له ابواب السماء حين ينزل على اولياء الله وظفر الكافرين حظ دنيى ينقضى ولا يبقى منه الا الذم فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فالله يحكم بينكم يوم القيامة اى بين المؤمن والمنافق والغرض انه يعاد ما وضع السيف على المنافقين فى الدنيا ولكن اخر عقابهم الى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال على وابن عباس المراد فى الدنيا ولكن بالحجة اى حجة المسلمين غالبة على حجة الكل وقيل فى الآخرة وهو عام فى الكل والشافعى بنى عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه الى دار الحرب لم يملكه بدلالة هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له ان يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى والله تعالى اعلم التاويل النفس للروح كالمرأة للزوج وبناتها النساء صفات النفوس وما كتب لهن ما وجب لله للنفوس من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطمئنة فارفق بها والله الاسناد بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح فالروح يتبع بترك حقوق الله والنفس تشح بحظوظها فلا تميلوا كل الميل فى رفض حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوى والعالم السفلى وان يتفرقا اى الروح والنفس فالروح يجذب بجذبة ترجع نفسك ثم تعالى يسعة غنى الله فى عالم هويته يستغنى عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس بجذبة عن الروح بجذبة ارجعى الى ربك الى سعة غنى الله فى عالم فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى يا ايها الذين آمنوا آمنوا للايمان ثلث مراتب الاول ايمان العوام ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم والبعث والجنة والنار والقدر وهذا ايمان غيبى والثانى ايمان الخواص وهو انه اذا تجلى للعبد بصفة من صفاته خضع جميع اجزاء وجوده وامن بالكلية وهذا ايمان عيانى والثالث ايمان الاخص وهو بعد دفع الحجب لانه حين افناه بصفة الجلال وابقاه بصفة الجمال فلم يبق الاين وبقى فى العين هذا ايمان عينى آية الذين آمنوا اى بالتقليد ثم كفروا اذ لم يكن للتقليد اصل ثم آمنوا بالاستدلال العقلى ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم منورة بالنور الالهى ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله فى الازل غافرا لهم بنوره عند الرشق ولا ليهديهم سبيلا اليوم لان لا الازل لا يخطئ بشر المنافقين اى بشرهم بان اصلهم من جوهر الكفار وهذا اتخذوا الكافرين اولياء فان ابتلائهم هاهنا بنتيجة نفاق ازاحهم وكما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون ق بدرستيكه منافقان فريب ميدهند خدا را ودغا ميكنند

ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم

وَاِذَا قَامُوا اِلَى الصَّلٰوةِ قَامُوا كُسَالٰى يُرَاءُوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ اِلَّا قَلِيْلًا مُّذَبْذَبِيْنَ بَيْنَ ذٰلِكَ لَا اِلٰى

ع

هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ۝ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون
ایشان ونه بسوی اینگروه وهرکرا که گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی ای گروه آنان که گرویده‌اید فرا مگیرید کافران را دوستان از غیر
المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ۝ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد
مؤمنان آیا میخواهید که قرار دهید از برای خدا بر شما تسلطی هویدا بدرستی که منافقان در طبقه پایین از آتش اند و نیابی از
لهم نصيرا ۝ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف
از برای ایشان یاوری بجز آنها که توبه کردند و نیکویی کردند و چنگ زدند بخدا و پاک کردند دین خود شان را از برای خدا پس آنها با مومنانند و زود است
يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ۝ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ۝ لا يحب
میدهد خدا گروندگان را مزدی بزرگ چه میکند خدا بعذاب شما اگر سپاس کنید و گرویدید و هست خدا شکر پذیرنده دانا دوست ندارد
الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ۝ إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء
خدا آشکار کردن گناه از گفتار مگر آنکه ستم کرده و هست خدا شنونده دانا اگر ظاهر کنید نیکی را یا پنهان کنید آنرا یا درگذرید از بدی
فإن الله كان عفوا قديرا ۝ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
پس بدرستی که خدا هست درگذرنده توانا بدرستی که آنها که کافر شوند بخدا و پیغمبرانش و میخواهند که جدائی اندازند در میان خدا و پیغمبرانش و گویند
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ۝ أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا
میگرویم ببعضی و کافر شویم ببعضی و میخواهند که در پیش گیرند در این میانه راهی را آن گروه ایشانند کافران براستی و مهیا کردیم
للكافرين عذابا مهينا ۝ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم
از برای کافران عذابی خوار کننده و آنانکه گرویدند بخدا و پیغمبرانش و جدائی نینداختند در میان یکی از ایشان آن گروه زود است که بدهیم ایشان را
أجورهم وكان الله غفورا رحيما ۝ القراءات في الدرك بسكون الراء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير الأعشى يؤتيهم بالياء حفص
مزدهای شان را و هست خدا آمرزنده مهربان وعباس الباقون بالنون الوقوف خادعهم ج لعطف المختلفين كسالى لا لان يراءون صفتهم قليلا ز

بناء على أن مذبذبين نصب على الذم والأوجه أنه حال أي يراءون مذبذبين بين ذلك ق وقد قيل على تقدير الابتداء أي لا هم إلى هؤلاء. والأوجه أنه بيان للذبذبة أي لا منسوبين إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ط سبيلا ه من دون المؤمنين ط مبينا ه من النار ج لابتداء النفي مع العطف نصيرا لا للاستثناء مع المؤمنين ط عظيما ه وآمنتم ط عليما ه ظلم ط عليما ه قديرا ه ببعض لا للعطف سبيلا لا لأن ما بعده خبر إن وقيل إن الخبر محذوف أي هلكوا وما يتلوه مستأنف حقا ج لاحتمال ما بعده العطف والاستئناف مهينا ه أجورهم ط رحيما ه التفسير قال الزجاج أي يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يظهرون له الإيمان ويبطنون الكفر كقوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وهو خادعهم اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه قال ابن عباس يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين فإذا وصلوا إلى الصراط انطفى نورهم وبقي نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وباقي تفسير الخداع قد تقدم في أول البقرة كسالى جمع كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متباطئين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيب نفس ورغبة وهو معنى الكسل والسبب في ذلك أنهم يفعلونها في الحال لا يرجون من فعلها ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا يراءون الناس أي لا يقومون إلى الصلاة إلا لأجل الرياء والسمعة ومعنى المفاعلة في الرياء أن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسانا ذلك العمل أو فاعل ههنا بمعنى فعل بالتشديد كقولك نعمه وناعمه ولا يذكرون الله أي لا يصلون إلا قليلا لأنهم متى لم يكن معهم أحد من الأجانب لا يصلون وإذا كانوا مع الناس يتعذرون الصلاة ويتكلفون حتى يصيروا غائبين عن أعين الناس فإن لم يجدوا منه مخرجا يصلون وقيل إنهم في صلواتهم لا يذكرون الله إلا قليلا وهو الذي يظهر مثل التكبيرات فأما الذي يخفى وهو القراءة والتسبيحات فهم لا يذكرونها وقيل إنهم لا يذكرون الله في جميع الأوقات إلا ذكرا قليلا في الندرة كما ترى من بعض المتهاونين بأمور الدين لو صحبته أياما وليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق أوقاته ويجوز أن يراد بالقلة العدم قال قتادة يريد أن الله لا يقبل صلوتهم لأن ما رده الله فكثيره قليل وما قبله الله فقليله كثير ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بالكسر أي يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة والمعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة والدبة الطريقة ومعنى بين ذلك أي بين الكفر والإيمان لأن ذكر الكافرين والمؤمنين يدل على الكفر والإيمان وذلك قد يشار به إلى اثنين كقوله عوان بين ذلك واعلم أن السبب في التذبذب هو أن الفعل يتوقف على الداعي فإذا كان الداعي إلى الفعل هو الأغراض المتعلقة بأحوال هذا العالم والعالم وأسبابه متغيرة لزم وقوع التغير في الميل والرغبة وإذا تعارضت الدواعي والصوارف بقي الإنسان في الحيرة والتردد أما من كان مطلوبه في فعله اقتناء الخيرات الباقية واكتساب السعادات الروحانية ثم إن تلك المطالب أمور باقية بريئة عن التغير لا جرم كان هذا الإنسان ثابتا في إيمانه راسخا في شأنه ولهذا المعنى وصف أهل الإيمان بالثبات يثبت الله الذين آمنوا ألا بذكر الله تطمئن القلوب يا أيتها النفس المطمئنة فإن قيل إنه تعالى ذمهم على ترك طريقة المؤمنين وطريقة الكفار والذم على ترك طريقة الكفار غير جائز قلنا إنما توجه الذم لأنهم حاولوا

ع

عن الكفر الى ما هو اخبث وهو طريق النفاق ولهذا وردت فيهم من المبالغات ما ورد ومن قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وهو نهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين والتخلق باخلاقهم فيهم وقيل
ومعنى سلطانا مبينا حجة بينة على النفاق لان ولي المنافق منافق لا محالة وقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار قال العلماء الاخرون للنار دركات ودرك
ومع ذلك وصف بالاسفل ودركات النار منازلها يقتضيه درجات الجنة فيتبين ان المنافق في غاية البعد ونهاية الطرد عن حضرة الله تعالى وانه مع فرعون لان الدرك
الاسفل اشد العذاب فلهذا لعن فرعون قيل ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك كفرس وافراس وجمع الدرك ادرك كفلس وافلس قال ولن تجد لهم نصيرا احتج به على ابطال الشفاعة في حق الفساق من اهل
القبلة لانه تعالى ذكره في معرض الزجر عن النفاق فلو حصل نفي الشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زجرا عن النفاق من حيث انه نفاق ثم استثنى منهم
التائبين فشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جلب
المنافع ودفع المضار فعبر عن التوبة واصلاح العمل سريعا اما اذا كان مطلوبه مرضاة الله وسعادة الآخرة والاعتصام بحبل الله بقي على هذه الطريقة ولم يتغير فيها
وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل مؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين
بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين التائبين بالتبعية ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما ترجع على المكلفين
فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لان تعذيب الملوك بعض الرعية انما يكون للتشفي من الغيظ او لدرك الثار او لطلب المنافع ولدفع
المضار وامثال ذلك من الامور الجسمانية تعالى عنه المقدس المكمل للخلق على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى فمن اشتغل واطاع فكيف يليق
بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب وفي ان فعل الشكر والايمان هو العبد والا لصار التقدير ما يفعل الله بعذابكم
ان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب مسلم انه تعالى غير مستكمل بالتعذيب ولا بالاثابة لكن وقوع البعض في مظاهر اللطف
والبعض في مظاهر القهر ضروري كما سبق وانتهاء الكل الى ارادته وخلقه وتكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة فيؤول المعنى الى انه لا يعذبكم ان كنتم
مظاهر اللطف وهذا كلام في غاية التحقيق في الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعم فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى به النظر
الى معرفة المنعم آمن واقول ان لم يكن الواو للترتيب فلا سؤال وان كانت للترتيب فلعله انما قدم الشكر في هذه الآية خلاف اكثر الآيات التي قدم الايمان
فيها على العمل الصالح لان الآية مسوقة في عرض المنافقين لم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا وانما يقع النزاع في بواطنهم وافعالهم التي تصدر منهم غير مطابقة وهو الاصل
للقول واللسان فكان تقديم الشكر فيهما اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه الله تعالى فيما خلق لاجله حتى يكون افعالهم واقوالهم على نهج السداد وسنن
الاستقامة وكان الله شاكرا مثيبا على الشكر فسمي جزاء الشكر شكرا او نبه انه يجزي على العمل القليل ثوابا كثيرا عليما بالكليات والجزئيات فلا يغلط
فيفوت جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بجلاله وكما يليق بكرمه وسعة فضله ورحمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر منافيا
للكرم والرحمة ظاهرا ذكر ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر الآية يعني انه لا يحب اظهار الفضائح الا في حق من ظلم وهم المسلمون الذين عظم
ضرر المنافقين وكيدهم فيهم وايضا ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكد يسلم من تعيير المسلمين اياه على ما سلف منه في المنافقة فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مكروه
وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم نفسه وعاد الى نفاقه قالت المعتزلة في الآية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله تعالى عبارة عن الارادة
فقالت الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل ويصح ان يقال انه اراده وما احبه قال اهل العلم انه لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكر
هذا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والسبب واحد في الطعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء فيه متصل
او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره الا جهر من ظلم فحذف المضاف وقال الزجاج الجهر بمعنى المجاهر اي لا يحب الله المجاهر بالسوء الا من ظلم وعلى الثاني فمعنى
لكن المظلوم له ان يجهر بظلامته وماذا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يجهر بظلامه بوقع صوته بالدعاء على من ظلمه وقال مجاهد له ان يخبر بظلم ظالمه وقال الاصم
لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكتومة حذرا من الغيبة والريبة لكن له اظهار ظلمه بان يذكر انه سرق او غصب وقال الحسن له ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد
ان ضيفا تضيف قوما فاساؤوا قراه فاشتكاهم فنزلت الآية رخصة في ان يشكو وقرأ الضحاك وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم على البناء للفاعل وقيل انه ظالم
منقطع عما قبله اي لكن من ظلم فدعوه وخلوه وقال الفراء والزجاج معناه لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فليتق الله فلا
يقل الا الحق ولا يقذف مستورا ثم حث على العفو بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهو اشارة الى ايصال النفع او تعفوا عن سوء وهذا اشارة الى دفع الضرر
وعلى هذين يدور المعاشرة مع الخلق فان الله كان عفوا قديرا قال الحسن يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل عفوا
لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه وقال الكلبي معناه ان الله اقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك وفي الخبر ان ابا بكر شتمه رجل فسكت مرارا
ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم
اجلس عند مجيء الشيطان ثم انه سبحانه تكلم بعد ذكر احوال المنافقين في مذاهب اليهود والنصارى وباطيلهم وذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبياء
دون بعض فمنهم من لا يقر بالوحدانية ولا بالنبوات وهم الذين يكفرون بالله ورسله ومنهم من يقر بالوحدانية وينكر النبوات وهم
الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله فالايمان بالله والكفر بالرسل وذلك ان اليهود امنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد

والفرقان والنصارى امنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقران فامنوا ببعض الانبياء وكفروا بالبعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان
بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اى واسطة او كل ذلك اى الطوائف الثلث هم الكافرون اما الطائفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان التكذيب للانبياء
وانكارهم يستلزم تكذيب الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما الطائفة الثالثة فلان الدليل الدال على نبوة بعض الانبياء هو المعجزة
ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز فالقدح فى بعض من ظهر على يده المعجزة هو القدح فى كل نبى فقيل هب انه يلزمهم الكفر بكل الانبياء ولكن ليس
اذا توجه الالزام على انسان لزم ان يكون ذلك الانسان قائلا به فالزام الكفر والتزام الكفر غير فالجواب انه لا الزام اذا كان خفيا يحتاج فيه الى
تفكر وتامل فالامر كما ذكرتم اما اذا كان جليا واضحا لم يبق بين الالزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على انه مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد قائم حقا اى
احق ذلك هذا المعنى احقاقا وقيل المراد هم الكافرون كفرا حقا وطعن الواحدى فيه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه واجيب بان الحق ههنا الكامل
الراسخ الثابت ثم ختم النوع بوعد المؤمنين ومعنى بين احد بين اثنين منهم او جماعة لان احدا فى سياق النفى يفيد التعدد ومعنى سوف توكيد الوعد
لا التاخير المجرد ولهذا قال سيبويه لن تفعل نفى سوف افعل فالمعنى ان ايتاء الاجور كائن لا محالة وان تاخر الى ان المنافقين يخادعون الله فى الدنيا
لان الله خادعهم فى الازل حين رش نوره وشاهده ثم اخطاهم ان شكرتم نعم الله عليكم وامنتم انفسكم من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
من العوام ولا من التحدث بالنفس من الخواص ولا من الخواطر من الاخص الا من ظلم اما بتقاضى دواعى البشرية من غير اختيار او بابتلاء من اضطرار دائم لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول بافشاء سر الربوبية واظهار مواهب الالوهية او بكشف القناع من مكنونات الغيب مصونات غيب الغيب الا من ظلم
بغلبات الاحوال وتعاقب كؤوس الجلال والجمال فاضطر الى المقال فقال بالتسان الباقى لا باللسان الفانى انا الحق وسبحانى ان تبدوا خيرا ما كوشفتم
به من لطائف الحق تنبيها للخلق وافادة للحق او تخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب وحفظا عن المشارب او تعفوا عن سوء ما ادعوا البه هوى
النفس لا امارة او تركوا اعلان ما جعل الله اظهاره سواء فان الله كان عفوا فتكونون عفوا متخلقا باخلاقه ان الذين يكفرون فيه اشارة الى
ان الايمان لا يتبعض وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كوة البيت فيزيد وينقص بحسب سعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن تجزيتها
بحيث يؤخذ جزء منه فيجعل فى شئ آخر يَسْأَلُكَ اَهْلُ الْكِتَابِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوْا مُوْسٰى اَكْبَرَ

عنه بحاذى السهو والله تعالى اعلم — میخواهند از تو اهل کتاب که فرود آوری بر ایشان کتابی را از آسمان پس بدرستی که خواهش کردند موسی را

مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوْا اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ

بزرگتر از این پس گفتند که بنمای بما خدا را آشکارا پس گرفت ایشان را صاعقه بستم ایشان پس گرفتند گوساله را از پس آن که آمد ایشان را حجتها

فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ وَاٰتَيْنَا مُوْسٰى سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا ۝ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّوْرَ بِمِيْثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ

پس در گذشتیم از این و دادیم ما موسی را پادشاهی هویدا و بالا کردیم در فوق ایشان کوه طور را بجهت پیمان ایشان و گفتیم بایشان که در آیید از در

سُجَّدًا وَّقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوْا فِى السَّبْتِ وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا ۝ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ

سجده کنان و گفتیم مر ایشان را که از حد مگذرید در ماهی گرفتن در روز شنبه و گرفتیم از ایشان پیمانی درشت پس بجهت شکستن ایشان پیمان خود را و کافر شدن

بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَقَتْلِهِمُ الْاَنْۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَّقَوْلِهِمْ قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ؕ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ

بآیات خدا و کشتن ایشان پیغمبران را بدون سزاواری و گفتن ایشان که دلهای ما در پرده است بلکه مهر نهاده خدا بر آنها بواسطه کفر ایشان پس ایمان نیارند

اِلَّا قَلِيْلًا ۝ وَّبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلٰى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيْمًا ۝ وَّقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ

مگر کمی و بجهت کفر ایشان و گفتار ایشان بر مریم بهتانی بزرگ را و گفتار ایشان که ما کشتیم مسیح عیسی پسر مریم رسول

اللّٰهِ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَا صَلَبُوْهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ؕ وَاِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِيْ شَكٍّ مِّنْهُ ؕ مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ

خدا و نکشتند او را و بدار نکشیدند او را ولکن مشتبه شد بایشان و بدرستی که آنها که اختلاف کردند در او هر آینه در گمانند از آن نیست ایشان را بآن دانشی

اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْنًا ۝ بَلْ رَّفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ ؕ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا ۝ وَاِنْ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ

بجز پیروی کردن گمان و نکشتند او را در واقع بلکه بالا برد او را خدا بسوی خود و میباشد خدا غالب و نیکو کار و نیست از اهل کتاب

اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ ۚ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا ۝ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

مگر که ایمان آورد بآن پیش از مرگش و در روز قیامت میباشد بر ایشان گواه پس بجهت ظلم از آنها که یهود شدند حرام کردیم بر ایشان

طَيِّبٰتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ كَثِيْرًا ۝ وَّاَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوْا عَنْهُ وَاَكْلِهِمْ اَمْوَالَ النَّاسِ

پاکیزه‌هایی که حلال بود مر ایشان را و بجهت باز داشتن ایشان از راه خدا بسیاری را و گرفتن ایشان زیادتی را و حال آنکه باز داشته شدند از آن و خوردن ایشان مالهای مردم

بِالْبَاطِلِ ؕ وَاَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ۝ لٰكِنِ الرّٰسِخُوْنَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ

بباطل و مهیا کردیم از جهت کافران از ایشان عذابی دردناک لیکن استواران در علم از ایشان و مؤمنان که ایمان آرند بآنچه

اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ

فرو فرستاده شد بتو و آنچه فرو فرستاده شد پیش از تو و برپا دارندگان نماز و دهندگان زکوة و گروندگان بخدا و روز آخر

أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ۝ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم
آنگروه زود دهیم ایشانرا مزدی بزرگ بدرستی که وحی فرستادیم بسوی تو چنانکه وحی فرستادیم بسوی نوح و پیغمبران که بعد از او بودند و وحی فرستادیم بسوی ابراهیم
وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا
و اسمعیل و اسحق و یعقوب و نوادگان و عیسی و ایوب و یونس و هرون و سلیمان و دادیم بداود زبور را
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ۝ رسلا
و پیغمبرانی که حکایت کردیم احوال ایشانرا بر تو از پیش و پیغمبرانی که حکایت نکردیم احوال ایشانرا بر تو و سخن گفت خدا موسی را گفتنی کردنی پیغمبرانی
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ۝ لكن الله
مژده دهندگان و ترسانندگان تا آنکه نبوده باشد از برای مردم بر خدا حجتی پس از پیغمبران و میباشد خدا غالب استوار کار لیکن خدا
يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ۝ إن الذين كفروا وصدوا
گواهی دهد بآنچه فرستاد بسوی تو فرستاد او را بدانش خود و فرشتگان گواهی دهند و بس است خدا گواه بدرستی که آنانکه کافر شدند و بازداشتند
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ۝ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
از راه خدا بدرستی که گمراه شدند گمراهی دور بدرستی که آنانکه کافر شدند و ستم کردند نمیباشد خدا که بیامرزد مر ایشانرا و نه راه نماید مر ایشانرا
طريقا ۝ إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ۝ القراءات لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون
راهی مگر راه دوزخ جاویدان در آن همیشه و میباشد این بر خدا آسان العين أبو جعفر ونافع غير ورش وقرأ ورش

مفتوحة العين مشددة الدال بل طبع بالإدغام علي وهشام وأبو عمرو عن حمزة بخلاف نعمه مظهرا وابن الحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة وخلف والنبيين الباقون بالنون زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة وخلف الباقون بالفتح الوقوف بظلمهم لا لأن ثم لترتيب الأخبار مع أن مراد الكلام مجموع ذلك لأن التقدير وقد بيناه ميثاقا غليظا ه قليلا ه للعطف عظيما ه لا لأن التقدير وفي قولهم رسول الله لا لأن ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم ط منه الظن ج لاحتمال الابتداء والحال يقينا ه لا التقدير نفي القتل بإثبات الرفع إليه حكيما ه لأن الواو للاستيناف مع اتحاد المقصود شهيدا ج للآية وكان قوله فبظلم راجع إلى قوله فبما نقضهم وقولهم متعلق بالكل حرمنا كثيرا لا بالباطل ط أليما ه واليوم الآخر ط عظيما ه من بعده ج للعطف مع تكرار الفعل وسليمان ج لأن التقدير وقد آتينا لتخصيص داود بإيتاء الزبور زبورا ه لأن التقدير وقصصنا رسلا عليك ط تكليما ه لاحتمال البدل والنصب على المدح الرسل ط حكيما ه لعلة لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال يشهدون ط شهيدا ه بعيدا ه طريقا لا أبدا ط يسيرا ه التفسير هذا نوع آخر من جهالات اليهود فإنهم قالوا إن كنت رسولا من عند الله فائتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالألواح وقيل اقترحوا أن ينزل عليهم كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان بأنه رسول الله ﷺ وقيل كتابا نعاينه حين ينزل فإن استكبرت ما سألوا فقد سألوا يعني سأل آباؤهم ومن هؤلاء على مذهبهم موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة وإنما كان سؤال الرؤية أكبر من سؤال تنزيل الكتاب لأن التنزيل أمر ممكن في ذاته بخلاف رؤية الله عيانا فإنها ممتنعة لذاتها عند المعتزلة أو ممتنعة في الدنيا عند غيرهم وفي قوله من بعد ما جاءتهم البينات وجوه أحدها أن البينات الصاعقة لأنها تدل على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعلى قدمه وعلى كونه مخالفا للأجسام والأعراض وعلى صدق موسى في دعوى النبوة وثانيها أنها إنزال الصاعقة وإحياؤهم بعد إماتتهم وثالثها أنها الآيات التسع من العصا واليد وفلق البحر وغيرها وفحوى الكلام أن هؤلاء يطلبون منك يا محمد أن تنزل عليهم كتابا من السماء وقد علم أنهم لا يطلبونه منك إلا عنادا ولجاجا فإن موسى قد نزل عليه هذا الكتاب ونزل عليه سائر المعجزات ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وأقبلوا على عبادة العجل وكل ذلك يدل على أنهم مجبولون على اللجاج والبعد عن طريق الحق فعفونا عن ذلك حيث لم نستأصل عبدة العجل وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا وهو أن أمرهم بقتل أنفسهم والمراد قوة أمره وكمال حاله وانكسار خصومه ففيه بشارة للنبي ﷺ أن هؤلاء الكفار الذين يعاندونه فإنه بالآخرة يستولي عليهم ويقهرهم ثم حكى عنهم سائر جهالاتهم وإصرارهم على أباطيلهم فمنها أنه تعالى رفع الطور بميثاقهم أي بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ومنها نقضهم دخولهم الباب بقولهم لنا باب بيت المقدس ومنها نقضهم اعتداءهم في السبت باصطياد السمك وقد مر جميع هذه القصص في سورة البقرة وقيل العدو ههنا ليس بمعنى الاعتداء وإنما هو بمعنى الحضر والمراد النهي عن العمل والكسب يوم السبت كأنه قيل لهم اسكنوا عن العمل في هذا اليوم واقعدوا في منازلكم فأنا الرزاق ثم قال وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي العهد المؤكد غاية التوكيد وعلى أن يتمسكوا بالتوراة ويعملوا بما فيها فبما نقضهم ما مزيدة للتوكيد أي فبنقضهم وبسبب كذا وكذا ثم قال بل طبع الله عليها ردا لقولهم قلوبنا أوعية لله أو تنبيها على أنه تعالى ختم عليها فلهذا لا يقبل آثار الدعوة والبيان إليها أو تكذيبا لادعائهم أن قلوبنا في أكنة وذلك بحسب تفسير الغلف كما مر في سورة البقرة فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا وهو إيمانهم بموسى والتوراة على زعمهم وإلا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الأنبياء فالقلة في الحقيقة بمعنى العدم وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فإنكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب كذا إنكارهم نبوة عيسى كفر ورميهم مريم بهتان عظيم لأنه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم

الذي ارسل اليكم لمجنون او لانه تهكم جعل الذكر الحسن مكان القبيح الذي كانوا يطلقونه عليه من الساحر ابن الساحر والفاعل ابن الفاعلة وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم اى المقتول لهم لدلالة ذكر القتل على المقتول ويكون شبه مسندا الى الجار والمجرور وهو لهم اى وقع لهم التشبيه لا يجوز ان يكون
في شبه ضمير المسيح لانه المشبه به وليس بمشبه قال اكثر المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين
عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة مع الناس
وقيل ان اليهود لما علموا انه في البيت الفلاني مع حوارييه امر يهوذا رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال له طططيانوس ان يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله
فلما دخل عليه اخرج الله عيسى من سقف البيت والقى على ذلك الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا انه هو المسيح فصلبوه وقتلوه وقيل وكلوا بعيسى
رجلا يحرسه فصعد عيسى في الجبل ورفع الى السماء والقى الله الشبه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست عيسى وقيل ان رهطا من اليهود سبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود
على قتله فلما هموا باخذه وكان معه عشرة من اصحابه قال لهم من يشتري الجنة بان يلقى عليه شبهي فقال واحد منهم انا فالقى الله شبه عيسى عليه فخرج
وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجل يدعي انه من اصحاب عيسى وكان منافقا فذهب الى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لاخذه القى الله شبهه عليه
فقتل وصلب وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل ان المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه به نظروا الى بدنه فقالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقيل ان المختلفين هم النصارى وذلك انهم باسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كبار فرق النصارى ثلاثة النسطورية
والملكانية واليعقوبية فالنسطورية يزعمون ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وهو قريب من قول الحكماء ان القتل والموت يرد على
الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين ان نفسه كانت قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الارواح فلم تعظم
تألمها بسبب القتل وتخريب البدن والملكانية قالوا القتل والصلب وصلا الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل
والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين والشك في الاحكام استواء طرفي نقيضه عند الذاكر وقد يطلق عليه الظن لما تقدم في قوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن واما العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لانه عمل بالطرف الراجح ولان العلم بوجوب العمل قطعي ثم قال وما
قتلوه يقينا وانه يحتمل عدم يقين القتل اي قتلا يقينا اي متيقنين او يقين عقد جازم مطابق ثابت للدليل وتحتمل يقين عدم القتل على ان يقينا
تأكيد لقوله وما قتلوه اي حقا انتفاء قتله حقا فهذا اولى لقوله بل رفعه الله اليه وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما اذا بالغ فيه علمه فيكون تهكما بهم انه
نفى عنهم العلم اولا نفيا كليا ثم نفيه بقوله وكان الله عزيزا حكيما اي ان رفع عيسى الى السماء بالنسبة الى قدرته سهل وان فيه من الحكم والفوائد ما لا يحيط بها
الا هو ثم قال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته فقوله الا ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف وان هي النافية المثلثة
وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به كقوله وما منا الا له مقام معلوم والضمير في به عائد الى عيسى وفي موته الى احد عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما
قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره
الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن
الله فيؤمن بانه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ
ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية ومن معدنها وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه
حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وفائدة هذا الاخبار الوعيد والزام
الحجة والبعث على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع لانه اذا لم يكن بد من الايمان به فلان يؤمنوا به حال التكليف لينفع معتدا به اولى وقيل الضمير
في به وفي موته لعيسى فالمراد باهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن
به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين ينبغي ان يكون هذا عند ارتفاع التكاليف
او بحيث لا يعرف اذ لو نزل مع بقاء التكليف على وجه يعرف انه عيسى فاما ان يكون نبيا ولا نبي بعد محمد او غير نبي وعزل الانبياء لا يجوز واجيب بانه كان
نبيا الى ان بعث محمد وبعد ذلك انتهت مدة نبوته فلا يلزم عزله فلا يبعد ان يصير بعد نزوله تبعا لمحمد قال في الكشاف ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل
الكتاب الا يؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى
الله وقيل الى محمد ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وكذا كل نبي شاهد على امته فبظلم
التنوين للتعظيم يعني فباي ظلم من الذين هادوا الذنوب نوعان الظلم على الخلق وهو قوله فبظلم والاعراض عن دين الحق وهو قوله وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا ومن هذا القبيل اخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكل اموال الناس بالباطل اي بالرشى على الحكم فهذه
الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجيء في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الآية واما في الآخرة فقوله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما واعلم ان في متعلق قوله فبما نقضهم وما عطف عليه قولين الاول انه

محذوف والتقدير فبنقضهم ميثاقهم وبكذا وكذا لعناهم او سخطنا عليهم ونحو ذلك ثم استأنف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوف بعده الثاني ان متعلق
الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم قاله الزجاج ورجح الاول بان حذف المتعلق افخم لذهاب الوهم كل مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة
فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظائم بل لو جعل قوله واعتدنا معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال اما تكرار الكفر في الآيات فلتكرر ... ولزوم
من عطف الثالث على الاول والثاني عطف الشيء على نفسه فقد اجاب عنه في الكشاف بانه تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف
بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم
بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم كذا وكذا ثم وصف طائفة المؤمنين المحقين منهم
فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن رسخ في العلم وثبت واتقن واستبصر حتى جعل المعارف بالاستدلال واليقين دون
التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكك تشكك اما المستدل فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يريد المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين و
الانصار والراسخون مبتدأ ويؤمنون خبره اما قوله والمقيمين الصلوة ففيه اقوال الاول روي عن عثمان وعائشة انهما قالا ان في المصحف لحنا وستقيمه
العرب بألسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله صلعم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح
لبيان فضل الصلوة والمؤتون الزكوة رفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد بتقدير الائمة على المقيمين
الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر وطعن الكسائي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو
قوله اولئك سنؤتيهم منتظر والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فما الدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره الثالث وهو اختيار الكسائي ان المقيمين
خفض للعطف على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لانه لم يخل شرع واحد منهم من الصلوة قال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة و
الملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء ثلثة اقسام العلماء باحكام الله وتكاليفه وشرايعه والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة واحوال
المبدأ والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل بها وهم الراسخون في العلم وهم اكابر العلماء والى الاقسام الثلثة اشار بقوله جالس العلماء وخالط
الحكماء ورافق الكبراء اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك يا مستعان ثم انه سبحانه عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا
اليك الآية فبدأ بذكر نوح لانه اول من شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من
غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لان المقصود من تعديد هؤلاء الانبياء انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما اوتي كتابا مثل التوراة دفعة واحدة ثم ختم ذكر الانبياء بقوله
وآتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم بان الزبور من عند الله ثم انه ما نزل على داود دفعة واحدة وهذا الزام حسن قوي والزبور كتاب داود وجملة واحدة من قرابهم ...
يعني انه جمع زبر وهو الكتاب كقدر وقدور ثم قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء
في القرآن والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب والمراد انه بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام
بشرف التكليم معه لم يلزم منه الطعن في سائر الانبياء فكيف يلزم الطعن بانزال التوراة عليه دفعة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين يعني ان المقصود
من بعثة الانبياء الزام التكاليف بالانذار والتبشير ولا يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتب فقد يكون انزال الكتاب منجما مفرقا اقرب الى المصلحة لانه اذا نزل جملة
كثرت التكاليف فيثقل القبول كما ثقل على قوم موسى فعصوا ثم ختم الآية بقوله وكان الله عزيزا حكيما والمعنى ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه
... في القدرة وكل حكمة تقتضي هذا الامتناع لانه لو فعل ذلك لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالآية على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسمع
لقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف واجابت المعتزلة بان الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون
على النظر وكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما للالزام الحجة مع افادة تفصيل امور الدين وبيان احوال التكاليف وتعليم الشرائع المعتزلة قالوا في الآية دلالة
على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض بانهم قالوا الآية
تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قول اهل السنة انه لا اعتراض عليه لاحد واجيب بانه بشبه الحجة وليس حجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لا بد له من مستدرك
لان لكن لا يبتدأ به وفي ذلك المستدرك وجهان احدهما ان هذه الآيات باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لنزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن انهم ...
القرآن ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد بانه نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك
بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القرآن بحيث عجز عن معارضته الاولون والآخرون ليشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزله عليك
ثم فسر ذلك واوضح بقوله انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل
اذا صنف كتابا واستقصى في تجويده انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اتخذ جملة علومه الذريعة والوسيلة الى تصنيف ذلك الكتاب وانزله وهو عالم بانك اهل
لانزاله اليك وانك مبلغه وانزله بما علم من مصالح العباد فيه وانزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لانهم
لا يسبقونه بالقول فشهادته تستتبع شهادتهم ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس وكفى
بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل عليه القرآن
دفعة كما انزلت التوراة على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لان غاية

الضلال ان يضم معه الاضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان نعته وعوامهم بالقاء الشبهات فى قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا الهم لا يسلكون
الا طريقا الموصل الى جهنم او ولا يهديهم يوم القيمة الا طريقها والعامل فى خالدين معنى لا يهديهم اى يعاقبهم او يدخلهم النار خالدين وكان ذلك على الله
يسيرا لانه لا صارف عن ذلك ولا يتعذر عليه ويصبا الالم اليه شيئا بعد شئ الى غير النهاية والام فى الذين اما القوم معهودين علم الله منهم انهم يموتون على
الكفر واما للا ستغراق فيجب ان يضم شرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا على اصحاب الكبائر بناء على انه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة
فانه لا يغفر لهما الا بالتوبة التاويل ان الله جعل لعل ضربة موسى بلن ترانى كانه بشوم القوم وما كان فى انفسهم من سوء ادب هذا السؤال لانه لا
يشبعوا فى مطلوبه لم يعط نبيهم فما نقطوا بحالة نبيهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره وكما زاد عنادهم زاد بلاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور
فوقهم عند ذلك قال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات والطيبات التى احلت لازواجهم الطيبين قبل التلوث بعد المخالفات ولاسراف
فى المباحات يستتبع حرمان المناجاة والقربات لكن الراسخون فى العلم منهم الذين رسخوا بقدمى الصدق والعمل فى العلم الى ان بلغوا اسعان العلوم فاستلت
علومهم الكسبية بالعلوم العطائية والله يتولانا انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اى كرمنا او حينا اليك من سر فاوحى الى عبده
ما اوحى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اى ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك لان فى القران منفصلا انزله بعلمه تعالى بصفة العالمية حتى
علم قبله ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على تلك الخلوة وان لم يكونوا معه فى الخلوة وكفى يا ايها الناس قد جاءكم
بالله شهيدا على ما جرى فذكان ما كان سر الا بوح به فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر   اى گروه مردمان بدرستى كه آمد شما را

الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض وكان الله عليما
پيغامبر براستى   از پروردگار شما پس بگرويد كه بهتر است براى شما و اگر كافر شويد پس بدرستى كه مر خدا راست آنچه در آسمانها و زمين است و هست خدا دانا

حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن
حكم كننده   اى اهل كتاب   غلو مكنيد در دين خود و مگوئيد   بر خدا   مگر راستى   جز اين نيست كه مسيح عيسى پسر

مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم
مريم فرستاده خدا است و كلمه اوست كه افكند او را بسوى مريم و روحى است از وى پس بگرويد بخدا و رسول او و مگوئيد كه خدا سه است باز ايستيد بهتر است شما را

انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا
جز اين نيست كه خدا خداى يكانه است منزه است او از اينكه باشد مر او را فرزندى مر او راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمين است و بس است خدا كارگذارى

لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
ننگ ندارد هرگز   مسيح از اينكه باشد بنده از براى خدا و نه فرشتگان مقرب   و هر كه سر پيچد   از بندگى او و تكبر كند در عبادت

فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
پس زود باشد كه گرد آورد ايشان را بسوى خود همه پس اما آنانكه گرويدند و كردند كارهاى شايسته پس تمام دهد ايشان را مزدهاى ايشان و بيفزايد از فضل خود

واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
و اما آنانكه   سر پيچيدند از عبادت و برترى كردند پس عذاب كند ايشان را عذابى دردناك و نيابند از براى خود از غير خدا   دوستى و نه يارى

يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا
اى گروه مردمان بدرستى كه آمد شما را دليلى از پروردگار شما و فرستاديم بسوى شما نورى ظاهر   پس اما آنانكه گرويدند بخدا و چنگ زدند

به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم
باو پس زود باشد كه در آورد ايشان را در رحمت خود و زيادتى و راه نمايد ايشان را بسوى خود راهى راست   فتوى مى پرسند از تو بگو خدا فتوى ميدهد شما را

فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن
در باب كلاله   اگر مردى   مرد   و نباشد مر او را فرزندى و مر او را خواهرى باشد پس مر او راست نصف آنچه نهاده و او وارث برادران خواهر اگر نباشد

لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل
مر او را فرزندى پس اگر بوده باشند خواهران دو تا پس مر ايشان راست دو ثلث از آنچه نهاده و اگر بوده باشند برادران   مردان   و زنان پس مر نر را برابر است مانند

حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شئ عليم   القراء يستفتونهم بالنون المفتعل البانون بالبا
نصيب   دو زن ظاهر ميسازد خدا از براى شما كه گمراه نشويد   و خدا بهر   چيزى داناست   الوقوف خيرا لكم والارض حكيما الا الحق وكلمته ثلثة
مع اتحاد المقصود ونوح منه لعطف المختلفين ولكن فان التعقيب يوجب تعجيل الايمان مع تمام البيان ورسله ثلثة خبر الكم الله واحد ولد لا والمنفى سقط او
الولد لدعوى وصلا او همّ ان المنفى ولد موصوف بان له ما فى السموات وما فى الارض وكيلا المقربون جميعا من فضله اليما لا نصيرا وفصل للعطف
مستقيما يستفتونك الكلالة ما ترك لان ما بعده مبتدأ لكن الكلام متحد البيان المنادى ولد لان جملة الشرط بعد الى قوله فلها نصف ولد بها عارض ما

نزلت لابتداء حكم جامع للصنفين لا نتيبين ان تضلوا علهم التفسير لما بين تشا طريقة اليهود واجاب عن شبهتهم عمم الخطاب فقال يا ايها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق اي بالقران والقران معجز فيكون حقا او بالدعوة الى عبادة الله وحده والاعراض عن غيره وهو الحق الذي يشهد له العقول السليمة فآمنوا خيرا
لكم انتصابه بمضمر وكذا في انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر بالمعنى اقصدوا وائتوا خيرا لكم مما انتم فيه
من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد فان الايمان لاشك انه احمد عاقبة من الكفر بل العاقبة كلها له وقيل انه منصوب على خبر يكون اي يكن
الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يلزم الحذف من غير قرينة وان تكفروا فان الله غني عنكم لانه مالك الكل وهو قادر على انزال العذاب لان يكون
مهزوما وللتخيير او له عبيد اخر يعبدونه غيركم وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع جزاء المحسن ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب عن شبه اليهود خاطب
النصارى ومنعهم عن الغلو في الدين وهو الافراط في شان المسيح الى ان اعتقدوه الها لا نبيا وحثهم على ان لا يقولوا على الله الا الحق الذي يكون
متصفا به وهو تنزيهه عن الحلول في بدن انسان والاتحاد به وعن الزوجة واتخاذه لصاحبة وولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير
واسطة اب ولا نطفة القاها اي الكلمة الى مريم اي اوصلها اليه وحصلها فيه وروح منه اي انه ذو روح لطيف بمنزلة الروح كما يقال هذه نعمة من الله او سمي
بذلك لانه سبب حيوة الارواح او كمالها كما سمي القران روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح
منه ولا شك ان وجود النبي رحمة للامة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو النفخ يعني ان النفخ من جبريل
كان بامر الله فهو منه والتنكير للتعظيم اي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافة ذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فآمنوا بالله ورسله
اي امنوا به كما انبأكم بنبوة الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلاثة هي خبر مبتدأ محذوف اي الله ثلاثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد وانه ثلاثة باعتبار
ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحيوة او الالهة ثلاثة ان كان في زعمهم
انها ذوات قائمة بانفسها الاب والام والابن ولعل القولين مرجعهما الى واحد لانهم اذا جوزوا على الصفات الانتقال والحلول في عيسى وفي مريم فقد جعلوها مستقلة
بانفسها ولهذا لزم الكفر والشرك والا فمجرد اثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فان الاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمانية قديمة انتهوا عن التثليث وافعلوا
خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به شيء
اتصال الابناء بالاباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره جسدا حيا من غير اب له ما في السموات وما في الارض ملكا فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
على ان الجزء انما يصح في المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا في تدبير المخلوقات
والمحدثات فلا حاجة به تعالى للقول باثبات الاخر مستقلا او مشاركا قال الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
والتحقيق ان الشبهة التي عليها يعولون في دعوى انه ابن الله هي انه كان يخبر عن المغيبات ويأتي بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف
المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبودية الله تعالى فان الملائكة المقربين اعلى حالا منه لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حمل العرش
مع عظمته ثمانية منهم ثم انهم لم يستنكفوا عن كونهم عبادا لله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اي يمتنع ويأنف والتركيب يدور على التنحية والازالة
من ذلك نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ونكفت عن الشيء اي عدلت والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الاية وقد تقدم
ايراد الجواب عنها والبحث عليها في سورة البقرة في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا اما قوله ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز
بعضهم عطفه على الضمير في يكون او ... لمعنى الوصفية فيكون المعنى ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يأنف
ان يعبد الله هو والملائكة وفي الملائكة المقربين اعراض عن الغرض الاول وفي المراد بالملائكة كل واحد منهم حتى يكون خبره عبدا او يكون الخبر عبادا حذف
لدلالة عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه اي يجمعهم يوم القيامة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه تعالى لم يذكر ما ... لهم
بل ذكر ثواب المؤمنين المطيعين فنسئل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد وجاء في الكشاف بان هذا مثل
جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما
حذف احدهما في التفصيل في قوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به ... مبين بوطنه كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم
بالحسرة اذا راى اجور العاملين وسيعذبهم بعد ذلك بما يصيبهم من العذاب ... وجعل الضمير في قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس كما لم يحتج الى هذه النكات
ويحصل الربط بسبب العموم ومثل غيره في القران كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى تعميم الخطاب بقوله يا ايها
الناس قد جاءكم برهان الاية يحتمل ان يراد بالبرهان ... كما ان النور كلاهما القران ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد لانه يقيم البرهان على تحقيق الحق ويقال
ان المراد بالنور المبين القران لانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فاما الذين امنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا
به تمسكوا بدينه او لجاوا اليه ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل
ما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اي الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين الحنيف والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد
بالرحمة والفضل اللذات الحسية ... وبالهداية اللذات الروحانية الدائمة ثم انه تعالى ختم السورة بنحو ما بدأ به وهو احكام المواريث فقال يستفتونك

الاية اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة ايتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف ولهذا تسمى اية الصيف
عن جابر بن عبد الله انه قال دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي سبع اخوات فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن فقلت
بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني ثم دخل فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين
[illegible] اخر اية نزلت في الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت
[illegible] فعلم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا الوالد والولد وعلى المورث وهو الذي لا والد له ولا ولد ان امرؤ هلك
[illegible] بتفسير هذا الظاهر محل ليس له وكذا الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد [illegible] ظاهر الاية مطلق ولابد من تقييد
[illegible] ولد مطلق والمراد به الابن لانه هو الذي يسقط الاخت اما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلى
[illegible] في بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي للاخت فعلى هذا فلو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقي للاخت
[illegible] ان ظاهر الاية يقتضي انه اذا لم يكن للميت ولد فان الاخت تاخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت والد
[illegible] لا ترث مع الوالد بالاجماع الثالث قوله وله اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام ذكر
حكمهما في اول السورة بالاجماع ثم قال وهو يرثها اي واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن
لها ولد اي ابن كما قلنا لان الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا في الاخ من الابوين او من الاب فاما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث والثاني
المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب يسقط الاخ لقوله صلى الحقوا الفرائض باهلها فما ابقت فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ثم قال
فان كانتا اثنتين اي من يرث بالاخوة اثنتين فانث وثنى باعتبار الخبر كقولهم من كانت امك كذا الكلام في قوله وان كانوا اخوة واراد بالاخوة والاخوات
لكنه غلب جانب الذكورة روي ان الصديق قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله في سورة النساء في الفرائض اولها في الولد والوالد ثانيها في الزوج والزوجة
والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات من الاب والام والتي ختم بها الانفال اولو الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون
المضاف محذوف اي كراهة ان تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا [illegible] صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها
والله بكل شيء عليم فيكون بيانه حقا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما انه ابتداها بكمال القدرة [illegible] وتفصيل التي يسب
[illegible] المقاصد والمنابع الله [illegible] ان تكفروا فان لله ما في السموات والارض [illegible] ان تؤمنوا [illegible] ان تكفروا فان الكل له
[illegible] بينكم لا تغلوا [illegible] التفريط والافراط [illegible] ابن الله وكل
كلا [illegible] سبحانه [illegible] في اعظامه [illegible] كالخوارج والغلاة [illegible] وهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى [illegible] من جهة [illegible] ان الرفع يكون كل [illegible]
و [illegible] جانب [illegible] كان [illegible] وهذا الاستعداد [illegible] كلمة الله مركوز في جبلة الانسان [illegible]
جوهره [illegible] يكون [illegible] الله [illegible] فيكون في [illegible]
[illegible] ولا تقولوا ثلثة يعني [illegible] الرسول والله [illegible] الثلثة [illegible] انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد
[illegible] له الوجود الحقيقي التام [illegible] كل شيء [illegible] وكفى بالله وكيلا [illegible] لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله لان العبدية هي حقيقة الامكان الذاتي [illegible] عبد الله ولا الملائكة المقربون [illegible]
كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله [illegible] قد جاءكم برهان [illegible] برهان بالكلية وبرهان [illegible]
[illegible] مثل ما كان برهان موسى في عصاه [illegible] برهان [illegible] ما زاغ البصر وما طغى [illegible]
[illegible] لسانه وما ينطق عن الهوى وبرهان [illegible]
[illegible] علي كرم الله وجهه [illegible] باذن الله [illegible] برهان [illegible]
[illegible] كثير برهان [illegible] كان [illegible]
وبرهان [illegible] الايام [illegible]
[illegible] الانسان [illegible] الرفع الاسفل على [illegible] وبرهان كلمة [illegible]
[illegible] من [illegible] القران [illegible]

[illegible] الرحمن [illegible] القران

[illegible]

الحمد لله [illegible] والسلام على [illegible] وآله كتب المصنف في [illegible] الحسين المشتهر [illegible] النيسابوري [illegible]
[illegible]